المملكـــة العربيـــة السعـوديــة
الجـامعــة الإسـلامــية بالمـدينــة المنـورة
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
قســم التفســير

الكفـايـة فــي التفسـير

لأبي عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد بن عبدالله الحيري
المتوفى سنة ٤٣٠هـ

(من أول سورة الأنفال إلى نهاية سورة طه)
(مع مقارنة منهج المؤلف في تفسيره مع منهج ابن كثير في تفسيره)

بتحقيق :
شلواح بن عواض اللويحق المطيرى

لنيل درجة العالمية العالية
«الدكتوراه»

إشراف :
فضيلة الشيخ/ عبدالله بن محمد الغنيمان

١٤١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

امتثالاً لأمر النبي ﷺ القائل : «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه».[1]

ولقوله عليه الصلاة والسلام : «لا يشكر الله من لم يشكر الناس»[2]. أرى أنه من الواجب عليّ أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع أساتذتي الذين لهم الفضل عليّ بعد الله في التعليم والتوجيه والإرشاد وأخص بالذكر منهم شيخي فضيلة الشيخ/ عبدالله بن محمد الغنيمان – حفظه الله تعالى– الذي بذل الكثير من جهده ووقته في سبيل توجيهي وتذليل الصعاب التي واجهتني وتزويدي بالمعلومات النافعة والملاحظات الهامة فجزاه الله خير الجزاء وبارك له في عمره وعلمه وولده وماله، كما أشكر القائمين على أمر هذه الجامعة وأخص بالذكر منهم معالي مدير الجامعة وفضيلة عميد كلية القرآن وفضيلة رئيس قسم التفسير على ما يبذلونه من جهود مباركة في سبيل تحقيق أهداف الجامعة السامية، والله أسأل أن يستجيب إنه سميع مجيب.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الزكاة (٢/٣١٠)، والنسائي(٥/٨٢)، حديث رقم (٢٥٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٥٨)، والترمذي وصحيحه (٤/٢٩٨)، وأبو داود (٤/٢٥٥)، جميعهم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

القسم الأول

الدراسة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمامُ المرسلين، وحجةُ الله على خلقه أجمعين، بعثه الله تعالى بالدين القويم، والصراط المستقيم، ففتح الله بهديه أعيناً عُمياً، وآذاناً صُماً، وقلُوباً غُلفاً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ﷺ.

وبعد فقد كان القرآن ولا يزال دستور الإسلام الذي وضعه الله لعباده، ينظم لهم شئون الحياة، ويبيّن لهم الحقوق والواجبات، ويهديهم للتي هي أقوم في العقائد والعبادات، والأخلاق والمعاملات. ﴿ إن هذا القرءان يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾.

ولقد أدرك المسلمون عظم شأن هذا القرآن فعنوا به عناية كبيرة، وقاموا على إحاطته بكل أسباب الرعاية من جميع الجوانب، ومن أبرز هذه الرعاية تفسير آياته للناس لعلهم يهتدون.

وكتاب «الكفاية في التفسير» الذي بين أيدينا ما هو إلا سمة من سمات الرعاية ، وجهد علم من أعلام التفسير الذين عاشوا في مطلع القرن الخامس. وهو أبو عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري المتوفى سنة ثلاثين وأربعمائة

هجرية، ومن فضل الله عز وجل عليَّ أن كنت أحد طلاب قسم التفسير بهذه الجامعة المباركة، الذين كان لهم شرف خدمة هذا الكتاب، فقد كان نصيبي منه من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة طه.

١- سبب اختيار الموضوع:

أولاً: تقدم الفترة الزمنية التي ألف فيها الكتاب، فمؤلفه كانت وفاته في سنة ثلاثين وأربعمائة هجرية .

ثانياً: يعتبر الكتاب من كتب التفسير التي جمعت بين المأثور والرأي.

ثالثاً: احتوى الكتاب على كثير من الأحاديث الشريفة، كما أحتوى على كثير من الآثار الواردة عن السلف.

رابعاً: اشتمل الكتاب على قدر كبير من اللغة والأشعار والعلوم الأخرى المساندة لعلم التفسير وهذه الأسباب وغيرها دفعتني إلى أختيار هذا الكتاب ليكون موضوعاً لرسالتي والحمد لله على توفيقه وإحسانه.

٢- خطة البحث:

تشتمل على مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة: تتضمن أهمية الموضوع وسبب اختياري له.

القسم الأول: الدراسة ، وتشتمل على فصلين.

الفصل الأول: نبذة مختصرة عن المؤلف وتشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسم المؤلف ولقبه وكنيته ومولده.

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الرابع: مؤلفاته.

الفصل الثاني: دراسة الكتاب، وتتضمن الآتي:

أولاً: اسم الكتاب، وتوثيق نسبته للمؤلف.

ثانياً: وصف النسخة الخطية التي اعتمدت عليها.

ثالثاً: مقارنة الكتاب بكتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وتتضمن:

١- مقارنة موجزة بين المنهجين.

٢- مقارنة تفصيلية.

القسم الثاني: التحقيق، ويشتمل على:

أولاً كتابة النص، وتحقيقه وفقاً لما جاء في منهج التحقيق.

ثانياً: الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج.

ثالثاً: وضع الفهارس التفصيلية لمحتويات البحث.

٣- منهجي في تحقيق الكتاب:

يشتمل عملي في تحقيق الكتاب على النقاط التالية:

١- كتبت النص حسب قواعد الإملاء الحديثه.

٢- عزوت الآيات المستشهد بها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣- ذكرت اسم السورة ورقم الآية المفسرة في أعلى الصفحة التي وردت بها.

٤- خرجت الأحاديث بقدر المستطاع من كتب السنة، مع ذكر الكتاب والجزء والصفحة. وإذا كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بهما أو بأحدهما.

وإذا كان في غير الصحيحين أشرت إلى درجته من حيث الصحة والضعف بقدر الامكان من خلال أقوال العلماء فيه.

٥- خرجت الآثار الواردة في النص بقدر الأمكان من كتب التفسير بالمأثور .

٦- نسبت القراءات إلى من قرأ بها، وعزوتها إلى كتب الاختصاص، وكان كل اعتمادي في عزو القراءات السبعية على كتاب التذكرة لابن غلبون لأنه من أقدم ما أولف في هذا الفن.

وإذا كانت القراءة شاذة رجعت في ذلك إلى كتب الشواذ في القراءات، وبعض كتب التفسير كالبحر المحيط وغيره إذا لم أجدها فيها.

٧- ترجمت للاعلام الوارد ذكرهم في النص من غير المشهورين، ما لم تكن هذه الأسماء وردت ضمن اسناد أو سردها المؤلف عند سبب نزول آية ، أو عند ذكر المواقع والغزوات كأسماء شهداء بدر أو من شهد بدر من المسلمين والمشركين وغير ذلك لكثرتهم.

٨- عرفت بالأماكن والبلدان والفرق والقبائل حسب الأمكان .

٩- بينت الغريب.

١٠- نسبت الأبيات الشعرية إلى قائلها وعزو المنسوبة إلى مصادرها.

١١- المناقشة والتعليق لما يحتاج إلى ذلك من قضايا ومسائل ترد في الكتاب.

١٢- أثبت الحواشي المتعلقة بالنص من حيث التصحيح أو استدراك لنقص بالأصل ولم أشر إليها لكثرتها وبحكم أنها من النص.

١٣ - إذا وقع في النص مخالفة لقواعد الإملاء الحديث أو خطأ نحوي أو خطأ في الآيات القرآنية أقوم باصلاحه دون الإشارة إلى ذلك في الحاشية وذلك لكثرته.

١٤- ختمت التحقيق بخاتمة ضمنتها أهم النتائج.

١٥- وضعت فهارس عامة على النحو التالي:

١- فهرس الآيات القرآنية المستشهد بها.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأشعار.

٥- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٦- فهرس المصادر.

٧- فهزس الموضوعات.

أسأل الله جلت قدرته أن يجعل عملي كله صالحاً، وأن يجعله لوجهه خالصاً وأن لا يجعل لأحد فيه شيئاً.

الفصل الأول

نبذة مختصرة عن المؤلف

رحمه الله تعالى

وتشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأوّل : اسم المؤلف ولقبه وكنيته ومولده.

المبحث الثّاني : شيوخه وتلاميذه.

المبحث الثّالث: مكانته العلميه وثناء العلماء عليه.

المبحث الرابع : مؤلفاته.

المبحث الأول

اسمه وكنيته ولقبه ومولده

هو: أبو عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد بن عبدالله[1] الحيري[2] النيسابوري[3] الضـرير[4]. ولد في رجب من سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وتوفي بعد الثلاثين وأربعمائة هجرية بيسير[5].

---

(1) انظر ترجمته في المراجع التاليه:
تاريخ بغداد ٦/٣١٣ - ٣١٤، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور لإبراهيم بن محمد الصريفيني ص١٢٩ - ١٣٠، الإكمال لابن ماكولا ٣/٤٣، الأنساب للسمعاني ٢/٢٩٨، المنتظم لابن الجوزي ١٥/٢٧٤، معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/١٢٨ - ١٢٩، طبقات الشافعية لابن الصلاح ١/٤٢٢ - ٤٢٣، سير أعلام النبلاء ١٧/٥٣٩ - ٥٤٠، العبر ٢/٢٦٢ - ٢٦٣، الوافي بالوفيات ٩/٨٤، نكتُ الهيمان ص١١٩، طبقات الشافعية للسبكي ٤/٢٦٥، طبقات الشافعية للأسنوي ٢/١٥٠، البداية والنهاية ١٢/٤٧، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/٢١٠ - ٢١١، طبقات المفسرين للسيوطي ٢٤ - ٢٥، طبقات المفسرين للداوودي ١/١٠٤ - ١٠٥، كشف الظنون ١/٤٤٢ و ٢/١٤٩٨، شذرات الذهب ٣/٢٤٥، هدية العارفين ١/٢٠٩ - ٢١٠، الأعلام ١/٣٠٩، معجم المؤلفين ٢/٢٦٠.
وانظر مقدمة محقق الوجوه والنظائر فقد ذكر أكثر من هذه.

(2) نسبة إلى الحيرة، وهي محلة مشهورة بنيسابور، ينسب إليها كثير من العلماء كالمؤلف وأبي عمرو أحمد بن محمد، وأبي عمرو محمد بن أحمد بن حمدان رحمهم الله تعالى، وهذه غير حيرة الكوفة . أهـ بتصرف من الأنساب للسمعاني (٢/٢٩٧ - ٢٩٨).

(3) نسبة لمدينة نيسابور وهي من أهم مدن المشرق الإسلامي وصفها ياقوت الحموي بقوله: وهي مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء، فتحها المسلمون في أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولما دخلها التتار سنة ٦١٨ عاثوا فيها فساداً. أهـ بتصرف من معجم البلدان (٥/٣٣١ - ٣٣٣).

(4) فقد وصفه بهذا كل من ترجم له إذ المؤلف رحمه الله تعالى ضرير البصر، ولذلك أورده الصفدي في كتابه : نكت الهيمان في نُكت العميان ص١١٩.

(5) تاريخ بغداد (٦/٣١٤)، والمنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص١٣٠.

المبحث الثاني

شيوخه وتلاميذه

أولاً : شيوخه :

لقد عاش المؤلف رحمه الله تعالى في فترة ازدهر فيها العلم، ثم إنه قام بعدة رحلات مما هيأ له الإلتقاء بجماعة من أهل العلم والفضل وقد ذكر زميلي الأخ علي التويجري أربعين علماً ممن تتلمذ عليهم المؤلف غفر الله له، ومن أولئك العلماء:

١- أبو القاسم بن حبيب[١].

٢- أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي النيسابوري[٢].

٣- أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان ... ابن سنان الحيري:

ولد سنة ٢٨٣هـ، ومات في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة من سنة ٣٧٦هـ[٣].

---

(١) ستأتي ترجمته وقد نقل عنه المؤلف كثيراً وله تفسير مخطوط يوجد منه مصورة بجامعة الإمام محمد بن سعود رحمه الله تعالى تحت الرقم (٣٤٩٦)ف تبدأ بسورة الأنفال وتستمر حتى نهاية سورة الشورى وكانت مجهولة المؤلف ثم تبين لي من خلال نقول المؤلف والثعلبي عن ابن حبيب أنها جزء من تفسيره وقد استفدت منها كثيراً في تصحيح بعض الأخطاء الواردة في تفسير الحيري رحمهم الله تعالى.

(٢) وقد جاء في النسخة التي بين أيدينا من تفسير الحيري تسميته بابن عبدش فهو تصحيف وتحريف عن عبدوس فقد ذكره البغدادي (٣١٣/٦) ضمن شيوخ المؤلف وستأتي ترجمته .

(٣) ذكره ضمن شيوخ المؤلف كل من السمعاني في الأنساب (٢٩٨/٢)، وابن ماكولا في الإكمال (٤٣/٣)، وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣٥٦/١٦ - ٣٥٩).

٤- محمد بن الحسن بن فُورَك، شيخ المتكلمين في عصره ، المتوفى سنة ٤٠٦هـ.[١]

٥- أبو عبدالرحمن السلمي: محمد بن الحسين بن محمد ... الأزدي السلمي شيخ الصوفية في زمانه مؤلف كتاب: حقائق التفسير ولد في رمضان سنه ٣٣٠هـ، وتوفي في شعبان ٤١٢هـ[٢].

ثانيا : من أشهر تلاميذه:

أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي[٣]، وأحمد بن محمد بن زنجوية الزنجاني الشافعي، ولد سنة ٤٠٣ وكان حيًا حتى سنة خمسمائة[٤]، ومسعود بن ناصر بن أبي زيد السجزي الرَّكَّاب، المتوفى في اليوم الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ٤٧٧ بنيسابور[٥].

---

(١) وقد نقل عنه المؤلف في عدة مواضع من تفسيره هذا ، وله تفسير يوجد جزء منه بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية ، وانظر ترجمته في المنتخب من السياق ص(١٧ - ١٨) ، وفي سير أعلام النبلاء (٢١٤/١٧) فما بعدها.

(٢) وقد نقل عنه المؤلف في عدة مواضع من كتابه هذا ، وذكره البغدادي (٣١٤/٦) ضمن شيوخ المؤلف، وانظر ترجمته في طبقات المفسرين للسيوطي ص(٨٤ - ٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٢٤٧/١٧ - ٢٥٦)، وكلام العلماء في تفسيره معروف ومشهور.

(٣) فقد صرح البغدادي في تاريخه (٣١٤/٦) بسماعه صحيح البخاري من المؤلف في ثلاثة مجالس.

(٤) وهو راوي هذا الكتاب عن مؤلفه رحمهما الله تعالى وقد نص على ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٣٦/١٩ - ٢٣٨) وانظر الجزء الأول من هذا الكتاب (ق/١٥٥/ب)، (ق/٢٣٧/ب) والجزء الثاني (ق/٢/أ).

(٥) نص على تتلمذه على المؤلف الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٣٩/١٧)، وانظر ترجمته في الكتاب المذكور (٥٣٢/١٨ - ٥٣٥)، والمنتخب من السياق (ص٤٣٤ - ٤٣٥).

المبحث الثالث

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

لقد كان الإمام إسماعيل الحيري – رحمه الله تعالى – ذا مكانة جليلة في علمه وعمله يدلك على هذا تلك الأوصاف التي اطلقها عليه جلّ من ترجم له فقد قال البغدادي عنه: ونعم الشيخ كان فضلاً وعلماً ومعرفةً وفهماً وأمانةً وصدقا وديانةً وخلقاً[1].

ووصفه عبدالغافر الفارسي بقوله: الأستاذ، المفسر، المقريء، الواعظ، الفقيه، المحدث، الزاهد، أحد أئمة المسلمين، ومن العلماء العاملين بالعلم، له التصانيف المشهورة في علوم القرآن والقراءات والحديث والوعظ والتذكير، وله حفظ الحديث ومعرفة[2].

ووصفه ابن الجوزي بقوله: كان فاضلاً عالماً عارفا فهماً ذا أمانة وحذق وديانة وحسن خلق[3].

ووصفه السيوطي بقوله: أحد أئمة المسلمين والعلماء العاملين، له التصانيف المشهورة في القرآن، والقراءات، والحديث، والوعظ، رحل في طلب العلم كثيرا ... وكان مفيداً نفّاعاً للخلق مباركًا في علمه ، له تفسير مشهور[4] .

---

(١) تاريخ بغداد (٦/٣١٤).

(٢) هكذا في المنتخب من السياق (ص١٢٩)، ولعل صوابها: ومعرفته.

(٣) المنتظم (١٥/٢٧٤).

(٤) طبقات المفسرين للسيوطي(ص٢٥).

وقد أثنى عليه غير هؤلاء ممن ترجم له كالذهبي، وابن كثير والحموي والصفدي رحمهم الله جميعاً.

المبحث الرابع
مؤلفاته

لقد صنّف الحيري رحمه الله تعالى التصانيف في القراءات والتفسير والوعظ والحديث[1]، ومما وصل إلينا من أسماء تلك المصنفات:

١- أسماء من نزل فيهم القرآن[2].

٢- كتاب التنزيل[3].

٣- عنوان التفسير[4].

٤- الكفاية في التفسير[5].

٥- مثلث الواعظين[6].

٦- معاني أسماء الرب سبحانه وتعالى[6].

---

(١) انظر: المنتخب من السياق (ص١٢٩)، والعبر للذهبي (٢/٢٦٢)، وسير أعلام النبلاء (٥٣٩/١٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص٢٥).

(٢) أورده السيوطي ضمن مراجعه في الإتقان (٢٣/١).

(٣) ذكره المؤلف في مقدمة كتابه (وجوه القرآن) (ص٥٢) ولا يستبعد أن يكون هو الكتاب الأول الذي ذكره السيوطي.

(٤) انظر المرجع السابق، وقد نقل القرطبي في تفسيره (٢٧٢/٣) عن البيهقي قوله: ورأيت في عيون التفسير لإسماعيل الضرير . أهـ. فالظاهر أن هذا هو الصواب في اسم الكتاب المذكور.

(٥) وهو كتابنا هذا وسيأتي توثيق نسبته ووصف نسخه في الفصل الثاني بعون الله تعالى.

(٦) ذكره المؤلف في وجوه القرآن (ص٥٢).

٧- وجوه القرآن[1].

٨- كتاب الوقوف[2].

* * *

(١) وهو فى علم الوجوه والنظائر، وقد حققه الطالب / فضل الرحمن عبدالعليم الأفغاني ونال به درجة الماجستير من جامعة أم القرى عام ١٤٠٤هـ.

(٢) ذكره المؤلف في وجوه القرآن (ص ٥٢).

الفصل الثاني
دراسة الكتاب

وتتضمن الآتى :

أولاً : اسم الكتاب ، وصحة نسبته للمؤلف.

ثانياً : وصف النسخ الخطية للكتاب.

ثالثاً : مقارنة الكتاب بكتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير– وتتضمن :

١ – مقارنة موجزه بين المنهجين.

٢– مقارنة تفصيلية.

أولا : اسم الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلف.

أ- الكتاب اسمه (الكفاية في التفسير).

وأما ما جاء في أول القطعة المحفوظة بجامع صنعاء من تسمية الكتاب بـ(التيسير في التفسير) فلا يصح للأمور التالية:

١- إنّ هذا العنوان كتب بخط حديث ومغاير لخط الأصل، مما يدل على أنّه صنيع أحد ملاك الكتاب أو ممن اطلع عليه، ولم يرد بخط الأصل ما يدل على هذه التسمية، والذي جاء في آخر هذه القطعة هو (... آخر تفسير أبي عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد النيسابوري الضرير الحيري رحمة الله عليه) . أهـ فهذا هو ما كتب بخط الأصل ولم يصرح فيه بتسمية الكتاب.

٢- جاء التصريح بتسمية هذا الكتاب بـ(الكفاية في التفسير) في النسخة الأصل والمعتمدة في التحقيق وهي نسخة كوبرلي زاده، حيث جاء في آخر الجزء الثاني منها (... آخر كتاب كفاية التفسير من تصنيف الاستاذ الامام ... الخ) وهذه النسخة – أعني نسخة كوبرلي زاده – مسندة إذ هي من رواية أبي بكر أحمد بن محمد الزنجوي – وهو أحد تلاميذ المؤلف – فهي إذاً أثبت.

٣- إنّ جميع من ترجم للحيري لم يذكر له كتابا باسم التيسير ، بل كل من نص على تسمية كتابه في التفسير فإنما ذكره باسم (الكفاية في التفسير) ومنهم ابن الصلاح، والسبكي، والأسنوي، وابن قاضي شهبة وحاجي خليفة، وإسماعيل باشا، والزركلي، ورضا كحالة.

ب- توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه:

مما لا شك فيه أن هذا الكتاب – أعني الكفاية في التفسير – للإمام إسماعيل بن أحمد الحيري ، والأدلة على هذا ما يلي:

١- ما ذكر سابقاً من أسماء العلماء الذين نصّوا على تسمية هذا التفسير فضلاً عن غيرهم ممن ذكر للحيري تفسيراً ولم يصرح باسمه.

٢- ما جاء من أسانيد في الكتاب، ومنها على سبيل المثال أول تفسيره لسورة الأعراف (ق١٥٥/ب)، وعند تفسيره للآية ٢٦ من سورة يونس وذلك في الورقة ٢٣٧ب من الجزء الأول – أيضاً – وفي بداية تفسيره لسورة مريم وذلك في الورقة الثانية أ من الجزء الثاني. حيث وردت رواية الكتاب في هذه المواضع من طريق أبي بكر أحمد بن محمد الزنجوي.

وقد نص الذهبي على أن أبا بكر الزنجوي قد كتب بنيسابور تفسير إسماعيل الحيري عنه[1].

٣- قد نسب هذا التفسير إلى إسماعيل الحيري في كلا المجلدين من نسخة كوبرلي زادة، فضلاً عما جاء في بعض قطعه المخطوطة من عزوه إلى إسماعيل الحيري رحمه الله تعالى وسيأتي تفصيل ذلك في مبحث وصف نسخ الكتاب.

٤- النص في مواضع كثيرة من هذا الكتاب على اسم مؤلفه[2].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٢٣٧.

(٢) انظر على سبيل المثال ص١٢٩، ٢٧٢.

٥- نقل بعض العلماء عن هذا الكتاب[1].

٦- أسانيد المؤلف التي ساقها في هذا الكتاب وهي تربو على مئة وثلاثين إسناداً[2].

(١) ومنهم على سبيل المثال أبو حيان فقد نقل عن المؤلف ونص على اسمه في عدة مواضع. انظر على سبيل المثال البحر المحيط ٤/١٨٤، ١٩٣، ٢٠٩، ٢١٧، ٢١٨ وغيرها ونقل عنه - أيضا - الزركشي في البرهان ٢/٨١ ونص هناك على اسم المؤلف رحمهما الله تعالى.

(٢) وأغلب الأسانيد إنما أوردها في أول الكتاب فليرجع إلى ذلك مع النظر إلى ترجمة شيوخه التي قام بها الزميل علي التويجري ص١٠ق فما بعدها.

ثانيا: و صف النسخ الخطية للكتاب

النسخة الوحيدة للكتاب التى اعتمدت عليها، نسخة كوبرلي زادة[1] وتتكون من جزئين:

١- الجزء الأول تحت رقم ١٤٥، وعدد أوراقه (٣٢٧) ورقة، وكل ورقة من صفحتين، وتتراوح اسطرها ما بين ٢٤ إلى ٣٢ سطراً، في الصفحة الواحدة، وكتبت الآيات مع تفسيرها بالمداد الأسود بخط نسخي، وقد يميّز الآيات عن التفسير بوضع خط مستقيم فوق الآية، وليس ذلك في كل الآيات، قد تستدرك بعض الكلمات الساقطة من الأصل بوضع سهم مكان السقط، وتكتب الكلمة أو الجملة في الحاشية ويدل عليها بكتابة كلمة (صح). وليس ذلك مضطرداً في كل سقط. فبعض الكلمات تسقط من الأصل ولا تستدرك في الحاشية.

وقد ملئت صفحات هذه النسخة بالحواشي المتداخلة في بعضها بخطوط متباينة بعضها مقرؤ والبعض الآخر تصعب قراءته، وأغلبها نقول وشروح من بعض التفاسير الأخرى، كتفسير الوسيط، والمحرر وغيرهما.

وتنتهي النسخة الأولى بنهاية تفسير سورة الكهف، وفي نهاية هذا الجزء ما نصه:

فرغ من تحريره وقت الضحى يوم الاثنين في غرة ربيع ...[2] مشرف بن عمر بن

---

(١) تركيا - استانبول - مكتبة السليمانية.

(٢) مطموس بسبب أكلة الأرض له.

عيسى بن محمد الأرانّي الروذباري البيبكاني[1] ثمان وأربعين وسبعمائة، حامداً لله، ومصليا على نبيه، ومستغفراً لنفسه.

ثم كتب تحتها بمقدار سطرين النص التالي:

قد قرأ عليّ الشيخ الفقيه العالم البارع عزيز ...[2] بن الشيخ الصاني أبي نصر المظفر بن الحسين النهتلي[3] هذه المجلدة من ...[4] المنسوب إلى الشيخ الإمام الزاهد العابد أبي عبدالرحمن أحمد بن اسماعيل[5] النيسابوري برد الله ضريحه، وقدس روحه، قراءة تفهم وتدبر ... الخ.

٢- الجزء الثاني تحت رقم ١٤٦ تفسير، في نفس مكتبة كوبرلي زادة، ويبدأ من أول سورة مريم إلى آخر القرآن الكريم، ويقع هذا الجزء في (٤٢١) ورقة بمعدل ٢٥ سطراً للصفحة الواحدة من كل ورقة أي بمعدل ٥٠ سطراً في الورقة الواحده.

وكتب محتوى جميع هذا الجزء بمداد أحمر دقيق عدا العناوين فإنها كتبت بخط أحمر غليظ.

وقد كتب على ورقة مستقلة في أول هذا الجزء ما يلي:

هذا تفسير سيدنا ومولانا الأستاذ العَالَم العَالِم الكبير المفسّر المحدث المشهور بين المشارق والمغارب أبي عبدالرحمن اسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري رضي الله عنه ، ونفع جماعة المسلمين ولوالديه وغفر له ولهم أمين يارب العالمين وكتب هذا

---

(١) لم أهتد إلى ترجمته.

(٢) طمس في الأصل.

(٣) لم أقف على ترجمة له.

(٤) طمس في الأصل.

(٥) كذا في الأصل، والصواب إسماعيل بن أحمد.

التفسير في سنة سبعمائة واثنا عشر رحم الله لمن كتبه أمين.

أما الورقة الأخيرة من هذا الجزء الثاني فقد جاء فيها ما نصه:

آخر كتاب كفاية التفسير من تصنيف الأستاذ والإمام الزاهد العالم المفسر أبي عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري رضي الله عنه وغفر له ولوالديه ... الخ.

٣- نسخة الجامع الكبير بصنعاء، قسم التفسير تحت رقم ١٠١ وتقع في ٣٠٤ ورقه في كل ورقه صفحتان، وفي كل صفحة ٢٣ سطراً وخطها نسخي واضح.

فيها تفسير بعض الآيات من سورة البقرة ، والباقي يبدأ من الآية ٣٢ من سورة غافر .

وقد أفاد منها زميلي (صالح كاتب) الذي قام بتحقيق الجزء الأخير من الكتاب.

ثالثا : مقارنة كتاب الكفاية في التفسير

بكتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير

١- مقارنة موجزة بين المنهجين

أ- منهج المؤلف في كتابه:

من خلال اطلاعي على كتاب الكفاية في التفسير، وخاصة الجزء الذي قمت بتحقيقه وهو من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة طه.

الخص منهج المؤلف رحمه الله تعالى فيما يلي:

فأقول وبالله التوفيق:

يفتتح المؤلف الكلام عن سور القرآن الكريم بالبسملة، وتسمية الله بأحد أسمائه بكلام مسجوع لا يخلو من التكلف في الغالب، ثم يتكلم عن اسم السورة، وإن كان لها أكثر من اسم ذكره، كما فعل في سورة التوبة، ويونس وغيرهما، مبيناً نوعها مكية كانت أم مدنية وعدد آياتها وكلماتها وحروفها موضحاً الخلاف إن وجد في شيء من ذلك.

ثم يفسر الآيات تفسيراً تحليلياً، بذكر الكلمة ومعناها مقتصراً على المعنى الذي يراه راجحاً في كثير من المواضع، وباسطاً للقول في مواضع أخرى وسارداً لاقوال السلف كابن عباس وعلي وابن مسعود وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وحذيفة ابن اليمان ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي والحسن والمقاتلين وغيرهم.

إلا أنه مما يؤخذ عليه أنه كحاطب الليل لا يميز بين الطرق المعلولة والصحيحة وخاصة عن ابن عباس رضي الله عنهما، فإن جل اعتماده على رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما سواء صرح بذلك أو لم يصرح.

يستشهد بالآيات القرآنية بإراد النظائر المتعددة للآية، وبالسنة النبوية التى لا يقتصر فيها على الصحيح بل يتعداها في بعض الاحيان إلى الاستشهاد بأحاديث ضعيفة بل وموضوعة، مكتفياً بذكرها دون تعقب أو اشارة إلى ذلك.

يتعرّض للاحكام الفقهية باختصار مقتصراً على مذهب الشافعي وأبي حنيفة، كما يورد بعض الاعتراضات الافتراضية أحياناً ويناقشها ويكثر من ذكر أسباب النزول بشكل جعل معظم الآيات عنده نزلت بسبب حوادث ووقائع معينة، وقد يذكر آيات مدنية نزلت بسبب حوادث مكية والعكس بل قد يجعل حادثة واحدة سبباً لنزول عدد كبير من الآيات في كثير من السور، كما أنه قد يذكر عدة أسباب للآية الواحدة .

يتعرض للقراءات بتوسع في تفسيره مع توجيهها وذكر من قرأ بها في أغلب الأحيان، وقد لا يقتصر على القراءة الصحيحة فيذكر إلى جانبها القراءة الشاذة وأحياناً ينبه إلى شذوذها كأن يقول: وقرىء في الشاذ.

وهذا الجانب في نظري أنه أجاد فيه، مما جعل تفسيره في طليعة كتب التفسير التي عنيت بالقراءات وتوجيهها.

يتكلم على الناسخ والمنسوخ في كتابه، ومما يؤخذ عليه أنه رحمه الله وضع نفسه في قائمة علماء التفسير الذين يرون أن كثيراً من الآيات القرآنية نسخت بآية السيف.

كما أنه يتوسع في سرد الاسرائليات في تفسيره دون أن يتعقبها، بل ربما أعتمد عليها كتفسير لكلام الله على أنها أخبار مسلم بها.

يتحدث عن تفسير كل آية في موضعها ولا يكتفي بما سبق أن تعرض له عن معناها ، وقد يشير إلى مزيد بيان سبق أو لاحق.

قد يتعرض لتفسير بعض الكلمات الغريبة وبيان معانيها في بعض مواطن الاستشهاد في كتابه.

يتعرض للغة والاعراب واشتقاق الكلمات إلا أنه قد توثر عجميته على عربيته في بعض الأحايين فتظهر العجمة على بعض الفاظه، كما أنه قد يعدي الفعل اللازم بحرف، ولا يعدي الفعل المتعدي بحرف كما فعل عند قوله تعالى: ﴿ **ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً** ﴾ طه ٨٩.

يناقش بعض الفرق مفنداً مزاعمها وأباطيلها ، كالمعتزلة والمرجئة وغيرهما، وذلك من خلال تعرضه لتفسير بعض الآيات التي يدل ظاهرها على الرد عليهم، كأن يقول مثلاً: وهذه الآية ترد على المعتزلة أو فيها ردٌ على المعتزلة ... الخ.

قد يستشهد بالشعر وإن كان مقلاً في ذلك ، كما أنه لا يسلم في استشهاده بالشعر من الوقوع في الخطأ أو النقص يتمثل ذلك في حذف بعض كلمات البيت أو التصحيف والتغيير .

ولا يخلو كتاب الكفاية من التكرار الممل في مواضع كثيرة منه، والاضطراب في بعض الالفاظ.

هذه نبذة مختصرة عن منهج المؤلف رحمه الله في كتابه، وسيتبين بالأمثلة بعض ما أوجز هنا من خلال المقارنة التفصيلية بين منهجه ومنهج ابن كثير رحمه الله في تفسيره.

ب- منهج ابن كثير رحمه الله:

من خطة البحث التي التزمت بها عقد مقارنة بين منهج المؤلف رحمه الله ومنهج ابن كثير رحمه الله في حدود الجزء المحقق من كتاب الكفاية.

فلا بد في البداية من إعطاء لمحة سريعة تبين منهج ابن كثير رحمه الله من خلال تفسيره.

يعتبر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى من أهم كتب التفسير على الأطلاق، كيف لا ومؤلفه المفسر الكبير والمحدث القدير والمؤرخ الشهير الذي يشار إليه في هذه الميادين الثلاثة بالبنان، ولا غرابة في ذلك فهو فارس هذه الحلبة، لما منحه الله جل وعلا من العقل المستنير ، والفكر الثاقب، والذكاء وسلامة الاعتقاد كل ذلك أهله لأن يكون إماماً للمفسرين، فتفسيره سلم من سفسطة المتكلمين، وتأويل المبطلين، ووضع الوضّاعين، وشطحات الصوفية، ومنكرات الاسرائليات.

يبدأ تفسيره بعبارة سهلة وموجزة توضح المعنى الصحيح للآية الكريمة، وكثير ما يلجأ إلى توضيح معنى الآية بذكر آية أو آيات أخرى وهو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن مقارناً بين الآيتين أو الايات حتى يتبين المعنى ويظهر المراد.

وهو شديد العناية بهذا الباب (تفسير القرآن بالقرآن) ويذكر الآحاديث المرفوعة التي لها علاقة وثيقة بالآية، فيبين ما تدعو الحاجة إليه وما لا تدعو إليه، لذا فهو ينقد تلك المرويات نقداً علمياً أصيلاً على منهج المحدثين وطريقتهم في نقد الرواة، ويبين أصل هذه المرويات.

ثم يردف ذلك بذكر أقوال السلف ومن يليهم ويأتي بعدهم من علماء الأمة، فنجده مثلاً يرجح بعض الأقوال على بعض، ويصحح بعض الروايات ويضعّف البعض الآخر، وقد يعدل بعض الرواة ويجرّح بعضاً، وهذا يدل على طول باعه، ودرايته بفنون الحديث وأحوال الرجال رحمه الله رحمة واسعة.

٢- المقارنة التفصيلية:

أولاً: ذكر المكي والمدني من السور.

أهتم الحيري بهذا الجانب اهتماماً كبيراً فلم يترك سورة من سور القرآن إلا وبين هل هي مكية أم مدنية؟

الأمثلة:

قال في سورة الأنفال: « وهي كلها مدنية غير آية واحدة »[١].

وقال في سورة يونس: «وهي كلها مكية إلا آية واحدة نزلت بالمدينة»[٢].

وقال في سورة يوسف: « وهي كلها مكية »[٣] وهكذا في بقية سور القرآن.

كما أن ابن كثير رحمه الله هو الآخر أهتم بهذا الجانب.

فقال في سورة الأنفال: « وهي مدنية»[٤].

وقال في سورة هود: « وهي مكية»[٥].

وقال في سورة يوسف: « وهي مكية»[٦]. وهكذا في بقية سور القرآن.

---

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص ١).
(٢) انظر : تفسير الكفاية (ص٢٦١).
(٣) انظر : تفسير الكفاية (ص٣٦٢).
(٤) انظر : تفسير ابن كثير (٥٤٥/٣).
(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٢٣٨/٤).
(٦) انظر : تفسير ابن كثير (٢٩٤/٤).

ثانياً: الاهتمام بذكر عدد آيات السورة وحروفها وكلماتها.

أهتم الحيري بهذا الجانب عند كل سورة.

الأمثلة:

قال في سورة الأنفال: « وعدد آياتها خمس وسبعون آية ، كوفي، وست حجازي بصري، سبع شامي، وعدد حروفها خمسة الاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفاً، وعدد كلماتها الف ومائتان وإحدى وثلاثون كلمة »[1]. وهكذا في كل سورة.

أما ابن كثير فلم يتعرض لذلك إلا في سورة واحدة هي سورة الأنفال.

إذ قال: « آياتها سبعون وست آيات ، كلماتها الف كلمة، وستمائة كلمة، وإحدى وثلاثون كلمة. حروفها: خمسة الاف ومائتان ، وأربعة وتسعون حرفاً، والله أعلم».

ثالثاً: الاهتمام بذكر أسماء السور.

أهتم الحيري في معظم السور، بذكر اسمائها ولم يترك إلا النزر اليسير.

ومن الأمثلة على ذلك:

قال في سورة الأنفال: « هذه السورة لها اسمان، سورة الأنفال، والفرقان».

وقال في سورة التوبة: « لهذه السورة سبعة اسماء، قالت العامة: سورة التوبة –

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص١).

ويقصد بالعامة، الجمهور – وقال ابن عباس: سورة الفاضحة، وقال محمد بن اسحاق: المبعثرة، ومعناها المظهرة لأسرار المنافقين، وقال سفيان بن عيينة: سورة المدمدمة، وقيل: سورة المخزية، لقوله: ﴿ وإن الله مخزى الكـٰفرين﴾ ، وقيل: المشرّدة، وقيل: المنكّلة من النكال، وقيل: المقشقشة.

أما ابن كثير رحمه الله تعالى فقد اكتفى في هذا الباب بذكر اسم السورة الذي يجعله عنواناً لتفسيرها ، وهو ما اشتهر من أسمائه كأن يقول تفسير سورة كذا.

رابعاً: الاهتمام بفضائل السور:

تعرض الإمامان لهذا الجانب، لكن عناية ابن كثير رحمه الله كانت أكبر حيث التزم بما ثبت من صحيح الأخبار في حين أن الحيري رحمه الله لم يتقيد بذلك بل قد يورد أحاديث ضعيفة أو موضوعة.

الأمثلة:

قال ابن كثير عن سورة الإسراء: « قال الإمام البخاري: حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن أبي اسحاق، قال: سمعت عبدالرحمن بن يزيد، سمعت ابن مسعود رضى الله عنه قال في بني اسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرحمن، حدثنا حماد بن زيد، عن مروان أبي لبابة، سمعت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ كل ليلة: «بنى اسرائيل»، «والزمر»[1].

(١) انظر : تفسيره (٣/٥).

ولم يتعرض صاحب الكفاية لما ورد في فضل هذه السورة، ولكنه قد يتعرض لما ورد في فضل غيرها من السور، انظر مثلاً سورة البقرة حيث قال: وأعلم أن هذه السورة أطول سورة في القرآن وأفضلها، وأكثرها ثواباً لقارئها ... الخ. وإستدل على ذلك بأحاديث ضعيفة[1].

خامساً: تفسير القرآن بالقرآن:

اعتنى صاحب الكفاية بتفسير القرآن بالقرآن عناية طيبة، فكثيراً ما يورد النظائر للآية المراد تفسيرها.

الأمثلة من تفسير الكفاية:

عند قوله تعالى: ﴿**وإذا تليت عليهم ءايـٰته زادتهم إيمـٰناً**﴾ من سورة الأنفال، قال الإستاذ اسماعيل: ثبت بهذه الآيات، وبرواية الثقات عن النبي ﷺ من أخبار الصحاح بإجماع العلماء الكبار، واتفاق فقهاء الأمصار أن الإيمان طاعة يزيد وينقص كما قال الله: ﴿ **وإذا تليت عليهم ءايـٰته زادتهم إيمـٰناً**﴾ .

وقال جل ثناؤه: ﴿ **وإذا مآ أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هـٰذه إيمـٰناً، فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمـٰناً وهم يستبشرون، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وما توا وهم كـٰفرون**﴾ التوبة ١٢٤.

وقال الله: ﴿ **ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً**﴾ مريم ٧٦.

وقال: ﴿ **زادهم هدىً وءاتـٰهم تقوىٰهم**﴾ محمد ١٧.

(١) انظر : تفسير الحيري مخطوط ج١ (ق/٤٦/ب).

وقال: ﴿ **ليستيقن الذين أوتوا الكتـٰب ويزداد الذين ءامنوا إيمـٰناً**﴾ المدثر ٣١[1].

وانظر أيضاً على سبيل المثال: ص٤١، ٥٩، ٦٢.

وانظر من سورة التوبة ص: ١٦٠، ١٨٢، ١٨٦، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥.

وفي سورة الإسراء عند قوله تعالى: ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها**﴾ يقول: واللام بمعنى على كما قال: ﴿ **وعليها ما اكتسبت**﴾ سورة البقرة ٢٨٦[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ **وكل شيء فصلنـٰه تفصيلاً** ﴾.

قال: وكل شيء من الأصول بيناه تبياناً في القرآن كقوله: ﴿ **ما فرطنا فى الكتـٰب من شيء**﴾ سورة الانعام ٣٨[3].

وعند قوله تعالى: ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء**﴾ الآية ذكر الحيري أن لهذه الآية أربع نظائر فقال: نظيره: ﴿ **من كان يريد حرث الأخرة نزد له فى حرثه**﴾ سورة الشورى ٢٠.

وقوله: ﴿ **من كان يريد الحيوٰة الدنيا وزينتها نوف إليهم** ﴾ الآية سورة هود ١٥.

وقوله: ﴿ **فأعرض عن من تولىٰ**﴾ الآية سورة النجم ٢٩.

وقوله: ﴿ **فمن الناس من يقول ربنا ءاتنا فى الدنيا** ﴾ الآية سورة البقرة ٢٠٠[4].

---

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص١٢).
(٢) انظر : تفسير الكفاية (ص٥٨٩).
(٣) انظر : تفسير الكفاية (ص٥٩٣).
(٤) انظر : تفسير الكفاية (ص٥٩٧).

وعند قوله تعالى: ﴿ **وإنا لجـٰعلون ما عليها صعيداً جرزاً** ﴾ الآية ٨ من سورة الكهف :

قال: ومن قوله: ﴿ **أو لم يروا أنا نسـوق المآء إلى الأرض الجرز** ﴾ الآية سورة السجدة ٢٧.

انظر تفسير سـورة الكهف ص: ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٧٠، ٦٧٤، ٦٧٥.

من هذه الأمثلة يتضح مدى عناية الحيري رحمه الله بهذا الباب واعتماده في شرح كثير من الآيات على نظائرها من كتاب الله عزوجل.

ومع ذلك فقد كان ابن كثير رحمه الله أشد عناية بتفسير القرآن بالقرآن من الحيري، وسيتضح مدى عناية ابن كثير رحمه الله في هذا الميدان من خلال الأمثلة الآتية من تفسيره إن شاء الله تعالى.

الأمثلة من تفسير القرآن العظيم:

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **أفـمن يعلم أنمـآ أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألبـٰب** ﴾ سورة الرعد آية ١٩، يقول تعالى: لا يستوى من يعلم من الناس إن الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق أي الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس ولا اختلاف فيه، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضاً لا يضاد شيء منه آخر فأخباره كلها حق، وأوامره ونواهيه عدل. كما قال تعالى: ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً** ﴾ سورة الأنعام ١١٥، أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الطلب، فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه، ولو فهمه ما انقاد له، ولا صدقه ولا اتبعه.

كما قال تعالى: ﴿لا يستوى أصحـٰب النار وأصحـٰب الجنة أصحـٰب الجنة هم الفآئزون﴾ سورة الحشر آية ٢٠.

وقال في هذه الآية الكريمة ﴿أفمن يعلم أنمآ أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمىٰ﴾[1].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ سورة إبراهيم آية ١٧.

قال: وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿ويأتية الموت من كل مكان﴾ قال: أنواع العذاب الذي يعذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم وليس منها نوع إلا الموت يأتيه منه لو كان يموت ، ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ سورة فاطر آية ٣٦.[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ومن ورآئه عذاب غليظ﴾ سورة ابراهيم آية ١٧، أي وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ، أي مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله، وأدهى وأمر، وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم: ﴿إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشيـٰطين فإنهم لأكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ سورة الصافات ، الآيات ٦٤ — ٦٨.

فأخبر أنهم تارة يكونون في أكل زقوم، وتارة في شرب حميم، وتارة يردون إلى الجحيم عياذاً بالله من ذلك، وهكذا قال تعالى: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ سورة الرحمن آية ٤٣، ٤٤.[3]

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٣٧١/٤، ٣٧٢).

(٢) انظر : تفسيره (٤٠٥/٤).

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٤٠٥/٤).

وقال تعالى: ﴿ إن شجرت الزقوم، طعام الأثيم، كالمهل يغلى فى البطون، كغلى الحميم، خذوه فاعتلوه إلىٰ سوآء الجحيم، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم، ذق إنك أنت العزيز الكريم، إنّ هـذا ما كنتم به تمترون﴾ سورة الدخان الآيات ٤٣ - ٥٠[١].

وقال تعالى: ﴿ وأصحـٰب الشمال مآ أصحـٰب الشمال، فى سموم وحميم، وظلٍ من يحموم، لا بارد ولا كريم﴾ سورة الواقعة الايات: ٤١ - ٤٤[٢].

وقال تعالى: ﴿هذا وإنّ للطـٰغين لشرَّ مئاب، جهنم يصلونها فبئس المهاد، هذا فليذوقوه حميم وغساق وءاخر من شكله أزوٰج﴾ سورة ص الآيات: ٥٥ - ٥٨.

إلى غير ذلك من الايات الدالة على تنوع العذاب عليهم، وتكراره وأنواعه وأشكاله مما لا يحصيه إلا الله عزوجل[٣].

من هذه المقارنة السريعة تتجلى حقيقة لا مرية فيها، وهي أن ابن كثير رحمه الله يعتبر بحق فارس هذا الميدان الذي لا ينافس ، وأنه فاق الحيري في هذا المجال يتضح ذلك من خلال العرض والتحليل وحشده للآيات التي تتحدث عن معنى واحد في مكان واحد مع بيان المعنى الذي قد تضيفه كل آية على غيرها.

سادساً: تفسير القرآن بالسنة وبأقوال السلف:

لقد حفل الكتابان بكثير من أقوال الرسول ﷺ وصحابته الكرام والتابعين ومن تبعهم من سلف هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٤٠٦/٤).
(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٤٠٦/٤).
(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٤٠٦/٤) .

ألا إنه مما يلاحظ على صاحب الكفاية أنه لا يذكر الإسناد إلا نادراً خاصة في الجزء الأول من كتابه، وأنه غالباً ما يورد الأحاديث بالمعنى، وربما أقتصر على ذكر بعض اللالفاظ في حين أن ابن كثير رحمه الله نجده يعتني بذكر الفاظ الأحاديث المرفوعة ذات العلاقة بالآية مبيناً العلل إن وجدت في السند كانت أم في المتن في أغلب منهجه، وهذا ما لا يفعله الحيري رحمه الله إلا نادراً.

الأمثلة من كتاب الكفاية:

عند قوله تعالى: ﴿ **إذ تستغيثون ربكم**﴾ سورة الأنفال آية ٩.

يذكر الحيري أن معنى هذه الاستغاثة هو قول النبي ﷺ: «اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ... الخ[1].

وعند قوله تعالى: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ الأنفال ٦٠، استشهد الحيري على معنى الآية بقول النبي ﷺ : « الا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً[2].

وفي سورة الاسراء عند قوله تعالى: ﴿ **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق**﴾ آية ٣٣.

قال: يعني بما أباح الله قتلها، وهي الأرتداد والقصاص والرجم والدليل عليه قوله ﷺ : « لا يحل دم إمرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث » الحديث[3].

وانظر على سبيل المثال الكفاية في التفسير: ٦٣٦، ٦٣٩، ٦٤٤، ٦٦٢، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٧١، ٦٩٣.

---

(١) انظر : الكفاية في التفسير ص٢٥، والحديث تم تخريجه في نفس الصفحة.

(٢) انظر : الكفاية في التفسير ص١٢٣، والحديث تم تخريجه في نفس الصفحة.

(٣) انظر : تفسيره (ص٦٠٣)، والحديث تم تخريجه في ص ٦٠٤.

الأمثلة من تفسير القرآن العظيم:

عند قوله تعالى: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ الانفال.

قال ابن كثير: قال الإمام أحمد: حدثنا هارون بن معروف. ثم ذكر السند إلى أن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ ، ألا أن القوة الرمى ألا إن القوة الرمي » رواه مسلم عن هارون بن معروف، وأبو داود عن سعيد بن منصور، وابن ماجة عن يونس بن عبدالأعلى، ثلاثتهم عن عبدالله بن وهب، به[1].

وعند قوله تعالى: ﴿ **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق**﴾ الاسراء آية ٣٣.

قال ابن كثير : يقول تعالى ناهياً عن قتل النفس بغير حق شرعي، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا باحدى ثلاث، النفس بالنفس والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوٰنه فيه شفآء للناس**﴾ سورة النحل آية ٦٩.

قال ابن كثير: والدليل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿ **فيه شفآء للناس**﴾ هو العسل الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية قتادة عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٤/٢٣)، والحديث في مسند أحمد (٤/١٥٦، ١٥٧)، ومسلم كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه (٣/١٥٢٢).

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٣/٣٥٧، ٣٥٨، (٥/٧٠)، وانظر تخريج الحديث في نفس الصفحات.

إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال اسقه عسلاً ، فسقاه عسلاً ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً قال: اذهب فاسقه عسلاً فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء ، فقال: يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلاً فذهب فسقاه فبريء»[1].

أما الأمثلة على ذكر الحيري لأقوال الصحابة والتابعين فكثيرة جداً، منها:

عند قوله تعالى: ﴿ **حتىٰ إذا جآء أمرنا وفار التنور** ﴾ سورة هود آية ٤٠.

قال الحيري: معناه: ونبع الماء من التنور ثم اختلفوا في التنور من أربعة أوجه:

قال ابن عباس: التنور: وجه الأرض.

قال مجاهد: التنور: الخابزة.

قال قتادة: التنور: أشرف موضع في الأرض.

قال علي بن أبي طالب: التنور: طلوع الفجر، يعني إذا طلع الفجر كان وقت الهلاك[2].

وعند قوله تعالى من سورة هود: ﴿ **لهم فيها زفير وشهيق**﴾ آية ١٠٦ .

يقول: قال ابن عباس: الزفير : الصوت الشديد، والشهيق: الصوت الضعيف..

وقال مقاتل: الزفير: أول النهيق، والشهيق: آخر النهيق.

وقال أبو العالية: الزفير: الصوت في الحلق، والشهيق: الصوت في الصدر[3].

---

(١) انظر : تفسيره (٥٠١/٤)، وانظر تخريج الحديث في نفس الصفحة.

(٢) انظر : الكفاية (ص٣٢٥).

(٣) انظر : الكفاية (ص ٣٥١، ٣٥٢).

وعند قوله تعالى من سورة يوسف: ﴿ وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ آية ٨٤.

يقول: فهو مغموم مكروب.

وقال ابن عباس: مهموم.

وقال مجاهد: ساكت.

وقال قتادة: كظيم عن الحزن لم يتكلم بسوء.

وقال عكرمة : ممتلئ حزناً[1].

وعند قوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿ إن ربك أحاط بالناس﴾ آية ٦٠ .

قال الحيري : قال ابن عباس : يعني أحاط علمه بالناس فلا يخفى عليه شيء منهم.

وقال مجاهد : ﴿ إن ربك أحاط بالناس ﴾ أي هم في قبضته.

قال قتادة : أحاط بالناس : أي يمنعك منهم ويحوطك.

قال الحسن : أحاط بالناس: أي عصمك منهم

قال مقاتل : ﴿ إن ربك أحاط بالناس ﴾ يعني فتح مكة، وبه يقول الفراء.[2]

وعند قوله تعالى من نفس السورة ﴿ كل يعمل على شاكلته ﴾ آية ٨٤.

قال الحيري : وأما المفسرون فقد قالوا في معنى الشاكلة ألفاظاً مختلفة:

فقال ابن عباس : على شاكلته ، على ناحيته.

قال مقاتل : على جديلته ، يعني طبعه.

قال مجاهد : على حدته

---

(١) انظر : الكفاية (ص٤١٦).

(٢) انظر : تفسير الكفاية (ص٦١٤)، وتخريج هذه الآثار في نفس الصفحة.

قال الحسن وقتادة : على نيته.

وقيل : على دينه.[1]

قلت : وهذا غيض من فيض، فحل تفسير الحيري رحمه الله على هذه الشاكلة من سرد الأثار والأقوال عن السلف.

الأمثلة من تفسير القرآن العظيم لابن كثير :

بعد أن تحدث ابن كثير رحمه الله عن معنى قوله تعالى ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً** ﴾ الآية ٤١ من سورة التوبة.

يقول : وهكذا روي عن ابن عباس، وعكرمة وأبي صالح ، والحسن البصري، وشمر بن عطية، ومقاتل بن حيان، والشعبي وزيد بن اسلم: أنهم قالوا في تفسير هذه الآية : ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً** ﴾ .

قالوا : كهولاً وشباباً. وكذا قال عكرمة والضحاك ومقاتل بن حيان وغير واحد.

وقال مجاهد : شباباً وشيوخاً، وأغنياء ومساكين. كذا قال أبو صالح وغيره.

وقال الحكم بن عتيبة : مشاغيل وغير مشاغيل ... الخ.[2]

ونجد ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ **فمآ ءامن لموسى إلاّ ذرية من قومه على خوف من فرعون وملإيهم** ﴾. الآية من سورة يونس ٨٣.

يتحدث عن معنى الآية بكلام شامل، ثم يتبع ذلك بذكر أقوال السلف مبتدئاً

---

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص٦٢٩)، وتخريج هذه الآثار في نفس الصفحة.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٩٧/٤).

ذلك برواية العوفي عن ابن عباس بأن الذرية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه، ثم قال :

وروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فمآ ءامن لموسى إلآ ذرية من قومه** ﴾ يقول بني إسرائيل، وعن ابن عباس، والضحاك وقتادة : «الذرية» القليل.

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **إلا ذرية من قومه** ﴾ قال : هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم.

واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية أنها من بني إسرائيل لا من قوم فرعون لعود الضمير على أقرب المذكورين.

ثم عقب على ذلك بقوله : وفي هذا نظر، لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب، وأنهم من بني اسرائيل... الخ.[1]

من ذلك يتضح موقف ابن كثير رحمه الله من ذكر أقوال السلف، فهو ينقل أقوال السلف في المسألة مبيناً من يتفق منهم في القول ومن يخالف ومرجحاً لبعض الأقوال على بعض وهو في هذه الناحية أكثر عناية من صاحب الكفاية في التفسير.

مثال آخر : يدل على مدى عناية ابن كثير رحمه الله بنقل الآثار عن السلف وحسن التوجيه والجمع بين الأقوال التي يوهم ظاهرها التعارض فنجده عند قوله تعالى من سورة الرعد آية ١١ ﴿ **له معقبـٰت من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ﴾.

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٢٢٢/٤).

يقول : وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ **له معقبـٰت من بين يديه** ﴾ والمعقبات من أمر الله، وهي الملائكة.

وقال عكرمة عن ابن عباس: ﴿ **يحفظونه من أمر الله** ﴾ قال : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

وقال مجاهد : ما من عبد إلا له مَلَك موكل، يحفظونه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال الملك وراءك إلاّ شيء باذن الله فيه فيصيبه.

وقال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس. ثم ذكر روايتين عن عكرمة والضحاك بهذا المعنى.

وقال : والظاهر – والله أعلم – أن مراد ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا أن حرس الملائكة للعبيد يشبه حرس هؤلاء لملوكهم وأمرائهم.[1]

سابعاً : الاهتمام بالقراءات :

اهتم صاحب الكفاية بالقراءات اهتماماً كبيراً، فهو يكثر من ذكر القراءات المتواترة والشاذة، كما ينسب القراءات إلى من قرأ بها في أغلب الأحيان، ويوجهها توجيهاً مفصلاً.

ومن أمثلة القراءات المتواترة في كتاب الكفاية.

---

(١) انظر تفسيره (٤/٣٦٠).

عند قوله تعالى من سورة يونس ﴿ **قال الكٰفرون إنّ هذا لسٰحرٌ مبينٌ** ﴾ آية ٢.

قال الحيري : قريء بالألف وغير الألف ، بالألف أراد النبي ﷺ ، وغير الألف يعنون به القرآن ﴿ **لسحر مبين** ﴾ لكذب بين.(١)

وعند قوله تعالى : ﴿ **يفصل الأيـٰت** ﴾ من نفس السورة آية ٥.

يقول : وقريء نفصّل بالنون والياء، بالنون راجع إلى قوله ﴿ **إن أوحينآ** ﴾ ، وبالياء فهو راجع إلى قوله ﴿ **يدبر** ﴾ .(٢)

قوله تعالى ﴿ **لقد كان فى يوسف وإخوته ءايـٰت للسآئلين** ﴾ سورة يوسف آية ٧.

قال وقريء : آيات وآية بالجمع والوحدان، فمن قرأ بالوحدان احتج بقوله : ﴿ **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألبـٰب** ﴾ سورة يوسف آية ١١١، ومن قرأ بالجمع آيات، أراد جميع العبر في هذه السورة من أولها إلى آخرها.(٣)

قال تعالى : ﴿ **وألقوه فى غيـٰبت الجب** ﴾ سورة يوسف آية ١٠.
قال الحيري : أي في قعر البئر، وقيل : في ظلمتها، وقريء في غيابة وغيابات بالجمع والوحدان.(٤)

وعند قوله تعالى ﴿ **أو تسقط السمآء كما زعمت علينا كسفاً** ﴾ سورة الإسراء آية ٩٢ قال : من قرأه بجزم السين أراد جانباً من السماء، ومن قرأ بفتح السين أراد قطعاً، الواحدة كسفة.(٥)

---

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص٢٦٤).
(٢) انظر : تفسير الكفاية (ص٢٦٦).
(٣) انظر : تفسير الكفاية (ص٣٦٨).
(٤) انظر : تفسير الكفاية (ص ٣٧٠).
(٥) انظر : تفسير الكفاية (ص ٦٣٣).

ومن أمثلة القراءات الشاذة :

عند قوله تعالى: ﴿ **ومن رباط الخيل** ﴾ سورة الأنفال آية ٦٠.

قال الحيري : وقريء من رَبْط الخيل ، بفتح الراء وجزم الباء على أنه مصدر.

وقريء من رُبُط الخيل بضم الراء والباء جميعاً على أنه جمع رباط.

وقريء من رُبْط الخيل بضم الراء وجزم الباء على أنه تخفيف رُبُط.[1]

وعند قوله تعالى : ﴿ **ومنهم من يلمزك فى الصدقـٰت** ﴾ سورة التوبة آية ٥٨.

يذكر الحيري إلى جانب القراءة الصحيحة قراءة شاذة فيقول :

وقريء يلمزك بضم الباء وكسر الميم مسددة.[2]

وعند قوله تعالى : ﴿ **أمرنا مترفيها** ﴾ من سورة الإسراء آية ١٦.

قرأ أبو رجاء العطاردي ﴿ **أمّرنا** ﴾ بالتشديد .[3]

وانظر ص٥٥٩، ٦٠٠، ٦٨٢، ٦٨٧.

أمّا ابن كثير رحمه الله فلم يتوسع في هذا الباب كتوسع الحيري، وغالباً ما يقتصر على القراءات المتواترة إذا تعرض لذلك.

ومن أمثلة ذلك :

عند قوله تعالى : ﴿ **أنيّ ممدكم بألف من الملـٰئكة مردفين** ﴾ سورة الأنفال آية٩، ذكر أثراً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم قال : وهذا يقتضي لو صح إسناده أن الألف مردفة بمثلها. ولهذا قرأ بعضهم ﴿ **مُرَدفين** ﴾ بفتح الدال والله أعلم.[4]

---

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص ١٢٣).

(٢) انظر : تفسير الكفاية (ص ٢١٢).

(٣) انظر : تفسير الكفاية (ص ٥٩٥).

(٤) انظر تفسيره (٣/٥٦٠).

وعند قوله تعالى ﴿ **وقال اركبوا فيها بسم الله مجرىها ومرسىهآ إن ربى لغفور رحيم** ﴾ سورة هود آية ٤١.

يقول : وقرأ أبو رجاء العطاردي ﴿ **بسم الله مُجرىها ومُرسيها** ﴾[1].

ثامناً : الاهتمام بذكر أسباب النزول :

اهتم الحيري رحمه الله اهتماماً بالغاً في ذكر أسباب النزول حتى أصبح عنده معظم آيات القرآن لها سبب نزول وهذا ما يؤخذ عليه أن خَصّ الآيات العامة، وفسّرها بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، وحصر الأمثلة على ذلك في تفسيره من الصعوبة بمكان، وقد بيّن ذلك في المقارنة العامة.[2]

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

عند قوله تعالى : ﴿ **إن شرّ الدوآب عند الله الصم البكم** ﴾ الأنفال آية ٢٢.

يقول : اختلفوا في نزول هذه الآية من ثلاثة أوجه :

أحدها : قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في المشركين وهم بنو عبدالدار.

وقال الحسن : نزلت هذه الآية في أهل الكتاب.

وقال محمد بن إسحاق : نزلت هذه الآية في المنافقين.[3]

وعند قوله تعالى : ﴿ **واتقوا فتنةً** ﴾ سورة الأنفال آية ٢٥ يقول : نزلت هذه الآية في أصحاب محمد، في علي وعثمان وطلحة والزبير، وذلك أنه وقع فيما بينهم فتنةٌ وخصومةٌ وقتالٌ فأنزل الله ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غلٍ إخوناً على سرر**

---

(١) انظر : تفسيره (٤/٢٥٥).

(٢) ص٢٦-م.

(٢) انظر : تفسير الكفاية (ص ٦٠، ٦١).

متقـٰبلين ﴾ سورة الحجر آية ٤٧، وأنزل فيهم ﴿**واتقوا**﴾..[1]

وعند قوله تعالى : ﴿ **وقالوا يـٰأيها الذى نزل عليه الذكر** ﴾ سورة الحجر آية٦.

قال : نزلت في عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، والنضر بن الحارث بن كلدة، ونوفل بن خويلد بن عبدالعزى وكلهم من قريش قالوا للنبي ﷺ : إنك تهدي وأنت مجنون.[2]

وعند قوله تعالى ﴿ **خلق الإنسـٰن من نطفة** ﴾ سورة النحل آية ٤ .

قال : نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله ﷺ ... الخ.[3]

الأمثلة من تفسير القرآن العظيم لابن كثير:

اهتم ابن كثير بذكر أسباب النزول في تفسيره، وكان موفقاً في هذا الباب ، إذ أنه يقتصر على ذكر المشهور من الأقوال عند العلماء ويضعف ما كان منها ضعيفاً كما فعل رحمه الله عند قوله تعالى ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلـٰفك إلا قليلاً**... الآيات ﴾ سورة الإسراء آية ٧٦.

قيل : نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء، وترك سكنى المدينة، ثم قال : وهذا القول ضعيف ، لأن الآية مكية، وسكنى المدينة بعد ذلك.

وقيل : إنها نزلت بتبوك، وفي صحته نظر.

---

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص ٦٧) .

(٢) انظر : تفسير الكفاية (ص ٤٩٠).

(٣) انظر : تفسير الكفاية (ص ٥٢٤).

وقيل : نزلت في قريش.[1]

وعند قوله تعالى : ﴿ **وقل رب أدخلنى مدخل صدقٍ وأخرجنى مخرج صدقٍ** ﴾ الآية . سورةالإسراء آية ٨٠.

نجده يروي أثراً عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أخرجه أحمد في مسنده بسنده إليه قال : كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله : ﴿ **وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطـٰناً نصيراً** ﴾[2]

وعند قوله تعالى ﴿ **ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضىٰ إليك وحيه** ﴾ سورة طه آية ١١٤.

قال ابن كثير رحمه الله : وثبت في الصحيح عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك لسانه، فأنزل الله هذه الآية، يعني أنه عليه السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية ، قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل الأخف في حقه لئلا يشق عليه، فقال : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به إنّ علينا جمعه وقرءانه** ﴾ سورة القيامة آية ١٦، ١٧.[3]

تاسعاً : الاهتمام بالنواحي اللغوية والإعرابية :

اهتم الحيري في تفسيره بهذه الناحية اهتماماً كبيراً، فهو كثير الاستشهاد باللغة،

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٥/٩٨).

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٥/١٠٨).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٥/٣١٢).

ويعتمد في ذلك على أقوال علماء اللغة أمثال الفراهيدي، والفراء والأخفش وأبي عبيدة وابن قتيبة وغيرهم، فهو يقوم بتفكيك اللفظ، وتصريف المشتقات، كما يقوم ببيان الغامض من الألفاظ، إلاّ أن اهتمامه بهذه النواحي كان بقدر بحيث لا يخرج الكتاب عن كونه من كتب التفسير وهذه ميزة طيبة.

الأمثلة من تفسير الكفاية :

عند قوله تعالى : ﴿ سبحـٰن الذى أسرىٰ بعبده ليلاً ﴾ سورة الإسراء آية ١.

قال الفراء : سبحان نصب على المصدر، تقول العرب : سبحت تسبيحاً وسبحاناً.

قال الأخفش : التسبيح مصدر، وسبحان اسم ، وربما يكون سبحان بمعنى التعجب.[١]

وعند قوله تعالى: ﴿ فلا تقل لهمآ أفٍ ﴾ سورة الإسراء آية ٢٣.

يقول : قال أبو عبيدة : وأصل الأف في اللغة: الوسخ على الأصابع إذا فتلته. وكذا التف، ويكون في الأصابع، وفيه ست لغات أُفٌّ، وأُفِ، وأُفاً، وأُفٌ، وأُفٍ ، ومعناه واحد.[٢]

وعند قوله تعالى: ﴿ إلىٰ غسق اليل ﴾ آية ٧٨ من نفس السورة.

يقول : والفعل منه غسق وأغسق إذا أظلم.[٣]

وعند قوله تعالى : ﴿ وكان الإنسـٰن قتوراً ﴾ سورة الإسراء آية ١٠٠، يقول : بخيلاً، والفعل منه قتر بالتخفيف، وقتّر بالتشديد، وأقتر بالألف.[٤]

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص ٥٨٢).

(٢) انظر : تفسيره (ص ٦٠٠).

(٣) انظر : تفسيره (ص ٦٢٥).

(٤) انظر : تفسيره (ص ٦٣٧).

وعند قوله تعالى : ﴿ **إنى لأظنك يـموسى مسحوراً** ﴾ سورة الإسراء آية ١٠١.

يقول : قال أبو عبيدة والفراء : مسحوراً يعني ساحراً، مفعول بمعنى فاعل.(١)

وقال : ﴿ **كبرت كلمةً** ﴾(٢) نصب على التعجب أي أكبر بها كلمة ، ومعناه ما أكبر تلك الكلمة التي قالوا..(٣)

وعند قوله تعالى من سورة الكهف : ﴿ **سنين عدداً** ﴾ آية ١١، يقول : قال أبو عبيدة : عدداً نصب على المصدر، قال الفراء : العدد هاهنا المعدود سنين، كالقبض والنقض، تقول العرب : قبض يقبض قبضاً، ونقض ينقض نقضاً بسكون الباء والقاف مصدران... الخ.(٤)

أما ابن كثير رحمه الله فهو مقل في هذه الناحية، ولم يتعرض لها في تفسيره إلا نادراً، وفي الغالب يقتصر تعرضه للغة على بيان عود الضمائر في الآيات كأن يقول: والضمير عائد على كذا كما فعل عند قوله تعالى: ﴿ **وإنّ لكم فى الأنعم لعبرةً نسقيكم مما فى بطونه** ﴾ سورة النحل آية ٦٦. يقول : والضمير عائد على الحيوان فإن الأنعام حيوانات.(٥)

وكقوله تعالى : ﴿ **وجعل لكم من جلود الأنعم بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها** ﴾ سورة النحل آية ٨٠.

قال : والضمير عائد على الأنعام.(٦)

---

(١) انظر : تفسيره (ص ٦٤٠).

(٢) سورة الكهف آية (٥).

(٣) انظر : تفسيره (ص ٦٤٩).

(٤) انظر : تفسيره (ص ٦٥٤، ٦٥٥).

(٥) انظر : تفسيره (٤/٤٩٩).

(٦) انظر : تفسيره (٤/٥٠٩).

ومن أمثلة تعرض ابن كثير للغة ما يلي:

عند قوله تعالى : ﴿ **وأجلب عليهم بخيلك ورجلك** ﴾ سورة الإسراء آية ٦٤ .

قال : فإن الرجل جمع راجل، كما أن الركب، جمع راكب، وصحب جمع صاحب ثم يقول: وتقول العرب: أجلب فلان على فلان: إذا صاح عليه، ومنه : نهى في المسابقة عن الجلب والجنب، ومنه: اشتقاق الجلبة، وهي ارتفاع الصوت.[1]

ومن هنا نجد الحيري أكثر منه اهتماماً بهذه الناحية.

عاشراً : الاستشهاد بالشعر:

لم يكثر الحيري من الاستشهاد بالشعر في تفسيره ففي الجزء الذي حققته تعد أبيات الشعر التي استشهد بها على الأصابع، وأحياناً ينسب القول إلى قائله، وأحياناً لا ينسبه.

ومن الأمثلة على ذلك :

عند قوله تعالى : ﴿ **ولقد ءاتينـك سبعاً من المثانى والقرءان العظيم** ﴾ سورة الحجر ٨٧.

يقول : قال أهل المعاني : أن الواو في قوله ﴿ **والقرءان** ﴾ مقحمة، والقرآن بدل من السبع، كأنه قال : ولقد آتيناك سبعاً من المثاني القرآن العظيم، واحتجوا بقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم.[2]

(١) انظر : تفسيره (٥/٩١).

(٢) انظر : تفسير الكفاية (ص ٥١٤).

وعند قوله تعالى : ﴿ **أو يأخذهم على تخوف** ﴾ سورة النحل آية ٤٧.

يستشهد على ذلك بقول الشاعر :

تخوف الرحل منها تأمكاً قرداً كما تخوف عود النبعة السفن[١]

وعند قوله تعالى ﴿ **سبحـٰن الذى أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا** ﴾ سورة الإسراء ١.

يستشهد على ذلك بعجز بيت شعر للأعشى فيقول كما قال الشاعر :

.....................[٢] سبحان من علقمة الفاخر[٣]

وعند قوله تعالى ﴿ **وإذآ أردنآ أن نهلك قرية أمرنا مترفيها** ﴾ سورة الإسراء آية١٦.

يستشهد بقول الشاعر :

الموت أخرجني من دار مملكتي فالترب مضطجعي من بعد تتريف[٤]

أما ابن كثير رحمه الله فإنه أكثر استشهاداً بالشعر من الحيري.

الأمثلة :

عند قوله تعالى: ﴿ **أولم يروا أنّا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها** ﴾ سورة الرعد آية٤١.

يقول : الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد في أكنافها التلف.[٥]

---

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص ٥٣٩).

(٢) صدر البيت : أقول لما جاءني فخره.

(٣) انظر تفسير الكفاية (ص٥٨٣).

(٤) انظر : تفسير الكفاية (ص ٥٩٦).

(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٣٩٣/٤)، ونسب البيتين إلى أحمد بن غزال.

وعند قولـه تعالى: ﴿... **من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيـه ولا خلـٰل** ﴾ سورة إبراهيم آية ٣١.

نجده يستشهد على بيان معنى الخلال بقول امريء القيس:

صرفتُ الهوى عنهن من خشية الردى ‏ ‏ ‏ ولست بمقلى الخلال ولا قال.[١]

وعند قولـه تعالى : ﴿ **وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إنّ الإنسـٰن لظلومٌ كفَّارٌ** ﴾ سورة ابراهيم آية٣٤.

ثم قال : وقال القائل في ذلك:

لو كـل جارحةٍ منى لها لغـــــةٌ ‏ ‏ ‏ تثني عليك بما أوليت من حسن
لكان ما زاد شكري إذ شكرت به ‏ ‏ ‏ إليك أبلغ في الإحسان والمـنن[٢]

وعند قوله تعالى : ﴿ **وكل إنسـٰن الزمنـٰه طـٰئره فى عنقه** ﴾ سورة الإسراء آية ١٣.

يقـول ابن كثيـر : إنما ذكر العنق، لأنـه عضـو لا نظيـر له في الجسـد، ومن ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه، كما قال الشاعر:

إذهب بها إذهب بهـــا ‏ ‏ ‏ طوقتهـــا طـــوق الحمامَةَ[٣]

وعند قولـه تعالى : ﴿ **ولا تقف مـا ليس لك به علم**... الآية ﴾ سـورة الإسراء آية٣٦.

قال ابن كثير : ويصح استعمال ﴿**أولـٰئك**﴾ مكان (تلك) كما قال الشاعر :

---

(١) انظر : تفسيره (٤/٤٢٨).

(٢) انظر : تفسيره (٤/٤٣٠).

(٣) انظر تفسيره ٥/٤٨)، وفي الحاشية نسب المحقق هذا البيت لأبي أحمد بن جحش . انظر سيرة ابن هشام (١/٥٠٠).

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام.[1]

من منهج ابن كثير رحمه الله في الاستشهاد بالشعر، أنه يعزو الأبيات الشعرية إلى قائليها في الغالب، كما يبيّن محل الشاهد من البيت أحياناً وفي غالب استشهاده يذكر البيت كاملاً، في حين أن الحيري قد يستشهد بشطر البيت فقط.

الحادي عشر : الاهتمام بذكر الناسخ والمنسوخ :

يهتم الحيري بالناسخ والمنسوخ من غير تعقيب ولا مناقشة وذكرٍ لاختلاف العلماء في الأحكام والنسخ، بل كثيراً ما يحكم بنسخ آيات بآية السيف وغيرها وهي محكمة.

الأمثلة من كتاب الكفاية :

عند قوله تعالى : ﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾ سورة الحجر آية ٨٥ . قال : نسختها آية القتال.[2]

وعند قوله تعالى : ﴿ **وأعرض عن المشركين** ﴾ من نفس السورة آية ٩٤ . يقول : منسوخ بآية القتال.[3]

وعند قوله تعالى: ﴿ **فتمتعوا فسوف تعلمون** ﴾ سورة النحل آية ٥٥. قال نسختها آية القتال [4].

---

(١) انظر تفسيره (٥/٧٢)، والبيت لجرير، وفي ديوانه بلفظ : بعد أولئك الأقوام.

(٢) انظر تفسيره (ص ٥١٢).

(٣) انظر تفسيره (ص ٥١٨).

(٤) انظر تفسيره (ص ٥٤٢).

عند قوله تعالى : ﴿ **فإنما عليك البلـٰـغ المبين** ﴾ سورة النحل آية : ٨٢ . قال الحيري : وهذه الآية منسوخة بآية القتال.[1]

وعند قوله تعالى : ﴿ **وإذا بدلنآ ءاية مكان ءاية** ﴾ سورة النحل آية ١٠١. قال : يعني وإذا حولنا آية ناسخة فيها يسرٌ وتخفيفٌ مكان آية منسوخة فيها تغليظ وتشديد مثل قوله : ﴿ **الـٰـٔـن خفف الله عنكم** ﴾ الآية ناسخة لما قبلها ﴿ **إن يكن منكم عشرون صـٰـبرون يغلبوا مائتين** ﴾ سورة الأنفال آية ٦٥، ٦٦.[2]

وعند قوله تعالى : ﴿ **ومآ أرسلنـٰـك عليهم وكيلاً** ﴾ سورة الإسراء آية ٥٤ يقول: نسختها آية القتال.[3]

أما ابن كثير رحمه الله فكان تعرضه للنسخ بقدر، وقد اتخذ الحيطة في دعوى النسخ بلا دليل.

الأمثلة :

عند قوله تعالى : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كآفةً ... الآية** ﴾ سورة التوبة آية ١٢٢.

قال ابن كثير : هذا بيان من الله تعالى لما أراد من نفير الأحياء مع رسول الله في غزوة تبوك، فإنه قد ذهب طائفة من السلف إلى أنه كان يجب النفير على كل مسلم إذا خرج رسول الله ﷺ، ولهذا قال تعالى ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً** ﴾، وقال : ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله** ﴾ قالوا :

---

(١) انظر تفسيره (ص ٥٥٩).

(٢) انظر تفسيره (ص ٥٦٩).

(٣) انظر تفسيره (ص ٦١١).

فنسخ ذلك بهذه الآية.[1]

وعند قوله تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصـٰبرين**﴾ سورة النحل آية ١٢٦.

فنجد ابن كثير ينقل قول ابن زيد، فيقول : قال ابن زيد : كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين، فأسلم رجال ذووا منعة، فقالوا: يا رسول الله لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب، فنزلت هذه الآية، ثم نسخ ذلك بالجهاد.[2]

الثاني عشر : النقل عن الضعفاء والمتروكين :

يكثر الحيري من ذكر أقوال الضعفاء دون أن يتعقب أقوالهم أو يشير إلى ضعفهم، وذلك كالكلبي، وأبي صالح ومقاتل بن سليمان وغيرهم.

كما أن ابن كثير ينقل عن بعض الضعفاء، فنجده مثلاً يكثر من ذكر رواية عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن السدي الصغير، والضحاك عن ابن عباس وغيرهم ولكنه رحمه الله قد يتعقب هذه الروايات مبيناً ما فيها من ضعف أو قوة أو نكارة أو غرابة، وقد يوردها في تفسيره للاستئناس بها لا للاعتماد عليها في الدلالة وذلك إذا ذكر إلى جانبها أقوالاً صحيحة.

الأمثلة من كتاب الكفاية :

عند قوله تعالى ﴿ **وإذا تليت عليهم ءايـٰته زادتهم إيمـٰناً** ﴾ الأنفال آية ٢ .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١٧٢/٤).

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٥٣٣/٤).

قال : وروى معمر عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليعذب أهل التوحيد بقدر نقصان إيمانهم » وهذا الحديث قال عنه الألباني أنه موضوع.[1]

وعند قوله تعالى : ﴿ كمآ أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ سورة الأنفال آية٥ .

يقول : وروى حبان عن الكلبي ، معناه : امض يا محمد على الأمر الذي أمرك ربك وإن كرهوا.[2]

قلت: وحبان والكلبي من الضعفاء.

وعند قوله تعالى : ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ﴾ سورة الأنفال آية٢٦ .

يقول الكلبي : نزلت هذه الآية يوم بدر بعد قتال المشركين وذلك في المهاجرين خاصة..[3]

وعند قوله تعالى : ﴿ ولقد جعلنا فى السمآء بروجاً ﴾ سورة الحجر آية ١٦ .

يقول : قال ابن عباس في رواية الكلبي : هي البروج الاثنا عشر، وأسماؤها : الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان... الخ.[4]

ويلاحظ أن أغلب الروايات التي يوردها الحيري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما هي من رواية الكلبي سواء صرح بذلك أو لم يصرح.

---

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص ١١).
(٢) انظر : تفسير الكفاية (ص ٢٠).
(٣) انظر : تفسير الكفاية (ص ٦٨).
(٤) انظر : تفسير الكفاية (ص ٤٩٣).

الأمثلة من تفسير القرآن العظيم :

عند قوله تعالى : ﴿ **لا تمدن عينيك إلىٰ ما متعنا به أزوٰجاً منهم** ﴾ سورة الحجر آية ٨٨.

قال : وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **لا تمدن عينيك** ﴾ قال : نهي الرجل أن يتمنى مال صاحبه.[1]

وعند قوله تعالى : ﴿ **أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه سبحـٰنه وتعالىٰ عما يشركون** ﴾ سورة النحل آية ١.

قال ابن كثير : وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلى قول عجيب ، فقال في قوله ﴿ **أتىٰ أمر الله** ﴾ : أي فرائضه وحدوده.[2]

وعند قوله تعالى: ﴿ **ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً** ﴾ سورة الكهف آية ٨٢.

قال ابن كثير : فإن قيل : فما بال فتى موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك؟ فالجواب أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر، وذكر ما كان بينهما ، وفتى موسى معه تبعٌ، وقد صرح في الأحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون، وهو الذي كان يلي بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وهذا يدل على ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال : حدثنا ابن حميد وذكر الإسناد إلى عكرمة قال : قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث وقد كان معه؟ فقال ابن عباس، فيما يذكر من حديث الفتى قال : شرب الفتى من

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٤/٤٦٦).

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٤/٤٧٣).

الماء فخلد... الخ.

قال ابن كثير : إسناده ضعيف والحسن متروك وأبوه غير معروف.

وهكذا نجد ابن كثير كثيراً ما ينقد الروايات الضعيفة التي ترد في التفسير.

الثالث عشر : ذكر الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والأقوال الباطلة:

لا مقارنة بين الحيري وابن كثير في هذا الباب ، فمن الملاحظ أن الحيري يتوسع في ذكر الإسرائيليات ولا يعقب عليها ولا يبين صحتها أو ضعفها وربما اعتمدها تفسيراً لكلام الله عز وجل.

كما أنه يستشهد بالأحاديث الموضوعة والأقوال الباطلة دون تعقيب عليها وهذا ما لا يفعله ابن كثير رحمه الله، فإنه لا يذكر شيئاً من ذلك إلاّ من أجل التعقيب عليه وبيان ضعفه أو بطلانه كما يتضح ذلك من الأمثلة اللاحقة إن شاء الله.

الأمثلة من كتاب الكفاية:

ذكر الحيري خبراً مطولاً منسوباً إلى كعب الأحبار حول قصة يوسف عليه السلام مفاده : أن جبريل عليه السلام أتاه وهو في السجن وقال : يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين، ويقول : ما إستحيت مني إذ استشفعت بالآدميين فوعزتي لألبثنك يعني في السجن بضع سنين... الخ.[1]

ومن أمثلة ذلك ما نقله في تفسيره حول قصة أصحاب الكهف[2]، وذي

---

(١) انظر : تفسير الكفاية (ص٣٩٥)، وانظر أيضاً (ص٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٢٢).

(٢) انظر تفسيره ص (٦٥١).

الـقرنين[1] وعصا[2] موسى وغير ذلك من الإسرائيليات ولم يعقب عليها.

الأمثلة من القرآن العظيم :

ويكفي أن نورد فيما يلي بعض الأمثلة من أقوال ابن كثير رحمه الله حول ذكر الروايات الاسرائيلية والأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة والأقوال الباطلة في كتب التفسير ومن ذلك يتجلى موقفه منها، فمثلاً:

عند قوله تعالى: ﴿ **وإذ قلنا للملـئكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ سورة الكهف آية ٥٠.

يقول : « وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الاسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها. ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة العلماء والسادة الأتقياء والأبرار النجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد، الذين دونوا الحديث وحرروه، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه، من منكره وموضوعه، ومتروكه ومكذوبه...» إلى آخر ما قال رحمه الله.[3]

وعند قوله تعالى : ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستئخرين** ﴾ سورة الحجر آية ٢٤ نجد ابن كثير يورد حديثاً نقلاً عن ابن جرير رحمه الله ويقول في آخره: «وهذا الحديث فيه نكارة شديدة».

(١) انظر تفسيره من (ص٧٠٢ إلى ٧٠٧).
(٢) انظر تفسيره من ص : (٨٤-٨٦)
(٣) انظر : تفسير ابن كثير (١٦٥/٥).

وعند قوله تعالى : ﴿ **وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ...** ﴾ سورة الكهف آية ٩٩.

ذكر حديثاً مسنداً إلى رسول الله ﷺ ثم قال في الحكم عليه: هذا حديث غريب بل منكر ضعيف.(١)

الرابع عشر : ذكر أقوال أهل التصوف :

كثيراً ما ينقل الحيري أقوال الصوفية تارة بالتصريح بأسمائهم، كذي النون المصري، وشقيق البلخي، والجنيد، وسهل التستري، والوراق ، والجوزجاني، وابراهيم الخواص وغيرهم.

وتارة بالإشارة إليهم كأن يقول قال : أهل الحقائق، أو أهل الإشارة إلى غير ذلك ولا يتعقب تلك الأقوال.

وهذا ما سلم منه تفسير ابن كثير رحمه الله. كما أن الحيري في آيات الصفات ينحى منحى الأشاعرة فيؤل، من ذلك ما فعله عند قوله تعالى: ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ سورة طه آية ٥.(٢) وهذا ما حفظ الله منه مفسر أهل السنة والجماعة ابن كثير رحمه الله فجاء تفسيره عمدة في هذا الباب.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٩٦/٥).

(٢) انظر تفسير الكفاية (ص٧٨٧- ٧٩٠).

القسم الثاني

التحقيق

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم المولى النصير الذي ينصر المؤمنين على الكافرين.

هذه السورة لها اسمان: سورة الأنفال والفرقان[1]

وهي كلها مدنية غير آية واحدة وهي قوله: ﴿ **يـٰأيها النبى حرض المؤمنين على القتال** ﴾ فإنها نزلت بالبيداء[2]، وهي على فرسخين من المدينة أو أكثر.

وهي السورة الثانية من المدنيات، أول ما أنزلت بالمدينة سورة البقرة، ثم سورة الأنفال[3].

وعدد آياتها: خمس وسبعون آية كوفي، وست حجازي بصري وسبع شامي[4].

وعدد حروفها: خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفاً[5].

وعدد كلماتها: ألف ومائتان وإحدى/ وثلاثون كلمة[6]. ١٨٨/ب

---

(١) المشهور سورة الأنفال وسورة بدر . انظر: الاتقان (١/٧٢).

(٢) نزولها بالبيداء لا يخرجها عن كونها مدنية ولها حكم المدني لأن المدني ما نزل بعد الهجرة على أصح الأقوال. انظر: البرهان (١/١٩٥)، والاتقان (١/١٢).

(٣) انظر: البرهان (١/١٩٤)، والبصائر (١/٩٩).

(٤) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (ق/ ٣٥/ب)، والتبصره لمكي ص (٥٢٢)، والكشف له (١/٤٨٩)، وتفسير الالوسي ٩/١٥٨.

(٥) انظر: الكشف والبيان للثعلبي مخطوط (ق٣٥/ب)، وابن كثير (٣/٥٤٥).

(٦) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (ق/ ٣٥/ب).

وهذه السورة من السور[1] التي فيها قصة واحدة من أولها إلى آخرها، ومدار نزول هذه السورة قصة بدر.

قال ابن عباس[2]: وذلك أن رسول الله ﷺ قال في حرب بدر وهو يحرض المؤمنين على القتال: «إن الله وعدني أن يفتح لي بدراً فمن قتل قتيلاً فله كذا من غنائمهم، ومن أسر أسيراً فله كذا، فلما تواقعوا قذف الله في قلوب المشركين الرعب وانهزموا، وأسروا سبعين ، وقتلوا سبعين، وغَنِمُوا العسكر، فلم يقسِّم النبي ﷺ ، فقام أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري[3]، أحدُ بني سلمة، فقال: يا رسول الله إنك وعدت من قتل قتيلاً فله كذا، ومن أسر أسيراً فله كذا، وإنا قد قتلنا سبعين، وأسرنا سبعين ، فنزلت: ﴿ **يسئلونك عن الأنفال** ﴾ الآية، فقطع الله أطماع أصحابه عن الغنائم، ووكل أمر الغنائم إلى رسول الله ثم رجع إلى المدينة، وقسم الغنائم بينهم بالسوية، ورفع الخمس منها، فذلك قوله: ﴿ **يسئلونك** ﴾ يا محمد ﴿ **عن الأنفال** ﴾ عن الغنائم.

قال الخليل[4]: ﴿ **عن** ﴾ صلة ومعناها: يسألونك الأنفال. وبه قرأ ابن عباس وابن مسعود وعطاء وعكرمة[5].

---

(١) في الأصل: [السورة] إثبات الها سهو من الناسخ.

(٢) انظر ذلك في مجمع الزوائد (٦/٨١)، وذكر الهيثمي أن في سنده عمرو بن عطية وهو ضعيف.

(٣) أبو اليسر: كعب بن عمرو بن عباد السلمي بفتحتين الأنصاري مشهور بكنيته وأسمه، شهد العقبة وبدراً مات سنة ٥٥هـ.
انظر الاستيعاب (٤/١٧٧٦)، واسد الغابة (٦/٣٣٢)، والاصابة (٤/٢٢١).

(٤) الخليل بن أحمد الفراهيدي اللغوي المعروف المتوفى عام ١٧٥هـ. انظر: ترجمته في انباه الرواه (١/٣٧٦)، والبلغة (أ ٩٩٠٠)، وبغية الوعاة (١/٥٥٧).

(٥) وهذه قراءة شاذة، انظر: البديع في القراءات الشاذة (ص٤٨)، وتفسير الطبري (١٣/٣٧٧ - ٣٧٨). ونسبت فيهما إلى ابن مسعود وحده، وجاء في الكشف والبيان للثعلبي (ق٣٧/أ) نسبتها إلى ابن مسعود والضحاك وعكرمة ونسبت في زاد المسير إلى سعد بن أبي وقاص (٣/٣١٨)، والبحر المحيط (٤/٤٥٦).

والأنفال: جمع نفل، وهو الغنيمة.

والنفل: الزيادة من الخير، ومنه النافلة للطاعات التي ليست بواجبة.

والفرق بين النفل والفيء، أن الفيء: ما رجع إلى المسلمين من أموال المشركين من غير قتال . والنفل: ما أخذ بقتال وسيف.

﴿قل﴾ يا محمد ﴿ **الأنفال لله والرسول** ﴾.

قال عكرمة ومجاهد: إنها منسوخة نسخها قوله: ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شئ فأنّ لله خمسه** ﴾.

وقال عبدالرحمن بن زيد: هي ثابتة ليست بمنسوخة[1]. وهي إن كان فوض أمره إلى النبي ﷺ حتى فعل فيه ما شاء ﴿ **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم** ﴾.

قال عطاء: وذلك أن رسول الله ﷺ دعاهم فقال: اقتسموا غنائمكم بالعدل فقالوا: قد أكلنا، وأنفقنا. فقال: ليرد بعضكم على بعض [2] فأنزل الله ﴿ **فاتقوا الله** ﴾ في أخذ الغنائم، ﴿ **وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ من المخالفة، وليرد الغني إلى الفقير، والقوي إلى الضعيف، والشاب إلى الشيخ. ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله** ﴾ في أمر الصلح ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ إن كنتم تؤمنون بالله ورسوله .

وروى أنس بن مالك قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ ضحك حتى رأينا ثناياه، فقال عمر: يا رسول الله ما أضحكك؟ قال: أضحكني رجلان جثيا بين يدي الله يوم القيامة، فقال أحدهما : يا رب خذ مظلمتي من أخي، فيقول الله للمطلوب اعط مظلمة أخيك. قال : يا رب لم يبق من حسناتي شيء، قال : يا رب

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/٣٨٠ - ٣٨٢)، وقد ذكر القولين ورجح الإحكام وعدم النسخ في الآية.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه (٢/٩٥١) برقم (٢٨٥٣) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ : «يرد المسلمون قويهم على ضعيفهم الألباني». انظر صحيح ابن ماجة (٢/١٣٩) برقم (٢٣٠٢، ٢٨٥٣).

فليحمل من أوزاري. قال: فـفاضت عينا النبي ﷺ وأخذته العبـرة عند ذلك ثم قال: وإن ذلك ليـوم عظيم، [يحتـاج الناس أن يحـملوا من أوزارهم][1] قال: فيـقول الله للطالب: ارفع رأسك فـانظر، قال: فرفع رأسـه فينظر في الجنان فـيضـحك قال الله تعالى: ياابن آدم ما أضحكك؟ قال: يا رب ضحكت لما لم تر عيناي مثله قط، مدائن فضة، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا؟ لأي شـهيد هذا/؟ فيقول الله: ١٨٩/أ هذا لمن يعطي الثـمن. قـال: يا رب ومن يملك ثمن هذا؟ فـيـقـول: أنت. قال: مـاذا؟ قال: تـعفو عن أخيك. قال: يا رب قـد عفـوت عن أخي. قال اللـه: خذ بيد أخـيك وادخلا الجنة.[2]

قال رسول الله ﷺ: ﴿فاتقوا الله وأصلحـوا ذاتَ بينكم وأطيعواْ الله﴾ الآية ان الله يصلح بين العباد يوم القيامة وأمرهم بالصلاح.

قوله: ﴿إنما المؤمنـون الذين إذا ذُكِـرَ اللهُ وَجِلَتْ قلـوبُهم﴾، قال مـجاهد: فرقت قلوبهم.[3]

هذه الآية تشتمل على فصول ثلاثة: صفة المؤمنين، وزيادة الإيمان، والتـوكل على الله، أمـا صـفـة المؤمنين فـقـال: ﴿إنما المـؤمنون الذيـن إذا ذكـــر الله وجـلت قلوبهم﴾.

وأما زيادة الإيمان قوله: ﴿وإذا تُليت﴾ قرئت ﴿عليهم ءايـٰـته﴾ يعني القرآن ﴿زادتهم إيمـٰـنا﴾ يقيناً.

---

(١) كذا في الأصل، وصحة العبارة - كما جاءت في مستدرك الحاكم (٥٧٦/٤): [يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم].

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٥٧٦/٤)، من طريق عباد بن شيبة الحبطي عن سعيد بن أنس عن أنس به. وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: عباد ضعيف. وشيخه لا يعرف.
والحديث ذكره ابن كثير في تفسير (٥٥١/٣). عن أبي يعلي الموصلي. وكذا ذكره السيوطي في الدر (١٠/٤)، وزاد نسبته لأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري (٣٨٦/١٣ - ٣٨٧) برقم (١٥٦٨٩). ومعنى فرقت: فزعت، أي خافت. انظر: تفسير ابن كثير (٥٥١/٣).

فأما التوكل قال : ﴿ وعلىٰ ربّهم يتوكلون ﴾ أي يفوضون أمرهم إلى الله.

قال ابن عباس :[1] ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر اللهُ وجلتْ قلوبُهم ﴾ المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائض الله ولا يؤمنون بشيء من آياته، ولا يتوكلون على الله، ولا يُصلُّون إذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله ﴾ الآية فأدوا فرائضه ﴿ وإذا تليت عليهم ءايٰته زادتهم إيمٰناً ﴾ تصديقاً مع تصديقهم بما أنزل الله عليهم من القرآن.

قال الضحاك : زادتهم يقيناً.[2]

قال الربيع بن أنس : ﴿ زادتهم إيمٰناً ﴾ خشية[3].

قال السدي[4] : هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فينزع عنه.[5]

قال عمير بن حبيب[6] : إن للإيمان زيادة ونقصاناً، قيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وقصرنا وغفلنا فذلك نقصانه.[7]

قال الأستاذ المفسر إسماعيل بن أحمد الضرير : زيادة الإيمان ونقصانه على ثلاثة أقاويل :

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٨٦/١٣)، والدر المنثور (١١/٤)، وتفسير ابن كثير (٥٥١/٣).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق/٢/ب)، والثعلبي (ق/ ٣٨/أ) وابن الجوزي في زاد المسير (٣٢٠/٣).

(٣) أخرجه الطبري (٣٨٧/١٣) برقم (١٥٦٩٣) وذكره ابن حبيب (ق٢/ب).

(٤) أبو محمد اسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي الكبير، قال يحي القطان: لا بأس به، وقال أحمد: ثقة، وقيل في حديثه ضعف، وقال ابن حجر: صدوق يهم، انظر: التاريخ الكبير (٣٦١/١)، والميزان (٢٣٦/١)، والتهذيب (٣١٣/١، ٣١٤).

(٥) أخرجه الطبري (٣٨٧/١٣)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣٢٠/٣).

(٦) هو: عمير بن حبيب بن خماشة بن جبير بن عبيد بن عنان بن عامر بن خطمة الانصاري الخطمي، قال البخاري: بايع تحت الشجرة، وقال البغوي له صحبه. انظر: الإصابة (٢٣٠/٣)، وتفسير البغوي (٢٢٩/٢).

(٧) البغوي (٢٢٩/٢)، وابن حبيب (ق/ ٢/ب).

١ - قال الكراميون[1] : الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٢ - وقال أصحاب الحديث[2] : الإيمان يزيد وينقص .

٣ - وقال أصحاب الرأي : الإيمان يزيد ولا ينقص .[3]

واختلف الناس في أن الايمان ما هو ؟

فقال جهم[4] وأصحابه : الإيمان معرفة بالقلب دون العمل .

والقول الثاني : قال الحسين بن محمد النجار[5] : الإيمان قول ومعرفة.

قال أصحاب الحديث[6] : الإيمان جميع الطاعات.

وقال بعض الخوارج : الإيمان جميع الطاعات ، والمعاصي كلها كفر صغيرها وكبيرها.[7] .

---

(١) الكرامية: وهم أتباع محمد بن كرام يقولون في الإيمان قولاً منكراً وهو جعلهم إياه قولاً باللسان وإن كان مع عدم تصديق، فيجعلون المنافق مؤمناً. انظر: مقالات الإسلاميين (١٤١)، والفرق بين الفرق (٢١٥ - ٢٢٥)، ومجموع الفتاوي لإبن تيمية (١٠٣/٣).

(٢) أصحاب الحديث هم: أحمد بن حنبل رحمه الله ومن كان على منهجه، وقد نقل قوله عن زيادة الإيمان ونقصانه اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٨٥/٥) بقوله: ثم قال ابو عبدالله: «والإيمان يزيد وينقص فزيادته بالعمل ونقصانه بترك العمل». وانظر: مقالات الاسلاميين (٢٩٣).

(٣) يقول بذلك اكثر اصحاب أبي حنيفة. انظر: مقالات الإسلاميين (ص١٣٩).

(٤) هو جهم بن صفوان الرسي رأس الجهمية الذين ينسبون إليه من المجبرة ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني في آخر ملك بني أمية. انظر الوافي للصفدي (٢٠٧/١١، ٢٠٨)، والفرق بين الفرق (٢١١)، وانظر مذاهبهم أيضاً في الشريعة للآجري (١٣١) ومقالات الاسلاميين (ص١٣٢).

(٥) هو: أبو عبدالله الحسين بن محمد بن عبدالله النجار البغدادي المتوفي في حدود (٢٢٠هـ) وإليه تنسب الفرقة النجارية. انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم (٢٥٤)، وهدية العارفين (٣٠٣/١، ٣٠٤)، وانظر: قوله في الإيمان في: مقالات الإسلاميين (١٣٥، ١٣٦)، والملل والنحل للشهرستاني (٨٨/١ - ٩٠)، والفرق بين الفرق (٢٠٧، ٢٠٨).

(٦) اصحاب الحديث هم المتمسكون بمذهب أهل السنة والجماعة كالإمام أحمد بن حنبل ومن سار على منهجه، وهم يقولون الإيمان قول واعتقاد وعمل، قال اللالكائي مبيناً منهجهم: قال أبو عبدالله -يعني أحمد- : « والإيمان يزيد وينقص فزيادته بالعمل ونقصانه بترك العمل»، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٨٥/٥)، وانظر الشريعة للآجري (ص١٣١)، ومقالات الاسلاميين (ص١٣٢).

(٧) هذا قول فرقة الصفرية من الخوارج وهم أتباع زياد بن الأصفر وكذا الازارقة أتباع نافع بن الازرق. انظر: الفرق بين الفرق (ص٩٠، ٩١).

قال بعضهم : الطاعات كلها إيمان، والمعاصي على ضربين : فالصغائر منها ليست بكفر، والكبائر منها كفر.[١]

وقالت المعتزلة : الإيمان جميع الطاعات، ومن ارتكب كبيرة فهو فاسق، لا يسمى مؤمناً على الإطلاق، ولا كافراً على الإطلاق، بل يسمى فاسقاً لإجماع الأمة على فسقه، ولاختلاف الأمة على إيمانه وكفره. وهذا عندهم منزلة بين منزلتين.[٢]
وقال الكراميون : الإيمان قولٌ مجرد.[٣]

والصحيح من الأقاويل قول من قال : إن الإيمان طاعة، وهم أصحاب الحديث[٤]، لما أخبرنا اسماعيل الضرير أخبرنا أبوالهيثم الكشميهيني بها قال : أخبرنا أبو عبدالله الفَرَبْري بها قال : أخبرنا أبوعبدالله البخاري أخبرنا عبدالله بن محمد أخبرنا أبو عامر العقدي ثنا سليمان بن بلال عن عبدالله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الإيمان تسع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».[٥]

قال المصنف : وأنا اسماعيل الضرير أخبرنا محمد بن محمد أخبرنا أبوعبدالله الفربري أخبرنا محمد بن اسماعيل البخاري أخبرنا مسدد أنبأنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبُ لنفسه».[٦]

---

(١) هذا قول طائفة من المعتزله وهم أصحاب أبي الهذيل. انظر: مقالات الإسلاميين (٢٦٧).
(٢) انظر مقالة المعتزلة هذه في: مقالات الإسلاميين (٢٦٩، ٢٧٠).
(٣) أنظر: مقالات الإسلاميين (١٤١).
(٤) قال ابن كثير في تفسيره: «وقد أستدل البخاري وغيره من الائمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة بل قد حكى الاجماع على ذلك غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد». انظر: تفسير ابن كثير (٥٥٢/٣).
وقول المؤلف: إن الإيمان طاعة كلام فيه تجوّز ومقصوده هو أن الإيمان: قول وعمل واعتقاد.
(٥) انظر: صحيح البخاري (٨/١) كتاب الأيمان ولفظ البخاري «بضع وستون شعبة».
(٦) الحديث في صحيح البخاري (٩/١).

وأخبرنا اسماعيل قال : أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل البخاري أنبأنا آدم عن شعبة عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».[1]

قال المصنف : أخبرنا محمد بن محمد مكي أنبأنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل البخاري أنبأنا أبو الوليد أنبأنا شعبة حدثني عبدالله بن جبير قال : سمعت أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار».[2]

قال المصنف : أخبرنا محمد بن مكي أخبرنا [أبو][3] عبدالله الفربري أخبرنا محمد بن إسماعيل البخاري أنبأنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبدالله عن أبيه أن رسول الله مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله : دعه، فإن الحياء من الإيمان.[4]

قال المصنف : أخبرنا أبو القاسم أخبرنا الفربري أخبرنا محمد بن إسماعيل البخاري أخبرنا أحمد بن يونس، وموسى بن إسماعيل قالا: أنبأنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قيل له : أي العمل أفضل؟ قال : « إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور».[5]

قال المصنف : أخبرنا محمد بن محمد أخبرنا محمد بن مطر أخبرنا محمد ابن

---

(١) الحديث في صحيح البخاري (٩/١).
(٢) الحديث في صحيح البخاري (١٠/١).
(٣) في النسخة الخطية [ابن] والصحيح ما أثبته.
(٤) انظر: صحيح البخاري (١١/١) كتاب الإيمان.
(٥) انظر: صحيح البخاري (١٢/١) كتاب الإيمان.

إسماعيل انا مسلم بن ابراهيم عن أبان عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن بُرَّة من الإيمان ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من الإيمان، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من الإيمان».[1]

قال المصنف : أخبرنا عبدالملك بن الحسن أخبرنا يعقوب بن اسحاق أخبرنا العباس الدوري وأبو زرعة الرازي قالا : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا مكي بن نصر عن عمارة بن غزية عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الإيمان أربعة وستون باباً أرفعها: قول لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق».[2]

قال المصنف : أخبرنا عبدالملك بن محمد أخبرنا أبوعوانة أخبرنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم حدثني أبوزرعة يعني: وهب بن راشد أنبأنا حيرة عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن العباس بن عبدالمطلب قال: قال رسول الله ﷺ : « ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً».[3]

فهذه أخبار قد خرجها أهلها من الصحاح، وجميع ذلك يدل على أن الإيمان هو الطاعة، والطاعة مما يقع عليه الزيادة والنقصان ويجوز أن يزيد الإيمان وينقص والدليل عليه ما قال عمير بن حبيب[4]: الإيمان يزيد وينقص فقيل له: ما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فذاك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذاك نقصانه.

---

(١) انظر: صحيح البخاري (١٦/١) كتاب الإيمان.

(٢) الحديث في صحيح مسلم (٦٣/١) كتاب الإيمان رقم (٥٨) بلفظ « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبه فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الاذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

(٣) صحيح مسلم (٦٢/١) كتاب الإيمان رقم (٥٦)، ومسند أحمد (٢٠٨/١).

(٤) انظر ص (٥) من هذا البحث.

قال المصنف : أخبرنا أبو حامد القطان حدثنا أحمد بن عبدالله البخاري قال : اسماعيل الضرير، هو والدي، حدثنا أبونصر محمد الأنصاري الهروي، حدثنا أبو سعيد، حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث البغدادي حدثنا ثويب بن أبي عمرو عن أبي إسحاق الفزاري، قال : قال الأوزاعي: لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول والإيمان إلا العمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية وموافقة السنة.[1]

قال المصنف : أخبرنا أبو حامد القطان، حدثنا أحمد بن عبدالله البخاري حدثنا أبو نصر حدثنا أبو سعد، حدثنا محمد بن عمر النيسابوري، حدثنا أبوبكر بن أبي الأسود عن إبراهيم قال: سألت مالك بن أنس عن الإيمان؟ قال: «قولٌ وعملٌ». قلت: يزيد وينقص. قال : نعم.[2]

قال المصنف : أخبرنا أبو حامد القطان حدثنا أحمد بن عبدالله البخاري عن أبي نصر. قال: سمعت سلمة يقول حدثنا الهيثم يقول: سمعت جرير بن عبدالحميد يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. .[3]

قال المصنف : أخبرنا بذلك أبو سعيد عبدالرحمن بن حمدان بن محمد النضروي أخبرنا أبو شهل بشر بن أحمد الاسفرايني حدثنا داود بن الحسين البيهقي حدثنا يحيى بن عاصم أنبأنا إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل بن عياض حدثنا عبدالله بن معاذ عن معمر عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أهل التوحيد ليعذبون في النار بنقصان إيمانهم».[4]

(١) أخرجه ابن بطه في الابانة (٨٠٧/٢)من طريق معاوية بن عمرو بن أبي اسحاق عن الاوزاعي به. وانظر: شرح اصول اعتقاد أهل السنه للالكائي (٨٨٦/٥).

(٢) انظر: الابانه لابن بطة (٨٠٤/٢، ٨١٢، ٨١٣)، والشريعة للآجري (ص١١٧)، واللالكائي في شرح اصول اعتقاد أهل السنه (٩٥٩/٥).

(٣) أخرجه ابن بطه في الابانه (٨١١/٢، ٧٨٤)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنه (٩٦١/٥) عنه.

(٤) انظر: الفردوس (٢٠٦/٤) رقم (٦٦٢٦) عن أنس مرفوعاً. ولم أقف عليه عند غيره ويظهر أنه حديث موضوع له عنه ولا يصح رفعه.

وروى معمر عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليعذب أهل التوحيد بقدر نقصان إيمانهم».[1]

قال المصنف : أخبرنا أبوالقاسم بن حبيب أخبرنا أبوبكر محمد بن عبدالله أخبرنا عبدالله بن أحمد بالبصرة أنبأنا أبي أخبرنا علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان».[2]

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ أنه قال : « أفضل الأعمال : إيمان لا شك فيه، وغزو لا غلول فيه، وحج مبرور».[3]

وقال النبي ﷺ : « إن مثل هذا الدين كمثل شجرة أصلها إيمان، وفرعها زكاة، وعروقها الصوم، والصلاة ماؤها، والتآخي في الله نباتها، وحسن الخلق ورقها، والكف عن محارم الله ثمرها، وكما لا تكمل هذه الشجرة إلا بثمرة طيبة، كذلك الإيمان لا يكمل إلا بالكف عن محارم الله».[4]

---

(١) أخرجه ابن عدى في الكامل (٤/٢٤٠)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/٥٤). وذكره الألباني في ضعيف الجامع (١/١٢٧) وقال عنه موضوع.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٥/٢، ٢٦) من رواية عبدالسلام بن صالح الهروي المكنى بأبي الصلت، قال فيه الدارقطني: رافضي خبيث، متهم بوضع حديث الإيمان، أقرار بالقلب، وقال العقيلي: رافضي خبيث، وحكم ابن الجوزي وغيره بوضع هذا الحديث. انظر: الموضوعات (١/١٢٨، ١٢٩)، وانظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع لعلي الهروي المكي (ص٧٠، ٧١)، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص(٢٩٣، ٤٥٢).

(٣) مسند أحمد (٢/٢٥٨)، الدارقطني (٢/٣٠٧)، والنسائي (٨/٩٤)، وشرح مسند (١٣/٢٥٢)، والألباني (٢/٥٣١) صحيح النسائي.

(٤) الحديث ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢/٢٣٣) وقال عنه أنه مرسل وفي سنده راوٍ متروك وآخر مجهول لا يعرفه ابن عراق.

قال الأستاذ إسماعيل : ثبت بهذه الآيات، وبرواية الثقات عن النبي ﷺ من أخبار الصحاح بإجماع العلماء الكبار، واتفاق فقهاء الأمصار أن الإيمان طاعة يزيد وينقص كما قال الله: ﴿ وإذا تُليت عليهم ءايٰته زادتهم إيمٰناً ﴾.

وقال جل ثناؤه : ﴿ وإذا مآ أُنْزلت سورةٌ فمنهم من يقول أيكم زادته هٰذه إيمٰناً، فأمّا الّذين ءامنوا فزادتهم إيمٰناً وهم يستبشرون، وأمّا الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلىٰ رجسهم وماتواْ وهم كٰفرون ﴾[1]

وقال الله : ﴿ ويزيدُ الله الذين اهتدواْ هدًى ﴾[2].

وقال ﴿ زادهم هدًى وءاتٰهم تقوىٰهم ﴾.[3]

وقال : ﴿ ليستيقنَ الذين أوتوا الكتٰب ويزدادَ الذين ءامنوا إيمٰناً ﴾[4]

فصح الزيادة على الإيمان بالنص، فيجوز نقصانه بالمفهوم لأنه ما من شيء يحتمل الزيادة إلا يفرض أن يحتمل النقصان، وبالله التوفيق.

﴿ وعلىٰ ربهم يتوكلون ﴾ أي يفوضون أمرهم إلى الله.

وقيل[5] : التوكل على الله: الثقة بالله في كل أمر يُحتاج إليه، ومنه الوكيل القائم بالأمر لغيره.

ومنه التوكل التفعل من الوكول[6] .

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٤، ١٢٥.

(٢) سورة مريم آية ٧٦.

(٣) سورة محمد آية ١٧.

(٤) سورة المدثر آية ٣١.

(٥) انظر: زاد المسير (١/ ٤٥٠)، وقد نسبه المؤلف إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) انظر: الكشف والبيان للثعلبي ورقة (٣٨/ب).

في الإشارة [1] قال ذو النون: [2] التوكل: الثقة بالوعد، والتفويض لأمر الله، والرضا بمراد الله.

وقال: التوكل: الاستسلام بجريان القضاء، وحفظ الجوارح بحكم الرضا[3].

وسئل بعضهم عن التوكل؟ فقال: من رضي بالله كفيلاً فاطمأن إليه سراً وجهراً. [4]

وقال بعضهم: التوكل: غض البصر عن الدنيا، وقطع القلب عنها. [5]

قال المصنف: سمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت محمد بن الحسين الخشاب يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نضير يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت سهل بن عبدالله يقول: من طعن على الاكتساب فقد طعن على السنة، ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان. [6]

﴿ الذين يقيمون الصلوٰة ﴾ يتمون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها، وما يجب فيها من مواقيتها.

﴿ ومما رزقنٰهم ينفقون ﴾ أي ومما أعطيناهم من الأموال يتصدقون في طاعة الله، وقيل: [7] يؤدون زكاته.

---

(١) لعله يشير إلى ما يسمى بالتفسير الإشاري.

(٢) هو: أبو الفيض أو أبو الفياض ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري توفي سنة ٢٤٥هـ وقيل غير ذلك، انظر ترجمته في: الميزان (٣٣/٢)، والعبر (٣٥٠/١)، والفهرست لابن النديم ص (٥٠٣)، والبداية لابن كثير (٣٤٧/١٠).

(٣) لم أقف على هذا القول.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٩٥/١٠)، وذكره الغزالي في الأحياء (٢٧٠/٤)، وبصائر ذوي التمييز (٢٦٩/٥).

(٧) رواه ابن أبي حاتم بسند صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما. انظر الجزء الذي حققه عيادة الكبيسي من تفسير ابن أبي حاتم ص(١٧٣)، وزاد المسير (٣٢١/٣).

﴿ أولئك ﴾ أهل هذه الصفة ﴿ هم المؤمنون حقًا لهم ﴾ قال مقاتل[١] : هم المؤمنون حقاً لا شك في إيمانهم كشك المنافقين في إيمانهم.

وقال قتادة : ﴿ أُولئك هم المؤمنون حقّاً ﴾ : أي الذين استحقوا الإيمان فأحقه الله لهم.[٢]

وقال الحسين بن الفضل[٣]: ﴿ أُولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ يعني الذين آمنوا واستقاموا على إيمانهم ، ولم يرجعوا عن إيمانهم إلى الكفر كرجوع المنافقين.[٤]

وقال الإمام ابن فورك[٥] : ﴿ المؤمنونَ حقاً ﴾ الذين أخلصوا الإيمان وعلم الله منهم أنهم يموتون على الإيمان.

وقال ابن حبيب[٦] : المؤمن حقاً الذي لا حاصل[٧] عليه من أمر الله ولا خصم له من خلق الله.[٨]

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي، كشف البيان (ق:٣٨/ب)، وتفسير البغوي (٢/٢٢٩)، وزاد المسير (٣/٣٢١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٣٨٩)، والثعلبي (ق:٣٨/ب)، الدر المنثور (٤/١٣).

(٣) هو: الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي النيسابوري أبو علي المتوفي ٢٨٢هـ. انظر ترجمته في: طبقات المفسرين الداودي (١/١٥٩).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق: ٣/أ).

(٥) هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الاصفهاني المتوفي سنة (٤٠٦هـ) انظر ترجمته في: العبر للذهبي (٢/٢١٣)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/١٣٢)، له تفسير القرآن لا يزال مخطوط يوجد منه جزء في قسم المخطوطات بالجامعة الاسلامية تحت رقم (٠) ويبدأ من سورة لذا لم اتمكن من توثيق أقواله التي أشار إليها المؤلف لعدم توفر المصدر اللازم لذلك.

(٦) هو: الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب أبو القاسم النيسابوري الواعظ المفسر المتوفي سنة (٤٠٦هـ) وهو شيخ المؤلف في التفسير وغيره. انظر ترجمته في: العبر للذهبي (٢/٣١٢).

(٧) كلمة غير مفهومة المعنى.

(٨) انظر: تفسيره (ق:٣/أ).

روى سفيان بن عيينة أنه قال : بلغني عن وهب بن منبه أنه قال : ما عُبد الله بمثل العقل، ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه عشر خصال: حتى يكون الرشد منه مأمولاً ، والشر منه مأموناً ، وحتى يكون الذل أحب إليه من العز، والفقر أحب إليه من الغنى، وحتى يستقل كثير المعروف من نفسه، ويستكثر قليله من غيره، ولا يتبرم من طلب إليه الحوائج، ولا يسأم من طلب العلم ما بقي من عمره شيء، وحتى يكون القوت أحب إليه من الفضل، وأما العاشرة، ساد مجده، وعلا ذكره، يخرج من بيته فلا يرى أحداً من الناس إلا أنه دونه.(١)

قال المصنف : أخبرنا أبوالقاسم بن حبيب قال : أخبرنا محمد بن عبدالله قال : أخبرنا عبدالله بن أحمد قال: أخبرنا أبي أخبرنا علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن [أبيه](٢) علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ : « إن المؤمن يُعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده، وإنه أكرم على الله من ملك مقرب».(٣)

﴿ أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ يحتمل أن يكون الحق هاهنا من نعت المؤمن، ويحتمل أن يكون قسماً، فمن قال : إنه نعت المؤمن، فالوقف عليه حسن، وهو متصل بما قبله.

ومن قال : إنه قسم، فالابتداء به حسن، وهو متصل بما بعده. وكلاهما محتمل. والناس اختلفوا في هذا المعنى قديماً وحديثاً :

فمنهم من قال : أنا مؤمن حقاً.(٤)

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في الأصل [ابن] وهو خطأ تم تصويبه.

(٣) لم أقف على هذا الحديث، ولكن اسناده يدل على وضعه، قال ابن الجوزي في الموضوعات (١٢٩/١): «فأما عبدالله بن أحمد بن عامر فإنه روى عن أهل البيت نسخة باطلة».

(٤) هذا قول المرجئة في الأستثناء ومن وافقهم انظر: كتاب الإيمان لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ص:(٣٢١).

ومنهم من يقول : أنا مؤمن إن شاء الله.[1]

وقال أبوحنيفة ومن وافقه : إنه مؤمن حقاً، ولا أحكم على غيري بشيء.[2]

وقال الكراميون : أنا مؤمن حقاً، ومن أقر بهذا الإقرار فهو مؤمن حقاً.[3]

وأما من استثنى في الإيمان جماعة كثيرة من الأئمة من لدن نبينا ﷺ إلى يومنا هذا، أنهم يقولون: أنا مؤمن إن شاء الله.[4]

وروى أيضاً الشيخ أبوبكر[5] عن عبيدالله بن أبي[6] صالح يقول: أدركت ثلاثمائة من المشايخ كانوا يستثنون في الإيمان.[7]

---

(١) هذا قول أئمة السنة كما قال ابن تيمية رحمه الله في كتاب الإيمان (٣٢٤)، والآجري (١٣٦).

(٢) لم أقف على قول أبي حنيفة هذا ، ولكن قال الحافظ أبو القاسم اسماعيل التيمي الاصبهاني: «ويكره لمن حصل منه الإيمان أن يقول: أنا مؤمن حقاً مؤمن عند الله ، ولكن يقول: أنا مؤمن أرجو أو مؤمن إن شاء الله أو يقول: امنت بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وليس هذا على طريق الشك في إيمانه لكنه على معنى أنه لا يضبط أنه قد أتى بجميع ما أمر به وترك جميع ما نهى عنه خلافاً لقول من قال إذا علم من نفسه أنه مؤمن جاز أن يقول: أنا مؤمناً حقاً ...». انظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (٤٠٨ – ٤١٠).

(٣) لم أقف على قولهم هذا .

(٤) لقد بين اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/٩٦٥ – ٩٨٥) أقوال سلف هذه الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم القائلين بالاستثناء في الإيمان.

(٥) لم اهتد إلى من عناه المؤلف بهذه الكنية لأنه يتكنى بها كثير من العلماء منهم القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحيري النيسابوري المتوفى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة فهو معاصر للمؤلف.

(٦) لم أهتد إليه.

(٧) روى مثل ذلك عن جرير بن عبدالحميد . انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/٩٧٨، ٩٧٩).

قال اسحاق :[1] من قال أنا مؤمن إن شاء الله فليس يستثنى في إقراره، وإنما يستثنى في قبول إيمانه، لأنه لا يدري أهو من المؤمنين الذين وعدهم الله الجنة أم لا؟ وليس ذلك شكاً في الإيمان.

قال أبوالعباس القلانسي[2]: أنا مؤمن حقاً عند نفسي، ومؤمن إن شاء الله عند الله.

وقيل : أنا مؤمن حقاً في الحال، ومؤمن إن شاء الله عند الوفاة.

وقيل: أنا مؤمن حقاً في الوقت لأني لا أدري من الأعمال التي قد مضت مقبولة أم غير مقبولة؟ ولا أدري من الأعمال التي لم تأت بعد أصل إليها أم لا؟

قال أبو علي الثقفي:[3] فإن أردت بقولك: أنا مؤمن حقاً حقيقة الإيمان، فأنا أقول: أنا مؤمن حقاً، وإن أردت بقولك : أنا مؤمن حقاً وجود الإيمان فأنا أقول : لأنه الحق أنا مؤمن حقاً، وإن أردت أنا مؤمن بالله، لأن الحق اسم من أسماء الله فأنا أقول: أنا مؤمن حقاً، وإن أردت بحق القسم فأنا لا أقول: أنا مؤمن حقاً – يعني أنا مؤمن والله.[4]

---

(١) يظهر أنه يقصد اسحاق بن راهوية لأنه نقل عنه مثل هذا القول انظر: شرح أصول عقيدة أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/٩٦٤).

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) أبو علي: محمد بن عبدالوهاب الثقفي النيسابوري المتوفي عام ٣٢٨هـ. انظر ترجمته في: الأنساب للسمعاني (٣/١٤١)، والعبر (٢/٣١)، والوافي بالوفيات (٤/٧٥). قال الصفدي: عنه إنه خالف ابن خزيمة في مسائل منها مسألة الإيمان.

(٤) لم أقف عليه.

قال عبدالله بن المبارك[1] : فكما لا يقال : أنا من أهل الجنة حقاً فيجب أن لا يقال: أنا مؤمن حقاً لأن من قال ذلك فقد خالف القرآن يريد به قوله : ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنت جنت** ﴾[2].

﴿ **لهم درجت** ﴾ فضائل ﴿ **عند ربهم** ﴾ في الآخرة.

وعن ابن محيريز:[3] قال لكل مؤمن في الجنة سبعون درجة، ما بين كل درجتين مسيرة سبعين سنة عدو الفرس الجواد المضمر[4].

وقيل في قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ **على القعدين أجراً عظيماً** ﴾ ﴿ **درجت منه** ﴾[5] بين كل درجتين مسيرة خمسمائة سنة.

قال مجاهد : الدرجات : الأعمال السنية الرفيعة، وفضائل قدموها في أيام حياتهم[6].

وقال الضحاك : إن الدرجات لا يرى الأعلى فضيلة على الأسفل، ولا يرى الأسفل الأعلى عليه.[7]

---

(١) هو: أبو عبدالرحمن بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي المتوفي عام ١٨١هـ. انظر ترجمته في: العبر للذهبي (٢١٧/١)، والبداية والنهاية (١٧٧/١٠).

(٢) سورة التوبة آية ٧٢.

(٣) ابن محيريز: هو عبدالله بن محيريز الجمحي المتوفي (٩٩هـ)، تابعي ثقة. انظر ترجمته في العبر (٨٨/١).

(٤) والأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره برقم (١٥٦٩٨) (٣٨٩/١٣، ٣٩٠)، تحقيق محمود شاكر، والثعلبي (ق:٣٩/أ).

(٥) سورة النساء آية ٩٥، ٩٦.

(٦) أخرجه الطبري (٣٨٩/١٣) برقم (١٥٦٩٧)، وابن أبي حاتم تفسير سورة الأنفال (٥٧) تحقيق عبادة الكبيسي، وانظر: تفسير ابن كثير (٥٥٣/٣).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم برقم (٥٧) تفسير سورة الانفال ص(١٧٨). تحقيق الكبيسي وقال اسناد إلى الضحاك صحيح.

﴿ ومغفرة ﴾ للذنوب في الدنيا.
﴿ ورزق كريم ﴾ ثواب حسن في الجنة.
قوله : ﴿ كما أخرجك ربك ... الآية ﴾ وذلك أن قريشاً كانت معروفة بالشجاعة والصلابة، والرجولية، وسائر العرب كانوا يخافونهم، وذلك أنهم كانوا يحملون الميرة والطعام من الشام، وكان النبي ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة ، فلما خرجت قريش من الشام للميرة خرج النبي ﷺ وأصحابه من المدينة وقطع عيرهم، ورجعوا إلى المدينة وقسم بينهم، لأنه كان غنيمة لهم[1] ، فخرج عير قريش من الشام وكان معهم أبوسفيان بن حرب[2] في اثنين وأربعين رجلاً من قريش، فبلغ خبر خروجهم من الشام إلى النبي ﷺ فندب إليهم المسلمين وقال: « هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها ، فلعل الله أن ينفلكموها. فانتدب الناس فخف بعضهم [وثقل آخرون][3] وكرهوا الخروج ، لأنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً[4]، فلما خرجوا من المدينة بالكراهة بلغ خبرهم إلى أبي سفيان بن حرب وأصحابه، فبعث أبوسفيان واحداً إلى مكة وأخبرهم بأن النبي ﷺ خرج من المدينة – وهو عمرو بن ضمضم الغفاري[5] [فاستعدوا للقتال، وقطعوا الطريق ، وخرجوا إلى قبل البحر، فجاء خبر قريش إلى مكة فخرجوا والنبي ﷺ وأصحابه – يعني أصحاب النبي من المدينة– من المدينة][6]، ولم يشعروا بخروج أبي سفيان بن حرب إلى ساحل البحر، والتقيا – يعني محمداً ﷺ وأبا جهل– وكان مع النبي ﷺ ثلاثمائة وثلاثة

---

(١) عبارة المؤلف هنا غير دقيقة لكونها توحي بأن المسلمين استولوا على العير واقتسموها، وهذا لم يحدث، فلعل ذلك وقع منه اختصاراً للقصة أعقبه بالتفصيل أو أن هناك نقصاً في الكلام.

(٢) هو: صخر بن حرب بن أميه بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموى توفي سنة ٣١هـ، وقيل: سنه ٣٢هـ وقيل: ٣٤هـ. انظر ترجمته في أسد الغابة (٣/١٠، ١١).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق٥/ب).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣/٣٩٩)، والبغوي (٢/٢٣١)، وسيرة بن هشام (١/٦٠٧).

(٥) صحة اسمه ضمضم بن عمرو الغفاري. انظر: تفسير ابن جرير (١٣/٤٠٠)، والسيره النبوية لابن هشام (١/٦٠١، ٦٠٩)، والدر المنثور (٤/١٧)، وابن كثير (٣/٥٥٧)، وتفسير البغوي (٢/٢٣١).

(٦) هذا الكلام مضطرب وغير منتظم وفيه تكرار ولعل فيه سقط لم نقف عليه، وقصة الرسول وأصحابه لاعتراض عير قريش وإنذار أبي سفيان لقريش وخروج قريش والتقائهم مع المسلمين في غزوة بدر معروفة ومدونة في كتب السير والتاريخ.

عشر رجلاً محارباً فتحاربا وتقاتلا معا، وكرهوا القتال لأنهم كانوا غير مستعدين للقتال، وقتلوا من قريش سبعين وأسروا سبعين، فأنزل الله : ﴿ **كمآ أخرجك ربك من بيتك بالحق** ﴾.

وروى حبان[1] عن الكلبي[2] معناه: امض يا محمد على الأمر الذي أمرك ربك، وان كرهوا.[3] ﴿ **كمآ أخرجك ربك من بيتك بالحق** ﴾.

واختلفوا في العلة الجالبة لهذه الكاف:

قال مجاهد: معناه : ﴿ **كمآ أخرجك ربك من بيتك بالحق** ﴾ ، فإذاً خرج بأمر الله كذلك يجادلونك في الحرب[4] فشبه جدالهم بخروجهم لأن القوم جادلوا في خروجهم كما جادلوا عند القتال.

وقال بعضهم:[5] معناه: ﴿ **كمآ أخرجك ربك من بيتك بالحق** ﴾، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم.

---

(١) هو: حبان بن علي العنري بفتح العين والنون ثم زاي. مات سنه ١٧١هـ . وقيل: ٧٢هـ. ضعيف . انظر: التقريب (١/١٤٧) قال ابن حجر هو ممن روى التفسير عن الكلبي من الضعفاء نقل ذلك السيوطي في الدر (٨/٧٠٠).

(٢) هو: أبو النصر محمد بن السائب الكلبي مات سنة ١٤٦هـ متهم بالكذب ورمي بالرفض انظر: التقريب (٢/١٦٣).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٥/أ).

(٤) انظر الروايات المنسوبة إلى مجاهد في تفسير ابن جرير (١٣/٣٩٢). وكلها بلفظ: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق»، وكذلك يجادلونك في الحق، القتال. الآثار رقم (١٥٧٠١، ١٥٧٠٢، ١٥٧٠٣).

(٥) هذا القول أخرجه ابن جرير عن عكرمة برقم (١٥٧٠٠) (١٣/٣٩١).

وقال البصريون:[1] يجوز أن تكون هذه الكاف مردودةً على قوله : ﴿**أولئك هم المؤمنون حقاً**﴾ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق .

وقال الحسين بن الفضل : ﴿ **كمآ أخرجك ربك** ﴾ راجع إلى قوله ﴿ **لهم درجـت عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ – يعني الذي ضمنه الله لهؤلاء المؤمنين يكون صدقاً، ويكون لهم باقياً غداً[2].

﴿ **كمآ أخرجك ربك من بيتك بالحق** ﴾ وكما فعل لا يكون إلا على كلام قد تقدم، تقول : كما فعلت كذا فقد فعلت كذا ، لأنه لا معنى لها في الكتاب واللغة إلا على هذه الجهة.

قال ابن حبيب : رأيت في بعض الكتب أن الكاف بمعنى إذ ، تقديره : وإذ أخرجك ربك من بيتك بالحق.[3]

فإن قيل: لم قال: ﴿ **كمآ أخرجك ربك** ﴾ ولم يقل كما أخرجوا ، الجواب عن هذا:

لإن النبي ﷺ خرج بأمر الله، فإذا خرج بأمر الله فكأن الله أخرجه.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/٣٩٣)، ونسبه ابن جرير إلى بعض نحوي البصرة ولم يسمه. وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٤/٤٦٢) ونسبه إلى الأخفش .

(٢) انظر: تفسيره ابن حبيب (ق:٣/ب) وذكر ذلك أبو حيان في البحر المحيط (٤/٤٦٠) ولم ينسبه لأحد وضعف هذا التقدير لمخالفته للسان العرب، وقال ابن جرير الطبري بعد سرد هذه الاقوال: «وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد وقال: معناه: «كما أخرجك ربك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك يجادلونك في الحق بعد ما تبين = لأن كلا الأمرين قد كان ، أعني – خروج بعض من خرج من المدينة كارهاً، وحثا لهم في لقاء العدو وعند دنو القوم بعضهم من بعض، فتشبيه بعض ذلك ببعض، مع قرب أحدهما من الآخر أولى من تشبيهه مما بَعُدَ عنه» . انظر ذلك (١٣/٣٩٣).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق: ٣/ب).

﴿ من بيتك ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من المدينة[1].

الثاني: من مكة[2].

وكلاهما محتمل، والأصح أنها من المدينة.

﴿ بالحق ﴾ فيه قولان:

قال الكلبي: بالقرآن[3].

وقال بعضهم: بالحرب[4].

﴿ وإنَّ فريقاً ﴾ طائفة ﴿ من المؤمنين لكـٰرهون ﴾ الخروج من المدينة.

قال الحسين بن الفضل: في هذه الآية دليل على أن المؤمن لا يخرج من إيمانه بارتكاب كبيرة، لأن المعتزلة يقولون: من فعل كبيرة فقد خرج عن إيمانه. وذلك أن طائفةً من المؤمنين كانوا يجادلون النبي ﷺ في الخروج من المدينة إلى العير، وهي كبيرةٌ، ومع ذلك سماهم مؤمنين[5] حيث قال: ﴿ وإن فريقاً من المؤمنين لكـٰرهون﴾.

﴿ يجـٰدلونك ﴾ يخاصمونك ﴿ فى الحق ﴾ في الحرب ﴿ بعد ما تبين ﴾ أنك لا تصنع ولا تأمر إلا بأمر الله ﴿ كأنّما يساقون إلى الموْتِ وهم يَنظرون ﴾ إليه.

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٣/٣٩٤)، الأثرين رقم (١٥٧٠٨، ١٥٧٠٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/٢٣٠)، وزاد المسير (٣/٣٢٢).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق: ٥/أ).

(٤) تفسير ابن جرير (١٣/٣٩٧)، والأثر (١٥٧١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي اسناده الكلبي وهو ضعيف كما مرّ.

(٥) المعتزلة يقولون: اسم الفسوق ينافي اسم الإيمان كما قال تعالى: ﴿ بئس الاسم الفسوقُ بعد الإيمان﴾ الحجرات آية ١١. وانظر قولهم هذا في كتاب الإيمان لابن تيمية (٢٦٦). وانظر أيضاً مقالات الإسلاميين (٢٦٨ وما بعدها).

قال الأستاذ ابن فورك: يجادلونه فيه طلباً للرخصة حين دعوا، لا رداً لأمر الله[1].

وفي قراءة عبدالله: ﴿ **بعد ما تبين لنا** ﴾[2].

قوله: ﴿ **وإذ يعدُكُمُ اللَّهُ** ﴾.

قلت: نظم الآية ﴿ **كمآ أخرجك ربك** ﴾ وهو يعدكم ﴿ **إحدى الطآئفتين** ﴾ إما عير قريش، وإما عسكر المشركين، فأعطاهم الله عسكر المشركين يوم بدر ولم يعطهم عير قريش.

قرئ ﴿ **إحدَى** ﴾ بالهمز وغيره[3]، وكان الأصل فيه وُحْدى، فقلبت: الواو همزة.

﴿ **أنها لكم** ﴾ غنيمة وفتح. ﴿ **أنهّا** ﴾ لوقوع الوعد عليه، ومعناه ﴿ **وإذ يعدكم اللّهُ إحدى الطآئفتين أنّها لكم** ﴾، فكان الهاء بدلاً من إحدى وترجمة منه.

﴿ **وتَوَدُّونَ** ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿ **أنَّ غير ذات الشوكة** ﴾ الشدة ﴿ **تكون لكم** ﴾ غنيمة يعنى، [و][4] عير قريش.

والشوكةُ: كثرة العدد، والعِدة، واليأس، والشدة. والشوكةُ: الحرب، والقتال. وأصل الشوكة الحرُ. يقال: ما أشد شوكته أي ما أشد حرّه.

---

(١) لم أقف على قول ابن فورك.

(٢) القراءة المنسوبة إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قراءة شاذة وقد ضبطها أبو حيان في البحر المحيط (٤/٤٦٣) بقوله: وقرأ عبدالله بعد ما بين بضم الباء من غير تاء ومن غير «لنا»، وانظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (٤٨).

(٣) قرأ بها ابن محيض انظر- المحتسب لابن جني (١/٢٧٢)، واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ٢٣٥.

(٤) في الأصل مثبته [و] والسياق يقتضي حذفها.

وأصله من قوله انشقّ انشقاقاً، وشقّه شقّاً وشاقّه شقاقاً إذا صار في شق غيره يعني خالفه.

﴿ **ومن يشاققِ اللهَ ورسولَه** ﴾ في الدين ﴿ **فإن الله شديد العقاب** ﴾ يعني إذا عاقب فعقوبته شديدةٌ.

﴿ **ذلكم** ﴾ العذاب لكم ﴿ **فذوقوه** ﴾ في الدنيا، وقيل: فذوقوه إنما الذوق لليسير من الطعام، ولكن كونوا للعذاب بحالة من أمر الطعام أكلة بعد أكلة، وكذلك فذوقوا العذاب حالة بعد حالة ومرة بعد مرة.

﴿ **وأنّ للكـفرين** ﴾ في الآخرة ﴿ **عذابَ النار** ﴾. فإن قيل : لِمَ لَمْ يقل : وأن عذاب النار للكافرين، بل قدم الكفار على النار؟

قلنا: لان الكفر كان بسبب العذاب، فلما كان الكفر سبباً للعذاب قدم الكفر على العذاب، وقال: ﴿ **وأن للكـفرين عذاب النار** ﴾.

قوله : ﴿ **يـأيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا ... الآية** ﴾.

قال أبو سعيد[1] والحسن[2]: هذه الآية خاصٌ لأهل بدر[3].

وقيل : بل حكم هذه الآية عام لجميع المؤمنين من الصحابة وغيرهم ممن

---

(١) أبو سعيد الخدري رضي الله عنه الصحابي الجليل، والأثر خرّجه ابن جرير الطبري (٤٣٦/١٣، ٤٣٧) وهذا الخبر رواه الحاكم في مستدركه (٣٢٧/٢) من طريق شعبة، عن داود بن أبي هند بمثله، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الانصاري مولاهم ، ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويدلس قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة مات سنة عشر ومائة هجرية . انظر: التقريب لابن حجر (١٦٥/١).

(٣) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره (٤٣٨/١٣).

روى ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم: ألف وإلى أصحابه وهم: ثلاثمائة ونيف، استقبل النبي ﷺ القبلة ومدّ يده وجعل يدعو ويقول: اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف حتى سقط رداؤه عن منكبه، وأتاه أبو بكر وأخذ رداءه وألقاه على منكبه وقال: يا نبي الله إنه سينجز لك ما وعدك[1]. فأنزل الله هذه الآية.

قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ رأى كثرة المشركين وقلة أصحابه، وعلم أنه لا قوة له بهم إلا بالله فدعا ربه وقال: اللهم إنك أمرتني بالقتال ووعدتني بالنصر وأنت لا تخلف الميعاد[2]، فاستجاب الله له ونزل: ﴿ **إذ تستغيثون ربكم** ﴾ من النصر ﴿**فاستجاب لكم أنّي ممدكم بألفٍ من الملـٰئكة مردفين**﴾ أي متتابعين. فرأى النبي ﷺ جبريل في خمسمائة ملك على ميمنة الناس، وميكائيل في خمسمائة ملك على ميسرة الناس في صورة الرجال عليهم البياض، وعمائمهم بيض أرخوا ما بين أكتافهم، وقاتلت الملائكة يوم بدر فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين، ولم تقاتل يوم أحد، ولا يوم حنين فذلك قوله: ﴿ **إذ تستغيثون ربكم** ﴾ إذ تدعون ربكم يوم بدر بالنصرة. وقيل: تستجيرون[3] ربكم من عدوكم.

﴿ **إذ تستغيثون** ﴾ إذ صلة قوله[4] ﴿ **ويبطل البـٰطل** ﴾ معناه: ويبطل الباطل حين ﴿**تستغيثون ربكم فاستجاب لكم**﴾ فأجاب لكم الدعاء ﴿ **أنيّ مُمِدُكُم** ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٣٨٤/٣)، وابن جرير في تفسيرة (٤٠٩/١٣)، والأثر رقم (١٥٧٣٤).

(٢) انظر: تفسيره (١٠٢/٢).

(٣) قال بذلك ابن جرير الطبري (٤٠٩/١٣).

(٤) قال بذلك ابن جرير الطبري (٤٠٨/١٣).

وقال الحسين بن الفضل ﴿ فأستجاب لكم ﴾ هذه من الدعوات المستجابات التي نطق بها القرآن، لا من الدعوات المردودات، والإستجابة موافقة المسألة بالعطية، والأصل فيه طلب الموافقة بالإرادة.[1]

﴿ أنّي ممدكم ﴾ قرئ بفتح الألف وكسرها[2] ، فالفتح على إضمار الباء أي بأني ممدكم والكسر على إضمار القول، ومعناه: فاستجاب لكم وقال: ﴿أني ممدكم﴾ معينكم بألف من الملائكة مردفين.

قال مجاهد: ما أمد النبي ﷺ كما ذكر الله في سورة آل عمران غير الألف من الملائكة أما الثلاثة آلاف والخمسة آلاف فإنه بشرى وما أمد غير هذه الألف[3].

ثم قال الكلبي والضحاك[4]: أما قوله في آل عمران: ثلاثة آلاف، والخمسة آلاف فإنه وعد من الله قرنه بالشرط، فالشرط ﴿ بلىٓ إن تصبروا وتتقوا ﴾ والوعد خمسة آلاف، وثلاثة آلاف فلم يصبروا على المركز، ولم يتقوا مخالفة الرسول، فلما لم يحصل الشرط لم يحصل الوعد.

﴿ مردِفين ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدهما: ﴿ مردفين ﴾ معناه: مع كل واحد آخر هو ردف له، كما قال ابن عباس: مع كل مَلَك مَلَكٌ[5].

---

(١) لم أقف على قول الحسين بن الفضل عند غير المؤلف رحمه الله.

(٢) قراءة الجمهور بفتح الألف وقرأ بكسرها عيسى بن عمر. انظر: اعراب القرآن للنحاس (١٧٨/٢)، والبحر المحيط (٤٦٥/٤).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤١٨/١٣) برقم (١٥٧٥٧)، وذكره السيوطي في الدر (٣٠/٤)، وعزاه لابن جرير وزاد عزوه لسنيد وأبي الشيخ.

(٤) أخرجه ابن جرير بنحوه (٥٢/٤) ط دار المعرفه، وذكره السيوطي في الدر (٣٠٨/٢)، وعزاه لابن جرير وزاد عزوه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) الأثر خرّجه الطبري في تفسيره (٤١٢/١٣) برقم (١٥٧٤٥).

الثاني: قال السدي وقتادة والزهري[1] والدينوري[2]: متتابعين بالنصرة لكم[3].

الثالث: ﴿ مردفين ﴾ ممدين[4].

وقرئ مردفين بكسر[5] الدال وفتحها[6]، من قرأ بالكسر كان فيه قولان:

أحدهما: على أن بعضهم أردف بعضاً .

الثاني: على أنهم مردفين للمؤمنين بالمعونة والنصرة.

ومن قرأ بالنصب فعلى أن الملائكة مفعولون على الحقيقة على أن الله أردف بعضهم بعضاً.

وقريء مردِّفين بالتشديد[7] أيضاً.

والفرق بين أردف ، وردف فيه قولان:

أحدهما: لا فرق بينهما، يقال: ردّفه وأردفه بمعنى واحد[8]، أي صار له ردفاً.

والثاني[9]: ردفه أي صار له ردفاً، وأردفه جعل له ردفاً.

---

(١) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري الإمام العلم الحافظ المحدث الفقيه، من أئمة التابعين ومن أحفظ أهل زمانه للسنن وأحسنهم لها سباقاً، توفي سنة (١٢٤هـ)، انظر مشاهير علماء الأمصار (ص٦٦)، ووفيات الأعيان (١٣١٧/٣).

(٢) هو: أبو محمد عبدالله بن محمد بن وهب بن بشر بن صالح الدينوري. وقيل: اسمه عبدالله بن المبارك الدينوري، عالم حافظ رحال كان محدثاً مفسراً ، له كتاب الواضح في التفسير، مات سنة (٣١٠هـ) . انظر: تذكرة الحفاظ (٧٥٤/٢)، وسير أعلام النبلاء (٤٠٠/١٤).

(٣) أخرجه الطبري عن قتادة والسدي وغيرهما (٤١٣/١٣).

(٤) الأثر خرّجه الطبري (٤١٣/١٣)، برقم (١٥٧٥٠) عن مجاهد.

(٥) قرأ الجمهور بكسر الدال . انظر: كتاب التذكره في القراءات لابن غلبون (٤٣٣/٢)، والتبصره (ص:٥٢٢)، والتيسير (ص:١١٦)، وابن جرير الطبري (٤١٤/١٣)، والبحر المحيط (٤٦٥/٤).

(٦) قرأ نافع ويعقوب بالفتح. انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٣٣/٢)، والتبصره (ص:٥٢٢)، والتيسير (ص:١١٦)، والطبري (٤١٤/١٣)، والبحر المحيط (٤٦٥/٤).

(٧) قرأ بذلك بعض أهل مكة فيما يروية الخليل . انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٤٩)، وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣٢٤/٣)، «وبالتشديد قرأ بها معاذ القارئ وأبو المتوكل الناجي وأبو مجلز».

(٨) انظر: اللسان لابن منظور مادة (ردف) والبغوي (٢٣٣/٢).

(٩) وممن قال بهذا القول الزجاج. انظر: معاني القرآن له (٤٠٢/٢)، وابن جزى الكلبي في تفسيره (٦١/٢).

﴿ وما جعله الله إلا بشرىٰ ولتطمئن به ﴾ في الكناية قولان:
قال أكثر المفسرين[1]: يعود على المدد أي ما جعل الله إمداد الملائكة.

الثاني: قال الفراء[2]: يعود على الإرداف، أي: وما جعل الله الإرداف ﴿ إلا بشرىٰ ﴾ إلا بشارة بالنصرة، وقال في موضع: ﴿ إلا بشرىٰ لكم ﴾،[3] وقال هاهنا: ﴿إلا بشرىٰ﴾، لأنه تقول العرب: بَشّرتُه وبَشّرتُ له، وكذلك ﴿ لتطمئن به قلوبكم﴾ وكذلك ﴿ ومآ أهل به لغير الله ﴾.[4]

﴿ ولتطمئن ﴾ ولتسكن ﴿ به ﴾ بالإرداف، وقيل: بالإمداد ﴿ قلوبكم ﴾.

قال الحسين بن الفضل: هذا يدل على أن في القلب ما يطمئن به القلب، وما لا يطمئن به، وفيه دلالة على أن الإيمان بالقلب ، ثم بين أن النصرة من الله لا من الملائكة فقال:

﴿ وما النصر ﴾ بالملائكة ﴿ إلا من عند الله ﴾

قال الحسين بن الفضل: فيه دليل على أن الخير والشر من الله، إذ الخذلان ضد النصرة والنصر من عند الله.

ففيه دليل على أن الخذلان أيضاً من الله[5]، وهذه الآية من الآيات التي يدل أولها على بطلان قول المرجئة، وآخرها يدل على بطلان قول القدرية.[6]

---

(١) منهم الطبري (٤١٧/١٣)، والزجاج في معاني القرآن (٤٠٣/٢)، وابن أبي حاتم (٩٤)، (ص٢٠٠٦) تحقيق عيادة الكبيسي، والبغوي (٢٣٤/٢)، وابن كثير (٥٦١/٣)، والبحر المحيط (٤٦٦/٤).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٠٤/١).

(٣) آل عمران آية ١٢٦.

(٤) سورة البقرة آية ١٧٣.

(٥) الخذلان أسبابه الناس فهو منهم لأنهم سببه وعقاب لهم جزاءً على أعمالهم ولكنه من الله خلقاً وتقديراً.

(٦) اطمئنان قلب المؤمن بالمدد من الله يقوي إيمانه بنصر الله له، والمرجئة ينكرون ذلك ويقولون بأن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله فقط وأن ما سوى المعرفة من الاقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة والخوف والعمل بالجوارح فليس بإيمان.

﴿ إن الله عزيز ﴾ بالنقمة من أعدائه ﴿ حكيم ﴾ حكم عليهم القتل والهزيمة، وجعل لكم النصرة والغنيمة.

قوله : ﴿ إذ يُغَشِّيكم النعاسَ أمنةً منه ﴾، وذلك أنهم ناموا في الحرب صبيحة بدر، والنوم في الحرب أمنةٌ فذكر الله مِنَّتَهُ عليهم فقال: ﴿ إذ يغشيكم النعاس ﴾.

قريء ﴿يغشاكم[1] النعاسُ﴾ بفتح الياء، والنعاسُ ومن قرأ بالرفع، ﴿ويغشيكم﴾ من غشي يغشى، والنعاسُ تقع فاعل، ومن قرأ﴿ يُغشّيكم﴾[2] من غشي يُغَشَّى، ومن قرأ ﴿ يُغْشيكم﴾[3] بالتخفيف فهو من أغشى يُغشى، الأول لازم، وكلاهما متعد [4] ومعناه: إذا لقي عليكم النوم أمنةً لكم من العدو منةً من الله عليكم.

والغشيان : لباس الشيء بما يتصل به كغشيان الرجلِ المرأة.

والنعاس : ابتداء حال النائم قبل استثقال النوم وهو من السِّنَه.

وقُريء ﴿ أمْنَةً﴾ بسكون الميم[5] ونصبها وهما لغتان، مصدراً من أمن يأمن أمْناً وأَمَنَةً وأماناً.

﴿ ويُنَزِّلُ عليكم من السمآء ماءً ليطهِّركم به ﴾ ، وذلك أنهم وقفوا يوم بدر في مكان ذي رمل بحيث لا يثبت عليه القدم، ولم يكن لهم الماء في ذلك المكان فناموا تلك الليلة، وقد أصابهم الجنابة، فأصبحوا على غير ماء، فجاء الشيطان

---

(١) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو، وعليه رفع النعاس. انظر: التذكره لابن غلبون (٤٣٣/٢)، والتبصرة ص: ٥٢٢، والتيسير لابن عمرو، والداني ص:(١١٦)، والبحر المحيط (٤٦٧/٤).

(٢) قرأ بتشديد الشين عاصم، وابن عامر وحمزة والكسائي. انظر: المصادر السابقة ونفس الصفحات.

(٣) قرأ بها نافع المدني. انظر: نفس المصادر السابقة.

(٤) في الأصل متعدى بالباء والصواب ما أثبته.

(٥) قرأ بسكون الميم أبو عبدالرحمن السلمي، وأبو المتوكل وأبو العالية ويحيى بن يعمر، وابن محيصن، والنخعي. انظر: البحر المحيط (٤٦٨/٤)، وزاد المسير (٣٢٧/٣).

ووسوس لهم وقال: إن عدوكم على الماء وأنتم مجنبون لا صلاة لكم، وهم على أرض صلبةٍ وأنتم على أرض ذات رمل، فأنزل الله عليهم المطر في صبيحتها فاغتسلوا من الجنابة وتوضؤا واشتدت أقدامهم على الرمل، وزال وسوسة الشيطان عنهم فقال الله: ﴿ وينزل عليكم من السمآء ماءً﴾، منةً عليهم.﴿ ليطهركم به ﴾ بالمطر من الأحداث والجنابة.

وقُرِيء ﴿ليطهركم﴾ بالتخفيف[1] والتشديد[2] وهما لغتان، طَهّر يُطهّر وأطهر يُطهر.

﴿ ويُذْهِبَ عنكم رجزَ الشيطـٰن ﴾ يعني وسوسة الشيطان .

﴿ ولِيربط علىٰ قلوبكم ﴾ وليحيط قلوبكم بالصبر.

﴿ ويُثَبّتَ به ﴾ بالمطر ﴿ الأقدام ﴾ على الرمل أي يشد الرمل حتى تثبت عليه الأقدام، وقيل: يثبت بالصبر الأقدام حتى يثبتوا لعدوهم.

﴿ إذ يوحي ربك إلى الملـٰئكة ﴾ ومعنى الإيحاء : إلقاء المعنى إلى النفس.[3]

﴿ أني معكم ﴾ أي معينكم ، وقيل : أني معكم بالنصر والمعونة.

وقريء: ﴿أني﴾ بنصب الألف وكسرها[4].

---

(١) قرأ بها سعيد بن المسيب. انظر: مختصر الشواذ لابن خالوية (ص:٤٩)، والبحر المحيط (٤/٤٦٨).

(٢) هي القراءة الصحيحة الموافقة لرقم المصحف.

(٣) هذا المعنى لا يستقيم لتفسير الآية، والصواب أن الله سبحانه يوحي إلى ملائكته وحياً فيما بينه وبينهم بما يأمرهم به.
قال ابن كثير رحمه الله (٣/٥٦٥): وهذه نعم خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا.

(٤) قال أبو حيان في البحر المحيط (٤/٤٦٩): قرأ بكسر الهمزة عيسى بن عمر بخلاف عنه. ونصب الهمزة هي القراءة الصحيحة المتواترة الموافقة لرسم المصحف.

من قرأ بنصب الألف فمعناه : بأني معكم.

ومن كسرها فبإضمار القول أي فقال : ﴿ **إنى معكم فثبتوا الذين ءامنوا** ﴾ في الحرب..

فيه سؤال ، فإن قيل: فكيف يثبتونهم وهم لا يرونهم؟ فيه جوابان:

أحدهما : معناه : قال الله للملائكة اقتلوا المشركين وأفسدوا صفوفهم، فإنكم إذا فعلتم ذلك ثبّتم المؤمنين.

الثاني : أن الملك كان يلقى الرجل من المسلمين في صورة لا ينكرها فيقول له: إني سمعت هؤلاء – يعني المشركين – يقولون : إذا حمل علينا المسلمون فانهزمنا فيقوي قلوب المسلمين بذلك ويقدمون بجراْةٍ وبحدةٍ فذلك تثبيتهم للمؤمنين.

وقيل تثبيتهم : ﴿ **فثبتوا الذين ءامنوا** ﴾ بالنصرة .

وقيل : بقتالهم معهم في يوم بدرٍ قال الله: ﴿ **سأُلقى** ﴾ سأقذف ﴿ **فى قلوب الذين كفروا الرُّعب** ﴾ المخافة من محمد وأصحابه.

وقيل : ﴿ **الرعبُ** ﴾ الخوفُ، وأصلُهُ التقطيعُ من قوله : رعبتُ السنامَ إذا قطعته مستطيلاً.

﴿ **فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلَّ بنان** ﴾ اختلفوا في هذا الأمر:

فقيل : للمؤمنين[1]، وقيل: للملائكة[2]، فمن قال : هذا الأمر للمؤمنين، معناه: إن الله أباح لهم أن يضربوا أي موضع من أجسادِ المشركين قدروا عليه وأصابوهُ.

ومَنْ قال : إن هذا الأمر للملائكة وهو متصلٌ بقوله : ﴿ **فثبتوا الذين ءامنوا**﴾، ﴿ **واضربوا فوق الأعناق** ﴾ وذلك أن الملائكة لم يباشروا الحرب، ولم يعلموا أين

(١) انظر: اللسان لابن منظور مادة (رعب).

(٢) انظر: تفسير البغوي(٢/٢٣٥)، وزاد المسير(٣/٣٢٩، ٣٣٠)

يقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله أن يضربوا الرؤوس والأيدي.

﴿ فاضربوا فوق الأعناق ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: قال ابن عباس: فاضربوا الأعناق فما فوقها[١]، كقوله: ﴿ فإن كُنَّ نساءً فوق اثنتين ﴾[٢] معناه: فإن كن نساءً اثنتين فما فوقها.[٣]

وقال عكرمة[٤]: فوق الأعناق معناه: الرؤوس فإن الرؤوس فوق الأعناق.

وقال المبرد:[٥] فوق هاهنا صلة ومعناه: فاضربوا الأعناق كقوله: ضربت نفس زيد، والمراد: ضربت زيدا[٦].

فإن قيل: لم خَصَّ الله الضَرب لهم على الرؤوس والأيدي؟

قلنا: إن الرجل إذا ذهب عنه الرأس واليد لم يتهيأ له محاربتهم، ولم يبق له شيء يحارب به، ولهذا خص الرأس واليد.

وقيل:[٧] الرأس واليد عبارة عن جميع أبدانهم، فالله تعالى أباح لهم أن يضربوا أي موضع من أجساد المشركين قدروا عليه وأصابوه كما أن سبيله سبيل الصيد، أنَّ للصائد أن يرمي صيده في أي موضع أصابه من بدنه، والعرب تقول وتعبر ببعض الشيء عن كله، والله عبر بالرأس واليد عن جميع أبدانهم.

---

(١) انظر الهامش رقم (٢) في الصفحة السابقة.

(٢) سورة النساء آية ١١.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٧/ب).

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري عن عكرمة (١٣/٤٣٠)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٩) تحقيق الكبيسي وقال المحقق اسناده حسن.

(٥) هو: محمد بن يزيد بن عبدالاكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد إمام العربية في بغداد في زمانه. انظر ترجمته في: بغية الوعاة (١/٢٦٩).

(٦، ٧) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٧/أ).

وقال يمان بن رباب:[1] معنى قوله : ﴿ **فاضربوا فوق الأعناق** ﴾ وهو على طريق التمثيل أي فاضربوا صناديد قريش[2] ﴿ **واضربوا منهم كل بنان** ﴾ أي واضربوا السفلة منهم.

والبنان جمع بنانة وهي الأصابع، معناه: اليد ، وقيل[3] : هي أطراف الإنسان مثل الأيدي والأرجل.

وقال النبي ﷺ : « من بدل دينه فليضرب عنقه ».[4]

﴿ **ذلك** ﴾ القتل والضرب لهم ﴿ **بأنهم شآقُّوا الله** ﴾ خالفوا الله ﴿ **ورسوله** ﴾ في الدين. وقيل: شاقوا الله مجازاً وحقيقته: شاقوا أولياء الله ورسوله كما قال: ﴿ **إن الذين يؤذون الله** ﴾ أي يؤذون أولياء الله. وكقوله ﴿ **يخادعون الله** ﴾ أي يخادعون أولياء الله.[5]

(١) هو يمان بن رباب البصري من رؤساء الخوارج له كتاب الرد على المرجئة وكتاب التوحيد. انظر: هدية العارفين (٥٤٨/٢).

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٦/ب).

(٣) قال ابن جرير الطبري: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين معلمهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف: أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدي والأرجل، وقوله: «فوق الأعناق» محتمل أن يكون مراداً به الرؤوس، ومحتمل أن يكون مراداً له: من فوق جلدة الأعناق فيكون معناه على الأعناق (٤٣٠/١٣) .

(٤) الحديث في الكامل في الضعفاء لابن عدي (٣٢٢/١) بلفظ: «من بدل دينه فاضربوا عنقه» وأخرجه مالك في الموطأ بلفظ: «من غير دينه فاضربوا عنقة (٧٣٦) ومسند الشافعي (٣٢١) وفي البخاري (٧٥/٤) بلفظ: «من بدل دينه فاقتلوه».

(٥) هذا تأويل باطل، والحق أن معنى آية سورة الاحزاب واضح ولا يحتمل التأويل إلى خلاف الظاهر قال ابن كثير في تفسير (٤٦٩/٦): «يقول الله تعالى متهدداً ومتوعداً من آذاه، بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره واصراره على ذلك».
وقال ابن سعدي في تفسيره (٢٤٦/٦): «وهذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، من سب أو شتم أو تنقص له، أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى». انظر قول ابن كثير في تفسير آية ٩ من سورة البقرة (٧٣/١).

وأصله من قوله انشقّ انشقاقاً، وشقّه شقاً وشاقّه شقاقاً إذا صار في شق غيره يعني خالفه.

﴿ ومن يشاققِ اللهَ ورسولَه ﴾ في الدين ﴿ فإن الله شديد العقاب ﴾ يعني إذا عاقب فعقوبته شديدةٌ.

﴿ ذلكم ﴾ العذاب لكم ﴿ فذوقوه ﴾ في الدنيا، وقيل: فذوقوه إنما الذوق لليسير من الطعام، ولكن كونوا للعذاب بحالة من أمر الطعام أكلة بعد أكلة، وكذلك فذوقوا العذاب حالة بعد حالة ومرة بعد مرة.

﴿ وأنّ للكٰفرين ﴾ في الآخرة ﴿ عذابَ النار ﴾. فإن قيل : لِمَ لَمْ يقل : وأن عذاب النار للكافرين، بل قدم الكفار على النار؟

قلنا: لأن الكفر كان بسبب العذاب، فلما كان الكفر سبباً للعذاب قدم الكفر على العذاب، وقال: ﴿ وأن للكٰفرين عذاب النار ﴾.

قوله: ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا ... الآية ﴾.

قال أبو سعيد[1] والحسن[2]: هذه الآية خاصٌّ لأهل بدر[3].

وقيل : بل حكم هذه الآية عام لجميع المؤمنين من الصحابة وغيرهم ممن

(١) أبو سعيد الخدري رضي الله عنه الصحابي الجليل، والأثر خرّجه ابن جرير الطبري (١٣/٤٣٦، ٤٣٧) وهذا الخبر رواه الحاكم في مستدركه (٢/٣٢٧) من طريق شعبة، عن داود بن أبي هند بمثله، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. الأثر خرّجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٣٨).

(٢) الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الانصاري مولاهم ، ثقة فقيه فاضل مشهور وكان يرسل كثيراً ويدلس قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين حدثوا وخطبوا بالبصرة مات سنة عشر ومائة هجرية . انظر: التقريب لابن حجر (١/١٦٥).

(٣) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره (١٣/٤٣٨).

بعدهم.[١]

﴿ يـاأيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً ﴾ معناه : إذا وافقتم الكافرين في المصاف للقتال يوم بدر. ﴿ فلا تولوهم الأدبار ﴾ فلا تتولوا عنهم مدبرين منهزمين ولكن اثبتوا لهم ﴿ومن يولهم ﴾ ومن يتول عنهم ﴿ يومئذ ﴾ يوم بدر ﴿ دُبُرَه ﴾ ظهره، ومعناه : ومن ينهزم عنهم.

قال ابن جريج :[٢] الفرار من ثلاثة مباح، ومن الاثنين غير مباح.[٣]

﴿ إلا متحرفاً ﴾ وفي الآية تقديم وتأخير معناه: ومن يولهم يومئذ دبره ﴿ فقد باء بغضب من الله ومأوئه جهنم وبئس المصير﴾ ﴿ إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلىٰ فئة ﴾. هذا نظم الآية، واختلفوا في حكم الآية:

فقال عطاء بن أبي رباح[٤]: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ الآن خفف الله عنكم...﴾ الآية.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال في ذلك: وهذا كله لا ينافي ان يكون الفرار من الزحف حراماً على غير أهل بدر، وإن كان سبب النزول فيهم، كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم من أن الفرار من الزحف من الموبقات، كما هو مذهب الجماهير والله اعلم (٣/٥٧٠).
قلت: وحديث أبي هريرة ثابت في الصحيحين قال ﷺ : اجتنبوا السبع الموبقات، وذكر منها التولي يوم الزحف.

(٢) هو: أبو خالد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج القرشي الأموي ولاء، صاحب التصانيف وأول من دون العلم بمكة ، قال عنه الحافظ ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل توفي سنة خمسين ومائة، وقيل: غير ذلك.
انظر: تاريخ بغداد (١٠/٤٠٠)، وسير أعلام النبلاء (٦/٣٢٥)، وتقريب التهذيب (١/٥٢٠).

(٣) أخرجه البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما (٢/٢٣٧)، وروي مثله عن عطاء بن أبي رباح وعن أحمد بن حنبل رحمه الله. انظر: زاد المسير (٣/٣٣٢).

(٤) الأثر خرجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٣٩).

وقال أكثر المفسرين[1]: حكم هذه الآية محكم غير منسوخ. حتى روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والفرار من الزحف[2].

﴿ فقد بآء بغضب من الله ﴾ فقد رجع واستوجب الغضب بسخط من الله، ﴿ومأوىه﴾ مصيره ﴿ جهنم وبئس المصير﴾ إذا صار إليه ﴿ إلا متحرفاً لقتال ﴾ أي مستطرداً لقتال﴿ أو متحيزاً إلىٰ فئة ﴾ أو يرجع من فئة إلى فئة ينصرونه ويمنعونه.

قال الأستاذ ابن فورك: اللقاء: الاجتماع على جهة المقاربة.

والكفر: ستر النعمة بجحدها.

والزحف: الدنو قليلاً قليلاً. والزحف: التدابر.

والتحرف: الزوال عن جهة الاستواء.

والتحيز: طلب حيز يتمكن فيه، أي طلب مكاناً.

والمتحيز: المنضم إلى الشيء.

و ﴿ متحيزاً إلىٰ فئة ﴾ معناه: صائراً إلى حيِّز المؤمنين، والفئة: القطيعة من

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٣/٤٤٠)، وقد ذكر القولين ثم قال: وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب عندي، قول من قال: حكمها محكم، وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين، وأن الله حرم على المؤمنين إذا لقوا العدو، أن يولوهم الدبر منهزمين إلا لتحرف لقتال أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزماً بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه.

وإنما قلنا هي محكمة غير منسوخة، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره: أنه لا يجوز أن يحكم بحكم آية بنسخ وله في غير النسخ وجه، إلا بحجة يجب التسليم بها، من خبر يقطع العذر أو حجة عقل، ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عزوجل: «ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة» وانظر ايضاً تفسير ابن كثير (٣/٥٧١).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/٤٤٠).

الناس.

قوله: ﴿ فلم تقتلوهم ﴾ معناه: فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم يوم بدر ، ولكن الله قتلهم بجبرائيل وميكائيل والملائكة، وأضاف ذلك إلى نفسه إذ كان جل جلاله هو تعالى[1] مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم ، وهذا كما يقال: الأميرُ ضرب فلاناً كذا سوطاً والأمير لم يضربه، واذا كان الضرب بأمر الأمير، أضيف الضرب إليه، فكذلك ها هنا إذا قتلوا بأمر الله فكأن الله قتلهم، فأضاف القتل إلى الله فقال:

﴿ ولكن الله قتلهم وما رميتَ إذ رميت ولكنَ اللَه رمى ﴾ [وقال][2] إن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر يوم بدر: ناولني كفاً من بطحاء، فناوله فرمى به نحو العدو فصارت في أعينهم فلم يبق منهم أحدٌ إلا شغل بنفسه، فاخبرهم الله أن هذا ليس من رمي الخلق وأن الله تولى ذلك وفرقه في أعينهم[3] فقال: وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى.

قال محمد بن كعب القرظي[4]: لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله ﷺ قبضتين من تراب فرمى به في وجوه القوم يقال: «شاهت الوجوه»[5] فدخلت في

---

(١) المؤلف يرد على المرجئة.

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب وقيل ليستقيم المعنى.

(٣) أخرج الطبري (١٣/٤٤٥) برقم (١٥٨٢٥) مثله عن السدي، إلا أنه قال ﷺ لعلي رضي الله عنه ناولني حصاً من الأرض بدل أبي بكر. ولم أقف على رواية فيها قوله ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٤) أبو حمزة: محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المتوفي عام (١١٧هـ) وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٦٥).

(٥) أخرجه: ابن جرير في تفسيره (١٣/٤٤٤)، في سنده أبو معشر نجيح بن عبدالرحمن، ضعفه أحمد وابن معين والنسائي. أنظر ترجمته في: الميزان (٤/٢٤٦)، والتقريب (٢/٢٩٨)، ومعنى (شاهت) أي قبحت. النهاية (٢/٥١١) مادة (شوه).

أعينهم كلهم، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه من ذلك التراب شيء ثم ردفهم المؤمنون يقتلوهم ويأسرونهم وكان هزيمتهم في رمية رسول الله ﷺ فذكر رميته فقال: ﴿ وما رميتَ إذ رميتَ ولكنّ اللَه رمىٰ ﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار وضربها وجوه الكفار فهزموا عند الحجر الثالث[1] فقال الله: وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى.

قال ابن زيد:[2] أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم وقال[3]: شاهت الوجوه. فانهزموا كلهم فقال الله: ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ﴾.

١٩٥/أ قال ابن المسيب: لما كان يوم أحد / أقبل أبي بن خلف الجُمحي يركض فرسه حتى دنا من رسول الله ﷺ فاعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه فقال لهم النبي ﷺ: استأخروا فقام رسول الله ﷺ بحربة في يده فرمى أبيَّ بن خلف فرجع إلى أصحابه قتيلاً فاحتملوه حين ولوا قافلين[4] فطفقوا يقولون: لا بأس فقال الله: ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ﴾.[5]

والأول أصح، لأن هذا كان في يوم أحد والقصة في يوم بدر وقيل: في يوم

(١) أخرجه ابن جرير عن قتادة (٤٤٤/١٣).

(٢) هو: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني مات عام (١٨٢هـ). انظر ترجمته في التهذيب لابن حجر (١٧٧/٤) رقم (٣٥٨).

(٣) أخرجه ابن جرير (٤٤٥/١٣)، وابن أبي حاتم (ص: ٢٦٢) رقم الأثر (١٧٥). قال المحقق اسناده صحيح وهو مرسل.

(٤) في المخطوط: [قائلين]. وما أثبته فمن تفسير ابن أبي حاتم وهو أقرب للصواب والمعنى أي: راجعين من قفل أي رجع من السفر. انظر: الصحاح مادة (قفل) (١٨٣/٥).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٢٨/٢) بسنده إلى سعيد بن المسيب وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره الأثر رقم (١٧٦) في (ص: ٢٦٤)، وقال المحقق هذا الأثر مرسل صحيح.

بدر.

أتى ابنُ أبي الحُقيق(١) إلى رسـول الله ﷺ فدعا بقوس فـأتى بقوس طويلة فرمى النبي ﷺ وقتلهُ فانزل الله: ﴿ **وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى** ﴾(٢).

نفى الله الرمي عن النبي ﷺ ثم حقق ثم أضاف إلى نفسـه فقال: وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى.

ويقال: الرمي أربعة:

قبض.

وارسالٌ.

وتبليغٌ.

وإصابةٌ.

فالقبضُ والإرسـالُ كان من النبي ﷺ ، والتـبليغُ والإصابـةُ من الله فكأنه قـال: ﴿**وما رميت**﴾ أي ومـا بلّغـت ومـا أصبـت ﴿ **إذ رميت**﴾ إذ قـبـضـت وأرسـلـت ﴿**ولكن الله رمى** ﴾ بلغ وأصاب(٣).

﴿ **وليـبلي المؤمنين** ﴾ وليـصنع بالمؤمنين ﴿ **منه** ﴾ من رمي التــراب ﴿ **بلآءً** ﴾ صنيعاً ﴿ **حسناً** ﴾ بالنصرة والغنيـمة، وقيل: معناه: ليُـعَرِّف المؤمنين من نعمتـه عليهم

---

(١) هو أبو رافع عبـدالله بن سلام بن أبي الحـقيق، كان بخـيبر وكـان ممن يؤذى رسول الله ﷺ ويعين عليه، قتل سنـة ست من الهجرة، وقد ساق الإمـام البخارى قصة قـتله في صحيحـه. انظر: صحيح البخاري كتاب المغازي. باب: قتل أبي رافع (١٨/٣). وانظر: طبقات ابن سعد (٩١/٣ - ٩٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (١٧٧) (ص:٢٦٥).

(٣) في الآية ردّ على الجبرية حيث أضاف الله الرمي إلى نبيه ﷺ ثم نفاه عنه وأضافه إلى نفسه وهو فعل واحد فكان من الـله تسبيبه وتسـديده ومن الرسول ﷺ إرساله وتصـويبه وهو مـعنى ما أشـار إليه المؤلف رحمه الله بكلامه.

في إظهارهم على عدوهم مع كثرة عددهم وقلة عدد المؤمنين ليعرفوا بذلك حقه، وليشكروا صُنْعَه[١].

وقيل: إنه معطوفٌ على قوله:[٢] ﴿ **وليربط على قلوبكم** ﴾[٢] بالثبات والجزم ﴿**ويثبت به الأقدام** ﴾ ﴿ **وليبلي المؤمنين منه بلآءً حسناً** ﴾. وليبلي المؤمنين قرئ بالوجهين بإسكان الياء[٣]ء وفتحها[٤]، وهما لغتان.

وقيل: من قرأ بالفتح فلاجتماع الساكنين بسكون الياء وسكون اللام.

ومن قرأ بسكون الياء لكثرة الحركات.

﴿ **إن الله سميعٌ** ﴾ لدعائكم ﴿ **عليمٌ** ﴾ بنصرتكم.

وقيل: ﴿ **إن الله سميعٌ** ﴾ لدعاء النبي ﷺ ومناشدته لربه ومسألته إياهُ هلاك عدوه ﴿ **عليمٌ** ﴾ بذلك كلِهِ وبما فيه صلاحُ عباده وبلائه.

﴿ **ذلكم** ﴾ النصرةُ والغنيمةُ لكم ﴿ **وأنّ اللهَ موهن كيد الكـفرين** ﴾ مُضَعِّفٌ كيد الكافرين.

وقرئ: وأن الله بفتح الألف [٥] وكسرها[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٤٨) برقم (١٥٨٣٠) عن ابن اسحاق موقوف عليه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٢٦٩) رقم (١٨٠) عن ابن اسحاق قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة ابن الزبير باسناد حسن كما أشار إلى ذلك محقق الكتاب.

(٢) سورة الأنفال آية ١١.

(٣) قراءة شاذة ولم نجدها في مظانها.

(٤) هي القراءة المشهورة والموافقة لرسم المصحف.

(٥) هذه هي القراءة المشهورة الموافقة لرسم المصحف.

(٦) قراءة شاذة ولم أجد من قرأ بها ولم أقف عليها في مظانها.

فمن قرأ بكسر الألف فهو مردودٌ على قوله تعالى: ﴿ **إن الله سميعٌ عليمٌ ذلكم وأن اللهَ**﴾.

ومن قرأء بالنصب فعلى معنى: ذلكم بأن الله.

وقيل: محلُهُ نصبٌ بانتزاع الخافض.

﴿ **موهنُ كيدِ** ﴾ قُرِيء بالتشديد[1] والتخفيف[2] وبالإضافة والتنوين.

من قرأ بالتشديد فهو من وَهَّنَ يُوهِّنُ توهيناً.

ومن قرأ بالتخفيف فهو من أوهَنَ يوهِنُ إيهاناً نحو أوجل يوجِلُ إيجالاً.

ومن قرأ بالإضافة فهو يكون للماضي.

ومن قرأ بالتنوين فعلى أن كيدَ نَصْبٌ مفعولٌ ويكون للمستقبل. وكلاهما محتملٌ كقوله: ﴿ **إن الله بـلغٌ أمره** ﴾[3]، ﴿ **ومتم نورَه** ﴾[4] لأن الله قد أهان الكافرين فيما مضى / ويوهنهم فيما يستقبل. ١٩٥/ب

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الواو وتشديد الهاء، وتنوين النون مَوهِنٌ. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٣).

(٢) وقرأ حفص بإسكان الواو وتخفيف الهاء، من دون تنوين وبجر ﴿ **كيد الكـفرين** ﴾ بالإضافة، انظر نفس المصدر السابق.

وقرأ الباقون مثل حفص إلا أنهم نونوا، مَوهِنٌ ونصبوا ﴿ **كيد الكـفرين** ﴾. انظر المصدر السابق.

(٣) آية ٣ سورة الطلاق.

(٤) آية ٨ سورة الصف.

تسمية من قتل ببدر من الكفار

الأسود بن عبدالأسد، قتله حمزة[١].

وعتبة بن ربيعة،[٢] وشيبة بن ربيعة، قتلهما علي بن أبي طالب[٣].

وشيبة بن ربيعة، قتله حمزة[٤].

وأبو جهل، جاء برأسه ابن مسعود[٥].

أمية بن خلف[٦].

وعامر بن عبيدالله الأنماري، قتله علي بن أبي طالب[٧].

والنضر بن الحارث، قتله علي بن أبي طالب.

وطعمة بن عدي بن نوفل، قتله علي[٨].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٧١٢/١).

(٢) في سيرة ابن هشام الذي قتله عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب (٧٠٩/١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٩/١).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٩/١).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٧١٠/١).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٧١٣/١). قيل قتله رجل من الانصار.

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٩/١)، واسمه عامر بن عبدالله الانماري.

(٨) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٠٤/١٣) برقم (١٥٩٨٠) بسنده إلى سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبراً: «المطعم بن عدي، والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط» وقال ابن كثير في تفسيره (٥٨٧/٤، ٥٨٨) روي عن سعيد ابن جبير أنه قال المطعم بن عدي، بدل طعيمة. وهو غلط لأن المطعم بن عدي لم يكن حياً يوم بدر ، ولهذا قال رسول الله ﷺ يومئذ: لو كان المطعم بن عدي حياً، ثم سألني في هؤلاء النتنى، لوهبتهم له يعني الأسارى لأنه قد أجار رسول الله ﷺ يوم رجع من الطائف.

والعاص بن سعد[١] بن أمية.

والعاص بن هشام، قتلهما عمر بن الخطاب.

وعقبة بن أبي مُعَيط[٢].

وحنظلة بن أبي سفيان[٣].

ومنبه[٤].

ونبيه، إبنا الحجاج، والحارث بن الحضرمي[٥].

وعنتره [٦] بن أبي عمير، وابنه: المولبان لهم .

وعبيدة بن سعيد بن العاص، قتلهم الزبير بن العوام[٧].

والحارث بن عامر بن نوفل[٨].

وزَمْعَة بن الأسود[٩].

والحارث بن زمعة[١٠].

وعقيل بن الأسود[١١].

---

(١) كذا في الأصل وصحة الأسم: [العاص بن سعيد بن أميه]. انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٨/١). وقال بأن الذي قتله علي بن أبي طالب.

(٢) سبقت الإشارة إلى أنه قتل صبراً بأمر رسول الله ﷺ يوم بدر. ص٤٢ هامش (٨).

(٣) قال ابن هشام (٧٠٨/١): قتله زيد بن حارثه مولى رسول الله ﷺ .

(٤) قال ابن هشام (٧١٣/١): قتله أبو اليسر أخو بني سلمة، ونبيه بن الحجاج من بني سهم قتله حمزة بن عبدالمطلب وسعد بن أبي وقاص اشتركا فيه.

(٥) قال ابن هشام (٧٠٨/١): قتله النعمان بن عصر خليف للأوس.

(٦) كذا في الأصل وصحة اسمه عند ابن هشام (٧٠٨/١) عمير بن أبي عمير ولم يسم ابنه.

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٨/١).

(٨) في سيرة ابن هشام قتله فيما يذكرون خبيب بن إساف أخو بني الحارث بن الخزرج (٧٠٩/١).

(٩) قتله ثابت بن الجذع أخو بني حرام . انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٩/١).

(١٠) قتله عمّار بن ياسر. انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٩/١).

(١١) قتله حمزة وعلي بن أبي طالب اشتركا فيه. انظر المصدر السابق.

وأبو البختري بن هشام . قتلهم المجذر بن زياد الأنصاري[1].

ونوفل بن خويلد، قتله علي بن أبي طالب[2].

وعبيد بن الصلت[3].

وعمير بن عثمان بن عمير[4]، قتلهما على بن أبي طالب.

وعثمان بن مالك بن عبيدالله، قتله صهيب بن سنان[5].

ويزيد بن عبدالله[6].

وأبو مسافع الاشعري[7].

وحرملة بن عمرو، قتلهما علي بن أبي طالب[8].

ومسعود بن أبي أمية[9].

وأبو قيس بن الوليد[10]. قتلهما علي بن أبي طالب.

وأبو قيس بن الفاكه[11].

وأمية بن عائذ[12].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠٩).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) كذا في الأصل وعند ابن هشام اسمه : عبيد بن سليط حليف بنى عبدالدار (١/٧١٥).

(٤) صحة اسمه في سيرة ابن هشام (١/٧١٠): عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم.

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧١٠).

(٦) قتله عمار بن ياسر. انظر: سيرة ابن هشام (١/٧١١).

(٧) قتله أبو دجانة الساعدي. انظر المصدر السابق.

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧١١)، وقيل: قتله خارجة بن زيد بن أبي زهير.

(٩) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧١١).

(١٠) قتله حمزة بن عبدالمطلب . انظر: المصدر السابق.

(١١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧١١).

(١٢) لم أقف عليه .

ورقاعة بن أبي رفاعة[١].

وأبو[٢] المنذر بن أبي رفاعة، وإبنه: عبدالله . قتلهم علي بن أبي طالب[٣].

وصيفى بن عائذ[٤].

وعمرو بن سفيان[٥].

وحيان بن سفيان[٦].

وحاجب بن السائب[٧].

وعويمر بن السائب[٨].

والعاص بن منبه.

وأبو العاص بن قيس. قتلهم علي بن أبي طالب[٩].

وعائذ بن أبي عوف[١٠].

وعلي بن أمية بن خلف[١١]. قتلهما عمّار بن ياسر.

وأوس بن المغيرة[١٢].

---

(١) قتله سعد بن الربيع. انظر: سيرة ابن هشام (٧١١/١).

(٢) هكذا في الأصل والصواب: المنذر بن أبي رفاعة. انظر: سيرة ابن هشام (٧١١/١). وقال: بأن الذي قتله معن بن عدي بن الجدّ.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) قتله يزيد بن رقيش. انظر: سيرة ابن هشام (٧١٢/١).

(٦) كذا اسمه في الأصل، وفي سيرة ابن هشام اسمه: جابر بن سفيان وقتله أبو بردة بن نيار (٧١٢/١).

(٧) انظر المصدر السابق.

(٨) قتله النعمان بن مالك القوقلي. انظر: سيرة ابن هشام (٧١٢/١).

(٩) انظر: سيرة ابن هشام (٧١٣/١).

(١٠) لعله عاصم بن أبي عوف وقيل عاصم بن عوف . انظر: سيرة ابن هشام (٧١٣/١).

(١١) انظر: سيرة ابن هشام (٧١٣/١).

(١٢) كذا في الأصل وصحة الاسم عند ابن هشام (٧١٣/١): وأوس بن معير بن لوذان بن سعد.

ومعوية[1]

ومعبد بن وهب[2] قتلهم علي بن أبي طالب.

(١) إسمه معاوية بن عامر انظر المصدر السابق.

(٢) قتله خالد وإياس ابنا البكير ويقال: أبو دجانة. انظر: سيرة ابن هشام (١/٧١٤).

تسمية أسارى يوم بدر

العباس بن عبدالمطلب[١].

وعقيل بن أبي طالب[٢].

ونوفل بن الحارث[٣].

والسائب بن عبيد[٤].

ونعيم بن عمرو[٥].

والحارث بن أبي وجزة[٦].

وعمرو بن أبي سفيان بن حرب[٧].

وأبو العاص بن الربيع[٨].

وأبو العاص بن نوفل[٩].

وأبو ريشة بن أبي عمرو[١٠]

وعقبة بن الحارث[١١].

(١) ذكره ابن سيد الناس ضمن الأسرى. انظر: عيون الأثر (٣٤٢/١).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٢).
(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٢).
(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٢).
(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٢).
(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٤/٢).
(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٤/٢).
(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٤/٢).
(٩) انظر: سيرة ابن هشام (٤/٢).
(١٠) انظر: سيرة ابن هشام (٤/٢).
(١١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/٢).

وعدي بن الخيار[١].

وعثمان بن عبدالشمس [٢].

وأبو ثور وأبو عزيز بن عمير[٣].

والأسود بن عامر[٤].

والسائب بن أبي حبيش[٥].

والحارث بن عائذ بن عثمان[٦].

وسالم بن شماخ[٧].

وخالد بن هاشم بن المغيرة[٨].

وأمية بن أبي حذيفة[٩].

والوليد بن الوليد[١٠].

وعثمان بن عبدالله بن المغيرة[١١].

وصيفي بن أبي رفاعة[١٢].

وأبو المنذر بن أبي رفاعة[١٣].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤).

(٢) صحة الاسم: عثمان بن عبدشمس. انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥).

(٧) صحة الاسم: خالد بن هشام بن المغيرة. انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥).

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥).

(٩) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥).

(١٠) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥).

(١١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥).

(١٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥).

(١٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥).

والمطلب بن حنظب[١].

وخالد بن الأعلم[٢].

وأبو وداعة بن ضُبيرة[٣].

وفروة بن قيس[٤].

وحنظلة بن قبيصة[٥].

والحجاج بن الحارث[٦].

وعبدالله بن أُبيّ بن خَلَف[٧].

وأبو عَزّة عمرو بن عبدالله[٨].

ووهب بن عمير[٩].

وربيعة بن درّاج[١٠].

والفاكه بن جرول[١١].

وسُهْيل بن عمرو[١٢].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥)، واسمه المطلب بن حنطب (بالمهملة)بن الحارث.

(٢) انظر: ابن هشام (٢/٥).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٥).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦).

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦).

(٩) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦).

(١٠) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦).

(١١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦).

(١٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦).

١٩٦/أ

وعبدالله بن ربيعة[1].

وعبدالرحمن بن وقدان[2].

والطفيل بن أبي قنيع[3].

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٦/٢).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٦/٢).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٧/٢).

تسمية من شهد بدرا مع رسول الله ﷺ وعددهم من المهاجرين والأنصار وحلفائهم وسائر الناس

شهد بدراً مع رسول الله ثلاثمائةٍ وثلاثة عشر رجلاً.

منهم: من المهاجرين: سبعةٌ وسبعون.

ومن الأنصار: مائتان وستة وثلاثون رجلاً.

فأما بني هاشم: فثمانية رجال[1]، ومن بني عبدالمطلب: إثنا عشر رجلا[2]، ومن بني عبدشمس: أربعة[3]، ومن حلفائهم: سبعة[4]، ومن حلفائهم من وجه آخر: أربعةٌ، فجميع ذلك خمسةٌ وثلاثون رجلاً.

ومن بني نوفل: رجلان[5].

ومن بني أسد: ثلاثة نفر[6].

ومن بني عبدالدار: رجلان[7].

ومن بني زهرة: سبعة نفر[8].

ومن بني تيم بن مُرَّة بن كعب: خمسة نفر[9].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٦٧٧/١). قلت قوله [فأما بني هاشم] فهو خطأ والصواب فأما بنو هاشم.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٦٧٨/١).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٦٧٩/١).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٠/١).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٠/١).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٠/١).

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨١/١). وقال: ثمانية نفر.

(٩) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٢/١).

ومن بني مخزوم: خمسة نفر[١].

ومن بني عدي بن كعب: ثلاثة عشر رجلا[٢].

ومن بني جُمَحْ: خمسة نفر[٣].

ومن بني سهم: رجلٌ واحد[٤].

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: خمسة نفر[٥].

ومن بني فِهْر: خمسة رجل[٦].

تم أسماء المهاجرين.

ومن الأنصار:

من بني عبدالأشهل: ثلاثةَ عشر رجلاً[٧].

ومن بني ظفر: خمسة نفر[٨].

ومن بني الحارث: ثلاثةُ نفر[٩].

ومن بني عمرو بن عوف: ستةُ نفر[١٠].

ومن بني أمية بن زيد: ثمانية نفر[١١].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٣/١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٤/١). وقال: أربعة عشر رجلاً.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٤/١).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٤/١).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٥/١). كذا في الأصل والصواب: [خمسة رجال].

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٥/١). وبنو فهر هم: بنو الحارث بن فهر.

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٦/١).

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٧/١).

(٩) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٧/١).

(١٠) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٨/١).

(١١) انظر: سيرة ابن هشام (٦٨٨/١).

ومن بني عبيد: أربعة نفر[١].

ومن بني ثعلبة: سبعة نفر[٢].

ومن بني عوف: رجلان[٣].

ومن بني غَنم: خمسة نفر[٤].

ومن بني معاوية: ثلاثة نفر[٥].

فهؤلاء الذين ذكرناهم من الأوس.

ومن الخزرج:

من بني الحارث: أربعة نفر[٦].

ومن بني زيد: ستةُ نفر[٧].

ومن بني جُشم: أربعة نفر[٨].

ومن بني عوف: أربعةُ نفر[٩].

ومن بني جَرارة: رجلان[١٠].

ومن بني مالك: رجلان[١١].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٨٩).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩٠).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩٠).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩٠)

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩١).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩١).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩١).

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦٩٢).

(٩) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩٣).

(١٠) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩٢).

(١١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩٢).

ومن بني غَطْفَان: سبعة نفر[١].

ومن بني سالم بن عوف: رجلٌ[٢].

ومن بني أصرم: رجلان[٣].

ومن بني عدي: رجل[٤].

ومن بني غنم بن سالم: رجل[٥].

ومن بني لوذان بن غُنْم: ثلاثة نفر[٦].

ومن خلفائهم: خمسة نفر[٧].

ومن بني ساعدة: رجلان[٨].

ومن بني عامر: رجلان[٩].

ومن بني طريف: خمسة نفر[١٠].

ومن بني جُشْم بن الخزرج: عشرةُ نفر[١١].

ومن بني النعمان: أربعة نفر[١٢].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٦٩٣/١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٦٩٤/١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٦٩٤/١).

(٤) كذا في الأصل وعند ابن هشام (بنى دعد) (٦٩٤/١).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٦٩٤/١).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٦٩٤/١).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٦٩٥/١).

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٦٩٦/١).

(٩) انظر: سيرة ابن هشام (٦٩٦/١).

(١٠) انظر: سيرة ابن هشام(٦٩٦/١).

(١١) انظر: سيرة ابن هشام (٦٩٦/١).

(١٢) انظر: سيرة ابن هشام (٦٩٨/١).

ومن بني خُناس: ثمانية نفر[١].
ومن بني سواد: أربعةُ نفر[٢].
ومن بني عَدِيّ: تسعةُ نفر[٣].
ومن بني زُرَيق: سبعةُ نفر[٤].
ومن بني خالد: خمسةُ نفر[٥].
ومن بني النجار: رجلان[٦].
ومن بني بياضةَ: أربعة نفر[٧].
ومن بني أمية: ثلاثةُ نفر[٨].
ومن بني غنم: رجلان[٩].
ومن بني عبيد: ثلاثة نفر[١٠].
ومن بني زيد: ثلاثة نفر[١١].
ومن بني زيد بن ثعلبة: عشرة نفر[١٢].
ومن بني عامر: ثلاثة نفر[١٣].

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩٨).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩٩).
(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠٤).
(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠٠).
(٥) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠٠).
(٦) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠١).
(٧) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠٠).
(٨) انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٩٢).
(٩) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠٥).
(١٠) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠٢).
(١١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠٢).
(١٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠٣).
(١٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/٧٠٣).

ومن بني عمرو: رجلان[١].

ومن بني عدي بن عمرو: ثلاثةُ نفر[٢].

ومن بني عدي بن النجار: سبعة نفر[٣].

ومن بني جزام: أربعة نفر[٤].

ومن بني مازن: ثلاثة نفر[٥].

ومن بني منذر: ثلاثةُ نفر[٦].

ومن بني ثعلبة: رجل[٧].

ومن بني دينار بن النجار: خمسةُ نفر[٨].

ومن بني قيس: رجلان[٩].

وقال حسان بن ثابت في قتلى بدر يذكرهم عند موتهم:

لو أنهم في قومهم تركوا ... في جحيم الله قد وردوا

لو خلدوا ... كانوا شرار الناس

واستجاب الواحدُ الصمدُ ... قد قتلناهم على مهل

قوله: ﴿ إن تستفتحوا فقد جآءكم الفتح ﴾ اختلفوا في نزول هذه الآية من وجهين:

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٣/١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٤/١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٤/١).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٥/١).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٥/١).

(٦) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٥/١).

(٧) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٥/١).

(٨) انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٥/١).

(٩) انظر سيرة ابن هشام (١/٣٠٧).

أحدهما: قال السدي: وذلك أن المشركين حين جاءوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة فأستنصروا الله وقالوا: اللهم انصر أعلى الجُندْين وأكرمَ الفريقين، فاستجاب اللهُ دعاءهم وأنزل هذه الآية يعني: فقد / نصرت وفعلت ما قلتم وهو محمدٌ وأصحابه[1]. ١٩٦/ب

قال ابن زيد: وذلك أنهم استفتحوا العذاب فعذبوا يوم بدرٍ، وكان استفتاحهم بمكة قولهم: ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحقَ من عندك فأمطرْ علينا حجارةً من السمآء أو اتينا بعذاب اليم** ﴾ فاستجاب اللهُ دعاءهم وجاءهم العذاب يوم بدر[2].

وقال مجاهد: إن المشركين قالوا: ﴿ **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق** ﴾ بين محمد وأصحابه[3] بالحق، ففتح بينهم يوم بدر، فذلك قوله: ﴿ **إن تستفتحوا** ﴾ وهذا الخطاب للكافرين.

قال ابن عباس: ﴿ **إن تستفتحوا** ﴾ أي تستنصروا ﴿ **فقد جآءكم الفتح** ﴾ والنصرة لمحمد وأصحابه[4].

قال الضحاك: ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء[5].

قال الاستاذ ابن حبيب: فيه إضمارٌ معناه: ﴿ **إن تستفتحوا فقد جآءكم الفتح** ﴾ عليكم لا لكم[6]، ﴿ **فإن تنتهوا** ﴾ عن الكفر والقتال ﴿ **فهو خير لكم** ﴾ من الكفر والقتال والإنتهاء: ترك الفعل لأجل النهي.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٥٣/١٣) برقم (١٥٨٤١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٥٣/١٣) برقم (١٥٨٤٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٥١/١٣) برقم (١٥٨٣٥).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري (٤٥١/١٣) برقم (١٥٨٣٣).

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٥٠/١٣) برقم (١٥٨٣١).

(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١/أ).

﴿وإن تعودوا نَعُدْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن تعودوا إلى قتالِ محمدٍ يَعُد إلى قتلكم وهزيمتكم مثلَ يوم بدر.

والثاني: قال الأستاذ ابن حبيب: إن تعودوا للإستفتاح نَعُد لفتح لمحمد[1].

﴿ ولن تغنَى عنكم فئتكم ﴾ جماعتكم ﴿ شيئاً ﴾ من عذاب الله ﴿ ولو كثرت﴾ في العدد.

وُقرِيء ﴿ ولن تغنى ﴾ بالتاء والياء[2]، فالتاء لتأنيث الفئة، والياءُ لتقديم الفعل على الاسم.

وقرأ أبو عبدالرحمن السلمي: ولن تُغْنِيَ بإرسال الياء[3]، وقرأ الباقون بفتح الياء.

ومن قرأ بإرسال الياءِ فمعناه: لا يُغني.

ومن قرأ بفتح الياء فبلن، ولن تنصب المستقبل، وكذلك في سورة آل عمران قرأه أبو عبدالرحمن السلمي ﴿ لن تغنى ﴾[4] بإرسال الياء ﴿ فئتكم ﴾ قرىء بالوجهين: فئاتكم[5] بالألف بعد الهمزة، وترك الألف فمن أثبت الألف فأراد به الجمع، وهو جمعُ الفئة، ومن أسقط الألف فعلى الواحد.

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق: ١١١/أ). واللام ساقطة من الأصل، وهي مثبته في تفسير ابن حبيب.

(٢) بالياء قراءة شاذة قرأ بها يحيى وإبراهيم. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (٤٩)، وذكرها أبو حيان في البحر المحيط (٤٧٩/٤). دون تسمية من قرأ بها.

(٣) انظر: الإعراب للنحاس (٣١٣/١)، والبحر المحيط (٣٨٧/٢).

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولآ أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار ﴾ سورة آل عمران ١٠.

(٥) قراءة شاذة لم أقف على من قرأ بها ولم أجدها في مظانها.

﴿ وأنّ الله مع المؤمنين ﴾ بالنصرة والعون، قرئ بالوجهين: بالفتح[١]، والكسر[٢]، فالكسر على الاستئناف، والفتح على أن معناه: ﴿ ولو كثُرت ﴾ لأن الله، أو عطفٌ على قوله: ذلكم وأن الله موهنُ، وأن الله مع المؤمنين .

قال المصنف: سمعت الأستاذ أبا بكر بن فُورَك يقول: كل ما وجدت ﴿ معَ ﴾ في قصة الأنبياء فهو بمعنى القربة[٣] كقوله: ﴿ إن الله معنا ﴾[٤] و ﴿ إن معى ربى سيهدين ﴾[٥]،وكلما وجدت في قصة العامة فهو بمعنى العلم كقوله: ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ﴾[٦] أي عالم بهم وكقوله: ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾[٧] وهو عالم بكم أين ما كنتم، وكقوله: ﴿ ما يكون من نجوىٰ ثلٰثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولآ أدنى من ذلك ولآ أكثر إلا هو معهم ﴾[٨] يعني عالماً بهم. وكل ما وجدت في قصة المؤمنين فهو بمعنى النصرة.

قوله: ﴿ يـٰأيها الذينءامنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾ في أمر الصلح ﴿ ولا تَوَلَّوا

(١) قرأ بالفتح نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر. انظر: التذكره لابن غلبون (٤٣٣)، والتبصرة لمكي (٥٢٣)، والتذكرة في القراءات الثلاثة المتواترة لمحمد سالم محيسن (١/٢٣٣).

(٢) وقرأ بالكسر باقي السبعة يعقوب وخلف وابن مسعود رضى الله عنه. انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٣٣)، والتبصرة لمكى (٥٢٣)، والبحر المحيط (٤/٤٧٩)، والتذكرة في القراءات الثلاثة المتواترة لمحمد سالم محيسن (١/٢٣٣).

(٣) ذكر ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٥/١٢٦): «أن الله مع العباد عموماً بعلمه ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية وهو أيضاً قريب مجيب»أهـ. كما ذكر أيضاً أن قرب الله من عباده لا يكون في كل الأحوال وإنما في أحوال دون أحوال كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة. انظر: الفتاوى المجلد الخامس ما بعد الصفحة المشار إليها أعلاه.

(٤) سورة التوبة ٤٠.

(٥) الشعراء ٦٢.

(٦) النساء ١٠٨.

(٧) آية ٤ سورة الحديد.

(٨) آية ٧ سورة المجادلة.

عنه ﴾ فيه قولان:

قال ابن عباس: لا تدبروا ﴿ **عنه** ﴾ عن أمر الله ورسوله[1].

وقال محمد بن إسحاق بن يسار[2]: ولا تخالفوا أمره[3] ﴿ **وأنتم تسمعون** ﴾ مواعظ القرآن وأمر الصلح[3]، ﴿ **ولا تكونوا** ﴾ يا معشر المؤمنين في المعصية./ ١٩٧/أ

وقيل: في طاعة ﴿ **الذين قالوا** ﴾ سمعنا وأطعنا وهم بنو عبدالدار النضر بن الحارث وأصحابه ﴿ **سمعنا** ﴾ سمع العلم والفهم والقول ﴿ **وهم لا يسمعون** ﴾.

فإن قيل: كيف قال: سمعنا وهم لا يسمعون؟

فيه جوابان:

أحدهما: أن السمع الأخير بمعنى الطاعة معناه: وهم لا يطيعون.

الثاني: أنهم لم ينتفعوا بالمسموع فجعلهم بمنزلة من لم يسمع.

قوله: ﴿ **إنّ شرَّ الدوآبِّ عند الله الصمُّ البُكْمُ** ﴾ اختلفوا في نزول هذه الآية من ثلاثة أوجه:

أحدها: قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في المشركين وهم بنو عبدالدار[4]. مثلُ: النضر بن الحارث، والحارثُ بن علقمة، وطلحة بن عثمان، ومسافعٌ، وابن الجلاس،

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١١/أ).

(٢) هو: محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي مولاهم المدني إمام المغازي صاحب السيرة المعروف مات سنه (١٥٠هـ). انظر: التقريب (٢/١٤٤).

(٣) خرّجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٥٧) برقم (١٥٨٥٢).

(٤) هذا الأثر في صحيح البخاري كتاب التفسير باب: إن شر الدواب رقم الحديث (٤٦٤٦) بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم نفر من بني عبدالدار، وفتح الباري (٨/٣٠٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/٤٦٠) رقم الأثر (١٥٨٦١)، والثعلبي في تفسيره (ق: ٦١/أ)، (٤٠/ب)

وأبي سعدٍ، والحارث، والقاسط، وابن شريح، وأرطاة بن شرحبيل.

وقال الحسن: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب(١).

وقال محمد بن إسحاق: نزلت هذه الآية في المنافقين(٢).

والصحيح ما قاله ابن عباس، لأن الآية نزلت قبل ذلك فيهم فذلك قوله: ﴿ **إن شر الدوآب** ﴾. أي إن شر الخلق والخليقة عند الله، وإنما سماهم شر الخليقة لأنه ما من قبيلة من العرب إلا وقد أسلموا وآمنوا بمحمد إلا بنو عبدالدار فإنه لم يسلم منهم إلا رجلان(٣): مصعب بنُ عمير، وتُميط(٤) بنُ حرملة. فلهذا سماهم شر الخلق والخليقة.

والشرُ: أظهار السوء الذى يبلغ من صاحبه.

والشرُ: نقيض الخير أي ضدُّهُ، وأصله: الاظهار كما يقال شر الرجلُ يشر شُرُوراً يعني إذا أظهر الشرَّ عن نفسه، وشررتُ الثوب أي بسطته.

والدابة: [ما](٥) دبت على وجه الأرض تدبُّ دبيباً فبيّنَ أن هؤلاء الكفار شرُ حيوان دبوا على وجه الأرض عند الله.

﴿ **الصمُ** ﴾ عن سماع الحق ﴿ **البُكْمُ** ﴾ عن الكلام في الحق ﴿ **الذين لا يعقلون** ﴾ أمرَ اللهِ وتوحيدَه.

---

(١) لم أقف عليه عن الحسن ، وذكر ابن الجوزي في تفسيره (٣/٣٣٧): في رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في اليهود ، قريظه والنضير.

(٢) خرّجه ابن جرير الطبري عن ابن اسحاق (١٣/٤٦١) برقم (١٥٨٦٢)، وانظر: زاد المسير (٣/٣٣٧).

(٣) قول المؤلف هذا ليس بدقيق فقد ذكر ممن هاجر إلى الحبشه مصعب وأخوه أبو الروم بن عمير . انظر: عيون الأثر (١/١٤٥).

(٤) كذا في الأصل وهو تصحيف والصواب سويبط وهو ابن حرمله بن سعد بن حرملة بن مالك بن عبدالدار، أسلم قديماً وقيل: هاجر إلى الحبشه . انظر: أسد الغابة (٢/٤٨٧)، والإصابه (٢/٦٧).

(٥) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل والسياق يقتضي اثباته.

والصمُ آفةٌ تمنعُ من السمع، والبكم جمعُ الأبكم، والبكمُ الخَرَسُ الذي يولدُ عليه صاحبُه.

والخرسُ الذى لا يولدُ عليه[1].

قوله: ﴿ **ولو عَلِمَ اللهُ فيهم خيراً لأسمَعَهُمْ** ﴾ هذه الآيةُ من مشكلات القرآن الواضح، ﴿ **ولو عَلِمَ الله فيهم خيراً** ﴾ في بني عبدالدار خيراً سعادةً ﴿ **لأسمعهم** ﴾ لأكرمهم بالإيمان، ﴿ **ولو أسمعهم** ﴾ أكرمهم بالإيمان ﴿ **لتولوا** ﴾ عن الإيمان لعلم اللهِ فيهم ﴿ **وهم معرضون** ﴾ مكذبون.

واختلفوا في معناها من خمسة أوجه:

أحدها: قال ابن جريج: ﴿ **ولو علم الله فيهم خيراً** ﴾ الإيمان ﴿ **لأسمعهم** ﴾ ﴿**ولو أسمعهم**﴾ لقالوا: ﴿ **ائت بقرءان غير هذا** ﴾[2] ولقالوا: ﴿ **لولا اجتبيتها** ﴾[3] ولو جاءهم بقرآن غيره ﴿ **لتولوا وهم معرضون** ﴾[4].

والثاني: قيل: العلمُ بمعنى الاثبات، معناه: ولو أثبت الله فيهم خيراً الإيمان لأسمعهم ، ﴿ **ولوأاسمعهم** ﴾ ولم يثبت الله فيهم خيراً ﴿**لتولوا وهم / معرضون**﴾ . ١٩٧/ب

والثالث: معناه: ولو رزقهم الله الفهم[5] بما أنزله على رسوله لاسمعهم، ولو أسمعهم لم يؤمنوا، لأن حكم الله عليهم أنهم لا يؤمنون.

---

(١) قال القرطبي في الجامع لاحكام القرآن (٢/٢٠٤/١): الأبكم الذي لا ينطق ولا يفهم ، فإذا فهم فهو الأخرس.

(٢) آية ١٥ سورة يونس.

(٣) آيه ٢٠٣ سورة الأعراف.

(٤) خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٦٢/١٣) برقم (١٥٨٦٣).

(٥) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٣٣٨/٣) هذا القول ونسبه إلى أبي سليمان الدمشقي.

والرابع: قيل معناهُ: ﴿ **ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم** ﴾ أي لأجابهم إلى ما سألوهُ من إحياء الموتى وتكليمه إياه بحقيقة نبوتك[1] ﴿ **ولو أسمعهم** ﴾ ذلك من موتاهم بعد إحياء الله إياهم ﴿ **لتولوا** ﴾ أي ما آمنوا لجريان قضاءِ الله عليهم بالكفر كما قال: ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملـئكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كلَّ شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشآء الله** ﴾[2].

والخامس: قال الحسين بن الفضل: معنى الآية: ولو أسمعهم لسمعوا ثم تولوا بعد ذلك معرضين عما سمعوا وعاقبهم على الكفر بعد السمع لعلم الله فيهم أنهم يدومون على الكفر[3].

قوله: ﴿ **يـأيها الذين ءامنوا** ﴾ يعني أصحاب محمد ﷺ : ﴿ **استجيبوا لله وللرسول** ﴾ أجيبوا بالطاعة لهما ﴿ **إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ إلى ما يحييكم .

قال الأستاذ بن فورك: ﴿ **لما يحييكم** ﴾ معناه: إلى الحرب ومقاتلة العدو لأن فيه سبب حياتكم[4] وهو راجع إلى قوله: ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أموتاً بل أحيآء عند ربهم يرزقون** ﴾[5].

قال قتادة: معناه: إذا دعاكم إلى ما في القرآن ، لأن هذا القرآن منه الحياة والنجاة

(١) حكاه الماوردي في تفسيره (٢/٣٠٧) ونسبه إلى بعض المتأخرين .

(٢) آية ١١١ سورة الأنعام.

(٣) لم أقف على قول الحسين بن الفضل عند غير المؤلف.

(٤) خرج ابن جرير(١٣/٤٦٥) برقم (١٥٨٧١٠) بسنده إلى ابن اسحاق، ﴿ **يـأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ أي: للحرب الذي أعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بعد الضعف ... وانظر: تفسير الثعلبي (ق:٤٠/ب).

(٥) آية ١٦٩ سورة آل عمران.

والعفة في الدنيا والآخرة[1].

قال ابن عباس: اذا دعاكم لمثل ما يصلحكم[2] بالعمل.

وقيل: ﴿ **إذا دعاكم إلى** ﴾ ما يكرمكم ويعزكم به في الدنيا والآخرة.

قال القُتَيبي[3]: معناه: ﴿ **لما يحييكم** ﴾ لما يبقيكم، يعني الشهادة[4] وقرأ قوله: ﴿**بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون**﴾[5].

وروى العلاء[6] عن أبيه عن أبي هريرة قال: مر رسول الله ﷺ على أُبيّ وهو يصلي فقال: يا أُبيّ فالتفت إليه أُبيّ ولم يجبه، ثم انصرف من الصلاة، فأتى النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله فقال: وعليك السلام ، ما منعك من إجابتي إذ دعوتك قال: كنت أُصلي. قال: ألم تجد فيما أوحي إلي ﴿ **استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ قال: لا جرم لا تدعوني إلا أجبت الاشارة.[7]

قال بعضهم: استجيبوا لله بسرائركم وللرسول بظواهركم إذا دعاكم لما يحييكم حياة النفوس بمتابعة الرسول، وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحياء من

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (١٣/٤٦٤، ٤٦٥) برقم (١٥٨٧٢) ، وابن أبي حاتم (٢٩٠) رقم (٢١٦)، وانظر: تفسير الثعلبي مخطوط (ق:٤٠/ب).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٢/أ).

(٣) هو: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري له تصانيف كثيرة منها: تفسير غريب القرآن ، ومشكل القرآن توفي سنة (٢٧٦هـ).انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٠/١٧٠)، وإنباه الرواة (٢/١٤٣)، وشذرات الذهب (٣/٣١٨).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (ق:٤٠/ب)، والبغوي (٢/٢٤٠).

(٥) سورة آل عمران آية ١٦٩.

(٦) وقع في المخطوط [المعلى] والصواب ما أثبته وذلك من واقع سند الرواية للحديث كما في مسند أحمد وغيره الآتي ذكره فقرة (٧).

(٧) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٢/٤١٢، ٤١٣)، والترمذي في مسنده (٨/١٧٨)- تحفة الأحوذي، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/٤٦٦، ٤٦٧) برقم (١٥٨٧٤، ١٥٨٧٥)، والثعلبي في الكشف (ق:٤٠/ب)، وأخرج البخاري في كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في فاتحة الكتاب (٥/١٤٦) من حديث أبي سعيد بن المعلى مثله.

الله برؤية التقصير.

قال ابن عطاء: في هذه الآية: الإستجابة على أربعة أوجه:

أولها:إجابة التوحيد.

والثاني: إجابة التحقيق.

والثالث: إجابة التسليم.

والرابع: إجابة التقريب.

﴿ واعلموا ﴾ يا معشر المؤمنين **﴿ أن الله يَحُولُ بين المرء وقلبه ﴾** .

قال سعيد بن جبير: معناه: أن الله يحول بين المؤمن أن يكفر، وبين الكافر ان يؤمن[1].

قال الضحاك: يحول بين المؤمن والمعصية، وبين الكافر والطاعة[2].

قال مجاهدٌ: يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل[3].

قال السدّي: يحول بين المرء وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإرادته[4].

وقيل: **﴿ يحول بين المرء وقلبه ﴾** يعني وبين ما في قلبه.

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢٥٧)، وابن جرير الطبري (١٣/٤٦٨) برقم (١٥٨٧٦)، والثعلبي في الكشف (ق/٤١/أ)، والبغوي (٢/٢٤١).

(٢) اخرجه عبدالرزاق في تفسيرة (٢/٢٥٧)، وابن جرير الطبري (١٣/٤٦٨، ٤٦٩)برقم (١٥٨٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٢٩٦، ٢٩٧) برقم (٢٢٩)، والثعلبي في الكشف (ق:٤١/أ)، والبغوي (٢/٢٤١).

(٣) خرّجه ابن جرير الطبري (١٣/٤٧٠) برقم (١٥٨٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره ص:٢٩٥ برقم (٢٢٢، ٢٢٣)، والثعلبي في الكشف (ق:٤١/أ)، والبغوي (٢/٢٤١).

(٤) خرّجه ابن جرير الطبري (١٣/٤٧١) برقم (١٥٩٠١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٢٩٦) برقم (٢٢٨)، والثعلبي في الكشف (ق:٤١/أ، ب)، والبغوي (٢/٢٤١).

قال ابن حبيب: رأيت في بعض التفاسير: يحول بين المرء وبين مراده لأن الأجل حائل دون الأمل[١].

قال ابن فورك: يحول بين المرء وقلبه بالموت أو غيره من الآفات ومعناه . وقيل: أن الله يحول بين المرء وقلبه والإيمان، وبين الكافر والكفر يردهما إلى الذى سبق منهما منّا في الأزل[٢].

وقريء بين المرء من ثلاثة أوجه:
بين المرء بفتح الميم والهمزة[٣].
وبفتح الميم وتشديد الراء غير مهموز[٤].
وبين المرء بضم الميم مهموز[٥].
وهي لغات.

﴿ وأنه ﴾ في الكناية قولان:

أحدهما: ان الهاء نصبٌ اسم أن، ومعناه: وإن الحشر إلى الله تحشرون.

وقيل: الهاء راجعٌ إلى الله فيجزيكم بأعمالكم أي وفق . وهذا يجوز في الكناية ﴿إليه﴾ إلى الله في الآخرة ﴿تحشرون ﴾ فيجزيكم بأعمالكم .

قوله: ﴿ واتقوا فتنةً ﴾ نزلت هذه الآية في أصحاب محمدٍ: في عليٍ وعثمان

---

(١) انظر: تفسيره (ق:١٢/أ).
(٢) الضمير يعود على الإيمان والكفر.
(٣) انظر: البحر المحيط (٤/٤٨٢).
(٤) المصدر السابق.
(٥) قال ابن حبيب (ق:١٢/أ): قرأ بها الزهري ولم أجدها عند غيره.

وطلحة والزبير وذلك أنه وقع فيما بينهم فتنةٌ وخصومةٌ وقتالٌ فأنزل اللهُ: ﴿ **ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً على سُرر متقبلين** ﴾ وأنزل فيهم: ﴿ **واتقوا** ﴾ يا أصحاب محمدٍ ﴿ **فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خآصّةً** ﴾[1]. وفيه تأويل الجزاء.

وتقديره: ﴿ **واتقوا فتنةً** ﴾ إن لم تتقوها تصبكم[2] يعنى الفتنة ﴿ **الذين ظلموا** ﴾ يعني الظالم والمظلوم ﴿ **منكم خآصةً** ﴾ عامة، ﴿ **واعلموا** ﴾ يا أصحاب محمد ﴿ **أن الله شديد العقاب** ﴾ إذا عاقب فعقابه شديدٌ، وهذا تحذيرٌ من الله، ووعيدٌ لمن واقع الفتنة التي حذر منها.

وفي حرف عبدالله: ﴿ **واتقوا فتنة أن تصيب الذين ظلموا** ﴾[3].

وقرأ ابن الزبير: ﴿ **واتقوا فتنة لتصيب الذين ظلموا** ﴾[4].

الإصابة: إيقاع على حسب الإرادة.

ونقيض الإصابة: الخطأ.

وروى حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم [وتجتلدوا][5] بأسيافكم ويرث دنياكم شراركُم[6]».

وروي عن الحسن عن أبي بكرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار جميعاً قيل: يا رسول الله

---

(١) خرّجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٧٣) برقم (١٥٩٠٣) عن الحسن رحمه الله تعالى. وانظر: تفسير الثعلبي (ق:٤٢/أ).

(٢) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (ق:٤٢/أ).

(٣) انظر: البحر المحيط (٤/٤٨٤).

(٤) البحر المحيط (٤/٤٨٤)، ونسبها للزبير وليس لابنه.

(٥) وقع في المخطوط «تجتدلوا» والتصويب من كتب الحديث.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٥/٣٨٩)، والترمذي في سننه (٦/٣٩١) – تحفة الاحوذي، وحسنه، وابن ماجه في سننه (٢/١٣٤٢) رقم (٤٠٤٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/٣٩١).

هذا القاتل فما ذنب المقتول قال: كان حريصاً على أن يقتل صاحبه»[١].

وقال أبو هريرة عن رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بالقبر فيقول: يا صاحب القبر يا ليتني مكانك»[٢].

قوله: ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليلٌ مُستَضعَفون في الأرض** ﴾ .

قال عكرمة: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ ومن تابعه من قريش وحلفائهم ومواليهم قبل الهجرة[٣].

وقال عبدالعزيز بن يحيى[٤]: نزلت هذه الآية في عنفوان الإسلام قبل أن تكملوا أربعين[٥].

قال الكلبي: نزلت / هذه الآية يوم بدر[٦] بعد قتال المشركين وذلك في المهاجرين ١٩٨/ب خاصة فأنزل الله: ﴿ **واذكروا** ﴾ يا معشر المهاجرين ﴿ **إذ أنتم قليلٌ** ﴾ من العدد ﴿**مستضعفون** ﴾ مقهورون ذليلون ﴿ **في الأرض** ﴾ أرض مكة ﴿**تخافون أن**

---

(١) أخرجه النسائي في سننه (١٢٥/٧) برقم (٤١٢٠، ٤١١٢). والحديث أخرجه البخاري (٨٤/١، ٨٥) برقم (٣١)، ومسلم (٢٢١٣/٥) برقم (٢٨٨٨) عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن أبي بكرة.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤/١٣، ٧٥) برقم (٧١١٥)، ومسلم (٢٢٣١/٥) برقم (١٥٧) عن أبي هريرة.

(٣) خرّجه الطبري في تفسيره (٤٧٧/١٣) برقم (١٥٩١٤).

(٤) هو: عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز الكناني المكي، فقيه مناظر كان من تلاميذ الشافعي قدم بغداد أيام المأمون فجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن، له تصانيف عديدة قيل منها الحيدة توفي سنة (٢٤٠هـ).

انظر: تهذيب التهذيب (٣٦٣/٦)، وتقريب التهذيب (٥١٣/١)، وميزان الاعتدال (٦٣٩/٢)، والأعلام (٢٩/٤).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٣/أ)، وعنفوان كل شيء أوله. انظر: اللسان: مادة: (عنف) وعنفوان الإسلام بدايته

(٦) خرّجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٥٨/٢/١)، والطبري في تفسيره (٤٧٧/١٣) برقم (١٥٩١٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٠٥) برقم (٢٩٢)، والبغوي (٢٢٢/٢).

يتخطفكم الناس ﴾ أن يطردكم أهل مكة ويأسروكم ﴿ **فئاوىكم** ﴾ بالمدينة ﴿**وأيدكم** ﴾ قواكم وأعانكم ﴿ **بنصره** ﴾ يوم بدر ﴿ **ورزقكم من الطيبٰت** ﴾ من الغنائم ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ لكي تشكروا نعمته بالنصرة والغنيمة يوم بدر.

قال الحسين بن الفضل: أراد بالقليل في هذه الآية: الأجنة التي هي في بطن الأمهات، ومعناه: أنتم أجنةٌ وصغارٌ فقواكم الله حتى صرتم أقوياء وكذلك قادر على أن يُحَوِّلَ أحوالكم من الضعف إلى القوة، ومن الذل إلى العز، ومن الضَّعَةِ إلى الشرف[1].

قال ابن فورك: الذكر: إحضار المعنى للنفس.

والقليل: نقصانٌ بتحقير حال.

والتخطف: الأخذ بسرعة الإنتزاع.

﴿ **فأوىكم** ﴾ أي جعل لكم مأوى حريزاً ترجعون إليه وتسكنون فيه.

قوله: ﴿ **يٰأيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول** ﴾ اختلفوا في نزول هذه الآية من وجهين:

أحدهما: قال جابر بن عبدالله: إن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريلُ النبيَ ﷺ فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك فخرجوا إليه، وأقبلوا عليه. قال: وكتب رجلٌ من المنافقين إليه: إن محمداً وأصحابه يريدونكم فخذوا حذركم، فأنزل الله: ﴿ **يٰأيها الذينءامنوا لا تخونوا الله والرسول** ﴾[2].

---

(١) لم أقف على قول الحسين بن الفضل هذا عند غير المؤلف وهذا القول لا يصلح أن يكون تفسيراً لمراد الله من الآية الكريمة إذ القلة تنصرف إلى قلة العدد، وهذا واضح من حال المسلمين في مكة قبل الهجرة، وكذلك الجنين في بطن أمه لا يخاف أن يتخطفه الناس في الأرض.
فمعنى الآية الكريمة واضح ولا داعي لمثل هذه التأويلات الباطله.

(٢) خرّجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٨٠) برقم (١٥٩٢٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (ق:٤٣/ب)، قال ابن كثير في تفسيره (٣/٥٨٢): هذا حديث غريب جداً، وفي سنده وسياقه نظر.

قال الكلبي: نزلت في أبي لبابة بن عبدالمنذر واسمه[1]: مروان[2] من الأنصار من بني عوف بن مالك، وذلك أن رسول الله حاصر قوم يهود بني قريظة[3] إحدى وعشرين ليلة[4] فسألوا[5] رسول الله ﷺ الصلح على مثل ما صالح عليه بني النضير[6]، فأبى أن يُعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ[7] فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة وكان مُنَاصحاً لَهم لأن أهله وولده كانوا عندهم فبعثه رسول الله

(١) اسمه بشير، وقيل: رفاعة، وقيل: يسير بمثناتين من تحت مضمومة ثم مهملة، صحابي جليل كان أحد النقباء، شهد العقبة، وتوفي في خلافة علي رضي الله عنه ، ويقال بعد الخمسين، وقال خليفة ابن خياط: مات بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.
انظر: تهذيب التهذيب (١٢/٢١٤)، وأسد الغابة (٦/٢٦٥)، والاصابه لابن حجر (٤/١٦٨).
وهمّ ابن حجر قول من سماه مروان. انظر: تقريب التهذيب (٢/٤٦٧).

(٢) بنو قريظة قبيلة من قبائل اليهود التي كانت تسكن المدينة، عاهدوا النبي ﷺ حين قدومه إلى المدينة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه أو يعينوا عليه عدوه، فنقضوا العهد ومالأوا قريشاً وغطفان يوم الخندق فخرج إليهم بعد رجوعه من الأحزاب فحاصرهم ثم أنزلهم على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكم بقتل الرجال وسبي النساء والذرية .
انظر: فتح الباري (٧/٤٧١)، وبلوغ الآماني شرح الفتح الرباني (٢١/٦٦).

(٣) كذا هنا وورد عند ابن اسحاق (خمساً وعشرين ليلة) . كما في سيرة ابن هشام (٣/٢٥٤). وهو المحفوظ كما قال ابن حجر في الكافي الشافي (ص :٦٩) رقم (٦٧).

(٤) في الأصل [فسئلوا] وهو خطأ والصواب ما أثبته.

(٥) بنو النضير هم قبيلة كبيرة من اليهود كانت تقطن المدينة، فلما قدم النبي ﷺ المدينة هادنهم وأعطاهم عهداً وذمة على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلهم فنقضوا العهد فحاصرهم ثم نزلوا على حكمه فأجلاهم إلى خيبر . انظر: فتح الباري (٧/٣٨٣، ٣٨٤).

(٦) هو: سعد بن معاذ بن النعمان بن أمريء القيس الانصاري الأوسي البدري السيد الكبير البطل المقدام والشهيد الذي أهتز لموته عرش الرحمن، رُمي بسهم يوم الخندق فمات من أثره بعد أن حكم في بني قريظه من اليهود أن يُقْتَلَ رجالهم وتُسبى نساءهم وذراريهم .
انظر: الاستيعاب (٤/١٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٧٩)، والإصابة (٣/٨٧).

فقالوا : يا أبا لبابة ما ترى في أمرنا، فأشار أبو لبابة إلى حلقه أي إنه الذبح فلا تفعلوا الصُلحَ، وأراد بهذا يداً عِنْدَهم لأن أهله ووَلَدَهُ عندهم فأطاعوه فكانت تلك خيانة منه لله ورسوله. قال أبو لبابة : مازالت قدماي من مكاني حتى علمت أني خنت الله ورسوله فنزلت: ﴿ **يٰأيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول** ﴾[1] وهذا أصح وأشهر.[2]

قال ابن عباس: معناه : ﴿ **يٰأيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله** ﴾ بترك فرائضه ﴿ **والرسول** ﴾ بترك سنته.[3]

﴿ **وتخونوا أمٰنٰتكم** ﴾ أي ولا تخونوا إذا إئتمنتم على ما افترض الله عليكم من الصلاة وغسل الجنابة والطهارة والصوم وأشباهها.[4]

قال الكلبي : أما خيانة الله ورسوله فمعصية الله ورسوله، وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترض الله عليه إن شاء خانه، وإن شاء أداءه / لا يطلع عليه أحد إلا الله.[5] ١٩٩/أ

---

(١) خرّجه الثعلبي في الكشف والبيان (ق:٤٣/ب). إلا أنه قال في اسم أبي لبابة «هارون» وانظر: تفسير البغوي (٢٤٢/٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٨/٤) لعبد بن حميد.

(٢) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٨٣/١٣).
وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن الله نهى عن خيانته، وخيانة رسوله، وخيانة أمانته، وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة أو جائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب التسليم له بصحته. أهـ.
وقال ابن كثير في تفسيره (٥٨٢/٣): والصحيح أن الآية عامة، وإن صح انها وردت على اي سبب فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء.

(٣) خرّجه الطبري في تفسيره (٤٨٥/١٣) برقم (١٥٩٣٢) ، وابن أبي حاتم (ص:٣٠٩، ٣١١)، والثعلبي في الكشف والبيان (ق:٤٤/أ)، والبغوي في تفسيره (٢٤٣/٢)، وعزاه السيوطي في الدر (٤٩/٣) لابن المنذر.

(٤) حمل الآية على العموم أولى من تخصيصها بالفرائض فتشمل عموم الآمانات.

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٣/ب).

فإن قيل : إن الخيانة ظهرت في أمر النبي ﷺ دون أمر الله والنهي جاء في خيانتهما، فكيف هذا؟

الجواب عن هذا من وجهين : [1]

أحدهما : إنما ذكر الله في هذا الموضع تحسينا للكلام ومعناه : لا تخونوا رسوله كقوله : ﴿ **يخٰدعون الله والذين ءامنوا** ﴾[2]، وكقوله : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله** ﴾[3]، وكقوله : ﴿ **يٰا أيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله**﴾[4].

الثاني : إنما ذكر الله في هذا الموضع ليُعلم أن من خان رسول الله فقد خان الله كما نص في الطاعة فقال : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾.

﴿ **وتخونوا أمٰنٰتكم** ﴾ فيه وجهان[5]:

أحدهما : قال الأخفش : جزمٌ بحرف العطف على ما قبله معناه : ﴿ **لا تخونوا الله والرسول، ولا تخونوا أمٰنٰتكم** ﴾.

والثاني : وتخونوا : نصبٌ على الظرف .

من قال نصب على الظرف معناه : من خان الله ورسوله فقد خان أمانته ودينه ونفسه.

وقيل : [6] ولا تخونوا أماناتكم يعني الدين كله، وأنتم تعلمون ما في الخيانة.

---

(١) لا داعي لهذا الافتراض والأجوبة عليه، لأن الخيانة في أمر النبي ﷺ خيانة في أمر الله تعالى.

(٢) سورة البقرة آية ٩.

(٣) سورة الأحزاب آية ٥٧.

(٤) سورة الحجرات الآية الأولى.

(٥) انظر ذلك في: معاني القرآن للفراء (٤٠٨/١).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٣/ب).

قال الحسين بن الفضل : هذه الآية تدل على أن الإيمان واسمه لا يزول بمعصيتك كما قالت المعتزلة[1]: إن الإيمان يزول بالمعصية، ألا ترى أن اسم الإيمان لا يزول عمن خان رسول الله مثل أبي لبابة فقال: ﴿ يـأيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله﴾ وكما يدل على المعتزلة كذلك يدل على الخوارج لأنهم يكفرون بالخيانة، وقول الله بخلاف ذلك .

الخيانة: منع الحق الذي قد ضُمِّن فيه.

والخيانة : ضد الأمانة .

والخيانة في اللغة : النقصان.

وخيانة الله ورسوله : الكفر بهما.

قوله: ﴿ واعلموا أنمآ أمولكم وأولـدكم فتنة ﴾ يعني أبا لبابة. ﴿ أمولكم وأولـدكم ﴾ التي في بني قريظة[2] ﴿ فتنة ﴾ بلية لكم وإنما ذكر فتنة الأموال والأولاد في هذه الآية لمعنيين:

أحدهما: معناه: أنكم تحبون البقاء في الدنيا وتكرهون القتال لأجل الأموال والأولاد وكلاهما فتنة لكم.

والثاني: إنما شدد التكليف عليكم في الدنيا لأجل الأموال والأولاد وإذا زال

---

(١) المعتزلة: فرقة ضالة وفي تسميتهم معتزلة أقوال:
قيل: سموا معتزلة لإعتزالهم عن الحق. وقيل: لإعتزالهم عن أقوال المسلمين، وقيل: سموا معتزلة لاعتزالهم عن مجلس الحسن البصري فمر بهم الحسن فقال هؤلاء معتزلة. ويقولون بأن الإيمان يزول عن المؤمن بارتكابه الكبيرة فهو يصير بمنزلة بين المنزلتين بين الكفر والإيمان.
انظر: مقالات الإسلاميين (ص:٢٧٠)، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسلسكي (ص:٤٩).

(٢) حمل الآية على العموم أولى حتى وإن كان لها سبب نزول خاص لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

عنكم الأموال والأولاد زال عنكم التكليف إذ الشدة لأجلهما[1].

﴿ **وأن الله عنده أجر عظيم** ﴾ ثواب وافر في الجنة بالجهاد.

﴿ **يـٰأيها الذين ءامنوا إن تتقوا الله** ﴾ فيما أمركم ونهاكم وقيل[2]: ﴿ **إن تتقوا الله** ﴾ يعني من خيانة الله وخيانة رسوله.

﴿ **إن تتقوا الله** ﴾ من التقوى، والتقوى، والإتقاء واحدٌ وهو: الإمتناع عما يجب الحذر منه، إلا أن التقوى في الدين ، والإتقاء في الدين وغيره.

﴿ **يجعل لكم فرقاناً** ﴾ واختلفوا في معناه:

قال الكلبي: نصرة[3].

وقال السدّي: نجاة[4].

وقال سهل التستري: نوراً.

وقال ابن زيد: هداية في قلوبكم تفرقون بين الحق والباطل[5].

قال الضحاك: بياناً[6].

---

(١) هذا القول فيه نظر، فالتكاليف الشرعية ميسرة وليست مشددة، وإنما الأموال والأولاد فتنة واختبار من الله فمن أعطى المال والولد فامتثل أمر الله فيهما وأدى حقه سبحانه وتعالى فقد فاز وأفلح ونال الأجر من الله والثواب العظيم.

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٤/أ).

(٣) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:٤٤/ب)، انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٤/أ).

(٤) خرّجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٩٠) برقم (١٥٩٥١) وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣١٩، ٣٢٠) برقم (٢٧٥) تحقيق عيادة الكبيسي، والثعلبي في تفسيره (ق:٤٤/ب).

(٥) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:٤٤/ب)، وابن حبيب (ق:١٤/أ).

(٦) خرّجه الثعلبي (ق٤٤/ب)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٤٣).

قال مجاهد: الفرقان: مخرجٌ من الشبهات في الدنيا والآخرة[1].

قال مقاتل بن حيان: الفرقان منفذ[2].

الفرقان متعدٍّ، والفرقان مصدر كالرجحان والخسران والنقصان / والطغيان. ١٩٩/ب

﴿ وُيكَفِّر عنكم سيئاتكم ﴾ دون الكبائر ﴿ ويغفرْ لكم ﴾ سائر الذنوب ﴿والله ذو الفضل ﴾ ذو المن ﴿ العظيم ﴾ على عباده بالمغفرة والجنة.

وقيل معناه: ﴿ والله ذو الفضل ﴾ أي من جاد لكم بالفضل أولى أن يجود لكم بجزاء الأعمال.

قوله: ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ الآية ، والقصة في ذلك: أن نفراً من قريش من أشراف كل قبيلة دخلوا دار الندوة[3]، ودار الندوة بقرب مسجد الكعبة، وكان عادتهم إذا دخلوها لمشاورةٍ لا يدخل عليهم أحد ، فاعترضهم إبليس في صورة شيْخ، فلما رأوه قالوا: من أين جئت ؟ قال: شيخ من نجد، سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم لأنكم أحداث وإني شيخ رأيت الأمور وجَربتها فنظرت في رأيكم فقالوا: ادخل ، فدخل إبليس عليهم، فقال الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام: احبسوه في بيتٍ وسدوا بابه وطينوه واتركوا كوةً فيه حتى نُدفعُ إليه رغيفاً

---

(١) خرجه الطبري في تفسيره (٤٨٨/١٣)، برقم (١٥٩٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (ص٣١٩)، بتحقيق عيادة الكبيسي والثعلبي في تفسيره (ق٤٤/ب)، وذكره السيوطي في الدر (٥٠/٤) وعزاه لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) ذكره ابن حبيب بلفظ منفذاً (ق:١٤١/أ)، والأثر خرّجه الثعلبي (ق:٤٤/ب) والبغوي في تفسيره (٢٤٣/٢) ولفظه: «مخرجاً في الدين من الشبهات» والمعنى واحد.

(٣) دار الندوة: هي دار قصي بن كلاب، سميت بذلك لأنهم كانوا يندون فيها، أي يجتمعون للمشاورة، وهي أول دار بنيت بمكة، بناها قصي ليصلح فيها بين قريش، ثم صارت لمشاورتهم وعقد الألوية في حروبهم. وقد أصبحت الآن جزءً من المسجد الحرام تقع في جانبه الشمالي.
انظر: الصحاح (٢٥٠٠/٦)، واللسان مادة (ندا).

وكوز ماءٍ ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبلَهُ من الشعراء زهير والنابغة فقال عدو الله إبليس: ليس هذا برأي؛ لأن قبيلته بني هاشم تجيء وتخرجه من البيت وتسرحه من أيديكم . فقال أبو البختري بن هشام: فمن شأنكم أن تأخذوا جملاً هائجاً وتشدوه عليه ثم تخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا منه فإنه إذا خرج لم يضركم ما صنع. فقال عدُو الله إبليس: ما هذا برأي، ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، والله لئن فعلتم ذلك ليستجمعن عليه خلق ثم ليأتينّكم . فقال أبو جهل: والله لأشير برأي ما أبصرتموه، ولكن شأنكم أن تأخذوا من أربعين قبيلة من كل قبيلة غلاماً شاباً ثم تعطون كل غلام سيفاً صارماً ليضربوه ضربة رجل واحد، ويقتلوه قتل رجل واحد، ثم إن بني هاشم قبيلة واحدة وقريش أربعين قبيلة فلا يمكنون إن سألوا القصاص من أربعين قبيلة، فإذا كان كذلك نعطيهم الدية حتى تنجوا منه، فقال عدو الله إبليس: هذا هو الرأي فتفرقوا وهم مجمعون على ذلك، فأتى جبرئيل رسول الله وأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبت في بيته، فأذن الله له بالخروج إلى المدينة وأنزل بعد قدومه المدينة «سورة الأنفال»[1] وأنزل الله: ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا** ﴾ وأنزل: ﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** ﴾[2].

قال المصنف: سمعت ابن حبيب يقول: سمعت ابن عبدس[3] يقول: كل

(١) خرجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٩٤) برقم (١٥٩٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٢٤)، والثعلبي في تفسيره (ق:٤٥/أ، ب) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وقال محقق تفسير ابن أبي حاتم في حكمه على الأثر: فيه عنعنة ابن اسحاق، ويشهد له ما أخرجه أحمد (١/٣٤٨)، والطبراني في الكبير (١٢١٥٥، ١١/٤٠٧) فهو حسن لغيره.

(٢) سورة الطور آية ٣٠.

(١) هو: محمد بن عبدوس بن أحمد بن الجنيد أبو بكر المقرئ المفسر الواعظ النيسابوري المتوفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة. انظر ترجمته في: طبقات المفسرين (٢/١٩٣، ١٩٤)، وانظر قوله في: تفسير ابن حبيب (ق:١٤/أ).

﴿ إذ ﴾ في القرآن ففيه إضمارُ الذكر معناهُ: واذكر ﴿إذ يمكر بك الذين كفروا﴾ في دار الندوة.

قالَ الكلبي: هم الذين اجتمعوا في دار الندوة إثنا عشر رجلاً عتبة وشيبة وأبو جهل / والحارث ابنا هشام ومنبه ونُبيه ابنا الحجاج وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، وأمية بن خلف[1]، ودخل عليهم ابليس. ٢٠٠/أ

﴿ لِيُثْبِتوكَ ﴾ ليحبسوك سجناً. عن السدّي[2]: وهو ما قاله الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام.

وقال ابن عباس: ليوثقوك[3].

وقيل: ليسجنوك أو ﴿يقتلوك﴾ جميعاً . وهو ما قاله أبو جهل بن هشام.

﴿ أو يُخرجوك﴾ طرداً مشدوداً على الإبل وهو ما قاله أبو البختري ابن هشام.

﴿ ويَمكُرون ﴾ يريدون قتلك وهلاكك يا محمد ﴿ ويَمكُرُ الله ﴾ ويريد الله قتلهم يوم بدر.

---

(١) أخرجه: البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره (٢٤٣/٢، ٢٤٤)، وذكره ابن حبيب (ق/١٥/أ).

(٢) خرّجه الطبري في تفسيره (٤٩٢/١٣) برقم (١٥٩٦٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٣٠) برقم (٢٨٦).

(٣) خرجه الطبري في تفسيره (٤٩١/١٣) برقم (١٥٩٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٢٨) برقم (٢٨٣)، والثعلبي في تفسيره (ق/٤٦/أ).

وقال الحسن: ويقولون ذلك ، ويقول الله ذلك[1].

وقال الضحاك: ويصنعون ويصنع الله[2].

قال ابن فُورك: جاز وصف الله بالمكر لأنه بمعنى الجزاء[3]، ولأن الخبر ورد به، وكلما جاء به الخبر يجوز أن يقال به، وإنما أعيد ذكر لفظ المكر للتوكيد، والعرب تفعل ذلك إذا طال الكلام، واعترض بين أوله وآخره شيء.

والمكر: مكران: مكر تلبيس، ومكر هلاك، فإذا كان مضافاً إلى الله فهو مكر هلاك، وإذا كان مضافاً إلى الخلق فهو مكر تلبيس.

قال الحسين بن الفضل: في هذه الآية دليل على المعتزلة أن أبا جهل وأصحابه قد مكروا بالنبي ﷺ مكراً، فلم يقع موقعه فبان بذكره عجز الماكرين للخلق أجمعين، فكذلك المتكسب إذا قصد الإحسان في اكتسابه فصار مسيئاً فيه فبان عجزه، وثبت غير خالق لاكتسابه، ومن قال غير ذلك فقد أخطأ لما بينا.

﴿ والله خير المـٰكرين ﴾ أقوى المريدين وأفضل الصانعين وخير المريدين[4].

قوله: ﴿ وإذا تتلىٰ عليهم ءايـٰتنا قالوا قد سمعنا ﴾ الآية.

قال ابن عباس: لما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية قال النضر بن

---

(١) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق/٤٦/ب).

(٢) خرّجه البغوي (٢/٢٤٤).

(٣) هذا تأويل باطل ومكر الله بهم صفة لله تعالى تليق بجلاله وهي صفة كمال من الصفات الفعلية للخالق تبارك وتعالى المقيده بمن يستحق المكر.

(٤) هذا من تأويلات الأشاعرة الباطلة؛ والذي عليه سلف هذه الأمة وخلفها هو أثبات صفات الخالق كما جاءت في كتاب الله عزوجل وعلى لسان رسول الله ﷺ من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل لأنها كلها صفات كمال مطلق تليق به سبحانه.

الحارث بن علقمة – أخو بنى عبدالدار: ﴿**لو نشاء لقلنا مثل هذا**﴾ لو شئت لقلت مثل هذا ﴿ **إن هذآ** ﴾ ما هذا ﴿ **إلا أساطير الأولين** ﴾ ما سطّر الأولون[1] أي كُتب في كتبهم فقال له عثمان بن مظعون[2]. وهو واحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ –: اتق الله، فإن محمداً يقول الحق. قال النضر: وأنا أقول الحق. قال عثمان: فإن محمداً يقول: لا إله إلا الله قال: أنا أقول لا إله إلا الله ولكن هذه بنات الله يعني اللات والعزى ومناة فقال رسول الله: ﴿ **إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العبدين** ﴾[3].

الآنفين عبادته. قال النضر بن الحارث: ألا ترون أن محمداً قد صدقني فيما أقول يعني قوله: ﴿ **إن كان للرحمن ولدٌ** ﴾ فقال له الوليد بن المغيرة: والله ما صدقك ولكنه يقول: ﴿ **ما كان للرحمن ولدٌ** ﴾ ففطن لذلك [النضر] فقال: ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارةً من السمآء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ فأنزل الله ﴿ **سأل سائلٌ بعذاب واقع** ﴾[4][5]. فوقع بهم العذاب يوم بدر، وقتل صبراً، لم يقتل من / الأسراء صبراً غيره، وغير عقبة بن أبى معيط[6] ونزل: ٢٠٠/ب

---

(١) أخرجه البغوي في تفسيره (٢/٢٤٥).

(٢) هو: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي أبو السائب من المهاجرين أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وهو أول من دفن بالبقيع مات سنة ثلاث.
انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٥٣)، والإصابة (٤/٢٥٤).

(٣) سورة الزخرف آية ٨١.

(٤) سورة المعارج الآية ١.

(٥) خرّجه الثعلبي في الكشف والبيان (ق/٤٦/ب، ٤٧/أ).

(٦) سبقت الإشارة إلى أن ابن جرير خرّج الأثر رقم (١٥٩٨٠) (١٣/٥٠٤) عن سعيد بن جبير وفيه أن النبي ﷺ قتل يوم بدر ثلاثة رهط صبراً ثالثهم طعيمة بن عدي بن نوفل.

﴿ وقالوا ربنا عجّل لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب ﴾[1].

قال عطاء: لقد نزلت فيه بضعة عشر آيةٍ من كتاب الله[2] فذلك قوله: ﴿ وإذا تتلىٰ عليهم ءاياتنا ﴾ الآية.

قال ابن جريج: كان النضر بن الحارث يختلف تاجراً إلى فارس فيمر بالنصارى يقرءون الإنجيل ويركعون ويسجدون، فرجع إلى مكة فوجد محمداً قد أنزل عليه الوحي وقرأ ما أنزل عليه وهو يركع ويسجد فقال: لو نشاء لقلنا مثل هذا الذى يقول محمد ونسمع فأنزل الله هذه الآية[3].

وقيل: إن النبى ﷺ لما تلا على قريش القرآن قال أبو جهل، والنضر بن الحارث، والعاص بن وائل: لو شئنا لقلنا مثل هذا.

فقال لهم رسول الله: فقولوا سورة مثلها فجهدت قريش أن يقولوها فلم يفعلوا ولم يقدروا على ذلك لأنه كلام الله ووحيه بالحق أنزله وبالحق نزل، ثم استقبل أبو جهل البيت فقال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾[4] يعني ما يقول محمد وما يتلوه، وما يدعونا إليه ﴿فأمطر علينا حجارةً من السمآء أو ائتنا بعذاب أليم﴾. فاستجاب الله وآتاه بعذابٍ أليم يوم بدرٍ حين قتله الله فذلك قوله: ﴿ وإذا تتلىٰ عليهم ءايـٰتنا ﴾ يعنى على النضر بن الحارث وأصحابه ﴿ءايـٰتنا ﴾ بالأمر والنهي ﴿ قالوا قد سمعنا ﴾ ما قال محمد ﴿ لو نشآء لقلنا مثل هذا ﴾ مثل ما يقول محمد.

(١) سورة ص آية ١٦.

(٢) خرّجه الثعلبي في الكشف والبيان (ق/٤٧/أ).

(٣) خرّجه الطبري (١٣/٥٠٣) برقم (١٥٩٧٧).

(٤) أخرجه: البخاري (٥/١٩٩) كتاب التفسير، ومسلم في صحيحه (٢١٥٤) برقم (٢٧٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٧) برقم (٢٩٧).

وقال الحسين بن الفضل: أثبت الله سمع الكفار في هذه الآية بقوله: ﴿ **قالوا قد سمعنا** ﴾ ونفى عنهم في آية أخرى فقال: ﴿ **ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم** ﴾ فكيف يجتمعان في المعنى ؟ ثم قال مجيباً:

إثبات السمع في هذه الآية دعوى من الكافرين ، وليس بحقيقةٍ، ولو كان حقيقةٌ ما قالوا ﴿ **لو نشآء لقلنا مثل هذا** ﴾ مع عجزهم عن ذلك ، وأخبر الله عن عجزهم بقوله: ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار** ﴾[1].

قال ابن فُورك: السمع إدراك المسموع[2].

﴿ **إن هذآ** ﴾ أي ما هذا الذى يقول محمدٌ ﴿ **إلآ أسـٰطير الأولين** ﴾ أحاديث الأولين وأخبارهم.

والأساطير: ما سطر من الأحاديث سطراً سطراً، وواحد الأساطير: إسطارةٌ، وقد تقدم ذكر الأساطير في سورة الأنعام.

﴿ **وإذ قالوا اللهم** ﴾ معناه واذكر أيها الرسول ما حل بمن قال: ﴿**اللهم إن كان هذا** ﴾ الذي جاء به محمد ﴿ **هو الحقَ من عندك** ﴾ أن ليس لك ولدٌ ولا شريك ﴿**فأَمْطِرْ علينا** ﴾ على النضر ﴿ **حجارةً من السمآء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ وجيعٌ، فقتِلَ يوم بدر صبراً مع عقبة بن أبي مُعَيْط .

قال الأخفش: ان هذا هو الحق نصبٌ لان ﴿ **هو** ﴾ صلةٌ في الكلام زائدةٌ[3]

---

(١) آية ٢٤ من سورة البقرة.

(٢) قال الراغب في مفرداته (٣٥٣): السمع قوة في الأُذُن به يدرك الأصوات. وفعله يقال له: السمع أيضاً.

(٣) درج بعض علماء اللغة في تفاسيرهم على إطلاق عبارة هذا حرف زائد أو كلمة أو عبارة زائدة أو مقحمة أو صلة أو حشو أو لغو، وكلها بمعنى واحد، ولا يصح اطلاقها على كلام الله عزوجل=

وتوكيدٌ كزيادة ما، ولا تزاد إلا في كل فعل لا يستغنى عن خبرٍ كقوله: ﴿ **ولكن كانوا هم الظـلمين** ﴾[1] وكقوله: ﴿ **ويرىٰ الذين أوتوا العلمَ الذى أُنْزِلَ اليك من ربك هو الحق** ﴾[2]. وقوله: ﴿ **تجدوه عند الله هو خيراً** ﴾[3].

وقال الفراء[4] ﴿ **إن كان هذا هو الحق** ﴾ إن جعلت ﴿ **هو** ﴾ اسماً لكان رفعت الحق بهو، وإن جعلتها عماداً[5] نصبت الحق، وكذلك فافعل في أخوات كان[6]، والحق نصبٌ خبر كان، واسمه في هذا وهو عمادٌ وتوكيدٌ ﴿ **فأمطر علينا حجارة** ﴾.

قال أبو عبيدة:[7] ما كان من العذاب يقال فيه أمطر ، وما كان من الرحمة يقال: مطر[8] وإنما قال: حجارةً من السماء / لأن العذاب أكثر ما يكون من السماء، ولا يمكن أن ينزل عليهم من فوقهم من موضع غير السماء فلهذا قيد بالسماء. ٢٠١/أ

= وأغلب هذه الحروف أو الكلمات تفيد التأكيد، والشارع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة، قال الزركشي: «والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله...» ثم قال: واعلم أن الزيادة واللغو من عبارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين ... وبيّن أن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى» أهـ. انظر: البرهان (٣/٧٠، ٧٢).

(١) سورة الزخرف آية ٧٦.

(٢) سورة سبأ آية ٦.

(٣) آية ٢٠ سورة المزمل.

(٤) هو: يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي مولى بني أسد، أبو زكريا المعروف بالفراء إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة توفي سنة (٢٠٧هـ). انظر: الأعلام (٨/١٤٥).

(٥) قال الشيخ محمود شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري (٧/٤٢٩)، (١٣/٥٠٨): و«العماد» اصطلاح الكوفيين، والبصريون يقولون: «ضمير الفصل» ويقال له أيضاً «دعامة» و«صفة».

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٠٩).

(٧) هو: معمر بن المثنى التيمي مولاهم، البصري، النحوي، اللغوي، صدوق، أخباري، وقد رمي برأي الخوارج، مات سنة ثمان ومائتين، وقيل بعد ذلك ، وقد قارب المائة.
انظر: تقريب التهذيب (٢/٢٦٦) وغيره.

(٨) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٤٥).

قوله: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ اختلفوا في نزول هذه الآية من وجهين:

أحدهما: قال يزيد بن الرومان[1]: وذلك أن النضر بن الحارث وأصحابه قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ ... الآية، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، وقالوا: غفرانك اللهم فأنزل الله: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾[2].

قال أبو زُمَيْل[3] عن ابن عباس: وذلك أن المشركين كانوا يطوفون بالبيت ويقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، ويقولون: غفرانك، غفرانك فأنزل الله: ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ ليهلكهم أبا جهل وأصحابه[4].

وهذه اللام لام الجحود ﴿ وأنت فيهم ﴾ مقيم بين أظهرهم لأنه لا تهلك قرية وفيها نبيها.

---

(١) هو: المدني مولى ابن الزبير، ثقة، توفي سنة ثلاثين ومائة.
انظر: التقريب (٣٦٤/٢).

(٢) خرّجه الطبري في تفسيره (٥١٢/١٣) برقم (١٦٠٠١)، والثعلبي في تفسيره (ق:٤٨/أ)، والبغوي (٢٤٦/٢).

(٣) هو: سماك بن الوليد الحنفي أبو زُميل- بالزاي، مصغراً. اليماني ثم الكوفي ليس به بأس.
انظر: التقريب (٣٣٢/١).

(٤) خرّجه الطبري في تفسيره (٥١١/١٣، ٥١٢) برقم (١٦٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٤٣) برقم (٣١٤) تحقيق عيادة الكبيسي، والثعلبي في تفسيره (ق:٤٨/أ).
هذا الأثر أخرجه مسلم في صحيحه (٨٤٣/٢) برقم (١١٨٥) مختصراً.
وانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول (٧١) فقد ذكر الروايتين وقال: «ولا مانع من الآية نزلت في هذا وهذا وأنهما معاً كانا سبباً لنزول الآية والله أعلم».

قال الضحاك[1]، وعطية العوفي[2]، وعبدالرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية كان النبي ﷺ مقيماً بمكة ثم خرج من بين أظهرهم فاستغفر من بها من المسلمين فأنزل الله : ﴿ **وما كان الله معذبهم** ﴾ بعد خروجك من بين أظهرهم.

﴿ **وهم يستغفرون** ﴾ قال مجاهد[3]، وعكرمة[4]: تقديره: وهم مسلمون. معناه: أن الله لا يعذبهم وفيهم أحدٌ من المسلمين وروى عبدالوهاب[5] بن مجاهد عن أبيه: ﴿ **وهم يستغفرون** ﴾ معناه: في أصلابهم من يؤمن ، ويستغفر[6].

وقيل: ﴿ **وهم يستغفرون** ﴾ أي يريدون أن يؤمنوا.

﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ أشار بذلك إلى أنه واجبٌ عليه أن لا يعذب مؤمناً في قلبه معرفةٌ لبركته، لأنه لا يعذب المشركين مع كون الرسول فيهم، فأخبر أن كون الإيمان في قلب المؤمن أعظم من أن يعذب وإن كان عاصياً.

والتعذيب: تجديد الألم بالعذاب.

والإستغفار: طلب المغفرة.

---

(١) خرّجه الطبرى في تفسيره (٥١١/١٣) برقم (١٥٩٩٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٤٦)، والثعلبي في الكشف والبيان (ق:٤٧/ب).

(٢) خرّجه ابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٤٧) برقم (٣٢٠).

(٣) خرّجه الطبري في تفسيره (٥١٥/٢٣) برقم (١٦٠٠٩، ١٦٠١٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٤٦) برقم (٣١٨)، والثعلبي في تفسيره (ق:٤٨/ب).

(٤) خرّجه الطبري في تفسيره (٥١٥/١٣) برقم (١٦٠٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٤٦) برقم (٣١٩)، والثعلبي في تفسيره (ق:٤٨/ب).

(٥) هو: عبدالوهاب بن مجاهد بن جبر المكي، متروك، وقد كذبه الثوري. انظر: تقريب التهذيب (٥٢٨/١)، وميزان الاعتدال (٦٨٢/٢).

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٤٨/ب).

قال عبدالرحمن بن أبزى[1]: فخرج المستغفرون من مكة فأنزل الله: ﴿ **وما لهم ألاَّ يعذبهم الله** ﴾[2] فأما الما فهو ما الاستفهام معناه: وما لهم ألا يهلكهم الله بعد ما خرجت من بين أظهرهم ﴿ **وهم يصدون** ﴾ محمداً وأصحابه ﴿ **عن المسجد الحرام** ﴾ أن يطوفوا حوله عام الحديبية ﴿ **وما كانوا** ﴾ يعني المشركين ﴿ **أولياءه** ﴾ أولياء المسجد الحرام بالمجاورة ﴿ **إن أولياؤه** ﴾ ما أولياء المسجد يعنى أصحاب المسجد ﴿ **إلاَّ المتقون** ﴾ الكفر والشرك والفواحش محمدٌ وأصحابه ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ أن أهل المسجد الحرام هم المتقون.

قال محمد بن إسحاق[3] بن يسار: ﴿ **إلا المتقون** ﴾ الذين يدخلون في الإسلام يقيمون الصلاة[4].

والفرق بين الصد والمنع: أن الصد: يكون إعراضاً عن الشيء من غير حيلوله بينه وبين غيره، وليس كذلك المنع.

والأولياء: جمع الولي، والولي المستحق لتولي القيام بالأمور.

قوله: ﴿ **وما كان صلاتُهم عند البيت إلا مكآءً وتصديةً** ﴾

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عُراة

---

(١) هو: عبدالرحمن بن أبزى - بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها زاى بعدها ألف مقصوراً، الخزاعي مولاهم صحابي صغير ، وكان على خراسان لعليّ رضى الله عنه، وقد روى له الجماعه. انظر: التقريب (٤٧٢/١).

(٢) خرّجه الطبرى في تفسيره (٥١٠/١٣) برقم (١٥٩٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٥١، ٣٥٢) برقم (٣٢٧).

(٣) هو: محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني من أقدم مؤرخي الإسلام الفّ السيرة النبوية، سكن بغداد ومات بها سنة (١٥١هـ).انظر الأعلام (٢٨/٦).

(٤) خرّجه الطبري في تفسيره (٥٢٠/١٣) برقم (١٦٠٢١).

يصفرون، ويصفقون فحرم عليهم العُري، وأمرهم بالثياب[١] وأنزل فيهم: ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ...**﴾[٢]. وكانوا يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزءون به ويصفرون ويصفقون فأنزل الله: ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت ...**﴾ الآية[٣].

قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان إذا صلى / في المسجد قام رجلان من ٢٠١/ب المشركين عن يمينه فيصفران ويصفقان، ورجلان كذلك عن يساره وهم من بني عبدالدار ليخلطوا على النبي ﷺ صلاته فقتلهم الله ببدر[٤] فيقول لبقية بني عبدالدار ﴿ **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ فذلك قوله: ﴿ **وما كان صلاتهم** ﴾ أي لم تكن عبادتهم ﴿ **عند البيت** ﴾ عند المسجد ﴿ **إلا مكآء** ﴾ صفيراً كصفير المكاء، والمكاء: الصفير وهو جمع ريح للتصفير والفعل مكا يمكوا مكواً ومُكاءً، والمكّاء طير أبيض يكون بالحجاز[٥].

﴿ **وتصدية** ﴾ تصفيقاً عن أكثر المفسرين .

وقال ابن زيد: التصدية: الصد وهو المنع[٦].

---

(١) خرّجه الطبري في تفسيره (٥٢٤/١٣) برقم (١٦٠٣٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٣٦٤) برقم (٣٥٥)، والثعلبي في الكشف (ق:٤٩/أ)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٢٠/٢). وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٢) آية ٣٢ سورة الأعراف.

(٣) خرّجه ابن جرير الطبرى في تفسيره عن سعيد (٥٢٤/١٣) برقم (١٦٠٣٥).

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٤٩/أ)، والبغوي (٢٤٧/٢). وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١١٤/٢).

(٥) انظر: اللسان مادة (مكا) وزاد: والمكاء طائر يألف الريف وجمعه المكاكي.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري عن طريق ابن وهب عن ابن زيد (٥٢٧/١٣) برقم (١٦٠٥١)، وابن أبي حاتم من طريق أصبغ عن ابن زيد (ص:٣٦٨) برقم (٣٦٦) وقال المحقق اسناده صحيح ، والثعلبي (ق:٤٩/أ).

وقيل: معناه[1]: أنهم أقاموا المكاء والتصدية مقام الصلاة للمؤمنين فلزمهم لأجل ذلك أعظم الأوزار، وأكثر الآثام وهذا كقول القائل: « زرت فلانا فجعل جفائي صلاتي» أي أقام الجفاء مقام الصلة.

وقيل: معناه: من كان صلاته عند البيت مكاء وتصدية فليس له صلاة كما قالت العرب: « ليس له عيب إلا السخاء » أي من كان سخياً فليس له عيبٌ.

وقرئ بالرفع ﴿ **وما كان صلاتهم** ﴾ بالرفع ﴿ **إلا مكاء وتصدية** ﴾ بالنصب[2].

وقرئ على ضد ذلك[3].

فمن رفع الصلاة جعلها اسم كان وخبره في ﴿ **مكاء وتصدية** ﴾

ومن نصب الصلاة جعلها خبر كان واسمه المكاء والتصدية.

قال ابن حبيب: هذا ضعيفٌ جداً، لأن المعرفة والنكرة إذا اجتمعا فالمعرفة بالاسم أولى من النكرة وهو حسنٌ كقوله: ﴿ **ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ معرفةٌ وإن كان منوناً وكقوله: «كان زيدٌ ذاهبا» فزيدٌ معرفةٌ وإن كان منوناً.

قال الأخفش[4]: إذا اجتمع النفي والإستثناء، واشتبه عليك الاسم والخبر فأسقط

---

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٣/٣٥٤) حيث ذكر أن هذين الجوابين ذكرهما ابن الأنباري.

(٢) هذه قراءة الجمهور.

(٣) ممن قرأ بهذا أبان بن تغلب والأعمش وعاصم- فيما رواه عنه المعلى والمفضل - ورويت عن علي رضي الله عنه. انظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (٤٩) والكشف والبيان للثعلبي (ق:٤٩/ب)، والبحر المحيط (٤/٤٩٢).

(٤) لم أقف عليه.

النفي والإستثناء وأجره على الاعراب كقوله: ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً** ﴾ فإذا اسقطت منه النفي والإستثناء يقول: كان صلاتهم مكاءً، وكقوله: ﴿**وما محمد إلا رسول** ﴾[1] إذا اسقطتهما فيقول: محمدٌ رسول الله وأشباه ذلك.
﴿**فذوقوا العذاب** ﴾.

قال ابن حبيب: فهذا ذوق حسٍ دون الذوق بالفم.

وفيه قولان:

أحدهما: قال بعضهم: فذوقوا العذاب في الدنيا يوم بدرٍ وهو السيف[2].

وقال آخرون[3]: ﴿ **فذوقوا العذاب** ﴾ في القيامة ﴿ **بما كنتم تكفرون** ﴾ تجحدون بمحمدٍ والقرآن.

قوله: ﴿**إن الذين كفروا ينفقون أمولهم ليصدوا عن سبيل الله** ﴾.

قال عمرو بن سعد بن معاذ[4]: لما أصيبت قريش يوم بدر ممن أصيب من كفار قريش من أصحاب القليب فرجع كلهم[5] إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره ومشى

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤.

(٢) ممن قال بهذا ابن اسحاق، وابن جريج، والضحاك. أسنده عنهم ابن جرير في تفسيره (٥٢٨/١٣) برقم (١٦٠٥٣، ١٦٠٥٤، ١٦٠٥٥)، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٦٩) برقم (٣٦٧).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) هو عمرو بن معاذ بن سعد بن معاذ الأشهلي المدني، أبو محمد وقد ينسب إلى جده، وقلبه بعضهم فقال معاذ بن عمرو. مقبول من الثالثة.
انظر: التقريب (٧٩/٢).

(٥) كذا في الأصل، وعند الطبري والثعلبي في تفسيريهما [فَلّهم] والفَلّ بفتح الفاء هم المنهزمون الراجعون من جيش قد هزم. الجزء والصفحة . للطبري والثعلبي.

عبدالله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيبت آباؤهم وأبناؤهم وأخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تملك العير من قريش تجارة فقالوا: يا معشر قريش: إن محمداً قد وتركم[1] وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصاب منا ففعلوا ذلك فأنزل الله فيهم[2]: ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموٰلهم ليصدوا عن سبيل الله...** ﴾ الى قوله: ﴿ **يحشرون** ﴾.

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في المطعمين يوم بدر، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً وذلك أنهم خرجوا من مكة / إلى حرب بدرٍ فأطعموا الناس الطعام وأطعم جميع العسكر كل يوم رجلٌ آخر وينحرون كل يوم عشر جزورٍ منهم أبو جهل وأخوه الحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبدشمسٍ ونبيةٌ ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامرٍ بن نوفل والعباس بن عبدالمطلب وكلهم من قريش وأطعموا الناس كل يوم رجلٌ آخر حتى بلغوا إلى بدرٍ فأنزل الله فيهم[3]: ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموٰلهم** ﴾ .

٢٠٢/أ

وهذا أصح وأشهر[4].

(١) (وتر القوم)، أدرك فيهم مكروهاً بقتل أو غيره. و(الموتور) الذي قتل له قتيل ولم يدرك بدمه.

(٢) أخرجه الطبري (٥٣٢/١٣) برقم (١٦٠٦٣) ، وابن أبي حاتم (٣٧٤٢٣٧٣) برقم (٣٧١) وقال محققه اسناده صحيح ، والثعلبي (ق:٤٩/ب، ٥٠/أ).

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (ق:٥٠/أ)، والبغوي (٢٤٧/٢)، وانظر: أسباب النزول للواحدي (٢٣٣).

(٤) رجح ابن جرير أن الآية عامة فقال في تفسيره (٥٣٤/١٣): لم يخبرنا بأي أولئك عني، غير أنه عم بالخبر ﴿الذين كفروا﴾ ... إلى ان قال: فالصواب في ذلك: أن يتم كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش.

وقيل: أن النبي ﷺ أخذ جاسوساً منهم فسألوه كم عدد الذين قصدوا إلى حرب بدر فلم يقل، وقال: لا أدري فقال: كم تنحرون كل يوم؟ قال: تسعةٌ أو عشرةٌ فقال النبي: إما عددهم تسعمائةٍ أو ألف[1] فلما جاءوا بدراً كانوا سبعمائةً وخمسين رجلاً فذلك قوله: ﴿ **إن الذين كفروا** ﴾ أي المطعمين يوم بدر، أبو جهل وأصحابه ﴿**وينفقون أموٰلهم ليصدوا** ﴾ ليصرفوا الناس ﴿ **عن سبيل الله** ﴾ عن دينه وطاعته من غير أن يعلموا أنها سبيل الله لأنهم قصدوا إلى الصد عنها وهي سبيل الله في الحقيقة، وسبيل الله ها هنا: دين الله الذي أتى به محمدٌ، وسمي دين الله سبيل الله لما يقع عليه من الثواب والعقاب ﴿ **فسينفقونها** ﴾ في الدنيا وإنما كرر الإنفاق حتى يدل أحدهما على قصدهم وهو الصد .

والثاني يدل على عاقبتهم وهو الحسرة ﴿ **ثم تكون عليهم حسرة** ﴾ يعني تكون النفقة عليهم حسرة وندامة ﴿ **ثم يُغلَبُون** ﴾ ثم تكون الغلبة عليهم يوم بدر ﴿ **والذين كفروا** ﴾ أبو جهل وأصحابه[2] ﴿ **إلى جهنم يُحشرون** ﴾ أي يساقون إلى النار يوم القيامة.

﴿ **ليَميزَ اللهُ** ﴾ هذه اللام: لام العاقبة، وقرئ بالتخفيف والتشديد،[3] فالتخفيف: من ماز يميز، والتشديد: من ميز يميز.

﴿ **الخبيثَ من الطيب**﴾ الكافر من المؤمن.

---

(١) الرواية أوردها ابن هشام في سيرته (٢/٢٥٥).
وقد خرّج ابن جرير الطبري وغيره بعض الآثار عن كل من سعيد بن جبير والحكم بن عتيبة. انظر: تفسير الطبري (١٣/٥٣٠، ٥٣١).

(٢) سبق الكلام على الآية عامه كما هو ترجيح ابن جرير شيخ المفسرين.

(٣) ممن قرأ بالتشديد حمزة والكسائي ويعقوب، وبالتخفيف قرأ الباقون.
انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٣٦٦)، والتبصرة لمكي (٤٦٨، ٤٦٩).

قال عطية العوفي[1]: المنافق من المخلص، والصالح من الطالح[2].

قال علي بن أبي طالب: الشقي من السعيد[3].

قال محمد بن الفضل[4]: الخبيث من الأموال ما لم يؤد منه الزكاة، والطيب ما يؤدى منه الزكاة[5].

وقيل: الخبيث ما أنفق في المعصية، والطيب ما أنفق في الطاعة[6].

وقيل: الطيب ما يوافق حاجة الفقير، والخبيث ما لم يوافق حاجته[7].

التمييز: إخراج الشيء عما خالفه عما ليس فيه.

والخبيث: الرديء من كل شيء ومنه خبث الحديد اذا كان رديئا ونقيضه الطيب وهو: الجيد من كل شيء.

﴿ ويجعلَ الخبيثَ بعضَه على بعضٍ فيَركُمَه جميعاً ﴾ أي ليجمع الخبيث ﴿فيجعله﴾ فيطرحه ﴿في جهنم﴾.

---

(١) هو: عطيه بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي الكوفي أبو الحسن ، صدوق يخطيء كثيراً، وكان شيعيًا مدلسا مات سنة إحدى عشرة ومائة.
انظر: التقريب (٢/٢٤).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧/ب).

(٣) لم أقف عليه عن علي رضي الله عنه، وأخرج الطبري قبله عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٣/٥٣٤، ٥٣٥)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧/ب).

(٤) محمد بن الفضل بن محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري سمع من جده فأكثر وسمع من غيره، حدث عنه الحاكم مات سنة (٣٨٧هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٤٩١)، وميزان الاعتدال (٤/٩).

(٥) ذكره في البحر المحيط دون أن ينسبه لمعين (٤/٤٩٣)، والماوردي (٢/٣١٧).

(٦) البحر المحيط (٤/٤٩٣).

(٧) لم أقف على من قال به ، ولكنه تفسير لا يستقيم.

قال عبدالرحمن بن زيد[١]: يجعل نفقاتهم في قعر جهنّم ويقال لهم: الحقوا بها.

قال قطرب:[٢] ﴿ فيركُمَه﴾ فيجمعه، والرُّكام: المجتمع من كل شيء، وتراكم الشيء مثل تراكب، ومنه قوله: ﴿ ثم يجعله رُكاماً﴾[٣] وقوله: ﴿ يخرج منه حباً متراكباً ﴾[٤].

﴿ أولئك هم الخـٰسرون ﴾ المغبونون بالعقوبة.

وحّد الخبر في قوله: ﴿ فيجعله فى جهنم ﴾/ وجمع في قوله ﴿ أولـٰئك هم الخـٰسرون ﴾ لأن ﴿فيجعله فى جهنم ﴾ رداً على قوله: ﴿ ليميز الله الخبيث ﴾. ٢٠٢/ب

﴿أولئك هم الخـٰسرون ﴾ رداً على قوله ﴿ إن الذين كفروا ﴾ معناه: أولئك الذين كفروا معناه: ﴿ ينفقون أمو'لهم ليصدوا عن سبيل الله ﴾.

﴿ أولئك هم الخـٰسرون ﴾ المغبونون بالعقوبة وفوت المثوبة.

قوله: ﴿ قل﴾ يا محمد ﴿ للذين كفروا ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه ﴿ إن ينتهوا ﴾ عن الشرك والكفر وقتال محمد ﴿ يُغْفَرْ لهم ما قد سَلَفَ ﴾ ما قد مضى من الكفر والشرك ﴿ وإن يعودوا ﴾ إلى الكفر والشرك ﴿ فقد مضت سنت الأولين ﴾

---

(١) لم أقف على قول ابن زيد هذا، وأخرج الطبري عنه قوله: «فيجمعه جميعاً بعضه على بعض» (٥٣٥/١٣) برقم (١٦٠٦٩).

(٢) هو: محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي الشهير بقطرب، نحوي عالم بالأدب واللغة من أهل البصرة من الموالي، كان يرى رأي المعتزله النظامية، من كتبه معاني القرآن مات سنه (٢٠٦هـ). انظر: الاعلام (٩٥/٧).

(٣) سوره النور ٤٣.

(٤) سورة الأنعام ٩٩.

سيرة الأولين في النصرة لأوليائنا على أعدائنا.

والسلوف: التقدم. والسنة: الطريقة التي عليها الأمة

قوله: ﴿ وقـٰتلوهم ﴾ يا أصحاب محمد [...][١] أهل مكة ﴿ حتى لا تكون ﴾ في الحرم ﴿ فتنةٌ ﴾ أي شرك عن ابن عباس[٢] وأكثر المفسرين.

قال أبو العالية: حتى لا تكون بلية[٣].

قال الربيع بن أنس: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه. أي حتى لا يعذب مؤمن[٤].

﴿ ويكونَ الدينُ كُلُّه لله فإن انتهـوا ﴾ عن الشـرك والـكفـر ﴿ فإن الله بما يعملون بصير، وإن تولوا ﴾ أي أعرضوا عن الإيمان ﴿ فاعلموا ﴾ يا أصحاب محمد ﴿ أن الله مولـٰكم ﴾ ناصركم ووليكم ومعينكم ﴿ نعم المولىٰ ﴾ نعم الرب ﴿ ونعم النصير ﴾ ونعم الناصر.

قوله: ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خُمُسَهَ ...﴾ الآية أجتمعت الأمة قاطبة على أن الغنيمة تقسم أخماساً ، فأربعة أخـماسها لمن شـهد الوقعـة من الغزاة، واختلفوا في خمسها كيف يقسم؟ من أربعة أوجه:

فقال أبو العـالية: خمس الغنيمة يقـسم على ستة أسهم، سهم للكعـبة وهو سهم

(١) في الأصل: [يا أهل مكة] والمعنى لا يستقيم إلا بحذف الياء كما أثبت.

(٢) خرّجه الطبرى في تفسيره (١٣/٥٣٨) برقم (١٦٠٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق علي، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٨٥) برقم (٣٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الضحاك.

(٣) خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/٥٣٨) برقم (١٦٠٨٠) ونسبه إلى الحسن.

(٤) خرّجه البغوي في تفسيره (٢/٢٤٨) وخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ونسبه إلى عروة بن الزبير وغيره من العلماء (٣٩٩) (ص:٣٨٧) تحقيق الكبيسي.

الله، وسهم للرسول، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل[1].

وإلى هذا القول ذهب مالك وأصحابه[2].

وقال قتادة: خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله، وسهم لقرابته، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل[3].

وهذا مذهب الشافعي وأصحابه[4].

وقال ابن عباس: خمس الغنيمة يقسم على أربعة أسهم: سهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسنهم لأبناء السبيل، وليس لله وللرسول سهم على هذا القول، ولم يأخذ من خمس الغنيمة شيئاً ما دام حياً[5].

وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه[6].

فإذا مات النبي ﷺ جعل الخلفاء الراشدون خمس الغنيمة على ثلاثة أقسام:

---

(١) خرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/٥٥٠) برقم (١٦١٠٢)، وابن أبي حاتم (ص:٣٩٥) برقم (٤١٧).

(٢) قال القرطبي: (٨/١١): قال مالك: «هو موكول إلى نظر الإمام واجتهاده، فيأخذ منه من غير تقدير، ويعطي منه القرابة باجتهاده ويصرف الباقي في مصالح المسلمين، وبه قال الخلفاء الأربعة وبه عملوا....»

(٣) خرّجه ابن جرير الطبري (١٣/٥٥١) برقم (١٦٠٩٨).

(٤) انظر: الأم للشافعي (٤/١٤٧)، وسنن البيهقي (٦/٢٩٤)، والجامع لاحكام القرآن للقرطبي (٨/١١)، وبداية المجتهد لابن رشد (١/٢٨٥).

(٥) خرّجه الطبري في تفسيره (١٣/٥٥١) برقم (١٦١٠٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٤٠٢) وبرقم (٤٢٧) وقال عيادة الكبيسي محقق التفسير اسناده صحيح.

(٦) انظر: الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (٨/١١)، وأحكام القرآن للجصاص (٣/٦٢).

١- سهم لليتامى ٢- سهم للمساكين ٣- سهم لأبناء السبيل.

وسقط سهم ذوي القربى.

وإلى هذا القول ذهب بعض أهل العراق[1].

وأما الإختلاف في ذوي القربى من هم؟ فأجمع العلماء على أن بني هاشم من ذوي القربى.

فاختلفوا في بني المطلب هل هم من ذوي القربى أم لا؟

فقال الشافعي: بنو المطلب من ذوي القربى[2].

وقال أبو حنيفة: بنو المطلب ليس[3] من ذوي القربى[4].

وقول الشافعي أقرب إلى الصواب والدليل عليه: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: لم يفارقونا في جاهلية ولا في إسلام، إنما بنو هاشم وبنو المطلب هكذا شيء واحد ثم شبك رسول الله ﷺ يديه احداهما بالأخرى[5] والله تعالى يجل نبيه ويرفع قدره/ ٢٠٣/أ ويشرف شأنه ويطهر عرضه ويحسن أخلاقه ويكرم مثواه فمن ذلك حرم عليه الصدقة وأحل له الغنيمة، لأن الصدقة من أوساخ الناس. بدليل قوله: ﴿ **خذ من أموٰلهم صدقةً تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهِم بها** ﴾[6].

(١) هذا القول منسوب إلى أبي حنيفة رحمه الله انظر: الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (١١/٨).
(٢) انظر قول الشافعي في الأم (١٤٧/٤).
(٣) هكذا في الأصل وبالصواب: [ليسوا].
(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٦٥/٣) وذكر القرطبي في تفسيره: أنه قال بذلك كل من مجاهد وعلي بن الحسين ومالك والثوري والأوزاعي وغيرهم الجامع لاحكام القرآن (١٢/٨).
(٥) الحديث خرّجه الطبري في تفسيره (٥٥٦/١٣) برقم (١٦١١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٤٠٦) برقم (٤٣١) قال الكبيسي في حكمه على هذا الأثر: مرسل، في اسناده عنعنة ابن اسحاق وبقية رجاله ثقات، وقد اعتمد عليه الشافعي فيما ذهب إليه من كون بني المطلب من ذوي القربى. انظر: الام (١٤٦/٤).
(٦) سورة التوبة آية ١٠٣.

والغنيمة من أشرف الأشياء بدليل قوله: ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه** ﴾ والله لا يضيف إلى نفسه إلا ما هو سنيٌ في بابه فذلك قوله تعالى: ﴿**واعلموا** ﴾ يا أصحاب محمد ﴿ **أنما غنمتم من شئ** ﴾ أي من مال المشركين.

الفرق بين الغنيمة والفيء:

أن الغنيمة: ما أخذ من أموال المشركين بالقتال.

والفيء: ما أخذ من أموال المشركين بغير قتال.

قاله عطاء بن السائب(1) [وقيل:](2) الغنيمة والفيء واحد(3).

﴿ **فأن لله خمسه وللرسول** ﴾ معناه: فإن خمساً من الغنائم لرسول الله، وإنما ذكر الله في افتتاح هذا الكلام تحسيناً أو افتتاحاً . وقيل: إنما ذكر الله في هذا الموضع ليعلم أن من خان رسول الله فكأنما خان الله كما قال: ﴿ **يـأيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول**﴾(4).

﴿ **ولذى القربىٰ واليتـمى والمسـكين وابن السبيل**﴾. وذلك أن الله ذكر أصحاب السهمان في هذه الآية فذكر فيها الرسول وذا القربى بلام المخفوض، ولم يذكر الباقي باللام.

قيل: جواب ذلك:

---

(١) يخرّجه بن جرير الطبري في تفسيره (١٣/٥٤٥) برقم (١٦٠٨٧)، وهو عطاء بن السائب بن مالك الثقفي أبو السائب الكوفي، صدوق أختلط، ومات سنة ست وثلاثين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب (٧/٢٠٣) ، والتقريب (٢/٢٢).

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل تم تصويبه من بعض كتب التفسير . انظر في ذلك تفسير الطبري (٣/٥٤٦).

(٣) خرّجه الطبري عن قتادة (١٣/٥٤٦) برقم (١٦٠٨٩).

(٤) سورة الأنفال آية ٢٧.

إنما ذكر اللام في الرسول وذوي القربى فقال: ﴿ **وللرسول ولذى القربى**﴾ لأن سهمهم لا يسقط بحالٍ ولا يزول عنهم اسمهم وهم في هذه الحالة ما داموا في الأحياء، وليس كذلك اليتامى والمساكين وابن السبيل لأن اسم اليتم يزول بالبلوغ، واسم المسكنة يزول بالغنى واسم ابن السبيل يزول بالاقامة فلهذا أدخل اللام في الرسول وذوي القربى، ولم تدخل في سائرها.

﴿ **واليتٰمى** ﴾ وسهم لليتامى، وأما اليتامى فهم:
أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم وخلفوهم ضعفى محاويج.

﴿ **والمسٰكين** ﴾ وسهم للمساكين، وأما المساكين فهم:
الذين لهم بلغة لا تقيمهم لسنتهم قوتهم وقوت عيالهم.
﴿ **وابن السبيل** ﴾ وسهم لابن السبيل، وأما ابن السبيل فهم:
الذين قطع بهم في أسفارهم، وليس معهم ما يبلغهم أهاليهم.

﴿ **إن كنتم ءامنتم بالله**﴾ وإنما دخل الشرط في جوابه لأن معناه: اعملوا به ﴿**إن كنتم ءامنتم بالله**﴾ فاقبلوا ما أمرتم به في الغنائم.

وقيل: إن كنتم آمنتم بالله فاعملوا به.

وقيل جواب الشرط في ضميره، ويكون الكلام تاماً عند قوله: ﴿ **وابن السبيل**﴾ ثم يبتدئ ﴿ **إن كنتم ءامنتم بالله** ﴾ فاعملوا بما أمركم الله من أمر الغنائم.

وقيل: معناه: إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى

الجمعان فأيقنوا أن الله ناصركم ومعينكم، ﴿ وما أنزلنا ﴾ أي وما أنزلنا على محمد ﴿ يوم الفرقان ﴾ يوم النصرة والدَّوْلة وهو يوم بدر، وإنما سمى الله يوم بدر يوم الفرقان، لأن الله فرق فيه بين الحق والباطل ﴿ يوم التقى الجمعان﴾ جمع رسول الله وجمع أبي سفيان بن حرب وكان هذا في حرب أحد[١] لأن أبا سفيان لم يكن حاضراً في يوم بدر وهو يوم / بدر في العير على شط[٢] البحر ﴿ والله على كل شئ﴾ من الجمع والتفرقة والنصر والدولة والهزيمة والتوفيق والخذلان . ﴿قدير﴾ ٢٠٣/ب

وأعلموا يا أصحاب محمد ﴿أنما غنمتم من شئ﴾ من مال المشركين ﴿ فأن لله خمسه وللرسول﴾ وذلك لأن الغنيمة خمسة أخماس، فخمسة أيضاً على خمسة أسهم:

سهم لرسول الله ، وسهم لقرابته، وسهم لليتامى غير يتامى بني المطلب، وسهم للمساكين غير مساكين بني المطلب، وسهم لابناء السبيل، فهذا تفسير قوله: ﴿ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى .. ﴾ إلى قوله: ﴿ وما أنزلنا على عبدنا ﴾ محمد ﴿يوم الفرقان ﴾ يوم النصرة والدولة وهو يوم بدر ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ جمع محمد وجمع أبي سفيان وهو يوم أحد[٣] ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ من الجمع والنصرة قادر عليه.

قوله: ﴿ إذ أنتم بالعُدْوَة الدُنيا ﴾ يا معشر المؤمنين بالعُدوة الدنيا القربى إلى المدينة دون الوادي ﴿ وهم ﴾ يعني أبا جهل وأصحابه ﴿ بالعُدوة القصوىٰ ﴾ البعدى من المدينة من خلف الوادي.

---

(١) الصواب أن المراد بالجمع هو جمع المؤمنين وجمع المشركين وهذا كان يوم بدر وليس يوم أُحد كما ذكر المؤلف لأن سورة الأنفال نزلت في غزوة بدر وهو المروي عن غير واحد من السلف . انظر: تخريج الآثار في تفسير الطبري (٥٦١/١٣، ٥٦٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (٩/٤).

(٢) الشط والشاطيءِ بمعنى واحد. انظر: لسان العرب لابن منظور (مادة: شطط) ولكن (شاطيء) أكثر استعمالاً عند المفسرين.

(٣) والصواب يوم بدر وقد سبق بيان ذلك.

وقيل: هذه مِنَّةٌ ذكرها الله عليهم ومعناه: واذكر حيث كنتم هنالك في الخوف والوجل فآمنكم.

والعُدوة: شفيرُ الوادي وهو جانبه، وللوادي عُدوتان أي جانبان.

وفيها قراءتان: ضم العين وكسرها[1] وهما لغتان.

وحكى الأخفش عن بعضهم أن في العُدوة لغة ثالثة وهي: العُديّةُ[2] ووجهها لما كسرت العين حولت الواو ياءً على الاتباع لان الياء أُخْتُ الكسرة.

﴿ والدنيا ﴾: تأنيث أدنى وهو القرب.

﴿ والقصوىٰ ﴾ تأنيث أقصى وهو البعد

وإنما حولت الدنيا إلى الياء، ولا يقال: الدنوا كالقصوى لكثرة استعمالها لأن الياء أخف على اللسان من الواو.

﴿والرَّكْبُ ﴾: العير، أبو سفيان وأصحابه ﴿ أسفلَ منكم ﴾ على شط البحر بثلاثة أميال.

وقرئ ﴿ أسفلُ ﴾ برفع اللام على أنه خبر الابتداء[3]، ومن قرأ بالنصب فعلى الظرف ومعناه: والركب في أسفل منكم.

والركب: جمع راكب كالشرب جمع شارب، والصحب جمع صاحب.

أي معناه: ﴿ والعير ﴾. والركب أخذ من الركوب.

---

(١) قرأ بالكسر ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وبالضم الباقون.
انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٤)، والتبصرة لمكي (٥٢٣).

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٥٤٦).

(٣) قرأ بالرفع زيد بن علي . انظر: البحر المحيط (٤/٥٠٠) وهي شاذة.

وأسفل: قرار دون الفوق.

﴿ ولو تواعدتم ﴾ يا معشر المؤمنين في المدينة للقتال ﴿ لاختلفتم فى الميعـٰد﴾ في المدينة بذلك.

وقيل معناه: ولو كنتم تواعدتم للقتل [لاغتللتم][1] في الميعاد خشية القوم لكثرتهم وشدة شوكتهم ﴿ ولـٰكن ﴾ لم يكن بينكم ميعاد ﴿ ليقضيَ اللهُ ﴾ ليُمضي الله ﴿أمراً كان مفعولاً ﴾ كائنا بالنصرة والغنيمة للنبي ﷺ وأصحابه، والقتل والهزيمة لأبي جهل وأصحابه.

والتواعد: أن يعد كل واحد صاحبه.

والاختلاف: أن يكون مذهب كل واحد بخلاف مذهب صاحبه في السُنن.

قال ابن حبيب: قضاءُ الله في خلقه على وجهين:

أحدهما: قبل وجودهم.

والثاني: بعد وجودهم.

فما كان من قضاء الله عليهم قبل وجودهم فهو العلم، وما كان بعد وجودهم فهو تنفيذ الحكم فيهم.

قال جعفر:[2] ما قضاه في الأزل يظهر في الحين بعد الحين والوقت بعد / الوقت ٢٠٤/أ

﴿ ليهلك ﴾ هذه اللام لام كي.

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب (لاختلفتم في الميعاد).

(٢) هو: جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالصادق، صدوق فقيه، مات سنة ثمان وأربعين ومائة. انظر: التاريخ الكبير (١٩٨/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٥٥/٦)، والتقريب (١٣٢/١).

وقال ابن حبيب: هذه اللام مكررة من قوله تعالى ﴿ ليقضى الله ﴾[١].

﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بيِّنِهِ ﴾ معناه: ليكفر من أراد الله أن يكفر بعد البيان بالنصرة لمحمد.

وقيل: أي لِيَضِلَّ من أراد الله أن يضل بعد حجة[٢].

و ﴿ عن ﴾ بمعنى بعد.

وفي ﴿ البيِّنه ﴾ ثلاثة أقاويل:

قال الكلبي: البيان[٣].

وقال عطاء: العلم واليقين[٤].

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: الحجة[٥].

﴿ ويحييٰ مَنْ حَيَّ عن بينة ﴾ أي ويثبت على الإيمان من أراد الله أن يثبت بعد البيان بالنصرة لمحمد.

وقيل: معناه:[٦] ويؤمن من أراد الله أن يؤمن.

وقيل:[٧] ويهتدي من أراد الله أن يهتدي بعد حجة.

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٢٠/أ)، وبهذا المعنى قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٦٨/١٣)، وانظر: الكشف والبيان للثعلبي (ق:٦٢/ب).

(٢) بهذا المعنى قال محمد بن اسحاق. انظر: الكشف والبيان للثعلبي (ق:٦٢/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٢٠/ب).

(٤) خرّجه الثعلبي في الكشف والبيان (ق:٦٢/ب).

(٥) خرّجه الطبري في تفسيره (٥٦٨/١٣) برقم (١٦١٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٤٢٠) برقم (٤٦٥) بإسناد حسن كما جاء في حكم المحقق على السند . وانظر: الكشف والبيان (ق:٦٢/ب).

(٦) انظر : زاد المسير (٣٦٣/٣).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:٢٠/ب).

﴿عن﴾ بمعنى بعد.

والبينة والبيان واحد.

﴿ ويحيي مَنْ حَيَّ عن بينة ﴾ فيه قراءتان: الإدغام ، والإظهار.[1]

فالاظهار هو الأصل لأنه مثل خشى[2].

والإدغام هو القياس، ولأنهما حرفان من جنس واحد، فأدغم احداهما في الأخرى[3] كما أدغم عصى وسُمى. وهذا أصح والدليل عليه: خط المصحف، لأن في المصحف كتب بالإدغام.

﴿ وإن الله لسميع ﴾ لدعائكم ﴿ عليم ﴾ بإجابتكم ونصركم.

وقيل: معناه[3] ﴿ وإن الله لسميعٌ ﴾ لما يقوله القائل في ذلك ﴿ عليمٌ ﴾ بما يضمره فهو يجازيه بحسب ما يكون منه.

﴿إذ يريكهم اللهُ في منامك قليلاً ... الآية ﴾.

قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ رأى في المنام أن العدو قليل قبل لقاء العدو، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بما رأى فصدقوه فقالوا: رؤيا النبي ﷺ حقٌ فلما التقوا ببدر فصدق الله وعده وقلل المشركين في أعين المؤمنين لصدق رؤيا النبي ﷺ حتى قال ابن مسعود: ولقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين. قال: أراهم مائةً فأسرنا رجلاً، فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً[5]. فذلك قوله: ﴿إذ

(١) القصد من الاظهار كسر الياء الأولى وفتح الياء الثانية (حيِيَ)، والقصد من الادغام إدغام الياء الأولى في الثانية (حيّ). انظر : حجة القراءات ص ٣١١، والاتحاف ص٢٣٧.

(٢) قرأ نافع، والبزي، عن ابن كثير وأبو بكر وأبو جعفر، ويعقوب، والمفضل بالإظهار، وقرأ الباقون بالإدغام. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٤)، والتبصرة لمكي (٥٢٣)، والكشف والبيان (ق/٦٢/ب).

(٣) كذا في الأصل ، والأفصح فأدغم أحدهما في الآخر.

(٤) ابن حبيب (ق: ٢٠/ب).

(٥) خرجه الثعلبي في الكشف (ق/٦٣/أ) وأخرجه البغوي (٢/٢٥٢، ٢٥٣)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١١٧/٢).

يريكهم الله ﴾ يعني المشركين ﴿ **فى منامك** ﴾ يا محمدٌ قبل بدر ﴿ **قليلاً** ﴾ .

قال الحسن: ﴿ **فى منامك** ﴾ أي في عينك التى تنام بها[1].
وكلاهما محتملٌ لأن جميعاً قد كان.

﴿ **ولو أرىٰكهم** ﴾ يعني المشركين ﴿ **كثيراً لفشلتم** ﴾ أي لجبنتم، وفيه إجلالٌ للنبي ﷺ لان من حق الكلام إن قال: لفشلت ، لأنه قال: ولو أراك فصرف الخطاب(٢) منه إلى أصحابه لأن فيه دناءة[2] ولم يخاطبه إلا بما فيه سناءٌ وشرفٌ كقوله: ﴿ **يـٰأيها النبى إذا طلقتم النسآء** ﴾[3] فمن حق الكلام أن يقول: (إذا طلقت) وكذلك ﴿ **ولتنـٰزعتم فى الأمر** ﴾ أي لاختلفتم في أمر الحرب ﴿ **ولكنَّ اللهَ سلّم** ﴾ قضاءً ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾ بما في القلوب.

﴿ **وإذ يريكموهم** ﴾ يعني المشركين يوم بدر ﴿ **إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً** ﴾ يا أصحاب محمد حتى أجرأكم عليهم ﴿ **ويقللكم** ﴾ يا أصحاب محمد ﴿ **فى أعينهم** ﴾ أعين المشركين حتى اجترؤا عليكم ﴿ **ليقضى الله أمراً** ﴾ بالنصرة والغنيمة

---

(١) خرّجه ابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٤٢٢) برقم (٤٦٨) قال المحقق إسناده حسن وذكر ذلك الطبري في تفسيره (٥٧٠/١٣) ولم يعين قائله وإنما قال: «زعم بعضهم أن معنى قوله: «إذ يريكهم الله في منامك قليلاً» أي: في عينك التي تنام بها. وممن قال بذلك أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢٤٧/١).
وقال ابن كثير رحمه الله تعليقاً على قول الحسن في رواية ابن أبي حاتم: وهذا القول غريب. وقد صُرح بالمنام ها هنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه انظر: تفسير ابن كثير (١٣/٤).

(٢) عبارة المؤلف هذه فيها نظر لأن لفظ الفشل في الآية لا يوحي إلى دناءة من وقع له ذلك وكلام المؤلف رحمه الله هذا غير مُسَلم له لأن النبي ﷺ لا يقاتل وحده فالخطاب له ولأصحابه والكلام فيما استشهد به في آية الطلاق والتنازع كالكلام هنا لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٣) آية ١ من سورة الطلاق.

لمحمد وأصحابه والقتل والهزيمة لأبي جهل وأصحابه / ﴿ كان مفعولاً ﴾ كائنا ﴿وإلى الله تُرْجَع الأمور ﴾ عواقب الأمور في الآخرة. ٢٠٤/ب

الرؤيا على أربعة أوجه:

رؤيا من الله ولها تأويل.

رؤيا من وسواس الشيطان.

ورؤيا من غلبة الأخلاط.

ورؤيا من الأفكار.

وكلها أضغاث أحلام، إلا الرؤيا من الله التي هي الهام المنام، في المنام يتصور الشيء كأنه يرى.

والنوم: سهوٌ غالب يزول معه معظم الجسد.

والقلة: نقصانٌ على عدةٍ شتى.

والفشل: ضعف الرجل، لأن الضعف قد يكون بمرضٍ من غير فزع. وقد يكون عن فزع.

والتنازع: الاختلاف الذي يجادل به كل واحدٍ من الاثنين يريد نزع صاحبه عما هو عليه.

والسلامة: النجاة من الآفة.

والصدر: موضع القلب وهو أجل موضع في البدن.

قوله: ﴿ يأيها الذين ءامنوا إذا لقيتم فئةً ... الآية ﴾ . قيل: معنى هذه الآية[1]: تأديبٌ من الله للمؤمنين، عظيم النفع لمن تأدب به، وعرف المؤمنين السيرة الجميلة في

(١) ممن قال في معنى الآية بهذا ابن جرير الطبري. انظر: تفسيره (٥٧٤/١٣)، وابن حبيب. انظر تفسيره (ق/٢١/أ).

حرب الكافرين بهذه الآية. فقال: ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾ يعني أصحاب محمد.

﴿ **إذا لقيتم فئة** ﴾ أي من الكافرين والباغين ﴿ **فاثبتوا** ﴾ مع نبيكم في الحرب فحذف مع نبيكم للإيجاز وعلم المخاطب به ﴿ **واذكروا الله كثيراً** ﴾ بالقلب واللسان بالتهليل والتكبير ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ لكي تنجوا من السخطة والعذاب وتنصروا .

قال ابن فورك: الإيمان: التصديق في الأصل، وأصله من الأمن، وهو الثقة الموجبة للسكون.[1]

واللقاء، ها هنا: لقاء الحرب.

وعن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، واذا لقيتموهم فاثبتوا واذكروا الله، واذا جلبوا وصاحوا فعليكم بالصمت[2].»

وروى معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الذكر في سبيل الله يُضاعف فوق النفقة بسبعمائة ألف ضعف ومن قرأ آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً[3].»

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) الحديث خرّجه عبدالرزاق في المصنف (٥/٢٥٠) برقم (٩٥١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٤٢٨، ٤٢٩) برقم (٤٨٠).
وقال الكبيسي في إسناده: عبدالرحمن بن زياد ضعيف في حفظه وللحديث شواهد ترفعه إلى درجة الحسن لغيره. أ.هـ.

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده (٣/٤٣٧، ٤٣٨)، وانظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٥١) بلفظ: «سبعمائة ضعف» وقال ابن كثير: وفي رواية: سبعمائة الف ضعف وضعفه الألباني. انظر: ضعيف الجامع الصغير (٢/٤٤) برقم (١٤٤٣).

وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال: إن الذكر والعمل الصالح يضعّف في سبيل الله على النفقة بسبعمائة ضعف[1].

وعن عبدالله بن عباس قال: التسبيح للمرابط في سبيل الله، لكل حرف من تسبيحه عينان يبصر بهما ، وأذنان يسمع بهما، وجناحان يطير بهما مع الملائكة حتى يدخل على رب العالمين فيأمر لصاحبه من الثواب ما لا يعلمه إلا الله[2].

وقيل: الفئة: الجماعة من المحاربين[3].

وقال ابن فورك: الفئة والجماعة المنقطعة من غيرها مأخوذ من قولك: فأوت[4] أي قطعته.

والذكر: ما ضاد السهو في النفس، وقد يكون الذكر قولاً من غير سهو.

قوله: ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ﴾ في أمر الحرب ﴿ ولا تنـزعوا ﴾ لا تختلفوا في أمر الحرب ﴿ فتفشلوا ﴾ فتجبنوا ﴿ وتذهب ريحكم ﴾ شدتكم .

والريح: النصرة[5] ﴿ واصبروا ﴾ في القتال مع نبيكم / ﴿ إن الله مع الصـٰبرين﴾ في الحرب. ٢٠٥/أ

(١) عزاه صاحب كنز العمال برقم (١٨٦١) لابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال من حديث معاذ بن أنس مرفوعاً، ولفظه : «يفضل الذكر على النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف ، وقال وليس في سنده من تكلم فيه سوى ابن لهيعة».

(٢) لم أقف عليه .

(٣) قال الراغب: (٥٨٥): الفئة: الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم على بعض في التعاضد.

(٤) انظر: اللسان مادة: (فأي).

(٥) حكاه الماوردي عن قتادة وابن زيد أنهما فسرا الريح بريح النصر التي يرسلها الله عزوجل لنصر أوليائه وهلاك أعدائه. انظر: النكت والعيون (٣٢٤/٢).

وقرئ ﴿فتفشلوا﴾ بفتح[1] الشين وكسرها[2] وهما لغتان:
فَشَل يَفْشِل، وفَشِل يَفْشَلُ مثل: قنط يقْنطُ، وقَنِط يقْنَط.
وقرئ ﴿فتفشلوا﴾ بفتح التاء[3] وكسرها[4] وهما لغتان أيضاً:

وأصل فتفشلوا فتفشلون فسقطت النون جواباً للنهي منصوباً إذا كان بالفاء. وقيل: معناه: أن تفشلوا، والفاء ها هنا بمعنى أن.

﴿وتذهب ريحكم﴾ قال مجاهد: نصرتكم [5].
قال الكسائي: جرأتكم وحدتكم[6].
قال مقاتل: جلادتكم[7].
قال النضر بن شميل[8]: قوتكم[9].
قال الأخفش: دولتكم[10].

---

(١) قراءة الجمهور.
(٢) قرأ بها الحسن وإبراهيم وهي قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط (٤/٥٠٣)، ومختصر ابن خالويه (٥٠).
(٣) بفتح التاء هي القراءة المتواترة الموافقة لرسم المصحف.
(٤) هي قراءة شاذة ولم أقف على من قرأ بها.
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٥٧٦) برقم (١٦١٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره(ص:٤٣٦) برقم (٤٩٠).
(٦) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (ق:٦٣/ب).
(٧) خرّجه الثعلبي في الكشف والبيان (ق:٦٣/ب)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٥٣) بلفظ: «حدتكم».
(٨) هو النضر بن شميل، المازني، أبو الحسن النحوي، نزيل مرو، ثقة، مات سنة أربع ومئتين. انظر: التقريب (٢/٣٠١).
(٩) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:٦٣/ب)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٥٣).
(١٠) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:٦٣/ب)، والبغوي في تفسيره ٢/٢٥٣).

قال يمانٌ: غلبتكم[١].

قال ابن زيد: يعني: ريح الصبا[٢]، ولا يكون نصرة إلا ومعها ريحٌ إعتباراً بقوله: ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾[٣].

قال ابن كيسان[٤]: ظفركم ورعب عدوكم[٥] اعتباراً بقوله ﷺ : نصرت بالرعب مسيرة شهر[٦].

وقرئ ﴿تذهب ريحكم﴾ بفتح[٧] التاء وضمها، فمن فتح التاء أو الياء جعل الفعل للريح ومن ضم التاء أو الياء جعل الفعل للمخاطب.

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٦٣/ب).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٧٧/١٣) برقم (١٦١٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٤٣٧) برقم (٤٩٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (ق:٦٣/ب)، وفي التفاسير: (النصر) أو (ريح النصر) وهو الصواب، وكأن ما في الأصل مصحف عنها. والأثر صحح إسناده عيادة الكبيسي في تحقيقه لرواية ابن أبي حاتم.

(٣) سورة الاحزاب آية ٩.

(٤) هو: صالح بن كيسان المدني أبو محمد أو أبو الحارث مؤدب ولد عمر بن عبدالعزيز، ثقة، ثبت، مات بعد الثلاثين أو الأربعين ومئة.

انظر: التقريب (٣٦٢/١).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:٢١/ب).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم (٨٦/١).

(٧) قوله وتذهب ريحكم قراءة مجمع على تواترها ولم يقرأ أحد بالضم حتى شذوذاً ، وقرأ المطوعي وعيسى بن عمر شذوذاً بالياء وجزم الباء الاتحاف ٢٣٧، والقراءات الشاذة ص٥٠، والبحر المحيط (٥٠٣/٤).

انظر: البحر المحيط (٥٠٣/٤)، والكشاف (١٢٩/٢).

وقرئ بنصب الباء[1] وجزمها[2] من ﴿ **تذهب** ﴾، فمن نصب جعله معطوفاً على ﴿ **تفشلوا**﴾ ومن جزم جعله معطوفاً على ﴿**ولا تنـٰزعوا**﴾.يعني ولا تذهب ريحكم ، والأول أصح.

وإنما قرىء بالياء والتاء، فمن قرأ بالتاء فلتأنيث الريح، ومن قرأ بالياء فلتقدم الفعل على الاسم.

وقرئ ريحكم بالنصب والرفع[3]، فالرفع على أن الذهاب لها والنصب على أنها مفعولة وهذه على قراءة من قرأ ﴿**وتذهب ريحكم** ﴾ بضم التاء والياء.

وقريء: ﴿ **ولا تكونوا** ﴾ بالتاء[4] والياء، فالتاء للخطاب، والياء على الخبر.

وقريء ﴿ **يعملون** ﴾ بالتاء والياء[5] فعلى ما ذكرنا.

قوله: ﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديـٰرهم ...**﴾ وذلك أن قريشاً خرجوا من مكة إلى عير أبي سفيان فبلغوا بالجحفة فلما نجا أبو سفيان أرسل إليهم رسولاً أن أرجعوا إلى مكة فقد سلمت عيركم. فقال أبو جهل: والله لا نرجع إلى مكة حتى ننزل بدراً وننحر جزوراً، ونشرب خموراً وتعزف عليه القيان حتى تظهر

---

(١) القراءة السبعية الموافقة لرسم المصحف.

(٢) قرأ بها المطوعي، انظر : اتحاف فضلاء البشر (٢٣٧).

(٣) القراءة الصحيحة الموافقة لرسم المصحف بضم الحاء، وبالنصب قراءة شاذة ولم أقف عليها في مظانها.

(٤) بالتاء هي القراءة الموافقة لرسم المصحف، وبالباء شاذة ولم أقف عليها في مظانها.

(٥) قرأ يعقوب بالتاء، وقرأ الباقون بالياء . انظر: التذكرة لابن غلبون (٣١٩/٢) وذلك عند قوله تعالى: ﴿ **والله بصير بما يعملون** ﴾ ٩٦ سورة البقرة.

شجاعتنا، ويظهر ضعف محمد فأنزل الله: ﴿ **ولا تكونوا** ﴾ يا أصحاب محمد في المعصية ﴿**كالذين خرجوا من ديـٰرهم**﴾ مكة ﴿ **بطراً** ﴾ أشراً ﴿ **ورئآء الناس** ﴾ سمعة الناس ﴿ **ويصدون عن سبيل الله**﴾ عن دين الله وطاعته ﴿ **والله بما يعملون** ﴾ في الخروج مع النبي ﷺ والحرب ﴿ **محيطٌ** ﴾ عالم.

وروي عن محمد بن كعب القرظي قال: لما خرج قريش من مكة إلى بدر، وخرجوا بالقيان والدفوف فأنزل الله: ﴿ **ولا تكونوا** ﴾[1] أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل والرياء والسمعة وترك إخلاص العمل لله واحتساب ترك الأجر فيه كالجيش من الكفار بالله ورسوله ﴿ **الذين خرجوا من ديـٰرهم** ﴾ من منازلهم ﴿**بطراً**﴾ ومراءات للناس بأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطشهم ﴿ **ويصدون عن سبيل الله** ﴾ أي ويمنعون الناس عن دين الله والدخول في الإسلام بقتالهم إياهم وتعذيبهم مَنْ قدروا عليه من أهل الإيمان بالله ﴿ **والله بما يعملون** ﴾ من الرياء والصد عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم ﴿ **محيط**﴾ عالمٌ بجميع ذلك/ لا يخفى عليه منه ٢٠٥/ب شيء.

﴿**ويصدون عن سبيل الله**﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿ **بطراً ورئـآء الناس**﴾ لان معناه: يبطرون ويراؤن إذ لا يعطف مستقبل على ماضي[2].

ورئاء على وزن فعال، المَدَّةُ فيه بين همزتين.

وقرأ الأعمش ﴿رئا﴾ بحذف إحدى الهمزتين استخفافاً[3]، وهكذا روى الأعمش عن أبي بكر[4].

---

(١) خرّجه الطبري في تفسيره (٥٨١/١٣) برقم (١٦١٨٢).

(٢) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (ق:٦٤/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٢٢/أ).

(٤) انظر المصدر السابق.

البَطَر: الخروج عن موجب النعمة من شكرها ، والقيام بحقها إلى خلافه.

والرياء: إظهار الجميل مع إبطان القبيح، وتصريفه: رآئى يرائي رئاءً.

قوله: ﴿ **وإذ زين لهم الشيطـٰن ... الآية** ﴾ قال ابن عباس: وذلك أن إبليس جاء يوم بدر في جند من [الشياطين][1] معه رايته في صورة رجل من بني مُدْلج يقال له: سُراقة بن مالك بن جعشم ﴿**وقال**﴾ للمشركين: ﴿**لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم**﴾ . فلما اصطف الناس للقتال أخذ رسول الله قبضةً من تراب فرماهم به [فولوا][2] مدبرين فأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه انتزع يده من يد رجل من المشركين وهرب فقال الرجل: يا سراقة ألم تزعم أنك جارٌ لنا قال: ﴿**إني أرىٰ ما لا ترون**﴾ يعني الملائكة ﴿**إني أخافُ الله والله شديد العقاب**﴾[3].

قال الكلبي: لما التقوا نزلت الملائكة مع المؤمنين ، وإبليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فلما نكص على عقبيه أخذ الحارث بن هشام بيده فقال: على هذه الحال يخذلنا قال: إني أرى ما لا ترون فقال: والله ما ترى إلا يعاصيص يثرب، يعني ضعفاء المدينة فقال: إني أخافُ الله. فقال الحارث: فهلا كان هذا أمس فدفع في صدر الحارث وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناس سراقة، فبلغ ذلك سراقة فجاء سراقة إلى أهل مكة فقال لهم: بلغني أنكم تقولون أني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا: ما أتيتنا في يوم كذا، فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك الشيطان فذلك قوله: ﴿**وإذ زين لهم الشيطـٰن أعمـٰلهم**﴾[4].فيه معنيان:

أحدهما: واذكر إذ زين.

---

(١) في الأصل من الشيطان والصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل [ولو] والصواب ما أثبته والتصويب من رواية الطبرى.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/١٤) برقم (١٦١٨٣) وابن أبي حاتم (٤٤٨، ٤٤٩) برقم (٥١٠).

(٤) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:٦٥/أ)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٥٤).

والثاني: وإن الله سميعٌ عليمٌ حين ﴿ **زين لهم الشيطـٰن**﴾ ابليس ﴿**أعمـٰلهم**﴾ خروجهم ﴿**وقال لا غالب لكم اليوم من الناس**﴾ يعني محمداً وأصحابه ﴿**وإنى جار لكم**﴾ معينٌ لكم.

قال ابن حبيب: الجار هاهنا ليس من الجوار الذي هو المجاورة، وإنما هو من الجوار الذي هو الأمن ومعناه: إني مجيرٌ لكم[1].

﴿ **فلما ترآءت الفئتان** ﴾ الجمعان: جمع المؤمنين، وجمع الكافرين ورأى إبليس جبريل مع الملائكة ﴿**نكَصَ على عَقِبَيْه** ﴾ رجع إلى خلفه وقيل: رجع القهقرى[2]. والنكص: الرجوع من حيث جاء[3].

﴿**وقال إني بريءٌ منكم** ﴾ ومن قتالكم ﴿ **إنى أرىٰ ما لا ترون**﴾ يعني جبريل مع الملائكة ﴿ **إنى اخاف الله**﴾.

قال الكلبي: خاف إبليس أن يأخذه جبريل ويعرفهم حاله بصورته فيعرف بالرؤية وكيده بالوسوسة والتخييل[4].

﴿**إنى أخاف** ﴾ وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: إني أخاف الله عليكم يعني: إني أخاف عذاب الله عليكم[5].

الثاني: إني أعلم صدق وعد الله لأوليائه، لأنه كان على ثقة من أمره[6].

وقيل: خاف إبليس أن يكون الوقت الذي أنظره الله قد حضر، والقيامة قد

---

(١) انظر: تفسيره (ق/٢٣/أ).

(٢) قاله النضر بن شميل، انظر: تفسير الثعلبي (ق/٦٤/ب).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (ق/٦٤/ب) ونسبه إلى قطرب وأبان بن تغلب.

(٤) خرّجه الثعلبي فى الكشف والبيان (ق/٦٥/ب)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٥٥).

(٥) ذكره الثعلبي فى تفسيره (ق/٦٥/ب) نقلاعن بعض التفاسير.

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (ق/٦٥/ب)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٥٥) ولم ينسباه لاحد.

قربت فيعذبه الله كما وعده فقال: إني أخاف الله[1].

﴿والله شديد العقاب﴾ يعني إذا عاقب فعقابه شديدٌ.

/ وقال النبي ﷺ : إن إبليس لما رأى الملائكة تقتل يوم بدر المشركين فأسرعوا ٢٠٦/أ فيهم أشفق أن يخلص إليه القتل ففر في البحر فلما دخل في الماء رفع يديه إلى ربه وقال: اللهم إني أنشدك نظرتك إياي[2] وأراد قوله: ﴿ إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ﴾[3]. وإنما لم يقدر الملك ولا الشيطان اليوم أن يتمثل بصورة الآدميين لأن هذا الوقت ليس بوقت نبوة، ويقدرون على ذلك في ذلك الزمان، لأن الزمان زمان النبوة[4].

والتزين والتحسين واحدٌ إلا أن التزين: رجوعٌ إلى الزينة والتحسين: قد يكون بالزينة ونفي الزينة.

قوله: ﴿إذ يقول المنافقون ... الآية﴾ هذه الآية نزلت في قوم كانوا بمكة مؤمنين ، فلما خرج أهل مكة لحرب بدر أخرجوهم كارهين، فلما وافوا بدراً، ورأوا قلة المسلمين ارتدوا كفاراً كما كانوا وهم نفرٌ منهم، من هؤلاء: [أبو][5] قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة وعلي بن أميه بن

---

(١) قاله ابن الأنباري. انظر: زاد المسير (٣/٣٦٧).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٧٨) وقال: أخرجه الطبري وأبو نعيم في الدلائل عن رفاعة بن رافع الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) سورة الحجر آية (٣٧، ٣٨)، وسورة ص آية (٨٠، ٨١) ونص الآيتين ﴿ قال فإنك من المنظرين • إلى يوم الوقت المعلوم ﴾.

(٤) هذا القول الذي أشار إليه المؤلف لا دليل عليه لا من الكتاب ولا من السنة، ومعلوم أن الملائكة جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام في صورة الرجال.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وأثبته من تفسير الطبري (٤/١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤٥٦).

خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج، وأبو اليسر الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة، وعمرو بن أمية بن سفيان بن أمية، كان هؤلاء مع المشركين فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم في الدنيا فذلك قوله: ﴿**إذ يقول المنـفقون ...**﴾[1].

قال ابن حبيب: ﴿ **إذ يقول** ﴾ مكرر على قوله ﴿ **إذ يريكهم الله** ﴾ ومعناه: وان الله سميع عليم اذ يريكهم الله، ﴿ **إذ يقول المنـفقون** ﴾[2] أي عالم بهما وبأحوالهما.

وقيل: معناه: والله بما يعملون محيطٌ واذ يقول المنافقون ، واذ زين لهم الشيطان، يكون التزيين وقول المنافقين في وقتٍ واحدٍ.

﴿ **إذ يقول المنـفقون** ﴾ الذين ارتدوا ببدر ﴿ **والذين فى قلوبهم مرض** ﴾ يعني سائر الكفار.

وفي المرض قولان:

أحدهما: الشك.

والثاني: الشرك.

﴿ **غرَّ هولآء** ﴾ يعني محمداً وأصحابه ﴿ **دينُهم**﴾ توحيدهم ﴿ **ومَنْ يتوكل على الله**﴾ في النصرة ﴿ **فإن الله عزيزٌ**﴾ بالنقمة من أعدائه ﴿ **حكيمٌ**﴾ بالنصرة لمن توكل عليه كما نصر نبيه ﷺ يوم بدر.

قوله: ﴿ **ولو ترىٰ** ﴾ معناه: ولو رأيت يا محمد ﴿ **إذ يتوفى الذينَ كفروا** ﴾ اذ يقبض أرواح الذين كفروا ﴿ **الملـئكة** ﴾ يوم بدر، وجوابه محذوف معناه: ﴿**ولو**

(١) خرجه الطبرى في تفسيره (١٣/١٤) برقم (١٦١٩٥) ، وابن أبي حاتم (ص:٤٥٦) برقم (٥٢٠). وقال عبادة الكبيسي: إسناده صحيح. ونقله مثله ابن كثير (١٩/٤) عن عامر الشعبي وذكر ابن كثير رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الذي قال ذلك هم المشركون يوم بدر (١٩/٤).

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٢٣/ب).

ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملـئكة يضربون وجوههم وأدبـرهم لرأيت أمراً عجيباً ومنظراً عظيماً وعقابا شديداً، وحذف هذا الجواب في مثل هذا الموضع أبلغ في العربية وأحسن في الفهم ﴿**يضربون وجوههم**﴾ على وجوههم ﴿**وأدبـرهم**﴾ على ظهورهم.

واختلفوا في أن هذا الفعل من الملائكة في أي وقت لهم يعني ضرب الوجوه والأدبار.

فقال ابن عباس: يوم بدر(1).

قال عطية العوفي: وقت النزع(2).

قال الحسن البصري: يوم القيامة(3).

قال الحسين بن الفضل: يضربون وجوههم بكفرهم وأدبارهم بمعاصيهم(4).

وقيل: الوجوه عبارة عن قدامهم، والأدبار عبارةٌ عن خلفهم ومعناه: يضربون عن قدامهم وعن خلفهم(5).

وقال مجاهد: أدبارهم استاههم(6).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/١٤) برقم (١٦٢٠٤).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:٢٤/أ).

(٣) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:٦٦/أ)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٥٦).

(٤) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:٦٦/أ)، وذكره ابن حبيب (ق:٢٤/أ).

(٥) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٣٦٩).

(٦) خرّجه الطبري في تفسيره (١٦/١٤) برقم (١٦٢٠١، ١٦٢٠٢، ١٦٢٠٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦١) برقم (٥٢٧)، والثعلبي في تفسيره (ق:٦٦/أ).

وروي أن رجلاً قال للنبي ﷺ يوم بدر إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندر رأسه فقال: [سبقتك][1] اليه الملك[2].

﴿وذوقوا﴾ ومعناه: أي ويقولون لهم ﴿ ذوقوا عذاب الحريق ﴾ الشديد ليس من الذواق بالضم إنما معناه: قاسوا واحتملوا عذاب الحريق. وتقول العرب: اركب هذا الفرس وذقه[3].

قال ابن حبيب: رأيت في بعض / التفاسير: كان مع الملائكة مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار في الجراحات فذلك قوله: ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾[4]. ٢٠٦/ب

وقال رسول الله ﷺ : «إذا خرجت نفس الكافرين عرج بها إلى السماء فيملأ ما بين السماء والأرض ريحاً منتنة حتى انتهت إلى السماء حُجِبت فيقول الله: ارجعوا بعبدي فيصيح فيقول: يا ويلاه أين تذهبون بي؟ فتضرب الملائكة وجهه ودبره[5].»

وقال ابن فورك: الحريق تفرقة أجسام كثيرة بنار عظيمة[6].

﴿ ذلك ﴾ العذاب ﴿ بما قدمت أيديكم ﴾ أي عملت أنفسكم في الشرك

---

(١) كذا في الأصل والصواب بحذف التاء: [سبقك]، ومعنى ندر رأسه أي سقط رأسه.

(٢) انظر: الكافي الشافي لابن حجر بذيل الكشاف (٦٧، ٦٨) حيث قال ابن اسحاق في المغازي: حدثني أبي عن رجال من بني مازن عن أبي داود المازني فذكره. ومن طريقه أخرجه إسحاق، والطبري وغيرهما. وانظر تفسير الطبري (١٤/١٧) برقم (١٦٢٠٦).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٢٤/أ)، والثعلبي (ق:٦٦/ب).

(٤) ابن حبيب (ق:٢٤/أ)، والثعلبي (ق:٦٦/ب).

(٥) لم أجده بهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف رحمه الله.

(٦) كما تلاحظ فيه تكرار في الكلام.

﴿**وأن الله ليس بظلـم للعبيد**﴾ أي على العبيد أن يأخذهم بلا جُرْم ﴿**كدأب ءال فرعون**﴾ كصنيع آل فرعون.

﴿**وَالذين من قبلهم كفروا بئايٰت الله**﴾ بكتاب الله ورسوله أي كفر كفار مكة بمحمد والقرآن كما كفر فرعون وقومه.

﴿**والذين من قبلهم كفروا بئايٰت الله**﴾ بكتاب الله ورسوله يقول: كفر كفار مكة بمحمد والقرآن كما كفر فرعون وقومه[1] والذين من قبلهم بالكتاب والرسل.

قال الحسن: معناه: حكم الله في كفار مكة كحكمه في آل فرعون ، والذين من قبلهم[2].

وقيل:[3] معناه: نهلكهم كما أهلكنا آل فرعون والذين من قبلهم.

﴿**فأخذهم الله بذنوبهم**﴾ بتكذيبهم ﴿ **إن الله قوى** ﴾ بالأخذ ﴿ **شديد العقاب** ﴾ إذا عاقب.

والفرق بين آل فرعون وأصحابه: أن الآل: يرجعون بالنسب الأوكد والأقرب فلهم هذه المنزلة.

وأما الأصحاب: فمن الصحبة لطلب العلم أو الموافقة أو غيره كالأصحاب في السفر، وقد كثر في الموافقة على المذهب كقول الناس: أصحاب الشافعي، وأصحاب مالك ومن جري مجراه. يراد به: الموافقة في المذهب، ولا يوصفون بأنهم آل الشافعي وآل مالك.

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير الطبري (١٨/١٤).

(٢) لم أقف عليه عن الحسن، وذكر ابن حبيب مثله عن يمان بن رباب (ق/٢٤/ب).

(٣) ذكر الواحدي مثله في الوسيط ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما (٤٦٦/٢).

وإنما قيل: آل فرعون لأنهم رجعوا إليه بالنسب الأوكد في اتباعه على عبادته.

﴿ذلك﴾ العذاب ﴿ بأن الله لم يَكُ مُغَيِّراً نعمةً أنعمها علىٰ قوم ﴾ بالكتاب والرسولِ والأمر ﴿ حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم ﴾ بترك الشكر.

وقال السدي: في قوله: ﴿ نعمةً أنعمها علىٰ قوم ﴾: وأن الله بعث محمداً إلى أهل مكة، فلما كفر أهل مكة بمحمد وتركوا شكر نعمة الله به صرف الله عنهم تلك النعمة إلى غيرهم وهم الأنصار[1] من أهل المدينة.

تغيير الله النعمة صرف محمد من مكة إلى المدينة، وتغيرهم كفرهم بمحمد والقرآن .

وروى علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي مضروب عليهم حصن من العافية يدرأ عنهم الآفات ما وُقِّرتْ كبراؤها، وعُظِّمت علماؤها وأُديت[2] أماناتها ونُصرت ضعفاؤها، فإذا استخفت كبراؤها، وأبغضت علماؤها وخونت أماناتها وذُلّلت ضعفاؤها رماها الله من المعضلات من الداء، وفتحت عليهم خمسة أبوابٍ، باب من الذل للعدو فلا ينتصرون، وبابٌ من الفقر فلا يستغنون ، وباب من الحرص فلا يمتنعون ، وبابٌ من الأمل فلا يقتصرون، وباب من الظلم فلا يتناصرون»[4].

﴿ ذلك بأن الله لم يَكُ مغيراً ﴾ حذفت النون من ﴿ لم يك ﴾ لكثرة

---

(١) خرّجه بن جرير الطبري (١٤/٢٠) برقم (١٦٢٠٩)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٥٦)، وابن حبيب (ق: ٢٤/ب).

(٢) كذا في الأصل والصواب: [وأدت] والتصويب من تنزيه الشريعة.

(٤) ذكره صاحب تنزيه الشريعة (٢/٣٩٥) وقال: فيه مسلم ابن بكار وآخرون لم أعرفهم والله تعالى أعلم أهـ.

الاستعمال مع عدم الإخلال / وعلى هذا جميع ما في القرآن ﴿ **لم يك** ﴾ ﴿**ولا تك في ضيق مما يمكرون**﴾[1]. ٢٠٧/أ

والتغيير: تصيير الشيء على خلاف ذلك.

﴿ **وأن الله سميع** ﴾ لدعائكم ﴿ **عليم** ﴾ باجابتكم ﴿**كدأب ءال فرعون**﴾ كصنيع آل فرعون ﴿ **والذين من قبلهم كذبوا بئايـٰت ربهم** ﴾ بالكتب والرسل كما كذب أهل مكة ﴿ **فأهلكنـٰهم بذنوبهم** ﴾بتكذيبهم ﴿**وأغرقنآ ءال فرعون** ﴾ أي وأغرقنا فرعون وقومه ﴿ **وكلٌّ** ﴾ يعني وكلُ هؤلاء ﴿ **كانوا ظـٰلمين** ﴾ كافرين.

قوله: ﴿ **إنَّ شَرَّ الدوآبّ عند الله الذين كفروا** ﴾ هذه الآيات نزلت في بني قريظة والنضير ونقضهم عهد رسول الله ﷺ في يوم الخندق، وذلك أن اليهود نقضوا عهد رسول الله ، ووافقوا أبا سفيان ، وعاهدوه على حرب رسول الله ورأسهم يومئذ كعب بن الأشرف. عن الكلبي[2].

وقال سعيد بن جبير: رأسَهم يومئذ زيد بن تابوه[3].

وقصتهم مذكورة تأتي في سورة الحشر إن شاء الله.

فأنزل الله : ﴿ **إن شر الدوآب** ﴾ الخلق والخليقة ﴿ **عند الله** ﴾ يعني في معلوم الله وفي حكمه ﴿ **الذين كفروا** ﴾ بنو قريظة والنضير وغيرهم ﴿ **فهم لا يُؤْمنون** ﴾ بمحمدٍ والقرآن .

ومعنى هذه الفاء في ﴿ **فَهُمْ**﴾ عطف جملة على جملة.

---

(١) سورة النحل آية ١٢٧.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:٢٤/ب)، وخرّجه البغوي في تفسيره عن الكلبي وعن مقاتل (٢/٢٥٧)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/١٢٢).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٢٥/أ) باسم زيد بن التابوت ولم أقف له على ترجمة.

وقيل: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ المعاهدة والمعاقدة، ثم بينّهم فقال: ﴿الذين عاهدت منهم﴾ يا محمد معهم، مع بني قريظة والنضير ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ في كل حين ﴿وهم لا يتقون﴾ عن نقض العهد، وقيل: ﴿وهم لا يتقون﴾ أي ينقضون العهد من غير أن يتقوا عقاب الله ﴿فإما تَثْقَفَنَّهم﴾ تأسرنَّهم ﴿في الحرب فشرد بهم﴾.

قال ابن عباس: فَنَكِّلْ بهم مَنْ خلفهم لكي يكونوا عبرة لمن خلفهم.[1]

قال عبدالرحمن بن زيد: أخفهم بما تصنع بهؤلاء[2] في بني قريظة والنضير .

قال ابن كيسان: يقول: اقتلهم، ولا يهرب[3] عنك مَن بعدهم[4].

قال القتيبي: ﴿فشرد بهم﴾ فَسَمِّعْ مَنْ خلفهم[5].

قال ابن حبيب: تقديره: ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ يعني مَنْ عمل بمثل عملهم[6].

وقال أيضا: رأيت في بعض كتب المعاني ﴿فشرد بهم﴾ قرئ بالدال غير المعجمة وبالذال المعجمة.[7]

---

(١) خرّجه الطبري في تفسيره (١٤/٢٣) برقم (١٦٢١٢، ١٦٢١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٤٦٨) برقم (٥٤٢)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٥٧).

(٢) خرّجه الطبري في تفسيره (١٤/٢٤) برقم (١٦٢٢٠) ، وابن أبي حاتم (ص:٤٧٠) برقم (٥٥٠) قال المحقق إسناده صحيح.

(٣) كذا في الأصل والصواب: [اقتلهم قتلاً يهرب عنك من بعدهم] تم التصويب من تفسيري ابن حبيب والثعلبي.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:٢٥/أ)، وخرّجه الثعلبي في الكشف والبيان (ق:٦٧/ب).

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:١٨٠).

(٦) انظر: تفسيره (ق:٢٥/أ).

(٧) بالذال قراءة شاذة منسوبة لابن مسعود . انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ض:٥٠)، وانظر: تفسير ابن حبيب (ق:٢٥/أ).

قال قطرب: التشريد بالدال غير المعجمة: التنكيل، وبالذال معجمة: التفريق[١].

﴿مَن خلفهم﴾ قرئ بفتح الميم وكسرها[٢]، فمن فتح جعل مفعولاً، ومن كسره جعل[٣] حرف الصفة.

﴿لعلهم يذَّكَّرون﴾ يتعطفون فيجتنبون نقض العهد.

﴿وإما تَخَافَنَّ﴾ يا محمد تَعْلَمَن ﴿مِنْ قومٍ﴾ بينك وبينهم عهد وعقد وهم بنو قريظة ﴿خيانةً﴾ بنقض العهد ﴿فَانْبِذْ إليهم على سواءٍ﴾ فنابذهم على بيان، لأن الخيانة لا تجوز على النبي ﷺ كقوله: ﴿وما كان لنبيٍ أن يَغُلَّ﴾[٤] أن يخون وهذا من فصيحات القرآن[٥].

وقيل: ﴿فانبِذْ إليهم علىٰ سوآءٍ﴾ معناه: فانقض عهدهم، وأخبرهم بنقضك عهدهم حتى يعلموا أنك نقضت عهدهم.[٦]

قال الكسائي: ﴿علىٰ سوآءٍ﴾ على عدل وحق[٧].

وقيل: على مهل[٨].

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٢٥/أ)، وتفسير الكشف والبيان للثعلبي (ق:٦٧/أ).

(٢) قراءة شاذة قرأ بها أبو حيوة والأعمش. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٥٠)، والكشف والبيان للثعلبي (ق:٦٧/ب).

(٣) كذا في الأصل والأفصح أن يقال: جعله في الموضعين.

(٤) سورة آل عمران آية ١٦١.

(٥) هذا الكلام يوحي بأن في القران فصيح وغير فصيح وليس ذلك بصحيح فالقرآن الكريم في غاية الفصاحة والبلاغة والإعجاز.

(٦) قال بمثله ابن حبيب في تفسيره (ق:٢٦/أ).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٧/١٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣٧٣/٣).

(٨) خرّجه الطبري في تفسيره (٢٦/١٤) برقم (١٦٢٢٢) عن الوليد بن مسلم.

وقيل: على وسط[1].

وقيل: على أمر بيّن[2].

قال قطرب: النبذ: الطرح[3].

﴿ إن الله لا يحب الخآئنين﴾ بنقض العهد وغيره من بني قريظة وغيرهم.

قيل: ﴿لا يحب الخائنين ﴾ أي الغادرين في نقض العهد وغيره.

قوله: / ﴿ولا يحسبن ﴾[5] يا محمد ﴿ الذين كفروا ﴾ من بني قريظة ٢٠٧/ب ﴿سبقوا﴾ سابقين، وبالياء[6] جعل لها معنيين:

﴿ ولا يحسبن ﴾ المؤمنون ﴿ الذين كفروا سبقوا ﴾

والثاني: ولا يحسبن الذين كفروا أن يسبقوا كقوله: ﴿ ومن ءايلته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾[7] معناه: أن يريكم.

وقرئ: ﴿ إنهم لا يعجزون ﴾ بكسر[8] الألف وفتحها[9]، فبالكسر يكون إبتداء، وبالفتح معناه: لأنهم لا يعجزون أو جعلها مقدما ومؤخراً على معنى، ولا يحسبن المؤمنون الذين كفروا أنهم سبقونا لا يعجزون.

والحسبان: الشك.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٧).

(٢) قاله مقاتل بن سليمان (٢/١٢٣)، وابن حبيب (ق:٢٥/ب) وفيه: على أمر علانية من غير سره.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق/٢٦/أ).

(٤) لم أقف على من قال به.

(٥) قراءة الجمهور . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٥).

(٦) قرأ بها ابن عامر وحفص وحمزة. انظر: التذكرة في القراءات لابن غلبون (٢/٤٣٥).

(٧) سورة الروم آية ٢٤.

(٨) بالكسر قراءة الجمهور . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٥).

(٩) قرأ بها ابن عامر . انظر: نفس المصدر السابق.

والسبق: تقدم الشيء على طالبه للخوف.

والإعجاز: إتخاذ ما يعجز عنه.

﴿وأعدوا لهم﴾ أي واستعدوا لهم لبني قريظة وغيرهم.

﴿ما استطعتم من قوة﴾ من سلاح.

وقال النبي ﷺ: «القوة ها هنا الرمي».

والدليل على أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿وأعدوا لهم ...الآية﴾ فقال: «ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي»[1].

﴿ومن رباط الخيل﴾ معناه: وأعدوا لهم من الخيل الروابط الإناث.

وقرىء: ﴿من رباط الخيل﴾ من أربعة أوجه:

من رباط الخيل وهو مصدر وقيل: الرباط هو: الخيل المربوط كالكتاب والمكتوب، والحساب يعني المحسوب.

وقرئ: من رَبْطِ الخيل بفتح الراء[2] وجزم الباء على أنه مصدرٌ.

وقرئ: من رُبُط الخيل بضم[3] الراء والباء جميعاً على أنه جمع رباط.

وقرئ: من رُبْط[4] الخيل بضم الراء وجزم الباء على أنه تخفيف رُبُط.

﴿تُرْهِبون به﴾ تُخَوِّفون بالخيل ﴿عدو الله﴾ في الدين من المشركين والجن ﴿وعَدُوَّكم﴾ بالقتل.

---

(١) الحديث خرّجه الامام مسلم في صحيحه (١٥٢٢/٣) برقم (١٩١٧)، وكتاب الإمارة باب (فضل الرمي).

(٢) شاذة ولم أقف على من قرأ بها.

(٣) قراءة شاذة قرأ بها الحسن. انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ٥٠).

(٤) قراءة شاذة قرأ بها أبو حيوة. انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ٥٠).

﴿ ترهبون ﴾ قرئ من خمسة أوجه:
تُرهبون[١] بضم التاء مخفف من أرهَبَ يُرهِبُ.
وتُرَهِّبون بالتشديد[٢] رَهَّبَ يُرَهِّبُ.
ويُرَهِّبون بضم الياء[٣] مشدداً أيضاً من الرهيب.
وتَرْهِبُون بفتح التاء وكسر الهاء[٤] مخفف من الترَهُّب.
وتَرْهُبون بفتح التاء وضم الهاء[٥] مخفف من الرُّهْب.
والقراءة هي الأولى لإجماع القراء عليها.
قال أبو عمرو بن العلاء[٦]: رَهِبت وأرْهَبُ بمعنى واحد[٧].
قال الكلبي: أرهب أشد مبالغة من رهبت[٨].
وقرئ: ﴿ عدو الله ﴾ من وجهين:
- بالإضافة.　　　　- والتنوين[٩].
والإضافة أصحهما.

---

(١) قرأ بها جمهور القراء وهي القراءة المتواترة الصحيحة.
(٢) قرأ بها أويس. انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٣٥/٢).
(٣) قرأ بها السلمي وعصمة وهي قراءة شاذة . انظر: شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٥٠).
(٤) شاذة لم أقف على من قرأ بها.
(٥) شاذة لم أقف على من قرأ بها.
(٦) هو: أبو عمرو بن العلاء المازني المقرئ الإمام عالم أهل البصرة. قال الذهبي: حجة في القراءة أختلف في اسمه واكثر الناس على أن أسمه: زبان .
انظر: ميزان الإعتدال للذهبي (٥٥٦/٤)، وانظر: المقتنى في سرد الكنى للذهبي (٤٣٠).
(٧) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٢٧/أ).
(٨) انظر المصدر السابق.
(٩) بالتنوين قراءة شاذة قرأ بها أبو عبدالرحمن السلمي، أنظر: البحر المحيط (٥١٢/٤)، ومعاني القرآن للفراء (٤١٦/١).

﴿ وءاخرين من دونهم ﴾ من دون بني قريظة يعني سائر العرب لا تعلمونهم.

﴿ وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم ﴾ من هم؟ فيه خمسة أقاويل:

قال مجاهد: إنهم بنو قريظة[1].

والثاني: قال السديّ: أهل فارس وهم كفار[2].

والثالث: قال الحسن: المنافقون[3].

والرابع: قال النبي ﷺ : الجن [4].

والخامس: من لا تعرفون عدواته. عن بعضهم[5].

قال ابن حبيب: قول من قال ﴿ وءاخرين من دونهم ﴾ الجن أولى الأقاويل[6] لدلالة ما قبله وما بعده، فأما ما قبله ﴿ ترهبون به عدوَ اللهِ وعدوكم ﴾ والإرهاب للجن أكثر من الإنس، وأما ما بعده قوله: ﴿ لا تعلمونهم ﴾ والمؤمنون كانوا

---

(١) خرّجه الطبري في تفسيره (٣٦/١٤) برقم (١٦٢٣٩، ١٦٢٤٠).

(٢) خرّجه الطبري (٣٦/١٤) برقم (١٦٢٤١).

(٣) خرّجه ابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٤٨٨) برقم (٥٨٥) بسنده إلى مقاتل بن حيان وحكم المحقق الكبيسي على صحة إسناده، وذكره الماوردي ونسبه إلى الحسن وابن زيد (١١١/٢). وقد رجح ابن كثير هذا المعنى ، انظر: تفسيره (٣٢٢/٢).

(٤) خرّجه ابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٤٨٦، ٤٨٧) برقم (٥٨٣)، وبسند ضعيف، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣٢٢/٢) وقال: هذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه.

(٥) قال مقاتل بن سليمان (١٢٣/٢): من دون كفار العرب يعني اليهود لا تعرفهم يا محمد.

(٦) مما قال بذلك ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٧/١٤). وقد خالفه ابن كثير ورجح أنهم المنافقون كما سبق، وهذا القول الذي رجحه ابن حبيب ومن قبله الطبري ووافقهم عليه المؤلف ضعيف جداً من وجهين:

أحدهما: أن الحديث المروي في هذا الباب ضعيف كما قال ابن كثير رحمه الله : لا يصح إسناده ولا متنه.

الثاني: أن الجن لا يقاتلون بالخيل والسلاح، وإذا ثبت ذلك فأولى الأقوال بالصواب ما رجحه ابن كثير في تفسيره ، لأن المنافقين كثر، ومنهم من يخفى أمره على المؤمنين والله أعلم.

يعرفون عداوة المشركين من العرب، وفارس، واليهود والمنافقين.

وقيل: ﴿ لا تعلمونهم ﴾ لا تعلمون عدتهم ﴿الله يعلمهم﴾ أي يعلم عدتهم، والعلم يتعدى إلى مفعولين وها هنا يتعدى إلى مفعول واحد، لان العلم ها هنا بمعنى المعرفة أي لا تعرفونهم الله يعرفهم.

﴿ وما تنفقوا من شئ ﴾ من مال ﴿ في سبيل / الله ﴾ في طاعة الله على السلاح والخيل ﴿ يُوَفَّ اليكم ﴾ يوفر لكم ثوابه ﴿ وأنتم لا تُظْلَمون ﴾ أي لا ينقص من ثوابكم شيء. ٢٠٨/أ

قوله: ﴿ وإن جنحوا للسَّلْم ... الآية﴾ نزلت هذه الآية والتي بعدها في بني قريظة.

وقال أكثر المفسرين[1]: هذه الآية منسوخةٌ بقوله: ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾[2] يعني ﴿ وإن جنحوا للسلم ... الآية ﴾ .

وقيل: هذه الآية غير منسوخة لأن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب [و][3] قوله: ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ نزلت في عبدة الأوثان ، وحكم عبدة الأوثان خلاف حكم أهل الكتاب[4].

---

(١) ممن قال بذلك من المفسرين ، قتادة، وعكرمة، والحسن البصري، وابن زيد، انظر: تفسير الطبري (٤١/١٤، ٤٢)، والأثار (١٦٢٤٥، ١٦٢٤٦، ١٦٢٤٧، ١٦٢٥٠).

(٢) سورة التوبة آية ٥.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل وتم استدراكه.

(٤) رجح ابن جرير الطبري (٤٢/١٤، ٤٣)، الاحكام في الآيتين. فقال: فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى، بل كل واحدة منهما محكمة فيما نزلت فيه، وذكر ابن كثير أقوال من قالوا بالنسخ ثم قال وفيه نظر: لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفاً، فإنه يجوز مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص (٢٧/٤، ٢٨).

﴿ وإن جنحوا ﴾ أي إن مال بنو قريظة إلى الصلح فأرادوا الصلح ﴿ فاجنح لها﴾ أي فمل إليها وأردها.

وقرِيء: ﴿ للسَّلْم ﴾ من ثلاثة أوجه:

أحدها: بكسر السين.

والثاني: بفتحها[١].

والثالث: بفتح السين واللام[٢] جميعاً.

وهذه ثلاث لغات والمعنى واحدٌ.

﴿ فاجنح لها ﴾ من ثلاثة أوجه:

أحدها: بفتح[٣] النون.

وضمها[٤].

وكسرها[٥].

وهي ثلاث لغات والمعنى واحدٌ جنح يجنحُ ويجنُحُ ويجنِحُ إذا مال.

قرئ ﴿ لها ﴾ بالألف وغير الألف[٦] وهي كنايةٌ عن السِّلم.

والسَّلْم يُذَكَّر ويُؤنَّث، فمن قرأ بالألف قال: السَّلْمُ مؤنثٌ، وبغير الألف قال: السَّلْمُ مذكرٌ، والتأنيث أفصح لما جاء به كتابة المصحف وهو قوله ﴿ فاجنح لها ﴾.

---

(١) قراءة الجمهور بفتح السين، وقرأ بكسرها أبو بكر شعبة بن عياش عن عاصم ، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٥٠).

(٣) بفتح النون قراءة الجمهور وهي الموافقة لرسم المصحف.

(٤) قرأ بها أبو زيد وهي قراءة شاذة . انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ٥٠). وقرأ بها أيضاً الأشعث العقيلي . انظر: البحر المحيط (٤/٥١٤).

(٥) شاذة ولم أقف على من قرأ بها.

(٦) بالألف هي القراءة الصحيحة الموافقة لرسم المصحف، وبدون الف شاذة ولم أقف على من قرأ بها.

قوله: ﴿ وتوكل على الله ﴾ أي ثق بالله في نقضهم ووفائهم ﴿إنه هو السميع﴾ لمقالتهم ﴿ العليم ﴾ بنقضهم ووفائهم ﴿ وإن يريدوا ﴾ يعني بني قريظة ﴿ أنْ يخدعوك﴾ بالصلح، والخديعة: إظهار محبوب في الأمر إستجابة له، والإبطان على خلافه . ﴿ فإنَّ حَسْبَكَ اللهُ ﴾ أي الله حسبك وكافيك[٢] وقيل: ﴿ حسبك الله﴾ أي كفاك الله[٣] يقال: أعطاني ما حسبني يعني أعطاني ما كفاني.

﴿ هو الذى أيَّدك ﴾ أي أعانك وقواك ﴿ بِنَصْرِهِ ﴾ بنصرة الله إياك يوم بدر ، وأيدك من الأيد والقوة ﴿ وبالمؤمنين ﴾ وبالأوس والخزرج وذلك أن المدينة نصفٌ للأوس، ونصفٌ للخزرج فوقع بينهم الخلاف والعصبية عندما كانوا كافرين ، فرفع الله من بينهم ذلك الخلاف والعصبية بالإيمان، وذكر منَّته عليهم فقال: ﴿ وبالمؤمنين﴾ يعني أوساً، وخزرجاً ﴿ وألَّفَ بين قلوبهم ﴾ يقول جمع الله بين قلوبهم وكلمتهم بالإسلام ﴿ لو أنفقْتَ ما فى الأرض جميعاً ﴾ من الذهب والفضة، ﴿ مآ ألفت بين قلوبهم ﴾ وكلمتهم بالإسلام ﴿ ولكنَّ اللهَ ألَّفَ بينهم ﴾ بين قلوبهم جمع بين قلوبهم وكلمتهم بالإيمان ﴿ إنه عزيزٌ ﴾ في ملكه وسلطانه ﴿ حكيمٌ ﴾ في أمره وقضائه.

قال ابن مسعود: ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ نزلت في المتحابين في الله[٤].

قال السدّي: نزلت في الأوس والخزرج[٥].

قال مجاهد: إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر الله لهما وتحاتت خطاياهما كما

---

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/٢٦٠)، وتفسير البحر المحيط لابن حيان (٢/٥١٤).

(٣) انظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان بهامش تفسير الطبري (١٠/٢٠).

(٤) خرجه الطبرى في تفسيره (١٤/٤٧، ٤٨) برقم (١٦٢٦١، ١٦٢٦٤).

(٥) خرجه الطبري في تفسيره عن السدّي (١٤/٤٥) برقم (١٦٢٥٦) بلفظ الأنصار بدل الأوس، والخزرج وبرقم (١٦٢٥٨) (١٤/٤٦) بلفظ الأوس والخزرج عن ابن إسحاق.

تحاتٌ ورق الشجر. قال عبدة قلت لمجاهد: بالمصافحة يغفر لهما؟ قال: لا بالقلب هذا فإن الله يقول: ﴿لو أنفقت ما فى الأرض ...﴾ الآية. قال : فعلمت أنه أفقه مني[1].

وقال الحسن: أول ما يرفع من الناس الألفة[2].

ويقال في هذه الآية: معنى قول النبي ﷺ : «الأرواح جنودٌ مجندةٌ » في الهواء «فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف»[3].

وقال بعض أهل الإشارة[4]: إن الله ألف بين قلوب المرسلين / بالرسالة ، وقلوب ٢٠٨/ب الأنبياء بالنبوة، وقلوب الصديقين بالصدق، وقلوب الشهداء بالمشاهدة، وقلوب الصالحين بالخدمة، وقلوب عامة المؤمنين بالهداية، فجعل الصديقين رحمةً على الشهداء، وجعل الشهداء رحمةً على الصالحين، وجعل الصالحين رحمةً على عامة عباده من المؤمنين، وجعل المؤمنين رحمةً على الكافرين.

وقرئ ﴿ هو الذى أيدك ﴾ بالمد وغير المد، وهما لغتان[5].

وقرئ ﴿ وألَّفَ ﴾[6] بفتح جميع الأحرف على الماضي يعني: جمع الله بين قلوبهم بالإسلام والإيمان.

وقرئ ﴿ وألِفْ ﴾ بكسر اللام وجزم الفاء على الأمر[7] معناه: وألِّف يا محمد

---

(١) خرّجه الطبري في تفسيره عن عبدة بن أبي لبابه عن مجاهد مع اختلاف يسير في بعض الفاظه (١٠٤/٤٦، ٤٨) برقم (١٦٢٦٠) و (١٦٢٦٣).

(٢) خرّج الطبري في تفسيره بنحوه عن ابن إسحاق بلفظ: «كنا نُحدث أن أول ما يرفع من الناس – أو قال: عن الناس – الألفة »(١٤/٤٧، ٤٨) برقم (١٦٢٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/١٠٤)، ومسلم (٤/٢٠٣١) كتاب البر والصلة.

(٤) يعني الذين يفسرون بالتفسير الاشاري وهم الصوفية.

(٥) يظهر أن المدّ لغة وليس قراءة فلم أقف عليها قراءة.

(٦) هي القراءة الموافقة لرسم المصحف.

(٧) وهذه قراءة شاذة ، ولم أقف على من قرأ بها.

بين قلوبهم.

وقرئ ﴿ ولكنّ اللهَ ﴾ بتشديد النون ونصب الهاء[1].

وقرئ ﴿ ولكن الله ﴾ بكسر النون خفيفةً ورفع الهاء من الله تعالى[2].

قوله: ﴿ يـأيها النبى حسبك الله ... الآية﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال[3]، وجملة هذه السورة نزلت بالمدينة غير هذه الآية فإنها نزلت بالبيداء

وقال الدينورى: نزلت هذه الآية في الأوس والخزرج.[4]

وهى متصلةٌ بما قبلها ﴿يـأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ الأوس والخزرج.

وقال الكلبي:[5] نزلت هذه الآية في إسلام عمر.

وعلى هذا القول لم تتصل بما قبلها.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية: ﴿ إنكم وما تعبدون ... الآية ﴾[6] فقام أبو

---

(١) هذه قراء الجمهور وهي القراءة المشهورة.

(٢) لم أقف على من قرأ بها.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٢٨/ب)، وقال بذلك الزمخشري دون عزو (١٣٣/٢)، وانظر أيضاً: البحر المحيط (٥١٤/٤).

(٤) انظر: تفسيره المسمى بالواضح مخطوط (ق:١٩٥/ب).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:٢٨/ب) برواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وقال ابن كثير (٣١/٤): بعد أن ذكر الأقوال التي بيّن أن الآية مدنية وأنها نزلت في غزوة بدر، فقال: «وقد روى عن سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير: أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب وكمل به الأربعون، وفي هذا نظر، لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة والله أعلم» أهـ.

(٦) سورة الأنبياء آية ٩٨.

جهل بن هشام خطيباً فقال: يا معشر قريش إن محمداً قد شتم آلهتكم ، وسفه أحلامكم، وزعم أن من مضى من آبائكم يتناهقون في النار تناهق الحمير، ألا ومن قتل محمداً فله مائة ناقة حمراء سوداء وألف أوقية من فضة فقام عمر بن الخطاب وهو على غير دين الإسلام فقال: يا أبا الحكم الضمان صحيحٌ ، وأبو الحكم كنية أبو جهل ولقبه واسمه عمرو بن هشام فقال أبو جهل: نعم عاجلاً غير آجل فقال عمر: واللات والعزى . قال أبو جهل: نعم فأخذ بيد عمر حتى أدخله الكعبة وأشهد عليه هُبَلَ وهو الصنم الأكبر ، وكانوا إذا أرادوا سفراً أو حرباً أو سلماً أو نكالاً لم يفعلوا شيئاً حتى يستأمروا هبل قال: فاشهد عليه هُبَلَ، وتلك الأصنام قال: فخرج عمر متقلداً سيفه متنكباً كنانته يريد قتل النبي ﷺ فلقيه رجل من بني زهرة[1] فقال: اين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمداً قال: فما تصنع به؟ قال: اقتله. قال: فكيف تأمن من بني هاشم، وبني المطلب إذا أنت قتلت محمداً، وما أظن أبا طالب يرضى بهذا . فقال له عمر: إني لأظنك قد صبوت إلى محمدٍ فلو علمت ذلك منك لقتلتك. فقال الزهري: كلا إني على دين آبائي. ثم انطلقا يمشيان حتى أتيا الأبطح فإذا هما بعجل يريدون ذبحه وقد جمع الناس حوله ليقسموا لحمه فلما أوثقوه ، وأضجعوه تكلم بلسانٍ ذلقٍ فأنشأ يقول:

يا آل ذريح أمرٌ نجيح ... رجل يصيح بلسان فصيح

يدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

---

(١) في سيرة ابن هشام (٣٤٣/١، ٣٤٤) اسم الرجل: نعيم بن عبدالله النحام، ويقال نعيم بن عبدالله بن أسيد بن عبدعوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لوي أسلم قبل عمر بن الخطاب، وقتل شهيداً بأجنادين سنة ثلاث عشرة في آخر خلافة أبي بكر. وقيل سنة خمس عشرة في معركة اليرموك.

فتفرق القوم عنه، ومضى عمر مرعوباً وهو يقول: يا عجباه إن هذا أمرٌ عظيمٌ قد نزل بنا لأقتلن محمداً قبل أن يشتد هذا الأمر فانطلقا حتى أتيا مكة وصناديد قريش في الحجر فأخبرهم بما سمع فقالوا: يا عجباه لو أن غير عمر أخبرنا بهذا الحديث ما صدقناه / ، فقالوا: يا عمر أكتمه فقال: والله ما أكتم شيئا مما سمعته حقاً لا باطلاً فمشوا إلى رئيس بني عدي فأخبروهم بما سمعه ومضى عمر إلى محمدٍ لقتله فلقيه ناسٌ من بني خزاعة قد وقع فيما بينهم عداوةٌ وشحناء وهم يريدون إلى الصنم يقال له بُهْم ليحكم بينهم، فلما نظروا إلى عمر قالوا: يا عمر هل لك أن تدخل معنا على بهم ليحكم بيننا فدخل معهم فلما وقفوا بين يديه فإذا هو بهاتف يهتف من جوف الصنم: يا أيها الناس ذوي الأجسام ما أنتم وطائش الأحلام، ومسند الحكم إلى الأصنام وكلم أراه كالأنعام أما ترون ما أرى أمامي من ساطع يجلو من الظلام وكلهم أراهُ. في الظلام قد لاح للناظر من تهام حتى يرى الناظر أهل الشام أكرمه الرحمنُ من إمام قد جاء بعد الكفر بالإسلام يأمر بالصلاة والصيام، والبر، وصلة الأرحام، ويزجر الناس عن الآثام قال: فتفرق القوم عنه[1]. ١/٢٠٩

وبلغنا أنه لم يحضر ذلك الصنم يومئذ أحدٌ إلا أسلم ومضى عمر يريد النبي ﷺ لقتله فلقيه رجلٌ من بني عبدالمطلب فقال: اين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً. قال: وما تصنع به؟ قال: أقتله. قال: وكيف تأمن من بني هاشم، وبني عبدالمطلب إذا أنت قتلت محمداً؟ قال عمر: إني لاظنك قد صبوت إلى محمد، ولو علمت ذلك منك لبدأت بك. قال: ألا أخبرك بالعجب إذا أنت عجبت؟ قال: وما ذاك؟ قال: أخبرك أن أختك وختنك قد صبيا مع محمدٍ وتركا دينهما. قال عمر: كيف لي أن

---

(١) هذه القصة التي أوردها المؤلف يظهر أنها ملفقة ولا دليل على صحتها بل يظهر كذبها من الفاظها فهذا الكلام الذي ذكره المؤلف وصدر نسبته إلى ابن عباس رضي الله عنه وقال بأنه هتف به هاتف من جوف الصنم ...الخ.
لا تتفق مع فصاحة أهل مكة في ذلك الوقت فهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، والأولى أن لا يضيع الوقت في البحث عن مصادر مثل هذه الأقوال الملفقة. لم أقف على هذه القصة ولم يذكرها ابن هشام، ولم يتعرض لها الذين كتبوا عن إسلام عمر بن الخطاب. والله أعلم.

أعلم بما تقول حقاً؟ قال: فإن العلامة فيما بينك وبينهما أنهما لا يأكلان [عن][1] ذبيحتك. قال: فأقبل عمر إلى منزل أخته فاطمة، وكانت سورة طه قد أنزلت على النبي ﷺ فهم يتعلمونها فوقف عمر ليسمع الكلام بالباب ساعة فقرع الباب فأخفوه فقال عمر: ما هذه الهينمة - يعني الصوت الذي سمعت قالوا: كلاماً نتطارحه فيما بيننا. فدعا عمر بشاةٍ فذبحها ثم شواها ثم دعا أخته وزوجها فقالا: إنا نذرنا أن لا نأكل من ذبيحتك. فقال عمر: هذه العلامة التي أُخبرت بها فقام إلى أخته فضربها وشجها فنادت أخته بأعلى صوتها: أتكرهُ الناس على هواك وإن كانوا على الحق أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فبقي عمر كئيباً حزيناً فلما جنهمُ الليلُ بات عمر في ناحية البيت، وباتت أخته وزوجها في ناحية أخرى فلما ذهب من الليل ما شاء الله قامت أخته إلى زوجها فقالت: يا هذا لقد أغفلنا الليلة عن قراءة القرآن فقم بنا فقاما وأسبغا الوضوء ثم جلسا يقرآن ﴿ **طه * مآ أنزلنا عليك القرءان لتشقىٰ* إلا تذكرة لمن يخشىٰ* تنزيلاً ممن خلق الأرض والسمٰوات العلىٰ* الرحمٰن على العرش استوىٰ* له ما فى السمٰوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**﴾[2]. فرفع عمر رأسه فقال: يا فاطمة إن ربكما له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. قالت: إي والله يا عمر قال عمر: إن لنا ألف صنم وخمسمائه صنم ما يجاوز سلطانهم شيئاً من مكة، ناولينى الكتاب حتى أنظر فيه. قالت: لا أنت رجسٌ، وهذا الكتاب لا يمسه إلا المطهرون قال: فما أصنع قالت: فاغتسل غسلاً نقياً. فقام عمر واغتسل ثم قال /: ناولينى الكتاب حتى انظر فيه قالت: ٢٠٩/ب إني أخاف أن تحرقه. قال: في ذمة الخطاب انظر فيه وأرده إليك قال: فأقبل بالكتاب ووضعه في حجره فلما قرأ إلى قوله: ﴿ **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لآ إلٰه إلا هو له الأسمآء الحسنىٰ** ﴾ قال عمر: إن هذا الرب لأهل أن لا يُعبَد سواه

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب: (من).

(٢) سورة طه الآيات ١ - ٦.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله قال: فبات عمر في ليلته ساهر العينين ينادي في كل ساعة: واشوقاه إلى رسول الله حتى أصبح ، فلما أصبح دخل عليه خباب بن الأرت فقال يا عمر: إن رسول الله ﷺ بات ساهر العينين يناجي الله أن يعز الإسلام بك أو بأبي جهل ابن هشام، وأنا أرجو أن يكون دعوة رسول الله فيك، فقال عمر: دلوني على رسول الله. فقالوا : هو في منزل حمزة عمه، قال: فخرج عمر من منزل أخته واضعاً سيفه على عاتقه يريد النبي ﷺ ليسلم فلقيه فقال: أشهد أن لا إله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله حياء منه، فلما أصبح خرج رسول الله وأبو بكر عن يمينه، وحمزة عن شماله ، وعليٌّ بين يديه، وعمر بين يدي علي وبأيديهم أسيافهم، وبقية المسلمين خلف رسول الله، حتى أتوا الكعبة وصناديد قريش في الحجر، فلما نظروا إلى عمر قالوا: يا عمر جئت بمحمد وأصحابه فأنشأ عمر يقول:

مالي أراكم كلكم قياما ... الكهل والشباب والغلاما
قد بعث الله محمداً إماما ... نبينا قد شرع الإسلاما
فاليوم حقاً نكسر الأصنام ... نذب عنه الخال والأعماما

قالوا: يا عجباً مضى عمر إلى محمدٍ لقتله وقد صار معه إن هذا لأمرٌ عظيمٌ نزل بنا فحملوا عليه، وحمل عليهم حتى كشفهم من البيت وأقبل رسول الله ﷺ حتى صلى بأصحابه عند البيت ركعتين فلما فرغ من صلاته قال له عمر: يا رسول الله أتريد أن تدخل البيت قال: إني الى ذلك مشتاق فأخذ عمر بيده حتى أدخله الكعبة فجعل النبي ﷺ يدفع في صدر تلك الأصنام بقضيب كان معه وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا[1]، فأنشأ عمر يقول:

(١) هذا القول والفعل وقع من النبي ﷺ عندما دخل مكة فاتحاً عام الفتح في السنة الثامنة من الهجرة الشريفة.

يا أيها الاصنام هـذا أحمد هذا رسول الله حقاً فاشهدوا

ان كان حقا للإله فاسجدوا

قال: فخرت الأصنام على وجوههم فأنزل الله على النبي ﷺ ﴿ يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ يعني عمر بن الخطاب.

﴿ ومَن اتبعك ﴾ في محل ﴿ من ﴾ ثلاثة أوجه:

الرفع.

والنصب.

والخفض.

فإن عطفت ﴿ مَنْ ﴾ على ﴿ الله ﴾ كان محله رفعاً على معنى حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنين[1].

وإن عطفته على الكاف كان محله خفضاً على معنى: حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين[2].

وإن جعلته حسبك الله يعني يكفيك الله كان محله نصباً على معنى: ويكفي من اتبعك من المؤمنين[3].

﴿ ومَن اتبعك ﴾ قريء من ثلاثة أوجه:

اتّبعك بالتشديد على الخط[4].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/٥٠)، والكشف والبيان للثعلبي (ق:٦٩/أ)، وتفسير البغوي (٢/٢٦)، والبحر المحيط (٤/٥١٥).

(٢) انظر: الطبري (١٤/٥٠)، وتفسير البغوي (٢/٢٦٠)، والبحر المحيط (٤/٥١٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/٥٠).

(٤) وهي قراءة الجمهور، وهي المشهورة.

واتبعك بقطع الألف[1] على أنهما لغتان.

١/٢١٠ / وتبعك بغير الألف[2] على أنها لغةٌ ثالثة.

والإتباع: موافقة الداعي فيما يدعوا إليه من أجل دعائه[3].

قوله: ﴿ يــأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ﴾ قال مقاتل بن حيان: لما نزل قوله: ﴿ يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال﴾ قام النبي ﷺ فقال: « من قتل قتيلاً فله كذا وكذا، ومن أسرا أسيراً فله كذا وكذا» وبعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي أبا جهل في ثلاثمائةراكب[4]، وفي تلك السرية نزلت هذه الآية: ﴿ إن يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين ﴾ الآية، فلما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين، ومائة ألفا، فلما كان يوم بدر خفف الله عنهم فأنزل: ﴿ الــن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مائتين ﴾ فنسخت هذه الآية تلك الآية[5].

---

(١) قرأ بها الشعبي، وهي قراءة شاذة.

انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٥٠)، والبحر المحيط (٥١٦/٤).

(٢) لم أقف على من قرأ بها.

(٣) تعريف المؤلف للإتباع بهذا الكلام لا يستقيم مع معنى الآية الكريمة فإتباع المؤمنين للنبي ﷺ ليس من أجل دعائه وإنما هو طاعة لله الذي أمرهم بذلك ولإيمانهم بما جاء به ﷺ.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (٥٩٥/١).

قلت: لا يوجد دليل ثابت على أن الآية نزلت في تلك السرية ، إلا ما ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:٢٩/أ) حيث قال: وفي تلك السرية نزلت هذه الآية، وذكر الآية.

(٥) ممن قال بالنسخ ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٧/١٤).

وروى الطبري ذلك أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما، (٥٢/١٤) برقم (١٦٢٧١)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣١/٤).

وقال بالنسخ أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير (٣٧٨/٣) وفي نواسخه (٣٤٩)، وانكر النسخ أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ (١٥٦) فقال: وهذا تخفيف لا نسخ ، لأن معنى النسخ رفع حكم المنسوخ ولم يرفع حكم الأول لأنه لم يقل لا يقاتل الرجل عشرة، بل إن قدر على ذلك فهو الاختيار له»أهـ.

قوله: ﴿ يـأيهـا النبى حَرِّضِ المؤمنين على القتـال ﴾ يعني حَـضِّض وحث المؤمنين على القتـال يوم بدر ﴿إن يَكُنْ منكم عـشـرون صـٰبـرون ﴾ في الحـرب محتسبين ﴿يغلبوا مائتين ﴾ يقـاتلوا مئـتين من المشـركين ﴿ وإن يكن منكم مـائةٌ يغلبوا﴾ يقاتلوا ﴿ ألفاً من الذين كـفروا بأنهم قومٌ لا يفقـهون ﴾ أمر الله وتوحيده، وقيل: أي هم على جهالة.

والتحريض[١]: الدعاء بالوعيد والوعد بتحريك النفس على أمرٍ من الأمور.

والقتال: محاربة العدو بما فيه تعرضٌ للقتل.

والغلبة: الظفر بالغنيمة في المحاربة قتلاً وأسراً وهزيمة.

وقال الخليل بن أحمد: عشرون اسمٌ على غيـر قياس مثل تصيبين وفلسطين وهو جمع عشـر والعِشرُ من أظماء الابل، والعرب تسـمي كل تسعة أيام عشراً، والثـمانية عشـر منها عشـران، فاليومـان من العشر الـثالث يسمـيان عشـرا فقيل: عـشرون لأنه جـمعٌ، ولو كـانت مـن عـشـرة لكان عينـها منصـوبة كـالثـاء من ثلاثين أخـذت من ثلاثة[٢].

﴿ وإن يكُن منكم مائةٌ ﴾ قرئ بالياء فيهما[٣]، وبالتاء[٤] فيهما، وقرئ[٥] أحدهما بالياء والآخر بالتاء .

---

(١) التحريض: الحث على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه.
انظر: مفردات الراغب (ص:١٦٣)، ولسان العرب لابن منظور (٦٠٩/١).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:٢٩/أ).

(٣) قراءة الكوفيين بالياء فيهما ، انظر: كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون (٤٣٦/٢).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بالتاء فيهما. انظر: نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٥) وقرأ بها أبو عمرو ويعقوب . انظر: المصدر السابق.

قال ابن القاسم[1]: مَنْ أنّث أراد به المعدود، ومَنْ ذَكّر أراد به العدد.
وقيل: مَنْ ذَكّر فلتقدم الفعل، ومَنْ أنّثّ فلتأنيث المئة.

ومن فرّق فقرأ الأول بالياء والآخر بالتاء فقال: الأولى ليست بمؤكدة، والأخرى مؤكدة بالصابرة، فإذا كان مؤكداً بالصابرة فالتأنيث به أولى، وإن كان غير مؤكدٍ بالصابرة فالتذكير به أولى.

﴿**الـٰن**﴾ أي يوم بدر ﴿**خفّف اللهُ عنكم**﴾ هون الله عليكم ﴿**وعَلِمَ أنَّ فيكم ضَعْفاً**﴾ بالقتال ﴿**فإن يكن منكم مائةٌ صابرةٌ**﴾ محتسبة ﴿**يغلبوا**﴾ يقاتلوا ﴿**مائتين**﴾ من المشركين ﴿**وإنْ يكُنْ منكم الفٌ يغلبوا**﴾ يقاتلوا ﴿**ألفين بإذن الله والله مع الصـٰبرين**﴾ أي معين الصابرين في الحرب بالنصر.

والتخفيف: رفع المشقة بالخفة، والخفة: نقيض الثقل.

وقرئ: ﴿وعلمْ﴾ بالوجهين بنصب العين[2] على تسمية الفاعلَ، وبضمها[3] مشددة على ما لم يسم فاعله.

﴿**أن فيكم ضعفا**﴾ قريء من أربعة أوجه:
بضم[4] الضاد وفتحها[5] على أنهما لغتان.

---

(١) هو: محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسين بن الحسين بن محمد بن سليمان بن عبيدالله ابن مقسم أبو بكر العطار المقرئ النحوي، قيل كان ثقة من أعرف الناس بالقراءات، له من التصانيف: الأنوار في تفسير القرآن، والاحتجاج في القراءات، وكتاب في النحو كبير المقصور والممدود، والمذكر والمؤنث. مات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.
انظر ترجمته في: بغية الوعاة (١/٨٩).

(٢) قراءة الجمهور.

(٣) قرأ بها المفضل عن عاصم. انظر: القراءتين في كتاب التذكرة في القراءات لابن غلبون (٢/٤٣٦).

(٤) قراءة الجمهور.

(٥) قراءة عاصم وحمزة. انظر: القراءتين في كتاب التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٦).

وبضم الضاد والعين[1] على أنها لغةٌ ثالثةٌ، ومعناه في هذه الأوجه الثلاثة: وعلم أن فيكم ذا ضعف.

وقرئ ضعفاء[2] بضم الضاد وفتح العين ومدة بعدهما على أنه جمع ضعيف.

والضعف والضعفة: نقصان القوة.

﴿ بإذن الله ﴾ الإذن: الإطلاق في الفعل تقول: يسمع بالأذن.

قوله: ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرىٰ ﴾ قال عبدالله بن مسعود: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى قال رسول الله لأصحابه: «ما تقولون / في هؤلاء الأسرى فقال ٢١٠/ب أبو بكر الصديق: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم وآمنهم لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: اذوك وأخرجوك قدمهم فاضرب أعناقهم . وقال عبدالله بن رواحة: انظر يا رسول الله وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه ناراً. فقال العباس: قطع الله رحمك، وسكت رسول الله ولم يجبهم، فقال ناسٌ: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناسٌ: يأخذ بقول عمر وقال ناسٌ: يأخذ بقول عبدالله بن رواحة فقال النبي ﷺ : «إن الله لَيُلَيِّنُ قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن – يعني قلب أبي بكر – وقال: إن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة ثم قال: وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم حين قال: ﴿ فمَن تَبعني فإنه مني ومَنْ عصاني فإنك غفور رحيم ﴾[3]، ومثلك مثل عيسى قال: ﴿ إنْ تُعذبهم فإنهم عبادك ، وإنْ تَغفرْ لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾[4] ومثلك يا عمر مثل نوح حين قال: ﴿ لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيّاراً ﴾[5] ومثلك مثل موسى حين قال: ﴿ ربنا اطمسْ على

---

(١) قرأ بها عيسى بن عمر . انظر: البحر المحيط (٥١٨/٤) وهي قراءة شاذة.

(٢) قراءة شاذة قرأ بها يزيد بن القعقاع . انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٥٠).

(٣) سورة إبراهيم آية ٣٦.

(٤) سورة المائدة آية ١١٧.

(٥) سورة نوح آية ٢٦.

أموٰلهم واشْدُدْ على قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذابَ الأليم ﴾[1] قال رسول الله ﷺ : أنتم اليوم عالة[2] فلا يقبلن أحد منكم إلا بفداء أو ضرب عنق.

قال عبدالله بن مسعود : فقلت: إلا سهيل بن بيضاء[3] فإني سمعته يذكر الإسلام، فسكت رسول الله ثم قال: إلا سهيل بن بيضاء فانزل الله ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له ...** ﴾ الى الثلاث الآيات إلى قوله ﴿**إن الله غفور رحيم**﴾[4].

﴿**ما كان لنبى**﴾ [ما]جحدٌ معناه: ما ينبغي لنبي ﴿**أن يكون له أسرىٰ**﴾ من الكفار ﴿ **حتى يُثْخِنَ** ﴾ يغلب ﴿ **فى الأرض**﴾ بالقتل.

قال أبو عبدالله[5]: في مصحف أهل الشام ﴿**ما كان للنبى** ﴾ بلامين أراد محمداً، وفي سائر المصاحف بلام واحد معناه: لم يكن لنبي من الأنبياء ذلك، فلا يكون لكم، وهذا يوم بدر.

---

(١) سورة يونس آية ٨٨.

(٢) في الأصل: [عانة] وهو تصحيف تم تصويبه من متن الحديث في مسند أحمد وغيره.

(٣) قال ابن سعد في طبقاته (٤/٢١٣): «سهل بن بيضاء، وهي أمه، وأبوه وهب بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك أسلم بمكة وكتم إسلامه فأخرجته قريش معها في نفير بدر، فشهد بدراً مع المشركين فأسر يومئذ فشهد له عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه رآه يصلي بمكة فخلى عنه. والذي روى هذه القصة في سهيل بن بيضاء قد أخطأ. سهيل بن بيضاء أسلم قبل عبدالله بن مسعود ولم يستخف بإسلامه، وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً مع رسول الله ﷺ مسلماً لا شك فيه....».

(٤) خرجه أحمد في المسند (١/٣٨٣)، والترمذي (٥٠٨٠)، تحفة الأحوذي وحسنه، والطبري في تفسيره (١٤/٦١) برقم (١٦٢٩٣)، وابن أبي حاتم من (٥٢٤ إلى ٥٢٦) برقم (٦٤٧)، والحاكم في المستدرك (٣/٢١، ٢٢) وصححه .

(٥) هكذا عند المؤلف، وعند ابن حبيب (ق: ٣٠/أ) أبو عبيد بدل أبو عبدالله وهي في مصحف أبي الشمط وهي قراءة شاذة، وقرأ بها أبو الدرداء وأبو حيوة. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ٥٠)، والبحر المحيط (٤/٥١٨) ولم أهتد إلى صاحب هذه الكنية.

﴿أن يكون له﴾ قرئ بالتاء[1] والياء[2]، فالتاء للجمع، والياء لتقدم الفعل.

وقريء: «أسارى، وأسرى[3]» وهما جمعان، الأسارى: جمع أسرى وهو جمع الجمع، وأسرى جمع أسير.

﴿ حتى يُثْخِنَ في الأرض﴾ يريد، حتى يبالغ في قتل المشركين ويقهرهم عليه. يقال منه: أثخنت في هذا الأمر إذا بالغت فيه، فأثخنته معرفة أي: قتلته معرفة ﴿تريدون ﴾ يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿تريدون عَرَضَ الدنيا ﴾ بأسركم للمشركين يقول: تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا ﴿ والله يريد الأخرة﴾ يعني والله يريد لكم زينة الآخرة، فاطلبوا ما يريد الله ﴿ والله عزيز ﴾ بالنقمة من أعدائكم ﴿ حكيم ﴾ بالنصرة لأوليائه، وقيل: ﴿والله عزيز﴾ معناه: يقول إن أنتم طلبتم الآخرة لم يغلبكم عدو الله لأن الله عزيز لا يُقْهَر ولا يُغْلَب حكيم في تدبير أمور خلقه.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ما كان لنبى ان يكون له أسرى...﴾ الآية لما كان يوم بدر والمسلمون قليل في أعين المشركين أمرهم الله بقتال المشركين ، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى: ﴿ فإما منـًا بَعْدُ وإمّا فدآءً﴾[4] فجعل الله النبي والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار إن شاء قتلهم، وإن شاء استعبدهم وإن شاء فاداهم[5].

---

(١) وهي قراءة أبي عمرو ، ويعقوب. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٦)، والتبصرة لمكي (٥٢٥).

(٢) وهي قراءة باقي السبعة وخلف البزار. انظر: التذكرة لابن غلبون (١/٤٣٦)، والتبصرة لمكي (٥٢٥).

(٣) قرأ بها المفضل عن عاصم بضم الهمزة وألف بعد السين مع فتح الراء، وقرأ الباقون بفتح الهمزة مع إسكان السين من غير الف. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٦).

(٤) سورة محمد آيه ٤.

(٥) خرّجه الطبري في تفسيره (١٤/٥٩، ٦٠) برقم (١٦٢٨٦)، والثعلبي في تفسيره (ق: ٧٠/ب).

﴿لولا كتـٰبٌ من الله سَبَقَ﴾ فيه إضمار، واختلفوا في إضماره من أربعة / ١/٢١١ أوجه:

قال ابن عباس: ﴿لولا كتـٰبٌ من الله سَبَقَ﴾ في تحليل الغنائم لأمة محمد ﴿لمسكم﴾[1].

وقال سعيد بن المسيب: سبق بالسعادة لأهل بدر[2].

وقال ابن زيد: سبق بالعفو عن أهل بدر[3].

قال عكرمة: ﴿لولا كتـٰب من الله سبق﴾ معناه: لولا فضل الله من الله أنه قضى فوق عرشه مثل قضاء عمر في أرضه[4].

﴿لمسَّكم﴾ لأصابكم من العقوبة ﴿فيمآ أخذتم﴾ من الفداء من الأسارى يوم بدر ﴿عذابٌ عظيمٌ﴾ شديد.

قال عبدالرحمن بن زيد: لم يكن أحدٌ من المسلمين ممن حضر ببدر إلا أخذ الغنائم غير عمر فإنه لا يلقى أسيراً إلا ضرب عُنقهُ وقال: يا رسول الله وما لنا والغنائم نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يُعْبَدَ الله فقال رسول الله : «لو عذبنا في هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك»[5]، وقال رسول الله : «لو نزل عذاب من السماء لم ينج إلا سعد بن معاذ بقوله: يا رسول الله كان الإثخانُ في القتل أحب إلينا من استبقاء الرجل»[6].

﴿فكلوا مما غنمتم﴾ من الغنائم يعني غنائم يوم بدر، وإنما خص الأكل ها هنا

---

(١) خرّجه الطبري في تفسيره (٦٥/١٤) برقم (١٦٢٩٧).

(٢) خرّجه الطبري في تفسيره (٦٨/١٤) برقم (١٦٣٠٩).

(٣) خرّجه الثعلبي (ق:٧١/أ).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:٣٠/ب).

(٥) خرّجه الطبري في تفسيره (٧١/١٤) برقم (١٦٣١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٥٤٤) برقم (٦٧٢).

(٦) خرّجه الطبري في تفسيره (٧١/١٤) برقم (١٦٣٢٠).

بالذكر لأن المراد به إباحة الضرب.

﴿حلـٰلاً طَيِّبا ﴾ قيل الحلال: ما لا إثم فيه، والطيب: ما لا كراهة فيه.

﴿ واتقوا الله ﴾ قال ابن حبيب: في الآية تقديم وتأخير ومعناه: فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً إن الله غفور رحيم[1]. ﴿ واتقوا الله ﴾ واخشوا الله في الغلول ﴿ إن الله غفور ﴾ متجاوز ﴿ رحيم ﴾ بما كان منكم يوم بدر من الفداء.

وقيل: ﴿غفور﴾ من ذنوب أهل الإيمان من عباده ﴿ رحيم ﴾ بهم أن لا يعاقبهم بعد توبتهم منها[2].

وروى عليّ بن الحسين بن عليّ أن رسول الله ﷺ قال: «نُصرتُ بالرعب، وجُعِلتْ ليَ الأرضُ مسجداً وطَهُوراً، وأُعطيتُ جَوامع الكلم، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، ولَم تَحِلَّ لنبي قبلي، وأُعطيت الشفاعة»[3].

قوله: ﴿يـٰأيها النبى قل لَمِنْ فى أيديكم من الأسـرىٰ ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ وعقيل ابن أبي طالب أخي عليّ بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وكان العباس أُسِرَ يوم بدر وأُخذ منه عشرون أوقية من الذهب فلم يحسب له من فدائه لأنها كانت غنائم لهم فقال العباس: يا محمد ليس لي مالٌ غير هذا بمكة تركتني أسأل قريشا الدهر في كفي بمكة فقال له رسول

(١) انظر: تفسيره (ق: ٣١/ب).

(٢) الآية عامة ولا دليل على التخصيص فتبقى على عمومها.

(٣) الحديث خرّجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله بنحوه وفيه «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة» بدل: «واعطيت جوامع الكلم» . انظر: صحيح البخاري (٧١٦/١) باب التيمم، وفي صحيح مسلم (٣٧١/١)، كتاب المساجد بطرق عن أبي هريرة وفيه: «وبعثت بجوامع الكلم».

الله «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكـة، فقلت لها إني لا أدري مـا يصيبني في وجـهي هذا، فإن حدث لي حـدثٌ فـهذا لك، ولـعبـدالله، وللفضل وقُثَم أي بنيه» فقال له العباس: وما يدريك؟ قال: «أخبرني به ربي». فقال له العبـاس: فأنا أشهـد أنك صادق، وأن لا إله الا الله ، وأنك عبـده ورسوله، ولـم يطلع عليه أحد إلا الله[1]. وفي رواية أخرى[2] أنه قـال: قد علمتُ يا رسـول الله أنه لم يطلع عليه إلا عالم السرائر فقد آمنت به وكفرت بما سواه، فذلك قوله: ﴿ **يأيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى**﴾ يعني عباسا[3] وقرىء ﴿**أُسارى**﴾[4] وهو جمع الجمع.

﴿**إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً** ﴾ تصديقاً وإخلاصاً بالإيمان.

﴿**يؤتكم** ﴾ يعطكم ﴿**خيراً** ﴾ أفضل ﴿ **مّآ أخذ منكم** ﴾ من الفداء .

وقيل: ﴿**إنْ يَعلم اللهُ فى قلوبكم خيراً** ﴾ يعني بصيرة في دين الله / وحسن ٢١١/ب النية في أمر الله ﴿ **يُؤْتِكمْ خيراً مما أُخِذَ منكم** ﴾ من الفداء ﴿ **ويَغْفِر لكم** ﴾ ذنوبكم في الجاهلية ﴿ **والله غفور** ﴾ متجاوز ﴿ **رحيم** ﴾ بمن آمن بهم.

وقال عمرو بن ميمون الأوديّ:[5] اثنتان فعلهمـا رسول الله ﷺ لم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى فذلك قوله: ﴿ **عفا الله عنك لِمَ أذنْتَ لهم**

---

(١) خرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٧٢أ،ب) ، وانظر: الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (٤/٥٢، ٥٣). والقصة بكاملها ساقها ابن سعد في طبقاته (٤/١٥) وهي من رواية الكلبي.

(٢) ذكرها القرطبي في تفسيره (٤/٥٣).

(٣) الأمر في الآية عام يشمل العباس وغيره من الأسرى معه. انظر: تفسير الطبري (١٤/٧٢).

(٤) قرأ بها أبو جعفر وأبو جعفر. انظر النشر ٢/٢٢٧، التذكرة في القراءات الثلاثة المتواترة للدكتور محمد سالم محيسن(١/٢٤٠) والفضل عن عاصم، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٦).

(٥) هو عمرو بن ميمون الأودي الكوفي أبو عبدالله ويقال أبو يحيى مخضرم مشهور ، ثقة مات سنة أربع وسبعين وقيل: بعدها.
انظر: التقريب (٢/٨٠).

﴾[1]، وقوله: ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى ...**﴾ الآية.

قوله: ﴿ **وان يريدوا** ﴾ يعني أهل مكة ﴿ **خيانتك** ﴾ بالإيمان يا محمد ﴿ **فقد خانوا الله من قَبْلَ** ﴾ هذا بترك الإيمان والمعصية ﴿ **فَأَمْكَنَ منهم** ﴾ أي أظهرَك عليهم يوم بدر يعني نصرك عليهم.

ومعنى الإمكان: وجود القدرة.

﴿ **والله عليم** ﴾ بما في قلوبهم من الخيانة وغيره ﴿ **حكيم** ﴾ فيما حكم عليهم.

قوله: ﴿ **إن الذين ءامنوا** ﴾ بمحمد والقرآن ﴿ **وهاجروا** ﴾ من مكه إلى المدينة ﴿**وجـهدوا بأمولهم** ﴾ بنفقة أموالهم ﴿ **وأنفسِهم** ﴾ بذل أنفسهم ﴿ **في سبيل الله**﴾ في طاعة الله، وهم المهاجرين ﴿**والذين ءاووا**﴾ وطّنوا محمداً وأصحابه بالمدينة ﴿ **ونصروا** ﴾ يوم بدر محمداً وهم الأنصار يعني المهاجرين والأنصار ﴿**أولـئك بعضهم أولياءُ بعض** ﴾ في الميراث ﴿ **والذين ءامنوا** ﴾ بمحمد والقرآن ﴿**ولم يهاجروا** ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿ **ما لكم** ﴾ يا أصحاب محمد ﴿**من وليتهم**﴾ من ميراثهم ﴿ **من شيء** ﴾ وما من ميراثكم لهم من شيء ﴿ **حتى يهاجروا**﴾ من مكة إلى المدينة .

وقال قتادة: هذه الآية منسوخة بقوله[2] ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض**[3]﴾ في الميراث ، فلما نزلت هذه الآية قام الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله ﷺ فقال: فهل نعينهم على أمر ان استعانوا فأنزل الله :[4] ﴿ **وإن استنصروكم في**

(١) سورة التوبه آية ٤٣.

(٢) خرّجه الطبري في تفسيره (٨٠/١٤) برقم (١٦٢٣٥). وقد رجح الطبري الاحكام وعدم النسخ. انظر: تفسيره (٨٩/١٤) حيث قال: لا ناسخ في هذه الآيات لشيء ولا منسوخ.

(٣) سورة الانفال آية ٧٥.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:٣٣/ب).

الدين ﴾ في السبيل، وإن استعانوكم على عدوهم في الدين ﴿ **فعليكم النصرُ** ﴾ على عدوهم ﴿ **إلا على قوم بينكم وبينهم ميثٰق** ﴾ وعهد فلا تعينوهم عليهم ، ولكن أصلحوا بينهم وهم بنو كنانة ﴿ **والله بما تعملون** ﴾ من الصلح وغيره ﴿ **بصير** ﴾ عالم.

قوله: ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** ﴾ فيه قولان:

قال ابن عباس: في الميراث[1].

وقال قتادة: في النصر[2].

﴿ **إلا تفعلوه**﴾ معناه: وان لم تفعلوا كقوله ﴿ **إنْ لا تنصروه** ﴾ أي إن لم تنصروه يعني ان لم تفعلوا إعطاء الميراث لذي القرابة يعني الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا من مكة الى المدينة ﴿ **تكُنْ فتنةٌ فى الأرض** ﴾.

قال ابن جريج: إلا تنصروه تكن فتنةٌ في الارض[3].

قال محمد بن اسحاق: معناه: إن لم يوال المؤمنُ المؤمنَ تكن فتنةٌ في الأرض[4].

قال ابن حبيب: قول ابن جريج في النصرة أحب إليَّ من قول غيره في الميراث، لأن سياق الآية تدل عليه، والهاء عائد إلى إعطاء الميراث[5] وعائد إلى النصرة على قول ابن جريج، وراجع إلى المولاة على قول محمد بن اسحاق.

﴿ **تكن فتنة فى الأرض** ﴾ أي شرك وارتداد﴿ **وفسادٌ كبير** ﴾ بالقتل والمعصية.

---

(١) خرّجه الطبري في تفسيره (٨٦/١٤) برقم (١٦٣٤٩).

(٢) خرّجه الطبري في تفسيره (٨٥/١٤) برقم (١٦٣٤٦).

(٣) خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨٧/١٤) برقم (١٦٣٥١).

(٤) خرّجه الطبري في تفسيره (٨٦/١٤) برقم (١٦٣٥٠).

(٥) انظر: تفسيره (ق:٣٤/أ).

وقيل: ﴿ تكن فتنةٌ فى الأرض ﴾ أي شبهة في الحق والباطل وظهور الفساد[1] في الأرض.

وقيل: فتنة محنة مائلة الى الباطل.

﴿ والذينءامنوا ﴾ بمحمد والقرآن ﴿ وهاجروا ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وجاهدوا فى سبيل الله ﴾ في طاعة الله وهم المهاجرون ﴿ والذين ءاوَوْا ﴾ وطّنوا محمداً وأصحابه بالمدينة ﴿ ونصروا ﴾ محمداً يوم بدر ﴿ أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ يعني المهاجرين والأنصار ﴿ هم المؤمنون حقاً ﴾ صدقاً ويقينا ﴿ لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ ورزق كريم ﴾ ثواب حسن / في الجنة . ٢١٢/أ

وقيل[2]: الرزق الكريم طعام الجنة.

﴿والذين ءامنوا ﴾ بمحمد والقرآن ﴿ مِنْ بَعْدُ ﴾ المهاجرين الأولين ﴿وهاجروا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿ وجـٰهدوا معكم ﴾ العدو ﴿ فأولٰئك منكم ﴾ فى السر والعلانية ﴿وأولوا الأرحام ﴾ ذوو القرابة في النسب الأول فالأول ﴿بعضهم أولىٰ ببعض ﴾ في الميراث ﴿ فى كتاب الله ﴾[3] فى اللوح المحفوظ عن أكثر المفسرين ، وفي حكم الله عن الآخرين ، فنسخ بهذه الآية الأولى.

﴿ إن الله بكل شئ ﴾ من قسمة المواريث وصلاحكم وغيرها ﴿عليم ﴾ أي عالم.

والهجرة: فراق الوطن إلى غيره من البلاد فراراً من العدو في الدين . لأنهم

(١) خرّجه الطبري في تفسيره من طريق سلمه عن ابن اسحاق (١٤/٨٦) برقم (١٦٣٥٠).

(٢) ممن قال بذلك الطبري في تفسيره (١٤/٨٨).

(٣) قال ابن جرير (١٤/٩٠): (في كتاب الله): يقول في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ والسابق من القضاء . وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٣)، وتفسير الثعلبي (ق:٣٣/ب).

هاجروا من دار الكفر الى دار الإسلام.

﴿من ولـٰيتهم﴾ قريء بكسر الواو وفتحها[1] وهما لغتان ، إلا أن الكسرة في الإمارة والسلطان أكثر ، والفتح في غيرها أشهر.

(١) قرأ بالكسر حمزة، والأعمش، وابن وثاب، وفتحها الباقون. انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٣٧/٢)، والبحر المحيط (٥٢٢/٤).

تفسير سورة التوبة

لهذه السورة سبعة أسماء:

قالت العامة: سورة التوبة[1].

وقال ابن عباس: سورة الفاضحة[2].

وقال محمد بن اسحاق: المبعثرة[3]، ومعناها: المظهرةُ لأسرارِ المنافقين.

وقال سفيان بن عيينة: سورة المدمدمة[4].

وقيل[5]: سورة المخزية بقوله: ﴿ **وأن الله مخزِى الكـٰفرين** ﴾.

وقيل: المشرّدة[6].

وقيل : المُنكِّلَة[7] من النكال.

وقيل: المُقشقِشة[8].

وهي كلها مدنية، وهي السورة التاسعة والعشرون التى نزلت بالمدينة . وعدد آياتها : مائةٌ وعشرون وتسع آيات عند الكوفيين، وثلاثون آية عند الباقين.

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي (١/٧٢).

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٢/٣٣٦)، والإتقان للسيوطي (١/٧٢).

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٢/٣٣٦)، والإتقان للسيوطي (١/٧٢).

(٤) انظر: الإتقان للسيوطي (١/٧٢).

(٥) انظر: الإتقان للسيوطي (١/٧٢).

(٦) انظر: الإتقان للسيوطي (١/٧٢).

(٧) انظر: الإتقان للسيوطي (١/٧٢).

(٨) انظر: الإتقان للسيوطي (١/٧٢).

قلت: قد أهمل المؤلف تسميتها بـ(براءة)، وقد جاءت هذه التسمية صريحة في صحيح البخاري (٥/٢٠٢).

وعدد حروفها: عشرة آلف حرف وثمانمائة وتسعة[1] وثمانون حرفاً. وعدد كلماتها: ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة. وهي السورة التاسعة من القرآن.

واختلفوا في ترك التسمية من رأس هذه السورة من وجهين:

فقال الكوفيون وقومٌ من الفقهاء المتقدمين: ترك التسمية من رأس هذه السورة لأن الأنفال والتوبة كلاهما سورةٌ واحدة[2].

وقال الزهري: كان سعيد بن المسيب يقول: الأنفال وبراءة سورة واحدة[3].

وقال الآخرون: إنهما سورتان ، ولم يُكتب سطر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لأنها لم تُنزل فلما لم تنزل لم تكتب، وسائر السور في القرآن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم[4]، لأنها نزلت من السماء، ولو نزلت من السماء لكتبت كما كتب سائر القرآن.

وسئل سفيان بن عيينة لِمَ لَمْ يكتب في صدر براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال: لأن التسمية رحمةٌ، والرحمة أمانٌ، وهذه السورة نزلت في المنافقين بالسيف ولا أمان للمنافقين فلذلك لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم[5].

---

(١) في الأصل: [تسع]، والصواب ما أثبته.

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٢/٣٣٦)، والقرطبي (٨/٩٢).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٣٥/أ).

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره (٨/٦٣) ، ونسبه للقشيري، وذكره المراغي ولم يعزه (١٠/٥١).

(٥) خرجه الثعلبي في الكشف (ق:٧٤/ب) وأورده الخازن في لباب التأويل في معالم التنزيل (٣/٥٦) وأخرج الحاكم مثله في المستدرك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢/٣٣٠)، وأورده العيني في عمدة القاري (١٨/٢٥٢).

وهذه حجة مَنْ عَدَّ الأنفال والتوبة سورتين ...[1].

وسئل أُبَيُّ بنُ كعب ما بال براءة لم تفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم. فقال: كان رسول الله ﷺ يأمر أن يفصل كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمرنا فيها بأمرٍ ووجدناها أشبه القرآن بالأنفال فوصلناها بها[2].

قال ابن كيسان: إنها نزلت على تسع سنين من هجرة النبي ﷺ [3].

وروى عوف بن أبي جميلة عن يزيد الرقاشي – وكان كاتب ابن عباس – قال: سمعت ابن عباس يقول: قيل لعثمان بن عفان: / ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال – وهي من المثانى – وإلى براءة – وهي من المئين – فقرنتم بينها ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموها في السبع الطول؟ فقال: كان النبي ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه [السور][4] ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب له فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال مما أنزل عليه بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا أنها منها، وقبض النبي ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما (بسم الله الرحمن الرحيم)[5].

٢١٢/ب

قال ابن عطية[6]: كتب الينا عمر بن الخطاب: تعلموا سورة براءة ، وعلموا نساءكم سورة النور. فدل على أن هذه سورة على حِدَةٍ.

قوله: ﴿براَءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عـٰهدتم من المشركين﴾

---

(١) بياض في أصل المخطوط بمقدار كلمتين أو ثلاث.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:٣٥/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٣٥/أ).

(٤) في الأصل: [السورة] والصواب ما أثبته.

(٥) رواه أحمد في مسنده (١/٥٧، ٦٩).

(٦) كذا في الأصل ، والصواب : أبو عطية الوادعي الهمداني، مختلف في اسمه ، ثقة، انظر ترجمته في التقريب (٢/٤٥١)، والأثر رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٧٢).

وكان عهد النبي ﷺ مع المشركين قبل نزول هذه السورة على خمسة أقسام:
فمنهم من كان عهدهُ مع النبي ﷺ أربعة أشهر.
ومنهم من كان عهده فوق أربعة أشهر.
ومنهم من كان عهده دون أربعة أشهر.
ومنهم من كان عهده تسعة أشهر.

ومنهم من لم يكن بينه وبين رسول الله ﷺ عهدٌ[1]، فنقضوا كلهم إلا من كان عهده تسعة أشهر وهو بنو كنانة[2]، ومن كان عهده فوق أربعة أشهر ودون أربعة أشهر جعل عهده أربعة أشهر بعد [النقض][3] من يوم النحر، ومن لم يكن له عهدٌ جعل عهده خمسين يوماً[4] فصاروا في العهد على ثلاثة أقسام:

فكان بعضهم على أربعة أشهر، وبعضهم على تسعة أشهر وهم بنو كنانة وبعضهم على خمسين يوماً من يوم النحر إلى آخر المحرم[4]، فأنزل الله هذه السورة،

(١) قال ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٠/١٠٤): وبعض هذه العهود كان لغير أجل معين، وبعضها كان لأجل قد انقضى، وبعضها لم ينقض أجله.
ونقل ابن حبيب في تفسيره (ق:٣٥/ب) عن ابن إسحاق أن الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهود وأذن لهم في السياحة أربعة أشهر صنفان من المشركين:
أحدهما: كليب، وكانت مدة العهد بينه وبين رسول الله ﷺ أقل من أربعة أشهر، فأمهل بالسياحة تمام أربعة أشهر.
والآخر منهما، كانت مدة عهده بغير أجل محدود فقصر به على أربعة أشهر. وذكره أيضاً الماوردي (٢/٣٣٧) ونسبه لابن إسحاق.
(٢) قال ابن عاشور (١٠/١٠٤): (فنقض كثير من المشركين العهد، وممن نقض العهد بعض خزاعة وبنو مدلج، وبنو خزيمة أو جذيمة).
(٣) في الأصل: [القبض] وهو خطأ تم تصويبه من كتب التفسير.
(٤) رجح ابن جرير الطبري (١٤/١٠٢) أن الأجل الذي حدده الله تعالى في قوله ﴿ **فسيحوا في الأرض أربعة أشهر** ﴾ إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله ﷺ ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته ، وأما الذين لم ينقضوا عهدهم فإن الله أمر بإتمام عهدهم إلى مدته.

فلما نزلت هذه السورة بعث النبي ﷺ علياً إلى مكة حتى وقف على الموقف وقرأ عليهم عشر آيات من رأس هذه السورة، وأمّرَ عليهم أبا بكر الصديق في الحج، فجاء على الموقف وقرأ عليهم عشر آيات فقال: ﴿ **برآءةٌ من الله ورسوله** ﴾ .

والبراءة: هي: نقض العهد، يقول: من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فقد نقضه ﴿ **إلى الذين عـهدتم** ﴾ من الذين عاهدتم ﴿ **من المشركين** ﴾ . ومعناه: إلى الذين عاهده رسول الله ﷺ من المشركين ، لأن العهود بين المشركين والمسلمين على عهد الرسول ﴿ **براءةٌ من الله ورسوله** ﴾ معناه: هذه برآءةٌ كقوله: ﴿ **سورة أنزلنها** ﴾ ومعناه: هذه سورة أنزلناها ، وقال بعضهم: ﴿ **براءةٌ** ﴾ ابتداء وخبره في قوله ﴿ **إلى الذين عـهدتم** ﴾ ومجازه: براءةُ الله ورسوله إلى الذين عاهدتم.

قال ابن حبيب: القول الأول أعجب إليَّ[1].

وقرئ: ﴿ **برآءةٌ من الله** ﴾ من الله بكسر النون وهي لغة أهل نجران[2]، ومن قرأ بهذه القراءة قال: لأن الجزم إذا حُرِّك حرِّك إلى الكسر.

وفي نون ﴿ **من** ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: نصب النون، لأن أصله مِنَّا فأسقطت منه الألف، وتركت النون مفتوحةً على حالتها.

= وقال ابن كثير رحمه الله في البداية (٥/٣٨): الصحيح أن من كان له عهد فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ولو زاد على أربعة أشهر ومن ليس له أمد بالكلية فله تأجيل أربعة أشهر ، بقي قسم ثالث: وهو من له أمد يتناهى إلى أقل من أربعة أشهر من يوم التأجيل، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأول فيكون أجله إلى مدته وإن قل، ويحتمل أن يقال إنه يؤجل إلى أربعة أشهر لأنه أولى ممن ليس له عهد بالكلية ، والله أعلم أهـ.

(١) انظر: تفسيره (ق:٣٥/أ).

(٢) وحكى أبو عمرو بن العلاء عن أهل نجران أنهم يقرأون منِ الله بكسر النون لالتقى الساكنين. انظر: الألوسي (٤٢/١)، والبحر المحيط (٦/٥)، والمحتسب لابن جني (٢٨٣/١).

والثاني: إذا كسرت النون اشبهتْ إلى أمر مانَ يمينُ، لأن الأمر من مان يمين / ٢١٣/أ منى فلهذا فتحت النون لئلا يشبّه بها، ومانَ يمينُ أي كذب يكذب.

والثالث: لتوالي الكسرات لأن العرب تستثقل توالي كسرتين في حرفٍ واحد ففتحت النون لئلا يتوالى كسرتان.

والرابع: قال الأزهري:[1] الجزم على ضربين جزم العلة، وجزم البنية، فجزم العلة: إذا حرك حرك إلى الكسر وهو ما يكون مجزوماً بجازم، وجزم البنية: ما هو مجزوم بغير جازم، فحرك إلى النصب ليكون فرقاً بين جزم العلة وجزم البنية. وهذه أحسن الأقاويل.

فقال لهم: ﴿ فسيحوا فى الأرض ﴾ معناه: فامضوا فوق الأرض من يوم النحر ﴿ أربعةَ أشهر ﴾ آمنين من القتل إلى العاشر من شهر ربيع الآخر. عن الحسن وأكثر المفسرين[2].

وقال الزهري عن ابن عباس: ﴿ أربعة أشهر ﴾ شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم[3].

﴿ واعلموا ﴾ يا معشر الكفار ﴿ أنكم غيرُ معجزى الله ﴾ غير فائتين من عذاب الله بالقتل بعد أربعة أشهر ﴿ وأنَّ اللهَ مُخزى الكـٰفرين ﴾ يعذبهم بعد أربعة أشهر

---

(١) هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي مات سنة سبعين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٥/١٦)، والأعلام (٣١١/٥).

(٢) قال بذلك من المفسرين: السدي، ومحمد بن كعب القرطبي، وقتادة، ومجاهد، وخرّج ابن جرير في تفسيره هذه الآثار (٩٩/١٤ - ١٠١) برقم (١٦٣٦١، ١٦٣٦٢، ١٦٣٦٣، ١٦٣٦٤، ١٦٣٦٥).

(٣) خرّجه الطبري في تفسيره (١٠١/١٤) برقم (١٦٣٦٦) موقوف على الزهري ولم يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما. وخرّجه ابن أبي حاتم عن الزهري موقوفاً (ص:٥٨٥) برقم (٧٢٩).

بالقتل ﴿ وأذانٌ من الله ورسوله ﴾ وهو الإعلام من الله ورسوله، ﴿ وأذانٌ ﴾ رفع معطوف على ﴿ براءة﴾ ﴿ إلى الناس ﴾ للناس ﴿ يوم الحج الأكبر ﴾ يوم النحر[1].
وهو قول علي وابن مسعودٍ، وعبدالله بن أبي أوفى، وسعيد بن جبير، وإبراهيم لنخعي، والزهري، والشعبي.

قال عمر، وابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء: ﴿ يوم الحج الأكبر ﴾ يوم عرفة[2].

وقيل: ﴿ يوم الحج الأكبر ﴾ عرفة.

ويوم النحر هو أيام التشريق. عن سفيان الثوري، وعن ابن جريج[3].

وقيل: يوم الحج الأكبر القِران، والحج الأصغر حج المفرد[4].

وقيل:[5] الحج الأكبر المفرد، والحج الأصغر العمرة عن ابن جريج عن عطاء.

وقال الشعبي: الحج الأكبر يعني الحج بعينه، والحج الأصغر العمرة في شهر رمضان.

قال ابن حبيب: رأيت في بعض التفاسير أن الحج الأكبر يوم عرفة، والأصغر

---

(١) أخرج ابن جرير الطبري هذه الآثار في تفسيره (١٤/١١٦ - ١٢٦)، والآثار تبدأ من (١٦٣٩٤ إلى ١٦٤٥٤).

(٢) أخرج ابن جرير الطبري هذه الأثار وغيرها في تفسيره (١٤/١١٤ - ١١٦) وتبدأ من (١٦٣٨٣ - ١٦٣٩٣).

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي زاد المسير (٣/٣٩٦).

(٤) خرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن مجاهد برقم (١٦٤٦٢) (١٤/١٢٩).

(٥) خرجه الطبري في تفسيره (١٤/١٢٩) برقم (١٦٤٦٣ عن عطاء). وقد رجح ابن جرير القول بأن الحج الأكبر هو الحج لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها.

يوم النحر[1].

قال ابن حبيب: أولى الأقاويل بالصواب: قول من قال: إن الأكبر يوم النحر لتظاهر الأخبار عن جماعةٍ من أصحاب رسول الله ، لأن علياً نادى فيه بما أرسله رسول الله ﷺ من الرسالة وتلا عليهم[2].

وقال الحسن: إنما سُمي الحج الأكبر من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التي حجها فاجتمع فيها المسلمون والمشركون ، فلذلك سمي الحج الأكبر، ووافقوا أيضاً عيد اليهود والنصارى[3].

وقرئ ﴿ يومَ الحج الأكبر ﴾ بكسر[4] الحاء [وفتحه][5] وهما لغتان.

﴿ أن الله ﴾ أي بأن الله ﴿ بريء من المشركين ﴾ ودينهم وعهدهم الذين نقضوا ﴿ ورسولُه ﴾ أيضاً بريءٌ من ذلك ﴿ فإن تُبْتم ﴾ فإن تبتم وخلصتم التوحيد من الشرك ، وآمنتم بالله وبمحمدٍ والقرآن ﴿ فهو خيرٌ لكم ﴾ من الشرك .

قال أبو عثمان[6]: التوبة مفتاح كل خير قال الله ﴿ فإن تبتم فهو خيرٌ لكم ﴾ .

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٣٨/أ).

(٢) انظر: تفسيره (ق:٣٧/ب). وهو أيضاً قول ابن جرير الطبري في ترجيحه بعد ذكر الأقوال.
انظر: تفسيره (١٢٧/١٤).

(٣) خرّجه الطبري في تفسيره (١٢٨/١٤) برقم (١٦٤٥٩).
قلت: هذا القول ليس بصحيح لأن مخالفة اليهود مقصودة شرعاً كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة.

(٤) قرأ بكسر الحاء الحسن، وابن أبي اسحاق، انظر: إتحاف فضلاء البشر (١٥٥)، والبحر المحيط (٦٢/٢)، وجامع الأحكام للقرطبي (٣٤٣/٢).

(٥) كذا في الأصل والصواب أن يقال: [وفتحها].
وقراءة الفتح هي قراءة جمهور القراء وهي الموافقة لرسم المصحف.

(٦) هو أبو عثمان ، سعيد بن اسماعيل الحيري من أئمة الصوفية. توفي سنة ٢٩٨هـ. انظر: الرسالة القشيرية (٤٠٧).

﴿ وإن توليتم ﴾ أعرضتم عن الإيمان والتوبة ﴿ فاعلموا ﴾ يامعشر المشركين ﴿أنكم غير معجزى الله ﴾ غير فائتين من عذاب الله ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ يعني القتل بعد أربعة أشهر ﴿ إلا الذين عـهدتم / من المشركين ﴾ يعنى من كنانة ﴿ ثم لم ينقصوكم شيئاً ﴾ أي لم ينقضوا عهدهم مما كان لهم وهو تسعة أشهر ﴿ ولم يظـهروا ﴾ ولم يعاونوا ﴿عليكم أحداً ﴾ من عدوكم ﴿ فأتموا إليهم ﴾ لهم ﴿ عـهدهم الى مـدتهم ﴾ إلى وفـاء أجلهم وهو تسـعـة أشـهـر. ﴿ إن اللـه يحِـب المتقين﴾ عن نقض العهد. ٢١٣/ب

﴿ فـإذا انسلخَ الأشـهر الحـرم﴾ فـإذا مـضى يومـاً من الـنحـر إلى آخـر المحـرم ﴿فاقتلوا المشركين ﴾ من كان عهدهم خمسين يوماً ﴿ حيثُ وجدتموهم ﴾ في الحل والحرم ﴿ وخذوهم ﴾ وأسُروهم ﴿ واحصروهم ﴾ واحبسوهم عن البيت ﴿واقعدوا لهم كل مَرْصَدٍ ﴾ واحفظوا لهم على كل طريقٍ يذهبون ويجيئون في التجارة.

﴿ الأشهرُ الحرم ﴾ قريء الحُرْم بجزم الراء ورفعها[1] وهما لغتان.

﴿ فإن تابوا﴾ من الشـرك وآمنوا بالله ﴿ وأقامـوا الصلـوة ﴾ أقروا بالصلوات الخمس ﴿ وءاتوا الزكـوة ﴾ اقروا بأداء الزكاة ﴿ فخلوا سبيلهم ﴾ إلى البيت ﴿ إن الله غفور ﴾ متجاوز لمن تاب منهم ﴿ رحيم ﴾ لمن مات على التوبة.

الشركُ: الجمع بين العبادتين للمعبودين.

والحج: القصد إلى أعمال المناسك على ما أمر الله به.

الحج الأكبر: الذي فيه الوقوف بعرفه، والأصغر: العمرة[2].

---

(١) قرأ بجزم الراء، الحسن وإبراهيم النخعي، ويحيى بن وثاب، انظر: إتحاف فضلاء البشر (١٩٧)، والمحتسب لابن جني (١/٢٠٥)، وتفسير القرطبي (٦/٣٦)، والقراءة السبعية بالرفع.

(٢) هذا خلاف الصحيح، والصحيح أن الحج الأكبر هو يوم النحر كما رجح ذلك ابن جرير الطبري وغيره كما مرّ ص١٥٥.

والحَصْرُ: المنع من الخروج، ويقال أحصره المرض إحصاراً وحاصره العدو حصاراً، وحُصِرَ في كلامه حَصراً.

قوله: ﴿ وإن أحدٌ من المشركين استجارك ... الآية﴾ .

قال سعيد بن جبير: لما قرأ عليهم هذه الآيات عليّ بن أبي طالب جاء رجلٌ من المشركين إلى عليّ فقال:

إن أراد الرجل منا أن يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجل فيسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة [قتل][1] فقال عليّ: لا لأن الله قال: ﴿ **وإن أحدٌ من المشركين استجارك**﴾[2].

وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ معناه: وإن استجارك أحدٌ من المشركين أي وإن استأمنك أحدٌ من المشركين ﴿ **فأجره** ﴾ فآمنه ﴿ **حتىٰ يسمعَ كلٰم الله** ﴾ أيّ قراءتك لكلام الله.

قال ابن عطاء: ﴿**حتىٰ يسمع كلٰم الله** ﴾ أى ما أعد الله لأوليائه من الثواب، ولأعدائه من العقاب، وما افترض الله في دينه من الصلاة والزكاة والصوم والحج.

قال ابن فورك[3]: ﴿ **المشركين** ﴾ يسمعون كلام الله على الحقيقة عند قراءة القرآن.

﴿ **ثم أَبْلِغْهُ مَأْمَنَه** ﴾ وطنه من حيث جاء إن لم يؤمن.

والإبلاغ: التصيير إلى منتهى الحد.

﴿ **ذلك** ﴾ الذي ذكرت ﴿ **بأنهم قومٌ لا يعلمون** ﴾ أمر الله وتوحيده.

---

(١) في الأصل: [قيل] والصواب ما أثبته تم التصويب من تفسير الثعلبي (ق:٨١/أ).

(٢) خرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٨٠/ب، ٨١/أ).

(٣) خرّجه ابن جرير الطبري (١٤/١٤٣) برقم (١٦٤٩٣)، والثعلبي (ق:٨١/أ).

قوله: ﴿ كيف يكونُ للمشركين ﴾ كيف على وجه التعجب ويقال معناه: جحد ي لا يكون للمشركين ﴿ عهدٌ عندَ الله وعندَ رسوله ﴾ بعد مضي أربعة أشهر ﴿ إلا الذين عهدتم عند المسجدِ الحرام ﴾ بعد عام الحديبية على تسعة أشهر.

قال ابن عباس: هم قريشٌ[١].

وقال مجاهد: هم خزاعة[٢].

وقيل: قومٌ من بني بكر من كنانة[٣].

قال ابن حبيب: إنهم بنو ضمرة وكلهم بنو كنانة الذين عاهدوا النبي ﷺ على تسعة أشهر[٤].

﴿ فما استقاموا لكم ﴾ أي فاستقاموا لكم بالوفاء ﴿ فاستقيموا لهم ﴾ بتمام العهد ﴿ إن الله يُحِبُّ المتقين ﴾ عن نقض العهد.

المسجد: الموضع المهيأ لصلاة الجماعة، وأصله موضع السجود كالمجلس موضع الجلوس.

والاستقامة: الاستمرار في جهة الصواب، والاستمرار قد يكون على الخطأ، ولا تكون استقامةً. قاله ابن فورك.

قوله: ﴿ كيف وإن يظهروا عليكم ﴾ على وجه التعجب وفيه إضمارٌ معناه: كيف يكون بينكم / وبينهم عهدٌ وإن يظهروا عليكم. ٢١٤/أ

وقيل: كيف يكون لهم العهد وإن يظهروا عليكم[٥].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) خرّجه الطبري في تفسيره (١٤٤/١٤) برقم (١٦٤٩٨).

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير الطبري بسنده إلى محمد بن عباد بن جعفر (١٤٢/١٤) برقم (١٦٤٩١).

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٣٨/ب).

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٣٣/٢).

قال الأخفش معناه: كيف لا تقاتلونهم[1] وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم.

فنظم الآية: كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة [ولهم] إذا عرض الاستثناء في وسط الكلام وهو قوله: ﴿ **إلا الذين عاهدتم** ﴾ ثم أعاد ذكر التعجب وهو قوله: ﴿ **كيف** ﴾ يقرب إلى الفهم ﴿ **كيف وإن يظهروا** ﴾ وإن يغلبوا ﴿ **عليكم لا يرقبوا فيكم** ﴾ لا يحفظونكم ﴿ **إلاً** ﴾ لقبل القرابة ﴿ **ولا ذمة** ﴾ ولا لقبل العهد.

و ﴿ **لا يرقبوا فيكم** ﴾ هذا جوابٌ واحدٌ لابتدائين أحدهما: كيف يكون للمشركين . والثاني: كيف وإن يظهروا عليكم.

وقوله: ﴿ **لا يرقبوا فيكم** ﴾ جوابٌ لكل كيفين[2] ومثل هذا يوجد في القرآن كقوله: ﴿ **ولمّا جآءهم كتـٰبٌ من عند الله** ﴾ ، ﴿ **فلما جآءهم ما عرفوا كفروا به** ﴾[3] جوابا للابتداء وهو لمّا ونظيره قوله: ﴿ **فلولآ إذا بَلَغَت الحُلقوم** ﴾ ثم لم يأت جوابه حتى ذكر ﴿ **فلولآ إن كنتم غير مدينين** ﴾ جوابهما ﴿ **ترجعونهآ ....الآية** ﴾[4].

فكذلك في هذا الموضع.

الرُّقوب: العمل في الأمر على ما تقدم به العقد والمراقبة والمراعاة والمحافظة نظائر في اللغة.

﴿ **إلا** ﴾ فيه أربعة أقاويل:

قال قتادة وعلي بن أبي طلحة: إلا قرابة[5].

---

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٥٥١).

(٢) يعني جواب للاستفهامين كيف؟ وكيف؟

(٣) سورة البقرة آية ٨٩.

(٤) سورة الواقعة ٨٣، ٨٦، ٨٧.

(٥) ذكره ابن حبيب (ق: ٤٠/ب).

قال مجاهد: إلاك هو الله، أي لقبل الله[١].

وقال الضحاك وأبو عبيدة: الحلف[٢].

وقال ابن زيد: العهد[٣].

﴿ ولا ذمة ﴾ يعني لا لقبل العهد.

عن ابن عباس[٤] قال: مجاهد: ﴿ولا ذمة ﴾ ولا ميثاقاً[٥]

وقيل: ﴿ ولا ذمة ﴾ ولا حلفاً. معناه: ولا لقبل الحلف، ولا لقبل الميثاق. ﴿ يُرْضُونكم ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿ بأفوههم ﴾ بألسنتهم ﴿ وتأبى ﴾ تنكر ﴿قلوبُهم ﴾ ذلك ﴿ وأكثُرُهم ﴾ كلهم ﴿ فسقون ﴾ ناقضون للعهد.

قوله: ﴿ اشْتَرَوْا بئايت الله ... الأية ﴾ نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب حين أطعم المشركين ودعاهم إلى الضيافة وترك حلفاء النبي ﷺ ولم يدعهم إلى الضيافة[٦] فأنزل الله: ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله ... الأية ﴾ .[٧]

---

(١) ابن حبيب (ق:٤٠/ب)، والثعلبي (ق:٨٢/أ)، وحكاه الماوردي (٣٤٣/٢).

(٢) أخرج ابن جرير الطبري مثله عن قتادة (١٤٧/١٤) برقم (١٦٥٠٨).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٤١/أ).

(٤) الأثر خرّجه الطبري عن ابن عباس (١٤٤/١٤) برقم (١٦٥٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسير (ص:٦٤٢) برقم (٨٢٢).

(٥) هذا القول أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٧/١٤) برقم (١٦٥٠٦) ونسبه إلى الضحاك وبرقم (١٦٥٠٧)، ونسبه إلى السدّي، وعن مجاهد أنه قال: الذمة : العهد، انظر: الطبري (١٤٨/١٤)، والآثار (١٦٥٠٩، ١٦٥١١، ١٦٥١٢).

قال ابن جرير الطبري (١٤٨/١٤): «والإل: اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد، والعقد، والحلف، والقرابة، وهو أيضاً بمعنى «الله» فإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة فيقال: لا يرقبوا في مؤمنٍ الله ولا قرابةً ولا عهداً ولا ميثاقاً» اهـ.

(٦) أخرجه الطبري (١٥١/١٤) برقم (١٦٥١٤) عن مجاهد. وانظر: تفسير مجاهد (٢٧٤).

(٧) سورة آل عمران آية (٧٧) .

ويقال: نزلت هذه الآية في شأن اليهود.

﴿ **اشتروا بئايـت الله** ﴾ بمحمد والقرآن ﴿ **ثمناً قليلاً** ﴾ عوضاً يسيراً ﴿**فصدوا عن سبيله** ﴾ أي فصرفوا الناس عن دين الله وطاعته ﴿ **إنهم سآء ما كانوا يعملون** ﴾ بئس ما كانوا يصنعون من الكتمان وغيره ﴿ **لايَرْقُبُون** ﴾ لا يحفظون ﴿**فى مُؤمن**﴾ وإنما أعيد ذكر لا يرقبون لأن الأول في صفة ناقضي العهد، والثاني في أبي سفيان بن حرب. وقيل:[1] الأول في صفة الناقضين للعهد، والثاني في صفة اليهود.

﴿ **لا يرقبون** ﴾ لا يحفظون ﴿ **فى مؤمن إلاً** ﴾ قرابةً ﴿ **ولا ذمةً** ﴾ لا لقبل العهد كما ذكرنا قبل هذا.

﴿ **و وأولـئك** ﴾[2] أهل هذه الصفة ﴿ **هم المعتدون** ﴾ المتجاوزون من الحلال إلى الحرام بنقض العهد وغيره.

قال محمد بن الفضل:[3] حرمة المؤمن أفضل الحرمات، وتعظيمه أجل الطاعات قال الله: لا يرقبون في مؤمن ... الآية.

﴿ **فإن تابوا** ﴾ من الشرك والكفر وآمنوا بالله ﴿ **وأقاموا الصلـوة** ﴾ / وأقروا ٢١٤/ب بالصلوات الخمس ﴿ **وءاتوا الزكـوة** ﴾ وأقروا[4] بالزكاة ﴿ **فإخـونكم فى الدين** ﴾

(١) هذا القول ذكر في تنوير المقباس (ص: ١٢٠) بهذا النص «ويقال نزلت هذه الآية في شأن اليهود» أهـ.

(٢) في أصل المخطوط سقط [الواو] وتم تصويبه.

(٣) هو محمد بن الفضل بن محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري من شيوخ الحيري مات سنة ٣٨٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٤٩١)، وميزان الاعتدال (٤/٩).

(٤) كلمة المؤلف: [أقروا بالصلاة وأقروا بالزكاة] ليست بدقيقة فلا يكفي فيها مجردُ الإقرار، وتعبير القرآن أدق من تعبير المؤلف في هذا المعنى.

أي فهم إخوانكم في الدين في دين الإسلام.

ففي الآية دليلٌ على أن الطاعات من الإيمان[1] إذ لا تحصل الأخوة في الدين إلا بعد إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

﴿ **ونفصل الأيـــت** ﴾ نبين لهم القرآن بالأمر والنهي ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾ يصدقون .

قوله: ﴿ **وإن نكثوا أيمـنهم ... الآية** ﴾ قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ وادع أهل مكة سنتين وكان بين خزاعة وبني ليث، وهما قبيلتان بمكة، عداوةٌ وشحناء في الجاهلية وكان لخزاعة صلحٌ مع النبي ﷺ فجاء بنو ليث [وقاتل وحارب][2] خزاعة وهزموهم فأعانهم كفار مكة بالسلاح على خزاعة ونقضوا العهد فركب عمرو بن عبد مناة الخزاعي إلى النبي ﷺ مستغيثاً من بني ليث فقال رسول الله ﷺ: إن لم انصرهم لا انصرُ فقال أبو بكر: اتنصر على قومنا؟! قال:نعم. ثم أمر الناس أن يتجهزوا إلى مكة وساروا إلى مكة وفتحها في شهر رمضان يوم الجمعة وهو اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة فأنزل الله[3]: ﴿ **وإن نكثوا** ﴾ وان نقضوا أهل مكة ﴿ **أيمـــنهم** ﴾ عهودهم التي بينكم وبينهم ﴿ **من بَعْدِ عهدهم وطعنوا فى دينكم** ﴾ عابوهم في دين الإسلام فقالوا: ليس دين محمد بشيء ﴿ **فقـتلوا أئمة الكفر** ﴾ رؤوساء الكفر وقادتهم أبا سفيان، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وأصحابهم، فأسلم أبو سفيان وسهيل وحسن إسلامهما ﴿ **إنهم لا أيمـن لهم** ﴾ .

---

(١) يرد على من يزعم أن الإيمان مجرد المعرفة، ولا يدخل العمل في الإيمان.

(٢) كذا في أصل المخطوط، والصواب أن يقال: [وقاتلوا وحاربوا].

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٩/٢ – ١٦١) مع وجود بعض الاختلاف في السياق والتغيير في بعض العبارات من تقديم وتأخير.

من قرأ بنصب الألف[1] أي لا عهد لهم لأنهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ لقوله ﴿ **وان نكثوا أيمنهم ...**﴾ الآية هذا دليل من قرأ بنصب الألف.

ومن قرأ ﴿ **لا إيمَـنَ لهـم** ﴾ بكسر الالف[2] فمعناه: لا دين لهم لقوله: ﴿**فقـتلوا أئمة الكفر أنهم لا إيمن لهم** ﴾ لا عهد لهم ولا ذمة . هذا دليل من قرأ بالكسر . وهما صحيحتان ﴿ **لعلهم ينتهـون** ﴾ لكي ينتهوا عن نقض العهد فلا ينقضونه.

﴿ **ألا تقـتلون قوماً نكثوا أيمنهم** ﴾ اي نقضوا عهودهم التي بينكم وبينهم.

﴿**وهَمُّوا بإخراج الرسول** ﴾ أرادوا قتل الرسول حيث دخلوا في دار الندوة ﴿ **وهم بدءوكم أوَّلَ مَرّة**﴾ بنقض العهد حيث أعانوا بني ليث حلفاءهم على بني خزاعة حلفاء النبي ﷺ ﴿ **أتخشَونهم** ﴾ يا معشر المؤمنين وتخشون قتالهم ﴿ **فالله أحقُ أن تخشَوه** ﴾ في ترك أمره ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ مصدقين، ثم وعدهم الله النصر فقال: ﴿ **قـتلوهم** ﴾ يعني أهل مكة ﴿ **يُعَذِبهُمُ اللهُ بأيديكم** ﴾ بسيوفكم بالقتل ﴿ **ويُخزِهِمْ** ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿ **ويَنصُرْكُمْ عليهم** ﴾ بالغلبة ﴿ **ويَشْفِ صُدُورَ قومٍ مُؤمنين** ﴾ ويُفَرِّح قلوب بني خزاعة عليهم بما أحل لهم القتل يوم فتح مكة ﴿ **ويُذهِبْ غيظ** ﴾ أي حقد ﴿ **قلوبِهم** ﴾ أي قلوب خزاعة ﴿ **ويتوب الله على من يشاء** ﴾ على من تاب من القاتلين والمنافقين.

من قرأ ﴿ **ويتـوب اللهُ** ﴾ بالرفع[3] فعلى الاستئناف، ومن قرأ بالنصب[4] فعلى الصرف.

---

(١) قراءة الجمهور . انظر: التذكرة في القراءات لابن غلبون (٢/٤٣٩).
(٢) قرأ بها ابن عامر . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٩).
(٣) الرفع قراءة الجمهور.
(٤) بالنصب قراءة شاذة قرأ بها ابن أبي اسحاق والأعرج ومقاتل بن سليمان ويونس عن أبي عمرو . انظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه (ص: ٥١).
وهي قراءة الحسن البصري كما في القراءات الشاذة ص٥١.

﴿ والله عليم ﴾ بمن تاب وبمن لم يتب منهم ﴿ حكيم ﴾ فيما حكم عليهم بقتلهم وهزيمتهم.

قوله: ﴿ أم حسبتم أن تُتْركُوا ﴾ قال ابن حبيب: قال الله ﴿ أم حسبتم ﴾ ولم يقل أحسبتم لأن الاستفهام على نوعين[1]:

استفهام معترض في وسط الكلام فادخلت فيه (أم).

واستفهام مبتدأ أسقطت عنه (أم)، ليكون فرقاً بين استفهام المعترض وبين استفهام المبتدأ فها هنا استفهام معترض / بين الكلام فلهذا أدخل الميم. ٢١٥/أ

﴿ أم حسبتم ﴾ أظننتم يا معشر المؤمنين ﴿ أن تتركوا ﴾ [أن تمهلوا[2]] ولا تؤمروا بالجهاد ﴿ ولما يعلم الله ﴾ اى ولم يبل[3] الله. والألف صلة ﴿ الذين جاهدوا منكم ﴾ في سبيل الله ﴿ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين ﴾ المخلصين ﴿ وليجةً ﴾ بطانة من الكفار.

قال عطاء: بطانة أولياء من المشركين[4].
قال الحسن: بطانة أي كفراً ونفاقاً[5].

فنظم الآية: ﴿ أمْ حسبتم ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿ أن تتركوا ﴾ حتى تتخذوا من

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٤٣/أ). وانظر: تفسير الطبري (١٤/١٦٥)، ومعاني القرآن للفراء (١/٤٢٦).
(٢) هكذا في أصل المخطوط والصواب: [أن تهملوا] تم تصويب ذلك من كتب التفسير مثل تنوير المقباس (ص:١٢٠).
(٣) كذا في الأصل وفي بعض كتب التفسير [ولم ير الله]. أنظر: تنوير المقباس (ص:١٢٠).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:٤٢/ب) وحكاه الماوردي عن قطرب ومقاتل (٢/٣٤٦).
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٦٤) برقم (١٦٥٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٦٥) برقم (٨٧٠).

دون الله ودون رسوله ودون المؤمنين أولياء من المشركين .

الوليجة: فعيلة من الولوج وهو كل من يختصه الرجل لدخله أمره بطانة وخاصة يقال: هو وليجتى وهم وليجتى للواحد والجمع أى صاحب سِرّى ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾ من الخير والشر في الجهاد وغيره.

قوله: ﴿ **ما كان للمشركين أن يَعْمروا**﴾. قال ابن عباس: لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون يُعَيِّروه بكفره بالله وقطيعة الرحم وأغلظ عليٌّ للعباس القول، فقال العباس: تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا . قال عليٌّ له: ألكم محاسن؟ قال: نعم. إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاج، ونفكُّ العانى[1] فانزل الله رداً على العباس، وتصديقاً لقول عليّ: ﴿ **ما كان للمشركين**﴾ إلى قوله ﴿ **هم الفائزون** ﴾ فذلك قوله: ﴿ **ما كان للمشركين** ﴾ ما ينبغى ﴿ **أن يعمروا مسٰجد الله** ﴾ قرئ بالجمع في موضعين وبالوحدان في موضعين[2] فيهما، وقرئ أحدهما بالجمع والآخر بالوحدان، فمن جمع أراد المسجد الحرام مع الصفا والمروة. عن عكرمة.[3]

ومن وحّد أراد المسجد الحرام، ومن فرّق فقرأ أحدهما بالجمع، والآخر بالوحدان فأراد بالجمع جميع المساجد، وبالوحدان المسجد الحرام.

﴿ **شٰهدين على أنفسهم** ﴾ على أبدانهم ﴿ **بالكفر**﴾ قال السدّي: ﴿ **على أنفسهم بالكفر** ﴾ أن النصراني يُسئل من أنت؟ فيقول نصاري وكذلك يسئل اليهود

(١) هذا القول في سبب نزول هذه الآية ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢/١٦٢) ولم ينسبه إلى أحد وورد مثله في تنوير المقباس (ص:١٢٠). وأخرج بن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما كلاماً مختصراً حول المعنى في تفسيره (١٤/١٧٠) برقم (١٦٥٥٨).

(٢) قرأ بالوحدان: ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب، وقرأ بالجمع الباقون .
انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٣٩).

(٣) انظر: الثعلبي (ق:٨٤/ب).

والمجوس والصابئ وعبدة الأوثان اذا قيل لهم من أنتم؟ شهد كل واحد على نفسه بالكفر فهذا معنى قوله: شاهدين على أنفسهم بالكفر[١].

وقال الحسن: ﴿ **شـٰهدين علىٰ أنفسهم بالكفر** ﴾ لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بكفرهم[٢].

وقال ابن عباس: مقربين بالأصنام تقرباً إلى الله زلفى شهدوا على أنفسهم بالكفر[٣].

قال الضحاك: ﴿ **علىٰ أنفسهم بالكفر** ﴾ قولهم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك[٤].

ويقال: كافرين بمحمد.

وقيل: جاحدين بالقرآن .

وقيل: ساجدين للأصنام.

﴿ **أولـٰئك حبطت أعمـٰلهم** ﴾ حسناتهم بالكفر ﴿ **وفى النار هم خـٰلدون** ﴾ لا يموتون فيها ولا يخرجون منها. ثم بيّن من يعمر مساجد الله فقال: ﴿ **إنما يَعْمُرُ مسـٰجد الله** ﴾ المسجد الحرام ﴿ **من ءامن بالله واليوم الأخر** ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿**وأقامَ الصلوٰة** ﴾ وأتم الصلوات الخمس ﴿ **وءاتى الزكوٰة** ﴾ أدى الزكاة

(١) خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/١٦٥) برقم (١٦٥٥٢)، وابن أبي حاتم (٢/٦٦٨) برقم (٨٧٥).
الصواب: أن أفعالهم تشهد بكفرهم، وهذا يدل أن الشهادة تكون بالفعل، ولا يلزم أن تكون بالقول.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٢/٣٤٦، ٣٤٧).

(٣) أخرجه الثعلبي (ق:٣٥/أ)، وأخرجه البغوي (٢/٢٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الضحاك.

(٤) لم أقف على قول منسوب إلى الضحاك بهذا.

المفروضة ﴿ ولم يخش إلا الله ﴾ ولم يعبد رلا الله ﴿ فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ بدين الله وحجته.

وعسى من الله واجب أي كائن يعني كل ما قضى الله في اللوح المحفوظ فهو كائن

﴿أجَعَلْتُم سقايةَ الحَآجِّ وعِمارة المسجد الحرام ﴾ الآية. فيه قولان:

أحدهما: سقاية بمعنى الساقي، وعمارة أي العامر وتقديره: أجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام ﴿ كمن ءامن بالله ﴾ .

والقول الآخر: أن يكون الكلام مختصراً وتقديره: اجعلتم سقايه الحاج وعمارة المسجد الحرام / كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر. ٢١٥/ب

﴿ أجعلتم ﴾ قلتم ﴿ سقاية ﴾ أي سقي ﴿ الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن ءامن بالله واليوم الأخر ﴾ بالبعث بعد الموت أي الذى فيه جزاء الأعمال كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر بالبعث بعد الموت ﴿ وجـٰهد فى سبيل الله ﴾ في طاعة الله يوم بدر.

وقرئ: ﴿ سُقاية الحاج ﴾ بالضم[1] والكسر[2] وهما لغتان.

وقريء أيضاً: ﴿ سقاة الحاج وعمرة[3] المسجد الحرام ﴾ أراد بهما جمع الساقي والعامر.

﴿ لا يستون عند الله ﴾ اى لا يستوي من يسقى الحاج ويعمر المسجد الحرام

---

(١) قرأ بها الضحاك . انظر: البحر المحيط (٥/٢٠) وهي قراءة شاذة.

(٢) هي القراءة الموافقة لرسم المصحف.

(٣) قرأ بها أبو جعفر يزيد بن القعقاع وغيره . انظر: اتحاف فضلاء البشر (٢٤١)، والمحتسب (١/٢٨٥)، والنشر (٢/٢٧٨)، والبحر (٥/٢٠).

مع من آمن بالله واليوم الآخر في الطاعة والثواب ﴿ **والله لا يهدى** ﴾ لا يرشد إلى دينه ﴿ **القوم الظـلمين** ﴾ المشركين من لم يكن أهلاً لذلك.

﴿ **الذين ءامنوا** ﴾ بمحمد والقرآن ﴿ **وهاجروا** ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿**وجـهدوا فى سبيل الله** ﴾ في طاعة الله ﴿ **بأموالهم وأنفسهم** ﴾ بنفقة أموالهم، ﴿ **وأنفسهم** ﴾ وبخروج أنفسهم ﴿ **أعظمُ درجةً** ﴾ فضيلة ﴿ **عند الله** ﴾ من غيرهم ﴿**وأولـئك هم الفآئزون** ﴾ فازوا بالجنة ونجوا من النار ﴿ **يُبشِّرُهم ربهم** ﴾ يفرحهم ربهم ﴿ **برحمةٍ منه** ﴾ بنجاة من الله من العذاب ﴿ **ورضوانٍ** ﴾ ويرضى ربهم عنهم ﴿ **وجنـتٍ** ﴾ وبجنات ﴿ **لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ** ﴾ دائم لا ينقطع ﴿ **خـلدين فيهآ أبـداً** ﴾ لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

والأبد: طول الدهر، المستقبل من غير آخر كما أن قط طول الدهر للماضي تقول ما رأيته قط، ولا أرآه أبداً.

﴿ **إن اللهَ عنده أجرٌ عظيم** ﴾ ثواب وافر لمن آمن به.
الأجر: الخير الذي يقابل بالعمل.

قوله: ﴿ **يـأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا ءاباءكم ... الأية** ﴾ قال ابن عباس: وذلك أن النبى ﷺ لما أمر بالهجرة إلى المدينة فكانوا على ثلاثةِ أقسامٍ:
فمنهم من قال لأبيه وأخيه وامرأته وقرابته إنا قد أمرنا بالهجرة.

ومنهم من يأبى ذلك فيقول الرجل: والله لئن ضمني وإياكم دار الهجرة لا أنفعكم ولا أعطيكم ولا أنفق عليكم.

والقسم الثالث: منهم من تتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون: ننشدك الله أن [لا][1] تضيعنا، فتركوا الهجرة وجلسوا وأحبوا الجلوس لأجلهم فهددهم الله بقوله:

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه.

﴿يـٰأيها الذين ءامنوا﴾[1] بمحمد والقرآن ﴿لا تتخذوا ءاباءكم وإخوانكم﴾ [...][2] الذين بمكة من الكفار ﴿أولياء﴾ في العون والنصرة ﴿إن استحبوا الكفر﴾ يعني اختاروا دار الكفر يعني مكة ﴿على الإيمـٰن﴾ على دار الإسلام يعني المدينة ﴿ومن يتولهم﴾ يعني الذين تركوا الهجرة ﴿منكم﴾ يا معشر المؤمنين ﴿فأولـٰئك هم الظـٰلمون﴾ الضارون بأنفسهم. ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إن كان ءاباؤكم﴾ احب إليكم من الله فيه مضمرٌ إلى آخرها ﴿وأبناؤكم﴾ أحب اليكم من الله ﴿وإخوانكم﴾ أحب إليكم من الله ﴿وأزواجكم﴾ أحب إليكم من الله ﴿وعشيرتكم﴾ قومكم الذين هم بمكةً أحب إليكم من الله ورسوله ﴿وأموالٌ اقترفتموها﴾ اكتسبتموها أحب إليكم من الله ﴿وتجارةٌ تَخْشَوْن كَسادَها﴾ أن لا تنفق بالمدينة أحب إليكم من الله ﴿ومسـٰكنُ﴾ منازل ﴿تَرْضَوْنَهآ﴾ تشتهون وتحبون الجلوس فيها ﴿أحبَّ إليكم من الله﴾ من طاعة[3] الله ﴿ورسوله﴾ ومن الهجرة إلى / رسوله ﴿وجهاد﴾ ومن جهاد ﴿في سبيله﴾ في طاعته ﴿فتربصوا﴾ فانتظروا ﴿حتى يأتيَ الله بأمره﴾ بعذابه يعني القتل يوم فتح مكة[4]. ٢١٦/أ

وقيل: ﴿بأمره﴾ من عقوبةٍ عاجلةٍ أو آجلةٍ. عن الحسن[5]. ثم هاجروا بعد ذلك ﴿والله لا يهدي﴾ لا يرشد إلى دينه ﴿القوم الفـٰسقين﴾ الكافرين ، من لم يكن أهلاً لدينه، المحبة إرادةٌ خاصةٌ للشيءِ، فمن أحب الجهاد فقد أراد فعله ، ومن أحب

---

(١) أخرجه البغوي (٢/٢٧٧) عنه من طريق الكلبي وهو ضعيف.

(٢) في الأصل: [من المؤمنين] والكلام لا يستقيم إلا بدونها لذا حذفت من المتن.

(٣) هذا تأويل، لأن المؤمن يجب أن يحب الله، ولا يجوز أن يؤل حب الله بأنه طاعته، ولكن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ من لازم حب الله.

(٤) هذا التفسير غير صحيح لأن سورة التوبة من آخر ما نزل في المدينة، ولأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتطلعون إلى الهجرة جميعاً قبل الأمر بها، ولم ينقسموا هذه الأقسام التي ذكرت.

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره (٢/٣٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤١٣).

الله فقد أراد شكره وعبادته ، ومن أحب النبي ﷺ أراد إجلاله وإعظامه[١].

والتربص: التثبت فى الشيء حتى يأتي وقته. ونقيضه التعجل بالأمر.

قوله: ﴿لقد نصركم الله فى مواطن كثيرةٍ ويوم حُنينٍ﴾

قصة حُنين: وذلك أن النبي ﷺ لما فتح مكة في شهر رمضان السابع عشر منه في سنة ثمان من الهجرة ، فلما مضت من شوال عشرة أيام[٢] خرج من مكة إلى قتال هوازن[٣] وثقيف، وكان أمير هوازن مالك بن عوف النضري[٤]، وكان أمير ثقيف عبدياليل بن عمرو الثقفى[٥] وكانوا أربعة آلاف رجل[٦] فخرج النبي ﷺ من مكة.

قال عطاء: كانوا ستة آلاف[٧].

وقال الحسن: ثمانية آلاف[٨].

---

(١) علامة حب النبي ﷺ طاعته واتباع سنته وأما الاجلال والتعظيم فقد يكون ذلك على غير الوجه الشرعي.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٢٢/٤).

(٣) هوازن قبيلة كبيرة من أعظم قبائل العرب ومن أكثرها من حيث العدد والقوة، ومواطنها تمتد من غور تهامة إلى بيشه، والطائف هو الموطن الرئيسي لتلك القبيلة وهي قبيلة مضرية عدنانية يعود نسبها إلى قيس بن عيلان، وهوازن اسم جد بطون متفرقة.
انظر: مرويات غزوة حنين تأليف الدكتور إبراهيم بن إبراهيم قريبي (٢٣/١) وقد ذكر أن ثقيف فرع من هوازن وتدخل فيها.

(٤) كذا في الأصل بالضاد المعجمة، وهو خطأ، والصواب النصري، واسمه مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن بكر بن هوازن أبو على النصري بالصاد المهملة.
انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢٦٩).

(٥) هو عبدياليل بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي مختلف في اسمه واسم أبيه .
انظر: سيرة بن هشام (٤١٩/١).

(٦) أخرجه الطبري (١٨٠/١٤)، وابن أبي حاتم (٦٩٣/٢، ٦٩٤) برقم (٩١٨) عن قتادة.

(٧) عدد الذين شهدوا حنين من هوازن وثقيف، انظر: تفسير البغوي (٢٧٨/٢).

(٨) قال البغوي: قال عطاء : كانوا ستة عشر ألفاً، وذكره أيضاً ابن الجوزي (٤١٣/٣).

وقال الكلبي: عشرة آلاف.[1]
قال قتادة: اثنا عشر ألفاً من المهاجرين والأنصار.

فقال رجل من المسلمين[2] - يقال له سلمة بن سلامة - يومئذٍ لن نغلب اليوم من قلة[3] وأعجبته كثرتهم فنزل النبي ﷺ في حنينٍ - وهو واد بين مكة والطائف - قال أبو عبدالرحمن الفهري[4] رأيت النبي ﷺ في ظل شجرة فقلت يا رسول [الله][5] قد حان الرواح فقال: أجل. فنادى يا بلال ، فقام بلالٌ من تحت الشجرة فأقبل ظله فقال: لبيك وسعديك فقال له النبي ﷺ : أسرج فرسي فأخرج سرجاً دفتاه وحشوهما ليفٌ ليس فيه أشرٌ ولا بطرٌ فركب النبي ﷺ فصافناهم يومنا وليلتنا فلما التقى الخيلان ولى المسلمون مدبرين منهزمين فنادى رسول الله ﷺ يا عباد [الله][5] يا معشر المهاجرين يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فقام النبي ﷺ وما معه إلا سفيان بن الحارث والعباس بن عبدالمطلب[6].

وقال الكلبي: كان حول النبي ﷺ يومئذ ثلاثمائة رجل من المسلمين وانهزم

---

(١) ذكر القرطبي في الجامع لاحكام القرآن (٩٧/٨).
(٢) أخرجه الثعلبي (ق:٨٨/أ)، والبغوي (٢٧٧/٢).
وذكره ابن الجوزي (٤١٤/٣) ونسبه إلى قتادة وابن زيد وابن اسحاق والواقدي وهو القول الراجح . وقال به جمهور كبير من المفسرين، منهم: ابن جرير الطبري (١٨٠/١٤)، وابن حبيب (ق:٤٥/ب)، والثعلبي (ق:٨٨/أ)، والبغوي (٢٧٧/٣)، وابن عاشور (١٥٦/١٠).
(٣) ذكر البغوي (٢٧٨/٢) وفيه أن اسم القائل سلمه بن وقش. وقيل: غير ذلك.
(٤) أبو عبدالرحمن الفهري صحابي مختلف في اسمه فقيل اسمه: يزيد بن أنيس بن عبدالله بن عمرو بن حبيب، وقيل: اسمه الحارث ، وقيل: عبد ، وقيل: غير ذلك.
انظر: الإصابة (٦٥٢/٣) وقد ذكر ابن حجر عند ترجمته روايته هذه في غزوة حنين. وانظر: تهذيب التهذيب (١٥٤/١٢).
(٥) في الأصل: [أه] والصواب ما أثبته.
(٦) أخرجه ابن جرير الطبري (١٨٤/١٤، ١٨٥) برقم (١٦٥٧٩).

سائر الناس عنه، فلما نادى النبي ﷺ رجع إليه أصحابه وقاتلوا[1].

قال سعيد بن المسيب: حدثني رجلٌ كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ لم يقفوا لنا وانهزموا فتلقانا رجالٌ بيض الثياب حسان الوجوه فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا فذكر[2] للنبي ﷺ ذلك فقال: هم الملائكة الذين أمدهم الله وكانوا خمسة آلاف مسومين، فلم يحاربوا المشركين يوم حنين وحاربوا في حرب بدرٍ، فلما رجع المسلمون إلى النبي ﷺ فأخذ قبضةً من التراب ورمى في وجوه الكافرين، فلم يبق أحدٌ من المشركين إلا وقد ملأت أعينهم فانهزموا وولوا مدبرين، فانطلقوا حتى أتوا أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث النبي ﷺ بأوطاس رجلاً يقال له أبو عامر وأمّره على الناس فسار اليهم وسبوا عيال المشركين وأموالهم، وقسموا السبي والأموال فجاء قومٌ من المشركين الى النبي ﷺ وأسلموا وقالوا: يا رسول الله رد إلينا أموالنا وأهالينا فقال رسول الله ﷺ أيهما أحب إليكم الأموال أم العيال؟ قالوا: نريد الأموال والعيال. فقال رسول الله: قد قسمت بين المسلمين / فأما ما أصاب بني هاشم فقد رددناه ٢١٦/ب إليكم ثم قال: من شاء أن يرد فليرد، ومن لم يرد ففديته بخمسين من الإبل، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد ردَّ ردّوا جميعاً غير رجلٍ واحدٍ وهو صفوان بن أمية لأنه واقع امرأةً أصاب منها فحبلت منه فلم يردها إليهم[3] فأنزل الله ﴿ **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة**﴾ عند القتال يوم بدر ﴿ **ويومَ حُنَيْنٍ** ﴾ وفي يوم حنين خاصة — وهو وادٍ بين مكة والطائف — ﴿ **إذ أعْجَبَتْكُم كثرَتُكُم** ﴾ كثرة جموعكم ﴿ **فلم تُغْنِ عنكم شيئاً** ﴾ من الهزيمة ﴿**وضاقتْ عليكم الأرضُ**﴾ من الخوف ﴿ **بما رَحُبَتْ** ﴾

---

(١) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:٨٨/ب).

(٢) أخرجه الثعلبي (ق:٨٩/ب).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٤٦/أ)، والكشف والبيان للثعلبي (ق:٨٩/أ)، (ق:٩٠/أ،ب)، (ق:٩١/أ، ب)، وانظر: البغوي (٢/٢٧٨ - ٢٨٠) فقد ذكر القصة برواياتها.

بسعتها ﴿ ثم وَلَّيتم ﴾ يا أصحاب محمدٍ ﴿ مدبرين ﴾ منهزمين من العدو، وكان عدوهم أربعة آلاف رجل.

﴿ ثم أنزل اللهُ سكينته ﴾ طمأنينته ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ وقيل: سكنته رحمته على رسوله وعلى المؤمنين.

والسكينة: الرحمة التي يسكن إليها القلب، والسكينة بما تسكن اليه النفوس.

وقال الحسن: السكينة : السكون[1].

﴿ وأنزل جنوداً ﴾ من السماء ﴿ لم تروها ﴾ يعني الملائكة بالنصرة لكم، والملائكة لم تقاتل إلا يوم بدرٍ خاصةٍ ﴿ وعَذّبَ الذين كفروا ﴾ بالقتل والهزيمة يعني قوم مالك بن عوف الدهماني، وقوم عبدياليل بن عمرو الثقفي ﴿ وذلك جزآءُ الكفرين ﴾ في الدنيا ﴿ ثم يتوب اللهُ من بعد ذلك ﴾ القتال والهزيمة ﴿ على من يشآء ﴾ من تاب منهم يعني الذين جاءوا إلى النبي ﷺ وأسلموا ﴿ والله غفورٌ ﴾ متجاوزٌ ﴿ رحيم ﴾ لمن تاب .

قوله: ﴿ يأيها الذين ءامنوا إنما المشركون نَجسٌ ﴾ قال قتادة: يعني أجناب[2] لانهم لا يغتسلون عن الجنابة.

وقال الضحاك: قذرٌ[3].

وقال الحسين بن فضل: النجاسة نجاستان: نجاسةٌ ظاهرةٌ، ونجاسةٌ باطنةٌ، ولهذا قلنا نجاسةٌ حكميةٌ، والمراد بالآية المذمة[4].

---

(١) انظر: الدر المنثور (٧٥٨/١) فقد عزاه لابن أبي حاتم.

(٢) خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩١/١٤) برقم (١٦٥٩٣)، وابن أبي حاتم (٧٠٦/٢، ٧٠٧) برقم (٩٣٥).

(٣) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:٩١/ب)، والبغوي (٢٨١/٢).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:٤٦/ب)، وقد رجح ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٧٣/٤، ٧٤) أن نجاسة المشرك نجاسة في الدين فقال: «أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين، الذين ـــ

ونجسٌ مصدرٌ فلهذا لم يقل نجسون لأن المصدر لا يثنى ولا يجمع ﴿ **فلا يَقْرَبوا المسجدَ الحرامَ** ﴾ فلا يدنوا من المسجد الحرام ، وأراد بالحرام الحرم كله ، فلا يقربوا من قرب يقرب أي دنا يدنوا ، ولو أراد به دخول الحرم وقربه لقال: فلا يقربوا بضم الراء ولو قال فلا يقربوا بضم الراء لما جاز لهم أن يدنوا قرب المسجد وحوله فلما كان بنصب الراء جاز لهم أن يدنوا حول الحرم وقربه (المسجد الحرام) الحرم كله بالحج والطواف ﴿ **بعد عامهم هذا** ﴾ وإنما أراد بالعام العام الذى حج فيه أبو بكر وقرأ عليهم عليٌّ بن أبي طالب سورة برآءة وهو العام التاسع من الهجرة ﴿ **وإن خفتم عَيْلَةً**﴾ الفقر والحاجة بتأخير المشركين عن مكة لأن أهل مكة فيهم تجارةٌ ونفعٌ ﴿**فسوف يُغْنيكم الله** ﴾ يرزقكم الله ﴿ **من فضله** ﴾ بفضله من وجهٍ آخر ﴿ **إن شآء**﴾ من حيث شاء ويغنيكم من تجارة بكر بن وائل[1] ﴿ **إن الله عليمٌ** ﴾ بأرزاقكم ﴿**حكيم** ﴾ فيما حكم عليهم.

قوله: ﴿ **قـٰتلوا الذين لا يؤمنون بالله ... الآية**﴾ قال الحسن : علم الله أنه يشق على ناس من المسلمين إخراج المشركين من الحرم لما كانوا يصيبون من الأمتعة منهم ففرض على المسلمين قتال أهل الكتابين أي اليهود والنصارى على الإسلام والإستسلام للجزية وعوض المسلمين أخذ الجزية منهم[2] وأنزل: ﴿ **قـٰتلوا** ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿ **الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر**﴾ ولا بنعيم الجنة.

= هم نجس ديناً عن المسجد الحرام». ثم قال: «ودلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك، كما دلت على طهارة المؤمن ، ولما ورد في الصحيح المؤمن لا ينجس، وأما نجاسة بدنه فأقر الجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات لأن الله تعالى أحل طعام أهل الكتاب».

(١) هو بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .
انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢٠٦، ٤٨٤).

(٢) لم أقف عليه عن الحسن ، وذكر القرطبي مثله عن الضحاك . أنظر: الجامع لاحكام القرآن (١٠٦/٨).

وروى عبدالله بن بريدة عن أبيه قال:[1] غزا رسول الله بعد نزول هذه الآية ﴿قـٰتلوا الذين / لا يؤمنون بالله ... الآية﴾ سبعة عشر غزوه قاتل منها في ثمانٍ. ٢١٧/أ

فإن قيل: هلا قال: قاتلوا الكفار من أهل الكتاب، ولم قال: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله؟ قيل: تحريضاً للمسلمين على قتال أهل الكتاب ومذمة لهم.

فإن قيل: لم قال: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهم يقرون بالله واليوم الآخر؟

الجوب من وجهين:

أحدهما : لأنهم انكروا القرآن ونبوة محمدٍ كما أنكر المشركون فأنزلهم منزلة المشركين.

والجواب الثاني: لأنهم يقرون بالله وبالبعث بعد الموت عن غير معرفةٍ تامةٍ ولاتصديق قلبٍ، فإذا كان الإقرار عن غير معرفةٍ تامةٍ ولا اعتقادٍ صحيح فكأنهم لا يقرون بهما. وكلاهما عن ابن فورك.

﴿ ولا يُحَرِّمون ﴾ في التوراة[2] ﴿ ما حرم اللهُ ورسولُه ﴾ من شرب الخمر وغيره ﴿ ولا يَدينون دينَ الحق ﴾ لا يخضعون لله بالتوحيد.

﴿ ولا يدينون دين الحق ﴾ لله في ذلك وجهان:

---

(١) هو عبدالله بن بريدة بن الحُصيب الأُسلمي أبو سهل المروزي ثقة من الثالثة، مات سنة خمس ومائة، وقيل خمس عشرة ومائة. انظر: التقريب (٤٠٣/١، ٤٠٤).
وأبوه بريدة بن الحصيب الأُسلمي، صحابي أسلم قبل بدر. ومات سنة ثلاث وستين هـ.
انظر :التقريب (٩٦/١).

(٢) في المخطوط: [التورية].

أحدهما: أن شريعة التوراة قد نسخت والعمل بها بعد النسخ باطلٌ[1].

والآخر: أن التوراة مغيرةٌ مبدلةٌ لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويقلبونه عن معانيه، فإذا كانت مغيَّرة مبدَّلة فالعمل بها حرامٌ فلهذا قال: ﴿ **ولا يدينون دين الحق**﴾ الإسلام وهو التسليم لأمر الله الذي جاءت به رسله عن يقينٍ فيه مع العمل به كما قال ﴿ **إن الدينَ عند الله الإسلام** ﴾، وأصل الدين يؤول إلى الطاعة يقال: دين الملك أي طاعته.

ثم بيَّن مَنْ هم فقال: ﴿ **من الذين أوتوا الكتب** ﴾ أعطوا الكتاب أي اليهود والنصارى ﴿ **حتى يُعْطُوا الجزيةَ عن يَدٍ**﴾ عن صَغارٍ وذلٍ، وقيل[2]: إنهم يعطون الجزية [قائما][3] عن يدٍ والذى يأخذ الجزية جالساً فكان ذلك لهم صغار وذل ﴿ **وهم صغرون**﴾ ذليلون باعطاء الجزية، وإنما جاز أن يُرضى بالجزية من أهل الكتاب دون غيرهم من عبدة الأوثان، لأن في ذلك استبقاءهم على تلك الصفة وهم أقرب إلى الحق من عبدة الأوثان بإقرارهم بالنبوة المتقدمة والشريعة.

ورُوى عن ابن عباس أنه قال: قسم النبي ﷺ على كل محتلم ديناراً[4]، وقسم

---

(١) هذا قول الجمهور، وهو القول الراجح. قال ابن كثير (٧٤/٤). فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد ﷺ، لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاءوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه لا لأنه شرع الله ودينه، لأنهم لو كانوا مؤمنين بما في أيديهم إيماناً صحيحاً، لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد صلوات الله وسلامه عليه، لأن جميع الأنبياء بَشَّروا به وأمروا باتباعه ... الخ.

(٢) هذا القول نسب إلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قاله لرستم في أثر خرّجه ابن أبي حاتم بسند فيه ضعف (٧٣٣/٢، ٧٣٤) برقم (٩٧٢).

(٣) كذا في الأصل والصواب: [قياماً].

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:٤٧/ب) من رواية أنس رضي الله عنه. وأخرج البغوي مثله من رواية معاذ بن جبل رضي الله عنه (٢٨٣/٢).

عمر على الفقراء من أهل الذمة في عصره اثنا عشر درهماً وعلى الأوسط أربعةٍ وعشرين درهماً، وعلى الغنى ثمانيةٍ وأربعين[1] ولم يجاوز خمسين.

والجزية: الفِعْلَة من جَزَى يجزي بمنزلة الجِلْسة والقِعْدة يقال: فلان جزى ما عليه أي أدى ما عليه.

قوله: ﴿ وقالت اليهودُ عزيرٌ ابن الله ... الآية﴾ قال ابن عباس: إنما قالوا هو ابن الله من أجل أن عزيراً كان في أهل الكتاب، وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا، ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى اللهُ أنهم أضاعوها وعملوا بالأهواء رفع التابوتَ عنهم وأنساهم التوراة ونسخِها من صدورهم وأرسل عليهم مرضاً فاستطلقت بطونهم، وكان عزيرٌ من علمائهم فدعا ربه أن يرد عليه الذى نُسِخَ من صدورهم من التوراة، فبينا هو يصلي مبتهلاً إلى الله أي متضرعاً إذ نزل نورٌ من الله فدخل جوفه / فعاد إليه ما ذهب منه من التوراة فأذَّن في قومه وقال: يا قوم قد رُدَّ إليَّ التوراة، فجعل يعلمهم، ثم إن التوراة نزلت بعد ذهابها، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كانوا فيه على الذى كان عزيرٌ يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا: والله ما أوتى عزيرٌ هذا الا لأنه ابن الله[2] فأنزل الله هذه الآية. ٢١٧/ب

قال سعيد بن جبير وعكرمة: أتى إلى رسول الله ﷺ سلام بن مسكين، والنعمان بن أوفى، وشماس بن قيس، ومالك بن الضيف فقالوا: كيف نتبعك وقد صليت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله فأنزل الله في ذلك ﴿ وقالت اليهود عزيرٌ[3] ابن الله ﴾[4].

---

(١) انظر: كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم (٣١/١).

(٢) خرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٢/١٤، ٢٠٣) برقم (١٦٦٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣٧/٢، ٧٣٨) برقم (٩٧٤) وحكم المحقق عبادة الكبيسي بضعف أسناده.

(٣) في المخطوط [عز ابن الله] وهو سقط تم استدراكه.

(٤) انظر: تفسير البغوي (٢٨٤/٢)، وفيه: سلام بن مشكم بدل سلام بن مسكين، ومالك بن الصيف بدل مالك بن الضيف.

قال مقاتل: وذلك أن اليهود قتلوا أنبياءهم فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزيرٌ في طلب العلم يسيح في الأرض فأتاه جبريل فقال: أين تذهب؟ قال: اطلب العلم فعلمه جبريل التوراة كلها فجاء عزيرٌ بالتوراة غضاً إلى بني اسرائيل فعلمهم فقالوا: لم يعلم عزيرٌ هذا العلم إلا أنه ابن الله فانزل الله ﴿ **وقالت اليهود**﴾[1] أي يهود المدينة . ﴿**عزيرٌ ابن الله**﴾ وفيه قراءتان : قريء بالتنوين[2] وغير التنوين[3]، فالتنوين فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما قال ابن حبيب عن أبي بكر بن عبدش قال: عزير اسمٌ أعجميٌ لذلك ترك التنوين إجراؤه، والأسماء الأعجمية إذا خفت وأشبهت الأسماء العربية أجريت كما أجرى نوحٌ ولوطٌ، وعزيرٌ يشبه اسماً مصغراً.

والثاني: قال ابن حبيب: أهل اللغة يختارون التنوين فيه لأنه ليس بصفةٍ، والكلام ناقص[4] وابنٌ في موضع الخبر وعزيرٌ غير منسوب إليه، وإنما تحذف النون من الصفة إذا كان الاسم المستغنى عن الابن أو ينسب إلى اسم معروف أو لقبٍ غلب عليه مثل محمد بن عبدالله ، وعمرو بن العاص لان النعت والمنعوت كالشيء الواحد.

والثالث: أن عزيراً اسم علم ، والتنوين يثبت في اسم العلم مثل زيد وعمرو.
ووجه من قرأ بغير التنوين ففيه ثلاثة أقاويل أيضاً:
أحدها: العجمة مع التعريف يجتمعان في عزير.

والثاني: أنه صفةٌ وخبره محذوفٌ تقديره: وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله معبودنا.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٦٧/٢).
(٢) قرأ بالتنوين كلٌ من عاصم، والكسائي، ويعقوب. انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٤٠/٢).
(٣) وقرأ الباقون بغير تنوين . انظر: نفس المصدر السابق والجزء والصفحة.
(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٤٩/أ).

والثالث: حذف التنوين لالتقاء الساكنين وهما التنوين والباء من ابن فشبه التنوين بحرف المد واللين.

قوله: ﴿ **وقالت النصارى المسيح ابن الله ... الآية**﴾ قال الكلبي: وذلك أن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنةً بعد أن رُفعَ عيسى إلى السماء يُصلون القبلةَ ويصومون شهرَ رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حربٌ، وكان في اليهود رجلٌ شجاع يقال له: يونس قتل جماعةً من أصحاب عيسى ثم قال لليهود: إن كان الحق مع عيسى وكفرنا وجحدنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني أحتال فأضلهم حتى يدخلوا معنا في النار، وكان له فرسٌ يقال له: العُقاب يقاتل عليها / فعقره وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب فقال له النصارى: من أنت؟ قال: يونس عدوكم نوديت من السماء: ليست لك توبةً إلا أن تتنصر، فتنصرت ورجعت إلى دينكم، فأدخلوه البيعة، فدخل بيتاً سنة لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً حتى تَعَلَّم الإنجيل ثم خرج وقال: نوديت أن الله قبل توبتك فصدّقوه وأحبوه ثم مضى إلى بيت المقدس ودعا ثلاثةً من رؤسائهم نسطور، ومَلكا ويعقوب فقال لنسطور: إن مريم وعيسى والإله كانوا ثلاثةً ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وعلم رجلاً يقال له: ملكا فقال له: إن الإله لم يزل ولا يزال كان عيسى ابنه فلما استمكن منه دعا هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً وقال: لكل واحد منهم أنت خاصتي، ولقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني، وقال لكل واحدٍ منهم إني غداً أذبح نفسي فادع الناس إلى نحلتك ودينك، ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال: إنما أفعل ذلك لمرضاة عيسى، فلما كان يوم الثالث دعا كل واحدٍ منهم الناس إلى نحلته، فتبع كل واحدٍ طائفةٌ من الناس وافتتنوا واختلفوا إلى يومنا هذا✎ فجميع النصارى من الفرق الثلاث[1] نسطورية ويعقوبية وملكائية فذلك قوله: ﴿ **وقالت**

٢١٨/أ

---

(١) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:٩٦/ب)، (ق:٩٧/أ).
وهذه من الاسرائليات التي دخلت إلي كتب التفسير عن طريق بعض أهل الكتاب.

النصارى﴾ نصارى أهل نجران، **﴿المسيح ابن الله﴾** عيسى ابن الله.

﴿ذلك قولُهم بأفواههم﴾ بألسنتهم **﴿يضاهئون﴾** يُشبهون **﴿قولَ الذين كفروا﴾** أي يشبه قولهم قول الذين كفروا **﴿من قبل﴾** من قبلهم يعني أهل مكة فقالوا: (اللات والعزى ومناة بنات الله).

قال ابن عباس: الذين كفروا هم عبدة الأوثان[1].

وقيل: هم الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله[2].

وقال عليُّ بن أبي طلحة: **﴿يضاهئون قول الذين كفروا﴾** أي قول اليهود في عزير يعني لانه يشابه قول النصارى في أن المسيح ابن الله[3].

وقال بعضهم: شريكه.

وقال بعضهم: ثالث ثلاثة.

﴿قاتلهم الله﴾ قال مقاتل: أي لعنهم الله[4].

وقيل:[5] قاتلهم الله أي قتلهم الله، كقولهم: عافاه الله أي أعفاه الله من السوء.

﴿أنّىٰ يُؤفَكُون﴾ من أين يؤفكون يكذِبون.

فإن قيل: كيف معنى قوله: **﴿وقالت اليهودُ عزيرٌ ابنُ الله﴾** وهم ينكرون

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠٦/١٤) برقم (١٦٦٢٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١٨/٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة (٧٤٣/٢) برقم (٩٧٩) . وقال المحقق اسناده صحيح.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٦٧/٢)، وأخرجه البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما (٢٨٥/٢).

(٥) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير (٤٢٥/٣) عن أبي عبيدة.

ذلك؟

الجواب عن هذا : قال ابن فورك: مثل هذا يجوز في الكلام إذا قال صنفٌ منهم قولاً ورضي الباقون عنه ورضوا به فنسب ذلك القول إلى الجميع بزعم بعضهم ورضا الآخرين.

قوله: ﴿ اتخذوا﴾ يعني اليهود ﴿ أحبارَهم﴾ علماءهم أرباباً ﴿ ورهبٰنهم ﴾ ﴿من دون الله ﴾ أي اتخذت النصارى أصحاب الصوامع ﴿ أرباباً ﴾ أطاعوهم بالمعصية ﴿ من دون الله والمسيحَ ابنَ مريم ﴾ معناه: واتخذت النصارى عيسى إلـهاً.

الأحبار: قال الفراء: واحدها حَبْر وحِبر بفتح الحاء وكسرها[1] واختار أكثرهم الكسر على الفتح لا غير.

والرُّهبان: جمع راهب كالفرسان جمع فارس، والركبان جمع راكب، والرهبان مأخوذ / من الرَّهْبَة وهي الخوف. وسمي أهل الصوامع رُهباناً لأنهم يخافون ٢١٨/ب الله وهم أهل الاجتهاد.

﴿ أرباباً﴾ أي كأربابٍ كقوله: ﴿ حتىٰ إذا جعله[2] ناراً﴾ أى كنار[3].

﴿وماۤ أُمروا﴾ فى جملة الكتب ﴿ إلا ليعبدوا إلـٰهاً وٰحداً﴾ ليوحدوا إلهاً واحداً ﴿ لا إلـٰه إلا هو سبحـٰنه ﴾ نزه نفسه ﴿ عما يشركون﴾ ﴿ يريدون ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ أن يُطفِئوا ﴾ أي ليبطلوا ﴿ نورَ اللهِ ﴾ دين الله ﴿ بأفوٰههم ﴾ بتكذيبهم ويقال: بألسنتهم ﴿ ويأبى اللهُ﴾ لا يترك الله ﴿ إلاۤ أن يُتِمَّ نورَه ﴾ إلا أن

---

(١) انظر قول الفراء في تفسير الطبري (٣٤١/١٠). وقال بمثله ابن قتيبة في غريب القرآن (١٤٣) ولم أقف عليه في معاني القرآن له.

(٢) سورة الكهف آية ٩٦.

(٣) هذا صرف لمعنى الآية عن ظاهره. وهو من التأويل، ولا حاجة إلى هذا التقدير لأن فعلهم هو فعل الأرباب، وإذا كان كذلك فلا حاجة إلى التقدير.

يظهر دينه الإسلام ﴿ **ولو كره الكـٰفرون** ﴾ وإن كره الكافرون أن يكون ذلك ﴿ **هو الذى أرسل رسوله** ﴾ محمداً ﴿ **بالهُدَىٰ** ﴾ بالقرآن والإيمان ﴿ **ودينِ الحقِّ** ﴾ دين الإسلام شهادة أن لا إله الا الله ﴿ **لِيُظْهَرَه على الدين كُلِّه** ﴾ ليظهر دين الاسلام علي الأديان كلها من قبل أن تقوم الساعة قال ابن عباس[(١)] وجمهور المفسرين: الهاء كناية عن النبيﷺ . أي ليظهر محمداً على الأديان كلها ﴿ **ولو كره** ﴾ وإن كره ﴿ **المشركون** ﴾ ذلك .

روت عائشة قالت:قال رسول الله : «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعْبَدَ اللاتُ والعزى قلت: يا رسول الله فما كنت أظن أن يكون ذلك بعد ما أنزل الله على رسوله: ﴿ **هو الذى أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره**[(١)] **على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ قال: يكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فيقبض كل من كان في قلبه مثقال ذرة من خير ثم يبقى من لا خير فيه ويرجع الناس إلى دين آبائهم[(٢)].

قوله: ﴿ **يـٰأيها الذين ءامنوا** ﴾ بمحمد والقرآن ﴿ **إنَّ كثيراً من الأحبار** ﴾ علماء اليهود ﴿ **والرُّهبان** ﴾ أصحاب الصوامع ﴿ **ليأكُلُون أموٰل الناس بالبـٰطل** ﴾ بالرشوة والحرام ، وإنما أراد بالأكل التكليم . معناه: أنهم يتكلمون في أموال الناس بالباطل فوضع يأكلون موضعه لأنهم يصلون إلى الأكل بتكليم الباطل في أموالهم[(٣)].﴿**ويصدون عن سبيل الله**﴾ ويصرفون الناس عن دين الله وطاعته. ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها** ﴾ يعني الكنوز ﴿**فى سبيل الله**﴾ في طاعة الله، ويقال: لا يؤدون زكاتها ﴿**فبشرهم**﴾ فأخبرهم يا محمد ﴿**بعذاب أليم**﴾ وجيع وهذا لجميع الناس المؤمنين واليهود والنصارى[(٤)].

---

(١) خرج ابن جرير الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما (٣١٥/١٤) برقم (١٦٦٤٧) وممن قال بذلك من المفسرين ابن حبيب (ق: ٥٠/أ)، والثعلبي (ق:٩٩/أ).
وقال ابن جرير الطبري (٢١٤/١٤): ليعلى الإسلام على الملل كلها.

(٢) الحديث في صحيح مسلم: (٢٢٣٠/٤) كتاب الفتن.

(٣) هذا التقدير يجعل الكلام غير فصيح والكلام واضح فلا حاجة إلى هذا التقدير.

(٤) هذا ما رجحه ابن جرير الطبري (٢٢٥/١٤).

روى نافعٌ عن ابن عمر قال: كل مالٍ أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً، وكل مالٍ لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكر الله ، يكوى به صاحبه وإن لم يكن مدفوناً[١].

وعن ابن عمر في روايةٍ أخرى قال: ما أدى زكاته فليس بكنزٍ وان كان تحت سبع أراضين، وما لم يؤد زكاته فهو كنز وإن كان على ظهر الأرض[٢].

وقال عليٌ بن أبي طالب: أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد عليه فهو كنزٌ[٣].

وقال عبدالواحد بن زيدٍ: كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه فهو كنزٌ[٤].

وقال سالم[٥] بن [أبي][٦] الجعد: لما نزلت هذه الآية ﴿ **والذين يكْنِزُون الذهب والفضة ... الآية**﴾ قال رسول الله: تباً للذهب والفضة يقولها ثلاثاً فشق ذلك على أصحابه فقالوا أي مال نتخذ؟ فقال عمر/: يا رسول الله فأي المال نتخذ فقال: لساناً ذاكراً وقلباً خاشعاً وزوجة تعين أحدكم على دينه[٧]. ٢١٩/أ

وقال أبو أمامة:[٨] توفي رجلٌ من أهل الصفة فوُجِدَ في مئزره دينارٌ فقال ﷺ :

(١) خرّجه: ابن جرير في تفسيره (٢١٧/١٤) برقم (١٦٦٤٩) وقال محمود شاكر: وإسناد هذا الخبر صحيح إلى ابن عمر.

(٢) خرّجه ابن جرير في تفسيره (٢١٨/١٤) برقم (١٦٦٥٣).

(٣) خرّجه ابن جرير (٢١٩/١٤) برقم (١٦٦٥٧).

(٤) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٠٠/ب).

(٥) هوسالم بن أبي الجعد رافع الغطفاني الأشجعي الكوفي ثقة يرسل كثيراً مات سنه ٩٧ أو ٩٨، وقيل غير ذلك. التقريب (٢٧٩/١).

(٦) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من واقع الترجمه.

(٧) خرّجه ابن جرير الطبري (٢٢٠/١٤، ٢٢١) برقم (١٦٦٦١).
قال محمود شاكر: فهذا خبر ضعيف لانقطاعه.

(٨) هو صُدىّ بن عجلان أبو أمامة الباهلي صحابي مشهور، مات سنه ٨٦هـ. انظر: التقريب (٣٦٦/١).

كيةٌ. ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال رسول الله: كيتان.[1]

﴿ولا يُنفِقُونها﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: تعود على الفضة.

والثاني: تعود على الكنوز.

والثالث: تعود على الزكاة. عن قطرب.

والأوله أصح.

واختلفوا في هذه الآية عامة أم خاصة:

فقال بعضهم: الآية خاصةٌ[2] في أهل الكتاب.،

وقال السدي: الآية عامة في أهل القبلة[3].

قال زيد بن وهب[4]: مررت بالرَّبَذَة فلقيت أبا ذر فقلت : ما أنزلك منزلك قال: كنت بالشام فقرأت هذه الآية ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ...﴾ الآية فقال معاوية: ليست الآية فينا إنما الآية في أهل الكتاب فقلت: إنها لفينا وفيهم[5].

﴿ يوم يحمىٰ﴾ وهو يوم القيامة يحمى ﴿ عليها ﴾ على الكنوز، ويقال: على النار. ﴿ في نار جهنم فَتُكْوَى بها﴾ فيضرب بالكنوز ﴿جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ .

قال ابن عباس: لا يوضع دينارٌ مكان دينار ولا درهم مكان درهم ولكن يوسع

(١) خرّجه الطبري (٢٢٢/١٤) برقم (١٦٦٦٥) قال محمود شاكر: فهذا خبر صحيح الإسناد.

(٢) هذا القول منسوب إلى معاوية رضي الله عنه كما سيأتي في قصة اختلافه مع أبي ذر رضي الله عنه في الآية.

(٣) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٠٣/ب).

(٤) زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي تابعي كبير ثقة مات بعد الثمانين، وقيل سنة ست وتسعين. انظر ترجمته في: التقريب (٢٧٧/١).

(٥) الأثر خرّجه الطبري (٢٢٧/١٤، ٢٢٨) برقم (١٦٦٧١، ١٦٦٧٤).

جلودهم فيضرب بكل درهم ودينارٍ كيةً من نار على جلده.[1]

وإنما قال فتكوى بها جباههم ولم يقل بطونهم، لأنه يريد بالجباه ما استقبل منهم وبالجُنوب جوانبهم وبالظهور ما استدبر منهم فيعم الكي جميع أجسادهم.

الإشارة : قيل: من بخل بالقليل من ملكه فقد سد على نفسه باب نجاته وفتح على نفسه طريق هلاكه، وقيل: ليس من أخلاق الأنبياء والصديقين البخل لأنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما جُبِلَ وليُ الله إلا على السخاء وحُسن الخلق»[2] وقيل:[3] إنما خص هذه المواضع الثلاث بالكي دون سائرها لأن من عادة البخيل عقد الحاجب عند السؤال وذلك في الجبهة والإتكاء على الأموال وذلك بالجنوب والإعراض عن أداء الحق وذلك بالظهور.

﴿ هذا ما كَنَزْتُم ﴾ أي يقال لهم هذه عقوبة ما كنزتم بما جمعتم من الأموال ﴿لأنفسكم﴾ في الدنيا.

نظيره في سورة آل عمران: ﴿ فأما الذين اسودَّتْ وُجُوهُهم أكَفَرْتُم﴾[4] يقال لهم أكفرتم ﴿ فذوقوا ﴾ العذاب ﴿ ما كنتم تكنِزُون ﴾ تجمعون من الأموال في الدنيا.

قوله: ﴿ إن عدة الشهور ﴾ وإنما ذكر عدة الشهور عقيب ذكر الزكاة لأن الزكاة لا تجب حتى تحول عليه هذه الشهور يعني اثنا عشر وهي المحرم وصفر وربيع

(١) ذكره ابن حبيب (ق:٥١/ب). وذكر ابن كثير في تفسيره (٨٥/٤) حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه نحوه مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٢) الحديث رواه الدارقطني ، فيه يوسف بن السفر كذاب، انظر: تنزيه الشريعة (١٢٩/٢)، والفوائد المجموعة للشوكاني (٧٦).

(٣) ذكر ابن حبيب مثله (ق:٥١/ب).

(٤) آية ١٠٦ من سورة آل عمران.

الأول وربيع الآخر وجمادي الأولى وجمادي الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة.

قال ابن حبيب هذه بلغة العرب [اليوم][١] فأما بلغة العرب العاربة وهم أوائل العرب فإنها كانت تسمى المحرم [الموتر][٢] ، وصفر ناجر، وربيع الأول جوان[٣]، وربيع الآخر يُضان[٤] ، وجمادى الأول جنين[٥]، وجمادى الآخرة وربى[٦]. ورجب أصم، وشعبان عاذل[٧] ورمضان فاتق[٨]، وشوال وعل[٩] ، وذو القعدة ورنه[١٠]، وذو الحجة يرك[١١]، ﴿إنَّ عدَّةَ الشهور﴾ الآية .

يقول فالشهور عند الله أي شهور السنة التي يؤدي فيها الزكاة ﴿ **اثنا عَشَرَ شهراً فى كتٰب الله** ﴾ فى اللوح المحفوظ ﴿ **يومَ** ﴾ من يوم ﴿ **خلق السمٰوٰت والأرض**﴾. ﴿ **منها**﴾ من الشهور، ﴿ **أربعةٌ حرمٌ** ﴾ رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ الحساب القائم لا يزيد ولا ينقص وقيل في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ ومعناه: إن عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض اثنا عشر شهراً منها أربعةٌ حرمٌ هكذا نظم الآية. ومعنى حرم أي يعظم إنتهاك المحارم، وكانت العرب تعظمها حتى لو لقى منهم قاتل أبيه فيه لم يقتص منه.

﴿**فلا تظلموا** ﴾ فلا تضروا ﴿ **فيهنّ**﴾ قال قتادة: يعني في الأشهر الحرم ﴿**أنفسكم**﴾ بالمعصية. وقال قتادة أيضاً: الظلم في الأشهر الحرم أعظم عقوبةً، وأكثر

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب.

(٢) كذا في الأصل، وعند ابن حبيب في تفسيره (ق:٥٢/ب) [المؤتمر]، وهو الصواب انظر كتاب الأيام والليالي والشهور للفراء (٤٩).

(٣) كذا في الأصل ، وفي كتاب الأيام والليالي والشهور للفراء [خُوانا].

(٤) كذا في الأصل ، وعند الفراء [بصان]، بالموحدة مضمومة مخفف.

(٥) كذا في الأصل ، وفي كتاب الفراء [حنين]، بالحاء.

(٦) كذا في الأصل ، وعند الفراء [ورنه].

(٧) كذا في الأصل ، وفي كتاب الأيام والليالي والشهور للفراء [وعلا].

(٨) كذا في الأصل وفي تفسير ابن حبيب: [ناتق]، وهو الصواب الموافق لما جاء في كتاب الأيام والليالي والشهور للفراء (٥١).

(٩) كذا في الأصل وفي كتاب الأيام والليالي والشهور للفراء [عازلاً].

(١٠) كذا في الأصل وعند الفراء [فواعا].

(١١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٥٢/ب)، وكتاب الأيام والليالي والشهور للفراء (٤٩-٥٣).

جرماً منها في غيرها[١] لقول الله ﴿ فلا تظلموا فيهن ﴾ الآية.

وقيل:[٢] إن الهاء والنون يعود على الشهور كلها والشهور مذكرٌ لأن الشهور تشتمل على الليالي والأيام فكني عن الليالي والأيام التي تحت الشهور.

فيه سؤال: فإن قيل: إن الهاء راجعة إلى أشهر الحرم أيجوز المعصية والظلم في غير أشهر الحُرُم؟

قلنا: إن الله نهى عن المعصية والظلم في أشهر الحرم بهذه الآية ونهى بسائر الآيات التى في القرآن لسائر الشهور.

﴿ وقٰتلوا المشركين كآفّةً ﴾ وذلك أنهم كانوا لا يقاتلون المشركين في أشهر الحرم فأباح لهم القتال في أشهر الحرم فقال ﴿وقٰتلوا المشركين كآفةً ﴾ جميعاً في الحل والحرم ﴿ كما يقٰتلونكم كآفةً ﴾ جميعاً.

والكافّةُ في كل حالٍ على صورة واحده لا يُذكّرُ ولا يثّنى ولا يُجمَع، لأنها وإن كانت على لفظ فاعلة فإنها فى معنى المصدر كالعافية والعاقبة، وهو نصبٌ على التمييز وإن شئت جعلتها حالاً للمقاتلين ﴿ واعلموا﴾ يا معشر المؤمنين ﴿ أنَّ اللهَ مع المتقين﴾ الكفر والشرك والفواحش ونقض العهد والقتال في أشهر الحرم وقيل: ﴿ أن الله مع المتقين ﴾ الذين خافوه وأطاعوه فيما كلفهم من أمره ونهيه[٣].

قوله: ﴿إنما النسيءُ زيادة﴾ إختلفوا في تأويل هذه الآية من وجهين

---

(١) الأثر عن قتادة خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/٢٣٨، ٢٣٩) برقم (١٦٦٩٨) حول هذا المعنى مع وجود بعض الاختلاف في بعض الفاظه، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٨٠٢) برقم (١٠٥٥) بإسناد صحيح قاله: المحقق.

(٢) خرّج ابن جرير في تفسيره أثرين عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريقين في هذا المعنى (١٤/٢٣٨) برقم (١٦٦٩٦، ١٦٦٩٧).

(٣) ممن قال بهذا المعنى ابن جرير الطبري (١٤/٢٤٢).

أحدهما: قال مجاهد: ﴿النسيءُ زيادة فى الكفر﴾ حجهم في كل سنة في شهر آخر: سنة في صفر وسنة فى المحرم وسنة فى شهر ربيع الأول وسنة في شهر ربيع الآخر إلى آخر السنة[1]. وقد مضت قصته في قوله: ﴿ الحج أشهرٌ معلومٰت ﴾.

والثاني: قال ابن عباس والكلبي ومقاتل ومن تابعهم: ﴿النسيءُ زيادة فى الكفر﴾، تأخير المحرم إلى صفر أي يجعلون الصفر حراماً والمحرم حلالاً فى عام وفى عامٍ آخر يجعلون الصفر حلالاً والمحرم حراماً ، ثم اختلفوا فيمن نادى فيهم من ثلاثة أوجهِ أحدها قال إبن عباس فى روايةِ علي بن أبي طلحة: إن مناديهم به ثمامة[2] بن جناده بن عوف من بني كنانة.

وقال قتادة: المنادي فيهم بهذا صفوان[3] بن أميه، وقال الكلبي: المنادي فيهم بهذا، نعيم بن ثعلبة[4] ، ولم يختلفوا أنه نودي بهذا في موسم بني كنانة وهذا على قول من قال: إنما النسيء زيادة فى الكفر تأخير المحرم إلى صفر وتأخير الصفر إلى المحرم يقول تأخير المحرم إلى صفر معصية ﴿زيادة فى الكفر﴾ أي مع الكفر ﴿يضل به﴾ يغلظ بتأخير المحرم إلى صفر .

---

(١) خرج ابن جرير الطبري قول مجاهد في تفسيره (٢٤٨/١٤، ٢٤٩) برقم (١٦٧١٣، ١٦٧١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٠٩/٢) برقم (١٠٦٦) وقال المحقق عبادة الكبيسي اسناده صحيح.

(٢) في رواية ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن جرير أن اسم المنادي هو: (جنادة بن عوف بن أميه الكناني)، وكان يكنى «أبا ثمامة» . انظر: تفسير الطبري (٢٤٥/١٤) الآثر رقم (١٦٧٠٦).

(٣) الآثر أخرجه ابن جرير الطبري (٢٤٧/١٤) برقم (١٦٧١٢) عن قتادة، وذكر فيه أن أول من نسأ النسيء: بنو مالك بن كنانه وكانوا ثلاثه. ذكر منهم أبا ثمامة صفوان بن أميه أحد بني فقيم ابن الحارث ثم أحد بني كنانة، وتعقبه محمود شاكر بقوله، قال الليثي كان الذي انبرى للنسيء القلمس، وهو: صفوان بن محرث أحد بني مالك بن كنانة.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٦١/٢) ونسبه إلى الزبير بن بكار وذكره الفراء في معاني القرآن (٤٣٦/١) ولم ينسبه لأحد.

﴿ الذين كفروا يُحِلُّونه ﴾ يعني المحرم ﴿ عاماً ﴾ فيقاتلون فيه ويحرمون الصفر ﴿ ويُحَرِّمُونه ﴾ أي المحرم ﴿ عاماً ﴾ فلا يقاتلون فيه ويحلون الصفر ﴿ ليواطئوا ﴾ أي ليوافقوا ﴿ عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ ﴾ أربعاً بالعدد يعني معنى قوله منها أربعة حرمٌ.

﴿ فيحلوا ما حرّم اللهُ ﴾ أي المحرم ويحرموا ما أحل الله أي يعني صفر.

﴿ زين لهم ﴾ حسن لهم ﴿سوء أعمـٰلهم﴾ قبح أعمالهم ﴿ والله لا يهدى﴾ لا يرشد إلى دينه ﴿ القوم الكـٰفرين ﴾ من لم يكن أهلاً لذلك.

قوله: ﴿يـٰأيها الـذين ءامنوا ما لكم إذا قيـل لكم انفروا ﴾ الآية، في هذه الآية حث مسلمين على النفير العام مع النبيﷺ ومن هنا إلى آخر السورة حديث أصحاب رسول اللهﷺ في غزوة تبـوك هي أشد غزوةٍ غـزاها رسول اللهﷺ، وغزوة[1] تبوك على مسيرة شهر من المدينة أو أكثر وتلك غزوةٌ شاقةٌ على المسلمين لوقوعها في وقت إدراك الثمار وشدة الحر والناس يتمنـون المقام في المدينة فتثاقلوا عنه، فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس: وذلك أن رسول اللهﷺ لما أذَّنَ الناس بغزوة تبـوك وهي غزوة الروم وذلك في زمـان عسرةٍ من النـاس وجدبٍ من البـلاد وشدةٍ من الحركـان حين طابت الثـمار ثمار المـدينة وأينعت ونضجت فـأحبـوا الظلال، فعظم على الناس غـزوة الروم وهابوه من أجل زمـانهم من شدة الحـر وجدب البـلاد وحين طابت الثمـار في المدينة والناس يحـبون الجلوس والمقـام فى ثمـارهم وظلالهم. فتـثـاقلوا عن الغزو فـأنزل الله هذه[2] الآية ﴿ يـٰأيهـا الذين ءامنوا ﴾ يا أصحـاب محـمد ﴿ مـا لَكُمْ إذا قِـيلَ لكم انفروا﴾ أخرجوا مع نبيكم ﴿ فى سبيل الله ﴾ في طاعة الله في غزوة تبوك ﴿اثَّاقَلْتُم إلى الأرض ﴾ إشتهيتم الجلوس على الأرض في المدينة، إثّاقلتم أصله تثاقلتم فأدغمت

---

(١) المقصـود المسافـة، التي قطعهـا النبي ﷺ وأصـحابه من المدينة إلى تبـوك، وتبـوك تبعـد عن المدينه بحوالي سبعمائة كيلومتر.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٤٤، ٢٤٥)، وأخرج الطبري مثله عن مجاهد (١٤/٢٥٣).

التاء في الثاء وجعلت الألف مكانها سلَماً للسان، لأن اللسان لا ينطق بالساكن نظيره في جميع القرآن في أربعة مواضع أحدها ها هنا والثاني ﴿ فادّارأتم فيها ﴾[١] والثالث: ﴿ حتىٰ إذا ادّاركوا فيها جميعاً﴾[٢] ﴿بل ادّرك علمهم فى الاخرة﴾[٣] والرابع: ﴿قالوا اطيرنا [بك][٤] وبمن معك﴾[٥].

والتثاقل ثقل النفس ونظيره التباطئ ونقيضه التسرع ﴿أرَضِيتُم ﴾ الألف ألف التوبيخ ﴿أرضيتم بالحيوٰة الدنيا﴾ يعني ما الحياة الدنيا ﴿من الأخرة﴾.

﴿فما متٰع الحيوٰة﴾ منافع الدنيا ﴿ فى الأخره إلا قليل﴾ يعني والآخرة تبقى ولا تفنى.

قال يحيى بن معاذ الرازي[٦]: الناس من مخافة الفضيحه في الدنيا وقعوا في فضيحة الآخرة[٧].

قال الله: ﴿ اثّاقَلْتُم إلى الأرض أرَضِيتُم بالحيوٰة الدنيا من الأخرة فما متٰع الحيوٰة الدنيا فى الأخرة إلا قليل﴾ وقيل: الدنيا ، أولها بكاءٌ وأوسطها عناءٌ، وآخرها فناءٌ.

﴿إلاّ تَنفِرُوا﴾ إن لم تخرجوا مع نبيكم إلى غزوة تبوك ﴿يعذبكم عذاباً أليما﴾ وجيعاً في الدنيا والأخرة.

(١) آية ٧٢ سورة البقرة، ونص الآية: ﴿وإذ قتلتم نفساً فادّارءتم فيها والله مخرجٌ ما كنتم تكتمون ﴾.
(٢) آية ٣٨ من سورة الأعراف.
(٣) آية ٦٦ سورة النمل وتتمة الآية: ﴿بل هم فى شك منها بل هم منها عمون﴾.
(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل.
(٥) آية ٤٧ من سورة النمل.
(٦) هو يحيى بن معاذ الرازي أبو زكريا من أعلام الصوفية توفي سنة (٣٠٤هـ) انظر: الرسالة القشيرية (٤١٤).
(٧) لم أقف على قوله هذا.

قال نجدة الخرساني: [1] سمعت إبن عباس يقول وسئل عن قوله ﴿**إلا تنفروا يُعَذِّبْكُم**﴾ الآية قال: إن رسول الله ﷺ استنفر العرب فتثاقلوا عليه فأمسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم[2] وهو قوله: ﴿ **يعذبكم عذاباً أليماً** ﴾ والنفر: النقل من مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك.[3]

﴿**وَيَسْتَبْدِلْ قوماً غيركم**﴾ خيراً منكم وأطوع، ثم اختلفوا من هم قال: أبو روق: [4] أهل اليمن، [5] قال سعيد بن جبير: أبناء فارس[6].

﴿ **ولا تضروه شيئا** ﴾ في هذه الكناية قولان: أحدهما: راجع إلى الله أي ولا تضروا الله لجلوسكم شيئا، الثاني: يعود إلى النبي ﷺ، أي لا تضروا محمداً بجلوسكم في المدينة شيئا، ﴿ **والله على كل شئ**﴾ من العذاب والبدل ﴿**قدير**﴾ قادر، وقال الحسن : هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كآفة**﴾[7].

قوله: ﴿ **إلاّ تنصروه** ﴾ إلا تنصروا محمداً بالخروج معه إلى غزوة تبوك ﴿ **فقد نَصَرَه اللهُ**﴾ بأبي بكر ﴿ **إذ أخرجه** ﴾ حين أخرجه ﴿ **الذين كفرُوا**﴾ كفار مكة من مكة.

﴿**ثانى اثنين**﴾ يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر ﴿ **إذْ هما فى الغار**﴾ رسول الله

---

(١) هو نجدة بن نفيع الحنفي الخرساني. انظر ترجمته في: التقريب (٢/٢٩٨).

(٢) الأثر خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/٢٥٤، ٢٥٥) برقم (١٦٧٢١).

(٣) قال ابن حبيب: وأصل النفر مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاجه على ذلك (ق:٥٤/أ).

(٤) هو عطية بن الحارث أبو روق الهمداني الكوفي صاحب التفسير، صدوق من الطبقة الخامسة. انظر: التقريب (٢/٢٤)، والطبقات للداودي (١/٣٨٦).

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره (ق:١٠٩/أ)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٩٢).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (ق:١٠٩/أ)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٩٢).

(٧) خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/٢٥٥) برقم (١٦٧٢٤).

وأبو بكر ﴿ في الغار﴾ ﴿إذ يقول﴾ حين يقول رسول الله ﴿ لصاحبه﴾ أبي بكر ﴿لاتحزن﴾ يا أبا بكر ﴿إن الله معنا﴾ معيننا ﴿فأنزل الله سكينته﴾ اطمأنينته ﴿عليه﴾ على نبيه ﴿وأيَّدَه﴾ وأعانه يوم بدرٍ ويوم الأحزاب. ويوم حنين ﴿بجنودٍ لم تَرَوْها﴾ أي الملائكة ﴿وجعلَ كلمةَ الذين كفروا السُّفلىٰ﴾ المغلوبة المذمومة ﴿ وكلمة الله ﴾ دين الله ﴿هيَ الُعليا﴾ العالية الممدوحه ﴿والله عزيزٌ﴾ بالنقمة من أعدائه ﴿حكيمٌ﴾ بالنصرة لأوليائه .

المعاني: ﴿إلا تنصروه ، فقد نصره الله﴾ ، قال الشعبي: لقد عاتب الله جميع المؤمنين الذين كانوا في وقت النبي ﷺ إلا أبا بكر[1] لأجل النبي ﷺ لأنه خرج مع النبي ﷺ وقت الهجرة، فقال ﴿إلاّ تنصروه﴾ الآية معناه: أي إن لا تنصروه ولهذا أربع من النظائر في كل القرآن، أحدها: ﴿إلا تفعلوه تكنْ فتنة في الأرض﴾[2] معناه إن لا تفعلوا. والثاني: ﴿إلاّ تنفروا يُعذِّبْكم﴾[3] الآية، أي إن لا تنفروا ، والثالث: ﴿وإلا تغفر لي وترحمني﴾[4] الآية، أي وإن لا تغفر لي، والرابع: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن﴾[5] أي وإن لا تصرف.

﴿إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين﴾ أي أحد اثنين وثاني نصبٌ على الحال، وقيل: نصب مفعولٍ، أي إلا تنصروه فقد نصره الله بثاني اثنين يعني أبا بكر الصديق لأنه ثاني رسول الله ﷺ من عشرين وجهٍ:

أحدها: أن أبا بكر ثاني رسول الله ﷺ في الإسلام لقول ابن عباس: أول من

(١) خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:١١٠/أ)، والبغوي في تفسيره (٢/٢٩٣).
(٢) آية ٧٣ من سورة الأنفال.
(٣) آية ٣٩ من سورة التوبة.
(٤) آية ٤٧ من سورة هود.
(٥) آية ٣٣ من سورة يوسف.

أسلم أبو بكر[1]، وروي عن إبراهيم النخعي أنه قال: أول من أسلم أبو بكر الصديق وأول من صلى أبو بكر[2] وقد قيل: أبو بكر، ذو دعوتين، وعمر ذو نصرتين، وعثمان ذو النورين، وعلي ذو بشارتين[3].

وذلك أن النبي ﷺ لما خرج إلى الشام قبل بعثته بالنبوة لتجارة خديجة في صحبة أبي[4] ميسرة وكان أبو بكر في تلك الرفقة. فاستند أبو بكر في مسيره إلى الشام إلى شجرة ذات يوم فغلبه النوم فرأى في منامه أن القمر قد سقط في حجره فاعتنقه، فلما رجع إلى مكة سأل ورقة إبن نوفل عن رؤياه فقال ورقة: هذا زمان نبي وأنت صاحبه وناصره، فانتظر أبو بكر خروج النبي ﷺ فلما أوحي إلى النبي ﷺ وذكر لأبي بكر فلم يلبث حتى يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وذاك أن النبي ﷺ إستقبل أبا بكر وهو يريد الطائف. فقال يا أبا بكر قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقالها أبو بكر في الوقت من غير انتظار ولا فكرة ورجع عن مقصده ورافق النبي ﷺ فقال النبي ﷺ إمض لشأنك فقال لا أفعل لأني كنت أنتظرك منذ خرجنا إلى الشام. وقص عليه رؤياه، وقيل إن بين رؤياه وبين مبعث النبي ﷺ خمس عشر سنة فلذلك سمي أبو بكر ذو دعوتين

والوجه الثاني: أن أبا بكر ثاني النبي ﷺ في الإنفاق حتى قال النبي ﷺ «ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال أبي بكر»[5] وأنزل الله فيه ﴿ لا يستوى

(١) انظر: صفة الصفوة (١/٢٣٧).

(٢) انظر: نفس المصدر السابق (١/٢٣٧، ٢٣٨).

(٣) لم أقف على من قال به.

(٤) كذا في الأصل، والصواب أن ميسرة اسمه وليس كنيته. وهو غلام خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وكانت تبعثه في تجارتها إلى الشام ولم أقف له على ترجمة كاملة، انظر: سيرة ابن هشام (١/١٨٨)، وطبقات ابن سعد (١/١٣٠، ١٥٦).

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (٢/٢٥٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥/١٩٠).

منكم من أنفق ﴾[1] الآية[2]. وهو أبو بكر الصديق أنفق من قبل الفتح اثنين وأربعين ألفاً من الدنانير .

والوجه الثالث: أن أبا بكر ثاني النبي ﷺ في الفضل وذاك أن النبي ﷺ أفضل الأنبياء وأبو بكر أفضل الأمة بعده لقول النبي ﷺ لمن تقدم أمام أبي بكر في المشي فقال: «مهلا أتمشي أمام من هو خير منك»، والله ما طلعت الشمس على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر.[3]

والوجه الرابع: أنه ثاني النبي ﷺ في الوزن وذاك أنه قال «لما خرجت من الجنه ليلة المعراج أُتيت بكفتين فوضعت أمتي في كفه ووضعت في كفه فرجحتهم ثم وضع أبو بكر مكاني فرجحهم ثم وُضع عمر مكان أبي بكر فرجحهم»[4].

وقال سعيد بن المسيب عن النبي ﷺ أنه قال «وزن أبو بكر بأمتي فرجحهم وحُق لميزان يكون فيه أبو بكر يرجح»[5].

والوجه الخامس: أن أبا بكر ثاني النبي ﷺ في دخول الجنه لقوله تعالى: **﴿والسبقون السبقون﴾**[6] الآية. قال المفسرون معناه: السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون في العقبى إلى الجنات،[7] وأبو بكر أول من أسلم من هذه الأمة

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (٤٣١).

(٢) سورة الحديد آية ١٠.

(٣) الحديث في فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/١٥٢، ١٥٣)، وفي اسناده ضعف ، وقال الدارقطني: الحديث غير ثابت . انظر العلل لابن الجوزي (١/١٩٢).

(٤) لم أقف عليه من طريق ابن المسيب، ورواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/٢٠٦، ٢٠٧) من حديث عبدالله بن عمر، قال محققه: اسناده صحيح.

(٥) لم أقف على تخريجه.

(٦) سورة الواقعة آية ١٠.

(٧) قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال في المراد بالسابقين في الآية: وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، إلى أن قال: فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة. (٧/٤٩١).

فوجب أن يكون أول من يدخل الجنة بقضية هذه الآية.

والسادس: أنه ثاني النبي ﷺ في الإمامة وكان إمام المسلمين بعد نبيهم أبو بكر بلا منازع وكان إمامته حقا لقوله تعالى: ﴿**وعدَ اللهُ الذين ءامنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم**﴾[1] الآية. واستخلف أبا بكر فبان أن إمامته حقٌ.

والوجه السابع: أنه ثاني النبي ﷺ في إمامة الصلاة وذلك أن النبي ﷺ أمَّ بالصلاة ما عاش فلما مرض وثقل في مرضه نادى بلال بالصلاة فقال النبي ﷺ «مروا أبا بكر يصلي بالناس»[2] قالت عائشة: إن أبا بكر رجل أسيف لا يتمالك نفسه أن يقوم في مقامك فليؤمر علي فقال النبي ﷺ: إنكم صواحبات يوسف مروا أبا بكر ليصلي بالناس[2] فصلى أبو بكر فقاسوا إمامته في الدنيا على إمامته في الصلاة.

وقال علي بن أبي طالب: رضيه رسول الله ﷺ لديننا فرضيناه لدنيانا[3].

والوجه الثامن: أنه ثاني رسول الله في الاقتداء به لقوله ﷺ «اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر»[4].

والوجه التاسع: أن أبا بكر ثاني رسول الله ﷺ في الاسم وذلك أن أحد أسماء النبي ﷺ عبد الله[5] لقوله تعالى: ﴿ **لما قام عبدالله**[6]﴾ واسم أب بكر عبدالله كذا قال أهل التاريخ إن اسم أبي بكر عبدالله بن عثمان بن عامر .

والوجه العاشر: أن أبا بكر ثاني رسول الله ﷺ في العمر وذلك أن النبي ﷺ توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة وقالت عائشة: توفي أبو بكر لثمان بقين من جمادي

---

(١) سورة النور آية ٥٥.

(٢) رواه البخاري كتاب الأنبياء (١٢٢/٤)، ومسلم (٣١٣/١) رقم (٩٤).

(٣) ذكر كلام علي رضي الله عنه هذا ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة (٢٥٧/١).

(٤) الحديث في مسند الإمام أحمد (٣٨٢/٥، ٣٨٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٧٢/١).

(٥) عبدالله في الآية الكريمة وصف النبي ﷺ وليس اسماً له.

(٦) سورة الجن آية ١٩.

الآخره سنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة[1].

والحادى عشر: أنه ثانيه ﷺ في التصديق قال ﴿والذى جآءَ بالصدق﴾[2] الآية.

قال ابن عباس: ﴿جآء بالصدق﴾ يعني محمداً ﴿وصدق به﴾ يعني أبا بكر الصديق[3].

والثاني عشر: أنه ثانيه ﷺ في الخلة[4] لقوله ﷺ : «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي»[5].

والوجه الثالث عشر: أن أبا بكر ثاني النبي ﷺ في الفهم وذاك أن النبى ﷺ كان يخطب على المنبر فقال: «إن عبداً خيره ربه بين أن يؤتى ما شاء من الدنيا وبين ما عنده فاختار لما عنده»[6]. فصاح أبو بكر وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال الأنصار: عجباً لهذا الشيخ أخبر النبي ﷺ عن عبد خيره الله بين الدنيا والآخرة فقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا والنبي ﷺ يريد نفسه وهو نعى موته، ولم يفهم من أصحابه أحد غير أبي بكر لم يعرف ذلك أحد حتى قبض النبي ﷺ فعرفوا.

والوجه الرابع عشر: أنه ثانيه ﷺ في القتال وذاك أن أول من قاتل بعد النبي ﷺ الكفار أبو بكر فجهز أسامة بن زيد[7] حتى يمر إلى الروم كما قصد النبي ﷺ وقام بقتال أهل الردة الى آخرهم.

---

(١) انظر: الإصابة (٣٤٤/٢).

(٢) سورة الزمر آية ٣٣ وتتمة الآية: ﴿ وصدّق به أولئك هم المتقون ﴾.

(٣) أخرجه البغوي في تفسيره (٧٩/٤).

(٤) هذا المعنى غير صحيح فلا يكن أبو بكر ثاني للرسول ﷺ في الخلة والحديث الذي استشهد به المؤلف يدل على ذلك.

(٥) رواه مسلم (١٨٥٥/٤) برقم (٢٣٨٣) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

(٦) الحديث في فتح الباري (١٣٧/٨).

(٧) الذي جهز جيش أسامة رضي الله عنه هو النبي ﷺ قبل موته وليس أبو بكر رضي الله عنه.

والوجه الخامس عشر: أنه ثانيه ﷺ في القبر وذلك أن قبره بجنب قبره.

والوجه السادس عشر: أنه ثانيه ﷺ في أخذ الزكاة من الأغنياء ليردها إلى الفقراء لقول أبي بكر: والله لو منعوني عقالاً مما أدوا رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه .

والوجه السابع عشر: أنه ثانيه ﷺ فى بدر وذلك أن النبي ﷺ قام منفرداً وأبو بكر مع الصحابة في المصاف فنزل جبريل فقال يا محمد قل لأبي بكر حتى يرجع من المصاف ويقوم معك فكما أن الرجل لا يستغنى عن السمع والبصر فكذلك لا تستغنى أنت عن أبى بكر[1].

والوجه الثامن عشر: أنه ثانيه ﷺ في قسم الفئ والغنائم فقسمهما كما قسم النبي ﷺ .

والوجه التاسع عشر: أنه ثانيه ﷺ في الهجرة كما قدمنا في القصة أن جبريل لما أمره بالهجرة قال مع من؟ قال مع أبي بكر.

والوجه العشرون: أنه ثانيه ﷺ في الغار[2] لقوله **﴿ثاني اثنين إذ هما فى الغار﴾** قال الإمام أبو إسحاق الإسفرايني[3]: إن أبا بكر أفضل من جميع الصحابه لأن الصحابة يفضلون على غيرهم بأفعالهم بين يدى النبي ﷺ ودرجاتهم في الفضل متفاوته لاختلاف أفعالهم فما من أحد منهم أتى بفعل إلا وأتى به أبو بكر، وأبو بكر أتى بشيء لم يأت به أحد منهم وذلك أن أبا بكر أقام مع النبي ﷺ في الغار ثلاث ليال بأيامها[4]، كان يخدمه ويدفع عنه الأذى ولم يكن مثله لغيره من الصحابه فلذلك

(١) هذا كلام باطل ولا يصح.
(٢) هذا كلام متكلف ، وادخال في التفسير ما ليس منه.
(٣) هو أبو اسحاق ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الاسفراييني الأصولي. المتوفي سنة ٤١٨هـ، انظر ترجمته في: كتاب الأنساب للسمعاني (٢٢٥/١).
(٤) حكاه الماوردي في تفسيره عن مجاهد (٣٦٤/٢).

قلنا أنه أفضل الصحابة بأسرها، قال عمرو[1] بن الحارث عن أبيه: خطب أبو بكر فقال: أيكم يقرأ سورة التوبة فقال رجلٌ أنا فقال: فاقرأ فلما بلغ إذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر وقال أنا صاحبه[2]. وقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «أنت صاحبي في الغار وأنت معي على الحوض»[3]. وقال الحسين بن الفضل: لم يكن على بسيط الأرض شخص من رسول الله ﷺ ولم يكن كلام أفضل من كلام الله، ولم يأتمن الله بنبيه وكلامه على أحد من أهل الدنيا إلا على أبي بكر. لأن جبريل لما أمره بالخروج قال له رسول الله ﷺ من يخرج معي قال أبو بكر وهو الذي هيأ المركوب وآلات السفر. فمن قال أن عمر أوعثمان أو أحداً من الصحابة لم يكن [...][4] من أصحاب النبي ﷺ كان مبتدعاً، ومن قال لم يكن أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ كان كافراً لأنه رد نص القرآن وهو قوله: ﴿ **إذ يقول لصـٰحبه**﴾[5] الآية، وقد قال النبي ﷺ لأبي بكر في الغار: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما[6] ومشاهداً لهما وعوناً وناصراً».

والغار: هو بيت في صخرة جبل على فرسخين من مكة أقل أو أكثر، قال الأستاذ المفسر إسماعيل الضرير: كنت سمعت ممن دخل الغار قال: هو بيت نقش في صخرة جبل . وكنت خرجت في تلك السنة حاجاً فسمعت أن كل من أبغض أبا بكر فأراد أن يدخل الغار لم يمكنه دخوله وإن كان دقيق الجسد ومن أحب أبا بكر

---

(١) عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري المصري، ثقة فقيه حافظ مات قبل الخمسين ومائه. انظر: التقريب (٦٧/٢).
وأبوه: الحارث بن يعقوب بن ثعلبة أو ابن عبدالله الأنصاري المصري ثقة مات سنة ثلاثين ومائه. انظر: التقريب (١٤٥/١).

(٢) أخرجه الطبري (٢٦٠/١٤) برقم (١٦٧٣٢).

(٣) انظر : ضعيف الجامع الصغير (١٤/٢) وقد ضعفه الألباني ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (٢٩٥٦).

(٤) بياض في أصل المخطوط بقدر كلمة.

(٥) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٥٥/أ).

(٦) البخاري (١٠/٧)، ومسلم (١٨٥٤/٤).

وأراد أن يدخله دخله وإن كان جسيماً نفيساً. قال وسمعت من أبغض أبا بكر ومات في المدينة ودفن في تلك الناحية لا تبقى عظامه تحت الأرض وتقع فوق الأرض ومن أحب أبا بكر بقيت عظامه تحت الأرض[1].

قوله: ﴿**إذ يقول**﴾ حين يقول ﴿**لصاحبه**﴾ أبي بكر ﴿ **لا تحزن إن الله معنا**﴾ في هذه الآية دلالة عظيمة على حسن أدب النبي ﷺ، وكان أحسن أدباً من غيره من الأنبياء وذلك أنه قدم اسم الله على اسمه في قوله تعالى ﴿**إن الله معنا**﴾.

فعصم الله أمته من الإرتداد من بركة أدب النبي ﷺ إذ كانت بركته تصل إلى أمته ألا ترى أن موسى ﷺ لما قال ﴿**إن معي ربي سيهدين**﴾[2] لم تسلم أمته من الإرتداد لأن نبيهم لم يراع حق الأدب[3] فقدم اسمه على اسم الله في قوله: ﴿ **إن معي ربي سيهدين**﴾ فالنبي ﷺ لما راعى ذلك فقدم اسم الله على اسمه ونظر من الله إلى نفسه بلغت بركته إلى أمته، وموسى نظر من نفسه إلى ربه فلم تعتصم أمته، ونبينا تأدب بأدب الله وأخذ من الله الأدب فلذلك هدى وحفظ وهو قوله: ﴿ **إياك نعبد**﴾[4] الآية.

فقدم الكاف على العبادة، وإن كان معناه نعبدك لحسن الأدب[5] فراعى ذلك ﷺ فقال: ﴿ **لا تحزن**﴾ الآية.

قوله: ﴿**فأنزل الله سكينته عليه**﴾ طمأنينته في هذه الكناية ثلاثة أقاويل:

(١) هذه خرافة لا ينبغي أن تصدر تفسيراً لكلام الله تعالى ويجب على المفسر لكلام الله أن يترفع عنها.

(٢) سورة الشعراء آية ٦٢.

(٣) هذه إساءة ممن قال هذا القول، فلا يجوز وصف كليم الله عليه الصلاة والسلام بأنه أساء الأدب مع الله، ولا أثر لتقديم الله على اسم النبي ﷺ في هداية الأمة أو ضلالها، وإنما هذا من تمحلات أهل الباطل.

(٤) سورة الفاتحة آية ٤.

(٥) تقديم الكاف للاختصاص أي نخصك بالعبادة، وليس كما يقول المؤلف.

أحدها: ما قال ابن عباس: راجع إلى أبي بكر[1]، وقيل[2]: راجع إلى النبي ﷺ وقال المبرد: يجوز أن تكون الهاء تعود عليهما[3].

ولكن كني عن أحدهما كقوله: ﴿**يحلفون بالله لكم لِيُرْضُوكم واللهُ ورسُوله أحَقُّ أن يُرْضُوه**﴾[4] ومعناه أحق أن يرضوهما ولكن إختصر فإكتفى بذكر أحدهما عن الآخر فكذلك ها هنا.

قال ابن فورك الأول أولى، لأن أبا بكر خائف والخائف يحتاج إلى الأمن والنبي ﷺ لم يكن خائفا لأن الله وعده النصر ومن وعد النصر هو ساكن القلب.

﴿**وأيَّده بجنود لم تَرَوْها**﴾ التأييد بالجنود ما كان من تقوية الملائكة لقلبه والبشارة بالنصر من ربه وإلقاء الرعب في قلوب المشركين وانصرفوا خائفين.

﴿**وجعلَ كلمةَ الذين كفروا السُّفلى**﴾ قال مقاتل: كلمة ﴿**السفلى**﴾: كلمة الشرك ﴿**وكلمةُ الله هى العُليا**﴾ كلمة التوحيد[5]، قال إبن كيسان: كلمة ﴿**السفلى**﴾ ما قدره المشركون في كيد النبى ﷺ .

﴿**وكلمة الله**﴾ ما قدره الله في نصرته ﷺ ﴿**وكلمة الله هى العليا**﴾ هذه الواو غير واو العطف وإنما هى واو استئناف وفيه دليل على أن كلام الله غير مخلوق لأنه لو كان مخلوقا لكان مقسوماً على الكلمة الأولى[6].

﴿**والله عزيزٌ**﴾ في انتقامه من أهل الكفر لا يقهره قاهر كقهره ولا ينصره ناصر

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٤٠).
(٢) حكاه الماوردي عن الزجاج (٢/٣٦٤)، وابن الجوزي عن مقاتل (٣/٤٤٠).
(٣) ذكره ابن الجوزي عن ابن الأنباري (٣/٤٤١).
(٤) سورة التوبة آية ٦٢.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/١٧١، ١٧٢).
(٦) يرد المؤلف على المعتزله الذين يقولون بخلق القرآن.

كنصره ﴿حكيم﴾ في تدبيره وتصريفه خلقه في مشيته.

قوله: ﴿انفروا خفافاً﴾ الآية قال أبوالضحى[١] أول آية نزلت بالمدينة من سورة برآءة هذه الآية[٢] ﴿انفروا﴾ أخرجوا مع نبيكم إلى غزوة تبوك ﴿ خفافا وثقالاً﴾ فيه عشرة أقاويل.

أحدها: شباباً وشيوخاً، عن الحسن[٣]. الثاني: عن أبي صالح[٤]: أي فقراء وأغنياء[٥] ، وقيل: مشاغيل وغير مشاغيل[٦] ، عن الحكم[٧]، قال ابن عباس: نشاطاً وغير نشاط[٨]، وقال: أبو عمرو[٩] ركباناً ومشاة[١٠]، قال ابن زيد ذا ضيعةٍ وغير ذى ضيعة[١١]، قال مره الهمداني[١٢]: أصحاء وغير أصحاء[١٣].

---

(١) هو أبو الضحى مسلم بن صبيح الهمداني الكوفي (ت: ١٠٠). انظر: التقريب (٢/٢٤٥).

(٢) خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/٢٦٩) برقم (١٦٧٥٧، ١٦٧٥٨)، وابن كثير في تفسيره (٤/٩٦).

(٣) خرّجه ابن جرير الطبري (١٤/٢٦٢) برقم (١٦٧٣٤، ١٦٧٣٥، ١٦٧٤٤).

(٤) هو باذام وقيل باذان أبو صالح مولى أم هاني، ضعيف، يرسل، روى له الجماعة ماعدا البخاري ومسلم . انظر: التقريب (١/٩٣).

(٥) خرّجه ابن جرير الطبري (١٤/٢٦٦) برقم (١٦٧٤٨).

(٦) خرّجه ابن جرير الطبري (١٤/٢٦٥) برقم (١٦٧٤٧).

(٧) هو الحكم بن كيسان مولى والد أبي جهل أسلم قديماً وقتل في بئر معونة. انظر: الإصابة (٢/٣٠).

(٨) خرجه الطبري (١٤/٢٦٦) برقم (١٦٧٤٩) وعن قتادة، برقم (١٦٧٥٠).

(٩) هو عبدالرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي أبو عمرو الفقيه، ثقة، مات سنة ١٥٧هـ. انظر: التقريب (١/٤٩٣)، والسير (٧/١٠٧).

(١٠) خرّجه الطبري (١٤/٢٦٦) برقم (١٦٧٥١).

(١١) خرّجه الطبري (١٤/٢٦٦) برقم (١٦٧٥٢).

(١٢) مرة بن شراحبيل الهمداني السكسكي، أبو إسماعيل الكوفي مات سنة ست وسبعين. انظر: تهذيب التهذيب (١٠/٨٨).

(١٣) الثعلبي (ق:١١١/أ) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٤٣)، والماوردي في تفسيره (٢/٣٦٥).

قال يمان بن رياب: عزاباً ومتأهلين[1] وقيل على خفة النفس وثقلها[2] وقال ابن عطاء خفافاً بقلوبكم وثقالاً بأبدانكم[3] وقال مجاهد: نسخ أهل الضر والضعفاء والمساكين بقوله: ﴿ليس على الضعفاء﴾ إلى قوله: ﴿ ما يُنفقون حرج﴾[4][5] الآية.

﴿وجٰهدوا بأموٰلكم وأنفسكم فى سبيل الله﴾ فى طاعة الله ﴿ ذلكم ﴾ الخروج والجهاد ﴿خيرٌ لكم ﴾ من الجلوس ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ وتصدقون.

قوله: ﴿ لو كان عَرَضاً قريباً ﴾ قال المبرد: فيه اقتصارٌ ومعناه لو كان هذا الغزو ﴿عرضاً قريبا﴾ أي غنيمة قريبة من غير قتالٍ في سبيل الله ﴿ وسَفَراً قاصداً ﴾ أي سهلاً هيناً، ومعناه: وسفراً ذا قصر وهذا كقول الرجل: تامرٌ ولا بنٌ ذو تمرٍ وذو لبنٍ كذلك هذا ﴿لاتبعوك﴾ إلى غزوة تبوك بطيبة الأنفس ﴿ ولكن بعدت عليهم

(١) الثعلبي (ق: ١١١/أ)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٤٣).

(٢) حكاه الماوردي (٢/٣٦٦) بلفظ خفة البعير وثقله.

(٣) لم أقف على من قال به. وقد جمع ابن جرير الطبري رحمه الله (١٤/٢٦٩) بين هذه الأقوال بقوله: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله خفافاً وثقلاً، وقد يدخل في الخفاف كل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه، ومن كان ذا يسر بمال وفراغ من الاشتغال وقادر على الظهر والركاب ويدخل في الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ، ومن معسر من المال ومشتغل بضيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب والشيخ ذو السن والعيال ... فإذا كان قد يدخل في «الخفاف» و «الثقال» من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا، ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفاً دون صنف في الكتاب ولا على لسان الرسول ﷺ ، ولا نصب على خصوصه دليلاً، وجب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد في سبيله خفافاً وثقالاً مع رسول الله ﷺ على كل حال من أحوال الخفة والثقل.

(٤) الراجح القول بالاحكام وأن لا نسخ وممن قال بذلك الطبري كما أسلفنا.

(٥) سورة التوبة آية ٩١.

الشُّقَّة﴾ السفر إلى الشام وفيها لغتان الشقة بالضم[١] والكسر[٢] وهو المشقة.

وإنما سمى السفر مشقة لما فيه من المشقة الكثيرة ﴿وسيحلفون بالله﴾ يعني المنافقين، إذا رجعتم من غزوة تبوك، عبدالله بن أُبَيٍّ [بن] سلول والجد بن قيس ومُعتب بن قُشير وأصحابهم[٣] الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ﴿لو استطعنا﴾ بالزاد والراحلة ﴿لخرجنا معكم﴾ إلى غزوة تبوك.

أراد به استطاعة الآلة دون استطاعة القوة ﴿يُهلكون أنفسهم﴾ بالحلف الكاذبة ﴿والله يعلمُ إنهم لكـذبون﴾ لأنهم كانوا يستطيعون الخروج مع النبي ﷺ وقيل: والله يعلم إنهم لكاذبون لأنهم مستطيعون ذو آلةٍ.

قوله: ﴿عفا الله عنك﴾ الآية أى، عفا الله عنك يا محمد بما أذنت للمنافقين بالجلوس ﴿لم أذنت لهم﴾ قال عمرو بن ميمون[٤]: شيئان فعلهما رسول الله ﷺ: أخذ الفداء من أسارى بدر، وإذنه للمنافقين بالتخلف[٥] من غير إذن الله له وكلاهما معفو عنهما.

وقال أهل الحقائق: لم يأثم رسول الله ﷺ حتى يقال: عفا الله عنك لمَ أذنت لهم لكن هذا من جملة كلام افتتاحه دعاء[٦]. كما قال الرجل لصاحبه عفا الله عنك

---

(١) بالضم هي القراءة الصحيحة الموافقة لرسم المصحف.

(٢) بالكسر، قراءة شاذة قرأ بها عيسى بن عمر. انظر: البحر المحيط (٥/٤٥)، وتفسير الفخر الرازي (١٦/٧٢).

(٣) المنافقون الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. أنظر: تنوير المقباس (ص:١٢٢، ١٢٣)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٢٤٦، ٢٤٧)، وزاد المسير (٣/٤٤٤).

(٤) مرت ترجمته في سورة الأنفال (ص:١٤٤) من هذا البحث.

(٥) الأثر خرّجه الطبري في تفسيره (١٤/٢٧٣) برقم (١٦٧٦٥)، والثعلبي في تفسيره (ق:١١١/ب).

(٦) هذا خلاف نص القرآن الكريم، وأما كونه ﷺ لم يأثم فلأن الله عفا عنه.

ما صنعت في حاجتي[1]؟ فإن قيل هلا قال غفر الله لك . مكان عفا الله؟

قال ابن فورك مجيباً: العفو والغفران واحد إلا إن العفو أفخم في هذا الموضوع ﴿عفا الله عنك لم أذنت﴾ إنما قدم العفو ها هنا على لِمَ ولم يذكره عند قوله ﴿ لم تُحَرِّمُ ما أحل الله لك﴾[2] في تحريمه مارية القبطية على نفسه الجواب عنه لأن مارية من جملة الأحباء والمنافقين من جملة الأعداء، وقد سومح في أمر أحبائه مالا يُسامح فى أمر أعدائه فلذلك قدم العفو هاهنا دون هناك ﴿لم أذنت لهم﴾ فيه قراءتان: فتح الميم[3] وجزمها[4] وهما لغتان وكان في الأصل لما فحذفت الألف وهو حرف توبيخ ﴿حتىٰ يتبين لك الذين صدقوا ﴾ فى إيمانهم بالخروج معك ﴿ وتعلم الكـٰذبين ﴾ المكذبين فى إيمانهم بالتخلف عن الخروج ﴿لا يَستئذِنُكَ﴾ يا محمد بعد غزوة تبوك.

﴿ الذين يؤمنون بالله واليوم الأخر ﴾ فى السر والعلانية ﴿ أن يجـٰهدوا ﴾ فيه، قولان: كراهة أن يجاهدوا، والثاني: أن لا يجاهدوا ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾، ﴿والله عليمٌ﴾ عالم ﴿بالمتقين﴾ الكفر والشرك، ﴿إنما يستئذنك﴾ بالجلوس عن الخروج ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم الأخر﴾ في السر. ﴿وارتابت﴾ شكت ﴿قلوبهم فَهُمْ فى ريبهم﴾ شكهم ﴿ يَترددون ﴾ يتحيرون والإستئذان طلب الإذن كما أن الإستئمار طلب الأمر.

قوله: ﴿ ولو أرادوا ﴾ أي المنافقين ﴿ الخروج ﴾ معك إلى غزوة تبوك ﴿لأعَدُّوا له﴾ للخروج ﴿ عدة﴾ أهبة من السلاح والزاد والعدة والأهبة واحد وهو

(١) هذا الكلام ذكره الثعلبي في تفسيره (ق:١١١/ب، ١١٢/أ)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٤٥) ونسبه لابن الأنباري.

(٢) سورة التحريم آية ١.

(٣) هي القراءة الصحيحة الموافقة لرسم المصحف.

(٤) بالجزم قراءة شاذة ولم أقف على من قرأ بها.

آلة السفر وقرئ عدة بالضم والفتح والكسر[١] فالضم مصدرٌ والفتح والكسر لغتان في الجمع، قال عبدالوهاب عن مجاهد ﴿لأعدُّوا له عدة﴾ أي [منه][٢].

﴿ولكنْ كَرِهَ الله انبعاثهم﴾ خروجهم معك إلى غزوة تبوك والإنبعاث الخروج.

يقال بعثته فانبعث أي بعثته فخرج كقوله كسرته فانكسر وصرفته فانصرف.

ومثل هذا ﴿ فَثَبَّطَهم ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: فحبسهم عن الخروج[٣]، قال عطاء: كسّلهم، قال الزجاج: ردّهم[٤] عن الخروج، قال الحسن: أخذلهم[٥].

﴿ وقيل اقعدوا ﴾ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: من كلام الله والثاني: من كلام النبي ﷺ ، والثالث: ﴿ مع القاعدين ﴾ معناه أوقع ذلك في قلوبهم، تخلفوا مع المتخلفين بغير عذر قال الله ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ﴾ شراً وفساداً[٦].

---

(١) قرأ بكسر العين زر بن حبيش . انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (٥٣)، ولم أقف على من قرأ بفتح العين وهي شاذة، وأما بالضم فهي القراءة الصحيحة الموافقة لرسم المصحف.

(٢) كذا في الأصل ولا يظهر لها معنى.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٧٥/٢) برقم (١١٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند قال الكبيسي أنه ضعيف.

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٥٠/٢).

(٥) قال ابن كثير في تفسيره (١٠٠/٤)، والسعدي في تفسيره (٢٤٣/٣). أخرهم قدراً وقضاء وإن كان قد أمرهم ، وحثهم على الخروج ، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم.

(٦) انظر: الطبري (٢٧٨/١٤)، وزاد المسير(٤٤٧/٣) . وانظر: الواضح للدينوري مخطوط (ق:٢٠٣/ب).

وقال مره الهمذاني: خبالاً: غشاً،[١] وقال إبن زيد: شماتة بكم[٢] ﴿ ولأوضعوا خلـٰلكم﴾ ولساروا على الإبل وسطكم.[٣]

﴿ يبغونكم الفتنة ﴾ يطلبون منكم الشر والفساد والزلة والعيب ﴿وفيكم ﴾ ومعكم ﴿ سمـٰعون لهم ﴾ جواسيس الكفار.

﴿ والله عليمٌ بالظـٰلمين ﴾ بالمنافقين عبدالله بن أبيّ سلول وأصحابه. ﴿ لقد ابتغوا الفتنه ﴾ قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في إثنى عشر رجلاً من المنافقين[٤].

﴿لقد ابتغوا﴾ بغوا لك الغوائل ﴿ من قبل ﴾ من قبل غزوة تبوك ﴿وقلّبوا لك الأمور﴾ ظهراً لبطن وبطناً لظهر ﴿ حتىٰ جآء الحق ﴾: أي كثر المؤمنون ﴿وظهرَ أمرُ الله﴾ دين الله الإسلام ﴿وهم كـٰرهون﴾ [لك][٥] يعني دين الاسلام.

﴿ومنهم ﴾ من المنافقين ﴿ من يقول ﴾ وهو الجدُ بن قيس[٦]، ﴿ائذن لى﴾ بالجلوس ﴿ولا تفتنى﴾ في بنات الأصفر وذلك أن الجد بن قيس قال: يا رسول الله إني رجل أحب النساء فإذا خرجت معك إلى الروم وأفارق النساء، وقعت في فتنة نساء الروم فقال لا تفتنى في بنات الأصفر[٧] وإنما سمى بنات الأصفر لأن بنات الروم / حسان بيضٌ وصفر، ونساء العرب سودٌ[٨]. ٢٢٣/ب

(١) ذكره البغوي ولم ينسبه لأحد (٢/٢٩٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/٢٨٠) برقم (١٦٧٧٦). وذكره ابن حبيب (ق:٥٧/أ).

(٣) في زاد المسير (٣/٤٤٦): والثالث: أنه من قول بعضهم لبعض.

(٤) ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٤٨) دون أن يعين قائله.

(٥) كذا في الأصل، ولعل الصواب [ذلك] بدل [لك].

(٦) هو جد بن قيس صخر الأنصاري السلمي خال جابر بن عبدالله كان منافقاً وكان سيد بني سلمة في الجاهلية فنزع رسول الله ﷺ ذلك منه، قيل: تاب وحسن إسلامه وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه . انظر: أسد الغابة (١/٢٧٤)، والإصابة (١/٢٣٨).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٨٧)، وتفسير البغوي (٢/٢٩٩)، وأسباب النزول للواحدي (٢٤٦).

(٨) هذا الكلام فيه نظر لأن أغلب نساء العرب لا يوصفن بالسواد.

قال الله: ﴿ ألا في الفتنة ﴾ في الشرك والنفاق والكفر ﴿ سقطوا ﴾ وقعوا بتخلفهم عن النبي ﷺ عن غزوة تبوك وقيل الفتنة: الإثم[١].

﴿ وإنَّ جهنم لمحيطةٌ ﴾ لتحيط ﴿بالكٰفرين﴾ والمنافقين يوم القيامة.

قوله: ﴿ إن تصبك ﴾ يا محمد ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ الفتح والغنيمة مثل يوم بدرٍ ﴿تسؤهم﴾ أي ساءهم ذلك أي المنافقين.

﴿ وإن تصبك مصيبةٌ ﴾ يعنى القتل والهزيمة مثل يوم أحدٍ ﴿ يقولوا ﴾ أي يقول المنافقون عبدالله بن أبي وأصحابه ﴿ قد أخذنآ أمرنا﴾ من قبل حذرنا بالتخلف عنهم ﴿ من قبل﴾ من قبل المصيبة ﴿ ويتولوا ﴾ عن الجهاد ﴿وهم فرحون﴾ معجبون بما أصاب النبي ﷺ وأصحابه يوم أحدٍ، وذلك أن عبدالله بن أبي وأصحابه لما خرجوا إلى حرب أحد فلما بلغوا بعض الطريق قال عبدالله بن أبي لأصحابه إنصرفوا إلى بيوتكم، فإنصرف عبدالله بن أبي مع ثلاثمائة رجل من أصحابه[٢] فذلك قوله ﴿يقولوا قد أخذنآ أمرنا من قبل﴾ بالتخلف عنهم قبل المصيبة وتولوا عن الجهاد وهم فرحون.

﴿قل﴾ يا محمد للمنافقين ﴿لن يصيبنآ﴾ من الفتح والغنيمة أو القتل والهزيمة ﴿إلا ما كتبَ اللهُ لنا﴾ إلا ما قضى الله لنا من عواقب أمورنا. ﴿ هو مولٰنا﴾ قال إبن عباس: ناصرنا[٣]، قال الكلبي: أولى[٤] بنا قال مقاتل: مولانا أي[٥] ولينا وقيل: مالكنا[٦] وقيل: هو مولانا الذى يتولى حياطتنا ودفع المضار عنا[٧].

(١) قال بذلك الزجاج في معاني القرآن (٢/٤٥٢).
(٢) انظر: عيون الأثر لابن سيد الناس (٢/٨).
(٣) ذكره ابن حبيب دون عزو (ق:٥٨/أ)، وابن الجوزي (٣/٤٥٠).
(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١١٤/أ).
(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٧٤).
(٦) ذكر ذلك الماوردي في تفسيره (٢/٣٧١).
(٧) ابن حبيب (ق:٥٨/أ).

﴿ **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾ أى وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله، والتوكل: التفويض إلى الله في أمورنا مع رضا تدبيره فينا.

﴿**قل**﴾ يا محمد للمنافقين ﴿ **هل تَرَبّصون**﴾ تنتظرون ﴿ **بنآ إلآ إحدى الحسنيين** ﴾ الفتح والغنيمة أو القتل والشهادة.

الفتح والغنيمة: حسنى الدنيا، والقتل والشهادة: حسنى الآخرة فلذلك الحسنيين.

وقيل: ﴿**إحدى الحسنيين**﴾ إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والنعمة الكريمة وفي معناه قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «تضمن الله لمن يخرج في سبيله لا يخرج إلا إيماناً بالله وتصديقاً لرسوله أن يرزقه الشهادة أو يرده إلى أهله مغفوراً نائلاً ما نال من أجرٍ وغنيمة»[1].

﴿**ونحن نتربص بكم**﴾ ننتظربكم ﴿**أن يصيبكم الله بعذاب من عنده**﴾، لهلاككم ﴿**أو بأيدينا**﴾ بسيوفنا لقتلكم ﴿**فتربّصوا**﴾ فانتظروا ﴿**إنا معكم متربصون**﴾ منتظرون لهلاككم.

﴿**قل**﴾ يا محمد للمنافقين ﴿**أنفقوا**﴾ أي لينفقوا أمرٌ بمعنى الخبر كقوله: ﴿**استغفر لهم**﴾ أمرٌ بمعنى الخبر أنفقوا أموالكم ﴿**طوعاً**﴾ من قبل أنفسكم ﴿**أو كرهاً**﴾ جبراً مخافة القتل ﴿**لن يُتقبل منكم**﴾ ذلك ﴿ **إنكم كنتم قوماً فٰسقين** ﴾ منافقين وقرئ كرهاً بالفتح[2]، والضم[3].

بالفتح: بمعنى الإجبار والضم: بمعنى المشقة.

(١) الحديث في صحيح مسلم (٣/١٤٩٥) الحديث رقم (١٨٧٦).

(٢) قراءة الجمهور بفتح الكاف. انظر: التذكرة في القراءات الثلاث المتواترة للدكتور محمد سالم محيسن (٢٤٧/١).

(٣) قرأ بها خلف من الثلاثة انظر المصدر السابق.

﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقـتُهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾ في السر ﴿أنت تقبل﴾ قرئ بالتاء[1] والياء[2]/ ٢٢٤/أ

والتاء لتأنيث النفقة والياء لتقدم الفعل.

﴿ولا يأتون الصلوة﴾ إلى الصلاة ﴿إلا وهم كسالى﴾ متثاقلين ﴿ولا ينفقون﴾ شيئاً في سبيل الله ﴿إلا وهم كـرهون﴾ ذلك وقيل: ولا ينفقون ﴿إلا وهم كـرهون﴾ لأنهم لا يرجون بآدائها ثواباً ولا يخافون من تركها عقاباً.

قوله: ﴿فلا تعجبك أمولهم﴾ الآية هنا من باب المقلوب ومعناه قال ابن عباس ﴿فلا تعجبك﴾ يا محمد ﴿أمولهم﴾ كثرة أموالهم ﴿ولآ أولـدهم﴾ ولا كثرة أولادهم في الحياة الدنيا[3].

﴿إنما يريد الله ليعذبهم﴾ أي يعذبهم ﴿بها﴾ في الآخرة مقدم ومؤخر قال الحسن: إنما يريد الله أن يعذبهم بها يعني بترك الزكاوات[4] والدليل عليه ما قبله يعني فلا تعجبك أموالهم ﴿وتزهقَ أنفسُهم﴾ أي وتخرج أرواحهم من أجسادهم ﴿في الحيوة الدنيا وهم كـفرون﴾ .

﴿ويحلفون بالله﴾ عبدالله بن أُبي وأصحابه، ﴿إنهم لمنكم﴾ ، لمعكم في السر والعلانية.

قال الله: ﴿وما هم منكم﴾ معكم في السر والعلانية، ﴿ولـكنهم قومٌ يفرَقُون﴾

---

(١) قراءة الجمهور بالتاء. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٤١).

(٢) قرأ بالياء حمزة والكسائي. انظر المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٤/٢٩٦)، وذكره ابن حبيب (ق:٥٩/أ).

(٤) الأثر خرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/٢٩٦) برقم (١٦٨٠٦) ونصه: «قال: يأخذ الزكاة، والنفقة في سبيل الله»، واختاره ابن جرير، لأنه هو الظاهر من التنزيل، وقال ابن كثير وهو القول القوي الحسن (٤/١٠٣).

يخافون سيوفكم ﴿لو يجدون ملجئاً﴾ أى حرزاً يلجأون إليه ﴿ أو مغرت﴾ فى الجبل واحدها غار، أو مغاراً ﴿ أو مدخلاً ﴾ سرباً في الأرض، ﴿ لولوا إليه ﴾ لذهبوا إليه ﴿ وهم يجمحون ﴾ يهرولون هرولة والجموح مشي بين مشيتين، وقرئ مدخلاً بضم الميم[1] وفتحها[2] وهما لغتان.

ومدخلاً كان في الأصل متدخلاً[3] فصيرت التاء دالاً ثم أُدغمت إحدى الدالين في الآخرى.

إنما فعلوا ذلك لأن التاء مهموسة والدال مجهورةٌ فأرادوا جمع المجهورين ليكون أخف على اللسان.

﴿ لولّوْ ﴾: قرئ بالتخفيف[4] والتشديد[5] يقال ولى بنفسه بالتخفيف ووليه غيره بالتشديد هو متعدي.

قوله: ﴿ومنهم من يلمزك فى الصدقت﴾ قال الضحاك: وذلك أنه جاء رجل إلى النبيﷺ بأربعين أوقيه من ذهب، وجاء رجل من الأنصار بصاع من طعام، فقال المنافقون: ما جاء هذا الرجل بأربعين أوقيه من ذهب إلا رياء وسمعه، وإن الله لغني عن صاع هذا الرجل[6]. فقسم النبىﷺ بينهم ما أتاه الله من قليل المال أو كثيره فكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله عليه وأما المنافقون فإن أعطوا كثيراً فرحوا

---

(١) قراءة الجمهور بضم الميم وفتح الدال مع تشديدها، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٤١).

(٢) وقرأ يعقوب بفتح الميم وإسكان الدال. انظر نفس المصدر السابق.

(٣) أصل الكلمة: [مدتخلاً] التاء بعد الدال، انظر: التذكرة في القراءات الثلاث المتواترة تأليف د/محمد سالم محيسن (١/٢٤٨).

(٤) قرأ بها الأشهب والعقيلي ومعاوية بن نوفل وأبو عبيدة بن معاوية. انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥/٥٥)، وانظر: كشاف (٢/١٩٦).

(٥) بالتشديد هي القراءة السبعية الموافقة لرسم المصحف.

(٦) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق: ٦٠/أ).

وإن أعطوا قليلاً سخطوا فأنزل الله هذه الآيه.

وروى أبو سعيد الخدرى قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم مالاً إذ جاءه ابن أبي الخويصرة التميمي فقال: أعدل يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ : ويلك ومن يعدل إن لم أعدل فقال عمر: إئذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه قال: دعه فإنه يخرج من ضئضئي هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

يمرقون من الدين مروق السهم من الميبة[1] فأنزل الله ﴿ومنهم﴾ ومن المنافقين ﴿من يلمزك﴾ قال بن عباس: إبن الخويصرة وأصحابه. وقال أبو سعيد الخدرى إبن أبي الخويصرة التميمي: من يلمزك: يطعن عليك في قسمة الصدقات.

يقولون لم يقسم بيننا بالسوية، قال الحسن: يعيبك[2]، وقال عطاء: يعاتبك[3]، وقال مره الهمذاني: يسألك[4]، وقرىء يلمزك على ثلاثة أوجه يلمزك بضم الميم[5] مخفف وبكسر الميم[6] مخفف وقرئ يلمزك بضم الياء[7] وكسر الميم مشدد.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ما جاء في قول الرجل ويلك (١١٠١/٧)، ومسلم في صحيحه (٧٤٤/١، ٧٤٥) (برقم (١٠٦٤)، وابن جرير (٣٠٣/١٤) برقم (١٦٨١٧). ولكن ليس فيها أن هذه الحادثه سبب لنزول الآية. ومعلوم أن قصة ذي الخويصرة حدثت في تقسيم غنائم حنين، قبل نزول هذه الآية بزمن طويل، وقد استقصى الدكتور إبراهيم قريبي في مرويات غزوة حنين وحصار الطائف (٣٨٥/١) جميع الروايات الواردة في هذا الباب فقال: والروايات الواردة في هذا الباب جاء فيها بأن القائل لرسول الله ﷺ «اعدل» أنه رجل، وفي بعضها رجل من بني تميم وفي بعضها ذو الخويصرة التميمي، وفي بعضها ابن ذي الخويصرة التميمي، وفي بعضها عبدالله ابن ذي الخويصرة ... الخ» وقيل: اسمه: حرقوص بن زهير أصل الخوارج، وقيل: خرقوها.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق: ٦٠/أ)، والقرطبي (١٦٢/٨).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق: ٦٠/أ).

(٤) لم أقف على قوله هذا.

(٥) قرأ بها يعقوب . انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٤١/٢).

(٦) قرأ بكسر الميم الجمهور انظر المصدر السابق.

(٧) قرأ بها الأعمش، وهي قراءة شاذة، انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه (٥٣).

وهي لغات ﴿فإن أعطوا منها﴾ من الصدقات حظاً وافراً ﴿رضوا﴾ بالقسمة ﴿وإن لم يعطوا منهآ ﴾ من الصدقات حظاً وافراً ﴿إذا هم يسخطون﴾ بالقسمة.

قال الله: ﴿ولو أنهم﴾ يعني المنافقين ﴿رضوا مآ ءاتىٰهم الله﴾ ما أعطاهم الله ﴿ورسوله﴾ من فضله ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ ثقتنا بالله ﴿سيؤتينا الله من فضله﴾ سيغنينا الله من فضله برزقه ﴿ ورسوله ﴾ بالعطية.

﴿إنآ إلى الله رٰغبون﴾ معناه ولو قالوا هكذا لكان خيراً لهم ثم بين لمن الصدقات.

قوله: ﴿إنما الصدقٰت للفقراء﴾ الفقراء: أصحاب الصفة ﴿والمسٰكين﴾ الطوافون .

قال ابن عباس: الفقير: المتعفف الذي لا يسأل: والمسكين: الذي يسأل.[1]

قال قتادة: الفقير: ذوالزمانة من الحاجة. والمسكين: الصحيح منهم[2].

وقيل: الفقير: هو المسكين وكلاهما واحدٌ غير أنه ذكر بالوصفين لتأكيد أمره. وهذا قول المفسرين وقال الشافعي[3] وأبو عبيدة: الفقير: الذي لا شيء له وهو المحتاج الذي كأن الحاجة قد كسرت فقاره، يقال فقر الرجل فقيراً وافتقر إفتقاراً ، ويقال رجلٌ فقيرٌ، وفقيرٌ أي مكسور الفقار، والمسكين الذي له البُلغة من العيش والمسكين الذي يسكن إلي شيء له.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (١٤/٣٠٥) برقم (١٦٨١٩)، والثعلبي في تفسيره (ق:١١٧/أ)، والماوردي (٢/٣٧٤).

(٢) خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/٣٠٦) برقم (١٦٨٢٥، ١٦٨٢٦)، وابن أبي حاتم (٢/٩٣١) برقم (١٢٣٨) وإسناده صحيح.

(٣) انظر قول الشافعي رحمه الله في: الام (٢/٧١).

قال الراعي: أما الفقير الذى كانت حلوبته وقف العيال فلم يترك له سبد[1] فجعل له حلوبةً وجعلها وقفاً لعياله أي قوتا لا فضل فيه.

﴿والعملين عليها﴾ السعاة لحاملي الصدقات في كل زمان. ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ قال الحسن: إنما كانوا على عهد رسول الله ﷺ خاصةً وهم قوم في إبتداء الإسلام كفار كانوا بمكة وكان الإسلام قليلاً فأعطاهم النبي ﷺ سهماً من هذه السهام حتى لا يحاربوه ويكون قوة للإسلام[2].

وروى معمر عن يحيى بن أبي كثير: أن المؤلفة قلوبهم ثلاثة عشر رجلاً ✎ من بنى مخزوم: الحرث بن هشام وعبدالرحمن بن يربوع، ومن بنى أمية: أبو سفيان بن حرب، ومن بني جميح: صفوان بن أمية، ومن بنى عامر: سهيل بن عمرو وحويطب بن عبدالعزى، ومن بنى أسد: حكيم بن حزام، ومن بنى هاشم: أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، ومن بني فزارة: عيينة بن حصن بن حذيفه، ومن بني تميم: الأقرع بن حابس، ومن بنى نضر: مالك بن عوف بن مالك، ومن بني سليم: العباس بن مدراس، ومن بني ثقيف: العلاء بن جاريه، أعطى النبي ﷺ كل رجل منهم مئاة ناقة إلا عبدالرحمن بن يربوع وحويطب والعباس، فإنه أعطى كل واحد منهم خمسين ناقة[3]، وقال جابر: بل هم موجودون في كل زمان، يعني

---

(١) اللقب للراعي. انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (فقر) (١١١٦/٢) وهو في أدب الكاتب (٣٠)، والقرطبي (١٦٩/٨)، والدر المصون (٤٦٦/١).

والحلوبة: الناقة متى كانت تحلب أو الشاة، وقف العيال: قدر كفايتهم لا فضل بها، والسبد: الشعر أو الوبر.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٤/١٤، ٣١٥) برقم (١٦٨٤٩، ١٦٨٥٣)، والثعلبي في تفسيره (ق:١١٩/ب).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣١٣/١٤) برقم (١٦٨٤٦)، وابن أبي حاتم (٩٥٠/٢، ٩٥١)، برقم (١٢٦٠) وقال عبادة الكبيسي في الحكم على هذا الأثر: مرسل صحيح لغيره.

المؤلفة قلوبهم[1] وأراد به الكافرين الذين كانوا في ناحية دار الكفر فأعطوهم منها حتى لا يحاربوا المسلمين ويكون قوة للإسلام.

﴿وفى الرّقاب﴾ المكاتبين ﴿ والغـٰرمين﴾ لأصحاب الديون في طاعة الله، ﴿وفى سبيل الله﴾ للمجاهدين وهم الغزاه ﴿وابنِ السبيل﴾ الضيف النازل يعني ماراً بالطريق.

﴿ فريضة ﴾ قسمة ﴿ من الله ﴾ لهؤلاء ﴿ والله عليم ﴾ بهؤلاء ﴿ حكيم ﴾ فيما حكم بهؤلاء .

وقيل[2]: جعل الله الصدقة لأمرين أحدهما سد خلةٍ والآخر تقويةً ومعونة لعز الإسلام وذلك في كل زمان وأراد بالصدقة الزكاة والصدقة العطية للفقير

وسد الخلة والبر العطيه على وجه الصلة وإن الله ذكر أصحاب السهمان في هذه الآية وهم ثمانية أصناف.

فستة منهم موجودون وإثنان غير موجودين في هذا الزمان وهم العاملون على الصدقات والمؤلفة قلوبهم، وعند الشافعي يجب أن يعطى الزكاة هؤلاء أصحاب السهمان ويعطى منهم كل صنف إلى ثلاثة نفر إذا كان موجوداً من الفقراء ثلاثة ومن المساكين ثلاثة إلى آخرها[3].

وقال أبو حنيفه: يجوز أن يعطى الزكاة كلها واحد من الفقراء والمساكين أو الرقاب إلى آخرها[4].

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/٣١٥، ٣١٦) برقم (١٦٨٥٨، ١٦٨٥٩).
وقد رجح ابن جرير الطبري هذا القول الذي ذهب إليه جابر بن عبدالله رضي الله عنه. انظر تفسيره (١٤/٣١٦).

(٢) قال بذلك ابن جرير الطبري (١٤/٣١٦).

(٣) انظر: كتاب الأم للشافعي (٢/٧٧)، وتفسير البغوي (٢/٣٠٥).

(٤) أنظر قول أبي حنيفة ومن وافقه في أحكام القرآن للجصاص (٣/١٣٩).

واحتج الشافعي بنص القرآن قال الله ﴿إنما الصدقـٰت للفقراء﴾ الآية .

قال الشافعي: المؤلفة قلوبهم وهم على أربعة أصناف: صنف في بلد الكفار وهم كفار، وصنف في بلد الكفار وتميل قلوبهم إلى المسلمين ولكنهم على الكفر، والثالث: مسلمون حول بلاد الكفر وليس لهم شيء أن يحاربوا الكفار. والرابع: حول الكفار قوم قلوبهم بين الكفر والإسلام فيدفعون إلى الصنف الثالث والرابع سهمان من هذه السهام حتى يحاربوا الكفار ويكون قوة للإسلام[1].

ولا يجوز أن يدفعوا أسهم الزكاة إلى الكفار عند الشافعي ويقول إن الإسلام أعز من أن يدفع المال إلى الكفار حتى يسلموا[2].

والمؤلفة من الألفة أي الذين يألفون ويميلون إلى الإسلام.

قوله: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذُنٌ﴾ قال ابن عباس: نزلت في قوم من المنافقين[3] خذام بن خلد، والجلاس بن سويد وإياس بن قيس ومخشي بن خويلد وشمان بن يزيد، وعبيد بن هلال، ورفاعه بن عبدالمنذر، كانوا يؤذون رسول الله ويقولون في أمر النبي ﷺ ما لا ينبغي لهم أن يقولوا. فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا، فقال الجلاس بل نقول ما شئنا فإنما محمد أذن يسمع ما يقال ويصدق وإن لم يصدق فنحلف له فيصدقنا[4] فأنزل الله، ﴿ومنهم﴾ من المنافقين ﴿الذين يؤذون النبي﴾ بالشتم ﴿ويقولون هو أذن﴾ أي كل ما قيل له يسمع ويقبل.

فأنزل الله ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿أُذُنُ خيرٍ لكم﴾ إن كل من يقبل ما قيل له

---

(١) انظر قول الشافعي في: الأم (٨٤/٢، ٨٥) ،وقال ابن كثير نحوه (١٠٧/٤) .

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:٦٢/أ).

(٣) انظر : تفسير ابن حبيب (ق/٦٣/ب).

(٤) ذكره السمرقندي في تفسيره المسمى بحر العلوم (٥٨/٢)، وابن حبيب (ق:٦٣/أ)، والثعلبي (ق:١٢١/أ). دون عزو، والبغوي (٣٠٦/٢).

خيرٌ لكم.

وقرئ خيرٌ لكم بالرفع[1] وخيرٍ لكم بالخفض[2] ، فبالرفع على الإبتداء والخير معناه أصلح لكم، وبالخفض على الإضافة ومعناه: صلاح لكم ﴿يؤمن بالله﴾ إن محمداً يصدق بالله ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ ويصدق للمؤمنين واللام صلة في قوله للمؤمنين، لقوله ﴿رَدِفَ لكم﴾[3]، أي ردفكم، واللام صلة في ﴿ يؤمن بالله ﴾ وجه إتصاله بما قبله.

معناه: إنه لإيمانه بالله يعمل بالحق فيما يسمع ﴿ورحمةٌ﴾ يعني ومحمداً رحمة ﴿للذين آمنوا منكم﴾ / أي للمؤمنين من العذاب وقرئ رحمةٌ بالرفع[4] والخفض[5]. ٢٢٥/ب فالرفع عطف على اذن ومعناه بل هو أذنٌ وهو رحمةٌ إعتباراً بقوله: ﴿وما أرسلنـٰك إلا رحمةً للعـٰلمين﴾[6].

والخفض عطف على الخبر ومعناه: قل أذن خير وأذن رحمةٍ ﴿والذين﴾ رفعٌ على الإبتداء. ﴿يؤذون رسولَ الله﴾ مثل: المنافقين ﴿لهم عذابٌ أليم ﴾ وجيع.

قوله: ﴿ يحلفون بالله لكم ﴾ أي المنافقون ﴿ليرضوكم﴾ على التخلف من غزوة تبوك ﴿واللهُ ورسولُه أحقُّ أن يُرْضُوه﴾ في الطاعة ﴿إن كانوا مؤمنين﴾ أن يرضوه ، في هذه الكناية ثلاثة أقاويل: قيل: راجعٌ إلى الرسول[7] ومعناه: رضى

---

(١) قرأ بها الأعشى عن أبي بكر عن عاصم . انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٤١/٢).

(٢) قرأ بها الباقون . انظر المصدر السابق.

(٣) آية ٧٢ من سورة النمل.

(٤) قراءة الجمهور . انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٤٢/٢).

(٥) قرأ بها حمزة . انظر المصدر السابق (٤٤٢/٢).

(٦) آية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٤٥/١).

الرسول أحق ممن ذكرتم. وقيل: راجعٌ إلى الله لأن رضا الله رضا رسوله[1] ويحتمل أن يكون معناه أن يرضوهما فاختصر بذكر أحدهما عن الآخر[2].

قوله: ﴿**ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله**﴾ قال ابن عباس: نزلت في المتخلفين عن غزوة تبوك[3] ﴿**ألم يعلموا**﴾ أي: المنافقين، ﴿**أنه من يحادد الله ورسوله**﴾ من يخالف الله ورسوله ﴿**فأنّ له نار جهنم خلداً فيها**﴾ مقيماً فيها ﴿**ذلك الخزى العظيم**﴾ العذاب الشديد .

وقرئ: ﴿**فإن له**﴾ بالخفض[4] والفتح[5] فالخفض على الإبتداء والفتح على النسق على قوله: ﴿ **من يحادد الله فإن له نار جهنم** ﴾.

﴿ **يحذر المنفقون أن تنزل عليهم**﴾ قال مقاتل: نزلت هذه الآية في الخلاس بن سويد وسماك بن عمرو ووديعه بن ثابت والمخشي بن حمير. وذلك أن المخشي قال لهم والله إني لأرى أنا شر خليقة الله وأخشى أن ينزل فينا ما يفضحنا فلهذا سمي سورة الفاضحة فأنزل الله[6] ﴿**يحذر المنفقون أن تُنزَّل عليهم سورةٌ تنبئهم**﴾ أي السورة تخبرهم ﴿**بما فى قلوبهم**﴾ بما في أسرارهم.

﴿**قل** ﴾ يا محمد ﴿**استهزءوا**﴾ أمرٌ على طريق التهديد ﴿**إن الله مُخرجٌ**﴾ مظهر ﴿**ما تَحذرون**﴾ ما في أسراركم من فضيحة الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩٤/٨).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:٦٤/أ)، وابن الجوزي في زاد المسير (٤٦٢/٣)، والقرطبي (١٩٣/٨).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٦٤/أ).

(٤) قراءة الخفض شاذة قرأ بها ابن أبي عبلة . انظر: البحر المحيط (٦٥/٥) وذكرها ابن جرير في تفسيره (٣٣٠/١٤) ونسبها إلى بعض نحويي البصرة.

(٥) قراءة الجمهور وهي القراءة الموافقة لرسم المصحف.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٧٨/٢، ١٧٩).

قوله: ﴿**ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب**﴾ الآية قال قتاده: بينما رسول الله يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناسٌ من المنافقين يقولون يطمع هذا الرجل أن يفتح عليه قصور الشام وحصونها هيهات هيهات. فأطلع الله نبيه على ما قالوا فقال نبي الله احبسوا عليَّ الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا قالوا يانبى الله إنا كنا نخوض ونلعب. فأنزل الله(١) ﴿**ولئن سألتهم**﴾ يا محمد إن المنافقين ﴿**ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل**﴾ يا محمد لهم ﴿ **أبالله وءايته ورسولهِ كنتم تستهزءون**﴾.

﴿**لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمنكم**﴾ بعد إقراركم بمحمد. ﴿**إن نعفُ عن طآئفةٍ منكم**﴾ أي الذين قالوا لا تقولوا لمحمد شيئا فإنا نخاف أن يبلغه ﴿**نعذبْ طآئفة بأنهم كانوا قوماً مجرمين**﴾ قوله: ﴿**المنفقون**﴾ من الرجال ﴿**والمنفقت** ﴾من النساء ﴿**بعضهم من بعض**﴾ بعضهم على دين بعض ﴿**يأمرون بالمنكر**﴾ بالتكذيب ومخالفة الرسول ﴿**وينهون عن المعروف**﴾ عن التوحيد وموافقة الرسول ﴿**ويقبضون أيديهم**﴾ عن النفقات في الخير.

قال بعضهم: ويقبضون أيديهم عن رفعها إلى مولاها في الدعوات والحوائج(٢) ﴿**نسوا الله**﴾ تركوا طاعة الله في الدنيا ﴿**فنسيهم**﴾ تركهم الله في النار في الآخرة ﴿**إن المنفقين هم الفسقون**﴾ الكافرون.

﴿**وعد الله المنفقين**﴾ من الرجال ﴿**والمنفقت**﴾ من النساء ﴿**والكفارَ نارَ جهنمَ خلدين فيها**﴾ مقيمين فيها ﴿**هي حَسْبُهم**﴾ أي النار مصيرهم ﴿**ولعنهم الله**﴾ أى طردهم الله من الرحمة ﴿**ولهم عذابٌ مقيمٌ** ﴾ دائم. ﴿**كالذين من قبلكم**﴾ أي عذابكُم كعذاب المنافقين الذين كانوا من قبلهم ﴿ **كانوا أشدَّ منكم قوة** ﴾

(١) خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٣٤/١٤) برقم (١٦٩١٤)، وابن أبي حاتم (٩٨٦/٢) برقم (١٣٠٩)، وصحح المحقق سنده.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره (٣٧٩/٢) دون عزوه إلى قائله.

بالبـدن ﴿ وأكثر أمولاً وأولـداً ﴾ منكم ﴿ فاستمتعوا بخلـقهم ﴾ فأكلوا نصيبهم من الآخرة في الدنيا ﴿ فاستمتعتم بخلـقكم ﴾ فأكلتم نصيبكم من الآخرة في الدنيا ﴿كما استمتع الذين من قبلكم بخلـقهم﴾ كما أكلوا نصيبهم من الآخرة في الدنيا.

﴿وخضتم ﴾ وقلتم فى الباطل ومخالفة الرسول ﴿كالذى خاضوا ﴾ كخوضهم فيه ﴿ أولئك ﴾ أهل هذه الصفة ﴿ حَبِطَتْ أعملهم ﴾ بطلت حسناتهم ﴿ فى الدنيا﴾ بالخبر وفي ﴿ الاخرة ﴾ بالعيان.

﴿ وأولئك هم الخسرون ﴾ المغبونون.

قوله: ﴿ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم ﴾ بخبر الأمم الماضية كيف هلكوا ثم بين من هم فقال: ﴿ قوم نوح ﴾ أي أهلك الله قوم نوح بالغرق والطوفان ﴿ وعاد ﴾ بالريح العقيم ﴿ وثمود ﴾ بالرجفة والصيحة ﴿ وقوم إبرهيم ﴾ بالهدم ﴿وأصحب مَدْيَنَ ﴾ قوم شعيب بالحر يوم الظلة ﴿ والمؤتفكت ﴾ المتقلبات المنخسفات يعني قوم لوط أهلكناهم بالخسف والحجارة ﴿ أتتهم رسلهم ﴾ يعني الجميع ﴿بالبينت﴾ بالأمر ﴿ فما كان اللهُ ليظلمهم ﴾ وما ظلمهم الله حتى أهلكهم بتكذيب رسلهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ حتى كذبوا رسلهم .

قال أبو بكر الوراق[1]: المنافق ستر المنافق يستتر عليه عوراته، والمؤمن مرآة المؤمن يبصره عيوبه ويدله على سبيل نجاته[2].

قوله: ﴿ والمؤمنون ﴾ من الرجال المصدقون ﴿ والمؤمنت ﴾ المصدقات من النساء ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ على دين بعض ﴿ يأمرون بالمعروف ﴾ بالتوحيد،

(١) هو أبو بكر محمد بن عمر الوراق، أصله من ترمذ وأقام ببلخ مات سنة ٢٤٠هـ.
انظر: طبقات الصوفية (٥٢)، والرسالة القشيرية (٤٤٠)، وصفة الصفوة (٤/١٦٥).

(٢) لم أقف عليه.

وإتباع الرسول ﴿ **وينهون عن المنكر** ﴾ الشرك ومخالفة[1] الرسول ﴿ **ويقيمون الصلوٰة**﴾ ويتمونها بمواقيتها وحدودها وركوعها وسجودها. ﴿ **ويؤتون الزكوٰة** ﴾ ويعطونها ﴿ **ويطيعون الله ورسوله** ﴾ فى السر والعلانية ﴿ **أولٰئك** ﴾ يعنى المؤمنين ﴿**سيرحمهم الله** ﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿ **إن الله عزيز**﴾ أنه قدير ﴿ **حكيم** ﴾ عالم.

قوله: ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنٰت جنٰت تجرى من تحتها** ﴾ من تحت أشجارها ﴿ **الأنهٰر** ﴾ الأربع قال عطاء: هي قصور من لؤلؤ وزبرجد[2] ﴿ **خٰلدين فيها** ﴾ مقيمين فيها. ﴿ **ومسٰكن** ﴾ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: ومنازل طاهرة من الدنس والقذر وقيل: مساكن ﴿ **طيبة** ﴾ بريح المسك والكافور وقيل منازل جميلة ﴿**فى جنٰت عدن** ﴾ والعدن الإقامة ﴿ **ورضوٰنٌ من الله أكبر** ﴾ أي ورضا الله لهم أكبر مما في الجنات.

وفي الخبر «أن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك. فيقول هل رضيتم عني فيقولون وما لنا لا نرضى عن ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل لكم رضواني ولا أسخط عليكم بعده أبداً[3] » وقال ابن مسعود: ويجيئ القرآن يوم القيامة فى صورة الرجل الشاحب إلى الرجل حين ينشق قبره عنه فيقول أبشر بكرامة الله أبشر برضوان الله فيقول مثلك يبشر بالخير. من أنت فيقول أنا القرآن الذي كنت أُسهر ليلك وأظمى نهارك فيحمله على رقبته حتى يوافي به ربه فيمثل بين

---

(١) في الأصل: [مخافة الرسول] والصواب ما أثبتناه.

(٢) من الأصل سقط حرفا [الباء والراء] وتم تصويبه ، وقول عطاء الخرساني خرّجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٢٧/أ).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب التوحيد (٨/٢٠٥)، ومسلم (٤/٢١٧٦) برقم (٢٨٢٩).

يديه فيقول يا رب هذا عبدك أجره عني خيرا كنت أسهر ليله وأظمئ نهاره وآمره فيطيعني. فيقول الرب فله حُلت الكرامه فيقول يا رب زده فإنه أهل ذلك فيقول فله رضوني فيقول ورضوان من الله أكبر[1] ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ يعني الظفر العظيم والنجاة الوافر[ة][2].

قوله: ﴿ يٰأيها النبى جٰهد الكفار ﴾ بالسيف حتى يسلموا ليس لهم حكم غيره ﴿ والمنٰفقين ﴾ باللسان وارفع الرفق عنهم ﴿ واغلظ عليهم ﴾ واشدد على كلا الفريقين.

وقال ابن مسعود: ﴿جٰهد الكفار والمنٰفقين﴾ قال بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه فإن لم يستطع فيكفهر في وجهه[3].

﴿ ومأوٰهم جهنم ﴾ أي ومصيرهم إلى النار ﴿وبئس المصير﴾ إذا صاروا إليه وإنما جاز أن يقال بئس المصير جهنم ولم يجز أن يقال بئس جهنم لأن المصير اسم للجنس وجهنم اسمٌ خاصٌ وذلك أبلغ في الذم لا يقال بئس زيدٌ إنما يقال بئس الرجل زيدٌ لأنه أبلغ في الذم ولهذا قال وبئس المصير.

قوله: ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ﴾ فيه ثلاثة أقاويل: قال مجاهد: وذلك أن الجلاس بن سويد بن الصامت قال إن كان ما جاء به محمداً حقاً لنحن شر من الحمير[4].

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره بهذا اللفظ عن شمّر (٣٥٦/١٤) برقم (١٦٩٦٠).

(٢) في الأصل بدون [تاء].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٥٨/١٤) برقم (١٦٩٦١) وابن أبي حاتم (١٠٣٦/٣، ١٠٣٧) برقم (١٣٧١) قال محققه إسنادة صحيح لغيره.

(٤) خرّجه الطبري في تفسيره (٣٦٣/١٤) برقم (١٦٩٧٠، ١٦٩٧١)، دون ذكر اسم القائل، وانظر: تفسير مجاهد (ص:٢٨٤).

ثم يحلف بالله إنه ما قال فأنزل الله هذه الآية فأقر الجلاس بما قال وتاب وحسنت توبته والثاني: قال قتاده: نزلت في عبدالله بن أُبي، حين قال: ﴿ **لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز** ﴾[1] الآية ثم حلفوا بالله أنهم ما قالوا فأنزل الله هذه الآية وقال و﴿**يحلفون بالله ما قالوا**﴾ وما جحدوا[2].

قال الله: ﴿ **ولقد قالوا كلمةَ الكفر** ﴾ على قول مجاهد كلمة الكفر راجع إلى قول الجلاس بن سويد وعلى قول الآخرين راجع إلى عبدالله بن أبي.

﴿ **وكفروا بعد إسلـٰمهم** ﴾ بعد إقرارهم بقول لا إله إلا الله ﴿ **وهموا بما لم ينالوا** ﴾ فيه قولان: أحدهما: وهموا وقصدوا بقتل النبي ﷺ [3] أي ما لا يكون ، والثاني:﴿ **هموا بما لم ينالوا**﴾ أي بما في قوله: ﴿ **لَيُخرجَنَّ الأعزُ منها الأذل** ﴾[4].

﴿**وما نقموا** ﴾ وما طعنوا في الدين ﴿ **إلا أن أغنـٰهم الله ورسوله من فضله**﴾ وقال الحسين بن الفضل: معنى هذه الآية مثل الناس:إحذر شر من أحسنت إليه[5].

قوله تعالى: ﴿**فإن يتوبوا** ﴾ من الكفر والشرك والنفاق ﴿ **يك خيراً لهم وإن يتولوا** ﴾ عن التوبة ﴿ **يُعَذبْهم الله عذاباً أليماً فى الدنيا** ﴾ بالسيف ﴿ **وفى الأخرة**﴾ بالنار ﴿ **وما لهم فى الأرض من ولى** ﴾ قريب ينفعهم ﴿ **ولا نصير**﴾ مانع

---

(١) آية ٨ من سورة المنافقين.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٤/١٤) برقم (١٦٩٧٤، ١٦٩٧٥) ، وابن أبي حاتم (١٠٤٩/٣) برقم (١٣٩٢) قال المحقق إسنادة صحيح.

(٣) انظر تفسير السمرقندي (٦٢/٢).

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) في تفسير ابن حبيب (ق:٦٧/ب): وقيل الحسين بن الفضل، إنك تخرج جميع الأمثال من القرآن، فهل تجد احذر شر من احسنت إليه. فقال نعم، قوله: ﴿**وما نقموا إلا أن أغنـٰهم الله ورسوله من فضله**﴾.

ينصرهم وناصر يمنعهم من عذاب الله.

قوله: ﴿ ومنهم من عـهد الله لئن ءاتانا من فضله ﴾ إختلفوا في نزول هذه الآية من ثلاثة أوجه. أحدها: قال الكلبي: نزلت هذه الآية في ثعلبة بن مالك بن صقير[١]. وذلك أنه صلى مع النبي ﷺ كل يوم فإذا فرغ من صلاته تسارع في الخروج وخرج من المسجد قبل الناس فقال له رسول الله ﷺ ذات يوم: لم تسارع في الخروج كل يوم من المسجد قبل الناس. فقال: يا رسول الله إن بيني وبين إمرأتي قميص واحد فاتسارع في الخروج حتى أدفع إليها القميص تصلي فيه فقال ذات يوم: يا رسول الله في رجلٌ فقيرٌ وقد ضاقت الأيام عليّ فادع الله أن يبارك لي فيها فقال النبي ﷺ: «قليل يكفيك خيرٌ من كثير يطغيك»، فسكت ولم يجب فجاء بعد زمان وقال مثل ما قال في الأول فقال ﷺ: «قليل يكفيك خيرٌ من كثير يطغيك» فسكت ولم يجب فجاء بعد زمان وقال ما قال الأول فقال النبي ﷺ: «هل عندك شيء» قال عندي سائمة قال «فإت بها» فأتى النبي ﷺ بسائمته فدع النبي ﷺ بالبركة ومسح يده على ظهرها فجعلت تنمو كما تنموا الدود حتى ضاقت عنه فجاج المدينة يعني بطحاءها وتنحى عن رسول الله حتى أخل بالجمعه والجماعات وبعد عن المدينة. فكلما طلبه رسول الله ﷺ قالوا هو في سائمته فطلبه يوم الجمعة فقالوا في سائمته فقال سيدركه شؤمها فوجّه رسول الله ﷺ مصدقاً إليه لما حال الحول فكثرت صدقاته فأبى أن يعطي وبخل فأنزل الله هذه الآية[٢].

قال مقاتل: ﴿ ومنهم من عـهد الله لئن ءاتـنا من فضله ﴾ الآية وهو كقوله في

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:٦٧/ب) بهذا الاسم، وفي كتب التفسير باسم ثعلبه بن حاطب الأنصاري.

(٢) هذه الرواية التي ذكرها المؤلف ونسبها إلى الكلبي في سبب نزول هذه الآية. أخرجها ابن جرير الطبري (١٤/ ٣٣٠، ٣٧٢) برقم (١٦٩٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/١٠٦٧ - ١٠٧٠) برقم (١٤٠٧) وإسناد هذه الرواية ضعيف جداً كما قال ابن حجر في الكافي الشاف (٢/٢٢٩).

سورة المنافقين ﴿ **فأصدقَ وأكن من الصلحين** ﴾[1] نزلت في ثعلبه بن حاطب، مر على الأنصار وهو محتاج فقال ﴿ **لئن ءاتنا من فضله لنصدّقنّ** ﴾ الآية.

وذلك أن مولى عمر بن الخطاب قتل رجلاً من المنافقين خطأً فدفع النبي ﷺ ديته إلى ثعلبه وكان قرابة المقتول فبخل ومنع حق الله فأنزل الله هذه الآية[2].

والثالث: قال محمد بن مروان[3]: كان لحاطب بن أبي بلتعة مال بالشام فابطأ عليه فجهد لذلك جهداً شديداً فحلف بالله لئن أتاني الله من فضله يعني من رزقه أي بذلك المال الذي بالشام لأصدقن منه ولأصلن منه ولأودين حق الله منه فأتاه الله بذلك المال فلم يفعل ما قال فأنزل الله هذه الآية[4].

وقال محمد بن إسحاق: بلغني أنه قدم فأتى رسول الله ﷺ بصدقته فلم يقبلها فلما مات رسول الله ﷺ أتى بها أبا بكر فلم يقبلها فلما مات أبو بكر أتى بها عمر فلم يقبلها ثم مات في خلافة عثمان[5].

والقول الأول أصح وأشهر وهو قول[6] الكلبي، فذلك قوله ﴿**ومنهم**﴾ من المنافقين ﴿**من عهد الله لئن ءاتنا**﴾ أعطنا ﴿**من فضله**﴾ بالمال ﴿**لنصدّقن**﴾ لنزكين ﴿**ولنكوننّ من الصلحين**﴾ الحاجين ﴿**فلمآ ءاتهم من فضله**﴾ فلما أعطاهم المال ﴿**بخلوا به وتولوا**﴾ وأعرضوا عما أمر به ﴿**وهم معرضون**﴾.

---

(١) آية ١٠ من سورة المنافقين.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٨٤/٢).

(٣) هو السدّي الصغير محمد بن مروان وقد سبقت ترجمته . وهو متهم بالكذب.

(٤) ذكر ذلك السمرقندي في تفسيره (٦٣/٢).

(٥) ذكر ذلك في الأثر الذي أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٧١/١٤) برقم (١٦٩٨٧).

(٦) هذه القصة مشهورة وذكرها جمهور كبير من المفسرين في كتبهم مع وجود الخلاف في اسم الشخص الذي وقعت له الحادثه فمنهم من قال ثعلبة بن حاطب الأنصاري ومنهم من قال اسمه ثعلبة بن مالك، ومنهم من قال اسمه حاطب بن أبي بلتعه ... .

/﴿**فأعقبهم**﴾ فيه قولان: أحدهما: أي فصيرهم[1] ﴿**نفاقاً في قلوبهم**﴾ بالنفاق ٢٢٧/ب والثاني: فأعقبهم من العقوبة ﴿**نفاقا**﴾ من النفاق ﴿**في قلوبهم إلى يوم يلقونه**﴾ يلقون الله وهو يوم القيامة وقال بعض أهل المعاني: ﴿**فأعقبهم نفاقاً**﴾ أي جعل عاقبته إلى النفاق[2].

والأعقاب قريب من الإتباع وهو كقوله ﴿ **وأتبعنهم في هذه الدنيا لعنة** ﴾[3] ﴿ **بمآ أخلفوا الله ما وعدوه** ﴾ يعني بإعطاء المال ﴿ **وبما كانوا يكذبون** ﴾ يخالفون الله ورسوله.

﴿**ألم يعلموا** ﴾ أي المنافقون ﴿ **أن الله يعلم سرهم ونجوىهم وأن الله علم الغيوب** ﴾ ما غاب عن العباد.

قوله: ﴿ **الذين يلمزون** ﴾ الآية نزلت في قوم من المنافقين وذلك أنهم جلسوا في مجلس النبي ﷺ فإذا أتى رجلٌ بصدقةٍ كثيرةٍ قالوا ما أتى هذا الرجل بصدقته إلا رياء وسمعةً وإذا أتى بصدقةٍ قليلةٍ قالوا ما أتى هذا الرجل بصدقته إلا ليذكر بين الناس. ويعطى أكثر مما أعطى فأنزل الله ﴿ **الذين يلمزون** ﴾ يطعنون يعني المنافقين ﴿**المُطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقت** ﴾ يطعنون على عبدالرحمن بن عوف وأصحابه في الصدقات[4]. يقولون ما جاء هؤلاء بالصدقات إلا رياء وسمعة.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب أن يقال: فصير عاقبة أمرهم النفاق في قلوبهم، كما جاء ذلك في تفسير البغوي (٣١٤/٢).

(٢) انظر: تفسير السمرقندي (٦٤/٢).

(٣) سورة القصص آية ٤٢.

(٤) أخرج ابن جرير الطبري في تفسير (٣٨٢/١٤ - ٣٩١) آثاراً عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من طرق متعددة برقم (١٧٠٠٣، ١٧٠٠٤، ١٧٠٠٥، ١٧٠٠٦، ١٧٠٠٧، ١٧٠٠٨، ١٧٠٠٩، ١٧٠١٠، ١٧٠١١، ١٧٠١٢، ١٧٠١٣ وغيرها) تبين جميعاً أن هذه الآية نزلت في المنافقين الذين لمزوا عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه في صدقته ورجل آخر من الأنصار تصدق بصاع تمر اختلف في اسمه فقيل: أبو عقيل: عبدالرحمن من الأنصارى الأراشي، وقيل: حبحاب وقيل اسمه جثجاث مثلثتين، وقد ذكر محمود شاكر هذا الاختلاف الكبير في تحديد اسمه في حاشية تفسير الطبري.

وإنما قال المطوعين لأن صدقاتهم كانت تطوعا لا فرضاً ﴿والذين﴾ نصب معطوف على المطوعين.

﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ ويطعنون في الذين لا يجدون إلا طاقتهم وكان هذا أبو عقيل عبدالرحمن بن تيجان[1] لم يجد إلا صاعاً من تمر ﴿فيسخرون منهم﴾ فيسخرون منه بقلة الصدقة ويقولون ما جاء به إلا ليذكر ويعطى من الصدقة أكثر مما جاء به.

﴿سَخِرَ الله منهم﴾ عليهم، أن يجازيهم[2] جزاء سخريتهم يوم القيامة حين يفتح لهم باباً إلى الجنة كما ذكر الله في آخر سورة التطفيف.[3]

﴿ولهم عذاب أليم﴾ وجيع في الآخرة وقد مرت هذه القصة في قوله: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾[4].

قوله: ﴿استغفر لهم﴾ هذا أمر الوعيد ومعناه شرطٌ أي إن تستغفر لهم أي للمنافقين وقال مقاتل: ﴿استغفر لهم﴾ منسوخ بقوله: ﴿سوآء عليهم استغفرت لهم﴾[5] الآية[6] ﴿أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ الآية.

قال ابن حبيب: إنما خص الله العدد بالسبعين دون غيره يريد بهذا إنقطاع

---

(١) هو أبو عقيل، صاحب الصاع، الذي لمزه المنافقون مختلف في اسمه على أقوال كثيره، استوفاها مع ذكر أدلتها الحافظ بن حجر رحمه الله في فتح الباري (١٣٣/٨، ٣٣٢) وترجم له في الاصابة باسم حبحاب وقال: قيل فيه: بموحدتين، والأشهر بمثلثين، ثم ذكره باسم جثجاث. وقد تعرض لهذا الاختلاف محمود شاكر في هامش رقم (١) في تفسير الطبري (٣٨٤/١٤ - ٣٨٥).

(٢) هذا تأويل باطل ويجب أن نترك الآية على ظاهرها.

(٣) يقصد سورة المطففين وما كان ينبغي أن يسميها بغير اسمها.

(٤) سورة التوبة آية ٥٨.

(٥) آية ٦ من سورة المنافقون.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٨٦/٢، ١٨٧).

أطماعهم لأن السبعين عند العرب غايةٌ مستقصاةٌ وهو جمع سبع والسبع تام[1].

الا ترى أن الله كمل عدد السموات بالسبع وكمل عدد الأرضين بالسبع والأسبوع بالسبع والبحار بالسبع فقال ﴿ سبعة أبحرٍ ﴾[2] وأبواب النار سبع وأعضاء الانسان بسبع وما أشبهها[3]، وقيل: إنما ذكر السبعين ها هنا بأن / السبعين تكبيرة على حمزة فقد أوجبت في ذلك وحرمت في هذا[4]. ٢٢٨/أ

معناه: قال إن تستغفر لهم سبعين مرة كما كبرت على حمزة سبعين مرة[5] ﴿فلن يغفر الله لهم ﴾.﴿ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ﴾

وهذه الآية نزلت فى شأن المنافقين ﴿ والله لا يهدى ﴾ لا يرشد ﴿ القوم الفسقين ﴾ المنافقين.

قوله: ﴿ فرح المخلفون ﴾ رضى المنافقون ﴿بمقعدهم ﴾ بتخلفهم من غزوة تبوك ﴿ خلف رسولِ الله ﴾ بعد ذهاب رسول الله.

﴿ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم ﴾ ببذل أموالهم ﴿وأنفسهم فى سبيل الله﴾ في طاعة الله ﴿ وقالوا ﴾ يعني قال المنافقون بعضهم لبعض ﴿ لا تنفروا ﴾ لا تخرجوا ﴿ فى الحر ﴾.

﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ نارُ جهنمَّ أشدُ حراً لو كانوا يفقهون ﴾ يعلمون

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٦٩/أ) وفيه: وهو جمع سبعة والسبعة تتمة عدد الخلق.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ﴾ لقمان ٢٧.

(٣) هذا غير صحيح ولا دليل عليه، قال البغوي (٢/٣١٥): وذكر السبعين في العدد للمبالغة في البأس عن طمع المغفرة.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:٦٩/أ)، والثعلبي (ق:١٣٤/ب).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٩٧) فقد أورد رواية عن ابن اسحاق ذكر فيها أن النبي ﷺ صلى على حمزة وشهداء أحد اثنتين وسبعين صلاة . وإسناد هذه الرواية ضعيف.

ذلك.

قوله: ﴿ **فليضحكوا قليلاً** ﴾ هذا من التهديد ﴿ **وليبكوا** ﴾ ليس هذا بأمر إنما هو جزاءٌ .

فاللام فيه مقحمةٌ ومعناه فليضحكوا قليلاً في الدنيا فيبكوا ﴿**كثيراً**﴾ في الآخرة بكاءً وهم في الآخرة جزاء ضحكهم في الدنيا وإنما أدخلت اللام في قوله وليبكوا لدخوله في الأول ومثل هذا كثيرٌ في القرآن مثل قوله: ﴿ **يدعوا لمن ضره** ﴾[1] واللام ها هنا صله ولكن لما دخل اللام في﴿ **لبئس المولى ولبئس العشير**﴾. أدخل فيه اللام يعني لمن ضره ﴿ **جزآء بما كانوا يكسبون** ﴾ ويقولون ويفعلون في الدنيا.

﴿ **فإنَ رَجَعَك اللّه** ﴾ من غزوة تبوك ﴿ **إلى طآئفةٍ منهم** ﴾ من المنافقين بالمدينة ﴿ **فاستئذنوك للخروج** ﴾ إلى غزوة أخرى سوى غزوة تبوك ﴿ **فقل** ﴾ لهم ﴿**لن تخرجوا معي أبداً ولن تقتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة** ﴾ عن غزوة تبوك ﴿ **فاقعدوا مع الخلفين** ﴾ مع النساء والصبيان في بيوتكم.

قوله: ﴿ **ولا تُصَلّ على أحدٍ** ﴾ الآية. قال ابن عباس: سمعت عمر يقول: لما توفى عبدالله بن أبي بن سلول أتى ابنه عبدالله بن عبدالله رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هذا عبدالله بن أبيٌ قد وضعناه لتصلى عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقال عمر قلت أتصل على عدو الله القائل يوم كذا كذا والقائل يوم كذا كذا وعددت أيامه الخبيثه فتبسم رسول الله ﷺ فقال يا عمر: « إني خُيرت فاخترت إن الله يقول إستغفر لهم أو لا تستغفر لهم حتى أتى على الآيه ﴿ **سبعين مرة** ﴾ ثم قال

(١) سورة الحج آية ١٣.

ولو أعلم أني لو زدت على السبعين [كقوله][1] لازددت عليه» وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن ثم انصرف.

فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى أنزل الله ﴿ **ولا تُصَلِّ على أحدٍ** ﴾[2] الآية فما صلى رسول الله بعدها على منافق، ولا قام على قبره، وقال عكرمة: قال ابن عباس: لما حضر عبدالله بن أبي الموت دخل رسول الله ﷺ عليه فجرى بينهما كلام فقال له يا رسول الله أسألك أن تكفنني في قميصك وتصلي عليّ، ففعل ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله[3] هذه الآية وقيل خيرهم النبي ﷺ أن يصلي على جنازة عبدالله بن أبي جاء جبريل وأخذ بثيابه وقرأ عليه ﴿ **ولا تُصَلِّ علىٰ أحدٍ منهم مات أبداً** ﴾[4] مقدم ومؤخر ولا تصلى أبداً ﴿ **على أحد منهم** ﴾ من المنافقين ﴿ **مات** ﴾ ﴿ **ولا تقم على قبره** ﴾. ﴿ **إنهم كفروا بالله / ورسوله** ﴾ في السر ﴿ **وماتوا وهم فٰسقون** ﴾ كافرون ﴿ **ولا تعجبك أمولهم** ﴾ وإنما كرر قوله: ﴿ **ولا تعجبك أمولهم** ﴾ لبعد الكلام ولاعتراض الكلام بينهما. ٢٢٨/ب

وقد يجيء مثل هذا في القرآن وفي التذكير ﴿ **ولا تعجبك** ﴾ يا محمد ﴿ **أمولهم** ﴾ كثرة أموالهم ﴿ **وأولٰدهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا** ﴾ بترك الزكا وان في الآخرة ﴿ **وتزهقَ أنفسُهم** ﴾ وتهلك وتخرج أرواحهم من أنفسهم في الدنيا ﴿ **وهم كٰفرون** ﴾ مقدم ومؤخر.

---

(١) كذا في الأصل وهي خطأ والصواب أن يقال [تقبل] أو يغفر له، كما جاء في رواية أحمد (١٦/١) والبغوي (٣١٧/٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (١٣٣/٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٨/١٤) برقم (١٧٠٥٥)، والحديث رواه البخاري في صحيحه (٩٥/٢) كتاب الجنائز من طريق سفيان عن عمرو عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٦٩/أ).

(٤) الأثر خرّجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٠٧/١٤) برقم (١٧٠٥٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وفي سنده يزيد بن ابان الرقاشي وهو متروك.

﴿ وإذآ أنزلت سورة ﴾ أي سورة برآءة ﴿ أن ءامنوا بالله ﴾ بأن آمنوا بالله - ﴿ وجاهدوا مع رسوله ﴾.

﴿ استئذنك أولو الطَّوْلِ منهم ﴾ يعني استأذنك الأغنياء والأقوياء منهم من المنافقين.

وقال ابن كيسان: والكبراء[1] ﴿ وقالوا ذرنا ﴾ إتركنا ﴿ نكن مع القاعدين ﴾ مع النساء والصبيان.

﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ مع النساء والصبيان ﴿ وطُبِعَ علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ أمر الله.

﴿ لٰكنِ الرسولُ والذين ءامنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ في سبيل الله.

﴿ وأولئك لهم الخيرات ﴾ من الحور العين ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ الناجون من السخطة والعذاب. ﴿ أعدَّ اللهُ لهم ﴾ خلق الله لهم ﴿ جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ مقيمين فيها أبداً ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ النجاة الوافر[ة][2].

وقيل: الفوز: النجاة من الهلكة.

وإنما وصف بالعظم لأنه ثقةٌ من دوام النعمة به.

قوله: ﴿ وجآء المعذِّرون ﴾ الآية قرئ بالتشديد والتخفيف[3]، من قرأ بالتشديد

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ٧٠/أ).

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) قرأ قتيبة ويعقوب: ﴿ وجآء المُعْذِرون ﴾ بإسكان العين، وتخفيف الذال وقرأ الباقون بفتح العين وتشديد الذال، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٤٢).

أي هم الذين جاءوا بالعذر ولا عذر لهم.

ومن قرأ بالتخفيف فمنهم الذين جاءوا بالعذر ولهم عذرٌ ﴿ **من الأعراب** ﴾ من بني غفار[1].

واختار ابن عباس بالتخفيف قال النصف الأول من الآية في أهل العذر والنصف الأخر في أهل غير العذر وهو قوله ﴿ **وقعد الذين كذَبوا الله ورسولَه** ﴾.

ومن قرأ بالتشديد فهو في الأصل المعتذرون فأدغمت التاء في الذال وشدد.

ومن قرأ بالتخفيف فهو من أعذر يعذر ﴿ **لِيُؤْذَنَ لهم** ﴾ لكي يأذن النبيﷺ لهم في التخلف عن غزوة تبوك.

﴿ **وقعدَ الذين كَذَبوا الله** ﴾ خالفوا الله ﴿ورسوله **سيُصيبُ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ** ﴾ وجيعٌ.

قوله: ﴿ **ليس على الضعفآء** ﴾ من الشيوخ والذمى قال الحسن: نزلت في ابن أم مكتوم[2] ﴿ **ولا على المرضىٰ** ﴾ من الشبان ﴿ **ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون** ﴾ في الجهاد ﴿ **حَرَجٌ** ﴾ إثمٌ معناه ولا حرج على الفقراء ﴿ **إذا نصحوا لله** ﴾ في دينه ﴿ **ورسوله** ﴾ في سنته.

---

(١) بنو غفار بطن من كنانة من العدنانية، وهم: بنو غفار بن مليل بن ضميرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، وينتهي نسبهم إلى معد بن عدنان كانوا حول مكة ومن مياههم بدر، قال رسول الله ﷺ: «الأنصار ومزينة وجهينة وغفار وأشجع ومن كان من بني عبدالله موالي دون الناس والله ورسوله مولاهم». وهو في صحيح مسلم.
انظر: معجم قبائل العرب (٨٩٠/٣).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:٧٧/أ)، أخرج الثعلبي مثله عن الضحاك (ق: ١٣٧/ب)، والبغوي (٣١٩/٢) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤٨٤/٣).

﴿ما على المحسنين﴾ بقول وفعل من هؤلاء الذين ذكرناهم ﴿من سبيل﴾ من إثم.

﴿ والله غفورٌ ﴾ متجاوز للمسيء منهم ﴿ رحيمٌ ﴾ بهم ﴿ ولا على الذين إذا مآ أتوك ﴾ نزلت هذه الآية في معقل بن يسار والصخر بن سليمان وعبدالله ابن كعب وثعلبه بن[1] عتمه ﴿ ولا على الذين إذا مآ أتوك ﴾ ولا على الذين إذا ما أتوك فليس على الذين ما أتوك ﴿ لتحملهم ﴾ إلى غزوة تبوك.

﴿ قلتَ ﴾ يا محمد ﴿ لا أجِدُ مآ أحْمِلُكم عليه تولوا ﴾ أعرضوا عنك ﴿وأعينهم تَفيضُ من الدَمْع ﴾ أي تولوا باكين ﴿ حزنا ﴾ من حزنٍ ﴿ ألا يجدوا ما ينفقون ﴾.

﴿ إنما السبيل علي الذين يستئذنونك ﴾ قال الضحاك: ما على الضعفاء المتخلفينَ عن الجهاد سبيلٌ وهم مع المجاهدين في الأجر سواءٌ[2].

١/٢٢٩ ﴿ إنما السبيل ﴾ الأثم ﴿ على الذين يستئذنونك ﴾/ في التخلف عن غزوة تبوك ﴿ وهم أغنيآء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ مع النساء والصبيان ﴿ وطبعَ اللهُ على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ أمر الله ولا يصدقون.

قوله: ﴿ يعتذرون إليكم ﴾ أي المنافقون ﴿ إذا رجعتم ﴾ من غزوة تبوك ﴿إليهم﴾ بالمدينة.

---

(١) ذكر ذلك ابن حبيب (ق: ٧٠/ب) ووقع خلاف في اسمائهم. انظر ذلك في: الدر المنثور (٢٦٨/٣)، وتفسير البغوي (٣١٩/٢)، والطبري (٤٢٣/١٤)، وابن كثير (١٣٨/٤)، والقرطبي (٢٢٨/٨)، والبحر المحيط (٨٥، ٨٦)، وأسباب النزول للواحدي (٢٥٨).

(٢) لم أقف على قول الضحاك، والمعنى صحيح، فقد ثبت عنه ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً، ولا سرتم إلا وهم معكم. قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: نعم حبسهم العذر».

انظر: صحيح البخاري (٢١٣/٣)، وأخرج أحمد من طريق جابر مثله (٣٠٠/٣).

﴿ قل﴾ يا محمد لهم ﴿ لا تعتذروا ﴾ في التخلف ﴿ لن نؤمن لكم ﴾ لن نصدقكم ﴿ قد نبأنا الله من أخباركم﴾ قد أخبرنا الله من أسراركم ﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون ﴾ في الآخرة ﴿ إلى عالم الغيب والشهادة ﴾ وهو الله ﴿فينبئكم ﴾ فيخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾

﴿ سيحلفون بالله لكم ﴾ عبدالله بن أبي وأصحابه ﴿ إذا انقلبتم ﴾ رجعتم إليهم بالمدينة ﴿ لتُعرضوا ﴾ لتصفحوا ﴿ عنهم ﴾ ولم تعاقبوهم ﴿ فأعرضوا عنهم إنهم رِجْسٌ ﴾ نجس ﴿ ومأويٰهم جهنم ﴾ ومصيرهم إلى النار ﴿ جزآء بما كانوا يكسبون ﴾ ويقولون في الدنيا ﴿ يحلفون لكم ﴾ يعني عبدالله بن أبي ﴿ لترضَوْا عنهم ﴾ بالحلف الكاذب ﴿ فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضىٰ عن القوم الفٰسقين﴾ المنافقين .

قوله: ﴿ الأعرابُ أشدُّ كفراً ونفاقاً ﴾ أسد[1] وغطفان[2]، أشد على الكفر والنفاق من غيرهم[3] ﴿ وأجدرُ ﴾ وأحرى بهم الكفر والنفاق ﴿ ألاّ يعلموا حدودَ مآ أنزلَ الله ﴾ فرائض ما أنزل الله ﴿ على رسوله ﴾ في الكتاب.

قال ابن كيسان: حدود: حجج[4] ما أنزل الله ﴿ واللهُ عليمٌ ﴾ بالمنافقين ﴿حكيمٌ﴾ فيما حكم عليهم بالعقوبة ويقال: عليمٌ: بجهل من ترك التعلم. حكيمٌ: حكم أن من لا يتعلم العلم يكون جاهلاً .

(١) هي قبيلة كبيرة من العدنانية، تنتسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. انظر: معجم قبائل العرب (٢٢/١).

(٢) غطفان ويقال غطفان بن سعد بطن عظيم متسع كثير الشعوب من قيس بن غيلان من القبائل العدنانية وهم بنو غطفان بن قيس بن غيلان ينتهي نسبهم في عدنان كانت منازلهم في نجد. انظر: معجم قبائل العرب (٨٨٨/٣).

(٣) ذكره السمرقندي في تفسيره (٦٩/٢)، وانظر: الواضح للدينوري (ق: ٢١٠/أ).

(٤) لم أقف عليه.

قوله: ﴿ ومن الأعراب ﴾ أي أسدٌ وغطفان وهؤلاء قبائل العرب حول المدينة وهم منافقون ﴿من يتخذ ما يُنفِق ﴾ أي ما ينفقه في الجهاد ﴿ مَغْرَماً ﴾ غرماً.

قال عطاء: مغرماً، بما لا يرجون عليه ثواباً ولا يخافون في تركه عقاباً(١) ﴿ويتربصُ بكم الدوآئر﴾ ينتظر كم الدوائر الموت والهلاك ﴿ عليهم دآئرة السَّوْء﴾ مقتلة السوء وعاقبة السوء.

وقرئ دائرة السوء بالضم(٢) والفتح(٣) فمن قرأ بالضم فمعناه: القتل والهزيمة ومن قرأ بالفتح، معناه: المكروه والبلاء ﴿ والله سميعٌ ﴾ لمقالتهم ﴿ عليمٌ ﴾ بعقوبتهم.

قوله: ﴿ ومن الأعراب ﴾ جهينة ومزينة وأسلم هؤلاء القبائل حول المدينة بعضهم من المسلمين وبعضهم من المنافقين فأراد بهذه الآية المسلمين.

وأراد بقوله: من أهل المدينة مردوا على النفاق المنافقين ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الأخر﴾ في السر والعلانية ﴿ ويتخذ ما ينفق ﴾ في الجهاد ﴿قربتٍ عند الله﴾ أي قربات إلى الله في الدرجات والزلفات ﴿ وصلَوتِ الرسول ﴾ دعاء الرسول، قال ﴿ألا إنها ﴾ يعني النفقة، ﴿قربةٌ لهم﴾ إلى الله في الدرجات، وقرئ بسكون الراء(٤) وضمها(٥) وهما لغتان والسكون تخفيف الضمة.

﴿ سيدخلهم الله فى رحمته ﴾ في جنته ﴿ إن الله غفورٌ ﴾ متجاوز ﴿رحيمٌ ﴾

(١) أخرجه البغوي في تفسيره (٢/٣٢٠).
(٢) قرأ بالضم ابن كثير وأبو عمرو أنظر التذكره لابن غلبون (٢/٤٤٢).
(٣) قراءة الجمهور بفتح السين في الموضعين. انظر: نفس المصدر السابق.
(٤) قرأ الجمهور باسكان الراء. انظر: التذكره لابن غلبون (٢/٤٤٢).
(٥) وقرأ بالضم كل من اسماعيل وورش عن نافع والمفضل عن عاصم. انظر: التذكره لابن غلبون (٢/٤٤٢).

بمن مات على التوبة، والفرق بين رحمته وعليهم رحمة الله أن معنى الأول يسعهم رحمةُ اللهِ والثاني أبلغ.

قوله: ﴿ والسـٰبقون الأولون ﴾ الآية اختلفوا في نزول هذه الآية من وجهين أحدهما قال ابن عباس: نزلت فيمن صلى في القبلتين[1] قبلة بيت المقدس بالمدينة وقبلة كعبة مكة .

وقيل: نزلت هذه الآية فيمن أسلم قبل الهجرة من مكة إلى المدينة[2] والسابقون الأولون الذين صلوا القبلتين . وقيل: السابقون إلى الإسلام وأبو بكرٍ منهم[3].

وقيل: السابقون إلى الهجرة[4] . وقيل: السابقون إلى الغزو[5]. وقيل: إلى طاعة الرسول[6]. وقيل: السابقون إلى إقامة الصلاة[7].

﴿ من المهـٰجرين والأنصار ﴾ ﴿ والذين اتبعوهم بإحسـٰن ﴾ من المهاجرين والأنصار وهم آخر من هاجر إلى المدينة ﴿ رضىَ اللهُ عنهم ﴾ بيسير العمل ﴿ ورضوا عنه ﴾ بيسير الرزق ﴿ وأعدَّ لهم ﴾ وخلق لهم ﴿ جنـٰتٍ ﴾ الآية. ٢٢٩/ب

(١) أخرج الطبري من طرق هذا القول عن كل من أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وسعيد بن المسيب، وابن سيرين وغيرهم. انظر: الاثار من (١٧١٠٧ إلى ١٧١١٥)، تفسير الطبري (١٤/٤٣٦، ٤٣٧).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق: ٧٢/أ) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٩١) ونسبه إلى القاضي أبي يعلي.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٧٢/ب).

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) انظر: المصدر السابق.

(٧) انظر: المصدر السابق.

وقال الحسين بن الفضل: قال الله في جميع القرآن جناتٍ ﴿ تجرى ﴾ من تحتها الأنهار. وقال: هاهنا تحتها بطرح ﴿ من ﴾ والفرق بينهما أن قوله من ﴿تحتها الأنهر﴾ تجرى من تحت الأشجار وقوله: ﴿ تحتها ﴾ أي ينبع الماء من تحتها تم تجرى من تحت الأشجار[1] ﴿ خـلدين فيهآ أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ النجاة الوافر[ة][2].

قوله: ﴿ وممن حولكم من الأعراب ﴾ يعني حول المدينة قومٌ ﴿ منافقون ﴾ مثل عبدالله بن أبي[3] وأصحابه نحو من بضع وثمانين رجلاً الذين ماتوا على الكفر ﴿ومن أهل المدينة ﴾ مزينة وجهينةٌ[4] وغفار وأسلم وأشجع ﴿ مردوا على النفاق ﴾ أي: ثبتوا ولانوا على النفاق.

﴿ لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ لا تعرفهم نحن نعرفهم ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ أحدهما: بإخراجهم من المسجد، والثاني: قتلهم يوم بدر . وقال مجاهد: العذاب الأول: الجوع في الدنيا، والثاني: عذاب القبر[5].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:٧٢/ب).

(٢) الهاء ساقطة من الأصل.

(٣) عبدالله بن أبي بن سلول في المدينة ولا يقال أنه حول المدينة، والمقصود من ذلك الأعراب الذين يكونون حول المدينة وليسوا فيها. وهم من مزينة وجهينه وأشجع وأسلم وغفار، كانت منازلهم حول المدينة.

انظر: تفسير البغوي (٢/٣٢٢، ٣٢٣)، وزاد المسير (٣/٤٩١).

(٤) قال البغوي: (ومن أهل المدينة): أي: ومن أهل المدينة من الأوس والخزرج قوم منافقون (٢/٣٢٣).
وقال السمرقندي في تفسيره (٢/٧٢): وهو عبدالله بن أبي وأصحابه.
قلت: وهو الصواب لأن مزينة وجهينة ومن معهم من الأعراب ليسوا من أهل المدينة وكانت منازلهم حول المدينة.

(٥) أخرجه الطبري (١٤/٤٤٢) برقم (١٧١٢٥) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٤٩٣).
والصواب أن يقال العذاب مرتين الأولى في الدنيا والثانية في الآخره.

قال الضحاك: أحدهما: مصائب الدنيا، والثاني: عذاب الآخرة[1] ﴿ **ثم يردون إلى عذابٍ عظيم** ﴾ وهو عذاب النار.

قوله: ﴿ **وءاخرون اعترفوا** ﴾ الآية، نزلت هذه الآية في تسعة نفرٍ الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وندموا على ذلك وحزنوا وكانوا مؤمنين. وكلهم من الأنصار فثلاثة منهم شدوا أنفسهم على السواري وقالوا لا نحل أنفسنا عن السواري حتى يحلنا النبي ﷺ، وهم أبو لبابة وأوس بن ثعلبة ووديعة بن خزام فأنزل الله[2] ﴿ **وءاخرون** ﴾ هذه معطوف على قوله: ﴿ **والسـٰبقون الأولون** ﴾ ﴿ **وءاخرون** ﴾ أي وقومٌ آخرون من أهل المدينة ﴿**اعترفوا** ﴾ أقروا ﴿ **بذنوبهم** ﴾ بتخلفهم عن غزوة تبوك ﴿ **خلطوا عملاً صـٰلحاً وءاخر سيئاً** ﴾ الآية. خرجوا مع النبي ﷺ مرةً إلى الغزو ﴿ **وءاخر سيئاً**﴾ قال الأخفش: تخلفوا مرةً وهو غزوة تبوك[3].

﴿ **عسى اللهُ أن يتوبَ عليهم** ﴾ أن يتجاوز عنهم وعسى من الله واجبٌ فبعث الله إليهم رسول الله ﷺ وأطلقهم عن السواري وعذرهم.

﴿ **إن الله غفورٌ** ﴾ لمن تاب منهم ﴿ **رحيمٌ** ﴾ عمن مات على التوبة قالت عائشة: ما وجدت نفسي في أي آيةٍ من القرآن إلا في هذه الآية[4]. وذكر الله السابقين فما وجدت نفسي فيهم وذكر المخلصين فما وجدت نفسي فيهم وذكر الكافرين فما وجدت نفسي فيهم وذكر المنافقين فما وجدت نفسي فيهم إلا في آيةٍ واحدةٍ من القرآن وهو قوله: ﴿ **وءاخرون اعترفوا** ﴾ الآية.

قوله: ﴿ **خُذْ من أموٰلهم صدقة** ﴾ وذلك أنهم جاءوا بأموالهم إلى النبي ﷺ

(١) أخرج الطبري مثله عن ابن زيد (١٤/٤٤٤) برقم (١٧١٣٤). ولم أقف عليه عن الضحاك.

(٢) أنظر: أسباب النزول للواحدي (٢٥٩)، وتفسير البغوي (٣/١١٧).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٧٣/أ).

(٤) لم أقف عليه.

بذلك المال فأنزل الله ﴿ خذ من أموٰلهم صدقة ﴾.

لما نزلت هذه الآية أخذ النبي ﷺ من أموالهم ثلثاً ورد إليهم الثلثين لأن ﴿ من ﴾ توجب التبعيض والأموال جمع مالٍ.

والمال الملك الذي يبلغ حد النصاب الذي تجب فيه الزكاة، وهو ستة أصناف من الورِق مائتا درهم، ومن العين عشرون مثقالاً، ومن الإبل خمسةٌ ومن الغنم/ أربعون، ومن البقر ثلاثون، ومما أنبتت الأرض مما يجب فيه الزكاة خمسة أوسقٍ.

٢٣٠/أ

﴿ خُذْ من أموٰلهم ﴾ أموال المتخلفين ﴿ صدقة تُطَهِّرُهم ﴾ من الذنوب ﴿وتزكيهم بها ﴾ وتصلحهم بها ﴿ وصَلِّ عليهم ﴾ استغفر لهم، وادع لهم ﴿ إن صلوٰتك ﴾ استغفارك ودعاءك ﴿ سكنٌ لهم ﴾ طمأنينةٌ لقلوبهم ومن السنة إذا أخذ آخذ الصدقة الدعاء لصاحب الصدقة يقول الله: ﴿ وصلِّ عليهم ﴾ أي ادع لهم ففي الخبر: أن النبي ﷺ لما أخذ الصدقة قال: « اللهم صل على آل أبي آوفى»[1].

﴿إن صلوٰتك ﴾ قريء بالجمع والوحدان[2]، فالوحدان ينبئ عن الجنس أي يقوم مقام الجمع، والجمع على الخط وهي أصح وأولى لأنها كتبت في المصاحف بالجمع.

﴿ والله سميعٌ ﴾ لمقالتهم خذ أموالنا ﴿ عليم ﴾ بتوبتهم ونيتهم.

قال الله: ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ من عباده ﴿ويأخذ﴾ ويقبل ﴿ الصدقٰت ﴾ لان القبول من الله بمنزلة الأخذ من الآدميين ﴿وأن الله هو التواب ﴾ المتجاوز ﴿ الرحيم ﴾ بمن تاب.

---

(١) الحديث في صحيح البخاري (١٣٤/٢) كتاب الزكاة.

(٢) قرأحفص وحمزة والكسائي بالتوحيد ونصب التاء، والباقون بالجمع وكسر التاء، انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٤٣/٢).

﴿ وقل اعملوا ﴾ وقل لهم يا محمد اعملوا خيراً بعد التوبة ﴿ فسيرى اللهُ عملكم ورسوله ﴾ ويرى رسوله ﴿ والمؤمنون ﴾ ويرى المؤمنون ﴿ وستُردُّون ﴾ بعد الموت ﴿ الى عـلم الغيب ﴾ والغيب ما غاب عن العباد ﴿ والشهـدةِ ﴾ ما علمه العباد ويقال: إلى عالم الغيب والشهادة ما كان ﴿ فينبئكم ﴾ يخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ وتقولون من الخير والشر.

قوله: ﴿ وءاخرون مُرْجَوْن لأمر الله ﴾ قوم آخرون من أهل المدينة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية[1] ﴿مُرْجَوْن﴾ أي مؤخرون لأمر الله موقوفون محبوسون أنفسهم لأمر الله ﴿إما يُعَذِّبهم﴾ بتخلفهم عن غزوة تبوك، ﴿وإما يتوبُ عليهم﴾ يتجاوز عنهم بتخلفهم ﴿والله عليمٌ﴾ بتوبتهم وتخلفهم ﴿حكيم﴾ فيما حكم عليهم.

قوله: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين...﴾ وذلك أن النبيﷺ لما قدم المدينة وكان بالمدينة رجلٌ يقال له: أبو عامر بن النعمان الراهب وكان ترهب في الجاهلية ويلبس المسوح فقال له النبيﷺ ما هذا الذي جئت به؟ فقال جئت بالحنيفية ما ليس منها فسماه النبيﷺ، فاسقاً فخرج من المدينة إلى الشام فلما خرج[2] دعا عليه رسول اللهﷺ أن يموت غريباً وحيداً، فلما بلغ إلى الشام كتب كتاباً وأرسل إلي المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوةٍ وسلاحٍ وابنوا لي مسجداً فإني ذاهبٌ إلى قيصر فآتي بجندٍ إلى المدينة وأخرج محمداً وأصحابهُ من المدينة فلما

---

(١) هم الثلاثة الذين خُلِّفوا، عن مجاهد والضحاك وقتادة وابن اسحاق، وعكرمة.
انظر: الأثار التي خرّجها ابن جرير الطبري عنهم في تفسيره (٤٦٦/١٤، ٤٦٧) تحت الأرقام من (١٧١٧٧) إلى (١٧١٨٥).

(٢) في تفسير البغوي (٣٢٦/٢) فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً غريباً، فقال النبي ﷺ: «آمين».

بلغ إليهم الكتاب قام قومٌ من أهل النفاق وبنوا مسجداً على قرب نصف فرسخ من المدينة منهم نبتل بن الحارث، وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وكانوا يصلون فيه ويتحدثون ويجلسون فيه وأمّهم مجمع بن جارية وكان غلاماً حديث السن يقرأ القرآن وكان مؤمناً ولم يأتوا إلى مسجد النبي ﷺ، فكلما رآهم النبي ﷺ وقال / ٢٣٠/ب لهم: لم لا تأتون المسجد قالوا: صلينا في مسجدنا، ومات الرجل الفاسق بالشام طريداً وحيداً غريباً كما دعا عليه النبي ﷺ وابنه[1] عبدالمليك أستشهد يوم أحد فأنزل الله: ﴿**والذين اتخذوا مسجداً**﴾ يعني المنافقين منهم نبتل بن الحارث وثعلبة ابن حاطب ومعتب بن قشير ﴿**ضِراراً**﴾ مضرةً ﴿ **وكفراً** ﴾ وثباتاً على الكفر ﴿**وتفريقاً بين المؤمنين**﴾ ﴿**وإرصاداً**﴾ أي وانتظاراً وتوقعاً ﴿**لمن حاربَ اللهَ ورسولَه**﴾ لمجيء من كفر بالله ورسوله وهو أبو عامر بن النعمان الراهب الذي سماه النبي ﷺ فاسقاً ﴿**من قبْل**﴾ أي قبل بناء المسجد، ﴿**وليحلفُنّ**﴾ يعني المنافقين ﴿**إنْ أردنآ**﴾ ما أردنا ببناء هذا المسجد ﴿**إلا الحسنىٰ**﴾ إلا نيةً حسنةً، ﴿**والله يشهد إنهم لكـٰذبون**﴾ في حلفهم.

قوله: ﴿**لا تَقُمْ فيه أبداً**﴾ قال الحسن: فجعل رسول الله ﷺ ينتظر الوحي يوماً وما يؤمر به، فجعل لا يأتيهم وأوْلئك لا يأتونه فلما طال ذلك عليه دعا النبي ﷺ بقميصه ليلبسه ويأتيهم فبينا هو يزره عليه إذ جاءه جبريل وأنزل[2] ﴿**لا تَقُمْ**﴾ يا محمد ﴿**فيه أبداً**﴾ الآية. قال الضحاك: لما نزلت هذه الآية بعث رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وأصحابه وقال: « انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه» ففعلوا ذلك[3] وأمرهم أن يتخذ ذلك كناسةً تلقى فيه الجيف فذلك

---

(١) اسم ابنه المعروف بغسيل الملائكة: حنظلة بن أبي عامر بن صيفي ابن مالك الانصاري الأوسي أستشهد بأحد.
انظر ترجمته في: الإصابة لابن حجر (١/٣٦٠، ٣٦١)، وأسد الغابة (٢/٦٦، ٦٧).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:٧٩/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٧٩/ب). وذكره البغوي دون غزو (٢/٣٢٧).

قوله: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ لا تصل فيه أبداً ثـم قال على الإبتداء ﴿لمسجد أُسِّسَ على التقوى﴾ فيه قولان: قال ابن عباس: مسجد قباء[1].

قال أبي بن كعب وسعيد بن المسيب: مسجد المدينة[2] الذي هو مسجد رسول الله ﷺ.

والأصح ما قاله ابن عباس وهو مسجد قباء على مقدار فرسخ من المدينة ﴿لمسجد﴾ مسجد قباء ﴿أسس على التقوى﴾ على طاعة الله ﴿من أول يوم﴾ دخل النبي ﷺ المدينة ﴿أحقُ أن تقومَ فيه﴾ أن تصلي فيه ثم أثنى على أهل مسجد قباء فقال: ﴿فيه﴾ ﴿رجالٌ﴾ في مسجد قباء ﴿رجال يُحبون أن يتطهروا﴾ أن يغتسلوا[3] أدبارهم بعد الاستنجاء[4] بالحجارة. ﴿والله يحب المطّهرين﴾ أي الذين يغسلون أدبارهم بعد ما استطابوا بالحجارة.

قال عطاء: إن أهل مسجد قباء يستنجون بالماء ولا ينامون الليل على الجنابة فلما نزلت هذه الآية ﴿فيه رجالٌ يحبون﴾ الآية قال النبي ﷺ: «ما هذا الطهور الذي أحدثتم؟ فإني أسمع الله يثني عليكم قالوا: انا نستنجي بالماء»[5] ﴿والذين اتخذوا﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/٤٧٨) برقم (١٧٢١٢، ١٧٢١٣).

(٢) أخرج الطبري الآثار عن سعيد بن المسيب في تفسيره (١٤/٤٧٨) برقم (١٧٢٠٨، ١٧٢٠٩، ١٧٢١٠).

قال الطبري في تفسيره (١٤/٤٧٩): وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو مسجد الرسول ﷺ لصحة الخبر بذلك عن رسول الله.

قلت: والحديث في صحيح مسلم، كتاب الحج (٢/١٠١٥) برقم (١٣٩٨) من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يرفعه.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: [أن يغسلوا].

(٤) هكذا في الأصل، والصواب: [الاستجمار بالحجارة] لأن الاستنجاء بالماء.

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:٧٩/ب). وأخرجه الطبري من طرق متعددة في تفسيره (١٤/٤٨٢ - ٤٩٠)، انظر: الآثار من (١٧٢٢٥) إلى (١٧٢٤١). وقد تتبع محمود شاكر طرقها وبين ما فيها من اضطراب وضعف وقوة في حاشية تفسير الطبري.

قرئ بالواو وغيرها[1] وبهما جاءت المصاحف.

قال ابن مقسم: من أثبت الواو جعله عطفاً على ما قبله، ومن أسقطها جعله ابتداءً[2] ﴿أفمن أسّس بنينه﴾ يعني مسجد قباء ﴿على تقوى من الله﴾ على طاعةِ الله ﴿ورضون﴾ ورجاء رضوانٍ ﴿خيرٌ أم مَّن أسَّسَ بنينه﴾ أي مسجد المنافقين ﴿على شفا جرف﴾ على طرف هوى ﴿هار﴾ ساقط واقع ﴿فانهار به﴾ وسقط بالمسجد ﴿فى نار جهنم﴾. قال ابن عباس: هذا على طريق التمثيل فيكون هذا في الآخرة يسقط ذلك المسجد/ في نار جهنم[3]. قال أبي بن كعب: كان هذا في الدنيا سقط ذلك المسجد في نار جهنم[4]. ٢٣١/أ

قال الأخفش: هار من هار يهور وهو مقلوبٌ وأصله هايرٌ كما يقال: شاك السلاح وشايك [5]. وقال قطرب: الهاير الساقط الواقع الذي يتداعى بعضه في أثر بعض كما ينهار الرمل الدقيق، والشئ الرخو، والفعل منه هار يهور، وانهار وينهار، وتهور الليل إذا ذهب أكثره[6]، وفي مصحف أبي فانهارت به قواعده[7] ﴿فى نار جهنم﴾ ﴿والله لا يهدى﴾ لا يرشد ﴿القوم الظلمين﴾. ﴿على شفا جرف﴾ قرئ بالتخفيف والتثقيل[8]، فالتثقيل لغة أهل الحجاز، والتخفيف لغة قيس وتميم ﴿لا يزال

---

(١) قرأ نافع وابن عامر بغير الواو، وقرأ الباقون بالواو، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٤٣).
(٢) ذكر القرطبي مثله دون عزو (٨/٢٥٣).
(٣) أخرجه البغوي (٢/٣٢٨).
(٤) لم أقف عليه.
(٥) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٥٦٠).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق: ٨٠/أ).
(٧) انظر: البحر المحيط (٥/١٠٠)، والكشاف (٢/٢١٥).
(٨) قرأ ابن عامر ويحيى وحمزة بإسكان الراء وبضمها الباقون، انظر: التذكره لابن غلبون (٢/٤٤٤).

بنيـنهم الذى بنوا ريبةً حسرةً ﴿**فى قلوبهم**﴾ أي لا يزال حسرةً في قلوبهم بنيان المسجد ﴿**إلا أن تَقَطَّعَ قلوبُهم**﴾ إلى أن ماتوا ﴿**والله عليمٌ**﴾ ببناء المسجد ﴿**حكيم**﴾ بنياتهم في ذلك البناءتقطع بضم التاء. والفتح(١)، فالضم على ما لم يسم فاعله، والفتح على تسمية الفاعل.

قوله: ﴿**إن [الله](٢) اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ الآية قال عبدالله بن رواحة وكان من خواص أصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله: إشترط لربك. فقال النبي ﷺ: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً. فقال: إشترط لنفسك. فقال: أشترط أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهاليكم فقالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: لكم الجنة. قالوا: ربح البيع لا نُقيل ولا نستقيل فأنزل الله(٣): ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين**﴾ المخلصين ﴿**أنفسَهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ قال مجاهد: ثامَنَهم فأغلى ثمنهم(٤).

وقال الحسن: مر أعرابي بالنبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية فقال: كلام من هذا؟ قال: كلام الله. قال: بيعٌ والله مربح لا نُقيله ولا نستقيله(٥). فخرج إلى الغزو فاستشهد. قال الإمام ابن فورك: فإن قيل لا يجوز أن يقال إن الله اشترى على الحقيقة لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه والله مالكٌ لجميع الأشياء على الحقيقة. قيل له:

---

(١) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة ويعقوب بفتح التاء ويضمها الباقون. انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٤٤/٢).

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري (٤٩٩/١٤) برقم (١٧٢٧٠).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق: ٨٠/ب). وأخرج الطبري هذا القول من طريق قتادة (٤٩٩/١٤) برقم (١٧٢٦٨).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق: ٨١/أ).

مثل هذا يجوز وهذا على المجاز، لا يكون على الحقيقة اشتراؤه[1] وهذا كقوله: **﴿من ذا الذى يقرض الله﴾**[2] الآية إنما قال: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ، ولم يذكر قلوبهم لأن القلب مع غير المعرفة لا قيمة له **﴿يقتلون فى سبيل الله﴾** في طاعة الله **﴿فيُقتلونَ﴾** العدو **﴿ويُقتلون﴾** أي ويقتلهم العدو. وقرئ بتقديم القاتلين[3] على المقتولين وبتقديم المقتولين[4] على القاتلين، والأول أقرب إلى الصواب[5] أن يكون قاتلاً ثم مقتولاً لأن له أجرين أجرٌ أن يقاتل، وأجرٌ أن يكون مقتولاً، ومن قدم المقتولين على القاتلين اى فيقتلون بعضهم كما تقول العرب: قتلنا بني تميم وإنما قتلوا بعضهم ويقاتلون ذلك البعض ببعض، ومن قرأ بهذه القراءة فله أجر واحدٌ وأجران، يقتل وللأول أجرٌ أن يقاتل وأجرٌ أن يقتل[6] **﴿وعداً عليه﴾** على الله **﴿حقاً فى التورة والانجيل والقرءان﴾** اي هذه الأشياء مع هذا الوعد مكتوبة في التوراة والإنجيل والقرآن وقيل حقاً ها هنا نفس الوعد بالحق، وعداً نصبٌ على المصدر وحقاً نصبٌ نعته **﴿ومن أوفى بعهده﴾** بوعده **﴿من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾** النجاة الوافر[ة][7] فلما نزلت: **﴿إن الله / اشترى﴾** قال رجل: ٢٣١/ب من زنا وسرق فله الجنة فأنزل الله هذه الآية وذكر من هم فقال: **﴿التبون﴾** الآية وإنما قال ذلك الرجلُ من زنا وسرق فله الجنة لأنه ليس في الآية ذكر الزنا والسرقة،

---

(١) هذا تأويل على خلاف الظاهر والواجب المصير إلى ظاهر القول ، ولا يجوز تفسير القرآن على قواعد المتكلمين الذين يجعلون كلام الله وكلام رسوله ﷺ موافقاً لقواعدهم الكلامية.

(٢) البقرة ٢٤.

(٣) قراءة جمهور القراء من السبعة. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٤٥).

(٤) قرأبها حمزة والكسائي. انظر: المصدر السابق (٢/٤٤٤).

(٥) هذا القول مردود لأن القراءتين كلاهما ثابته وسبعية، فكلاهما صواب، والمعنى أن الشراء واقع سواء قتلوا أو قتلوا فالأجر ثابت للفريقين.

(٦) هذا الكلام غير صحيح لأن الله تعالى أخبر أنه اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن يقاتلوا أو يقتلوا فأي واحد من الأمرين وقع فقد وقعت عليه المبايعة يعني القتال بدون أن يستشهدوا أو القتال مع الاستشهاد.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل

وإنما ذكر في الآية بذل الأنفس والأموال فله الجنة فقال الرجل: من جاهد وبذل الأموال والأنفس وزنا وسرق ومع ذلك فله الجنة لأن الله لم يقل إن [الله][1] اشترى الآية واجتنب الزنا والسرقة والمعاصي والذنوب[2] ﴿**العبدون**﴾ والعابدون الموحدون في آناء الليل والنهار ﴿**الحمدون**﴾ له على كل حال ﴿**السحون**﴾ الصائمون ﴿**الركعون السجدون**﴾ في الصلوات الخمس ﴿**الأمرون بالمعروف**﴾ بالطاعة ﴿**والناهون عن المنكر**﴾ عن المعصية ﴿**والحفظون لحدود الله**﴾ لمحارم الله ﴿**وبشر المؤمنين**﴾ بالجنة.

قوله: ﴿**التئبون**﴾ في رفعه ثلاثة أقاويل: أحدها: رفع لأنه اسم يقتلون. والثاني: إبتداءٌ وخبره محذوفٌ. والثالث: رفع خبر إبتداءٍ مضمر فيه على تقديرهم: والتائبون. وهذا أصح هذه الأقاويل[3].

قال عطاء: ﴿**التئبون**﴾ عن الشرك ﴿**العبدون**﴾ الموحدون الله ﴿**الحمدون**﴾ الله في السراء والضراء ﴿**السئحون**﴾ الغزاة في سبيل الله[4] والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴿**الركعون السجدون**﴾ بنية صادقة بلا رياء ولا سمعة ﴿**الأمرون بالمعروف**﴾ بأداء فرائض الله وحدوده ﴿**والناهون عن المنكر**﴾ عن ترك الفرائض ﴿**والحفظون لحدود الله**﴾ لما يقرب إلى الله

وقال الحسن: ﴿**العبدون**﴾: الذين عبدوا الله بإتباع أمره وآثروه في الأرض على ما دونه[5] ﴿**والحمدون**﴾ الله على كل حالٍ، ﴿**السئحون**﴾ الذين صاموا عن

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

(٢) هذا الكلام لا حاجة إليه، وهذا القول الذي قال إن رجلاً قاله يظهر أنه لا أصل له، إذ لم أعثر عليه بعد البحث والله جل وعلا وصف المبايعين بالإيمان، وشأن المؤمن الالتزام بما شرع واجتناب ما يخالفه.

(٣) انظر: التبيان في أعراب القرآن (٢/٦٦٢) فقد رجح ذلك.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٥٢/أ)، والبغوي (٢/٣٣٠).

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٥١/ب) والبغوي (٢/٣٣٠).

الحلال وأمسكوا عن الحرام وها هنا والله أقومٌ رأيناهم صاموا عن الحلال ولم يمسكوا عن الحرام والله ساخطٌ عليهم ﴿**الركعون السجدون**﴾ الذين ينتهون بها عن الفحشاء والمنكر وها هنا والله أقوامٌ يصلون فما ينتهون لصلاتهم عن الفحشاء والمنكر ومن لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً ﴿**الأمرون بالمعروف**﴾ الذين يعملون بالأعمال الصالحة ويأمرون الناس بها ﴿**والناهون عن المنكر**﴾ وهم أشد الناس اجتناباً ﴿**والحفظون لحدود الله**﴾ أهل الوفاء ببيعة الله.

وقال أبو عبيد: بلغني عن سفيان بن عيينة أنه قال: إنما قيل للصائم سائحٌ لأنه تارك اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح[1].

قوله: ﴿**والناهون عن المنكر**﴾ فيه ثلاثة أقاويل: [أحدها][2] إنما ادخلوا الواو في قوله: ﴿**والناهون عن المنكر**﴾ لأن من عادةِ العرب إذا ذكروا عدداً جعلو في ثامنها واواً يقال لها: الثامنة. كقوله تعالى: ﴿**مسلمت**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**وثامنهم كلبهم**﴾[4] وفتحت أبوابها. الزمر.

والثاني: أن هذه الواو يقال لها واو الغمور وانما سميت واو الغمور [...][5] لأن صاحبه يغمر بالمدح لأن الصفات تكاملت، وتمام العدد عند العرب سبع فإذا ذكرت بصفةٍ ثامنةٍ فقد غمرت صاحبها بالمدح فلهذا سمي واو الغمور.

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٥١/ب) والبغوي في تفسيره (٣٣٠/٢)، والسيوطي في الدر المنثور ونسبه إلى ابن المنذر (٢٩٨/٤).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل وتم اثباته.

(٣) جزء من الآية في سورة التحريم (٥) وبدايتها ﴿ **عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمت** ... ﴾الاية.

(٤) سورة الكهف آية (٢٢).

(٥) في الأصل: [لأن واو الغمور] وهي جملة لا يستقيم الكلام بها فحذفتها.

والثالث: أنما أثبت الواو لكيلا يتوهم متوهم أن الناهي عن المنكر هو الآمر بالمعروف فادخل هذه الواو ليعلم بها الفرق بينهما .

قال ابن عطاء: قوله: ﴿التـٰئبون العـٰبدون الحـٰمدون﴾ لا تصح العبادة الا بالتوبة، ولا التوبة الا بالحمد ولا يصح الحمد إلا بمداومة السياحة والرياضة[1] ولا تصح هذه المقامات والمقدمات إلا بمداومة الركوع والسجود ، ولا يصح شيئٌ مما تقدم إلا بحفظ الحدود ظاهراً وباطناً ، والمؤمن من تكون هذه صفته لأن الله يقول ﴿وبشر المؤمنين﴾ الذين هم بهذه الصفة.

١/٢٣٢

قوله: ﴿ما كان للنبى والذين / ءامنوا أن يستغفروا ﴾ الآية. فى نزول هذه الآية قولان:

أحدهما: ما روى الزهري عن سعيد بن المسيب [عن أبيه][2] قال: لما حضر أبا طالب الموت عم رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن [أبي][3] أمية وقريش، فقالت قريشٌ يا أبا طالب: إن شاء ابن أخيك فيرسل اليك شيئاً من هذه الجنة التى يذكر ليكون لك فيه شفاء، فخرج واحد منهم حتى أتى رسول الله فوجده جالساً مع أبي بكر فقال: يا محمد إن عمك يقول يا ابن أخى إني كبيرٌ ضعيفٌ سقيمٌ فأرسل إلي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها بشيء ليكون لي شفاء، فقال أبو بكر: إن الله حرّمها على الكافرين، فرجع إليهم الرسول وأخبرهم ثم إن رسول الله ﷺ دخل عليه فوجد البيت مملوأ ورجالاً فقال: خلوا بينى وبين عمي قالوا: ما نحن بفاعلين، وما أنت بأحق منا إن كان لك قرابةٌ فلنا قرابةٌ. قال فجلس إليه فقال: يا عم جزيت عنى خيراً أعني [عن][4] نفسك بكلمةٍ واحدةٍ أشفع لك بها عند الله يوم

(١) السياحة والرياضة ليست من العبادة وإنما هي من الرهبانية المبتدعة.

(٢) مابين المعقوفتين ساقط من الأصل وتم تصويبه من صحيح البخاري وغيره.

(٣) ساقط من الأصل وتم اثباته من صحة الاسم في كتب السنن والتفسير.

(٤) هكذا في الأصل، والصواب: [على] بدل: [عن]. كما جاء في رواية الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٦٤).

القيامة. قال وما هي يا ابن أخي؟ قال: قل لا إله الا الله وحده لا شريك له. قال: إنك لي ناصحٌ والله لولا أن تعيرني بها نساء قريش بعدي فيقال جزع عمك من الموت لأقررت بها عينك لقلت ذلك فقال له رسول الله ﷺ : لا أزال أستغفر لك ربي حتى يغفر لك واستغفر له بعد ما مات. فقال المسلمون : ما يمنعنا أن نستغفر[1] لآبائنا ولذوي قراباتنا قد استغفر إبراهيم لأبيه، وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فأنزل الله[2]: ﴿ما كان للنبى والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ .
قال ابن مسعود: خرج علينا رسول الله ﷺ وخرجنا معه حتى انتهينا الى المقابر وجلسنا فجلس إلى قبر أمه فناجاه طويلاً ثم بكى بكاءً شديداً، فبكينا لبكائه فلما قام تلقاه عمر فقال: يا رسول الله ما الذي ابكاك؟ قال: «كنت على قبر ابنة وهب أراد أمه، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واستأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي»، ونزلت علي هذه[3] الآية: ﴿ما كان للنبى﴾ أي ما جاز لمحمد.

والفرق بين قوله: ﴿ما كان للنبى﴾ و ﴿ما كان لنبى﴾ أن المراد بالأول هذا النبي يعني محمداً . والثاني: أراد نبياً من الأنبياء.

﴿ما كان للنبى﴾ ما جاز لمحمد ﴿ والذين ءامنوا﴾ ولا المؤمنين﴿أن

---

(١) في الأصل يستغفر بالياء والتصويب ما أثبته تصحيحاً من الرواية في أسباب النزول للواحدي (ص:٢٦٥).

(٢) هذه الرواية المطوله التي ذكرها المؤلف ذكرها الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٦٤ - ٢٦٥) وأخرجها البخاري مختصرة في صحيحه (٢٠٨/٥) كتاب التفسير ومسلم (٢١٣/٨ - ٢١٦)، وابن جرير الطبري (٥٠٩/١٤ - ٥١٠) برقم (١٧٣٢٤، ١٧٣٢٥).

(٣) هذا الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه (٣٣٦/٢) وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: أيوب بن هاني ضعفه ابن معين.
والثابت أن قبر أم النبي ﷺ في الأبواء بين مكة والمدينة، وليس في المقابر كما ذكر المؤلف رحمه الله وزيارته لقبر أمه حدثت في أحد أسفاره إلى مكة.
انظر: سيرة ابن هشام (١٦٨/١).

يستغفروا﴾ يدعوا **﴿للمشركين ولو كانوا أولى قربى﴾** ذوا قرابةٍ **﴿ من بعد ما تبين لهم أنهم أصحـٰـب الجحيم﴾** أي من بعد ما ماتوا على الكفر.

﴿ وما كان استغفارُ إبرٰهيم لأبيه إلا عن موعدةٍ وعدهآ إياه ﴾ في الهاء التي في **﴿ إياه ﴾** قولان:

أحدهما: تعود على إبراهيم ، أي الا عن موعدة وعدها إياه أن يسلم وذلك أن آزر وعد إبراهيم أن يسلم فاستغفر لأجله ، وأكثر العلماء على أن العدة لإبراهيم ، والهاء عائدةٌ على أبيه وذلك أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له لقوله: **﴿ سلامٌ عليك سأستغفر لك ربى﴾**[1] والدليل على أن الهاء راجعةٌ على أبيه قراءة الحسن أنه قرأ **﴿ إلا عن موعدة وعدها أباه﴾** بالباء[2].

وقال أبو عمرو بن العلاء: ما تعلمت القرآن في الصغر فلما كبرت أخذت المصحف وقرأت القرآن من أوله إلى آخره ما غلطت في حرف إلا في قوله: **﴿ إلا عن موعدة وعدها أباه ﴾** فقراءته مثل قراءة الحسن[3] **﴿ فلما تبين له أنه عدوٌّ لله ﴾** اي فلما مات كافراً **﴿ تبرأ ﴾** إبراهيم **﴿ منه ﴾** ثم ابتدأ فقال: **﴿ إن إبرٰهيم لأوٰهٌ ﴾** لدعاءٍ **﴿حليم ﴾** من الجهل واختلفوا في الأواه من وجوه:

أحدها: قال ابن عباس: الأواه التواب[4].

وقال الحسن: الرحيم[5].

---

(١) آية ٤٧ سورة مريم.

(٢) قرأ بها الحسن . انظر: البحر المحيط (١٠٥/٥) ، والكشاف (٢١٧/٢).

(٣) لم أقف على ذلك.

(٤) أخرجه الطبري (٥٢٩/١٤) برقم (١٧٤٠٣).

(٥) أخرجه الطبري (٥٢٦/١٤) برقم (١٧٣٨٢).

قال مجاهد: المؤمن[1].

قال عطاء: الأواه الراجع من كل ما يكره الله[2].

قال كعب[3]: الأواه الذى إذا ذكر النار قال اوه[4].

وقيل[5]: الأواه المتوجع المتضرع إلى ربه خوفاً وإشفاقاً.

وأصل الأواه من التأوه وهو التوجع والتحزين يقال: تأوه يتأوه تأوها أي توجع وتحزن وأنشد[6]:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

قال إبراهيم النخعي: كان أبو بكر يسمي الأواه لشفقته ورقته[7].

وروي عن النبي ﷺ: الأواه الخاشع[8].

قوله: ﴿وما كان اللهُ ليضلَّ قوماً﴾ الآية قال الكلبي: وذلك أن الله لما أنزل الفرائض فعمل بها الناس ثم جاء من نسخها من القرآن وقد غاب ناس الى السفر وهم يعملون بالأمر الأول من القبلة والخمر وأشباههما ولم يعلمو[9] بالناسخ فلما رجعوا

---

(١) أخرجه الطبري (٥٢٩/١٤) برقم (١٧٤٠٤).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٥٥/ب) والبغوي (٣٣٢/٢).

(٣) هو كعب الأحبار.

(٤) أخرجه الطبري (٥٣٠/١٤) برقم (١٧٤١٢، ١٧٤١٣، ١٧٤١٤).

(٥) أخرجه الطبري (٥٣١/١٤ - ٥٣٢) برقم (١٧٤١٦، ١٧٤١٧) عن عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي يرفعه، وهو تابعي ثقة فهذا الحديث مرسل.

(٦) البيت للمثقب العبدي. انظر ديوانه (ص:٢٩)، وطبقات فحول الشعراء (ص:٢٣١)، واللسان مادة (أوه).

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره (ق:١٥٥/ب) ولم ينسبه لأحد.

(٨) انظر رواية عبدالله بن شداد عند الطبري برقم (١٧٤١٧) يرفعه وهو خبر مرسل كما أسلفنا.

(٩) هكذا في الأصل والصواب: [يعلموا].

سألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله[١]: ﴿ **وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هدٰهم** ﴾ يعني لينزل قوماً منزلة الضلالة بعد إذ هداهم.

قال الكلبي: ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ ﴿ **حتى يُبين لهم ما يتقون** ﴾ أي ما يأتون ويذرون من الناسخ[٢] والمنسوخ ونظيره: ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمٰنكم** ﴾[٣] ﴿ **إن الله بكل شيءٍ** ﴾ من الناسخ والمنسوخ ﴿ **عليمٌ** ﴾ عالمٌ ﴿ **إن الله له ملك السمٰوات** ﴾ خزائنها بالمطر ﴿ **والأرض** ﴾ بالنبات ﴿ **يحيى ويميت وما لكم من دون الله** ﴾ من عذاب الله ﴿ **من وليٍ** ﴾ قريبٍ ينفعكم ﴿ **ولا نصير** ﴾ ناصرٌ يمنعكم من عذاب الله.

قوله: ﴿ **لقد تاب الله على النبى** ﴾ الآية. قال كعب بن مالك: كنا من الثلاثة الذين قبل[٤] رسول الله ﷺ عذرهم منهم حين خلفوا في التخلف عن غزوة تبوك فجئت النبي ﷺ فقال: وما خلفك عن غزوة تبوك؟ قلت: لا والله ما كان لي عذرٌ فقال رسول الله: أما هذا فقد صدق: فقلت معي مرارة بن الربيع العنزي وهلال بن أمية الواقفي ونهى النبي ﷺ عن كلامنا فقال: قم حتى يقضي الله فيك فاجتنبنا عن الناس ولبثنا على ذلك خمسين ليلة فأنزل الله على رسوله: ﴿ **لقد تاب الله** ﴾ لقد تجاوز الله ﴿ **على النبى والمهٰجرين والأنصار الذين** ﴾ يعني صلوا القبلتين وشهدوا بدراً ﴿ **الذين اتبعوه** ﴾ في غزوة تبوك ﴿ **فى ساعة العُسْرة** ﴾ في حين الشدة، وإنما

---

(١) أخرجه الثعلبي (ق:١٥٦/أ) والبغوي (٣٣٣/٢).

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف (ق:١٥٦/أ) والبغوي (٣٣٣/٢).

(٣) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

(٤) الخبر بطوله رواه البخاري في صحيحه (٢٠٨/٥، ٢٠٩) ومسلم (٢١٢٠/٤) ولم يكن فيه أن الرسول ﷺ قبل عذرهم، بل الثابت عنه أنه ﷺ أعرض عنهم وأمر الناس بالإعراض عنهم وعدم الكلام معهم، فليس بصحيح ما ذكره المؤلف هنا من أن النبي قبل عذرهم منهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فأنزل توبته عليهم.

سمى الله وقت خروج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك ساعة العسرة لأنهم كانوا في عسرة من الزاد والظهر و[الماء][١] والناض فلهذا سمى ساعة العسرة ﴿ **من بعد ما كاد يزيغ**﴾ تميل ﴿ **قلوب فريق منهم** ﴾ من المؤمنين فتخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك وقال عمر: أصابنا عطشٌ شديدٌ في غزوة تبوك فوقع في قلوبنا كراهية الماء فأمطر الله السماء بدعاء النبي ﷺ فزال عنا ذلك[٢] ومالت قلوبنا عن الحق فذلك قوله: ﴿ **من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم** ﴾ ثم تجاوز الله عنهم ﴿ **إنه بهم** ﴾ بالمؤمنين ﴿ **رءوفٌ رحيمٌ** ﴾ .

﴿ **وعلى الثلـثة** ﴾ معناه: وتجاوز الله عن الثلاثة ﴿ **الذين خلفوا** ﴾ عن غزوة تبوك يعنى كعباً ومرارةً بن الربيع وهلال بن أمية.

قال ابن عباس: كلهم من الأنصار[٣]، وهم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿ **وءاخرون مرجون لأمر الله إمايعذبهم وإما يتوب عليهم** ﴾فقبل الله توبتهم في هذه الآية ﴿ **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ**﴾ بسعتها ﴿ **وضاقت عليهم أنفسهم** ﴾ قلوبهم وضيق الأرض عليهم إن المؤمنين منعوا من كلامهم ومعاملتهم وأُمر أزواجهم باعتزالهم، وكان النبي ﷺ معرضاً عنهم إلى أن أنزل الله توبتهم وأمر بالرجوع إليهم فهذا قوله: ﴿ **حتى إذا ضاقَتْ عليهم الأرضُ** ﴾ الآية إلى قوله: ﴿ **وظنوا** ﴾ وأيقنوا ﴿ **أنْ لا مَلْجَأَ من الله إلا إليه** ﴾ أي لا نجاة من عذاب الله إلا برحمته فتابوا.

الملتجأ: معناه الموضع الذي يعتصم به كأنه، قيل: لا معتصم من الله إلا به ﴿ **ثم**

---

(١) في الأصل: [المال] والصواب ما أثبته تم تصويبه من كتب التفسير ، انظر: تفسير الطبري (٥٤٠/١٤).

(٢) أخرجه الطبري (٥٤١/١٤) عنه مع وجود اختلاف في بعض الفاظ الرواية.

(٣) خرّجه الطبري في تفسيره (٥٤٥/١٤) عن مجاهد والضحاك وسعيد.

تاب عليهم ﴾ أي وفقهم الله ليندموا . وقيل معناه: لطف عليهم في التوبة ﴿ **ليتوبوا إن الله هو التواب** ﴾ المتجاوز ﴿ **الرحيم** ﴾ المنعم.

﴿ **يـٰأيها الذين ءامنوا اتقوا الله** ﴾ أطيعوا الله ﴿ **وكونوا مع الصـٰدقين** ﴾ مع أبى بكر وعمر[1] في الخروج إلى الغزو. وقيل:[2] وكونوا مع النبين والصديقين فى الجنة بالعمل الصالح في الدنيا[3].

وقيل: مع الصادقين بالقول والعمل والنية عن قتادة[4].

إلى ها هنا نزلت في الثلاثة الذين خُلِّفوا .

قوله: ﴿ **ما كان لأهل المدينة** ﴾ أي ما جاز لأهل المدينة ﴿ **ومن حولهم** ﴾ يعني ومن حول المدينة مثل جهينة ومزينة ﴿ **من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله** ﴾ في الغزو ﴿ **ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه** ﴾ ومعناه: ولا يكونوا أشق على أنفسهم من النبي على نفسه.

قال أكثر المفسرين:[5] هذه الآية خاصة في صحبة النبيﷺ والخروج معه.

وقال ابن المبارك والأوزاعي: هى لآخر الأمة وأولها ﴿ **ذلك** ﴾ الجهاد[6] ﴿ **بأنهم لا يصيبهم ظمأ** ﴾ عطش ﴿ **ولا نَصَبٌ** ﴾ تعبٌ ﴿ **ولا مخمصةٌ** ﴾ ولا مجاعةٌ ﴿ **فى**

---

(١) هذا المعنى روي عن سعيد بن جبير أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٥٥٥) برقم (١٧٤٥٤).

(٢) بهذا التفسير قال ابن جرير الطبري (١٤/٥٥٨).

(٣) قال به ابن جرير الطبري (١٤/٥٥٨).

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره مخطوط (ق:١٦١/أ).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:٨٥/أ)، وابن الجوزي (٣/٥١٥).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره عن الأوزاعي وعبدالله بن المبارك وغيرهما (١٤/٥٦٣) برقم (١٧٤٦٣).

سبيل الله ولا يطئون موطئاً ﴾ ولا يجوزون مكاناً ﴿ **يَغيظُ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً** ﴾ ولا يقتلون من عدوٍ قتلاً ولا هزيمةً ﴿**إلا كُتِب**﴾ الله ﴿ **لهم** ﴾ في جميع ذلك ﴿**به عملٌ صالحٌ** ﴾ ثواب عملٍ صالح ﴿ **إن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ وروي أن رسول الله قال: «من خرج في سبيل الله لم يضع قدماً ولا يداً ولا رجلاً ولا أنفاً ولا ركبة ساجداً ولا راكعاً ولا ماشياً ولا قائماً في بقعة من بقاع الله إلا أذن الله له بالشهادة وبالشفاعة وإن أصابه ظمأ سقاه الله من نهر الحيوان، فلا يصيبه ظمأ بعده وإن أصابه نصبٌ أعطاه الله العسل من نهر الحيوان فانقطع منه النصب وهو قوله تعالى ﴿**ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصبٌ** ﴾الآية. فإن قضى الله له بالشهادة فهو حيٌ عند الله يرزق والناس أموات حين يبعثهم الله».[1]

﴿**ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً** ﴾ قليلاً ولا كثيراً ﴿**ولا يقطعون وادياً**﴾ ولا يجوزون موضعاً ﴿**إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن**﴾ ثواب أحسن ﴿ **ما كانوا يعملون** ﴾.

قوله: ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كآفة** ﴾ قال الكلبي[2]: لما أنزل الله عيوب المنافقين وبيّن نفاقهم في غزوة تبوك وعاتب المؤمنين فقال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ولا نتخلف عن سريةٍ أبداً، فلما قدم رسول الله المدينة وأمر بالسرايا إلى الغزو فخرج المسلمون جميعاً، وتركوا رسول اللهﷺ وحيداً فريداً بالمدينة فأنزل الله ﴿ **وما كان** ﴾ وما جاز للمؤمنين ﴿**لينفروا كآفةً**﴾ ليخرجوا في السرية جميعاً ﴿ **فلولا** ﴾ فهلا ﴿**نفر من كل فرقة منهم طائفةٌ** ﴾ جماعةٌ وفي هذه الآية فضّل أهل العلم بأن الله سوّى الذين يتعلمون العلم مع الذين يجاهدون في سبيل الله فقال: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة** ﴾ الآية.

---

(١) هذا الحديث لم أقف عليه ومتنه يدل على أنه موضوع والله أعلم.

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٦٢/أ).

وفيه مضمرٌ أن يخرج طائفة وتبقى طائفة من المؤمنين بالمدينة ﴿ **ليتفقهوا فى الدين** ﴾ عن النبي ﷺ ﴿ **ولينذروا** ﴾ يخبروا ﴿ **قومهم** ﴾ ﴿ **إذا رجعوا إليهم** ﴾ من الغزو إلى المدينة ﴿ **لعلهم يحذرون** ﴾ يعلمون أمر الله ونهيه.

قوله: ﴿ **يـٰأيها الذين ءامنوا قـٰتلوا الذين يَلونكم من الكفار** ﴾ يعني الكفار الذين هم حول المدينة وهذا أمرٌ بمقاتلة الأقرب فالأقرب، والأمر بالأقرب فالأقرب صحيح لأن له حداً معلوماً والأمر بالأبعد فالأبعد غير صحيح لأنه ليس له حدٌ معلوم، ﴿ **ولَيجَدوا** ﴾ يعني الكفار ﴿ **فيكم غِلْظَةً** ﴾ شدة وفيه ثلاث لغات:

ضم الغين[1] وفتحها[2] وكسرها[3]، وبها جاءت القراءة.

قال الضحاك: الغلظة العنف[4].

وقال مجاهد: الشدة[5].

وقال الحسن البصري: الصبر على شدة العدو[6].

وقيل: الغلظة الشجاعة[7].

والغلظة ضد الرقة.

﴿ **واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ بالنصرة.

---

(١) قراءة شاذة قرأ بها أبان بن عثمان وقيل: ابن تغلب. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٥٥، ٥٦).

(٢) قرأ بفتح الغين المفضل عن عاصم. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٤٥)، ومختصر في شواذ القرآن (ص:٥٦).

(٣) وقرأ الباقون بكسرها. انظر المصدر السابق.

(٤) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره مخطوط (ق:٨٣/ب).

(٥) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره مخطوط (ق:٨٣/ب).

(٦) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره مخطوط (ق:٨٣/ب).

(٧) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره مخطوط (ق:٨٣/ب).

قوله: ﴿ وإذا مآ أنزلت سورةٌ ﴾ في إذا وجهان:
أحدهما: صلة. والثاني: جزاءٌ.

﴿فمنهم﴾ من المنافقين ﴿من يقول﴾ بعضهم لبعضٍ ﴿أيكم زادته هـٰذه﴾ السورة ﴿إيمـٰناً﴾، خوفاً ويقيناً.

قال الله: ﴿ فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمـٰناً ﴾ خوفاً ويقيناً ﴿ وهم يستبشرون﴾ بذلك ﴿وأما الذين فى قلوبهم مرضٌ ﴾ شكٌ ونفاقٌ ﴿فزادتهم﴾ هذه السورة ﴿رجساً إلىٰ رجسهم ﴾ أي شكاً إلى شكهم وكفراً إلى كفرهم ﴿ وماتوا وهم كـٰفرون ﴾ .

قال عليٌّ بن أبي طالب: إن الإيمان يبدوا لمظةً[1] بيضاء في القلب فكلما ازداد الإيمان عظماً ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق يبدوا لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق إزداد ذلك السواد حتى يسود القلب كله وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمنٍ لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق لوجدتموه أسود[2].

الزيادة: : ضم الشيء إلى غيره مما يشاركه في صفةٍ لأنك لو ضممت حجراً إلى ذهبٍ لم تكن زدت على الذهب كما لو ضممت ذهباً إلى ذهب.

والشك في الدين مرض القلب.

قوله: ﴿ أوَ لا يَرون ﴾ أي المنافقون ﴿أنهم يفتنون﴾ يقتلون ﴿فى كل عام مرة

---

(١) في تفسير البغوي [لمعة بيضاء].
واللُمظةُ: بضم اللام، بياض في جحفلةِ الفرس السُفلى من غير الغرة. واللمُظةُ كالنكتة من البياض.
انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (لمظ) (٣/٣٩٥).

(٢) الأثر جاء في غريب الحديث للهروي (٣/٤٦٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/٢٧١).

أو مرتين﴾ أي أنهم يعرفون مرة ثم ينكرون وهذه أعجب الأقاويل لاستشهاد ما قبله وما بعده.

قال مجاهد: إنهم يفتنون في كل عام مرة ومرتين بالقحط والشدة[1].

وقال عطية: بالأمراض والأوجاع[2].

وقال قتادة: بالغزو[3].

وقال مرة الهمذاني: بالكفر[4].

وقال مقاتل: باظهار النفاق.[5]

وقال يمان: بنقض العهد الأول.[6]

وقال عكرمة: مرة بالنفاق ومرة بالإيمان.[7]

﴿ثم لا يتوبون﴾ من ذلك **﴿ولا هم يذَّكَّرون﴾** يتعظون.

قوله: **﴿ وإذا مآ أنزلت سورة ﴾** وفيها عيب المنافقين وهم في مجلس النبي ﷺ فإذا قرأ عليهم النبي تلك السورة **﴿نظر بعضهم الى بعض﴾** اى المنافقون قال بعضهم لبعض: **﴿هل يريٰكم من أحدٍ ﴾** وهل يراكم أحدٌ من المؤمنين لأهرب وفي هذا اضمار: فإذا لم يرهم أحدٌ من المؤمنين هربوا من المجلس **﴿ ثم انصرفوا ﴾** عن الصلاة

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٥٨٠) برقم (١٧٤٩٠، ١٧٤٩١، ١٧٤٩٣) بلفظ بالسَّنة والجوع. والثعلبي (ق:١٦٤/ب).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٦٤/ب).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٥٨٠) برقم (١٧٤٩٤).

(٤) أخرجه الثعلبي (ق:١٦٤/ب).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٢٠٤)، والثعلبي في تفسيره (ق:١٦٤/ب) عن مقاتل بن حبان.

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٦٤/ب).

(٧) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره مخطوط (ق:٨٤/ب).

والخطبة واستماع القرآن والحق ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾ الى النفاق.

وفيه تقديم وتأخيرٌ معناه: صرف الله قلوبهم إلى النفاق ثم انصرفوا عن الصلاة والخطبة واستماع الحق ذلك الصرف ﴿ بأنهم قومٌ لا يفقهون ﴾ أمر الله.

قال ابن عباس: لا تقولوا إذا صليتم انصرفنا فإن الله عير قوماً فقال: ﴿ ثم انصرفوا ﴾ الآية ولكن قولوا قد صلينا[١].

قوله: ﴿ لقد جآءكم رسولٌ من أنفسكم ﴾ قال أبي بن كعب: هاتان الآيتان آخر ما نزلتا من القرآن على النبي ﷺ[٢].

﴿لقد جآءكم ﴾هذا الخطاب لأهل مكة.

﴿ رسولٌ ﴾ محمدٌ ﴿ من أنفسكم ﴾ فيه قراءتان بضم[٣] الفاء ونصبها[٤] فمن قرأ أنفُسكم بضم الفاء معناه: من قبائلكم ومن جنسكم.

وقال ابن حبيب: رأيت في بعض التفاسير من أنفسكم من مثل خلقكم يعني بشراً مثلكم[٥].

وقرأ رسول الله ﷺ رسولٌ من أنْفَسِكُمْ[٦] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٥٨٣) برقم (١٧٤٩٨، ١٧٤٩٩، ١٧٥٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما مع تغيير يسير في اللفظ، والثعلبي في تفسيره (ق:١٦٥/أ).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/٥٨٨) برقم (١٧٥١٤)، (١٧٥١٧)، وذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:٨٤/ب).

(٣) قراءة الجمهور وهي القراءة الصحيحه الموافقه لرسم المصحف.

(٤) قراءة شاذة، انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٥٦)، وفي المحتسب (١/٣٠٦) قرأ بها عبدالله بن قسيط المكي.

(٥) انظر تفسير ابن حبيب مخطوط (ق:٨٤/ب).

(٦) انظر: مختصر في شواذ القرآن (ص:٥٦) ونُسبت هذه القراءة إلي رسول الله ﷺ وفاطمة وابن عباس رضي الله عنهم، والنسبة غير صحيحة.

قال علي بن أبي طالب: ما معنى أنفسكم قال: «أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً ليس فيّ ولا في أبائي من لدن آدم سفاحٌ بل كله نكاحٌ».[1]

فمن قرأ بنصب الفاء أي فمعناه: من أشرفكم.

﴿ عزيز ﴾ شديدٌ ﴿ عليه ﴾ على محمدٍ ﴿ ما عنتم ﴾ أثمتم.

وفي العزيز قولان:

قال عبدالعزيز بن يحيى الكتاني: العزيز من نعت الرسول[2].

وقال أكثر المفسرين: ليس من نعت الرسول.

فمن قال العزيز نعت الرسول وقف على عزيز ثم ابتدأ عليه ﴿ما عنتم ﴾ أي الشفاعة فيما أثمتم.

ومن قال العزيز ليس من نعته وقف على أنفسكم ثم ابتدأ فقال: ﴿ عزيزٌ عليه﴾ شديدٌ على محمدٍ ﴿ ما عَنتم ﴾ ما أثمتم ﴿ حريصٌ عليكم ﴾ على إيمانكم وعلى طاعتكم، ثم ابتدأ فقال ﴿ بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ ﴾ قال الحسين بن الفضل: لم يجتمع لأحدٍ من المخلوقين اسمان من اسماء الله غير نبينا قال الله: ﴿ بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ﴾[3] ﴿فإن تولوا﴾ فإن أبوا عن الإيمان والطاعة ﴿فقل﴾ يا محمد ﴿ حسبى الله لا إله الا هو عليه توكلت ﴾ به وثقت ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ وإنما خص الذكر بأنه ﴿ رب العرش العظيم ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه لما ذكر الأعظم دخل فيه الأصغر.

والثاني: أنه خص بالذكر رب العرش العظيم تشريفاً وتعظيماً لشأنه.

والثالث: أنه خص بالذكر رب العرش العظيم ليكون دلالة على أنه ملك الملوك لأنه رب السرير الأعظم.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (١٧٧/٤).

(٢) ذكر ذلك ابن حبيب (ق:٥٥/أ).

(٣) ذكر قول الحسين بن الفضل أبو القاسم بن حبيب (ق:٨٥/أ).

تفسير سورة يونس عليه السلام

لهـا اسمـان سـورة يونس وزهد الدنيـا[1]. وهى السـورة الخـمـسين في النزول والعاشرة في العدد وهي كلها مكيةٌ إلا آية واحدة نزلت بالمدينة وهي[2] قوله: ﴿**ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به**﴾ الآية[3].

عدد حـروفها عـشرة آلاف وثمـان مائة وتسعـة وثمانون حرفـاً وعدد كلمـاتها الفان وخمسمائة غير واحدةٍ وعدد آياتها مائة وتسعٌ عند الجميع إلا عند الشامى فإنهم قالوا: مائةٌ وعشر آياتٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم بسم الخالق وحده الذي ليس من شأنه سهو ولا غفلةٌ.

قوله: ﴿ آلــر ﴾ قال ابن عباس: أنا الله أرى[4] ، وقيل : معناه: أنا الرب لا رب غيري[5].

فقـال عكرمة: ﴿ آلــر ﴾ من حروف الـرحمن[6] وذلك أنك إذا جـمعت الر وحم ون، فقد أتممت حروف الرحمن.

ويقال: عزائم السورة يعني قسماً أقسم الله به[7]، وقيل: اسم السورة[8] ومن قال:

---

(١) لم أقف على تسميتها بهذا الاسم، وعند الجميع تعرف باسم سورة يونس.

(٢) هذا قـول الكلبي حكاه عنه القـرطبي فـي كتـابه الجـامع لإحكام القـرآن (٣٠٤/٨)، وقـال: نزلت بالمدينة في اليهود.

(٣) سورة يونس آية ٤٠.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/١٥) برقم (١٧٥١٩).

(٥) ذكره أبو القاسم ابن حبيب في تفسيره مخطوط (ق/٨٥/أ).

(٦) أخـرجـه الطـبـري في تفـسـيره عـن عكرمـة عن ابن عـبـاس رضي الله عنهـمـا (١٠/٥) برقـم (١٧٥٢٠).

(٧) أخرج الطبري ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة (٢٠٧/١) برقم (٢٣٦، ٢٣٧).

(٨) أخرجه الطبري عن ابن زيد (٢٠٦/١) برقم (٢٣٢).

قسماً أقسم الله به فتقديره والله ﴿ تلك ءايٰت الكتٰب الحكيم﴾ ومن قال: اسم السورة ومن فواتيح السور جعلها صلةً وابتداءً فقال: ﴿تلك ءايٰت الكتٰب الحكيم﴾.

فإنْ قيل لِمَ لَمْ تعد ﴿الٓر﴾ آية كما عددت ﴿الٓمٓ﴾ آية قال ابن فورك مجيبا له: لأن آخر ﴿الٓر﴾ لا يشاكل آخر الآيات التى بعدها وليس كذلك ﴿الٓمٓ﴾ لأن رؤوس الآيات التي بعد ﴿الٓمٓ﴾ يشاكلها ﴿تلك﴾ هذه ﴿ءايٰت الكتٰب﴾.

وفي الكتاب قولان: قال ابن عباس، وجمهور المفسرين[1]: الكتاب ههنا القرآن[1]، وقال عكرمة: الكتاب ههنا التوراة والإنجيل[2]. من قال: الكتاب: القرآن فتلك بمعنى هذه، ومن قال الكتاب: التوراة والانجيل، فتلك على الظاهر ، ﴿الحكيم﴾ المحكم من الباطل، وقيل: ﴿الحكيم﴾: بمعنى الحاكم [فقيل][3] بمعنى فاعل لقوله: ﴿وأنزل معهم الكتٰب بالحق ليحكم بين الناس﴾[4].

وقيل: الحكيم بمعنى المحكوم فعيل بمعنى مفعول كقوله: ﴿الٓر﴾ ﴿كتٰبٌ أحكمت ءايٰته﴾[5] وقال ابن عباس: الحكيم أي، المحكم من الباطل[6].

وقال الكلبي: بالحلال والحرام[7]، وقال الحسن سمى الله الكتاب حكيماً لأنه

---

(١) قال بذلك الطبري في تفسيره (١٥/١١١) والبغوي في تفسيره (٢/٣٤٢)، وأخرجه الطبري (١/٢٢٥) عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة والسدي، برقم (٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠)، وانظر: تفسير ابن كثير (١/٦١).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:٩٠/أ).

(٣) كذا بالأصل ولعل الصواب [فعيل].

(٤) سورة البقرة آية ٢١٣.

(٥) سورة هود آية ١.

(٦) بهذا قال مقاتل بن سليمان (٢/٢٢٥) ولم أقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:٨٥/أ)، والسمرقندي (٢/٨٧).

حكم للمؤمنين فيه بالجنة، والكافرين[1] فيه بالنار[2].

وقال ابن فورك: إنما سمى الله الكتاب حكيماً لأنه كلام حكيم[3] وبه صار الرجل حكيماً.

قوله: ﴿**أكان للناس عجباً**﴾ يعني أهل مكة، ﴿ **أن أوحينآ إلىٰ رجُل منهم** ﴾ آدمي مثلهم يعني محمداً ومحل ﴿ **أن** ﴾ رفعٌ أي أكان الوحي للناس عجبا.

وقيل في تعجيب كفار مكة الوحي على محمد: واعجبًا من / عجبهم أن يكون لهم رسول الله من بشر ولم يتعجبوا أن يكون لهم إلهٌ من حجر، وأعجب من عجبهم أنفوا من رسول ذي حسب ولم يأنفوا من إله من خشبٍ، واعجبا من عجبهم أن يكون لهم نبياً من الناس ولم يتعجبوا من إلهٍ من نحاسٍ[4]. ٢٣٥/أ

﴿**أن أنذر الناس** ﴾ خوّف أهل مكة ﴿ **وبشر الذين ءامنوا أن لهم قدم صدقٍ**﴾ ثواب صدق ﴿ **عند ربهم** ﴾ ﴿**قدم**﴾ فعل بمعنى المفعول كالقبض بمعنى المقبوض والنقص بمعنى المنقوص واختلفوا في قوله: ﴿**أن لهم قدم صدق**﴾ .

قال ابن عباس: العمل الصالح[5]، وقيل: الإيمان شفيعٌ مطاعٌ وهو محمدٌ عن أبي سعيد الخدري[6]. وقال ابن عباس: السعادة[7]. وقيل: ﴿**قدم صدقٍ**﴾ قول الله في قصة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: [وللكافرين فيه بالنار].

(٢) ذكره أبو القاسم ابن حبيب (ق:٨٥/ب)، وأخرجه الثعلبي (ق:٣/ب)، والبغوي (٣٤٢/٢).

(٣) لم أقف على أقوال ابن فورك وقد سبق أن أشرت إلي السبب في تفسير سورة الأنفال.

(٤) لم أقف على من قال بهذا القول.

(٥) أخرج الطبري قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره (١٤/١٥) برقم (١٧٥٣١) بلفظ: «أجراً حسناً بما قدموا من أعمالهم»، والثعلبي في تفسيره (ق:٥/أ)، والبغوي (٣٤٢/٢).

(٦) ذكر ذلك أبو القاسم ابن حبيب في تفسيره مخطوط (ق:٨٥/ب).

(٧) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٥/أ)، والبغوي (٣٤٣/٢)، وذكره الماوردي في تفسيره (٤٢١/٢)، وابن الجوزي (٥/٤)، وكلهم من رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الميثاق، هؤلاء في الجنة ولا أبالي[١] وقال عبدالعزيز بن يحيى:﴿ قدم صدق﴾ قوله[٢]: ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴾[٣] وقال الأخفش: منزلة صدقٍ[٤].قال عطاء: مقام صدق[٥].

﴿قال الكـفرون إن هذا لسـحرٌ مبينٌ﴾ قرئ بالألف وغير الألف[٦]، بالألف أراد النبيﷺ وغير الألف يعنون به القرآن ﴿لسحرٌ مبينٌ﴾ لكذبٌ بينٌ.

قوله: ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ﴾ من أيام أول الدنيا، طول كل يوم ألف سنة[٧] ، وقيل: أى مع ستة أيام، وقيل: في ست ساعات، وقد جاء في القرآن اليوم بمعنى الساعة، والساعة بمعنى اليوم. ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي ثم استوى قهره وسلطانه[٨] علـى العرش، وقد مر ذكره بالتمام في سورة الأعراف.

﴿يدبر الأمر﴾ ينظر في أمر العباد، ﴿ما من شفيع﴾ أي ما من ملك ولا نبي أن

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٣٩).

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:٨٥/ب)، والثعلبي في تفسيره (ق:٥/أ).

(٣) آية ١٠١ سورة الأنبياء.

(٤) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:٨٥/ب).

(٥) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:٨٥/ب).

(٦) القراءتان سبعيتان . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٤٧).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:٩١/أ).

(٨) هذا تأويل باطل مخالف لمنهج السلف، لأنه صرف للنص عن ظاهره بلا دليل ، ويجب أن يبقى كما هو ظاهر النص فهو استواء يليق بعظمة الله، وقد فسروا الاستواء بأنه العلو والارتفاع والصعود والاستقرار.

يشفع ﴿ إلا من بعد إذنه ﴾ إلا من بعد أمر الله.

﴿ ذلكم الله ﴾ الذي يفعل هذه الأشياء ﴿ ربكم فاعبدوه ﴾ فوحدوه ﴿ أفلا تذكرون﴾ تتعظون ﴿ إليه ﴾ إلى الله ﴿ مرجعكم جميعاً ﴾ وهو نصبٌ على الحال ﴿ وعد الله حقاً ﴾ صدقاً كائناً ﴿وعد الله﴾ فيه قولان: أحدهما نصبٌ على القطع والثاني: نعتٌ الجميع ﴿ حقاً ﴾ نصبٌ على المصدر.

﴿إنه يبدؤا الخلق﴾ أي يبتدئ الخلق﴿ ثم يعيده﴾ بعد موتهم ﴿ليجزى الذين﴾ ليثبت ﴿الذين ءامنوا وعملوا الصلحت﴾ والطاعات فيما بينهم وبين الله ﴿بالقسط﴾ بالعدل كقوله: ﴿قال رب احكم بالحق﴾[1] [و][2] ﴿ والذين كفروا لهم شرابٌ من حميم﴾ من ماءٍ حارٍ قد انتهى حره ﴿وعذابٌ أليمٌ﴾ وجيع ﴿بما كانوا يكفرون﴾ .

قوله: ﴿هو الذى جعل الشمس ضيآءً﴾ خلق الشمس ضياءً بالنهار ولم يقل ضياءةً لأن الضياء مصدرٌ والمصادر لا يدخلها التأنيث وكان في الأصل ضيواءً فانقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها ومد الألف لوقوع الهمز آخر الكلمة ﴿والقمر نوراً﴾ أى جعل القمر نوراً بالليل ﴿وقدّره منازل﴾ أي وجعل له منازل، وفي الهاء قولان: أحدهما أراد به منازل القمر.

والثاني منازل الشمس والقمر ومعناه: وقدرهما منازل إكتفاء بذكر أحدهما عن الآخر كقوله: ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾[3] وهذا قول الفراء[4] ﴿ لتعلموا ﴾

---

(١) سورة الأنبياء آية ١١٢.
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.
(٣) سورة التوبة آية ٦٢.
(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٥٨/١). وذكره ابن حبيب (ق:٩٢/أ)، والقرطبي (٣١٠/٨).

لكى تعلموا ﴿عدد السنين﴾ والشهـور والأيام بالحساب وفي السنين: لغتان: كسر النون[1] وفتحها، / والفتح أفصح لأن القرآن جاء به ﴿ والحساب ﴾ كان حقه أن يقول والحساب لأنه معطوف على السنين ولكن القراءة النصب لأن معناه ليعلموا عدد السنين والحساب فانتصب بفقدان الخافض والحساب هاهنا مخصوصٌ بالسنين والشهور والأيام وإن كان غير مقيد. يعني وإن لم يقل جميع الحساب لأن جملة الحساب لا يعلم بإختلاف الشمس والقمر ولكن يعلم بعض الحساب بهما. ٢٣٥/أ

﴿ ما خلق الله ذلك ﴾ هذه الأشياء ﴿ إلا بالحق ﴾ إلا لدلالة التوحيد وكل ما في القرآن إلا بالحق فمعناه[2] هذا، ولم يقل: تلك لأنه أراد به إلى[3] الخلق والفعل والتقدير دون المفعول.

﴿ يفصل الأيـت ﴾ يبين علامات التوحيد ﴿لقوم يعلمون ﴾ذلك وقرئ نفصل بالنون[4] والياء[5]، بالنون: راجعٌ إلى قوله: ﴿ إنا أوحينآ ﴾ وبالياء فهو راجع إلى قوله: ﴿يدبر﴾ وقيل: أن كفار مكة أتوا النبي ﷺ وقالوا إئتنا بآية نؤمن بك فأنزل الله ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ الآية[6].

---

(١) ذكر أبو القاسم ابن حبيب في تفسيره (ق:٩٢/أ) أن كسر النون من السنين لغة لم يقرأ بها في القرآن.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (١٨٥/٤): أي: لم يخلقه عبثاً، بل له حكمة عظيمة في ذلك وحجة بالغة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب حذف كلمة[إلى] ليستقيم المعنى، وفي الثعلبي: رده إلى الفعل والخلق. تفسير الثعلبي (ق:٢/ب).

(٤) قراءة الجمهور . انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٤٧/٢).

(٥) قراءة ابن كثير وحفص وأبي عمرو . انظر المصدر السابق.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:٩٢/أ) ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره السمرقندي في تفسيره بحر العلوم (٨٩/٢) دون أن يعزوه لأحد.

قوله: ﴿ إن فى اختلف اليل والنهار﴾ وزيادتهما ونقصانهما ﴿ وما خلق الله ﴾ وفيما خلق الله ﴿فى السموات والأرض﴾ من العجائب ﴿ لأيلت ﴾ لعلامات ﴿لقوم يتقون﴾ يؤمنون بتوحيد الله.

قوله: ﴿إن الذين لا يرجون لقآءنا﴾ أى لا يخافون البعث بعد الموت : وقيل: لا يخافون عقابنا[1]. وقيل: لا يطمعون في ثوابنا[2].

﴿ورضوا بالحيوٰة الدنيا واطمأنوا بها﴾ ورضوا بها ﴿والذين هم عن ءايلتنا غلفلون أولئك مأوىٰهم النار بما كانوا يكسبون﴾ ويشركون.

﴿إن الذين ءامنوا وعملوا الصلحت يهديهم﴾ يكرمهم ﴿ربهم بإيمنهم﴾ وقيل: يهديهم: ينجيهم ويوفقهم ربهم بإيمانهم[3]. وقيل: ﴿يهديهم ربهم﴾ غداً إلى الجنة ﴿بإيمنهم﴾[4] الذى هداهم ربهم من قبل . وقيل: في العقبى بإيمانهم الذى هداهم في الدنيا[5].

﴿تجرى من تحتهم الأنهلر﴾ فيه قولان: أحدهما: من تحت مساكنهم، والثاني: من بين أيديهم وهم يرونها من فوق على السرير[6] ، وهذا كقوله ﴿أليس لى ملك مصر﴾[7] الآية ﴿ فى جنلت النعيم. دعوىٰهم﴾ قولهم ﴿فيها﴾ في الجنة ﴿سبحلنك اللهم﴾ إذا قالوا هذا القول أتاهم خدم الجنة بما يشتهون من الطعام والشراب. وقال

---

(١) ذكره الماوردي (٢/٤٢٣) دون عزو.
(٢) ذكره الماوردي (٢/٤٢٣) دون عزو.
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٩٢/ب)، والسمرقندي (٢/٨٩).
(٤) ذكره السمرقندي(٢/٨٩) وعزاه إلى الضحاك، وأيضاً ابن حبيب (ق:٩٢/ب).
(٥) ذكره السمرقندي (٢/٨٩).
(٦) ذكرهما الماوردي (٢/٤٢٤).
(٧) سورة الزخرف آية ٥١.

الحسن بلغني أن رسول الله ﷺ قال حين قراءة هذه الآية «إن أهل الجنه يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون أنفاسكم[1]» فذلك قوله: ﴿دعوٰهم فيها سبحٰنك اللهم وتحيتهم فيها سلٰم﴾ إذا لقى بعضهم بعضاً ﴿وءاخر دعوٰهم﴾ قولهم إذا فرغوا من الطعام ﴿أن الحمد لله رب العٰلمين﴾.

قوله: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير﴾ الآية معناه ولو يعجل الله للناس دعائهم بالشر كاستعجال دعائهم بالخير ﴿لقضى إليهم أجلهم﴾ لهلكوا وتقديره: ولو عجلنا لهم الشر كما نعجل لهم الخير لهلكوا ولكنا لا نفعل ذلك رحمة بهم ونظراً إليهم، ﴿لقضى إليهم أجلهم﴾ جواب﴿ ولو يعجل الله ﴾ قال / ١/٢٣٦ ﴿فنذر﴾ فنترك ﴿الذين لا يرجون لقآءنا﴾ لا يخافون البعث بعد الموت ﴿فى طغيٰنهم﴾ في ضلالتهم وكفرهم ﴿يعمهون﴾ يترددون.

قوله ﴿ وإذا مس الإنسٰن الضر ﴾ قال عطاء: نزلت في الوليد بن المغيرة[2]. وقيل: في هشام بن المغيرة[3] ﴿ وإذا مس الإنسٰن الضر ﴾ المرض والشده ﴿دعانا لجنبه﴾ على جنبه ﴿أو قاعداً﴾ أو في حال القعود ﴿أو قائماً﴾ أو في حال القيام ﴿فلما كشفنا عنه ضره﴾ الشده والمرض ﴿مر﴾ استمر ﴿كأن لم يدعنآ إلى ضر مسه﴾ إلى شدة أصابته ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿زين للمسرفين﴾ للمشركين ﴿ما كانوا يعملون﴾ .

﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم﴾ يا أهل مكة يعني الأمم الماضية ﴿لما ظلموا﴾ حين أشركوا ﴿وجآءتهم رسلهم بالبينٰت﴾ بالأمر والنهي ﴿وما كانوا ليؤمنوا

(١) الحديث في صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها (١٤٧/٨) ومسند أحمد (٣٤٩/٣، ٣٥٤، ٣٨٤).

(٢) ذكر ذلك أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق:٩٣/ب).

(٣) انظر المصدر السابق.

كذلك نجزى ﴾ كما أهلكنا هكذا نعاقب ﴿**القوم المجرمين**﴾ المشركين .

﴿**ثم جعلنكم خلـئف**﴾ معناه ثم إستخلفناكم ﴿**فى الأرض من بعدهم**﴾ من بعد هلاكهم ﴿**لننظر كيف تعملون**﴾ ، أنتم خيرٌ أم هم.

قوله ﴿**وإذا تتلىٰ عليهم ءايلتنا**﴾ الآيه اختلفوا في نزولها من وجهين: قال ابن عباس: نزلت في المستهزئين[١]. قال مقاتل: نزلت في عبدالله بن أبي أميه المخزومي والوليد بن المغيرة والعامر بن وائل ومكيرز بن حفص وعمرو بن عبدالله بن أبي قيس العامرى[٢].

﴿**وإذا تتلىٰ عليهم ءايلتنا بينـٰت** ﴾ بالأمر والنهي ﴿**قال الذين لا يرجون لقآءنا**﴾ لا يخافون بالبعث بعد الموت وهم المستهزؤن مثل الوليد وغيره ﴿**ائت بقرءان غير هـٰذآ أو بدله**﴾ آية الرحمة بآية العذاب وآية العذاب بآية الرحمة ﴿**قل**﴾ يا محمد: ﴿**ما يكون لى**﴾ ما يجوز لي ﴿**أن أبدله من تلقآء نفسى**﴾ من قبل نفسي[٣].

﴿**إن أتبع**﴾ إن أعمل ﴿**إلا ما يوحىٰ إلىَّ**﴾ بما أومر به وأنهي عنه ﴿**إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم**﴾ معناه: إني أخاف عذاب يوم عظيم إن عصيت ربى﴿ **قل**﴾ يا محمد لهم: ﴿**لو شآء الله**﴾ أن لا أكون رسولاً ﴿**ما تلوته**﴾ ما قرأت القرآن ﴿**عليكم ولآ أدرٰكم به**﴾ ولا أحدثكم به ولا أخبركم عنه ﴿**فقد لبثت فيكم عمراً**﴾ أربعين ولم يوح إلى ﴿**من قبله**﴾ من قبل القرآن ﴿**أفلا تعقلون**﴾ اليس

(١) ذكر ابن حبيب ذلك في تفسيره عن الكلبي (ق:٩٣/ب)، وانظر: الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٦٧) عن الكلبي . ونسبه الفخر الرازي في تفسيره إلى ابن عباس رضي الله عنهما (٥٤٩/٤ - ٥٥٠).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٦٧)، وتفسير أبي القاسم بن حبيب مخطوط (ق:٩٣/ب)، والبغوي (٣٤٧/٢)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٣١/٢).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:٨٨/ب)، والبغوي (٣٤٧/٢).

لكـــم ذهن الإنسانية ﴿فمن أظلم﴾ فمن أجرى ﴿ ممن افترى على الله كذبا﴾ ممن اختلق على الله كذبا ﴿أو كذب بئايته ﴾ ﴿إنه لا يفلح﴾ لا يجد الفوز والنجاة والبقاء والأمن والظفر ﴿المجرمون﴾ الكافرون.

قوله: ﴿ويعبدون من دون الله﴾ يعني الأصنام ﴿ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ الضر والنفع يكون للفعل ولا يكون للأصنام فعل ولكن الضر على العابد من قبل الأصنام ومعناه إن عبادتهم الأصنام، [و][1] لا تضرهم ولا تنفعهم، الضر والنفع راجع إلى فعلهم لا إلى الأصنام.

﴿ويقولون﴾ يعني كفار مكة ﴿هؤلآء﴾ أى الأصنام ﴿شفعؤنا﴾ عند الله وفيه قولان: قال ابن عباس: شفعاؤنا عند الله في الآخره[2] وقال الحسن: شفعاؤنا عند الله في الدنيا[3] من معايشهم وصلاح دنياهم ﴿قل﴾ يا محمد:﴿ أتنبئون الله﴾ أتخبرون الله﴿ بما لا يعلم فى السموت ولا فى الأرض﴾ ثم نزه نفسه فقال ﴿سبحنه وتعلى عما / يشركون﴾. ٢٣٦/ب

قرئ بالتاء[4] والياء[5] فالتاء على الخطاب والياء على الخبر ﴿وما كان الناس﴾ في زمن إبراهيم[6] ﴿إلآ أمـــةً وحـــدةً﴾ إلا على ملةٍ واحدةٍ ﴿فاختلفوا﴾ وقـــد تقدم

---

(١) هكذا في الأصل ولعل حذف الواو أولى ليستقيم المعنى.

(٢) انظر: زاد المسير (٤/١٦)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/٩٢) دون عزو.

(٣) انظر: زاد المسير (٤/١٦).

(٤) قراءة حمزة والكسائي انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٤٨).

(٥) قراءة الباقين، انظر المصدر السابق.

(٦) هذا القول خطأ والصواب: أن الناس بعد آدم عليه السلام كانوا أمة واحدة على التوحيد، فوقع فيهم الشرك بعد ذلك، فبعث الله الرسل، كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف.

أخرجه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤/٢٧٥) برقم (٤٠٤٨) واختاره، ورواه الحاكم —

ذكره في سورة البقرة[1]. ﴿كان الناس أمة وحدة﴾ قال ابن فورك الاختلاف على ثلاثة أوجه: إختلاف تضاد وإختلاف تناقض وإختلاف تلاؤم، فإختلاف التضاد لا يصح إجتماعهما في الوجود ويصح إجتماعهما في الصحة. وإختلاف تناقض لا يصح اجتماعهما في الصحة ويصح إجتماعهما في الوجود، وإختلاف تلاؤم فيصح إجتماعهما في الحالين جميعاً.

قوله: ﴿ولولا كلمة سبقت﴾ مضت ﴿من ربك لقضى بينهم﴾ لأهلكهم، وفيه ثلاثة أقاويل: أحدها: لا تهلك أمةٌ قبل أجلها[2] والثاني: لا تهلك أمة إلا بعد قيام الحجة عليها[3]. والثالث: لا يعذب هذه الأمة في الدنيا بأسرها[4] ﴿فيما فيه يختلفون﴾ ﴿ويقولون﴾ أي كفار مكة ﴿لولآ﴾ هلا﴿ أنزل عليه﴾ على محمد ﴿ءاية من ربه فقل إنما الغيب لله﴾ وفيه قولان: أحدهما: نزول الآية[5] والثاني: نزول العذاب[6] وكلاهما غيب له ﴿فانتظروا﴾ نزول الآية ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قال ابن عباس: أي فانتظروا نزول الآية إني معكم من المنتظرين نزولها[7].

= في المستدرك (٥٤٦/٢، ٥٤٧) وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وانظر ذلك في تفسير ابن كثير (١٩٣/٤)، والثعلبي (ق:٩/ب).

(١) عند قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة وحدة فبعث الله النبين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ ٢١٣ سورة البقرة.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (ق/١٠/أ).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) انظر تفسير الثعلبي (ق/١٠/أ، ب)، والبغوي (٣٤٨/٢).

(٦) انظر المصدرين السابقين.

(٧) انظر تفسير ابن حبيب مخطوط (ق /٨٩/ب).

قال الحسن: معناه أي فـانتظروا ميعاد الشيطان بذهاب الدين ومـوت محمد إني معكم من المنتظرين لهلاككم وذهاب الكفر[١].

قوله: ﴿وإذآ أذقنا الناس﴾ وإذا أصبنا الناس يعني أهل مكة ﴿رحمة﴾ نعمةً من الرخاء في العيش وعافيةٍ في الأبدان ومتعةٍ في المال ﴿من بعد ضرآء مستهم﴾ من بعد شدةٍ أصابتهم ﴿إذا لهم مكرٌ﴾ تكذيبٌ ﴿فى ءاياتنا قل الله أسرع مكراً﴾ عقوبة فسمي الجزاء باسم الفعل لأن فعلهم مكرٌ فسمى الله جزاءهم مكراً[٢] وهو العقوبة ﴿إن رسلنا﴾ أي حفظتنا ﴿يكتبون﴾ ويحفظون ﴿ما يمكرون﴾ ما يفعلون ويقولون. وقرئ يمكرون بالتاء[٣] والياء[٤] فالتاء على الخطاب والياء على الخبر ﴿هو الذى يسيركم﴾ يحفظكم ﴿فى البر والبحر حتىٰ إذا كنتم﴾ حتى إذا بعضكم ﴿فى الفلك﴾ في السفن ﴿وجرين بهم﴾ بذلك البعض ﴿بريح طيبة﴾ لينةٍ لطيفةٍ وهذا من تلوين الخطاب لأنه خاطب في أوله ثم أخبر في آخره وتلوين الخطاب، الكناية التي إذا خوطب فى أوله ثم أخبر في أخره أو أخبر في أوله ثم خوطب في آخره ﴿وفرحوا بها﴾ أي بالريح الطيبة ﴿جآءتها ريحٌ عاصفٌ﴾ [هالكٌ][٥] ولم يقل عاصفةٌ والريح مؤنثةٌ فيه جوابان: أحدهما: ذات عصوفٍ كقوله امرأةٌ مرضعٌ ذات رضاع. والجواب الثاني: لأن الريح عصوفٌ، الريح مخصوصةٌ بالعصوف، ولا يشاركها فيه غيرها. فلذلك قال عاصفٌ، كما يقال امرأة حائضٌ وطالقٌ وعاقرٌ، لا يقال بالتأنيث لأنه مخصوصٌ بالنساء دون الرجال، فكذلك هاهنا العصوف مخصوصٌ بالريح فلهذا قال ريحٌ عاصفٌ.

---

(١) ذكر ذلك ابن حبيب في تفسيره (ق/٩٠/أ).

(٢) الواجب أن يجرى الكلام على ظاهره فهو فعل من أفعاله تعالى الذي يفعله بالكفار ولا يجوز تأويلها بما ذكر لأن ذلك يخرج الكلام عن ظاهره فهو تأويل باطل.

(٣) قراءة الجمهور ، انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٤٩/٢).

(٤) قراءة روح عن يعقوب، انظر: المصدر السابق.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: [مهلكٌ] لأنها تسبب الهلاك.

﴿وجآءهم الموج من كل مكان﴾ ناحيةٍ ﴿وظنوا﴾ وأيقنوا ﴿أنهم أحيط بهم﴾ دنوا للهلاك، قال القتيبي: هذا من استعارات القرآن. / وذلك أن العدو إذا دنا من بلد فقد دنا أهل ذلك البلد للهلاك[1] ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ قال الحسن: هذا إخلاص العلم وليس بإخلاص الإيمان[2] لأنهم يعلمون أن هذه الأشياء من الله. ولا يؤمنون به إخلاصا، قالوا ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ الأهوال ﴿ لنكونن من الشكرين﴾ على النجاة قال الله ﴿فلمآ أنجـهم إذا هم يبغون﴾ يظلمون ﴿ فى الأرض بغير الحق يـأيها الناس﴾ يا أهل مكه ﴿إنما بغيكم﴾ ظلمكم واستطالتكم ﴿على أنفسكم متع الحيـوة الدنيا﴾ ٢٣٧/أ

وقال رسول الله ﷺ : أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي[3] واليمين الفاجره تذر الديار بلا قع[3] أي تترك الديار خالية وروى عبدالله بن أبي بكرة عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: اثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين[4].

قرئ متاعا بالرفع والنصب[5]. فمن رفعه ففيه وجهان أحدهما: إبتداء، والثاني:

---

(١) ذكره أبو القاسم بن حبيب (ق: ٩٠/ب).

(٢) ذكره أبو القاسم بن حبيب (ق: ٩٠/ب).
قلت: هذا لا يصح وهذا خلاف المعهود عنه في القرآن وغيره ، فإنهم يدعون أصنامهم ويتجهون إلى الله مخلصين ولا يصح عن الحسن هذا الكلام ولا عن غيره من السلف لأنه كلام متناقض.

(٣) الحديث خرجه ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٨٣) برقم (١٧١) قال أخرجه اسحاق في مسنده، عن جرير عن برد بن يسار عن مكحول يرفعه. وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها مثله مرفوع، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٧٣/١)، وسلسلة الأحاديث الضعيفه برقم (٢٧٨٧).

(٤) الحديث خرجه ابن حجر في الكافي (٨٣) برقم (١٧٣) من طريق عبدالله بن أبي بكرة عن أبيه، وأخرج البيهقي مثله في شعب الايمان (١٩٧/٦).

(٥) قرأ بالنصب، حفص عن عاصم، ورفعها الباقون ، انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٤٩/٢).

خبر «إنما» معناه أن الذى هو بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ومن قرأ بالنصب، معناه: تمتعكم متاع الحياة الدنيا ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ في الآخرة ﴿فننبئكم﴾ فيخبركم ﴿بما كنتم تعملون﴾ وتقولون من الخير والشر في الدنيا.

قوله: ﴿إنما مثل الحيوة الدنيا كمآء﴾ كالمطر ﴿أنزلنه من السمآء فاختلط به﴾ بالمطر ﴿نبات الأرض﴾ أي فأنبتت الأرض النبات بسبب المطر ﴿مما يأكل الناس والأنعم﴾ الناس يأكلونه والأنعام تأكل قشره ﴿حتى إذآ أخذت الأرض زخرفها﴾ زينتها ﴿وازينت وظن أهلهآ﴾ يعني الحراثين ﴿أنهم قدرون عليهآ﴾ على غلتها، وقيل: على الأرض بغلتها[1] ﴿أتهآ أمرنا﴾ عذابنا ﴿ليلاً أو نهاراً فجعلنها﴾ غلة الأرض ﴿حصيداً﴾ كحصيد السيف ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ كأن لم تكن بالأمس ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿نفصل الأيت﴾ نبين الآيات أي نبينها في أمر الدنيا والآخرة ﴿لقوم يتفكرون﴾ في فناء الدنيا وبقاء الآخرة.

وروي عن أبي واقد[2] الليثي قال كنا نقعد عند النبي ﷺ فكان إذا نزل عليه الوحي قرأه علينا فكان فيما قرأه علينا إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون ثاني ولو كان ثانياً لأحب أن يكون ثالث ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب[3]. قال علي بن زيد[4]: ذكرت هذه

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣٢٧/٨).

(٢) قيل: اسمه الحارث بن مالك، وقيل: عوف بن الحارث بن أسد، صحابي جليل، قيل: إنه شهد بدرا، وروى عن النبي ﷺ توفي سنه ٦٨هـ. تهذيب التهذيب (٢٧٠/١٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٩/٥) وأخرجه من حديث ابن عباس رضي الله عنه البخاري في صحيحه (١٧٥/٧) كتاب الرقاق باب ما يتقي من فتنة المال.

(٤) علي بن زيد بن عبدالله أبو الحسن الفرائضي الطرسوسي ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤٧/١٢). توفي عام ٢٦٢هـ بسرّ من رأى. لسان الميزان (٢٣٠/٤).

الآية لسنيد بن داود[1] فقال لي أتدرى أين كانت هذه الآية قلت لا، قال: في يونس في آخر هذه الآية.﴿إنما مثل الحيوه الدنيا﴾ وكانت هذه إلى جنبها ثم نسخ لفظها[2] وخطها؟

قوله: ﴿والله يدعو إلى دار السلم﴾ السلام هو الله وداره الجنة ومعناه: والله يدعو إلى الجنة ولم يختلفوا في الدار إنها هى الجنة واختلفوا في السلام من وجهين: أحدهما اسم الله[3] والثاني السلام بمعنى السلامة[4] / وهي الجنة والسلام والسلامة ٢٣٧/ب واحد كاللذاذ واللذاذة والرضاع والرضاعة وإنما سمى الجنة دار السلام لأن من صار إليها سالم من الآفات كلها من الموت والمرض والشيطان ونزغاته والفراق والقطيعة والمصائب والشدائد والعزل وغيرها ﴿ويهدى من يشآء﴾ من كان أهلا لذلك ﴿إلى صرط مستقيم﴾ ديناً قائماً يرضاه وهو دين الإسلام. وقيل: الهداية ها هنا التوفيق[5]. وقيل[6]: اللطف الذي يختص به المؤمنون دون الكافرين وهو قول أهل السنة والجماعة.

(١) سنيد بن داود المصيصي أبو على المحتسب واسمه الحسين وسنيد لقب المتوفي عام (٢٢٦هـ). انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٤/٢٤٤).

(٢) لم أجده عن سنيد وفي الدر المنثور (٤/٣٥٤): أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن أبي مجلز مثله.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة (١٥/٥٩) برقم (١٧٦٠٤).

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٢/٤٣١) ونسبه إلى الزجاج، والبغوي في تفسيره (٢/٣٥٠) ولم يعين قائله.

(٥) قال الألوسي في تفسيره (١١/١٠٢): قال المعتزلة: إن المراد بالهداية التوفيق والألطاف ومغايرة الدعوة.

(٦) الهداية ترد في القرآن على معنيين، ترد بمعنى التوفيق وهذا لا يكون إلا من الله تعالى وهو المنفي عن الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشآء ...﴾ الآية ٥٦ من سورة القصص.
وهداية دلالة وإرشاد. وهي المثبتة للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وإنك لتهدى إلى صرط مستقيم...﴾ الشورى ٥٢ .
قلت: وسمعت شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله يذكر قاعدة نحوية للتفريق بين المعنيين ونسب ذلك إلى أهل اللغة. فقال: إذا تعدى الفعل هدى بنفسه فالهداية هداية توفيق، وإذا تعدى بحرف لفظاً أو تقديراً فالهداية هداية دلالة وإرشاد.

قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ للذين وحدوا وقالوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الجنة ﴿وزيادة﴾ اختلفوا فيها من أربعة أوجه: أحدها : قال الحسن: الزيادة بكل حسنةٍ عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف[1] والثاني: قال علي بن أبي طالب: الزيادة غرفةٌ من لؤلؤة واحدةٍ لها أربعة أبواب[2] والغرفة والأبواب من لؤلؤةٍ واحدةٍ. والثالث: قال مجاهد: مغفرةٌ من الله ورضوانٌ[3] والرابع: قال المصنف: الرؤية أخبرنا الشيخ الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد الزنجوي قال أنا الأستاذ أبو عبدالرحمن إسماعيل بن محمد الضرير قال أنا الأستاذ أبو الحسين بن محمد بن حبيب أنا أبو القسم منصور بن العباس وأبو الحسن محمد بن محمود بن عبيدالله وأبو الفضل محمد بن الحسن بن علوية قال أنا الحسن بن سفني أن هدبة ابن خالد العبسي. حدثهم قال: أنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآيه ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ إن لكم عند الله وعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هي؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة وينجينا من النار، قال فيكشف الحجاب فيتجلى لهم فينظرون إليه، والذي نفس محمد بيده ما أعطاهم شيئا هو أحب إليهم ولا أقر لأعينهم من النظر إليه[4].

---

(١) لم أجد هذا القول عنه. والحسن البصري رحمه الله قال: بأن الزيادة النظر إلى الرب تعالى. انظر: الأثر رقم (١٧٦٢٤) الذي خرجه الطبري في تفسيره عنه (٦٧/١٥).

(٢) أخرجه الطبري (٦٩/١٥) برقم (١٧٦٧٤، ١٧٦٣٥) عن الحكم عن علي رضي الله عنه. قال محمود شاكر: الحكم: هو الحكم بن عتيبة الكندي سمع من التابعين ولم يسمع من علي ولد سنة ٥٠هـ ومات سنة ١١٣هـ فالحديث ضعيف لا رساله عن علي.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧٠/١٥) برقم (١٧٦٤٠).

(٤) الحديث رواه مسلم في صحيحه (١٦/٣، ١٧) من طريق عبدالرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة ، ومن طريق يزيد بن هارون عن حماد فهو صحيح وأخرجه الطبري في تفسيره (٦٧/١٥) برقم (١٧٦٢٦).

ومن الصحـابة ستة نفـر، أنهم يقولون: الزيادة ها هنا النظـر إلى وجه الله الكريم وهو أبو بكر[١] وحذيفة[٢] وأبو موسى الأشعرى[٣] وكعب بن عـجرة[٤] وصهـيب بن سنان[٥] وعبادة بن الصامت[٦].

فأما من التابعين، فهم خـمسة، الحسن البصري[٧]، وعبدالرحمن[٨] بن أبي لـيلى، وعامر[٩] بن سعد، وعـبدالرحمن بن[١٠] سابط، وعكرمة[١١]، أنهم قـالوا: الزيادة النظر إلى وجـه اللـه. فـأمـا من المفـسـريـن خـمـسـةٌ ابن عـبـاس فـى رواية أبي الجـوزاء[١٢] والضحاك[١٣] والسدّي[١٤] ومقاتل[١٥] وعطاء / قـالوا : الزيادة النظر إلى وجـه الله ﴿**ولا** ٢٣٨/أ **يرهق**﴾ ولا يعلو ﴿**وجوههم قتر**﴾ سواد ﴿**ولا ذلةٌ**﴾ كآبةٌ ﴿**أولئك أصحـب الجنة هم فيها خـلدون**﴾ دائمون مقيمون.

---

(١) انظر: قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٦٣) برقم (١٧٦١٠) من رواية عامر بن سـعد البجلي عنه قال محمـود شـاكر: إن عامراً هذا تابعي، ثقـة، له في الصحيح حديث واحد وروايتـه عن أبي بكر مرسلة، وهذا الخبر رواه الآجـري في الشريعة (ص:٢٥٧) من طرق مرسلاً، وانظر ترجمة عامر بن سعد في: التقريب (١/٣٨٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٦٤) برقم (١٧٦١٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٦٤، ٦٥) برقم (١٧٦١٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٦٨) برقم (١٧٦٣١).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/١٧) برقم (١٧٦٢٦). عن صهيب يرفعه.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:٩٧/أ).

(٧) أخرجه الطبري (١٥/٦٧) برقم (١٧٦٢٤).

(٨) أخرجه الطبري (١٥/٦٧) برقم (١٧٦٢٣).

(٩) سبقت الإشارة إلى روايته عن أبي بكر الصديق وترجمته .

(١٠) هو: عبـدالرحمن بن سابط ويقـال: ابن عبدالله بن سابط، قـال ابن حجر وهو الصـحيح، تابعي، ثقة، كثير الإرسال .
انظر ترجمته في التقريب (١/٤٨٠)، والأثر خرجَه الطبري (١٥/٦٩) برقم (١٧٦٣٢).

(١١) ذكره ابن حبيب (ق:٩٠/أ).

(١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦) ذكرها جميعاً ابن حبيب (ق:٩٠/أ).

قوله: ﴿**والذين كسبوا السيئات**﴾ والذين أشـركـوا ﴿**جزآءُ سيئـةٍ بمثلها**﴾ قصـاص الشرك النار أي لهم النار ، ومن جعل الجـزاء إبتداءً جعل الباء صلةً في مـثلها ومن رفع خبر الابتداء وتقديره جزاء سيئةٍ بمثلها.

﴿**وترهقهم ذلةٌ**﴾ ويعلوهم سوادٌ ﴿**مالهم من الله من عاصم**﴾ من عذاب الله من مانع ﴿**كأنمآ أغشيت**﴾ ألبست ﴿**وجوهـهم قطعاً من اليل مظلمـاً**﴾ في السـواد ﴿**مظلماً**﴾ نصبٌ على الحال عند البصريين ونصبٌ على القطع عند الكوفيين ﴿**أولٰئك أصحـٰب النار هم فيها خـٰلدون**﴾ مقيمون ﴿**ويوم نحشرهم**﴾ الكفار مع الهـتهم ﴿**جميعاً**﴾ فقـال مقاتلٌ : الحشر ها هنا الموت[1] ﴿**ثم نقـول للذين أشركـوا مكانكم أنتم وشركآؤكم**﴾ وهو نصبٌ على الإغراء ومعناه الزموا مكانكم وقفـوا أماكنكم واحـفظوا مكانكم ﴿**فـزيلنا بينهم**﴾ قـولان: قال ابـن عبـاس: فـفـرقنا بينهم[2] وقـال مجاهد: حرشنا بينهم[3] والتـحريش الإغـراء أي وأغرينا بعضـهم على بعض ﴿**وقال شركآؤهم ما كنتم إيانا تعبدون**﴾ يعني أنطق الله الأصنام يوم القيـامة . فـذلك قوله: ﴿**وقال شركآؤهم**﴾ آلهتـهم للكفار ﴿**مـا كنتم إيانا تعبـدون**﴾ بأمرنا، قـال الكفار بلى، أمرتمونا بالعبادة فقـالت الآلهة ﴿**فكفىٰ بالله شهيـداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغـٰفلين هنالك**﴾ عند ذلك ﴿**تبلوا**﴾ تظهر ﴿ **كل نفس مآ أسلفت** ﴾ ما عملت في الدنيا إن قرأت بالياء[4] ومن قرأ بالتاء[5] معناه تقرأ كل نـفسٍ ما أسلفت ، ما عملت في الدنيا .

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد هذا المعنى (٧٩/١٥) برقم (١٧٦٥٠) ولم أقف عليه عن مقاتل.

(٢) أخرج الطبري مثله عن ابن زيد (٧٩/١٥) برقم (١٧٦٤٩) ولم أقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره أبو القاسم بن حبيب (ق: ٩٠/ب).

(٤) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر. انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٥٠/٢).

(٥) قرأ بها حمزة والكسائي . انظر المصدر السابق.

﴿ وردوا إلى الله مولـهم الحق وضل عنهم ﴾ انشغل عنهم ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ من الآلهة.

قوله: ﴿ قل ﴾ يا محمد لأهل مكةً ﴿ من يرزقكم من السمآء ﴾ بالمطر ﴿والأرض ﴾ بالنبات ﴿ أمن يملك السمع والأبصـر ﴾ معناه ومن يقدر على أن يخلق سمعكم وأبصاركم.

قال الأخفش: إنما أدخل ﴿ أم ﴾ فى هذا الموضع لأن ﴿ أمن ﴾ بمعنى الإستفهام ليكون دالا على الإستفهام ﴿ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ معناه: ومن يقدر على أن يخرج النسمة من النطفة وأن يخرج النطفة من النسمة وقد مر ذكره في آل عمران ﴿ومن يدبر الأمر ﴾ معناه: ومن ينظر في أمر العباد ويقدر على أن يدبر أمورهم ﴿ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ عبادة غير الله.

﴿فذلكم الله ﴾ الذي يفعل هذه الأشياء ﴿ ربكم ﴾ خالقكم ورازقكم ﴿ الحق فماذا بعد الحق إلا الضلـل ﴾ أي عبادة الله هي الحق وعبادة غير الله هي الباطل ﴿فأنى تصرفون ﴾ فمن أين تكذبون على الله.

﴿ كذلك حقت ﴾ وجبت ﴿ كلمة ربك ﴾ بالعذاب ﴿ على الذين فسقوا ﴾ كفروا﴿ أنهم لا يؤمنون﴾. ﴿ قل ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ هل من شركآئكم من يبدؤا الخلق ﴾ من نطفة ويجعل فيه الروح ﴿ثم يعيده﴾ من بعد موته فإن أجابوك وإلا فـ﴿قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده / فأنى تؤفكون ﴾ أى تكذبون. ٢٣٨/ب

﴿قل﴾ يا محمد ﴿هل من شركآئكم من يهدى إلى الحق﴾ إلى الهدى فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قل الله يهدى للحق ﴾ للهدى ﴿ أفمن يهدى إلى الحق ﴾ إلى

(١) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق:٩١/أ).

الهدى ﴿ **أحق أن يتبع** ﴾ أن يعبد ويطاع ﴿ **أمن لا يهدى** ﴾ يهتدي إلى الحق والهدى ﴿ **إلآ أن يهدى** ﴾ إلا أن يحمل فيذهب به حيث شاؤا ﴿ **فما لكم كيف تحكمون** ﴾ أي بئس ما تقضون لأنفسكم .

﴿ **وما يتبع أكثرهم** ﴾ وما يعبد أكثرهم الآلهة ﴿ **إلا ظناً** ﴾ إلا بالظن ﴿ **إن** ﴾ عبادتهم ﴿ **الظن لا يغنى** ﴾ لا ينفع ﴿ **من الحق شيئاً** ﴾ لا يغني من عذاب الله من شيء ﴿ **إن الله عليم بما يفعلون** ﴾ في الشرك وفي عبادة الأوثان وغير ذلك.

قوله: ﴿ **وما كان** ﴾ وما ينبغي ﴿ **هذا القرءان أن يفترى** ﴾ أن يختلق ﴿ **من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه** ﴾ ولكن القرآن موافق للتوراة والإنجيل والزبور ﴿ **وتفصيل الكتب** ﴾ وبيان الكتاب ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ لا شك فيه، إنه نزل ﴿**من رب العالمين**﴾.

﴿ **أم يقولون** ﴾ أيقولون، ويقال: بل يقولون ﴿ **افتريه** ﴾ إختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **فأتوا بسورة مثله** ﴾ من القرآن ﴿**وادعوا من استطعتم من دون الله**﴾ أي إستعينوا بالهتكم وإستنصروا من شعرائكم ﴿ **إن كنتم صدقين** ﴾ في مقالتكم أن محمداً تقوله من تلقاء نفسه ﴿ **بل كذبوا** ﴾ أي كفار مكة ﴿ **بما لم يحيطوا بعلمه** ﴾ بما لم يعلموا تنزيله ﴿ **ولما يأتهم تأويله** ﴾، ولم يفهموا تفسيره، والألف صلة، وقال الضحاك : ﴿ **ولما يأتهم تأويله**﴾ أي ولم يأتهم عاقبة ما وعد لهم من العذاب[1]. قال الحسين بن الفضل: وجدت قول علي بن أبي طالب: الناس أعدء ما جهلوا في[2] قوله ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله**﴾ ﴿ **كذلك** ﴾ هكذا ﴿ **كذب الذين من قبلهم** ﴾ من قبل كفار مكة يعني الأمم الماضية

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٥/ب).

(٢) انظر قول الحسين بن الفضل في تفسير أبي القاسم بن حبيب (ق:٩٢/أ)، والثعلبي في تفسيره (ق:١٥/ب).

﴿ فانظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف كان علقبه الظلمين ﴾ كيف كان [آ]خر[1] أمر المشركين.

ثم نزلت في اليهود[2] ﴿ ومنهم من يؤمن به ﴾ بمحمد والقرآن قبل موته ﴿ومنهم من لا يؤمن به ﴾ قبل موته ﴿ وربك أعلم بالمفسدين ﴾ باليهود ﴿ وإن كذبوك ﴾ يعني كفار مكة ﴿ فقل لى عملى ﴾ ديني ﴿ ولكم عملكم ﴾ دينكم ﴿أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون﴾.

وهذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها. فقال بعضهم[3] : ناسخها ﴿ قلتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر﴾[4]. وقال بعضهم[5]:﴿وقلتلوا المشركين﴾[6][7] ﴿ومنهم ﴾ من الكفار ﴿من يستمعون إليك﴾ إلى قراءتك ولا يؤثر كلامك فيهم لأنهم صم عن الحق ﴿ أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ﴾.

﴿ ومنهم من ينظر إليك ﴾ إلى قراءتك وكأنهم لا ينظرون لأنهم عمى عن الحق ﴿ أفأنت تهدى العمى ﴾ ترشد الكافرين ﴿ ولو كانوا لا يبصرون ﴾ بالهدى.

قوله: ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئاً ﴾ لا ينقص الناس شيئاً من حسناتهم

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير الدينوري (ق:٢٢٠/أ).

(٢) سورة يونس مكية ومكة ليس فيها يهود، والصواب في تفسير الآية: ومن قومك يا محمد، من قريش من سوف يؤمن بالقرآن ويصدق به أنه من عند الله، ومنهم من لا يؤمن به أبداً، بل يكذب به وهذا قول ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين . انظر: تفسيره (٩٤/١٥).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق ٩٢/ب).

(٤) سورة التوبة آية ٢٩.

(٥) ذكره ابن حبيب (ق٩٢/ب).

(٦) سورة التوبة آية ٣٦.

(٧) والصواب أن الآية ليست منسوخة بل محكمة ومعناها: أن الله عزوجل يخبر نبيه ﷺ بأن يقول لمن يدعوهم فيتركون دعوته أنا ليس عليكم بوكيل وإنما نذير لكم من الله، فسوف ترجعون إليه فيحاسبكم على أعمالكم.

﴿ولـكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ ينقصون منها.

﴿ويوم يحشرهم﴾ للبعث فيظنون ﴿كأن لم يلبثوا إلا ساعةً من النهار﴾ في الدنيا عن الضحاك[1]. .

وقال ابن عباس / : ﴿كأن لم يلبثوا﴾ في القبور﴿ إلا ساعـةً من النهار﴾[2] قال ابن حبيب قول الضحاك أعجب إلي[3] ﴿يتعارفون بينهم﴾ هذا خبر عن أحوالهم في القيامة فـفي بعض المواطن يتعارفون وفى بعضهـا لا يتعارفون ﴿قد خسر﴾ قد غبن ﴿الذين كذبوا بلقآء الله﴾ بالبعث بعد الموت ﴿وما كانوا مهتدين﴾ من الضلالة . ٢٣٩/أ

﴿وإمانرينك بعض الذى نعدهم﴾ من العذاب ﴿أو نتوفينك﴾ قبل أن نريك ما نعدهم من العذاب ﴿فإلينا مرجعهم﴾ فى الآخرة ﴿ثم الله شهيد﴾ شاهد ﴿على ما يفعلون﴾ من التكذيب بالرسل ﴿ولكل أمة﴾ ولكل أهل دين ﴿رسول فإذا جآء رسولهم﴾ في القيامة ﴿قضى بينهم بالقسط﴾.

وذلك أن الله سأل الأمم عن الرسل فـقالت الأمم ما بلغنا رسالة ولا كتـاب فسأل الرسل عن ذلك وهو أعلم بهم فـقالوا أتيناهم بكتب ورسـالة فقال الله من شـهد لكم على ذلك فقـالوا الملائكة فسأل الله الملائكة فشهـدوا للرسل فقـضى الله بهلاك الأمم ونجاة الرسل فذلك قوله: ﴿وقضى بينهم بالقسط﴾ بالعدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ .

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الوعيد ﴿إن كنتم صـٰدقين﴾ في مقـالتكم ﴿قل﴾ يا محمـد لكفار مكة ﴿لآ أملك لنفسى﴾ لا أقـدر على أن أدفع عن نفـسي ﴿ضراً ولا﴾ أقدر على أن أسوق إلى نفسي ﴿نفعاً إلا ما شآء الله﴾ ذلك ﴿لكل

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٦/أ)، والبغوي (٣٥٥/٢).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٦/ب)، والبغوي (٣٥٥/٢).

(٣) انظر قول ابن حبيب في تفسيره (ق:٩٢/ب).

أمةٍ ﴾ أهل ديـن ﴿ **أجل** ﴾ لوقت هلاكـهم ﴿ **إذا جـآء أجلهم** ﴾ أي وقت هلاكهم ﴿**فلا يستئـخرون ساعة** ﴾ عن أجلهم ﴿ **ولا يستقدمون** ﴾ قبل أجلهم ساعة.

﴿ **قل** ﴾ يا محـمـد لأهل مكة ﴿ **أرءيتم إن أتـكم عـذابه بيـتاً** ﴾ ليـلاً ﴿ **أو نهاراً مـاذا يستعجل** ﴾ بماذا يستـعـجل ﴿ **منه** ﴾ من عــذاب الله ﴿ **المجرمون** ﴾ المشركون قالوا لنؤمنن به .

قل لهم يا محمد ﴿ **أثم إذا ما وقع** ﴾ إذا ما نزل عليكم العذاب ﴿ **ءامنتم به** ﴾ قالوا: نعم قل لهم يا محمد: يقال لهم ﴿ **آلئن** ﴾ تؤمنون بالعذاب ﴿ **وقد كنتم به** ﴾ بالعذاب ﴿ **تستعجلون** ﴾ قـبل هذا ﴿ **ثم قيل للذين ظلمـوا** ﴾ أشركـوا ﴿ **ذوقوا عذاب الخلد** ﴾ عـذاب النار في الآخـرة ﴿ **هل تجـزون إلا بما كنـتم تكسبـون** ﴾ وتشركون في الدنيا .

﴿ **ويستنبئونك** ﴾ ويستخبرونك يا محمد ﴿ **أحق هو** ﴾ يعني العذاب ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إى** ﴾ نعم ﴿ **وربى** ﴾ على القسم ﴿ **إنه لحق** ﴾ إن العذاب لكائن ﴿**ومآ أنتم بمعـجزين** ﴾ بفـائتين ذلك ﴿ **ولو أن لكـل نفس ظلـمت** ﴾ أشـركت ﴿ **ما فى الأرض لافتدت به وأسروا الندامة** ﴾ وأظهروا الندامة ﴿ **لما رأوا** ﴾ عاينوا ﴿**العذاب وقضى بينهم بالقسط** ﴾ بالعدل ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾.

﴿ **ألآ إن لله ما فى السـموت والأرض** ﴾ من الخلق والعـجائب ﴿ **ألآ إن وعد الله حق** ﴾ صدق كائن ﴿ **ولـكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ .

﴿**هو يحيى ويميت وإليه ترجعون** ﴾ بعد الموت.

﴿ **يـأيها الناس** ﴾ يا أهل مكه ﴿ **قد جآءتكم موعظة من ربكم** ﴾ يعني القرآن ﴿ **وشفآء لما فى الصدور** ﴾ أي أنه جعل القرآن شفاءاً لمعرفته التي في الصدور لإشفاء

القلب ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة﴾ من العذاب ﴿للمؤمنين﴾ قوله: ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿بفضل الله وبرحمته﴾ قال ابن عباس[١] والحسن[٢] وقتاده[٣] ومجاهد[٤] / ٢٣٩/ب وهلال بن يسار[٥][٦] : فضل الله الإسلام ورحمته القرآن. قال الضحاك: فضل[٧] الله القرآن ورحمته الإسلام . قال أبو سعيد الخدري:[٨] فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله. قال عبدالله بن عمر فضل الله الإسلام ورحمته تزيينه في قلوبكم،[٩] يؤيده قوله: ﴿ ولـكن الله حبب اليكم الإيمـٰن وزينه فى قلوبكم ﴾[١٠].

قال خالد بن معدان[١١] فضل الله الإسلام ورحمته السنة[١١] وقال عبدالعزيز بن يحيى: فضل الله النعم الظاهرة ورحمتة النعم الباطنه، بيانه وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة.[١٢] قال أبو بكر الوراق: فضل الله النعماء وهي ما أعطى وحبا ورحمته الآلاء وهي ما صرف وذوى.[١٣] قال سفيان بن عيينة: فضل الله التوفيق ورحمته العصمة[١٤]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/١٠٧) برقم (١٧٦٨٠).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/١٠٧) برقم (١٧٦٧٦).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/١٠٧) برقم (١٧٦٧٥).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/١٠٧) برقم (١٧٦٧٧).
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/١٠٦) برقم (١٧٦٦٩).
(٦) كذا في الأصل والصواب في اسمه: أنه هلال بن يساف الأشجعي مولاهم الكوفي، ثقة . انظر ترجمته في: التقريب (٢/٣٢٥).
(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/١٠٨) برقم (١٧٦٨٤).
(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/١٠٦) برقم (١٧٦٦٨).
(٩) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:٩٤/ب).
(١٠) الحجرات آية ٧.
(١١) هو خالد بن معدان الكلاعي الحمصي أبو عبدالله ثقة عابد يرسل كثيراً مات سنة ١٠٣هـ وقيل: بعد ذلك. التقريب (١/٢١٨).
(١٢) ذكره ابن حبيب (ق:٩٤/ب).
(١٣) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق:٩٤/ب).
(١٤) انظر المصدر السابق.

قال سهل بن عبدالله التستري: فضل الله الإسلام ورحمته السنة.[١] قال الحسين بن الفضيل: فضل الله الإيمان ورحمته الجنة.[٢] قال ذو النون المصري فضل الله دخول الجنان ورحمته النجاة من النيران[٣].

وروى عبدالله بن عبدالرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقرأ عليك القرآن قال قلت أسماني ربي قال نعم وتلا هذه[٤] الآية ﴿**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون**﴾ فمعناه قل يا محمد بكتاب الله والإسلام ﴿**فبذلك**﴾ يعني بالقرآن والإسلام ﴿**فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون**﴾ مما يجمع المشركون من الأموال وغيرها وقيل: ﴿**فبذلك**﴾ وليفرحوا أي ذلك فاعتمدوا ﴿ **هو خيرٌ مما يجمعون** ﴾ من أذكاركم وأفعالكم وأموالكم فإنها نتاج المقدمة وبها تتم جميع الأحوال.

﴿ **فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ بالياء[٥] فيهما وبالتاء فيهما[٦] وإحداهما بالتاء والأخر بالياء فمن قرأ كليهما بالياء فعلى الخبر ومن قرأ كلاهما بالتاء فعلى الخطاب. ومن قرأ أحدهما بالياء والآخر بالتاء أراد أن يجمع بين الخطاب والخبر أو يسوي بين

---

(١) ذكره أبوالقاسم بن حبيب في تفسيره (ق/٩٤/ب).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي (٣١٢/٩) ولم يقل وتلا هذه الآية.
وقال الهيثمي: رواه الترمذي باختصار، ورواه الطبراني في الأوسط بأسانيد. ورجال الرواية وثقوا.

(٥) بالياء فيهما قراءة الجمهور . انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٥١/٢).

(٦) وبالتاء فيهما قراءة رويس عن يعقوب، وقرأ ابن عامر في الأولى بالياء وفي الثانية بالتاء.
انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٥١/٢)، وأخرج ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره عن أبي بن كعب (١٠٩/١٥) برقم (١٧٦٨٧، ١٧٦٨٨).

الحـالين ﴿ **فبذلك فليفرحوا** ﴾ باليـاء والتاء، فـاليـاء على أمـر المعاينة والـتاء على أمـر المواجهة.

ثم صرف الخطاب إلى أهل مكة ﴿ **قل** ﴾ يامحمد لأهل مكة ﴿ **أرءيتم مآ أنزل الله** ﴾ مـا خـلق الله ﴿ **لـكم مـن رزق** ﴾ من حـرثٍ وأنعـامٍ ﴿**فجعلتـم منه حراماً**﴾ منفعتها على نسائكم يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿**وحلـلا**﴾ على الرجال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿**ءآلله أذن لكم** ﴾ أمركم ﴿ **أم على الله تفترون** ﴾ بل على الله تفترون تختلفون ﴿ **وما ظـن الذين يفتـرون على الله الكذب يوم القيـــمة** ﴾ ﴿**وما ظن**﴾ ما الاستفهام ﴿ **إن الله لذو فضل**﴾ لذو من ﴿**على الناس**﴾ ﴿ **ولـكن أكثرهم لا يشكرون**﴾ لا يؤمنون.

قوله: ﴿ **وما تكون** ﴾ يا محمد ﴿ **فى شأنٍ** ﴾ في أمرٍ ﴿ **وما تتلوا**﴾ وما تقرأ عليهم ﴿ **منه** ﴾ من الله ﴿ **من قرءان** ﴾ سورةٍ أو آيةٍ وقيل: منه الهاء يعود على الشأن ﴿ **ولا تعملون من عمل** ﴾ خيراً أو شراً ﴿ **إلا كنا عليكم** ﴾ على أمركم وتلاوتكم وعملكم ﴿ **شهوداً** ﴾ عالماً. قال الشقيقي[1]: على العبـد أن / يلزم قلبه دوام نظر الله ٢٤٠/أ إليه وقـربه منه وقدرته عليـه لأن الله يقول ﴿ **ولا تعـملون من عـمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه** ﴾ قال الكلبي: حين يخوضون فيه[2] في الشأن. قال الأخفش: حين يتكلمون فيه[3] قال المورج[4]: تكثرون فيه.[5] قال الحسن: تعملون فيه.[6] قال ابن

---

(١) هو أبو الحسن، علي بن الحسن بن شـقيق المروزي الشـقيـقي صاحب عبدالله بن المبـارك وراويه، ويقال أيضاً ابو عبدالرحمن مات بمرو سنة ٢١٥هـ. انظر: الأنساب للسمعاني (١٣٢/٨).

(٢) ذكره أبو القاسم بن حبيب (ق:٩٥/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:٩٥/أ)، وتفسير الثعلبي (ق:١٨/أ).

(٤) مـورج بن عـمرو بن الحـارث من بني سـدوس بن شيبـان، عالم بـالعربيـة والأنسـاب، مـات سنة (١٩٥هـ). انظر: الاعلام (٣١٨/٧).

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٨/أ)، وذكره ابن حبيب (ق:٩٥/أ).

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٨/أ)، وذكره ابن حبيب (ق:٩٥/أ).

كيسان: تنشرون فيه.[١] ﴿ **وما يعزب** ﴾ أي وما يغيب وما يذهب ﴿ **عن ربك من مثقال ذرة** ﴾ من وزن نملة ﴿ **فى الأرض ولا فى السمآء ولآ أصغر من ذلك** ﴾ من وزن نملة ﴿ **ولآ أكبر إلا فى كتـب مبين** ﴾ إلا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿ **وما يعزب** ﴾ فيه قرأتان رفع[٢] الزاي وكسره[٣] وهما لغتان ﴿**ولآ أصغر من ذلك ولآ أكبر**﴾ر قرئ بالرفع والنصب فيهما[٤] فمن رفعهما لنسقه على موضع من مثقال وموضع ﴿**من**﴾ مرفوع، ومن نصبهما جعله نسقا على قوله ﴿**مثقال**﴾ وإنما لم يخفضا لأنهما على وزن أفعل وهو لا ينصرف.

قوله: ﴿ **ألآ إن أوليآء الله** ﴾ قال عبدالله بن عمر: حدثني أبي قال: كنت مع النبي ﷺ في حجة الوداع فسمعته يقول ألا إن أولياء الله المصلون[٥] قال أبو روق:[٦] أولياءَ الله هم المتحابون في الله[٧] . قيل: الولي من يصبر على البلاء ويرضى بالقضاء ويشكر بالنعماء ﴿ **لا خوف عليهم** ﴾ قال مقاتل: لا خوف عليهم أن يدخلوا النار ﴿**ولاهم يحزنون** ﴾ أن يخرجوا من الجنة[٨] أبدا. قال ابن كيسان: لا خوف عليهم من عذاب الله ولا يحزنون على فوات ثواب الله.[٩] قال عطاء: لا خوف عليهم في تلك المواقف العظام ولا هم يحزنون عند الأهوال وعند الجواز على الصراط وعند

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:١٨/أ)، وذكره ابن حبيب (ق:٩٥/أ).
(٢) قراءة الجمهور أنظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٥١).
(٣) قرأ بها الكسائي. انظر المصدر السابق.
(٤) قرأ حمزة ويعقوب برفع الراء فيهما، ونصبهما الباقون ، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٥١).
(٥) رواه البيهقي في السنن الكبري (١٠/١٨٦).
(٦) سبق في ص ١٩٢.
(٧) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره مخطوط (ق:٩٥/ب).
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٢٤٣).
(٩) ذكره ابن حبيب (ق:٩٦/أ).

تطاير الكتب والحشر والحساب[1]. ثـــم نعت الأولياء فقال: ﴿ **الذين ءامنوا** ﴾ بالله ورسوله ﴿ **وكانوا يتقون** ﴾ الشرك والفواحش ﴿ **لهم البشرىٰ فى الحيــوة الدنيا وفى الأخرة**﴾.

قال أبو الدرداء: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿**لهم البشرىٰ**﴾ الآية فقال: هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له[2].

وقال ابن عباس: ﴿ **لهم البشرىٰ** ﴾ بشرهم الله في الدنيا بالكتاب والرسول أنهم أولياء الله وبشرهم في الآخرة في قبورهم وفي كتبهم التي فيها أعمالهم[3] والبشرى والبشارة واحدة ﴿ **لا تبديل لكلمـٰت الله** ﴾ لا خلاف لوعد الله الذى وعد عباده من ثوابه وعقابه ﴿ **ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ النجاة الوافر[4] ﴿ **ولا يحزنك** ﴾ يا محمد ﴿ **قولهم** ﴾ تكذيبهم إياك ﴿ **إن العزة لله جميعاً** ﴾ بهلاكهم و ﴿**هو السميع** ﴾ لمقالتهم ﴿ **العليم** ﴾ بفعلهم وعقوبتهم.

فإن قيل كيف تجمع قوله: ﴿ **إن العزة لله** ﴾ مع قوله: ﴿ **ولله العزة ولرسوله** ﴾ الآية: قيل عنه جوابان: أحدهما أن عزة الرسول والمؤمنين من عزة الله بدليل قوله: ﴿**تعز من تشآء** ﴾[5] الآية، والثاني: أن معنى قوله: ﴿ **ولله العزة** ﴾ الآية لله عزة الربوبية ولرسوله عزة الرسالة وللمؤمنين عــزة الحجة فهو مختص بعزة الربوبية لا غير.

﴿ **ألآ إنّ لله من فى السمـٰوٰت ومن فى الأرض** ﴾ من الخلق يحولهم كيف

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:٩٦/أ).

(٢) أخرجه الطبري (١٢٤/١٥) برقم (١٧٧١٧) وفيه مجهول، ورواه الترمذي (٣١٠٦)، وأحمد (٤٤٧/٦).

(٣) هذا القول ذكره الثعلبي (ق:٢٠/أ) ونسبه إلى ابن كيسان.

(٤) كذا في الأصل ولعل الصواب: [الوافرة].

(٥) سورة آل عمران آية ٢٦.

يشاء ﴿ وما يتبع ﴾ في ﴿ ما ﴾ قولان: قال خالد بن يزيد:[١] ما نفى[٢] وقال أكثر المفسرين: ما إستفهام[٣] ومعناه وما يعبد ﴿الذين يدعون﴾ يعبدون ﴿من دون الله ﴾ ﴿شركآء﴾ آلهة من الأوثان ﴿ إن يتبعون ﴾ / أي ما يتبعون يعبدون ﴿ إلا الظن ﴾ إلا بالظن بغير يقين ﴿ وإن هم ﴾ وما هم يعني الرؤساء ﴿ إلا يخرصون ﴾ يكذبون السفلة . وفى الحديث «أياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[٤]. ٣٤٠/ب

﴿ هو الذى جعل لكم ﴾ أي إلهكم ﴿ هو الذى جعل لكم ﴾ خلق لكم ﴿اليل لتسكنوا فيه ﴾ لتستقروا فيه ﴿ والنهار مبصراً ﴾ أي وخلق لكم النهار مبصراً. قال أبو عبيدة: ﴿ والنهار مبصراً ﴾ أى يبصر فيه كقولهم: ليل نائم أى ينام فيه[٥] قال قطرب ﴿ والنهار مبصراً ﴾ أي ذو إبصار كقولهم: ليل مظلم أي ذا ظلمة[٦] ﴿ إن في ذلك ﴾ فيما ذكرت لكم ﴿ لأيـٰت ﴾ لعبرا ﴿ لقوم يسمعون ﴾ من مواعظ القرآن ويطيعون.

قوله: ﴿ قالوا ﴾ أي كفار مكة ﴿ اتخذ الله ولداً ﴾ من الملائكة والأوثان ﴿سبحـٰنه﴾ نزه نفسه عن الولد والشريك و ﴿ هو الغنى ﴾ عن الولد والشريك إن الذين قالوا إتخذ الله ولداً هم ثلاث فرقٍ، أحدها: اليهود، حيث قالوا: عزيرٌ ابن الله، والثاني: النصارى، حيث قالوا: المسيح ابن الله. والثالث: قريشٌ، حيث قالوا: الملائكة بنات الله، فلا يجوز أن يتخذ ولداً من عشرين وجهاً من الظاهر دون الحجج العقلية:

(١) لم أهتد إلى تحديده ، لكثرة من يتسمى بهذا الاسم ولا دليل على التحديد.

(٢) ذكره أبو القاسم بن حبيب (ق:٩٦/أ).

(٣) ممن قال بذلك ابن جرير الطبري (١٤٣/١٥)، والثعلبي (ق:٢٠/ب)، والبغوي (٣٦١/٢).

(٤) الحديث في الصحيحين . انظر: صحيح البخاري (١٨٨/٣) كتاب الوصايا، ومسلم (١٩٨٥/٤) كتاب البر.

(٥) انظر: مجاز القرآن (٢٧٩/١).

(٦) انظر: تفسير البغوي (٣٦١/٢)، وتفسير ابن حبيب (ق:٩٦/ب).

أحدها: يجوز اتخاذ الولد لمن يتعزز به وهو عزيزٌ لا يعزز بعزةٍ لقوله ﴿ **إن العزة لله** ﴾[1].

والثاني: يجوز إتخاذ الولد لمن كان مغلوبا والله تعالى هو الغالب على الأشياء ﴿ **والله غالبٌ علىٰ أمره** ﴾[2].

والثالث: يجوز إتخاذ الولد لمن تعظم به، والله تعالى هو العظيم لا يتعظم بغيره ﴿ **وهو العلى العظيم** ﴾[3].

الرابع: يجوز إتخاذه لمن كان مقهوراً والله هو القاهر كقوله تعالى ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾[4] الآية.

والخامس: يجوز إتخاذه لمن يقوى به والله هو القوي لقوله ﴿ **وكان الله قوياً عزيزاً** ﴾[5].

والسادس: يجوز إتخاذه لمن كان مخلوقا والله هو الخالق غير المخلوق لقوله ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾[6].

والسابع: يجوز إتخاذه لمن كان مقدوراً والله هو القادر غير مقدورٍ لقوله: ﴿ **إن الله علىٰ كل شيءٍ قدير** ﴾[7].

---

(١) سورة يونس آية ٦٥.

(٢) سورة يوسف آية ٢١.

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥، وسورة الشورى آية ٤.

(٤) سورة الانعام آية ١٨، ٦١.

(٥) سورة الأحزاب آية ٢٥.

(٦) سورة الزمر آية ٦٢.

(٧) سورة البقرة آية ٢٠.

والثامن: يجوز إتخاذه لمن كان غير وتر والله هو الوتر لقوله: ﴿ **والشفع والوتر**﴾[1] قال مجاهد: الشفع، الخلق، والوتر: هو الله[2].

والتاسع: يجوز إتخاذه لمن يموت والله حيٌّ لا يموتٌ لقوله: ﴿**وتوكل على الحى الذى لا يموت**﴾[3].

والعاشر: يجوز إتخاذه لمن يتبعض ويتجزأ والله واحدٌ غير متبعض ولا متجزئ لقوله: ﴿ **وإلهكم إلهٌ وٰحدٌ لآ إلٰه إلا هو الرحمٰن الرحيم** ﴾[4].

والواحد على أربعة أقسام: قسمٌ يحتمل التنصيف ولا يحتمل التضعيف كقول القائل عالمٌ واحدٌ والعالم ما يحتمل التنصيف، والثاني: لا يحتمل التنصيف ويحتمل التضعيف كالجزء الذي لا يتجزأ . والثالث: من الأقسام يحتمل التضعيف والتنصيف جميعاً كقول القائل ثوبٌ واحدٌ يحتمل التضعيف والتنصيف جميعاً. والله واحدٌ خارجٌ عن هذه الأقسام لا يحتمل التضعيف ولا التنصيف ولا واحداً منهما[5].

والحادي عشر: يجوز إتخاذ الولد لمن كان أن يكون ولده غير مملوك والله مالك كل واحد لقوله ﴿ **إن كل من فى السمٰوٰت والأرض** ﴾[6] الآية .

٢٤١/أ والثاني عشر: يجوز إتخاذه لمن له زوجٌ / والله تعالى غنيٌّ عن الزوج لقوله ﴿**بديع السمٰوٰت والأرض** ﴾[7] الآية. صاحبة يعني زوجةً.

---

(١) سورة الفجر آية ٣.
(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص:٧٥٦).
(٣) سورة الفرقان آية ٥٨.
(٤) سورة البقرة آية ١٦٣.
(٥) لم يذكر المؤلف القسم الرابع.
(٦) سورة مريم آية ٩٣.
(٧) سورة الأنعام آية ١٠١، وتمام الآية: ﴿ **بديع السمٰوٰت والأرض أنىٰ يكون له ولد ولم تكن له صٰحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم**﴾..

الثالث عشـر: يجوز إتخاذه لمن جاز أن يكون له شـريكٌ في الملك لقوله ﴿ **ولم يكن له شريكٌ في الملك**﴾ الآيه[١].

والرابع عشـر: يجوز إتخاذه لمن يجـوز أن يتسمى بإسمـه والله لا يتسمى غـيره باسمه لقوله: ﴿ **رب السمٰوات والأرض وما بينهـما فاعـبده واصطبر لعبـٰدته هل تعلم له سمياً** ﴾[٢] أي لا يسمي أحدٌ اللهٌ غير الله.

والخامـس عشر: يـجوز إتخـاذه لمن له مثلٌ والله تعـالى لا مثل له لقـوله ﴿ **ليس كمثله شيءٌ** ﴾ الآية[٣].

والسادس عـشر: إتخاذه لمن يتكثر بولده والـله أحدٌ لا يتكثر بغيـره لقوله ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾[٤].

والسابع عـشر: يجوز إتخـاذه لمن هو محـتـاجٌ والله غيـر محتـاج لقوله ﴿ **الله الصمد** ﴾[٥] قال أبو بكر بـن عبدش: حـاكيا عن الضـحاك، الصـمد: الذي لم يـكن محتاجاً إلى أحدٍ وإليه حاجة كُلٍ أحد[٦].

والثامن عشر: يجوز إتخاذه لمن كان له نظيـرٌ والله منزهٌ عن النظير والشبيه لقوله ﴿ **ولم يكن له كفواً أحد** ﴾[٧].

والتاسع عشـر: يجوز إتخاذه لمن كان ولداً لغيره والله منزهٌ عن الإنتـساب لقوله ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾[٨] الآية.

---

(١) سورة الإسراء آية ١١١، وسورة الفرقان آية ٢.

(٢) سورة مريم آية ٦٥.

(٣) سورة الشورى آيه ١١.

(٤، ٥) سورة الاخلاص آية ١، ٢.

(٦) لم أقف عليه عنه، وأخرج الطبري: (٣٠/٢٢٣) عنه أنه قال: الصمد الذي لا جوف له.

(٧) سورة الاخلاص آية ٥.

(٨) سورة الأخلاص آية (٣، ٤).

والعشـرون: يجوز إتخـاذ الولدِ لمن صار غنيـاً بالولد والله غني بغير أحد لـقوله ﴿قالوا اتخـذ الله ولداً سبحـنه هو الغنى له مـا فى السمـوت وما فى الأرض﴾[1] عبيدا وملكا ﴿إن عندكم﴾ ما عندكم ﴿من سلطـن﴾ من حجةٍ وبرهانٍ ﴿بهذآ﴾ وكل مـا جـاء في القـرآن من ﴿إن﴾ إذا كـان بمعنى ﴿ما﴾ فيـستقبله إلا، إلا في موضعين، أحدهما ها هنا ﴿إن عندكم﴾ أي هل عندكم ولا يستقبله إلا .

والثاني في سورة الأنبياء ﴿إن كنا فـعلين﴾[2] أي ما كنا ولا يستـقبله إلا فقط ﴿من سلطـــنٍ﴾ من حـجةٍ وبرهان بهـذا، وإنما سـميت الحـجـة سلطاناً، لأن الرجل يسلط بها على غيره ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾.

﴿قل﴾ يا محـمد ﴿إن الذين يفـترون﴾ يختـلقون ﴿على الله الكذب لا يفلحونٍ﴾ لا ينجـون في الآخرة ﴿متـعٌ فـى الدنيا﴾ قال الأخفش: لهـم متاعٌ في الدنيا[3] أي متـعةٌ ومنفعـةٌ في الدنيا ﴿ثم إلينا مرجـعهم﴾ في الآخـرة ﴿ثم نذيقُـهم العذاَبَ الشديَدَ بما كانوا يكفرون﴾ يشركون.

قوله: ﴿واتل﴾ وإقرأ يا محمد ﴿عليهم﴾ على أهل مكة ﴿نبأ نوحٍ﴾ خبر نوحٍ بالقرآن ﴿إذ قال لقومه﴾ حين قال لقومه﴿يـقوم إن كان كبر عليكم﴾ ثقل عليكم ﴿مقامى﴾ طول مقامي ﴿وتذكيري﴾ وتحذيري أياكم ﴿بئايـت الله﴾ بالأمر والنهي ﴿فعلى الله توكلت﴾ فبالله وثقت ﴿فأجمـعوا أمركم﴾ فاجتمعوا على قولٍ واحدٍ ﴿وشركآءكم﴾ وادعوا شركاءكم.

قال أبو معاذٍ: جمع وأجمع بمعنى واحد[4] ، وقال المورّج: أجمع في هذا الموضع

(١) هذه الآية تكفي عن كل الوجوه التي ذكرها المؤلف فالله سبحانه وتعالى أخبر أنه لم يتخذ ولد لأنه الغني وغناه سبحانه وتعالى ذاتي، ولا يكون ذلك لغيره، بل كل من سواه فهو فقيراً إليه فقراً ذاتياً.

(٢) سورة الأنبياء آية ١٧.

(٣) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٥٦٧).

(٤) انظر: تفسير أبي القاسم بن حبيب (ق/٩٧/أ).

أفصح وبه جاء القرآن[1] قال قطرب: ﴿ **فأجمعوا** ﴾ فأعزموا ﴿**أمركم**﴾ وادعوا شركاءكم وكذلك في مصحف أبّي[2] ﴿ **وادعوا شركآءكم** ﴾ ﴿ **ثم لا يكن أمركم عليكم غمةً** ﴾ أي لا تلبسوا أمركم وقولكم على أنفسكم، قال المبرد: مثل هذا يسمى النهي المصروف[3] لأنه صرف النهي من صاحب الأمر إلى الآمر ﴿ **ثم اقضوا إلىّ** ﴾ ثم امضوا إلى ﴿**ولا تنظرون** ﴾ أي ولا ترقبوا في أحداً، أي لا تحترموا أحداً لأجلي[4] أي لا تحفظوا حرمة أحدٍ لأجلي ﴿ **فإن توليتم** ﴾ فإن أبيتم من التوحيد ﴿ **فما / سألتكم**﴾ معناه: فقل: ما سألتكم على الإيمان ﴿ **من أجرٍ** ﴾ من جعلٍ ﴿ **إن أجرى**﴾ إن جعلي ﴿ **إلا على الله** ﴾ . ٢٤١/ب

﴿ **وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ مع المسلمين ﴿ **فكذبوه** ﴾ فكذبوا نوحا ﴿**فنجينـٰه** ﴾ نوحاً.

قال الله: فنجينا نوحا ﴿ **ومن معه**﴾ من المؤمنين ﴿**فى الفلك**﴾ أى فى السفينة وكانوا ثمانين نفراً ﴿ **وجعلنـٰهم** ﴾ يعني نوحا ومن معه من المؤمنين ﴿**خلـٰئف**﴾ سكان الأرض من بعد هلاك قوم نوح الذين كذبوا به ﴿ **وأغرقنا الذين كذبوا بئايـٰتنا**﴾ بكتابنا ورسولنا.

﴿ **فانظر** ﴾ يا محمد ﴿ **كيف كان علـٰقبة المنذرين** ﴾ آخر أمر الكافرين ﴿ **ثم بعثنا** ﴾ ثم أرسلنا ﴿ **من بعده** ﴾ من بعد نوح ﴿ **رسلاً إلىٰ قومهم فجآءوهم بالبينـٰت**﴾ بالأمر والنهي ﴿ **فما كانوا ليؤمنوا** ﴾ ليصدقوا ﴿ **بما كذبوا به من قبل** ﴾

---

(١) انظر: تفسير أبي القاسم بن حبيب مخطوط (ق:٩٧/أ).

(٢) انظر: تفسير بن حبيب (ق:٩٧/أ)، وانظر: قراءة أبي في المحتسب لابن جني (١/٣١٤).

(٣) انظر: تفسير بن حبيب (ق:٩٧/أ).

(٤) جمهور المفسرين فسروا الآية بخلاف ما فسرها به المؤلف، قال الطبري (١٥/١٥١): يقول: ولا تؤخرون. وبمثله قال الثعلبي (ق:٢١/ب)، والبغوي (٢/٣٦٢)، وابن كثير (٤/٢١٨).

من قبل يوم الميثاق ﴿ **كذلك** ﴾ هكذا ﴿ **نطبع** ﴾ نختم ﴿ **على قلوب المعتدين** ﴾ من الحلال إلى الحرام.

﴿ **ثم بعثنا** ﴾ أرسلنا ﴿**من بعدهم**﴾ من بعد الرسل ﴿**موسى وهرون إلى فرعون وملإيه**﴾ ورؤساء قومه ﴿**بئايتنا**﴾ التسع ﴿**فاستكبروا**﴾ فتعظموا عن الإيمان ﴿**وكانوا قوماً مجرمين**﴾، ﴿**فلما جآءهم الحق من عندنا**﴾ يعني الآيات ﴿**قالوا**﴾ يعني فرعون وقومه ﴿**إنَّ هذا لسحرٌ مبينٌ**﴾ لكذبٌ بيّن ﴿**قال**﴾ لهم ﴿**موسى أتقولون للحق**﴾ للصدق ﴿**لما جآءكم**﴾ حين جاءكم ﴿**أسحرٌ هذا ولا يفلح السحرون**﴾ ولا يأمن من عذاب الله الساحرون ﴿**قالوا**﴾ يعني فرعون وقومه ﴿**أجئتنا لتلفتنا**﴾ لتصرفنا ﴿**عما وجدنا عليه ءابآءنا وتكون**﴾ ولتكون ﴿**لكما الكبرياء**﴾ الملك ﴿**فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين**﴾ بمصدقين، وقرئ ﴿**ويكون**﴾ بالياء[1] والتاء[2] فالتاء للفظ الكبرياء، والياء بمعناه وهو الملك وإنما سمي الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب في الدنيا ﴿**وقال فرعون ائتونى بكل سحرٍ عليم**﴾ حاذق في سحره ﴿**فلما جآء السحرة قال لهم موسى ألقوا مآ أنتم ملقون**﴾ قال ابن فورك: فى قول موسى ﴿**ألقوا**﴾ وجهان: أحدهما: أمر إلزام . والثانى: أمر تذليل، أي ليذللن من لم يقم بالحجة﴿**مآ أنتم ملقون**﴾ أي جميع ما أنتم ملقون[3]. ﴿**فلمآ ألقوا**﴾ يعني السحرة ﴿**قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله**﴾ سيهلكه ﴿**إن الله لا يصلح**﴾ لا يرضى ﴿**عمل المفسدين**﴾ بعمل الساحرين، قرئ السحر بالاستفهام[4] وغير الإستفهام[5] فمن قرأ بالإستفهام جعل ﴿**ما جئتم به**﴾ إستفهاماً، ثم أدخل

---

(١) بالياء قراءة شاذة قرأ بها ابن مسعود والحسن وابن أبي ليلى. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٥٧، ٥٨).

(٢) قراءة الجمهور وهي الموافقة لرسم المصحف.

(٣) لم أقف عليه عند غيره.

(٤) قرأ بالهمز والمدّ على الاستفهام أبو عمرو. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٥٢).

(٥) قراءة الجمهور انظر المصدر السابق.

إستفهاماً في السحر ليكون السؤال والجواب واحداً وتصديق الإستفهام ﴿أسحر هذا﴾؟.

قوله: ﴿ ويحق الله الحق ﴾ أي ويظهر الله الإسلام ﴿ بكلمته ﴾ بتحقيقه وقيل: ﴿ بكلمته ﴾ أي بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ بأن ذلك يكون، يعني ظهور الإسلام ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ أي المشركون ﴿فمآ ءامن لموسى﴾ فما صدق لموسى ﴿ إلا ذرية ﴾ طائفةٌ قليلةٌ ﴿ من قومه ﴾ ثم إختلفوا من هم من ثلاثة أوجه:

أحدها قال ابن عباس: وذلك أن قوم فرعون تزوجوا بنساء بني إسرائيل فظهر منهم أولاد[1] فلما بعث الله موسى إلى بني إسرائيل آمن أولادهم بموسى فذلك قوله ﴿فمآ ءامن ﴾ الآية.

٢٤٢/أ

والثاني: / قال مجاهد: أولاد الرسل والأنبياء من بني إسرائيل[2].

والثالث: إمرأة فرعون آسية ومشاطة[3] آل فرعون وخازنة وخزبيل عن الأعمش[4] قال ابن حبيب رأيت في بعض التفاسير الذرية سبعون الف[5]. ﴿ من قومه ﴾ فيه قولان: أحدهما: من قوم موسى، والثاني: من قوم فرعون[6]. عن ابن عباس[7]: على

(١) ذكره ابن حبيب (ق:٩٧/ب).

(٢) قول مجاهد: أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان ومات أباؤهم والمعنى يكون أولاد القبط. انظر: تفسير مجاهد (ص:٢٩٥)، وتفسير الطبري (١٥/١٦٤) برقم (١٧٧٧٦). ولم أجد عن مجاهد خلاف هذا القول.

(٣) في بعض كتب التفسير: [ماشطة].

(٤) ذكره أبو القاسم بن حبيب (ق:٩٧/ب)، والمروي عن الأعمش عند الطبري خلاف هذا القول (١٥/١٦٤) برقم (١٧٧٨٠).

(٥) انظر: تفسيره (ق:٩٧/ب) قال: سبعين نفر ولم يقل الف.

(٦) ان قصد بالقوم بني إسرائيل، فما تقدم له وجه، وان قصد بفرق من أرسل إليهم عموماً فهو أرسل إلى بني إسرائيل وإلى القبط وعلى هذا يكون الضمير عائد إلى فرعون.

(٧) انظر قولي ابن عباس رضي الله عنهما أخرجهما الطبري (١٥/١٦٤، ١٦٥) برقم (١٧٧٨١، ١٧٧٨٢).

خوف ﴿ **من فرعون وملإيهم** ﴾ فيه قولان: أحدهما: ملأهم ملأ الذرية على ما فسرنا أن أمهاتهم من بني إسرائيل وآباءهم من قوم فرعون.

والثاني: قال الفراء: إن الكناية ترجع إلى فرعون، ولكن أخرجت مخرج الجمع، لأن فرعون رئيسهم وإذا ذكر الرئيس أريد هو وقومه كما يقال قدم الخليفة أراد بجنوده[1] ﴿ **أن يفتنهم** ﴾ قال الكلبي: أن يقتلهم[2]. قال ابن عباس: أن يصدهم[3] ﴿**وإن فرعون لعالٍ فى الأرض**﴾ قال ابن عباس: لمخالفٍ في الأرض[4] قال أبو روق لمتكبرٍ في الأرض[5] ﴿ **وإنه** ﴾ وإن فرعون ﴿ **لمن المسرفين** ﴾ لمن المشركين ﴿ **وقال موسى يـقوم** ﴾ فحذفت ياء الإضافة من القوم واكتفى بكسرة الميم لأن حذف ياء الإضافة في النداء أحسن منه في غيره ﴿ **إن كنتم ءامنتم بالله** ﴾ صدقتم بالله ﴿**فعليه توكلوا**﴾ فيه فتقوا ﴿**إن كنتم مسلمين**﴾ منقادين لأمره.

﴿ **فقالوا** ﴾ يعني الذرية ﴿ **على الله توكلنا** ﴾ فوضنا أمرنا إلى الله ﴿ **ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظـلمين** ﴾ أي لا تسلطهم علينا فيظنون أنهم على الحق ونحن على الباطل ﴿ **ونجنا** ﴾ هذا كلام المؤمنين ﴿ **برحمتك من القوم الكـفرين** ﴾ من فرعون وقومه.

قال الله ﴿**وأوحينآ إلى موسى**﴾ الآية وذلك أن فرعون لما ظهر على بني إسرائيل أمر بكسر مساجدهم وآثارهم ظاهرةٌ فلما بعث موسى أمر الله بني إسرائيل باتخاذ المساجد في بيوتهم خيفةً من فرعون وآله فذلك قوله ﴿**واجعلوا بيوتكم قبلة**﴾ قال

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/٤٧٦) مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٢) لم أجده إلا في تنوير المقباس (١٣٦).

(٣) ذكره البغوي دون عزو (٢/٣٦٤) بلفظ: أن يصدهم والمعنى واحد.

(٤) ذكره ابن حبيب دون عزو (ق:٩٨/أ)، وذكره السمرقندي (٢/١٠٧).

(٥) ذكره ابو القاسم بن حبيب (ق:٩٨/أ).

ابن عباس والحسن: أي واتخذوا قبلة بيوتكم نحو الكعبة[1] ﴿وأقيموا الصلوة﴾ وأتموها ولم يأمرهم بالزكاة لأنهم عبيدٌ في يد فرعون[2] ﴿وبشر المؤمنين﴾ الموحدين ﴿وقال موسى ربنآ إنك ءاتيت فرعون﴾ أعطيته ﴿وملأه﴾ وقومه ﴿زينة﴾ زهرة ﴿وأمولاً فى الحيوة الدنيا ربنا﴾ هذه تكرار ﴿ليضلوا﴾ لئلا يضلوا ﴿عن سبيلك﴾ عن دينك فسقطت لا. لقوله: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ وقيل: اللام لام العاقبة كقوله: ليكون لهم عدواً والأول أصح.

﴿ربنا اطمس على أمولهم﴾ أي حولِ أموالهم حجارةً فصارت الحبوب حجارة في سنابلها والأعناب حجارةً على عروشها والثمار حجارة على أشجارها والدراهم حجارةً في أكياسها والدنانير حجارة في كنوزها ﴿وأشدد على قلوبهم﴾ واغلظ على قلوبهم ولم يقل على ألسنتهم لكي يعلم أن الإيمان بالقلب خلافا للمرجئة الكاذبة على الله ﴿فلا يؤمنوا﴾ فيه قولان: النصب، والجزم، فمن نصب جعله جواب أمرٍ بالفاء، ومن جزم فعلى الدعاء، وهو معطوفٌ على ما قبله ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ وهم لا يؤمنون، وقيل: العذاب الأليم، الغرق ها هنا[3].

قوله:/ ﴿ قال قد أجيبت دعوتكما ﴾ وذلك أن موسى كان دعا على فرعون وآله وهارون يؤمن فاستجاب الله دعاءهما، وكان بين دعوة موسى بالهلكة وبين الغرق أربعين سنة. فذلك قوله: ﴿ قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ﴾ على دعائكما إلى أن تظهر لكم الإجابة وفيه دليل على أن التأمين دعاء، ومن كان يؤمن كمن كان ٢٤٢/ب

(١) أخرجه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٧٤/١٥) برقم (١٧٨٠٩) وذكره الماوردي (٤٤٧/٢) وأخرجه أيضاً البغوي (٣٦٥/٢).

(٢) كل هذا ليس بصحيح لأن هذه الأوامر التي أنزلت إليه كانت بعد ما جاء موسى عليه السلام وخلّصهم الله من يد فرعون فلا وجه لقوله لأنهم عبيد في يد فرعون.

(٣) حكاه الماوردي عن بن عباس رضي الله عنهما، وممن قال بذلك البغوي (٣٦٦/٢)، والسمرقندي (١٠٩/٢).

يدعو، ﴿**ولا تتبعآن سبيل**﴾ دين ﴿**الذين لا يعلمون**﴾ توحيد الله وهو فرعون وقومه وقرئ ولا تتبعان بتشديد النون[١]، وتخفيفها[٢]، وبتخفيف النون وتشديدها في التأكيد لغتان وإنما كسر في الوجهين لإلتقاء الساكنين.

قوله: ﴿**وجـوزنا**﴾ وعبرنا ﴿**ببنى إسرءِيل البحر فأتبعهم**﴾ فأدركهم ﴿**فرعون وجنوده بغيًا**﴾ ظلّما ﴿**وعدوًا**﴾ في قتلهم ﴿**حتى إذآ أدركه الغرق**﴾ معناه أي فلما ألجمه الغرق ﴿**قال ءامنت**﴾ جواب فّلما، معناه: ﴿**قال**﴾ فرعون عند الغرق ﴿**ءامنت أنه لا إلـه إلا الذى ءامنت بـه بنوا إسرءِيـل وأنا من المسلمين**﴾ قال ابن عباس: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء وقالوا: هذا يوم ظفر موسى على عدوه فقال النبي ﷺ لأصحابه أنتم أحق بموسى فصوموا[٣].

وروى ابن عباس: قال: قال رسول الله ﷺ : خلق الله الجنة، يوم عاشوراء وأسكن آدم الجنة يوم عاشوراء، وولد إبراهيم يوم عاشوراء، ونجاه الله من النار يوم عاشوراء، وهداه الله يوم عاشوراء، وأغرق الله فرعون يوم عاشوراء[٤] .

وعن ابن عباس: أن جبريل قال للنبي ﷺ لو رأيتني وفرعون يدعو بكلمة الإخلاص ﴿**ءامنت أنه لا إله إلا الذى ءامنت به بنوا إسرءِيل**﴾ الآية وأنا أدسه فى الماء والطين لشدة غضبي عليه مخافة أن يتوب الله عليه، فقال رسول الله ﷺ يا جبريل وما شدة غضبك عليه قال لقوله ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾[٥] ولقوله ﴿**ما علمت**

(١) قراءة الجمهور . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٥٣).

(٢) قرأ بها ابن ذكوان انظر المصدر السابق.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٢٥١) باب صوم يوم عاشوراء.

(٤) لم أجده ، ولعله بدل ولا أشك أنه من الأحاديث الموضوعة على رسول الله ﷺ .

(٥) سورة النازعات آية ٢٤.

لكم من إلـه غيرى﴾[1][2] والإيمان على أربعة أقسام: قسم ينفع في الدنيا والآخرة، وهو إيمان المؤمنين الذين عاشوا معه، وماتوا عليه، لقوله: **﴿إن الذين ءامنوا وعملوا الصـلحت يهديهم ربهم بإيمـنهم تجرى من تحتهم الأنهـر فى جنـت النعيم﴾**[3]، وإيمان لا ينفع لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو إيمان في وقت اليأس من قوله **﴿فلم يك ينفعهم إيمـنهم﴾**[4] الآية. وإيمان ينفع في الدنيا ولا ينفع في الآخرة كـإيمان المنافقين. من قوله: **﴿إن الذين ءامنوا ثم كفروا ثـم ءامنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً﴾** إلى قوله **﴿عذابًا أليماً﴾**[5]، وإيمان ينفع في الآخرة ولا ينفع في الدنيا ، كإيمان السحرة في قوله: **﴿فألقى السحرة [سجداً]**[6] **قالوا ءامنا﴾** إلى قوله **﴿فأولـئك لهم الدرجـت**[7] **العلى﴾**[8] ثم إسم الإيمان يقع على ثلاثة أشياء: تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان كما روينا في الخبر عند قوله **﴿زادتهم إيمـنا ﴾**[9] الآية

---

(١) سورة القصص آية ٣٨.

(٢) أخرجه الطبري مختصراً: (١٥/١٩٢) برقم (١٧٨٦١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٤٠) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وهذه الرواية بطولها ذكرها أبو القاسم بن حبيب (ق:١٠١/أ).

(٣) سورة يونس آية ٩.

(٤) سورة غافر آية ٨٥.

(٥) سورة النساء آية ١٣٧، ١٣٨.

(٦) في الأصل: ﴿ فألقى السحرة سـجدين﴾ وهي الآية ٤٦ من سورة الشعراء ولعل المؤلف خلط بين الآيتين، آية الشعراء، وآية طه.

(٧) سورة طه آية ٧٥.

(٨) هذا التقسيم لا يستقيم، وذلك أن الإيمان المعتبر في الشرع، والنافع لصاحبه، هو الإيمان بالغيب، كما قال الله تعالى: **﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلـوٰة ...﴾** الآية سورة البقرة آية ٣، وأما إذا انكشف الغيب كالذي يعائن الملائكة عند الموت، وكالذي يعائن طلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك، فهذا إيمان لا ينفع ، وأما المنافق فليس بمؤمن أصلاً، لقوله تعالى: **﴿ ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الأخر وما هم بمؤمنين ﴾** سورة البقرة آية ٨.

(٩) سورة الأنفال آية ٢.

والتصديق ينفع في الآخرة والإقرار ينفع في الدنيا والعمل ينفع في الجنة وقرئ آمنت أنه بالكسر والفتح[1] فالكسر على وجهين أحدهما: أنها جاءت بعد القول، والثاني: أن آمنت بمعنى قلت / أن لا يظهر الإيمان إلا بالقول. والفتح على وجهين أحدهما: بوقوع الإيمان عليه، والثاني: أي بأنه. ٢٤٣/أ

﴿ءآلـٰـن وقد عصيت قبل﴾ فيه قولان: أحدهما: من قول الله[2]، والثاني: من قول جبريل على طريق الإهانة والتذليل ﴿ءآلـٰـن وقد عصيت قبل﴾ وقد كفرت قبل ذلك ﴿وكنت من المفسدين﴾ المشركين قال الله ﴿فاليوم ننجيك﴾ أي نلقيك على نجوة من الأرض ﴿ببدنك﴾ بدرعك وجسدك ﴿لتكون لمن خلفك ءاية﴾ فيه قولان: أحدهما: لمن يأتي خلفك ممن يزال على تلك الصفة، وقد كنت تدعي الربوبية.

والثاني: قال ابن عباس: إن بني إسرائيل قالوا ما مات فرعون فألقاه الله على نجوة من الأرض ليروه[3] كذلك ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ من الكفار ﴿عن ءايـٰتنا﴾ عن كتابنا ورسولنا ﴿لغـٰفلون﴾ لجاحدون.

قوله: ﴿ولقد بوأنا﴾ أنزلنا ﴿بنى إسراءيل مبوأ صدق﴾ منزل صدق من أرض كريمه وهي أرض فلسطين وأردن ﴿ورزقنـٰهم من الطيبـٰت﴾ المن والسلوى ﴿فما اختلفوا﴾ أي اليهود والنصارى في محمد ﴿حتىٰ جاءهم العلم﴾ أي يعني بيان محمد ونعته في كتابهم ﴿إن ربك يقضى﴾ ويحكم ﴿بينهم يوم القيـٰمة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من الدين.

قوله: ﴿فإن كنت فى شك﴾ الآية إختلفوا في تأويلها من خمسة أوجه:

---

(١) قرأ بكسر الهمزة حمزة والكسائي، وقرأ بفتحها الباقون، انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٥٣/٢).

(٢) وهو القول الراجح، انظر: تفسير ابن كثير رحمه الله (٢٢٧/٤).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق/٩٩/ب).

فقال القتيبي: كان الناس على عهد النبي ﷺ على ثلاثة أصناف: فمنهم كافر مكذب لا يرى إلا أن ما جاء به باطل، ومؤمن مصدق يعلم أن ما جاء به الحق، وشاك في الأمر لا يدري كيف هو[1] يقدم رجلا ويؤخر أخرى وهم المنافقون، فخاطب الله هذا الصنف من الناس، فقال: **﴿فإن كنت فى شك﴾** أيها الإنسان[2] **﴿ممآ أنزلنآ إليك﴾** من الهدى على لسان محمد **﴿فسئل﴾** الأكابر من أهل الكتاب والعلماء **﴿الذين يقرءون الكتـب من قبلك﴾** يعني التوراة. مثل عبدالله بن سلام ، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، وأشباههم، ويشهدون على صدقه.

والثاني: قيل أن هذا الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته[3] كقوله: **﴿يـأيها النبى اتق الله﴾**[4]. **﴿ يـأيها النبى إذا طلقتم النسآء ﴾**.[5]

والثالث: وقيل أن ها هنا بمعنى الجحد ومعناه ما كنت في شك مما أنزلنا إليك حتى يحتاج إلى سؤال أهل الكتاب عن حقيقة ذلك إن شئت فسألهم حتى يكون لك تأكيدا[6].

والرابع: قال الحسين بن الفضل **﴿فإن كنت فى شك ممآ أنزلنآ إليك﴾** من نصري إياك في حياتك الدنيا فسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك[7] حتى يخبروك

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق/٢٧/ب)، وذكره ابن حبيب (ق/١٠٠/ب).

(٢) الصحيح أن الخطاب للنبي ﷺ وهو قول المحققين من علماء التفسير .. انظر مثلاً: تفسير الطبري (٢٠٠/١٥) وما بعدها، وتفسير ابن سعدي (٣٨٨/٣).

(٣) هذا من الخطأ الفاشي عند كثير من المفسرين رحمهم الله فكلما جاء خطاب للنبي ﷺ قالوا: الخطاب لامته فأخرجوه عن ظاهره، والصواب أن يقال الخطاب للنبي ﷺ وأمته تبعاً له في ذلك .

(٤) سورة الأحزاب آية ١.

(٥) سورة الطلاق آية ١.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق/١٠٠/ب).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق/١٠٠/ب).

بأني ناصر الأنبياء على أعدائهم وقال الحسين بن الفضل أيضاً: أن مع حروف الشرط لا يثبت الفعل ولم يشك رسول الله ولم يسأل [عن][1] أهل الكتاب ﴿**فسئل الذين يقرءون الكتـٰب من قبلك**﴾ أي عامه أهل الكتاب لأنهم كانوا مقرين بصفته ووقت خروجه وإن كانوا ينكرونه بعينه معاندةً وجحوداً[2].

وقال ابن حبيب: رأيت في بعض التفاسير ﴿**فسئل الذين يقرءون الكتـٰب من قبلك**﴾ أي الملائكة[3]، ﴿**لقد جآءك**﴾ جبريل بالقرآن من قبل ﴿**الحق من ربك**﴾، فيه خبر الأولين والآخرين، ﴿**فلا تكونن من الممترين**﴾ أي الشاكيين ﴿**ولا تكونن من الذين كذبوا بئايـٰت الله**﴾ بكتاب الله ورسوله ﴿**فتكون من الخـٰسرين**﴾ المغبونين ﴿**إن الذين حقت**﴾ وجبت ﴿**عليهم كلمت ربك**﴾ بالعذاب ﴿**لا يؤمنون**﴾ وقيل: حكم الله / بالشقاوة وقيل: قول الله هؤلاء في النار ولا أبالي[4]. وقال قتادة: ﴿**كلمت ربك**﴾ سخط الله ﴿**لا يؤمنون**﴾ أي فلا يؤمنون بها أي ولا يؤمنون في علم الله[5]. ٢٤١/ب

﴿**ولو جآءتهم كل ءاية**﴾ طلبوا منك ﴿**حتى يروا العذاب الأليم**﴾ يوم بدر ولو جاءتهم أدخل فيه تاء التأنيث وليس في كل علامة التأنيث قيل: هذا التأنيث على المعنى دون اللفظ وهي راجعة إلى الآية وقال الأخفش: لأن كل ما أضيف إلى المؤنث مؤنث[6] وكل الآية آية ولا يتغير كل عن حالته سواء كان عباره عن المؤنث [أ][7] والمذكر.

---

(١) كذا في الأصل والصواب حذف [عن] ليستقيم المعنى.

(٢) ذكره الثعلبي (ق/٢٨/ب)، وابن حبيب (ق/١٠٠/ب).

(٣) انظر: تفسيره (ق/١٠٠/ب).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/٢٠٥) برقم (١٧٨٩٦) والبغوي (٢/٣٦٨) ورواه أحمد في مسنده (٤/١٨٦) وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير (٢/١٠٩) برقم (١٧٥٤). من رواية عبدالرحمن بن قتادة السلمي يرفعه.

(٥) ذكره ابن حبيب (ق/١٠١/أ).

(٦) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٥٧٤).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

قوله: ﴿فلولا كانت قرية﴾ الآية قال ابن عباس: أى لم يكن أهل ﴿قرية ءامنت﴾ عند نزول العذاب ﴿فنفعهآ إيمنـهآ﴾ أي لم ينفع إيمانهم عند نزول العذاب ﴿إلا قوم يونس﴾ نفع إيمانهم[1] عند نزول العذاب ﴿لمآ ءامنوا﴾ حين آمنوا ﴿كشفنا﴾ صرفنا ﴿عنهم عذاب الخزى﴾ عذاب الشدة ﴿فى الحيوٰة الدنيا﴾ ﴿ومتعنلهم إلى حين﴾ تركناهم بلا عذاب إلى وقت الموت وإنما لم يهلك قوم يونس عند نزول العذاب لبقاء آجالهم وقيل: ﴿فلولا كانت قرية﴾ أي ما كانت قريةٌ وقال الكلبي: فهلا كانت قريةٌ آمنت. قال الأستاذ ابن حبيب: فلو حرف شك وصلت بلاء الجحد فإذا وليها الفعل كانت استفهاماً تكون بمعنى هلا[2] لأن الاستفهام شكٌ مثل قوله ﴿فلولا نفر﴾[3] أي فهلا ﴿فلولآ إذا بلغت الحلقوم﴾[4] أي فهلا. مثل هذا في القرآن إذا وليها الاسم كان جحداً وهاهنا جحد لأنه وليها الاسم أي لم تكن قريةٌ آمنت. إلا قوم يونس في ﴿إلا﴾ أربعة أقاويل: أحدهما: إستثناء منقطع. والثاني: إستثناء من غير جنس. والثالث: معناه ولكن قوم يونس. والرابع معناه كما آمن قوم يونس، عن مجاهد.[5]

وفي يونس ثلاث لغات ضم النون[6] وفتحها[7] وكسرها[8] وأفصحها ضم النون فلذلك هي أصح القراءات.

قوله: ﴿ولو شآء ربك لأمن من فى الأرض﴾ الآية قال ابن عباس: وذلك أن رسول الله ﷺ كان حريصا على إسلام أبي طالبٍ وقومه فأبى الله ذلك منهم يعني

(١) أخرجه الطبري (١٥/٢٠٧) برقم (١٧٨٩٧).
(٢) انظر: تفسير أبي القاسم بن حبيب (ق/١٠١/أ).
(٣) سورة التوبة آية ١٢٢.
(٤) سورة الواقعة آية ٨٣.
(٥) انظر: تفسير مجاهد (ص:٢٩٨).
(٦) هي الموافقه لرسم المصحف وهي قراءة العموم. انظر: تفسير ابن حبيب (ق/١٠١/أ).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق/١٠١/أ).
(٨) قراءة طلحة وعاصم والأعمش ذكر ذلك أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق/١٠١/ب).

الإسلام إلا من علم الله في سابق علمه أنه يؤمن[١] فأنزل الله ﴿**ولو شآء ربك لأمن من فى الأرض كلهم جميعًا**﴾ قال الحسين بن الفضل: لآمن من في الأرض: لاضطرهم على الإيمان أي لعذبهم حتى يؤمنوا[٢]. قال الأخفش: وإنما قال ﴿**جميعاً**﴾ مع قوله ﴿**كلهم**﴾ على التأكيد كما قال الله: ﴿**لا تتخذوا إلـٰهين اثنين**﴾[٣] وفي قوله إلهين دليلٌ على اثنين[٤].

﴿**أفأنت تكره الناس حتىٰ يكونوا مؤمنين**﴾ ﴿**وما كان لنفسٍ**﴾ كافرةٍ ﴿**أن تؤمن**﴾ قال المبرد: لتؤمن[٥] ﴿**إلا بإذن الله**﴾ بإرادة الله ومشيئته وتوفيقه ﴿**ويجعل الرجس**﴾ العذاب ﴿ **على الذين لا يعقلون**﴾ أمر الله. قرئ ﴿**ونجعل الرجس**﴾ بالنون[٦] والياء فالياء على الخبر والنون على التعظيم .

قوله: ﴿**قل**﴾ يا محمد لأهل مكة، ﴿**انظروا ماذا فى السمـٰوات**﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿**والأرض**﴾ وماذا في الأرض من الشجر والنبات والدواب. ﴿**وما تغنى الأيـٰت**﴾ وما تنفع الآيات ﴿**والنذر**﴾ والكتاب والرسل وسائر الآيات ﴿**عن قوم لا يؤمنون**﴾ في علم الله ﴿**فهل ينتظرون**﴾ معناه أي فهل ينتظرون يعني الكفار ﴿**إلا مثل أيام** ﴾ العذاب ﴿**الذين خلوا**﴾ مضوا ﴿**من قبلهم**﴾.

﴿**قل**﴾ يا محمد لهم ﴿**فانتظروا**﴾ هلاكي ونزول العذاب ﴿**إنى معكم من**

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/٢١١، ٢١٢) برقم (١٧٩٠٩)، والثعلبي (ق/٣٠/ب).

(٢) ذكره الثعلبي (ق/٣٠/ب).

(٣) آية ٥١ سورة النحل.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٥٧٤).

(٥) ذكره أبو القاسم بن حبيب (ق/١٠٢/أ).

(٦) قرأ بها يحي بن آدم عن أبي بكر عن عاصم أنظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٥٤)، وقرأ الباقون بالياء.

٢٤٤/أ

المنتظرين﴾ هلاككم ونزول / العذاب عليكم.

قوله: ﴿ثم ننجّى رسلنا والذين ءامنوا﴾ بهم بعد هلاك قومهم ﴿كذلك حقاً﴾ هكذا وجبت ﴿علينا ننج المؤمنين﴾ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿يـأيها الناس﴾ يا أهل مكة ﴿إن كنتم فى شك من دينى﴾ الإسلام ﴿فلا أعبد﴾ ﴿الذين تعبدون من دون الله﴾ الأصنام ﴿ولـكن أعبـد الله الذى يتوفـكم﴾ يميتكم وإنما قـال يتـوفـاكم ولم يقل يبعثكم لإقرارهم بالموت دون البعث. ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ مجازه وقيل أي كن من المـؤمنين ، ﴿وأن أقم وجهك﴾ أخلص عملك ﴿للدين حنيفاً﴾ مخلصاً مسلما ﴿ولا تكونن من المشـركين﴾ ﴿ولا تدع﴾ ولا تعبد ﴿من دون الـله﴾ من الأصنام ﴿ما لا ينـفعك﴾ في الدنيـا والآخـرة إن عبـدته ﴿ولا يضرك﴾ في الدنيـا والآخرة إن تركت عبادته.

﴿فإن فعلت فإنك إذاً﴾ حينئذٍ ﴿من الظـلمين﴾ من الضـارين لنفسك وقـال سفيان الثـوري: الظالم من طلب نفعـه ممن لا يملك نفع نفسـه واستدفـع الضر بمن لا يملك الدفاع عن نفسه ومن عجز عن إقامة نفسه كيف يقيم غيره[1].

قال: ﴿فإن فعـلت فإنك إذاً من الظـلمين﴾ وقيل: جميع أخـبار رسـول الله مع كثرتها في خبرٍ واحدٍ وهو قوله ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[2] ونظير هذا الخبر فى كـتاب الله قوله: ﴿ولا تدع من دون الله مـا لا ينفـعك ولا يضـرك﴾ ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ وإن يصبك الله بشـدةٍ ومرضٍ ﴿فلا كاشف﴾ فلا دافع ﴿له﴾ ﴿إلا هو﴾ إلا الله ﴿وإن يردك بخير﴾ وإن يصبك بنعمة ﴿فلا رآد لفضله﴾ فلا مانع لعطيته ﴿يصيب﴾ يخص ﴿به من يشآء﴾ من كان أهلا لذلك ﴿من عباده﴾

(١) لم أقف عليه.

(٢) الحديث أخرجه الإمـام مالك في الموطأ (٢/٩٠٣) كتاب حسن الخلق، والترمـذي في كتاب الزهد (٤/٥٥٨) وصـححـه الألبـاني . انظر: صحيـح الترمـذي (٢/٢٦٩)، وصـحيـح ابن مـاجـه (٢/٣٦٠).

و﴿يصيب به﴾ الهاء راجعٌ إلى الفضل، ويحتمل أن يكون راجع إلى الخير والله أعلم ﴿وهو الغفور﴾ المتجاوز لمن تاب ﴿الرحيم﴾ بمن مات على التوبة.

قوله: ﴿قل يـٰأيها الناس﴾ يا أهل مكة ﴿قد جآءكم الحق﴾ الصواب ﴿من ربكم فمن اهتدىٰ فإنما يهتدى لنفسه﴾ يعني من آمن فإنما يرجع ثوابه إلى نفسه ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ ومن كفر فإنما يرجع عقوبة الكفر عليها ﴿ومآ أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظٍ وهذه منسوخةٌ بآية القتال[1].

﴿واتبع ما يوحىٰ إليك﴾ واعمل يا محمد بما تؤمر في كتابك ﴿واصبر حتىٰ يحكم الله﴾ حتى يقضى الله ﴿وهو خير الحـٰكمين ﴾[2] أفضل القاضين.

* * *

(١) الآية محكمة وليست منسوخة، والمعنى أن النبي ﷺ ليس حفيظاً على من أرسل إليهم بحفظ أعمالهم، وإنما هو داع ومنذر ومبلغ. وقد رد جماعة من العلماء دعوى النسخ هذه ، منهم ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٢٤)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١٣٦، ١٣٧)، ومكي بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٢٤٢).

(٢) في أصل المخطوط: وهو أحكم الحاكمين والصواب ما أثبته.

تفسير سورة هود عليه السلام

ولهذه السورة اسمان صمت الخلائق[1] وسورة هود وفيها قال الشاعر[2]

فكرت في هودٍ فـفـيـهـا العـجب أخـبـار قــــومٍ عـصـاةٍ عطب

أي: هلك وهي كلها مكيةٌ وعدد حروفها تسعة آلافٍ وستمائة وخمسة أحرف وعدد كـلماتهـا ألف وتسعـمائة وخـمس عشـرة كلمةً وعـدد آياتها مـائة وعـشرون وثلاث آياتٍ عند الكوفيين، واحد[ى][3] وعشرون عند الباقين.[4]

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم مالك الملوك ورازق الوحوش وغافر الذنوب.

قوله تعالى: ﴿الٓـر﴾ قال ابن عـباس: أنا الله أرى[5]. وقيل: مـعناه: أنا الرب، لا رب غيري[6] وقـد مر ذكـره في أول سـورة يونس ﴿الٓـر كتـٰبٌ أحـكمت ءايـٰته﴾

---

(١) لم أجد من ذكر هذا الاسم، وقال ابن عاشور في تفسيره (٣١١/١١): سميت في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة سورة هود، ولا يعرف لها اسم غير ذلك.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (ق:٣٢/أ).

(٥) الأثر في تفسير ابن جرير (٩/١٥)، وابن كثير (٤٠٥/٢)، والدر (٢٩٩/٣).

(٦) مر ذكره في أول سورة يونس.

بالأمر والنـــهي[١] ﴿ ثم فصلت﴾ بينت بالثواب والعقاب، وقيل: أحكمت آياته من الباطل، ثم فصلت بالحلال والحرام عن قتاده[٢]، قال الواسطي[٣]: أحكمت بالحلال والحرام وفصلت بالوعد والوعيد. وقيل: أحكمت آياته في قلوب العارفين وفصلت أحكامه على أبدان العالمين. وقال الحسن: أحكمت آياته بالأمر والنهي وفصلت بالوعد والوعيد[٤].

وقال ابن حبيب: رأيت / في بعض التفاسير أحكمت آياته من الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل حتى لم تغير كما غيرت التوراة والإنجيل ثم فصلت أي بينت وميزت الآيةُ من الآيةِ والحلالُ من الحرامِ والناسخُ من المنسوخ[٥]. ٢٤٤/ب

﴿من لدن حكيم﴾ محكمٌ أفعاله ﴿خبير﴾ عالم. وقيل: حكيمٌ فيما أنزل خبيرٌ بمن أقبل على أمره وأعرض عنه.

﴿ألا تعبدوا﴾ معناه: وفيه ألا تعبدوا أي لا توحدوا إلا الله، وقيل: معناه : قل لا

---

(١) هذا الأثر مروي عن الحسن ، انظر: تفسير الطبري (٢٢٦/١٥) برقم (١٧٩١٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٢١٦/٢)، والسيوطي في الدر (٣٢٠/٣)، والبحر المحيط (٢٠٠/٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢٦/١٥) عن قتادة ولفظه، (احكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه، فبين حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته)، الأثر (١٧٩١٩). وذكره البغوى في تفسيره (٢١٦/٢)، والدر (٣٢٠/٣)، وابن عطيه (١٢/٩) ولم يذكر قائله.

(٣) فرج بن عمر بن الحسن بن أحمد بن عبدالكريم أبو الفتح الواسطي الضرير. المقرئ المفسر المتوفي سنة ست وثلاثين وأربعمائه . معاصر للحيري المؤلف

انظر ترجمته في: طبقات الداوودي (٢٨/٢).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٣/أ) عن الحسن بلفظ: ثم فصلت بالثواب والعقاب، بدل بالوعد والوعيد. وذكره الماوردي في تفسيره (٤٥٥/٢).

(٥) انظر: تفسير أبي القاسم بن حبيب مخطوط (ق:١٠٣/أ). وروى ابن أبي حاتم هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند فيه عبدالرحمن بن محمد الفزاري وهو ضعيف.

انظر: تفسير ابن أبي حاتم مخطوط (ق:٢١٤/ب) وذلك عند تفسير آية ١٨٨ من سورة الاعراف.

تعبدوا إلا الله، وقيل: ثم فصلت ءايته بأن ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾[1] ﴿إننى لكم منه﴾ وقيل: إننى لكم منه من الله ﴿نذيرٌ﴾ منذر بالنار لمن عصاه ﴿وبشيرٌ﴾ مبشر بالجنة لمن أطاعه ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ وفيه أن استغفروا، وقيل[2]: أي استغفروا ربكم[3] وقيل: بأن استغفروا ربكم : أي وحدوا ربكم ﴿ثم توبوا إليه﴾ ثم أقبلوا إليه وقال الفراء: ثم هنا بمعنى الواو، ومعناه: وأن استغفروا ربكم وتوبوا إليه لأن الاستغفار والتوبة شيء واحد[4] ويقال: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ. ومعناه: وأن توبوا إلى الله ثم استغفروا لأن التوبة قبل الاستغفار وقيل معناه إستغفروا ربكم من ذنوبكم الماضية ثم توبوا إليه من الذنوب المستأنفة متى وقعت منكم المعصية والاستغفار طلب المغفرة[5].

وعن عائشة قالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: لا صغيرةً مع إصرار ولا كبيرةً مع استغفار فطوبى لمن وجد في صحيفته استغفارٌ كثيرٌ يوم القيامة[6].

وروى أنسٌ بن مالكٍ قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا استبطأ أحدكم رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كلمةٌ من كنوز الجنه، وإذا كثرت ذنوب أحدكم فليكثر من الإستغفار فإنها تأكل الخطيئة كما يأكل الماء النار»[7].

وقال رسول الله ﷺ رافعاً يديه: «يا أيها الناس استغفروا ربكم ثم توبوا إليه فوالله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرةٍ»[8].

---

(١) ذكره الثعلبي (ق:٣٢/ب).

(٢) ذكره الماوردي (٤٥٦/٢) ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٣/أ).

(٤) ذكره الثعلبي (ق:٣٢/ب).

(٥) حكاه الماوردي (٤٥٦/٢).

(٦) قال في كشف الخفا (٥٠٨/٢): «رواه إسحاق بن بشر في المبتدأ عن عائشة لكن حديثه منكر». أهـ.

(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ الطويل، والحديث الصحيح المتفق عليه «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة فقلت بلى يا رسول الله، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله» متفق عليه. انظر صحيح مسلم (٢٠٧٨/٤).

(٨) الحديث في شرح معاني الأثار للطحاوي (٢٨٩/٤)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للالباني (١٤٥٢).

﴿يمتعكم متـاعاً حسناً﴾ يعني يعيشكم عيشاً حسنا في أمن وسعة ورخاء ورفاهية من إدرار المطر وإنبات الزرع ولا يبتليكم بالقحط والجدوبة ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى منتهى آجالكم، قال مقاتل بن سليمان: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ أهل مكة إلى التوبة والاستغفار وعبادة الله فأبوا فابتلاهم الله بالقحط سبع سنين حتى أكلوا العظام المحروقة والقذر والجيف والكلاب[1].

﴿ويؤت كل ذى فضلٍ فضله﴾ ويعط كل ذي طاعةٍ ثوابه في الآخرة . قال أبو العالية: من كثرت طاعته في الدنيا زادت درجاته في الجنة؛ لأن الدرجات تكون بالأعمال[2].

قال ابن عباس: من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الأعراف ثم يدخلون الجنة بعد[3].

قال عكرمة: من عمل سيئةً جزي بمثلها ومن عمل حسنةً جزي بعشر أمثالها[4] يؤيد هذا قول النبي ﷺ : يقول الله: السيئة بواحدة أو أغفر والحسنة بعشر أو أزيد فويلٌ لمن غلبت آحاده أعشاره[5].

﴿وإن تولوا﴾ أي وإن يتولوا أعرضوا عن الاستغفار والتوبة ﴿فإنى أخاف﴾ فقل إني أخاف أعلم ﴿عليكم عذاب يومٍ كبير﴾ شديدٍ ﴿إلى الله مرجعكم﴾ في الآخرة ﴿وهو على كل شيءٍ قدير﴾/.

١/٢٤٥

(١) أنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٢٧١).
(٢) أخرجه الثعلبي (ق:٣٣/أ)، والبغوي (٢/٣٧٣).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٣/ب)، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٣٣/أ)، والبغوي (٢/٣٧٣).
(٤) أنظر: قول عكرمة ذكره أبو القاسم في تفسيره (ق:١٠٣/ب).
(٥) أنظر: تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٤/١١٠).

قوله: ﴿**ألا إنهم يثنون صدورهم**﴾ الآية روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وذلك أنه جالس النبي ﷺ فظهرت له امرأةٌ حسناء فنظر إليها سراً وكان يحلف بالله أنه يحبه يعني رسول الله وكان حسن المنظر حلو الحديث وكان رسول الله يعجبه حديثه ويقربه وكان يضمر في قلبه خلاف ما يظهر لرسول الله فأنزل الله فيه[1] آيتين: ﴿**ألا إنهم يثنون صدورهم**﴾ أي يخفون في صدورهم خلاف ما يظهرون، وقال عبدالله بن شداد[2] يولون ظهورهم إذا رأوا النبي ﷺ [3] وقيل: يضمرون في قلوبهم بغض محمدٍ وعدواته ﴿**ليستخفوا منه**﴾ أى ليستتروا من محمدٍ[4] بإظهار محبته ومجالسته له . وقيل ﴿**منه**﴾ الهاء عائدةٌ إلى الله أي ليستتروا من الله[5] ﴿**ألا حين يستغشون ثيابهم**﴾ يغطون رؤوسهم بثيابهم هذا على طريق التمثيل أي وإن غطوا رؤوسهم في الثياب ﴿**يعلم**﴾ الله ﴿**ما يسرون**﴾ فيما بينهم ﴿**وما يعلنون**﴾ يظهرون من المقال والجدال.

وقيل: ما يعلنون من المحبة والمجالسة[6] ﴿**إنه**﴾ إن الله ﴿**عليم بذات الصدور**﴾ بما في القلوب من الضمائر ﴿**وما من دآبة**﴾ وما من حيوانٍ يدب بالأرض ﴿**إلا على الله رزقها**﴾ أي إلا على الله القيام برزقها . وقيل: إلا من الله جاء رزقها.

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره مختصراً (ق:٣٣/أ، ب)، والبغوي (٣٧٣/٢)، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٦٨).

(٢) هو عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي، أبو الوليد المدني ولد على عهد النبي ﷺ من كبار التابعين الثقات مات مقتولاً في سنة إحدى وثمانين وقيل بعدها. انظر: التقريب (٤٢٢/١).

(٣) أخرج الثعلبي في تفسيره (ق:٣٣/ب)، والبغوي (٣٧٣/٢) عن عبدالله بن شداد أنه قال نزلت هذه الآية في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وحنى ظهره وطأطأ رأسه ... الحديث».

(٤) ذكره الثعلبي (ق:٣٣/ب).

(٥) ذكره الثعلبي (ق:٣٣/ب) ونسبه إلى مجاهد.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٣/ب) ونسبه إلى من أسماهم بأهل المعاني. يعني الأشاعرة.

﴿ويعلم﴾ الله ﴿مستقرها﴾ حيث يأوي إليه ﴿ومستودعها﴾ حيث يموت.

عن ابن عباس: [1] قال مجاهد: مستقرها في أرحام الأمهات ومستودعها في أصلاب الآباء[2] . وقال ابن حبيب: رأيت في بعض التفاسير ، مستقرها في الجنة ومستودعها في القبور[3] ﴿كل﴾ دابةٍ رزقها وأجلها ﴿فى كتٰبٍ مبين﴾ أي مكتوب في اللوح المحفوظ.

وبلغني أن رجلاً قال لأبي عثمان الحيري[4] من أين تأكل قال إن كنت مؤمنا فأنت مستغن عن هذا السؤال وإن كنت جاحداً فلا خطاب معك ثم تلا هذه الآية.

﴿وما من دآبة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾ قال ابن حبيب: الرزق ثلاثة : رزقٌ موعودٌ كقوله ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[5]، ورزقٌ مقسومٌ كقوله ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾ الآية[6] ورزقٌ مضمونٌ كقوله ﴿وما من دآبةٍ فى الأرض﴾ الآية، وفي الحديث روي عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «وما من زرع على الأرض ولا ثمارٍ على أشجارٍ إلا عليها مكتوبٌ هذا رزق فلان بن فلان»[7].قوله: ﴿وهو الذى خلق السمٰوٰت والأرض فى ستة أيام﴾ أي مع ستةِ أيامٍ ﴿وكان عرشه على المآء﴾ وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ.

---

(١) أخرج الطبري ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق (١٥/٢٤١) برقم (١٧٩٦٢، ١٧٩٦٣، ١٧٩٦٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/٢٤٢) برقم (١٧٩٦٥).

(٣) أنظر: تفسيرابن حبيب مخطوط (ق:١٠٣/ب).

(٤) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الواعظ الحيري مات سنة ٢٩٨هـ. انظر: الأنساب للسمعاني (٤/٣٢٧، ٣٢٨).

(٥) سورة الطلاق آية ٢.

(٦) سورة الزخرف آية ٣٢.

(٧) هذه الحديث موضوع انظر: تنزيه الشريعة (٢/٢٦٤).

هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيامٍ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وكان عرشه على الماء قبل ذلك أي قبل خلق السموات والأرض، وقال سعيد ابن جبير: سئل رسول الله ﷺ على أي شيءٍ كان العرش قبل أن خلق الماء؟ فقال: على متن الريح[1] ﴿ليبلوكم أيكم﴾ ليختبركم اختبار المعلم لا اختبار المستعلم.

قاله ابن فورك ﴿أحسن عملا﴾ قال ابن عباس: أي أحسن طاعةً لله[2] قال مقاتل: أيكم أحسن إتقاءً لله[3]، وقال الحسن: أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها[4].

وقيل: أيكم أحسن عقلاً[5]، وقيل أيكم أربى شكراً لله على ما أولاه من النعيم.

﴿ولئن قلت﴾ يا محمد لأهل مكة **﴿إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذآ إلا سحرٌ مبينٌ﴾** أو ساحرٌ مبين فمن قرأ السحر رده إلى القرآن، ومن قرأ ساحر[6] رده إلى النبي ﷺ، **﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحرٌ مبينٌ﴾**[7].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٤١/٢) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهو موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما وأخرجه الطبري أيضاً موقوفاً على ابن عباس (٢٤٩/١٥) برقم (١٧٩٨٤، ١٧٩٨٥).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٣٤/أ).

(٣) أخرجه الثعلبي (ق:٣٤/أ).

(٤) أخرجه الثعلبي (ق:٣٤/أ، ب)/

(٥) هذا القول أخرجه الطبري (٢٥٠/١٥) من حديث عن عبدالله بن عمر يرفعه وفي سنده داود بن المحبر. وهو ضعيف وصاحب مناكير قال عنه الدارقطني ابن المحبر ممن وضع على رسول الله كتاب العقل.

(٦) قرأ حمزة والكسائي (إلا سحر مبين) بالألف، وقرأ الباقون بدون ألف، انظر: التذكرة لابن غلبون (٣٩١/٢).

(٧) فيه تكرار، وهذا كثير في تفسير المؤلف هذا.

قوله: : ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب / إلىٰ أمةٍ معدودة﴾ إلى وقتٍ معلومٍ وهو ٢٤٥/ب يـوم بـدرٍ ﴿ليقـولن ما يحبسه﴾ مـا يحبـس العـذاب عنا على طريق الاسـتـفـهـام والاستهزاء.

قال الله ﴿ألا يوم يأتيهم﴾ يعني العـذاب، يوم بدرٍ ﴿ليس مصروفاً عنهم﴾ أي لا يصرف عنهم العذاب ﴿وحاق بهم ما كانـوا به يستهزءون﴾ ونزل عليهم عقوبة استهزائهم.

قوله: ﴿ولئن أذقنا الإنسـٰن منا رحمةً﴾ نزلت هاتان الآيتان في عـبدالله بن أبي أمية المخزومي[1] وكـان خطيب الكفـار ﴿ولئن أذقنا﴾ أصـبنا ﴿الإنسـٰن منا رحـمةً﴾ نعمةً ﴿ثم نزعنٰها﴾ ثم منعنـاها أي النعـمـة ﴿منه﴾ من عـبـدللـه بن أبي أمـيـة ﴿إنه ليئوس﴾ قنوطٌ ﴿كفور﴾ أي لنعمته ﴿ولئن أذقنٰهُ﴾ أصبناه ﴿نعمآء بعد ضرآء﴾ بعد المشدة ﴿مسته﴾ أصابته ﴿ليقـولن ذهب السيئات عنى﴾ ذهب الشـدة عني ﴿إنه لفرحٌ فخورٌ﴾ في نعمة الله أشراً بطراً أي أن أصبناه بالرحمة والنعمة أو أصبناه الشدة والضـر فعنده سـواء ثم استثنى المؤمنين من الصحـابة فـقال: ﴿إلا الذين صـبـروا﴾ [وهذا][2] الاسـتـثـنـاء منقطـعٌ عن الكلام ومـعـناه أمـا ﴿الذين صـبـروا وعـملوا الصـٰلحـٰت﴾ الطاعات ﴿أولـٰئك لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿وأجرٌ كبيرٌ﴾ وثوابٌ وافرٌ في الجنة.

قوله: ﴿فلعلك تاركٌ بعض ما يوحىٰ إليك وضـآئقٌ به صدرك﴾ وذلك أن كفار مكة جاءوا إلى النبي ﷺ وقالوا: إئتنا بكـتابٍ ليس فيـه سب آلهتنا ولا مخـالفة أبائك

---

(١) هكذا يسـرف المؤلف رحمـه الله في ذكـر الأسبـاب لنزول الآيات ، فالآية عـامة وليـست خاصـة بسبب عند جمهور المفسرين.

(٢) في الأصل: [وهذه] والصواب ما أثبته.

وقالوا: اجعل لنا جبال مكة ذهباً فنحول عن ديننا إلى دينك ويكون معك كنزٌ تعيشُ بهِ وتستغني عن الناس فإنا نراك فقيراً، فقال: لا أستطيع فقال له بعضهم: فأتنا بالملائكة الذين عند الله يشهدون لك أن الله أرسلك إلينا حتى نؤمن بك وقال: لا أقدر على ذلك، قالوا: لم نسلم إذًا؟ فأنزل الله: ﴿فلعلك تاركٌ بعض ما يوحىٰ إليك﴾[1] أي لا تترك بعض ما يوحى إليك من القرآن ، والنبي ﷺ لم يهم بذلك.

﴿وضائقٌ بهِ صدرك﴾ ومعناه: ولا يضيق به صدرك وفي ضائق ثلاث لغاتٍ ضائقٌ وضيقٌ بالتشديد وضيقٌ بالتخفيف ﴿أن يقولوا﴾ بأن يقولوا أو لأن يقولوا يعني كفار مكة ﴿لولآ أنزل عليه كنزٌ أو جآء معه ملك إنمآ أنت نذيرٌ﴾ مخوفٌ ﴿والله على كل شيءٍ وكيلٌ﴾ شهيدٌ إلى ها هنا نزل فيهم، ثم نزل في المشركين ، فقال: ﴿أم يقولون﴾ أيقولون يعني كفار مكة ﴿افترىٰهُ﴾ اختلقَ محمدٌ من تلقاء نفسهِ ﴿قل﴾ يا محمدُ ﴿فأتوا بعشر سورٍ مثلهِ﴾ مثل القرآنِ ﴿مفتريٰتٍ﴾ مختلقاتٍ بزعمهم؛ لأن الله لا يسمي كتابه مفترياتٍ. وإنما قال: ﴿بعشر سورٍ﴾ لأن من سورة البقرة إلى هاهنا عشر سورٍ ﴿وادعوا﴾ استعينوا ﴿من استطعتم﴾ أي بمن استطعتم ﴿من دون الله﴾ من آلهتكم وخطبائكم وشعرائكم ﴿إن كنتم صٰدقين﴾ في مقالتكم أن محمداً يقول من تلقاء نفسه ﴿فإن[2] لم يستجيبوا لكم﴾ فيه قولان: : قال مجاهد: هذا الخطاب للمؤمنين[3] والمراد به الرسول ﷺ ﴿فاعلموا أنمآ أنزل بعلم الله﴾ قال ابن فورك: هذا ردٌ على المعتزلة إذ نفوا علم الله ﴿وأن لا إله إلا هو﴾ فاعلموا أن لا إله / إلا هو ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي أسلموا معناه أمرٌ وإن كان ظاهره استفهاماً. ولها

٢٤٦/أ

---

(١) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٠٤/أ)، والبغوي (٣٧٥/٢)، والثعلبي (ق:٣٥/أ).

(٢) كذا في الأصل، وفي رسم المصاحف (فإلّم).

(٣) أخرجه الطبري (٢٦١/١٥، ٢٦٢) برقم (١٨٠٠٩، ١٨٠١٠، ١٨٠١١).

أربع نظائر في القـرآن ﴿فهل أنتم منتهون﴾[١] أي انتهوا، ﴿هل[٢] أنتم مجتـمعون﴾[٣] أي اجتمـعوا، ﴿فـهل أنتم شـٰكرون﴾[٤] أي اشـكروا والـرابـع: ﴿ [هل] [٥] أنتـــم مطلعون﴾[٦] أي اطلعـوا. والخـامس: ﴿فهل أنتم مـسلمون﴾ أي أسلمـوا. وهذا أمـرٌ للمشركين.

قوله: ﴿من كان يريد الحيـوٰة الدنيـا وزينتها ﴾ وزهرتها ﴿نوفٌ إليهم﴾ نوفر لهم أعـمـالهم جـزاء ﴿أعمـٰلهم فـيها﴾ في الدنيـا ﴿وهم فيـها﴾ في الـدنيـا ﴿لا يبخسون﴾ أي لا ينقصون من جزاء أعمالهم في الدنيا، وهم الكافرون.

﴿أولٰئك الذين ليس لهم فى الأخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها﴾ وبطل ما صنعوا فـي الدنيا ﴿وبـٰطلٌ ما كـانوا يعملون﴾ وإنما قـال: باطلٌ بعـد ما قـال وحـبط للتأكيد ولتحقيق بطلان الثواب ﴿أفمن كان علىٰ بينةٍ﴾ بصيرةٍ ﴿من ربه﴾ كالكافر الذيَ لا بينة له فحـذف الجواب اكتفاء بالإبتـداء عليه ومثل هذا كثيرٌ في القرآن وفي سورة الزمر ﴿ويتلوه﴾ ويتبعه أي محمدً ﴿شاهدٌ منه﴾ من الله ثم اختلفوا في الشاهد منه، ومن أربعة أوجه: قال ابن عـباس: جبريل.[٧] وقال الحسين بن الـفضل: القرآن.[٨] وقال علي: لسان محمدٍ[٩]. وقال ابن حبيب: رأيت في بعض التفاسير قولاً استحسنته

(١) سورة المائدة آية ٩١.
(٢) في الأصل: [فهل] والصواب ما أثبته.
(٣) سورة الشعراء آية ٣٩.
(٤) سورة الأنبياء آية ٨٠.
(٥) في الأصل: [فهل] والصواب ما أثبته.
(٦) سورة الصافات آية ٥٤.
(٧) أخرجه الطبري (٢٧٣/١٥) برقم (١٨٠٤٩).
(٨) أخرجه البغوي (٣٧٧/٢).
(٩) أخرجه الطبري (٢٧٠/١٥) برقم (١٨٠٣٠).

الشاهد أي صورة النبي ﷺ ووجهه وأخلاقُه(١). لأن من كان أحسن النظر علم أنه ليس بكذاب ولا متخرص ولا ساحرٍ ولا كاهن ولا مجنون ﴿ومن قبله﴾ ومن قبل القرآن ﴿كتـٰب موسىٰ﴾ أي التوراة ﴿إماماً﴾ يقتدي به الناس ﴿ورحمة﴾ أي ما فيه من الوعد والوعيد. ﴿أولـٰئك يؤمنون به﴾ يعني عبدالله بن سلام وأصحابه بالكتاب ﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ من اليهود ﴿فالنار موعدُهُ فلا تكُ﴾ يا محمد ﴿فى مرية﴾ في شك ﴿منه﴾ من القرآن ﴿إنه الحق﴾ إنه الصدق ﴿من ربك ولـٰكن أكثر الناس﴾ أي أكثر أهلِ مكةَ ﴿لا يؤمنون﴾ لا يصدقون توحيد الله.

قوله: ﴿ومن أظلم﴾ ومن أجرأ ﴿ممن افترىٰ﴾ ممن اختلق ﴿على الله كذبا أولـٰئك يعرضون على ربهم﴾ أي يساقون إلى ربهم ﴿ويقول الأشـٰهـٰد﴾ أي الأنبياء والملائكة ﴿هؤلآء﴾ الكفار ﴿الذين كذبوا علىٰ ربهم﴾ والأشهادُ جمعُ شاهدٍ كالأصحابِ جمعُ صاحبٍ وقيل: الأشهادُ جمع شهيدٍ كالأشرافِ جمعُ شريفٍ.

﴿ألا لعنةُ الله علـى الظـٰلمين﴾ الكافرين ثـم وصفهم فقال: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ أي يمنعـون الناس عن دين الله ﴿ويبغونها عوجاً﴾ ويطلبونها غِيراً ﴿وهم بالأخرة هم كـٰفرون﴾ وإنما دخل ﴿هم﴾ للتأكيد ولشدة كفرهم ﴿أولـٰئك لم يكونوا معـجزين فى الأرض﴾ قال ابن عباس: سابقين في العذاب(٢) وقال مقاتل بن حيان: فائتين عن العذاب(٣) ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ ينصرونهم من دون الله ﴿يضـٰعفُ لهمُ العذابُ﴾ أي يزاد لهمُ العذابُ ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ أي لم يستطيعوا أن يسمعوا الهدى ﴿وما كانوا يُبْصِرُونَ﴾ الهُدى ﴿أولـٰئك﴾ أهل هذه الصفةِ ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ غبنوا ثواب أنفسهم ويقال:

---

(١) انظر: تفسير أبي القاسم بن حبيب (ق:١٠٦/أ).

(٢) أخرجه الثعلبي (ق:٣٨/أ)، والبغوي (٣٧٨/٢).

(٣) أخرجه الثعلبي (ق:٣٨/أ)، والبغوي (٣٧٨/٢).

ذهاب منفعة أعمالهم ﴿وضلَّ عنهم﴾ بطل عـنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الأصنام ﴿لا جرم﴾ لا بد ولا محالة وهو مأخوذ من / جرمت أي كسبت[1] وقال الكلبي: لا جرم حقا ﴿أنهم في الأخرة هم الأخسرون﴾[2] .

٢٤٦/ب

﴿إن الذين ءامنوا وعملوا الصـلحـت وأخبتوا إلى ربهم﴾ قال مجاهد: وأخلصوا إلى ربهم،[3] قال علي بن أبي طلحة: وتواضعوا إلى ربهم،[4] قال مقاتل بن حيان: وأنابوا إلى ربهم،[5] قال الأخفش: وتخشعوا،[6] وإنما قال ﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ والأصل وأخبتوا لربهم، لأن حروف الصفات تتبادل بعضها من بعض ﴿أولـئك أصحـب الجنة هم فيها خـلدون﴾.

﴿مثل الفريقين﴾ مثل الكافر والمؤمن ﴿كالأعمى والأصم والبصير والسميع﴾ أي مثل الفريقين مثلُ الكافر والمؤمن كالأعمى والأصم والبصير والسميع[7] أي في المشابهة لأن الواو تدخل في النعوت، والمراد سقوطها وأراد بالأعمى والأصم الكافر وبالبصير والسميع المؤمن ﴿هل يستويان مثلا﴾ قال الفراء: إنما قال هل يستويان مثلا، ولم يقل هل يستوي؛ لأنه أراد به الفريقين[8] ﴿أفلا تذكرون﴾ تتعظون.

---

(١) بهذا التفسير قال الفراء في معاني القرآن (٢/٨، ٩).

(٢) قال بذلك الطبري في تفسيره دون أن ينسبه لأحد (١٥/٢٨٩). وقال به الثعلبي (ق:٣٨/ب)، والماوردي (٢/٤٦٤).

(٣) أخرج الطبري (١٥/٢٩٠) برقم (١٨٠٩٨، ١٨٠٩٩، ١٨١٠٠) عن مجاهد أنه قال معنى أخبتوا: أي اطمأنوا، والثعلبي (ق:٣٨/ب)، والبغوي (٢/٣٧٩).

(٤) نقله عنه ابن حبيب في تفسيره (ق:١٠٥/أ).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/٢٨٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما برقم (١٨٠٩٥) وعن قتادة برقم (١٨٠٩٦)، وذكر ابن حبيب (ق:١٠٥/أ) ، والماوردي (٢/٤٦٥) أن مقاتلاً فسر الإخبات بالإخلاص.

(٦) أخرجه الثعلبي (ق:٣٨/ب)، وذكر ابن حبيب (ق:١٠٥/أ).

(٧) كذا في الأصل وهو تكرار للكلام بلا فائدة.

(٨) أنظر: معاني القرآن للفراء (٢/٧).

قصة نوح عليه السلام

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلىٰ قومه﴾ ولقد بعثنا نوحا إلى قومه قال ابن عباس: إنما سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه وبعث إلى قومه بعد مائة سنةً[1]. وقال مقاتل بن سليمان: بعث إلى قومه بعد أربعمائة سنة وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة وكان عمرهُ ألفٌ وخمسين سنةً ولبث يدعو قومه تسع مائة وخمسين سنة[2] كما قال الله ﴿فلبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً﴾[3] فيه إضمارٌ معناه: فلبث فيهم داعياً ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذيرٌ مبينٌ﴾ أي يقال ﴿إنى لكم نذيرٌ﴾ مخوفٌ لكم من النار ومن سخط الله ﴿مبين﴾ ظاهرٌ ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ أي لا توحدوا سواه[4] ﴿إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ أي وجيعٌ واليوم لا يكون أليماً ولا وجيعاً وإنما معناه مؤلمٌ موجعٌ فعيلٌ بمعنى مفعلٌ قال أبو بكر بن فورك: كيف قال إني أخاف عليكم العذاب وعذاب الكافرين على اليقين ثم أجاب فقال: لأنه لم يدر إلى أي شيء يؤول حالهم، وهذا الوجه الطف في الاستدعاء، وأقرب إلى الإجابةِ في غالبِ أمرِ الناس.

﴿فقال الملأُ الذين﴾ يعني الأشراف ﴿الذين كفروا من قومه﴾ من قوم نوح

---

(١) نقل ذلك أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق:١٠٥/أ).

(٢) نقله ابن حبيب في تفسيره (ق:١٠٥/أ).

(٣) سورة العنكبوت آية ١٤.

قلت: ذكر ابن كثير رحمه الله رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بعث نوح وهو لأربعين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين عاماً، حتى كثر الناس وفشوا.

ثم قال ابن كثير بعد ذكر الأقوال في ذلك: وقول ابن عباس أقرب والله أعلم.

(٤) العبارة قلقة، والصواب، أن يقول: اجعلوا العبادة له وحده.

﴿ما نرىٰك إلا بشراً مثلنا﴾ أى إلا مثل واحدٍ منا ﴿ وما نرىٰك اتبعك ﴾ أى اقتدى بك، وآمن بك ﴿إلا الذين هم أراذلنا﴾ سفلتنا ﴿بادى الرأى﴾ فيه قراءتان بالهمز[1] وغير الهمز[2] فمن ترك الهمز قال ابن عباس: ظاهر الرأي[3]. وقيل: ضعيف الرأي[4]، ومن همز فمعناه: مبتدي في الرأي ﴿وما نرىٰ لكم ﴾ الخطاب لنوح وقومه ﴿علينا من فضل ﴾ بالملك والمالِ ﴿بل نظنكم كٰذبين ﴾.

﴿قال﴾ أي نوحٌ ﴿ يٰقوم أرءيتم إن كنت علىٰ بينةٍ ﴾ بصيرةٍ ﴿من ربى وأتانى﴾ وأعطاني ﴿رحمةً ﴾ نبوة ﴿ من عنده ﴾ من عند الله ﴿ فعُمِّيت عليكم﴾ فيه قراءتان: التشديد[5] والتخفيف[6] كلاهما من الالتباس ﴿فعميت﴾ فالتبست ﴿عليكم أنلزمكمُوُها﴾ يعنى انلهمكم النبوة ﴿وأنتم لها كٰرهون﴾ جاحدون.

١/٢٤٧ ﴿ويٰقوم لآ أسئلكم عليه﴾ / علي تبليغ الرسالة وهي كنايةٌ عن غير مذكور لأنه لم يجر ذكر التبليغ ﴿ مالاً إن أجرى﴾ ما جعلي ﴿إلا على الله ومآ أنا بطارد الذين ءامنوا﴾ معناه: وما أنا بطارد الذين آمنوا فاتبعوني، والباء صلةٌ[7] ﴿إنهم ملٰقوا ربهم﴾ معاينوا ربهم في الآخرة ﴿ولٰكنى أرٰكم قوماً تجهلون ﴾.

﴿ ويٰقوم من ينصرنى ﴾ من يمنعني ﴿ من الله ﴾ من عذاب الله ﴿ إن طردتهم ﴾ يعني الذين آمنوا بي فاتبعوني ﴿أفلا تذكرون ﴾ أفلا تتعظون.

---

(١) قرأ بها أبو عمرو، ونصير عن الكسائي، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٥٧).
(٢) وقرأ الباقون بياء مفتوحة من غير همز انظرالمصدر السابق.
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٢٩٧) برقم (١٨١٠٥).
(٤) لم أقف على من قال به، ولكنه قولاً ضعيفاً.
(٥) قرأ بالتشديد كلٌ من حفص وحمزة والكسائي. أنظر التذكره لابن غلبون (٢/٤٥٧).
(٦) وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر المصدر السابق.
(٧) ليس في القرآن الكريم حروف زائدة ولا مقحمة ولا صلة، وإنما توضع مثل هذه الحروف للتأكيد، والاستفتاح والاهتمام ونحوه والسلف على ذلك وعباراتهم أدق وأصوب.

﴿ولا أقول لكم﴾يا معشر الكفار ﴿عندى خزائن الله﴾ بالرزق ﴿ولا أعلم الغيب﴾ أي ولا أقول إني أعلمُ الغيب متى ينزل العذاب ﴿ ولا أقول إنى ملكٌ﴾ من السماء ﴿ ولا أقولُ للذين تزدرى أعْيُنُكم ﴾ أي ولا أقول للذين تحتقرهم أعينكم وتصغرهُ أعينكم، يعني للذين آمنوا بي واتبعوني، ﴿لن يؤتيهم الله خيراً ﴾ من الإيمان والتوفيق، ﴿الله أعلم بما فى أنفسهم ﴾ بما في قلوبهم ﴿ إنى إذاً لمن الظـلمين﴾ إني إذا قلت ذلك حينئذٍ لمن الظالمين.

﴿قالوا يـنوح قد جـدلتنا﴾ قد خاصمتنا ﴿فأكثرت جـدلنا﴾ خصومتنا ﴿فأتنا بما تعدنآ﴾ من العذاب ﴿إن كنت من الصـدقين﴾ فى مقالتك ﴿قال﴾ يعني نوحاً ﴿إنما يأتيكم به الله ﴾ يعني العذاب ﴿إن شآء﴾ ﴿وما أنتم بمعجزين ﴾ بفائتين من العذاب ﴿ولا ينفعكم نصحى ﴾ أي نصيحتي ﴿إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ يضلكم ﴿هو ربكم وإليه ترجعون ﴾ يوم القيامة.

﴿أم يقولون افتريه قل إن افتريته ﴾ فيه قولان: قيل: المراد بهذه الآية أهل مكة وهو [قول][1] مقاتل بن سليمان[2] ، وقيل: المراد به قوم نوح،[3] أي بلى يقولون يعنى كفار مكة افتراه ﴿ قل إن إفتريتهُ﴾ إختلقته ﴿فعليَّ إجرامى ﴾ إثمي وجنايتي ﴿ وأنا برئٌ مما تجرمون ﴾ تأثمون .

قوله: ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك ﴾، لن يصدقك من قومك، ﴿إلا من قد ءامن ﴾، سوى من قد آمن، وكل إستثناء يأتي في القرآن إذا كان بعد الإستثناء بمعنى الماضي فإلا بمعنى سوى كقوله هاهنا ﴿إلا من قد ءامن﴾ سوى من قد

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، والسياق يقتضي إثباته.

(٢) أنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٨١/٢).

(٣) هذا القول نسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما وخرّجه الثعلبي (ق:٣٩/ب)، والبغوي (٣٨١/٢).

آمن في الماضي ﴿فلا تبتئس﴾ فلا تحزن ﴿بما كانوا يفعلون﴾ ويقولون .

قال لنوح ﴿واصنع الفلك﴾ أي خذ في عمل السفينة ﴿بأعيننا﴾ قال ابن عباس: بمرءً امنا[1]، وقال مقاتل: بعلمنا[2]، قال الربيع بن أنس بحفظنا[3]، قال ابن فورك: بحيث نراها، وأنا سمعت بعضهم يقول: ﴿بأعيننا﴾ أي بخيارنا، يقال هذا عين البلد، أي خياره، يعني الثمانين الذين كانوا معه في الفلك، وقيل: بجواسيسنا، وقيل: بمياهنا من العيون، وقيل: ﴿بأعيننا﴾ أي بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بك، ﴿ووحينا﴾ أي على ما أوحينا إليك[4] من صفتها وجمالها، وقيل: ﴿ووحينا﴾ أي وبأمرنا ﴿ولا تخطبني﴾ ولا تراجعني ﴿في الذين ظلموا﴾ أي الكفار ﴿إنهم مغرقون﴾، قال ابن حبيب: ﴿في الذين ظلموا﴾ يعني امرأته واعلة وابنه كنعان[5].

قوله: ﴿ويصنع الفلك﴾ يعني وإذا أخذ نوحٌ في عمل السفينة سخر منه قومه كما قال الله: ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه﴾ رؤساء قومه ﴿سخروا منه﴾ من نوح ، وقيل:[6] ﴿منه﴾ من عمل السفينة، وكانوا يقولون تتخذ للماء أُكافا ﴿قال﴾ يعني

---

(١) أخرجه الثعلبي (ق:٤٠/أ)، والبغوي (٣٨٢/٢)، وأخرج الطبري في تفسيره (٣٠٩/١٥) برقم (١٨١٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسرها: بعين الله.

(٢) أنظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٨١/٢)، وهذا تأويل باطل، ومثله جميع الأقوال التي ذكرها المؤلف بعد هذا القول وتحت تفسير هذه الآية.

فالآية تكون على ظاهرها، ولا يجوز صرفها عن ظاهرها والمعنى كما قال ابن عباس رضي الله عنهما بمرءاً منا. ويلزم من ذلك الحفظ والكلأة.

(٣) أخرجه الثعلبي (ق:٤٠/أ)، والبغوي (٣٨٢/٢) ولم يعيّن قائله.

(٤) كل هذه الأقوال بعيدة عن الصواب وعن التفسير الصحيح لمراد الله من كلامه. وقد سبقت الإشارة إلى بيان القول الصحيح وهو قول ابن عباس ومن وافقه، وانظر: تفسير الطبري (٣٠٨/١٥)، وتفسير ابن كثير (٢٥٢/٤).

(٥) أنظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٠٦/أ).

(٦) حكاه الماوردي (٤٧١/٢).

نوحا ﴿إن تسخروا منا﴾ اليوم ﴿فإنا نسخر منكم﴾ بعد هذا اليوم إذا أغرقتم وعذبتم والفاء فى قوله / ﴿فإنا﴾ للمجاز ﴿كما تسخرون﴾ اليوم ﴿فسوف تعلمون﴾ غداً ﴿من يأتيه عذابٌ﴾ في الدنيا ﴿يخزيه﴾ يذله ﴿ويحل﴾ ويجب ﴿عليه عذابٌ مقيمٌ﴾ دائمٌ فى الآخرة وقيل: إتخذ نوح السفينة في أربعمائة سنة، وقال الحسن: مقدار السفينة في الطول الف ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع[1]، وقيل: كان على السفينة ثلثمائة وثلاثة عشر مسماراً عدد الرسل.

٢٤٧/ب

قال ابن عباس: إتخذ نوح السفينة في السنين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذرعاً، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج، وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، وجعل في البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد[2]، قال مقاتل بن سليمان: حمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والدواب، وفي الأوسط الطعام والشراب، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى وحمل معه جسد آدم يعني تابوت آدم عليه السلام جعله معترضاً بين الرجال والنساء، قال وقصد نوحا عند فراغه من السفينة جميع الدواب من البهائم والوحوش والطيور وغيرها ليحملها[3]. قال المصنف: وسمعت إسماعيل الضرير يقول: سمعت الأستاذ ابن حبيب يقول: قرأت في تفسير مالك بن سليمان الهروي، أن الحية والعقرب أتينا نوحا فقالتا إحملنا فقال نوح إنكما سبب الضرر والبلايا والأوجاع فلا أحملكما قالتا إحملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك فمن قرأ حين خاف

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١١/١٥) برقم (١٨١٣٥).

(٢) أخرجه الثعلبي (ق:٤٠/أ) وذكره بطوله أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق:١٠٦/أ). هذه من الإسرائيليات المودعة في كتب التفسير والتي ينبغي تنزيه كلام الله عنها.

(٣) لم أقف على قول مقاتل بن سليمان هذا في تفسيره الذي بين أيدينا، وذكره القرطبي بهذا اللفظ، ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما (٣٢/٩). وذكره الثعلبي (ق:٤٢/ب) ونسبه لمقاتل.

ضررهما ﴿سلامٌ على نوحٍ في العـلمين إنا كـذلك نجـزى المحسنين إنه من عـبـادنا المؤمنين﴾[1] ما ضرتاه.[2]

وقيل: لما أراد نوحٌ أن يركب السفينة ومن معه هبت ريحٌ وساقت إليه من كل شيء زوجًا ليحملها من الوحوش والسباع والطيور وغيرها، وقيل: تعلق إبليس بذنب حمار، فلم يدخل الحمار السفينة والح عليه فقال نوح للحمار أدخل يا ملعون ، فدخل الحمار السفينة ودخل معه إبليس، فلما كان بعد ذلك رآه نوحٌ في السفينة، فقال له نوح: [من أين أنت][3] في هذه السفينة؟ قال: دخلت بأمرك، قال متى أمرتك بالدخول، قال حين قلت أدخل يا ملعون فدخلت ولم يكن [ملعوناً][4] إلا أنا فلهذا دخلت[5].

قوله: ﴿حتى إذا جآء أمرنا﴾ وذلك أن الله وعده بهلاك قومه حين ينبع الماء من التنور، فلما دنا وقت الهلاك نبع الماء من التنور، فذلك قوله ﴿حتى إذا جآء أمرنا﴾ معناه فلما جاء أمرنا ، عذابنا، ﴿وفار التنور﴾ ، معناه : ونبع الماء من التنور، ثم اختلفوا في التنور من أربعة أوجه، قال ابن عباس: التنور: وجه الأرض[6]، قال مجاهد: التنور: الخابزة[7]، قال قتادة: التنور: أشرف موضع في الأرض[8]، قال على بن أبي طالب: التنور، طلوع الفجر[9]، يعني إذا طلع الفجر كان وقت الهلاك.

---

(١) سورة الصافات الآيات ٧٩، ٨٠، ٨١.
(٢) أنظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٠٦/أ).
(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: [من اين أتيت؟]..
(٤) في الأصل: [ملعون] والصواب ما أثبته.
(٥) كل هذه الأقوال تفتقر إلى الدليل الصحيح فلا دليل عليها.
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٨/١٥) برقم (١٨١٤٣).
(٧) أنظر: تفسير مجاهد (ص:٣٠٣)، وأخرجه الطبري (٣٢٠/١٥) برقم (١٨١٥٦، ١٨١٥٧، إلى ١٨١٦٠).
(٨) أخرجه الطبري (٣١٩/١٥) برقم (١٨١٥٢، ١٨١٥٣).
(٩) أخرجه الطبري (٣١٩/١٥) برقم (١٨١٥٠، ١٨١٥١).

قال ابن حبيب: أعجب الأقاويل إليّ قول من قال: التنور، وجه الأرض وهو قول ابن عباس[1] لقوله: ﴿ففتحنا أبواب السمآء﴾ إلى قوله ﴿عيوناً﴾[2] قال الله لنوح ﴿قلنا إحمل فيها﴾ في السفينة ﴿من كل زوجين اثنين﴾ وكل اثنين لا يستغنى أحدهما عن صاحبه، يقال لكل واحدٍ منهما / زوجٌ ﴿وأهلك﴾ يعني ذلك الأهل الذين آمنوا به وهو نصٌ معطوفٌ على اثنين ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ أي سوى من سبق عليه القول بالشقاوة، وهو كنعان ﴿ومن ءامن﴾ أي واحمل من أمن وهو نصبٌ معطوفٌ على الأهل، ثم قال: ﴿وما ءامن معه إلا قليلٌ﴾ ثم اختلفوا في القليل كم هم؟ من أربعة أوجه، أحدها: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ثمانية أنفس، نوحٌ وثلاثة بنين ونساؤهم وواحد آخر»[3]، وقال محمد بن إسحاق: عشرة أنفسٍ خمسةٌ من الرجال وخمس نسوة[4]. قال مقاتل: اثنان وسبعون سوى بنيه ونساء بنيه[5]، وقال الكلبي: ثمانون، أربعون من الرجال وأربعون من النساء[6]، وهذا أصح وأشهر، فإن قيل: لا يصح قول النبي ﷺ، أنهم ثمانية، قلنا ربما لا تكون الرواية صحيحةً، ولو كانت صحيحةً لكانت في الصحاح[7].

٢٤٨/أ

قوله تعالى: ﴿وقال﴾ يعني نوحاً لمن آمن به ﴿اركبوا فيها﴾ في السفينة ﴿بسم

---

(١) أنظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٠٦/أ).

(٢) يشير إلى الآيتين في سورة القمر (١١، ١٢) ونصهما: ﴿ففتحنا أبواب السماءِ بماءٍ منهمر • وفجرنا الأرض عُيُوناً فالتقى الماءُ على أمرٍ قد قُدِرَ﴾.

(٣) قال ابن جرير الطبري (٣٢٧/١٥): «ولم يحدد عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله.... الخ».

(٤) أخرجه الطبري (٣٢٦/١٥) برقم (١٨١٧٨).

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٤٢/ب).

(٦) أخرجه الطبري (٣٢٦/١٥) برقم (١٨١٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) هذا التعليل ليس بصحيح، فالرواية الصحيحة إذا صح سندها فهي صحيحة سواء كانت في الصحاح أم لا؟

الله مجرــهـا ومرســها ﴾ قريء من ثلاثة أوجـهٍ مجريها ومـرسيهـا بضم الميم وفتح الراء من مُجَرــها والسين من مُرسَــها[١]، ومعناه بسم الله حيث تجرى وحيت تحبس. وقريء مَجرَــها ومَرَســها بفتح الميم والراء والسين في كليهما[٢]، وهما على المصدر، أي بالله إجراؤها وإرساؤها، وقرئ مُجرِيها بضم الميم وكسر الراء ومُرسِيها بضم الميم وكسر السين[٣] على أن الله فاعلهما يعنى أن الله يجريها ويحبسها.

وقـرئ قراءة رابعـة مَجرــها ومُرســها بفـتح الميم من مـجريهـا وضم الميم من مرسيها[٤] أي بالله جريانها وبالله حيث تحبس. والهاء فيه عائدةٌ على السفينة. ﴿إن ربى لغفور ﴾ متجاوز ﴿ رحيمٌ ﴾ بمن آمـن به ﴿ وهى تجرى بهم ﴾ يعني السـفينة ﴿ فى موج كالجبال ﴾ وكان الموج أعظم من الجـبال في ذلك اليوم لأن الماء قد فـاق الجبال بخـمسة عـشر أذرع، ولكنه لما كان من عادة الـناس أنهم يشبـهون الأشـياء بالجـبال تعظيماً لأمـره وهو أقـرب إلى الأفـهـام وأعظم في أعـينهم، فلهـذا شـبـه ذلك الموج بالجبال. ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ كنعان، فـإن قيل: كيف قال ابنه؟ وقـد قال الله ﴿ إنه ليـس من أهـلك ﴾ فيـقال: لم [ينقطع][٥] عنه النسب وإنمـا قطع عنه صـفـة الإسـلام ﴿وكان فى مـعزل ﴾ وكان الإبن كـنعان في ناحـية من السـفينة فـقال نوح ﴿ يــبنى اركب مـعنا ﴾ في الســفــينة ﴿ ولا تكن مع الـكـفــرين ﴾، ﴿قال ﴾ كنعـان ﴿سئاوى﴾ سأرجع ﴿ إلى جبلٍ يعصمني ﴾ يمنعني ﴿من المآء﴾ ﴿ قال ﴾ نوح ﴿ لا عاصم اليوم ﴾ أي لا معـصومٌ اليوم، فاعل بمعـنى مفعول، كـقوله ﴿دافق﴾[٦] بمعنى مدفوق، وكقوله: ﴿فى عيشة راضية﴾[٧] أي مرضيةٌ ﴿من أمر الله ﴾ من عذاب الله،

---

(١) قرأ بها البصريون ومن وافقهم وهي قراءة سبعية . أنظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٥٨).

(٢) قرأ بها الكوفيون عدا أبي بكر، بفتح الميم وإمالة الراء. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٥٨).

(٣) قراءة شاذة عن مجاهد والجحدري. أنظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص: ٦٠).

(٤) هي القراءة الموافقة لرسم المصحف.

(٥) كذا في الأصل، وفي الحاشية: لم يقطع عنه النسب، ولعله هو الصواب، لدلالة ما بعده عليه.

(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ سورة الأعلى آية ٦.

(٧) سورة الحاقة آية ٢١. وسورة القارعة آية ٦.

وقال مقاتل لا مانع اليوم[1] من أمر الله، وقـال ابن حبيب: قول من قـال لا مانع أحب إليَّ[2] ﴿إلا من رحم﴾ يعني إلا مـن رحـمـه الله فنجـاه، وهو نوح ﴿وحال بينهما الموجُ﴾ بين نوح وابنه كنعـان ﴿ فكان من المغرقين ﴾ فـصار كنعـان من الهـالكين بالغرق. قال المصنف: سمعت إسماعيل الضرير يقول: سمعت ابن حبيب يقول: إن كنعان، لما ولى السفينة وصعد الجبل وكان قبل ذلك اتخـذ في الجبل قبة من الصـفر حيث لا منفذ لها بعد سد بابها فقصد كنعان تلك القبة، وأغلق عليه بابها، وجلس / ٢٤٨/ب آمنا من الغرق، فأخذه البول فبال فاجتمع من بوله مـاءً ملأ القبة فغرق فيه، وكل كافر غرق في الماء، وكنعان غرق في بوله ومات فيه[3] .

قوله: ﴿ وقيل يـا أرض إبلعى مآءك ﴾ وذلك أن نوحا ركب السـفينة بعـد ما مضى من رجب عشرة أيام، فمكث فيها مائة وثمانين يوما، واجتمع ماء الأرض وماء السماء على وجه الأرض حتى طفأ كل شاهق من الجبـال بخمسة عشر ذراعاً سوى جبل الجودى وهو موضع مرسى السفينة مستقر جبل طويل وذلك أنه تواضع من بين الجبال فلم يعل عليه الماء[4] فقـال الله في آخر تلك المده ﴿ يـٰأرض إبلعى ﴾ إنشفي ﴿مآءك ويـٰسمآءُ أقلعى ﴾ إحتبسي ﴿ وغيض المآءُ﴾ ونقص الماء ﴿ وقضى الأمر ﴾ ووجب العذاب ﴿ واستوت ﴾ السفينة ﴿ على الجودى ﴾ .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٢٨٣).

(٢) أنظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٠٦/ب).

(٣) هذا كلام باطل، لا يقبله العقل، لمخالفته للواقع فالماء يدخل من حيث يدخل الهـواء، وإذا فقـد الإنسان الهـواء (الأكسجين) مـات ولم يعش لحظات فكيف يعقل أن يتجمع من بول الإنسـان ما يكفي لغرقه وهو عائش بدون هواء!!.

(٤) ظاهر القـرآن يدل على أن استـواء السفينة على الجـودي بعـد غـيض الماء، ولا يمنع أن الماء طم كل شاهق قبل ذلك ومن ذلك جبل الجودي، ولا دليل على تخـصيص جبل الجودي من بين الجبال التي طمها الماء. والله أعلم.

﴿ وقيل بعداً للقوم الظلمين ﴾ وهذه الآية من فصيحات القرآن[1] . وقال سعيد بن المسيب: ولد لنوح ثلاثة بنين، سامٌ وحامٌ ويافث، فولد كل واحدٍ منهم ثلاثة أنواع من الناس فولد سام، العرب، وفارس، والروم ، وولد حام، السودان والقبط والبربر، وهم نوع من السودان ، وولد يافت يأجوج ومأجوج والترك والصقاليه[2].

﴿ ونادىٰ نوح ربه فقال﴾ يا ﴿رب إنَّ ابنى من أهلى ﴾ قال ابن عباس: كان كنعان ابنه[3] من صلبه، قال مجاهد: كنعان ابن امرأته ليس من صلبه[4] ، قال ابن فورك يحتمل أن يكون فيه إضمارٌ ومعناه : ﴿ فقال رب إنَّ ابنى من أهلى ﴾ إن كان مخلصاً، وكان منافقا ولم يكن مخلصا، فقال نوح: إن ابنى من أهلي بشرط الإخلاص، وكان صادقا فيما قال ﴿وإن وعدك الحق﴾ الصدق ﴿ وأنت أحكم الحٰكمين ﴾بمنجاة قومٍ وهلاك أخرين ﴿ قال ﴾ الله ﴿ يٰنوح إنه ﴾ إن كنعان ﴿ليس من أهلكِ ﴾ الذي وعدتك أن أنجيهم[5]، وقيل: معناه ﴿ إنه ليس من أهلك ﴾ أي ليس من أهلِ دينك، وقيل:[6] الأهل على ضربين: أهل القرابة وأهل الديانة فنفى عنه أهل الديانة وأبقى له أهل القرابة.

﴿ إنه عملٌ غير صٰلح﴾ فيه قولان، أحدهما: إنه ذو عمل غير صالح على المبالغة[7]. والثاني: سؤالك إياي فيه عملٌ غير صالح[8] وقرئ ﴿عمل غير صٰلح﴾ بالنصب[9] فيهما فمعناه إنه عملٌ غير مرضى ﴿ فلا تسئلن ما ليس لك به علمٌ﴾

---

(١) مفهوم هذا القول لا يصح إذ يفهم منه أن في القرآن ما ليس بفصيح والقرآن الكريم كله في غاية الفصاحة والبلاغة.

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٠٦/ب).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/٣٤٤) برقم (١٨٢٢٢، ١٨٢٢٣).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/٣٤١) برقم (١٨٢١٥، ١٨٢١٦).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٧/أ) ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٧/أ) ونسبه للضحاك.

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٧/أ).

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٧/أ).

(٩) قرأ بها الكسائي ويعقوب. أنظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٥٨).

وقرئ فلا تسئلن[1] ما ليس لـك به علمٌ على التأكـيد. ﴿ **إني أعظك أن تكون** ﴾ ألا تكون ﴿ **من الجـٰهلين** ﴾ ﴿**قال**﴾ نوح ﴿**رب**﴾ يا رب ﴿ **إني أعـوذ بك** ﴾ أي أعتصم وأمتنع بك ﴿ **أن أسئـلك ما ليس لي به علمٌ** ﴾ . ﴿ **وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخـٰسرين**﴾ في العقوبة .

قوله: ﴿ **قيل يـٰنوح اهبط** ﴾ انزل من السـفينة ﴿ **بسلـٰم منا** ﴾ بسلامـةٍ منا ﴿**وبركـٰت عليك وعلى أممٍ ممن معك** ﴾ أي من الذين آمنوا بك وممن اتبعك.

﴿ **وأممٌ سنمتـعهم** ﴾ سنعيشهم، يعني أولاد أهل السفينة سـوى بني نوح وهم عـاد وثمـود الذين أهلكهـم الله بعـد نوح كـذلك قـوله تعـالى ﴿ **وأممٌ سنمـتعـهم ثم يمسهم**﴾ يصيبهم ﴿ **منا عذابٌ اليمٌ** ﴾ وهو الهلاك.

قوله ﴿ **تلك** ﴾ يعني هذه القصة التي ذكرت لك يا محمد ﴿**من أنبآء الغيب** ﴾ من أخبار ما غاب عليك ﴿ **نوحيهآ إليك** ﴾ ننزلها ونقرأها / عليك ﴿ **ما كنت تعلمهآ أنت ولا قـومك من قـبل هـٰذا** ﴾ القـرآن ﴿ **فاصبر** ﴾ يا مـحـمـد ﴿ **إن العـٰقبة للمتقين**﴾ وهذا خطابٌ للنبي ﷺ دون نوح إلى ها هنا قصة نوح. ١/٢٤٩

قصة عاد

قوله: ﴿ **وإلىٰ عـاد** ﴾ وأرسلنا إلى عـاد ﴿**أخاهم**﴾ نبيهم ﴿ **هوداً قال يـٰقوم اعبدوا الله** ﴾ وحدوا الله ﴿**ما لكم من إلـٰهٍ غيـره إن أنتم إلا مفترون** ﴾ كاذبون في مقالتكم ﴿**يـٰقوم لا أسئلكم عليه أجراً**﴾ على تبليغ الرسالة جعلا ﴿ **إن أجرى** ﴾ إن جعلي ﴿ **إلا على الذى فـطرنى** ﴾ خلقني يعني إلا على الله ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ أمر الله.

---

(١) قرأ ابن كثير بفتح اللام وتشديد النون وفتحها وقرأ نافع وابن عامر مثله إلا إنهما كسرا النون. انظر: التذكره لابن غلبون (٢/٤٥٩).

﴿ ويـٰقوم استغفروا ﴾ وحـدوا ﴿ ربكم ثم توبوا إليـه ﴾ أي أقبلوا إلى عـبادته بالندامة ﴿ يرسل السمآء ﴾ المطر ﴿ عليكم مدرارًا ﴾ منصبًا والسماء ها هنا المطر .

﴿ ويزدكم قوةً إلىٰ قوتكم ﴾ عدداً إلى عدد رجالكم ﴿ ولا تتولوا مجرمين ﴾ كافرين فأجـابه قومه ﴿ قالوا يـٰهـود ما جئـتنا ببينةٍ ﴾ بحـجة ﴿ وما نحن بتاركى ءالهـتنا عن قـولك ومـا نحن لك بمؤمنين ﴾ بمصـدقين ﴿ إن نقـول ﴾ فيه إضـمار ، ومعناه: إن نقـول ما نقول فيـما تنهي عنه ﴿ إلا اعترىـٰك ﴾ فحذف مـا نقول لدلالة الكلام عليـه ﴿اعترىـٰك ﴾ أصــابك ﴿ بعض ءالهـتنا بسـوء ﴾ بعض أصنامنا بخـبلٍ وجنونٍ ﴿قال﴾ هود ﴿وإنى أشهـد الله واشهدوا أنى برىءٌ مما تشـركون ﴾ ﴿ من دونه﴾ من دون اللـه يعني الأصـنام ومن دونه صـلة ﴿ مما تشركون ﴾ ﴿ فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون ﴾ لا تمهلون.

عن ابن عباس[1]: قال الكلبي: لا تؤجلون[2]. قال مجاهد: لا ترقبوا أحدًا[3] اعملوا ما آنتم عاملون وأنتم لا تقدرون لي على شيء ﴿ إنى توكلت على الله ﴾ وثقت بالله ﴿ ربى وربكم ﴾ خـالقي وخـالقكم ورازقي ورازقكم ﴿ مـا من دابةٍ إلا هو ءاخـذ بناصيتهآ﴾ قال ابن عباس: معناه ما من دابةٍ إلا الله يميتها[4].

قال قتادة: ﴿ما من دآبة إلا هو﴾ الله قادرٌ عـلى قهرها. قـال الربيع بن أنس: إلا وهو يهلكها[5] ﴿ إن ربى علىٰ صرٰطٍ مستقيمٍ ﴾ وفيه إضـمارٌ قيل: إن ربي يدل على

---

(١) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق:١٠٧/ب).
(٢) ذكر هذا القول ابن حبيب (ق:١٠٧/ب) ونسبه إلى الضحاك.
(٣) ذكـره ابن حبيب (ق:١٠٧/ب) برواية عبـدالوهاب بن مـجاهد عن أبيـه وعبدالـوهاب ضعيف الحديث.
(٤) نقل قول ابن عباس هذا ابن حبيب (ق:١٠٧/ب).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٧/ب).

صراطٍ مستقيم[1] ، وقال الدينوري: إن ربي يدعو إلى صراطٍ مستقيم[2].

وقال ابن فورك: معناه إن أمر ربي في تدبير[٥][3] في خلقه على صراط مستقيم لا يعدل ﴿ **فإن تولوا** ﴾ فإن أبوا عن التوحيد والإيمان ﴿ **فقد أبلغتكم مآ أرسلت به إليكم** ﴾ أي، فقل قد أبلغتكم رسالات ربي ﴿ **ويستخلف ربى قوماً غيركم** ﴾ أي، ويهلككم ربي، ويخلق قوماً غيركم أطوع منكم ، ﴿ **ولا تضرونه شيئًا**﴾ أي، لا تنقصون من ملكه شيئا ﴿ **إن ربى علىٰ كل شىء حفيظ**﴾ معناه إن ربي بكل شيء حفيظ.

قال الله ﴿ **ولما جآء أمرنا** ﴾ عذابنا بالهلاك ﴿**نجينا هودًا والذين ءامنوا معه** ﴾ والذين صدقوا به ﴿ **برحمة**﴾ بنعمةٍ ﴿ **منا ونجينٰهم من عذابٍ غليظ** ﴾ شديدٍ.

﴿**وتلك عادٌ**﴾ وهذه عادٌ ﴿ **جحدوا بـٔايـٰت ربهم** ﴾ كفروا بآيات ربهم ، والجحد والنفي واحدٌ ، إلا أن النفي نقيض الإثبات والجحد نقيض المعرفة والنفي خبرٌ عن عدم الشيء والجحد خبرٌ عن نفي صحة المعرفة بالشيء ﴿ **وعصوا رُسله** ﴾ فيه قولان: أحدهما: يعني هوداً لأنه لم يرسل اليهم رسولا سوى هود، وهذا كقوله لنبينا ﷺ ﴿ **يـٰأيها الرسل**﴾[4] أي يا أيها الرسول . والثاني: / ﴿**وعصوا رسله**﴾[5] أي ٢٤٩/ب

---

(١) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٠٧/ب).

(٢) انظر: تفسير الواضح للدينوري (ق:٢٣٣/ب).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

(٤) سورة المؤمنون آية ٥١، وتمام الآية: ﴿**يـٰأيها الرسل كلوا من الطيبات ، واعملوا صـٰلحاً إنى بما تعملون عليم**﴾ والصواب أن الآية أمر للرسل جميعاً، وليست خاصة بالرسول ﷺ ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٥/٤٧٠): «يأمر الله عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال ، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أتم قيام ... الخ».

(٥) هذا هو القول الصحيح، لأن من كفر بنبي واحد فقد كفر بجميع الأنبياء.
انظر: تفسير الطبري (١٥/٣٦٦)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٦٣).

هوداً ومن قبله من الرسل مثل نوح وشعيب وإدريس وآدمعليه السلام **﴿واتبعوا أمر كلِّ جبارٍ عنيد﴾** قتال على الغضب **﴿عنيد﴾** معرض، يعني واتبعوا رؤساءهم.

﴿وأتبعوا في هـذه الدنيا لعنةً﴾ عـذابا بالريح **﴿ويوم القيـٰمة﴾** بلعنةٍ أخرى وبعذابٍ آخر، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ، أي ولعنوا في الآخرة كما لعنوا في الدنيا **﴿ألآ إن عادا كفروا ربهم ألا بـعدًا لعادٍ قوم هودٍ﴾** أي **﴿ألا بعدًا﴾** من رحمـة الله **﴿لعادٍ قوم هودٍ﴾** والبعد على وجهين، أحدهما: ضد القرب. والثاني الإهلاك وها هنا بمعنى الإهلاك أي ألا إهلاكا لعادٍ قوم هودٍ.

قصة صالح

قوله: **﴿وإلىٰ ثمود أخـاهم صـٰلحاً﴾** وأرسلنا إلى ثمود أخاهم نبـيهم صالحاً. والثمودُ مشتق من الثمد وهو الماء القليلُ **﴿قال يـٰقوم اعبدوا الله﴾** وحدوا الله **﴿ما لكم من إله غيره﴾** ليس لكم إله غـير الله **﴿هو أنشأكم من الأرض﴾** أي خلقكم من آدم وآدم من التـراب والتراب من الأرض **﴿واستعمركم فيها﴾** قال ابن عباس: وأعاشكم في الأرض[1].

قال الضحـاك: وأطال عمركم في الأرض[2]. قال مجاهد: أعمركم فيها[3]. قال قتـادة: في رواية شيـبان أسكـنكم فيـها[4]، قـال ابن فورك: واسـتـعمـركم مـعناه، أي جعلكم من عمار الأرض بالتمكين فيها والحاجة إلى سكانها **﴿فاستغفروه﴾** فوحدوه

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٨/أ).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٨/أ).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري (١٥/٣٦٩) برقم (١٨٢٨٣).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٨/أ).

﴿ثم توبوا إليه﴾ أي أقبلوا إلى الله بالتوبة ﴿ إن ربى قريبٌ ﴾ عالمٌ[١] ﴿مجيبٌ﴾ سريعُ الإجابة. وقيل: ﴿إن ربى قريبٌ﴾ لمن رجاه ﴿مجيبٌ ﴾ لمن دعاه، ومعناه: قريبٌ أي قريب الرحمة والإجابة وليس هو من قرب المكان لكنه خرج هذا المخرج لحسن البيان[٢] في المبالغة، فأجابه قومه ﴿ قالوا يصلح قد كنت فينا مرجواً ﴾ حقيراً بلغة حمير[٣]. وقال ابن عباس: مرجواً ﴿قبل هذا﴾ أي ظننا إنك ترجع إلينا إلى ديننا فيما قبل هذا ﴿أتنهنآ أن نعبد ما يعبد ءاباؤنا﴾ من الأصنام، وإنما قالوا ذلك؛ لأن صالحاً قبل ذلك الوقت كان مسلماً ولا يجوز أن يكون النبي كافراً من وقت بلاغته فلهذا قال ظننا إنك ترجع إلى ديننا قبل هذا.

﴿وإننا لفى شك مما تدعونآ إليه مريبٌ﴾ والمريب نعت الشك، أي وإنا لفى شكٍ مريبٍ مما تدعونا إليه، أي شككنا شكا لا علم فيه ﴿قال﴾ صالح ﴿ يقوم أرءيتم إن كنت على بينة﴾ أي بصيرة وبيان ﴿ من ربى وآتنى﴾ وأعطاني ﴿ منه ﴾ من الله ﴿رحمةً ﴾ نبوةً ﴿ فمن ينصرنى ﴾ فمن يمنعني ﴿ من الله ﴾ من عذاب الله ﴿ إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ﴾ قال ابن عباس: غير بصارةٍ في خسارتكم[٤] ، قال الفراء: غير تضليل،[٥] وقال الحسين بن الفضل: لم يكن صالحاً في خسارةٍ حتى قال: ﴿ فما تزيدوننى ﴾ الآية وإنما المعنى: فما تزيدونني إلا

(١) هذا تأويل، وصرف للآية عن ظاهرها بلا دليل، والصواب: أن نترك الآية على ظاهرها، وهو منهج أهل الحق من سلف هذه الأمة وخلفها.

(٢) تأويل يراجع التعليق السابق.

(٣) معنى الآية كما قال ابن كثير (٤/٢٦٣): «أي كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت». وقال الطبري (١٥/٣٦٩): «أي كنا نرجوا أن تكون فينا سيداً قبل هذا القول الذي قلته لنا ...» وهذا أولى بالصواب مما ذهب إليه المؤلف رحمه الله.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٨/أ).

(٥) أنظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٠) وعبارة الفراء: غير تخسير لكم وتضليل لكم.

وأنكم تنسبونني إلى الخسارة[1] يعني حين قلتم ﴿قد كنت فينا مرجوًا﴾ الآية وهذا من قول العرب فسقته وفجرته، أي نسبته إلى الفسق والفجور، وكذلك خسرته إذا نسبته إلى الخسران ﴿ ويـٰقوم هذه ناقة الله لكم ءاية﴾ يعنى علامةً وهي نصبٌ على القطع ﴿ فذروها ﴾ فاتركوها ﴿تأكل فى أرض الله ﴾ من العشب ﴿ ولا تمسوها بسوء ﴾ ولا تعقروها بعقرٍ ﴿ فيأخذكم ﴾ فيتنزل عليكم ﴿ عذابٌ قريبٌ﴾ ﴿فعقروها /فقال﴾ صالح ﴿تمتعوا﴾ عيشوا ﴿ فى داركم ﴾ في مدينتكم ﴿ ثلاثة أيام﴾ يوم ١/٢٥٠ الأربعاء والخميس ويوم الجمعة، فلما كان ليلة السبت أهلكهم الله جميعاً بالنار[2] وذلك العذاب ﴿ وعدٌ غير مكذوب﴾ ﴿ فلما جآء أمرنا﴾ بالعذاب ﴿نجينا صـٰلحًا والذين ءامنوا معه برحمةٍ منا ومن خزى﴾ أي عذاب ﴿ يومئذٍ إن ربك هو القوى﴾ في نصرة أوليائه ﴿ العزيز﴾ بالنقمة من أعدائه ﴿ وأخذ الذين ظلموا ﴾ كفروا ﴿الصيحة ﴾ العذاب بالنار ﴿فأصبحوا ﴾ فصاروا ﴿ فى ديـٰرهم ﴾ في مدينتهم ﴿جـٰثمين ﴾ ميتين، وإنما قال ﴿ وأخذ الذين ظلموا ﴾ على المعنى، لأن معنى الصيحة، الصياح والعذاب ، وقيل لتقديم الفعل على الاسم ﴿ كأن لم يغنوا ﴾ سكنوا ﴿فيهآ﴾، ﴿ ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعداً لثمود ﴾ أي آلا بعداً من رحمة الله وقيل ألا هُلكا لثمود.[3]

قصة إبراهيم عليه السلام

قوله: ﴿ ولقد جآءت رسلنا إبرٰهيم بالبشرىٰ ﴾ واختلفوا في عدد الرسل الذين جاءوا إلى إبراهيم بالبشرى فقال ابن عباس: هم ثلاثة[4] نفر وقال الضحاك : هم تسعة

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٨/أ).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٨/ب).
(٣) قاله ابن حبيب (ق:١٠٨/ب).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٨/ب).

رهط وقال السدّي: هم أحد عشر ملكا فلما دخلوا إلى إبراهيم ﴿قالوا سلـٰما﴾ قال إبراهيم ﴿سلـٰمٌ﴾ أي عليكم سـلامٌ قـرئ ﴿ قال سـلام ﴾ بالوجـهين بالألف وغيـر الألف[1] فبالألف أي سـلام من التسليم وبغير الألف أي فمـعناه نحن مسالمون لك أي صلحٌ لك. واختلفوا في وجه رفعها من أربعة أوجه: أحدها: قال لكم سلامٌ، والثاني: عليكم سلامٌ، والثالث: رفع على الحكاية كـقوله ﴿وقولوا حطةٌ﴾ والرابع: بإضمار هو وإنما خولف بينهـما [سلاماً وسلام][2] لئـلا يوهم الحكايـة ولأن المرفـوع أبلغ لأنه حاصلٌ والمنصوب مـجتلب بمعنى الفعل ﴿ فمـا لبث أن جآء بعـجل حنيذ﴾ قال ابن عباس ﴿ فمـا لبث ﴾ إبراهيم حتى جـاء بعجل حينئذ مـشوي[3] بالحجاره محـماة بها وقال مجاهد: نضيج[4] وقال أبو عبيدة: مسخن[5] وقيل: سمين[6] وحنيذ بمعنى محنوذٍ فعيل بمعنى مفعولٍ كالطبـيخ بمعنى المطبوخ. ووجه تقديم الطعام إلى الملائكة أنهم أتوه في صورة الأدميين واستـضافوه والملك لا يأكل ولا يشرب ﴿ فلما رءآ﴾ إبراهيم ﴿ أيديهم لا تصل إليه ﴾ إلى الطعام وإلـى العجل ﴿ نكرهم ﴾ أي أنكرهم وقيل: نكر وأنكر بمعنىً واحدٍ، وقد جمعهما قول الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... مني الحوادث إلا الشيبا والصلعا[7]

قال أبو العالية[8]: نكر بالقلب وأنكر بالعين، قـال ابن حبـيب: قول من قـال نكر

(١) قرأ حمـزة والكسائي بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف وكذا في الذاريات وقرأهمـا الباقون بفتح السين واللام وإتيان ألف بعد اللام. أنظر: التذكرة لابن غلبون (٤٦٠/٢).
(٢) سورة البقرة آية ٥٨.
(٣) في الأصل: [سلام وسلم] وهي بمعنى واحد والصواب ما أثبته.
(٤) أخرجه الثعلبي (ق:٤٨/ب).
(٥) أخرجه الطبري (٣٨٥/١٥) برقم (١٨٢٩٩).
(٦) أنظر: مجاز القرآن لابي عبيدة (٢٩٢/١).
(٧) ذكره السمرقندي في تفسيره (١٣٤/٢) ونسبه إلى السدي.
(٨) أنظر: ديوان الأعشى (١٥١).
(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٨/ب).

وأنكر بمعنى واحد أعجب إلي لقوله في ﴿والذاريات﴾، ﴿قومٌ منكرون﴾[1] وهو من الإنكار[2] ﴿ وأوجس منهم خيفة ﴾ أي وأضمر في نفسه منهم خيفة وقيل: وقع فى قلبه منهم خيفة[3].

واختلفوا في خوف إبراهيم والجالب له فقال ابن عباس: إنه خاف منهم لما لم يأكلوا من طعامه وظن أنهم لصوصٌ، وكأن في ذلك الوقت إذا أكل الرجل طعام الرجل أمنه وإذا لم يأكل ظن أنه لصٌّ[4] وقال علي بن أبي طلحة الوالبي: لما عرف أنهم ملائكة خاف منهم وظن أنهم جاءوا بهلاكه وهلاك قومه دون هلاك قوم[5] لوطٍ. لأن الملائكة كانت تنزل بالعذاب كما قال تعالى: ﴿ ما ننزل الملـئكة إلا بالحق﴾[6] قال ابن عباس: إلا بالعذاب .

٢٥٠/ب قال ابن حبيب: هذا القول أعجب إلي لدلالة/ ما بعده[7].

قالت له الملائكة: ﴿قالوا لا تخف إنآ أرسلنآ إلى قوم لوطٍ وامرأته﴾ سارة ﴿قائمة﴾ لخدمة الملائكة، وإبراهيم جالسٌ وذلك أن من عادتهم أن الغلمان تخدم الأضياف، فلما أمسكت الأضياف عن إبراهيم ولم يدخل عليه أحدٌ، قال إبراهيم : لسارة تعالي حتى نتوب وإن دخل علينا من الأضياف فنحن نخدمه بنفسنا فلما جاء الأضياف قامت سارة للخدمة وخدم إبراهيم بحمل الطعام فذلك قوله ﴿ وامرأته قائمة فضحكت﴾ سارة، واختلفوا في العلة الجالبة لضحكها.

---

(١) سورة الذاريات آية ٢٥.
(٢) انظر: تفسيره (ق:١٠٨/ب).
(٣) أنظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٠٨/ب).
(٤) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق:١٠٨/ب)، وذكره أيضاً السمرقندي في تفسيره (١٣٥/٢).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٩/أ).
(٦) سورة الحجر آية ٨.
(٧) أنظر: تفسير ابن حبيب مخطوط (ق:١٠٩/أ).

قال ابن عباس: لما بشروها بالولد ضحكت[١] تعجبا.

وقال مقاتل بن حيان: ضحكت من خوف إبراهيم منهم، وهو فيما بين خدمه وحشمه[٢].

قال السدّي: ضحكت من غفلة القوم وقرب الهلاك منهم[٣].

وقيل: ضحكت تعجباً من حال الأمر في امتناعهم من أكل الطعام[٤].

وقال وهب بن منبه: ضحكت تعجبا من أن يكون لهما ولدٌ وقد هرما[٥].

قال عكرمه: فضحكت أي فحاضت[٦] تقول العرب: ضحكت الأرانب، إذا حاضت، وليس لشيء من الحيوانات حيضٌ سوى الآدميين إلا الأرنب فإنها تحيض كما تحيض النساء.

من قال هذا [...][٧] القول ففي الآية تقديم وتأخير ومعناه ﴿**فبشرنـٰها بإسحـٰق ومن وراء إسحـٰق يعقوب**﴾ ﴿**فضحكت**﴾ فحاضت قال ابن حبيب: القول عندي قول من قال أن ضحكها من أن تكون عجوزا وبعلها شيخاً فلهذا الأمر تعجبت وضحكت بدليل[٨] قوله: ﴿ **فأقبلت امرأته فى صرة**﴾ الآية[٩].

---

(١) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٠٨/ب).

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره (٢/٣٩٣).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٨/ب).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/٣٩١).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/٣٩١) برقم (١٨٣١٩)، والبغوي (٢/٣٩٣).

(٦) أخرجه البغوي (٢/٣٩٢) عن مجاهد وعكرمة ، وأخرجه عن مجاهد الطبري (١٥/٣٩٢).

(٧) في الأصل فيه كلمة : [على] وقد تم حذفها لأن الكلام لا يستقيم مع وجودها.

(٨) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٠٩/أ).

(٩) سورة الذاريات آية ٢٩.

قال الله ﴿ فبشرنـها ﴾ الآية ففيه دليل على أن إسماعيل كان ذبيحا دون إسحاق ؛ لأن الله تعالى بشره بابن وهو إسحاق وبشره بأن يكون من إسحاق ولد وهو يعقوب ثم أمره بالذبح فكيف يصح هذا؟!

ففيه دليل على أن الذبيح إسماعيل دون إسحاق عليهما السلام، وقرئ يعقوب بالرفع[1] والنصب[2] فالرفع من وجهين أحدهما على الإبتداء وخبره متقدم عليه فمعناه فبشرناها بإسحاق ويعقوب من وراء إسحاق .

والثاني: رفع بفعل مُضمر معناه: أي ومن وراء إسحاق يحدث أو يظهر يعقوب قاله أبو بكر بن مهران.

ونصبه من ثلاثة أوجه: قال الزجاج: أي فبشرناها بإسحاق ووهبنا لإسحاق يعقوب[3]. والثاني: قال ابن مقسم : نصب عطف على إسحاق ومعناه وبشرناها بإسحاق ويعقوب[4] . والثالث: أي ومعناه فبشرناها بإسحاق ويعقوب.

فإذا هو نصب يوقع البشارة عليه ﴿ **قالت يـويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشئ عجيب** ﴾ أي إن هذا الولد من بين الشيخين لشيء عجيب، وكان ذلك معجزة لإبراهيم ، لأن إبراهيم؛ في ذلك الوقت ابن ماية وعشرين سنة وسارة بنت تسع وتسعين سنة، ووجه التعجب من الولد من بين الشيخين ، لأن الصبي يخلق من النطفة والنطفة منقطعة عنهما ﴿ **قالوا أتعجبين من أمر الله** ﴾ فلما فرغت سارة / من كلامها ، قالت الملائكة أتعجبين من أمر الله من مقدور الله ١/٢٥١

(١) قرأة الجمهور انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٦٠).
(٢) قرأ بها ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة . انظر: المصدر السابق.
(٣) أنظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/٦٢).
(٤) ذكره القرطبي دون عزو (٩/٦٩).

ورحمته انظري إلى سقف البيت فنظرت فإذا عذوق من التمر مدليات من السقف ، وتخرج الأوراق خضرا من السقف كأنها الأشجار، فقالت الملائكة وكما أن الله قادر على أن يفعل هذه فكذلك قادر على أن يهب لك الولد.

وقيل: لما جاء إبراهيم بالعجل المشوي فمد جبريل يده ووضع أصبعه في العجل فتحرك العجل وصاح فقال جبريل: إن الله قادر على أن يحي العجل بعد الشواء حتى يتحرك ويصيح أفليس بقادر على أن يجعل الولد من رحم عقيم؟[1].

﴿ **رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت** ﴾ يا أهل البيت المراد به سارة، فدل على أن الأزواج من أهل بيت الرجل، بخلاف ما زعمت الروافض، أن أزواج النبي ﷺ ليس من أهل بيته ﴿**إنه**﴾ إن الله ﴿**حميد**﴾ مستحمد ﴿ **مجيد**﴾ شريف.

﴿**فلما ذهب عن إبرهيم الروع**﴾ الفزع ، ﴿ **وجآءته البشرى** ﴾ الواو مقحمة أي جاءته البشرى ﴿**يجادلنا**﴾ أي جعل يجادلنا ﴿**فى قوم لوط**﴾ فحذف جعل لدلالة الكلام عليه يجادلنا أي يجدل رسلنا ومعناه يسأل الله ذلك، ولكن سمى السؤال مجادلة لما فيه من الإلحاح ، وذلك أنه جادل الملائكة وقال: إن فيها لوطا.

﴿**قالوا نحن أعلم بمن فيها**﴾[2] الآية عن الحسن وقال قتادة[3]: وذلك أنه جادل إبراهيم معهم وقال أتعذبونهم وفيهم مائة من المؤمنين؟ قالوا: لا. قال وفيهم تسعون من المؤمنين. قالوا: لا. حتى رجع إلى عشرة قالوا: لا. ثم سكت. فقال جبريل: لم تسكت؟ فلو كان فيهم أهل بيت من المؤمنين[4] لصرفنا عنهم العذاب قال: إن فيها

(١) هذا من الإسرائيليات التي أكثر المؤلف من ذكرها في تفسيره ولا حاجة لذكرها، ومعلوم أن في الإسرائليات الباطل، وفيها ما يحتمل الصدق والكذب، والمفسر في غنى عن ذكرها في التفسير.

(٢) سورة العنكبوت آية ٣٢.

(٣) ذكره الماوردي (٢/٤٨٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/٤٠٣، ٤٠٤) برقم (١٨٣٤٣، ١٨٣٤٤) ، وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٦٥)، والبغوي (٢/٣٩٤) ، والبحر المحيط (٥/٢٤٥) ، وابن كثير (٤/٢٦٦).

لوطا فقال جبـريل إن امرأته منهم فذلك قوله: ﴿ **نحن أعلم بمن فيها**﴾، ﴿**إن إبراهيم لحليم أوّٰه منيب**﴾ دعاءٌ راجع بالقلب إلى الله، وقد مر ذكره في سورة التوبة ﴿**يـٰإبراهيم** ﴾ قال جبريل ﴿ **يـٰإبراهيم أعرض عن هذا** ﴾ السؤال والجدال ﴿ **إنه قد جاء أمر ربك** ﴾ عذاب ربك ﴿ **وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود**﴾ غير مرفوع عنهم.

قصة لوط عليه السلام

قوله ﴿ **ولما جآءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب** ﴾ وذلك أن الملائكة لما خرجوا من عند إبراهيم ونزلوا على لوط ليهلكوا قومه فلما نزلوا وكان من عادة امرأته وأهله إذا نزلت الأضياف بهم قامت وأوقدت النار حتى يعلموا أن الضيفان قد نزلوا، فجاءوا وأرادوا الفساد معهم، فلما دخل على لوطٍ جبريل والملائكة قامت امرأته وأوقدت النار وأخمدت، فجاء قومه إليه يسرعون كما قال ﴿ **وجآءه قومه يُهرعون إليه**﴾ فلما بلغوا باب دار لوطٍ، فجاء لوطٌ خلف الباب وأخذ يخاصم بهم وقال: لا تفعلوا مثل هذا حتى قال جبريل دعهم ليدخلوا، فدخلوا دار لوطٍ فأعماهم الله جميعاً كما قال: ﴿**ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم** ﴾[1] فقالوا هذا من سحر لوطٍ، وخرجوا من داره، فأمر جبريل لوطا وقال احمل بناتك ومتاع / بيتك واذهب إلى موضع كذا ، فذهب لوطٌ بناته ومتاع بيته ٢٥١/ب إلى الصحراء فلما كان وقت الصبح أهلكهم الله جميعاً بالحجارة والخسف فذلك قوله: ﴿ **ولما جآءت رسلنا لوطا سيء بهم** ﴾ أي إغتم لأجلهم وهذا كقول العرب: سررته فسر وشغلته فشغل ﴿ **وضاق بهم ذرعاً** ﴾ وهذا من المقلوب، أي وضاق

---

(١) سورة القمر آية ٣٧.

ذرعه بهم أي وضاق قلبه بهم.

﴿وقال﴾ لوطٌ ﴿هـذا يومٌ عـصيبٌ﴾ شديدٌ ﴿ وجآءه قومه يهـرعون إليه ﴾ قال ابن عباس: يسرعون إليه.[1] قال الفراء: يهرولون إليه[2] .

قال الحسن: يمشون بين المشيتين[3] ﴿ ومن قبل ﴾ هو رفعٌ على الغايـــة أي ﴿ومن قبل﴾ نزول العذاب ﴿ كانوا يعملون السيئات﴾ أي والسيئات إتيان أدبار الرجال ﴿قال﴾ لوطٌ ﴿ يــقوم ﴾ لما قصدوا أضيافه، ولم يشعر لوطٌ بـأنهم ملائكة فقال لهم ﴿ يــقـوم هـؤلاء بناتى﴾ أراد بنتيه ربثا وزعورا ﴿ هن أطهـر لكم ﴾ هن أحل لكم إذا زوجتكموهن، وقد كان يجوز في شريعة لوطٍ تزويج المسلمة بالمشرك، فلهـذا قال لوط هـذا. وقد زوج رسول اللهﷺ ابنته من أبي العاص بن الربيع وهو مشرك،[4] قبل نزول تحريمه ﴿هن أطهر لكم﴾ قرئ برفع الراء ونصبها[5] فالرفع، بهن، والنصب، على القطع ولا يجوز أطهرَ لكم عند الخليل وسيبويه[6].

وعند الآخرين جائزٌ ﴿ فاتقـوا الله ولا تخزون ﴾ ولا تشوروں ﴿في ضيفى﴾ ﴿أليس منكم رجُلٌ رشيد﴾ يدلكم على الصواب، ويأمركـم بالمعروف وينهيكم عن المنكر ﴿ قالوا ﴾ أي قـوم لوط ﴿ لقـد علمت ما لـنا فى بناتك من حق ﴾ من حاجةٍ أي فى تزويج النساء ﴿ وإنك لتعلم ما نريد﴾ من نكاح الرجال .

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (١٥/٤١٣) برقم (١٨٣٧١).

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٠٩/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٠٩/أ).

(٤) ذكره القرطبي (٩/٧٦) والحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/٢٤٦).

(٥) قراءة شاذة قرأ بها ابن مروان وعيسى وعمر. أنظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٦٠). والقراءة المتواترة بالرفع.

(٦) أنظر: البحر المحيط (٥/٢٤٧) ذكر قول سيبويه، وأنظر: تفسير القرطبي (٩/٧٦) وقد ذكر قول الخليل وسيبويه.

﴿ **قال**﴾ لوط ﴿ **لو أن لى بكم قوةً** ﴾ قدرة بالبـدن والولد ﴿ **أو ءاوى**﴾ أقدر أن أرجع ﴿ **إلىٰ ركن شديدٍ** ﴾ إلى عشيـرةٍ كثيرةٍ لامتنعت بنـفسي منكم وكان لوط غـريبـا فـيـما بينهم فلمـا قـال هذا لم يبـعث الله نبيـا إلى قــوم إلا وله فـيـهم قـرابة وعشيرة[1].

وروي عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية، قـال رحم الله أخي لوطا لقد كـان يأوى إلى ركن شديد[2] ﴿ **قالوا يـٰلوط إنا رسل ربك** ﴾ فلما اجتمع الكفار على باب لوط والباب مـغلق دونهم، قام لوط خلف البـاب، وكان يناظرهم والملائكة فى بيـته، وهم على صورة غلمان، فلما ضـجر لوط قال جبريل ﴿ **يـٰلوط إنا رسـل ربك لن يصلوا إليك** ﴾ فافتح الباب، ففتح، فهمّ القوم، فأعمى الله أبصارهم كما قال الله في التنزيل ﴿ **ولقد راودوه عن ضيفه** ﴾ الآية[3]، وقال جبريل للوط ﴿ **فأسر بأهلك بقطع** ﴾ أي بنصف ﴿ **من اليل** ﴾ قـرئ فاسـر بوصل[4] الألف وقطعـها[5] وهم لغـتان ﴿**بأهلك**﴾ بابنتيه زعوراء وربثا ﴿ **ولا يلتفت منكم أحد**﴾ ولا تترك إلى الخلف من أهلك ﴿ **إلا امرأتك** ﴾ [واهلة][6] وقرئ بالنصب[7] والرفع.[8] فالنـصب إستثناء مـن قوله ﴿ **فأسر**

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري عن أبي هريرة مرفوعاً (٤١٩/١٥) برقم ١٨٣٩٧).

(٢) أخرجه الطبري عن الحسن وأبي هريرة (٤١٩/١٥) برقم (١٨٣٩٦، ١٨٣٩٧). وذكره ابن كثير عن أبي هريرة (٢٦٨/٤، ٢٦٩).
وقال محمود شاكر: حديث أبي هريرة : صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٥٦١/٢).
وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه الزيادة.

(٣) سورة القمر آية رقم ٣٧.

(٤) قرأ بها نافع وابن كثير . أنظر: التذكرة لابن غلبون (٤٦٠/٢).

(٥) وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة . انظر المصدر السابق.

(٦) كذا في الأصل ولعل صحة اسمها: [واعلة] كما أشير إلى ذلك في تنوير المقباس (ص:١٤٣).

(٧) قراءة الجمهور بنصب التاء، أنظر: التذكرة لابن غلبون (٤٦٠/٢).

(٨) وقرأ بالرفع ابن كثير، وأبو عمرو ، أنظر المصدر السابق.

بأهلك إلا امرأتك ﴾ فلا تسر بها، وبالرفع يكون مستثناً من قوله ﴿ **ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك** ﴾ فإنها تلتفت ﴿ **إنه** ﴾ الهاء عماد ، أي أن ﴿ **مصيبها مآ أصابهم** ﴾ معناه ينزل بامرأتك من العذاب ما ينزل بقومك، فقال لوط: متى ينزل العذاب عليهم؟ فقال جبريل: ﴿ **إن موعدهم الصبح** ﴾ قال لوط: أريد أسرع من هذا ، فقال جبريل: ﴿ **أليس الصبح بقريب** ﴾ قال الله ﴿ **فلما جآ أمرنا** ﴾ بالعذاب كأنه قيل له كن ﴿ **جعلنا عاليها سافلها** ﴾ أراد / مدائن قوم لوط، وهي أربع مدائن :سدوما وعاموراء ٢٥٢/أ وداذوما، وسبوايم.[١] ، قال قتادة: أربعة ألف ألف رجل[٢] كانت تلك المدائن على مسيرة ثلاثة أيام من بيت المقدس.

قال إسماعيل الضرير: وسمعت واحداً قال: رأيت تلك المدائن وتلك الحجارة، وكل حجر على قدر إبل وبقر، أصغر وأكبر، وكانت مخططة بالسواد والصفرة والخضرة.

وروي أن النبي ﷺ قال لجبريل إن الله سماك بأسماء ففسرها لي. قال رسول الله ﷺ إن الله قال في وصفك ﴿ **ذى قوة عند ذى العرش مكين** ﴾[٣] و ﴿ **ذو مرةٍ فاستوىٰ** ﴾[٤] ﴿ **مطاع ثم أمين** ﴾[٥] فأخبرني عن قوتك، قال جبريل: يا محمد رفعت قرى لوط من تخوم الأرض على جناحي في الهواء حتى سمعت الملائكة من السماء

---

(١) قال الثعلبي في عرائس المجالس (ص:٩٣): «قالوا وكانت قرى قوم لوط خمساً: سدوم وعامورا ودومة وساعورا وصفرة».
وقال ابن كثير: (٤/٢٧١) قال قتادة: «وذكر لنا أنهم كانوا أربع قرى في كل قرية مائة ألف. وفي رواية ثلاث قرى. الكبرى منها سدوم»أهـ. وقال بمثل ما قال المؤلف ابن حبيب: (ق:١١٠/أ).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/٤٢٦) عنه بلفظ: مائة الف برقم (١٨٤١١).

(٣) سورة التكوير آية رقم ٢٠.

(٤) سورة النجم آية رقم ٦.

(٥) سورة التكوير آية رقم ٢١.

الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهراً لبطن، قال: فأخبرني عن قوله ﴿مطاع﴾ قال إن روان خازن الجنة، ومالكاً خازن النار، متى كلفتهما فتحا أبواب الجنة والنار لي، قال: فأخبرني عن قوله ﴿ أمين ﴾ قال إن الله أنزل من السماء مائةً وأربعة من الكتب إلى أنبيائه لم يأتمن عليها غيري[1] ﴿ وأمطرنا عليها ﴾ يعني وأمطرنا في العذاب على تلك المدائن ﴿ حجارة من سجيل ﴾ قال أبو عبيدة: مطرنا في العذاب حجارة[2] من سجيل ، قال ابن عباس: هو فارسي معرب، أي حجارة من سنك وكل[3] ، وقيل: حجارة صلبة[4].

وقيل: وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ، أي من جهنم، ثم أبدلت النون لاما كما يقال: هتمت العين وهتلت إذا انصبت وبكت، وقال أبو زيد : سجيل اسم سماء الدنيا[5] أي وأمطرنا عليهم حجارة من السماء الدنيا.

قال ابن حبيب: رأيت في بعض المعاني: أن السجيل اسم جبال في سماء الدنيا بدليل[6] قوله: ﴿ وينزل من السماء من جبال﴾[7] ، ﴿ منضود﴾ قال ابن عباس :

---

(١) هذه الرواية أوردها الثعلبي في تفسيره (ق:٥٣/أ) ولم أقف عليها عند غيره، ولعلها من الأحاديث الموضوعة على رسول الله ﷺ .

(٢) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/٢٩٦): وهو الشديد من الحجارة، الصلب ومن الضرب.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري (١٥/٤٣٣، ٤٣٤) برقم (١٨٤٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ سنك وجل، (سنك) هو الحجر ، و (جل) هو الطين . وأخرجه عن سعيد بن جبير وغيره بلفظ (ستك وكل) أنظر المصدر السابق رقم (١٨٤٢٨، ١٨٤٣١).

(٤) أنظر قول أبي عبيدة السابق في مجاز القرآن.

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٥٣أ).

(٦) أنظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٠/أ).

(٧) سورة النور آية رقم (٤٣) وهذا استدلال غير مستقيم، لأن المقصود بالسماء هنا العلو أو السحاب وليس السماء الدنيا .

متتــابع[1].

وقال قتادة: بعضها فوق بعض[2] ﴿ **مسومةً** ﴾ معلمةٌ ﴿ **عند ربك** ﴾ وقيل: مشهودة[3]. قال الحسن: مختومة[4] عند ربك، قال الربيع بن أنس: ﴿ **مسومةً** ﴾ مكتوب على كل حجر اسم من رمى[5] به، وبه يقول عكرمة وفي الخبر، أن الحجارة حصبتهم وأهلكتهم حتى لم يبق منهم نافخ ضرمةٍ أي لم يبق منهم واحد، ثم تتبعت الحجارة الشذاذ المسافرين في أقطار الأرض، حتى هلكوا عن آخرهم ﴿ **وما هى** ﴾ وما تلك الحجارةٌ ﴿ **من الظـلمين** ﴾ من ظالمي أمتك يا محمد ﴿ **ببعيد** ﴾ إذا فعلوا مثل فعلهم .

قصة شعيب عليه السلام

وكان ضرير البصر[6] قوله: ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيباً** ﴾ وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعيبا نبيهم، ﴿ **قال يـقوم اعبدوا الله** ﴾ أي وحدوا الله ﴿ **ما لكم من إلـهٍ غيره** ﴾ ليس لكم إلهٌ غيرالله ﴿ **ولا تنقصوا المكيال والميزان** ﴾ فأتموهما ﴿ **إنى أرىـكم بخير** ﴾ بخصب، ﴿ **وإنى أخاف عليكم** ﴾ إن لم تفعلوا ﴿ **عذاب يوم محيط** ﴾.

﴿ **ويـقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط** ﴾ بالعدل ﴿ **ولا تبخسوا الناس**

(١) أخرجه الثعلبي (ق:٥٣/ب).
(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٥٣/ب).
(٣) ذكره الثعلبي دون أن ينسبه لقائله (ق:٥٣/ب).
(٤) أخرجه الثعلبي عن الحسن والسدّي (ق:٥٣/ب).
(٥) أخرجه الثعلبي (ق:٥٣/ب).
(٦) هذا يحتاج إلى دليل ولا دليل عنده.

أشيآءهم ﴾ أي ولا تنقصوا حقوق الناس بالباطل ﴿ **ولا تعثوا** ﴾ ولا تسعوا ﴿ **فى الأرض** ﴾ بالفساد في الأرض ﴿ **مفسدين ، بقيت الله** ﴾ طاعة الله في إتمام الكيل والميزان ﴿**خيرٌ لكم**﴾ من البخس فيهما ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ مصدقين / وقال قتادة: ٢٥٢/ب حظكم من الله خيرٌ لكم[١] إن كنتم مؤمنين ﴿ **ومآ أنا عليكم بحفيظ** ﴾ لأنه لا يؤمر بالقتال فأجابوه و ﴿ **قالوا يـٰشعيب أصلوٰتك تأمرك أن نترك ما يعبد ءاباؤنآ** ﴾ قال ابن عباس: إنما قيل هذا لأن شعيب كان كثير الصلوات[٢]. قال الحسن: بلى صلاته تأمره بهذا على الحقيقة[٣] . قال إسماعيل الضرير: رأيت في نظم كتاب الجرجاني[٤] معناه: يأمرك من تصلي له، يعني الله يأمرك بهذا ﴿ **أو أن نفعل فى أموٰلنا ما نشـٰؤا**﴾ من البخس في الكيل والتطفيف في الميزان .

وقرئ في الشاذ ﴿ **أو أن تفعل فى أموٰلنا ما تشـٰؤا** ﴾ بالتاء فيهما[٥] على معنى أصلاتك تأمرك أن تحكم في أموالنا ما تريد أنت ﴿ **إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ فيه قولان . قال ابن عباس: هذا من المقلوب أي، إنك لأنك السفيه الغاوي[٦]. قال ابن كيسان : هذا غير مقلوب أي إنك لأنت الحليم الرشيد عندنا قبل هذا[٧]، فلا ينبغي لك أن تنهانا عما يعبد آباؤنا ﴿ **قال**﴾ شعيب ﴿ **يـٰقوم أرءيتم إن كنت علىٰ بينة**﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٤٤٨/١٥) برقم (١٨٤٨٣، ١٨٤٨٤).

(٢) أخرجه الثعلبي (ق:٥٤/أ) وذكره ابن حبيب (ق:١١٠/ب).

(٣) ذكر أبو القاسم بن حبيب (ق:١١٠/ب).

(٤) أبو الحسن ، على بن عبدالعزيز بن الحسن الجرجاني ، قاضي من العلماء بالأدب، كثير الرحلات له شعر حسن، ولد بجرجان وولي قضاءها، توفي بنيسابور عام ٣٩٢هـ، من كتبه الوساطة بين المتنبي وخصومه، وتفسير القرآن، وتهذيب التاريخ وديوان شعر.
أنظر ترجمته في الاعلام (٣٠٠/٤).

(٥) قراءة شاذة . أنظر مختصر شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٦١).

(٦) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٥٤/ب).

(٧) أخرجه الثعلبي (ق:٥٤/ب).

بصيرة من ربي ﴿ ورزقني منه ﴾ من الله ﴿ رزقاً حسناً ﴾ مالا كثيرا ﴿ ومآ أريد أن أخالفكم إلى مآ أنهـكم عنه ﴾ قال قتادة: لست آمركم بشيء وأنا تاركه ولا أنهاكم عن شيء وأنا أرتكبه[1] ﴿ إن أريد ﴾ ما أريد ﴿ إلا الإصلـح ﴾ فيما قلت ﴿ ما استطعت وما توفيقي ﴾ وما أمري وشأني ﴿ إلا بالله ﴾ إلا إلى الله ﴿ عليه توكلت ﴾ به وثقت ﴿ وإليه أنيب ﴾ أرجع ﴿ ويـقوم لا يجر منكم شقاقي ﴾ لا يحملنكم خلافي ﴿ أن يصيبكم مثل مآ أصاب ﴾ وقرئ في الشاذ ﴿ مثل ما ﴾ بنصب اللام[2] على معنى أي كمثل ما أصاب ﴿ قوم نوح ﴾ من الغرق ﴿ أو قوم هود ﴾ من الريح ﴿ أو قوم صـلح ﴾ من الصيحة .

﴿ وما قوم لوطٍ منكم ببعيد ﴾ لأن ديارهم بقرب دياركم ووقتهم بقرب وقتكم ويا قوم ﴿ و استغفروا ربكم ﴾ وحدوا ربكم ﴿ ثم توبوا إليه ﴾ أقبلوا إليه وقال الفراء : التوبة والاستغفار واحد[3] ، ﴿ إن ربي رحيمٌ ﴾ بالمؤمنين ﴿ ودود ﴾ لهم والودود له معنيان: إن شئت بمعنى الواد كالصبور والشكور بمعنى الصابر والشاكر.

وإن شئت بمعنى: المودود كالحلوب والركوب، وكلا المعنيين سائغ في العربية وفي الشريعة، لأن الله قال ﴿ فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه ﴾[4].

فأجابوه ﴿ قالوا يـشعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنرىك فينا ضعيفًا ﴾ ضرير البصر[5] ولا أنت من أهل الثروة.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/٤٥٣) برقم (١٨٤٩٦) عنه، مع وجود أختلاف يسير في بعض العبارات.

(٢) أنظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٦١) عن مجاهد وغيره.

(٣) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق:١١٢/ب).

(٤) سورة المائدة آية رقم ٥٤.

(٥) هذا لا يدل على أنه ضرير البصر، ومقصودهم واضح، أنه ليس معه قوة مادية يعرفونها ، وإلا فهو قوي بالله عزوجل.

﴿ ولولا رهطك ﴾ قومك ﴿ لرجمنك ﴾ لقتلناك ﴿ ومآ أنت علينا بعزيز ﴾ بكريم ﴿ قال ﴾ شعيب ﴿يقوم أرهطى﴾ أقومى ﴿أعز عليكم من الله واتخذتموه﴾ في هذه الهاء قولان: إن شئت رددتها إلى أمر الله، وإن شئت رددتها إلى الله.

وقال ابن حبيب: القول الأول أعجب إليّ ، لأنه راجعٌ إلى أمر الله[1]، لقوله: ﴿واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾ ومثل هذا يستعمل في الأمر يقال: جعلت أمري وراء ظهري.

﴿ إن ربى بما تعملون محيط ﴾ عالم به.

﴿ ويقوم اعملوا على مكانتكم ﴾ في منازلكم ﴿ إنى عملٌ ﴾ فأينا أحسن عملاً ﴿ سوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ﴾ يذله ويهينه ﴿ ومن هو كذبٌ ﴾ فيعلم كذبه وينزل وباله عليه، في محل (من) قولان: أحدهما :أي ويخزيه ويخزي ﴿ من هو كذب ﴾، والثاني: محله رفعٌ على معنى ويعلم من هو كاذب.

﴿وارتقبوا ﴾ أي فانتظروا العذاب ﴿ إنى معكم رقيب ﴾ منتظر العذاب / . ٢٥٣/أ

قال الله ﴿ ولما جآء أمرنا ﴾ عذابنا بالهلاك ﴿ نجينا شعيباً والذين ءامنوا معه برحمةٍ منا ﴾ بنعمةٍ منا ﴿ وأخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ العذاب بالنار ﴿فأصبحوا ﴾ فصاروا ﴿ فى ديرهم جثمين ﴾ ميتين ساقطين ﴿ كأن لم يغنوا فيهآ﴾ أي لم يسكنوا فيها ، وقيل[2]: كأن لم يكونوا فيها ، وتنعموا وتعيشوا فيها ﴿ألا بعداً لمدين ﴾ لأهل مدين من رحمة الله ﴿ كما بعدت ثمود ﴾ من رحمة الله.

---

(١) أنظر: تفسيره (ق:١١١/أ).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١١١/أ).

قصة موسى عليه السلام

قوله: ﴿ ولقد أرسلنا موسى بئايـٰتنا ﴾ التسع ﴿ وسلطـٰن مبين ﴾ وحجة بينه. ﴿إلىٰ فرعـون وملإيه ﴾ وقومه ﴿ فاتبـعوا أمرَ فـرعون ومآ أمـر فرعونَ برشـيد ﴾ بسـديد ﴿ يقدم ﴾ يتـقدم فـرعون ﴿ قومـه يوم القيـٰمـة فأوردهم ﴾ أي فـيـوردهم ﴿النـار وبئس الـورد المورود ﴾ بئس المدخل والمدخـول، المدخل لـفرعـون وقـومـه، والمدخول فيه النار.

﴿ وأتبعـوا فى هذه﴾ الدنيـا يعني في هذه الدنيـا ﴿ لعنةً ويوم القيـٰمـة ﴾ لعنةً أخرى معناه: ولعنوا في الآخرة كما لعنهم في الدنيا ﴿ بئس الرفـد المرفود ﴾ بئس العون والمعان، فالعون فرعون، والمعان قومه، ويقال: ترادفت عليهم لعنتان ﴿ ذلك ﴾ هذا ﴿ من أنبآء القرىٰ ﴾ من أخبـار أهل القرى ﴿ نقصه عليك ﴾ نقـرأه عليك. فى هذه السورة ، ﴿ منها ﴾ من القرى ﴿ قآئم﴾ عمرانٌ ﴿ وحصيدٌ ﴾ خرابٌ عـــن ابن عبـاس[1]، وقال محمد بن إسحـاق: القائم الذي لم يهلك من القرى، والحصيد الذي قد أهلك منها[2].

قال الله : ﴿ وما ظلمنـٰهم ﴾ بإهلاكهم ﴿ ولـٰكن ظلموا أنفسهم ﴾ بالشرك ﴿فمآ أغنت عنهم ءالهتهم التى يدعون من دون الله ﴾ التي كانوا يعبدونها ﴿ من شئ لما جآء ﴾ حين جاء ﴿ أمر ربك وما زادوهم ﴾ بعبادة غير الله ﴿ غير تتبيبٍ ﴾ غير تخسير ﴿ وكـذلك أخذ ربك ﴾ عذب ربك ﴿ إذآ أخذ القرىٰ ﴾ إذا عذبهـــا

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (١٥/٤٧١) برقم (١٨٥٤٦).

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٥٦/أ).

﴿ وهي ظـالمـةٌ ﴾ وأهلهـا ظالمٌ ﴿ إن أخـذه ﴾ عـذابه ﴿ أليمٌ شـديدٌ ﴾ ﴿ إن في ذلك﴾ الذي ذكـرت لك ﴿ لآية ﴾ لعبرة ﴿ لمن خـاف عـذاب الأخرة ذلك يـومٌ مجموعٌ له الناس ﴾ أي يوم يجمع فـيه الناس ﴿ وذلك يومٌ مشهودٌ ﴾ يشهده أهل السماء والأرض.

﴿ وما نؤخره ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ إلا لأجل معدود ﴾ إلا لوقت معلوم ﴿ يوم يأت ﴾ قرئ بوجهين، بإثبات الياء[1] وتركها[2] ، فمن أثبتهـا فعل الأصل، ومن تركها فعلى الله يوم يأتي، أي يوم القيامة ﴿ لا تكلم ﴾ لا تتكلم فاكتفى بإحدى التائين عن الأخـرى ﴿ نفـس الا بإذنـه ﴾ إلا بأمـر الله ﴿ فمنهم شـقيٌ وسعـيدٌ ﴾ فالناس فـيه قائلان:قـائل يقول: الشقي: من شـقى بكسبه، والسـعيد: من سـعد بكسبـه في الدنيا وهو قول المعتزلة، وقائل يقول: الشقي من شـقي في بطن أمه، والسعيد: من سعد في بطن أمه[3].

﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فـيها زفيرٌ وشهيقٌ ﴾ قال ابن عباس: الزفير، الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف[4].

وقال مقاتل: الزفير أول النهيق والشهيق آخر النهيق[5].

---

(١) أثبت ابن كثير ويعقوب الياء فيه في الوصل والوقف . أنظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٦٤). وأثبتها نافع وأبو عمر والكسائي في الوصل وحذفوها في الوقف، أنظر المصدر السابق.

(٢) وحذفها الباقون في الحالين. المصدر السابق.

(٣) المعنى: يوم القيـامة يوم الجمع، من الناس شقي معـذب في النار، وسعيد مكرم في الجنة، كـما قال تعالى: ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ سورة الشورى آية ٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحة (٥/٢١٤) كتـاب التفسير ، وأخرجه ابن جرير الطبري (١٥/٤٨٠) برقم (١٨٥٦٧).

(٥) أخـرجه ابن جـرير الطبـري (١٥/٤٨٠) برقم (١٨٥٧٠) عن قـتـادة قال: صـوت الكافـر في النار صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق. وفي تفسير مقاتل بن سليمان: الزفير: آخر النهيق، والشهيق: أوله (٢/٢٩٨).

وقال أبو العالية: الزفير: الصوت في الحلق ، والشهيق: الصوت في الصدر[١] ﴿خـٰلدين فيها ﴾ نصبٌ على الحال حيث كان، والخالد الكائن في الأمر على التأبيد ﴿ خـٰلدين فيها ﴾ دائمين فيها، في النار ﴿ ما دامت / السمـٰوٰت والأرض ﴾ فيه قولان: ٢٥٣/ب

أحدهما: قال ابن عباس: هذا عبارةٌ عن التأبيد خرج على عادة العرب، وهم يعبرون بهذا إذا رأوا التأبيد[٢].

وقال الضحاك: أراد به سماوات الجنة وأرضها[٣] ، وكذلك النار ﴿ إلا ما شآء ربك ﴾ إستثناءٌ منقطعٌ معناه : إما ما شاء ربك، وقيل:[٤] سوى ما شاء ربك أن يكونوا في القيامة .

وقال الكلبي[٥] ﴿ إلا ما شآء ربك ﴾ مقدار ما لبثوا في الدنيا، وقيل:[٦] ﴿ إلا ما شآء ربك ﴾ من الزيادة، وزيادة العذاب على أهل النار، وزيادة النعيم على أهل الجنة.

وقيل[٧]: ﴿إلا ما شآء ربك﴾ على معنى كما شاء ربك في الدارين يعني في الجنة والنار، ﴿إن ربك فعالٌ لما يريد﴾ ، ﴿ وأما الذين سعدوا ففى الجنة خـٰلدين ﴾ مقيمين ﴿فيها ما دامت السمـٰوٰتُ والأرضُ إلا ما شآء ربك ﴾ سوى ما شاء ربك أن يكونوا في القيامة كما قلنا في الأول.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (١٥/ ٤٨٠) برقم (١٨٥٦٨).

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٢/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١١٢/أ)، والسمرقندي (٢/ ١٤٣)، والواحدي في الوسيط (٢/ ٥٩١).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١١٢/أ).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١١٢/أ).

(٦) انظر المصدر السابق.

(٧) نظر المصدر السابق.

﴿ عطآءً غير مجذوذ ﴾ غير مقطوع.

قال الجنيد[1]: الشقي من حُرِم الرحمة، والسعيد من[2] رزقها.

وقال إبراهيم الخواص[3]: الشقى من اعتمد تدبيره وقوته إلى نفسه، والسعيد من فوض أمره إلى ربه[4].

وقال شقيق: علامة السعادة خمسة أشياء: أحدها: لين القلب، والثاني: كثرة البكاء، والثالث: الزهد في الدنيا، والرابع: قصر الأمل، والخامس: كثرة الحياء، وعلامة الشقاوة خمسة أشياء: قسوة القلب، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل، وقلة الحياء[5].

﴿ فلا تك ﴾ يا محمد ﴿ فى مرية ﴾ في شك ، وفيها لغتان: مُرية ومِرية ونظيرها في الكلام كِسوةٌ وكُسوة ورِشوةٌ ورُشوةٌ ﴿فلا تك فى مريةٍ﴾ فى شكٍ ﴿مما يعبد هؤلآء ﴾ إنهم ضلالٌ ﴿ ما يعبدون إلا كما يعبد ءابآؤهم ﴾ ﴿من قبل ﴾ هذا ﴿وإنا لموفوهم ﴾ لموفروهم ﴿ نصيبهم ﴾ حظهم من الجزاء ﴿ غير منقوص ﴾ إن خيرا فخيراً وإن شراً فشراً .

قوله ﴿ ولقد ءاتينا موسى الكتـٰب ﴾ أي أعطينا موسى الكتاب التوراة

---

(١) هو أبو القاسم: الجنيد بن محمد أحد رؤس الصوفية توفي سنة (٢٩٧هـ).
أنظر: الرسالة القشيرية (٤٣٠)، طبقات الصوفية (٣٦).

(٢) لم أقف على قوله.

(٣) هو: أبو اسحاق : إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص المتوفي سنة (٢٩١هـ) صوفي من أقران الجنيد والنوري.
أنظر: الرسالة القشيرية (٤١١).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

﴿فاختلف فيه﴾ أي فآمن به قومٌ وكفر به قومٌ ﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك﴾ من تأخير العذاب عنهم إلى وقته ﴿لقضي بينهم﴾ يعني لفرغ من عذابهم ﴿وإنهم﴾ يعني وإن الذين اختلفوا فيه ﴿لفي شكٍ منه﴾ أي من أمر موسى ﴿مريبٌ﴾ موقعٌ في الريب والتهم.

قوله: ﴿وإن كلاً لما ليوفينّهم ربك أعمالهم﴾ أي معناه وإن كلا الفريقين الكافر والمؤمن ليوفرنهم ربك جزاء أعمالهم سواءً خيراً وشرًا وثوابا وعقابا و(ما) صلةٌ، ومعنى أعمالهم جزاء أعمالهم ﴿إنه بما يعملون خبيرٌ﴾ أي عالم، وقوله تعالى ﴿لما﴾ يحتمل أن يكون لام القسم دخلت على ﴿ما﴾ التي للتوكيد ، ويحتمل أن يكون لام الإبتداء دخلت على ﴿لما﴾ بمعنى الذي كقوله تعالى: ﴿وإن منكم لمن ليبطئن ...﴾[1] أي للذي ليبطئن، وكل ها هنا معرفةٌ.

كأنه قال وإن كل المكلفين لنوفينهم ذلك جزاء أعمالهم وفي تشديد ﴿لما﴾ ثلاثة أوجه: الأول: أنها بمعنى لمن فإجتمعت فيه ثلاث ميمات فحذفت واحدة ثم أدغمت الأولى في الثانية ، والثاني: أن ﴿لما﴾ بمعنى إلا معناه / أن كلاً أي وكلهم إلا ليوفينهمّ ومثله ﴿إن كل نفسٍ لما عليها حافظ﴾[2] أي وما كل نفسٍ إلا عليها حافظ، والثالث: أنها مخففةٌ فشددت للتأكيد ، وقرأ الزهري: ﴿لما﴾ بالتنوين يعني شديداً[3]. ٢٥٤/أ

قوله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ قال ابن عباس: ما نزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آيةٌ أشد ولا أشق عليه من هذه الآية[4]. فلذلك قال لأصحابه حين قالوا

(١) سورة النساء آية ٧٢.
(٢) سورة الطارق آية ٤.
(٣) أنظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٦١).
(٤) أخرجه الثعلبي (ق:٥٩/أ،ب)، وذكره ابن حبيب (ق:١١٢/ب).

لقد أسرع الشيب فيك يا رسول الله، فقال شيبتني هود والواقعة وأخواتها[١] قالت عائشة: ﴿فاستقم كمآ أمرت﴾ فاستقم على القرآن كما أمرت[٢]، وقال السدّي: الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته،[٣] وقال مقاتل بن حيان: ﴿فاستقم كمآ أمرت﴾ ، أي لا تشرك بي شيئا، وتوكل علي فيما ينوبك[٤] ، نظيره ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾[٥] الآية ومن معك فيه إضمارٌ ومعناه ﴿فاستقم كمآ أمرت ومن تاب معك﴾ فليستقيموا، وقيل: إضماره واستقم كما أمرت ومن تاب معك فليستقيموا كإستقامتك[٦] ، وقال أبو علي الجوزجاني:[٧] كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركةٌ في طلب الكرامة وربك يطلب منك الإستقامة[٨] ، وقيل: لأبي حفص[٩]: أي العمل أفضل؟ قال الاستقامة لأن النبي ﷺ قال: «إستقيموا ولن تحصوا»[١٠].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي وحسنه من طريق شيبان عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ «قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» أنظر: تحفة الأحوذي (١٨٤/٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٥٥) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك في تفسير سورة هود (٣٤٣/٢).

(٢) أنظر: تفسير الثعلبي (ق:٥٩/ب)، وابن حبيب (ق:١١٣/أ).

(٣) أخرجه الثعلبي (ق:٥٩/ب)، وذكره ابن حبيب (ق:١١٣/أ).

(٤) أخرجه الثعلبي (ق:٥٩/ب)، وذكره ابن حبيب (ق:١١٣/أ).

(٥) سورة الزمر آية ٦٥.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١١٣/أ).

(٧) أبو على، الحسن بن علي الجوزجاني من مشائخ الصوفية. أنظر: طبقات الصوفية (٥٨) ط - الشعب لعام ١٣٨٠هـ.

(٨) أنظر: الرسالة القشيرية (ص:٢٠٦).

(٩) هو: أبو حفص: عمر بن مسلمة الحداد توفي حوالي (٢٦٠هـ) . أنظر: الرسالة القشيرية (ص:٤٠٦).

(١٠) الحديث أخرجه أحمد في المسند عن ثوبان (٢٧٧/٥، ٢٨٢) وقال السيوطي في الجامع الصغير : أخرجه ابن ماجه والحاكم والبيهقي في السنن عن ثوبان، وابن ماجه والطبراني في الكبير عن ابن عمر، والطبراني أيضاً عن سلمة بن الأكوع. أنظر: صحيح الجامع الصغير (٣٢٢/١) رقم (٩٦٣).

قال ابن حبيب: سمعت أبا علي الشبوي[١] يقول: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: روي عنك أنك قلت شيبتنى هود، فقال: نعم، فقلت له: وما الذي شيبك منه قصص الأنبياء وهلاك الأمم، فقال لا، ولكن قوله:﴿ فاستقم كمآ أمرت﴾[٢] ﴿ولا تطغوا﴾ أي ولا تجاوزوا الحد يعني الإستقامة.

وقيل[٣]: ولا تعصوا، وقيل: ولا تغلوا ﴿ إنه بما تعملون بصيرٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .

قوله: ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ﴾ قال ابن عباس: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا[٤] قال ابن كيسان: ولا تسكنوا مع المشركين ﴿فتمسكم النار﴾ فيصيبكم العذاب[٥] ﴿وما لكم من دون الله من أوليآء﴾ من أعوان يمنعكم من عذاب الله ﴿ثم لا تنصرون﴾ تمنعون من عذاب الله .

قوله:﴿ وأقم الصلوٰة طرفى النهار ﴾ اختلفوا في نزولها من وجهين ، قال ابن عباس: نزلت في أبي اليسر عمرو[٦] بن عزيز الأنصاري وقال مقاتل: نزلت في أبي

---

(١) أبو علي محمد بن عمر بن شيويه المروزي الشبوي المتوفي عام ٢٩٥هـ. أنظر: الأنساب للسمعاني (٨/٥٥).

(٢) ذكر ذلك صاحب الرسالة القشيرية (ص:٢٠٦).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري (١٥/٥٠١) برقم (١٨٦٠٦)، وذكره ابن حبيب (ق:١١٣/أ).

(٤) أخرجه الثعلبي (ق:٥٩/ب)، وأنظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٣/أ).

(٥) كذا في الأصل، والصواب أن صحة اسمه : كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو الأنصاري الخزرجي السلمي أبو اليسر، توفي سنة ٥٥هـ. انظر ترجمته في: أسد الغابة (٤/٤٨٤)، والتقريب (٢/١٣٥)، وانظر أسباب النزول للواحدي (٢٦٩).

(٦) أخرج ابن جرير بسنده عن موسى بن طلحة ، عن أبي اليسر بن عمرو الأنصاري وذكر القصة (١٥/٥٢٣) برقم (١٨٦٨٤، ١٨٦٨٥) ولم أجد رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما بهذا اللفظ.

المقبل[1]: وقصتـهما واحدة، وكان رجلا يبيع التمر فأتته امرأة تبـتاع تمراً فراودها عن نفسها ثم ندم، وأتى النبي ﷺ فقـال: يا رسول الله ما تقـول في رجل راود امرأة عن نفسها فلم يبق شيـئا مما يفعل الرجال بالنساء إلا ركبه غير أنه لم يجامـعها. فقال النبي ﷺ إنتظر يأمـرني فيه ربي، فـحضـرته صلاة العصـر، وصلى النبي ﷺ العصر، فلما فرغ أتاه جبريل بهذه الآية فقال النبي ﷺ أين أبو اليسر؟ فقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فقال: أشهدت معنا هذه الصلاة فقال: نعم، قال: فإنها كفارة لماعملت، فقام عمر بن الخطاب وقال يا رسـول الله، أهذا له خاصة أم لنا عامـة؟ فقال: بل لكم عامـة، فذلك قوله ﴿ وأقم الصلوة ﴾ الآية.

واختلفوا في طرفي النهـار، فـقال مـقاتل بن سليـمـان: الطرفان، صـلاة الفجـر والظهر طرف، وصلاة العـصر والمغرب طرف، ﴿ وزلفاً من اليل﴾ صلاة العتمه[2]. قال ابن عـباس ومجاهد: طرفـا النهار، صلاة الفـجر وصلاة المغـرب وزلفا من الليل، صلاة العشاء[3]، وقال قتادة / : طرفي النهار صـلاة الفجر وصلاة العصر،[4] قال سعيد ٢٥٤/ب بن جبيـر: الطرفان هما الغدوة والعـشية،[5] والقـول الأول أصح لأن جمـيع الأقـاويل

---

(١) انظر: تفسير مـقاتل بن سليـمان (٢/٣٠٠). والقصـة صحيحة أخـرجهـا البخاري في صـحيـحه (٥/٢١٤) كتاب التفسيـر ، تفسير سورة هود، ومسلم في صحيحه كتاب التوبة باب قوله تعالى: ﴿ إن الحسنـت يذهبن السيئات﴾ رقم (٢٧٦٣) ص(٢١١٥، ٢١١٦).

(٢) أخرجه الثعلبي (ق:٥٩/ب) عن مقاتل ولم يعينه أي المقاتلين ولعل هذا القول لابن حيان لأن مقاتل بن سليمان، قـال في تفسيره (٢/٣٠٠): [طرفي النهار] يعنى صـلاة الغداة، وصلاة الأولى – يعني الظهر، والعصر ، ثم قال: [وزلفاً من الليل] يعني صلاة المغرب والعشاء.

(٣) أخـرجـه الطبـري (١٥/٥٠٣) برقم (١٨٦١٥) عن ابـن عبـاس رضـي الله عنهـمـا ، وأخـرج عن مجـاهد قوله: [طرفي النهـار] الفجر وصـلاتي العشي يعني الظهـر والعصر. انظر: تـفسيـر الطبري (١٥/٥٠٢) برقم (١٨٦٠٩، ١٨٦١٠، ١٨٦١١).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/٥٠٤) برقم (١٨٦٢٢).

(٥) ذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق:١١٣/أ).

داخل فيه﴿ وزلفا من اليل﴾ قال الأخفش: يعني ساعة، وكل ساعة زلفة[١] ﴿وزلفاً﴾ جمع زلفة وهي القربة وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع ﴿وزلفًا﴾ بضم اللام والزاي[٢]، وقرأ ابن محيض ﴿زلفاً﴾ بضم الزاي وسكون[٣] اللام ﴿ إن الحسنت يذهبن السيئات ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين : الحسنات: الصلوات الخمس[٤] . قال مجاهد: الحسنات : قول العبد: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[٥].

﴿ ذلك ذكرىٰ للذاكرين ﴾ أي ذلك توبة للتائبين، وقيل: ذلك كفارةٌ لذنوب التائبين ﴿ واصبر﴾ يا محمد على ما أمرت وعلى آذاهم ﴿ فإن الله لا يضيع ﴾ لا يبطل ﴿ أجر ﴾ أي ثواب ﴿المحسنين﴾ المؤمنين بالقول والفعل.

قوله: ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقيةٍ ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا﴾ الآية، فيها تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرها لم يكن من القرون الماضية قبلكم من ينهى عن الفساد إلا ذو بقيةٍ من الدين، وهم أتباع الأنبياء وهم قليلٌ ﴿ ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا﴾ واشتغل الذين كفروا ﴿ مآ أترفوا ﴾ ما أنعموا ﴿فيه﴾ من الدنيا ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ مشركين.

قوله: ﴿ وما كان ربك ليهلك القرىٰ بظلم وأهلها مصلحون-الآية ﴾ أي أهل

---

(١) ذكره أبو القاسم بن حبيب (ق:١١٣/أ).
(٢) قراءة عشرية . أنظر: البحر المحيط (٥/٢٧٠)، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٩١).
(٣) أنظر: مختصر في شواذ القرآن لإبن خالوية (٦١).
(٤) أخرجه الطبري عن ابن عباس (١٥/٥١٠) برقم (١٨٦٥٥) ، وعن الحسن برقم (١٨٦٥٤) ، عن الضحاك برقم (١٨٦٥٦).
(٥) أخرجه الطبري (١٥/٥١٤، ٥١٥) برقم (١٨٦٦٧).

القرى قال ابن عباس: مصلحون أعمالهم بالإخلاص[١] ، قال الحسن: وأهلها ذو أصلاح،[٢] وقال أبو العاليه: مصلحون فيما بينهم وبين الله[٣] ، وقيل: مصلحون أي الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وقال أبو سعيد القرشي[٤]: الصلاح: هو الرجوع إلى الله في كل شيء بالإبتهال والتضرع، وسئل ابن حفص[٥] عنه فقال: الإعراض عما لا يعنيه والإقبال على ما يعنيه ، وقال شقيق : الصلاح في ثلاثة أشياء، في أكل الحلال واتباع السنن ومخالفة الهوى[٧].

قوله: ﴿ **ولو شآء ربك لجعل الناس أمةً وحدة**﴾ أي على دين الإسلام ﴿ **ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك** ﴾، قال ابن عباس : الناس فريقان فريق اختلف فلم يرحم وهم اليهود والنصارى وأهل البدعة، وفريق رحم فلم يختلف وهم المؤمنون كقوله: ﴿**فمنهم شقي وسعيد**﴾[٨].

وقال عكرمة : ﴿ **ولا يزالون مختلفين** ﴾ يعني أهل البدع والأهواء ﴿**إلا من رحم ربك**﴾ يعي أهل السنة والجماعة[٩].

قال عطاء بن إبي رباح: ﴿ **ولا يزالون مختلفين** ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿**إلا**

---

(١) ذكر ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٣/ب).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) عبدالرحمن بن إبراهيم بن عمرو بن ميمون القرشي الأموى مولى آل عثمان أبو سعيد لقبه دحيم، ثقة حافظ متقن مات سنة ٢٤٥هـ. أنظر: تهذيب التهذيب (١٣١/٦)، والتقريب (٤٧١/١).

(٥) هو: أبو حفص عمر بن سلمة الحداد الصوفي المتوفي عام (٢٦٠هـ). انظر: الرسالة القشيرية (٤٠٦).

(٧) لم أقف على قوله هذا.

(٨) أخرجه الطبري (٥٣٦/١٥) برقم (١٨٧٢٦).

(٩) أخرج الطبري عن عكرمه عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه (٥٣٣/١٥) برقم (١٨٧١٢).

مـن رحم ربـك﴾ وهم الحنيـفـيـة يعني المسلمين[١] ﴿ولذلك خلقـهـم﴾. وقـيل: وللإختـلاف خلقهم وللرحـمة خلقـهم وإنما قال: ﴿ولذلك﴾ والرحمـة مؤنثـة، قلنا الرحمة مصـدر ومن حق المصادر أن تذكر وتؤنث وقد مضت / هذه المسألة بتـمامها عند قوله: ﴿إن رحمة الله قريبٌ من المحسنين﴾[٢]. ٢٥٥/أ

قوله: ﴿وتمت كلمة ربك﴾ أي وتم قول ربك ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ من كفار الجن وهو جمع الجن ﴿والناس أجمعين﴾ أي وكفار الناس أجمعين ﴿وكلاً﴾ أي وهذه القـصـص ﴿نقص عليك﴾ نقـرأ عليـك نبين لك ﴿من أنبـاء الرسل﴾ من أخبار الأنبياء ﴿مـا نثبت به فؤادك﴾ قـال ابن عبـاس : مـا نشدد به فـؤادك،[٣] قال الضحاك: ما نقوي به فؤداك[٤] ، قال أهل المعاني: مـا نطيب به فؤادك[٥] ﴿وجآءك فى هـذه الحق﴾ قال ابن عباس: في هذه السورة[٦] ، ﴿الحق﴾ الصدق . قال الحسن : في هذه الدنيا[٧] ﴿وموعظةٌ وذكرى للمؤمنين﴾ . ﴿وقل﴾ يا محمد ﴿للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ في منازلكم ﴿إنا عـمـلون وانتظروا﴾ هلاكي ﴿إنا منتظرون﴾ هلاككم.

﴿ولله غيـب السمـوت والأرض﴾ قـال ابن عبـاس: خـزائنهـمـا[٨]، وقـال الضحاك: ما غاب عن العباد[٩].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/٥٣١) برقم (١٨٧٠٠).

(٢) سورة الاعراف آية ٥٦.

(٣) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٤/أ).

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) أخرجه الطبري (١٥/٥٤١) برقم (١٨٧٤٦).

(٧) أخرجه الطبري (١٥/٥٤٣) برقم (١٨٧٦٤).

(٨) ذكر ابن حبيب قول ابن عباس برواية علي بن أبي طلحه عنه (ق:١١٤/أ).

(٩) انظر المصدر السابق.

وقيل: ﴿**ولله غيب السمٰوٰت والأرض**﴾ بنزول العذاب ﴿**وإليه يرجع الأمر**﴾ يصير الأمر ﴿**كله**﴾ أي الكل من الله في الإبتداء وإليه يرجع الكل في الانتهاء ﴿**فاعبده**﴾ فأطعه ﴿**وتوكل عليه**﴾ وثق به ﴿**وما ربك بغٰفل**﴾ بساه ﴿**عما تعملون**﴾ وتقولون.

وقيل: آخر آية في التوراة هذه الآية ﴿**ولله غيب السمٰوٰت والأرض**﴾ الآية.

* * *

سورة يوسف عليه السلام

وهي كلها مكية[1] وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية بلا إختلاف، وهي السورة الثانية والخمسون في النزول، وعدد حروفها سبعة الآف ومائة وستة وسبعون حرفا، وعدد كلماتها الف وتسعمائه وست وسبعون كلمة[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الملك الرحيم الذى يرفعُ الخافض ويخفضُ الرافعُ:

قوله: ﴿آلـر تلك ءايـت الكتب المبين﴾ قال ابن عباس: سألت اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن أثر يعقوب ويوسف، فأنزل الله ﴿آلـر تلك ءايت الكتب المبين﴾[3] أي أنا الله أرى ، وقد تقدم تفسيرها. ﴿تلك ءايـت﴾ أي هذه آيات.

قال ابن عباس: الكتاب المبين لما فيه من الحلالِ والحرامِ[4]. وقال قتادة: لما فيه من

---

(١) قيل: إلا ثلاث آيات من أولها . انظر: البحر المحيط (٢٧٦/٥).
وقيل: إلا أربع أيات منها أنزلت بالمدينة ثلاث من أولها والرابعة ﴿لقد كان فى يوسف﴾ الآية انظر القول الوجيز (٢٠٩).

(٢) وعدد كلماتها الف وسبعمائه وست وسبعون كلمة. انظر القول الوجيز (٢٠٩)، وتفسير الثعلبي (ق:٦١/ب).

(٣) أخرج الطبري (٥٠٢/١٥) برقم (١٨٧٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ قال فنزلت: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ ولم يذكر القائلين لكن السياق يدل على أن الذين سألوا النبي ﷺ من الصحابة وليسوا من اليهود ونقله عنه ابن كثير (٢٩٤/٤).

(٤) ذكر قول ابن عباس ابن حبيب في تفسيره وزاد المسير (١٧٦/٤) (ق:١١٦/أ)، وأخرج ابن جرير مثله عن مجاهد (٥٤٩/١٥) برقم (١٨٧٦٨). قال محمود شاكر: في سنده: الوليد بن سلمه الفلسطيني، كذاب يضع الأحاديث على الثقات، وكذا عبدالوهاب ابن مجاهد ضعفوه.

الهدى والرشد[1]. وقيل: الكتاب المبين، أي أنه من عند الله نَزَلَ، لأنه لا يشبه كلام المخلوقين، لأن كلام الله قديمٌ وكلام غيره محدثٌ.

وقيل: مبينٌ، لما فيه من صحة النبوة، أي لمحمد ﷺ ، وقيل: مبين، فيه قصص الأنبياء، وقيل: مبّنٌ، فيه الحق من الباطل، والباطل من الحق، وقيل: مبّنٌ لما فيه السعادة من الشقاوة والشقاوة من السعادة ﴿**إنآ أنزلنه**﴾ أي أنزلنا على جبريل ﴿ **قرءناً عربياً**﴾ أي بلسان العرب، ولو لم يكن عربياً لما فهمه العرب ﴿ **لعلكم تعقلون** ﴾ أي لكي تعقلوا معاني القرآن، وقيل: معناه لكي [تفهموا فتميزوا][2] بين أمره ونهيه ووعده ووعيده وحلاله وحرامه ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه.

﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ الآية، وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى قول ﴿**الله نّزل أحسن الحديث**﴾[3] الآية، قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله ﴿ **نحن نقص عليك** ﴾ أي: نحن نقرأ عليك يا محمد ﴿**أحسن القصص**﴾[4]، أي أعظم القصص، عن الحسن[5]. وقيل: أعجب القصص لما فيها من العجائب. وقيل: أبين القصص، لأن كل قصة مذكورة في القرآن يتداخل بينهما[6] شيء من غيرها، وهذه القصة مذكورة

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٥٥٠) برقم (١٨٧٦٩، ١٨٧٧٠) قال ابن كثير: ﴿المبين﴾: أي الواضح الجلي الذي يفصح عن الأشياء المبهمه ويفسرها ويبينها (٤/٢٩٤).

(٢) في الأصل: لكي تفهمون فتميزون، وهو خطأ تم تصويبه.

(٣) سورة الزمر آية ٢٣.

(٤) أخرجه الطبري من طريق عون بن عبدالله (٥/٥٥٢) برقم (١٨٧٧٥). وهذا الخبر أخرجه السيوطي في الدر (٤/٣) من طريق عون بن عبدالله عن ابن مسعود قال محمود شاكر: فهو مرسل، وذكره ابن حبيب (ق/١١٤/ب) والواحدي في أسباب النزول (٢٧٤).

(٥) لم أقف عليه عن الحسن، وقال بمثله الثعلبي (ق:٦١/أ).

(٦) كذا في الأصل، والصواب أن يقال: بينها لأنه لا وجه للتثنية.

من أولها إلى آخرها من غير تداخل ولا انقطاع، وقال بعض الحكماء: إنما سمى الله هذه القصة من بين الأقاصيص، أحسن القصص، لأنه ليست قصةٌ من قصص القرآن تتضمن من النكت والفوائد ما تتضمن هذه القصة[1] حتى يجمع فيها ألف نكتةٌ ﴿ **بما أوحينآ إليك** ﴾ بإيحائنا إليك[2] ، ومعنى الإيحاء : إفهام الكلام وإلقاء فهمه وسمعه في قلب من يوحى إليه.

﴿ **وإن كنت من قبله لمن الغـٰفلين** ﴾ أي معناه: وما كنت يا محمد من قبل هذا القرآن إلا من الغافلين ، نظيره في الشعراء ﴿ **وإن نظنك لمن الكـٰذبين** ﴾[3] أي ﴿ **وإن كنت من قبله لمن الغـٰفلين** ﴾ عن الحكم التي آتيناك ودللناك عليها، وقيل: الغافلين عن الإخبار بها قبل نزول القرآن نظيره قوله: ﴿ **ما كنت تدرى ما الكتـٰب ولا الإيمـٰن** ﴾[4] أي الدعوة إلى كتابنا والإيمان به وكذلك قوله: ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم** ﴾[5] الاية. وقوله: ﴿ **الرحمٰن علم القرءان** ﴾[6] ونظيرهذا كثير في القرآن ، قوله: ﴿ **إذ قال يوسف لأبيه يـٰأبت** ﴾ وذلك أن يوسف رأى في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلن من أماكنهن والشمس والقمر نزلا من أماكنهما وسجدوا له سجدة التحية فلما استيقظ يوسف من منامه قال ﴿ **يـٰأبت إنى رأيت أحدعشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى سـٰجدين** ﴾ فعرف يعقوب تعبير الرؤيـة أن الأحد عشر كوكبا إخوته أحد عشر أخاً: روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويستأخر[7]

---

(١) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٤/أ).

(٢) انظر البغوي (٤٠٨/٢).

(٣) الشعراء آية رقم ١٨٦.

(٤) الشورى آية رقم ٥٢.

(٥) النساء آيه رقم ١١٣.

(٦) سورة الرحمـن آيه رقم ١، ٢.

(٧) هكذا في الأصل وفى الكامل في التاريخ (٧٢/١) لشحر وقيل: يشحر بالحاء وقيل بالجيم.

ونفتالي وزيالون ونفتالي[1] وخاذ والسنوقفا وبنيامين، والشمس، أمه راحيل، والقمر، أبوه يعقوب. فخشي يعقوب على يوسف من كيد إخواته، فقال له في السر ﴿ **قال يبنى لا تقصص رءياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا**﴾ فيحتالوا لك حيلة ﴿ **إن الشيطـن للإنسـن عدوٌ مبينٌ**﴾ ظاهر العداوة، واختلفوا في الشمس والقمر فقال ابن عباس: الشمس، أمه، والقمر، أبوه[2]. وقال مقاتل: الشمس أبوه، والقمر أمه[3].

وقال السدّي: الشمس أبوه، والقمر خالته، وذلك أن أمه كانت ماتت وكان اسمها راحيل[4]، وقال ابن عباس: كان بين رؤيا يوسف ومصير أبيه وإخوته أربعون سنة وعليه أكثر المفسرين إلا الحسن فإنه قال بينهما ثمانون سنة[5].

﴿**إذ قال**﴾ معناه: واذكر إذ قال يوسف، فإن قيل لم سمي يوسف يوسفاً؟ قلنا: لأن الأسف الحزن، والأسيف العبد، وقد اجتمع الوجهان فيه، فلذلك سمي يوسف[6]. وفيه قراءتان ضم السين وكسرها[7]، فمن ضم جعله من الأسماء المعجمة فلهذا لا ينصرف، ومن كسر السين جعله عربيا من أسف يأسف إذا حزن أو غضب، كقوله تعالى/ ﴿**فلما ءاسفونا انتقمنا منهم**﴾[8] وجعله من الأسماء المنصرفة، ومن

٢٥٧/أ

---

(١) كـذا في الأصل وهو تكرار – وفي الكامل لابن الأثير: [دان ، وآشر]. بدل [نفتالي الثاني والسنوقفا] (٧٢/١).

(٢) الدر المنثور في التفسير المأثور، وقال أخرجه ابن المنذر (٤٩٩/٤).

(٣) وفي تفسير مقاتل: الشمس أم يوسف، والقمر أبوه (٣١٨/٢) عكس ما ذكر المؤلف ونسبه لمقاتل. واخرج ابن جرير الطبري مثله عن ابن جريج (٥٥٧/١٥) برقم (١٨٧٨٤).

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٦٣/ب)، والبغوي (٤٠٩/٢).

(٥) أخرجه الثعلبي (ق:٦٢/ب)، والبغوي (٤١٠/٢).

(٦) وهكذا في البغوي عن ابي الحسن الأقطع (٤٠٩/٢).

(٧) قراءة الكسر قراءة شاذة انظر مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٦٢). وقراءة الضم هي القراءة السبعية.

(٨) سورة الزخرف آية رقم ٥٥.

ضم السين جعله من الأسماء التي لا تنصرف.

﴿إني رأيت أحد عشر كوكبا﴾ وفي أحد قراءتان فتح الحاء وهي المشهورة، وجزم الحاء وهي شاذة[1] سكن لكثرة الحركات، وقرئ عشر بسكون الشين وفتحها[2]، وهي لغتان، والفتح أشهر وأفصح و ﴿كوكبا﴾ نصب على أن التفسير ﴿رأيتهم لي سجدين﴾ وكان سبيله أن يقول ساجدات ولكن لما وصفهم بفعل ما يعقل وجمعهم بجمع ما يعقل كقوله تعالى: ﴿ يـأيُّها النمل ادخلوا مسكنكم﴾[3] لما أمر بأمر ما يعقل وصف بفعل ما يعقل كذلك هذا .

قوله: ﴿كذلك يجتبيك ربك﴾ هذه الكاف كاف التشبيه والتشبيه أن يشبه إعطاء الرؤيا بإعطاء الإجتباء، ومعناه كما أعطاك [هذا][4] الرؤيا ﴿ كذلك يجتبيك ربك﴾ بالنبوة.

قال مقاتل: هذا من قول يعقوب ليوسف حين قال له ﴿يبني لا تقصص﴾[5] الآية.

وقيل: هذا إبتداء كلام من الله[6] ، قال ابن عباس: يجتبيك يختارك، وقيل:

---

(١) لم أجد من قرأ بهذه القراءة الشاذة.

(٢) قرأ بفتح الشين نافع وشيبة وحفص وأبو جعفر وحسن وطلحة وقرأ الباقون بالسكون انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٢٧٩).

(٣) سورة النمل آية ١٨.

(٤) كذا في الأصل والصواب (هذه).

(٥) تفسير مقاتل (٢/٣١٨) وهو اختيار ابن جرير الطبري (١٥/٥٥٩).

(٦) قال أبو القاسم ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٥/أ): روى عثمان بن عطاء عن أبيه، ولأبي روق عن الضحاك: أن هذا خطاب من الله ليوسف عليه السلام.

يصطفيك[1] ، وقال الحسن: يجتبيك بالنبوة[2] ، وقال مقاتل: يجتبيك ربك حين يجعل رؤياك عيانا، تفسيره قوله: ﴿ وخروا له سجدا﴾[3].

﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ أي من تعبير الرؤيا ﴿ ويتم نعمته عليك﴾ في أن عصمك من ارتكاب ما لا يليق بك، ولا بأبائك، وقيل: ويتم نعمته عليك بأن جعل من عاداك محتاجاً إليك[4]، وقيل: من تمام النعمة على يوسف أنه كريم بن كريم. كما روى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.[5]

وروى أبو هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم قال: أكرمهم عند الله أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فاكرم الناس يوسف نبي الله بن نبى الله بن نبى الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا [نسألك][6] قال: فعن معادن العرب تسألونني قالوا: نعم، قال: فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا[7]. قوله تعالى ﴿وعلى ءال يعقوب﴾ أي وعلى أولاد يعقوب.

﴿كمآ أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحٰق﴾ وإبراهيم وإسحاق تفسير

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١١٥/أ)، وقال السيوطي في الدر، (٤٩٩/٤): أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما (وكذلك يجتبيك ربك) قال يصطفيك، ولم أجده في تفسير ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٢٨/٩).

(٣) قول مقاتل بن سليمان في تفسيره : (يستخلصك ربك بالسجود) (٣١٨/٢).

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره (٨/٣) ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير (١٨١/١).

(٥) صحيح البخاري (٢١٦/٥)، ومسند أحمد (٩٦/٢).

(٦) في الأصل [نسأله] والصواب ما أثبته من نص الحديث.

(٧) صحيح البخاري (٢١٦/٥).

أبويك ﴿إن ربك عليمٌ﴾ أي عالم بأحوال خلقه ﴿حكيم﴾ حيث حكم ليوسف ما وصفنا ، وقيل: ﴿عليم﴾ بمن يصلح للنبوة ﴿حكيم﴾ يحكم من شاء بعلمه[١].

قوله: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ الآية قال ابن عباس: أتى قوم من اليهود إلي رسول الله ﷺ فوافق إتيانهم ذكر رسول الله ﷺ قصة يوسف فتعجبوا منه، وقالوا له: من أين لك هذا يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ علمنيه ربي وعادوا إلى اليهود، فقالوا لهم: إن محمد العربي يذكر قصة يوسف كما أنزلت في التوراة، فأنزل الله ﴿ لقد كان في يوسف وإخوته ءايـٰتٌ للسآئلين﴾[٢] يعني لليهود. وقرئ آيات وآية بالجمع[٣] والوحدان[٤] ، فمن قرأ بالوحدان احتج بقوله ﴿لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألبـٰب﴾[٥] ومن قرأ بالجمع آيات أراد جميع العبر في هذه السورة من أولها إلى آخرها، وقيل: آية، أي عظةٌ وعبرة.

قوله: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه﴾ الآية، وذلك أن إخوة يوسف حملهم الحسد والبغضاء لما سمعوا رؤياه ورأوا حب يعقوب له وإيثارة أياه عليهم حتى ائتمروا بقتله.

فقال بعضهم لبعض: ﴿ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا﴾ والصواب[٦] / أن يقول إذ قالوا يوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا، وإنما جعل هذه اللام من آخر الكلام ٢٥٧/ب

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/١٨٢).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٦/٢٧٦).

(٣) بالجمع قراءة الجمهور . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٦٥).

(٤) قرأ بها ابن كثير. انظر المصدر السابق.

(٥) سورة يوسف آية ١١١.

(٦) قوله: والصواب: «أن يقول إذ قالوا ... الخ» مفهوم ذلك أن تعبير القرآن خطأ، وهذا لا يجوز، إذ القرآن كله في النهاية من البلاغة والفصاحة.

إلى أوله لأن اتصال اللام بالاسم هاهنا أحسن، وقيل: هذه اللام لام القسم[١] ومعناه والله ليوسف وأخوه. ونظيره قوله: ﴿لخلق السموٰت والأرض أكبر من خلق الناس﴾[٢] أي معناه والله لخلق السموات والأرض. ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه﴾ بنيامين، وإنما قالوا وأخوه لأن بنيامين ويوسف من أم واحدةٍ وكان الآخرون من أمهات شتى ﴿ونحن عصبةٌ﴾ ونحن جماعةٌ، وهم أحد عشر والعصبة ما بين العشرة إلى الأربعين ، والنفر ما بين الثلاثة إلى الخمسة، والرهط ما بين الخمسة إلى العشرة، كما قال تعالى ﴿ تسعة رهط﴾[٣] والأمة ما فوق الأربعين إلى المائه[٤]، والمراد بالعصبة ها هنا أحد عشر ﴿إن أبانا لفي ضلٰل مبين﴾، لفي خطأ بيّن من إيثار يوسف وأخيه علينا ، وقيل: إنهم لم يريدوا بهذا الضلال في الدين، وإنما أرادوا أن أباهم في غلطٍ في تدبير أمر الدنيا[٥] ، أي كنا أنفع له من يوسف وأخيه إذ كنا نقوم بأمواله ومواشيه فهما أحب إليه منا.

قوله: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم﴾ واختلفوا في قائله فقال وهب : إنما قاله شمعون[٦] ، وقال كعب: إنما قاله دان[٧]، وقال مقاتل: إنما قاله روبيل

---

(١) انظر: البغوي (٤١١/٢)، والقرطبي (١٣٠/٩).

(٢) سورة غافر آية ٥٧.

(٣) سورة النمل آيه رقم ٤٨. والآية: ﴿وكان في المدينة تسعة رهطٍ يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾.

(٤) هذا التحديد الذي ذكره المؤلف غير مسلم، كما في الحديث: «والثلاثة ركب» أي جماعة، انظر: سنن أبي داود (٣/٨٠، ٨١)، رقم (٢٦٠٧)، والترمذي برقم (١٦٧٤).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٤١١/٢).

(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٥/أ)، وأخرج مثله الطبري عن مجاهد (٥٤٥/١٥) برقم (١٨٨٠٢).

(٧) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٥/أ).

وروبيل كان أكبرهم في السن[1] ﴿أو اطرحوه أرضا﴾ أي في أرض ﴿يخل﴾ يخلص لكم. وقيل: يتفرّغ لكم، ﴿وجه أبيكم وتكونوا من بعده﴾ أي من بعد فقد يوسف وهلاكه قوما بارين[2]. وقيل: من بعد قتله ﴿قوماً صلحين﴾ أي يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم[3]. وقال ابن عباس: صالحين أي تائبين، أي تتوبوا من صنيعكم فيغفر لكم بتوبتكم[4].

نظيره: قوله تعالى: ﴿الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون﴾[5]، أي، ولا يتوبون، ﴿قال قائلٌ منهم﴾ أي يهوذا، وكان أكبرهم في العقل[6]، ﴿لا تقتلوا يوسف﴾ فإن قتله عظيم[7] ﴿وألقوه فى غيبت الجب﴾ أي في قعر البئر، وقيل: في ظلمتها[8]،وقرئ في غيابة وغيابات بالجمع[9] والوحدان[10] والغيابة كلما غيّب عنك أو غيب شخصك من بئر أو حائطٍ أو شجرٍ أو نحوها، وأصلها من الغيبوبة، والجب البئر، وقال الأخفش: الجب: البئر التي لم تطو بالحجارة[11] ﴿يلتقطه﴾ بالتاء[12] والياء

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٥/أ)، وأخرج مثله الطبري عن قتادة وابن اسحاق.

(٢) انظر تفسيره (٥٦٤/١٥) برقم (١٨٧٩٩، ١٨٨٠٠).

(٣) قاله مقاتل بن سليمان. انظر تفسيره (٣٢٠/٢) وتفسير ابن حبيب (ق:١١٥/أ) وكذلك انظر تفسير البغوي (٤١٢/٢).

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٥/أ).

(٥) الشعراء آيه رقم ١٥٢.

(٦) انظر: تفسير البغوي (٤١٢/٢)، والقرطبي (١٣٢/٩) ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل بن سليمان (٣٢٠/٢)، وابن كثير (٣٠٠/٤) ونسبه للسدّي.

(٧) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٥/أ).

(٨) ذكر المعنيين الماوردي في تفسيره (١١/٣) ونسب القول الثاني إلى الكلبي.

(٩) بالجمع قراءة نافع في الموضعين (١٠، ١٥) انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٦٥/٢).

(١٠) بالتوحيد قراءة الجمهور، انظر المصدر السابق.

(١١) ذكر قول الأخفش ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٥/ب) وبمثله قال الزجاج (٩٤/٣).

(١٢) قرأ بها الحسن وهي قراءة شاذة انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٦٢). وبالياء هي القراءة الصحيحة.

ومن قرأ بالياء فلتذكير البعض ومن قرأ بالتاء فعلى أن ﴿**بعض السيارة**﴾ سيارة والإلتقاط تناول الشيء من الطريق.

ومنه سمي اللقيط، والسيارة: جمع المسافرين وإنما سموا بذلك لسيرهم في البلاد ﴿**إن كنتم فـٰعلين**﴾.

قوله: ﴿**قالوا يـٰأبانا مالك لا تأمنا على يوسف**﴾ وذلك أن إخوة يوسف جاءوا إلى أبيهم فقالوا: ﴿ **يـٰأبانا مالك لا تأمنا على يوسف / وإنا له لـنـٰصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب**﴾ يجيئ ويذهب وينشط ﴿**وإنا له لحـٰفظون**﴾ ٢٥٨/أ

﴿**لا تأمنا على يوسف**﴾ قرئ بالوجهين، بإشمام النون الأولى الضم، وغير الإتمام، وكلهم أجمعوا على الإدغام، وإنما أشم النون ضمةً لأن أصله تأمننا بضمة النون فسكنت النون حتى أدغمت وألقيت الضمة ثم أدغمت[1].فأشم الرفع قليلاً، ليدل على الضمة التي ألقيت. ﴿**أرسله معنا غدا نرتع ونلعب**﴾ قرئ بالياء[2] فيهما وبالنون[3] فيهما والأول بالنون والآخر[4] بالياء، فأما الياء فيهما فخبر عن يوسف، والنون فيهما خبرٌ عن يوسف وإخوته والأول بالنون والآخر بالياء فلأن اللعب مضاف إلى يوسف إذ هو أصغرهم سنًا وقرئ نرتع بسكون[5] العين وكسرها[6] فمن سكنها جعلها من رتع يرتع ومن كسرها جعلها افتعالا من الرعي وهو في الأصل

---

(١) قال القاضي: «والوجهان صحيحان مقروء بهما لكل من القراء السبعة وان كان وجه الاشمام أكثر شهرة وعليه جمهور أهل الأداء أهـ.
انظر: الوافي (٢٩٤)، وانظر أيضاً: التذكرة لابن غلبون (٤٦٥/٢).

(٢) قرأ بها كلّ من : عاصم وحمزة والكسائي ونافع ويعقوب . انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٦٦/٢).

(٣) قرأ بالنون الباقون انظر المصدر السابق.

(٤) قرأ بها النخعي. انظر: البحر المحيط (٢٨٥/٥).

(٥) قرأ بها أبو عمرو وابن عامر انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٦٦/٢).

(٦) قرأ بها ابن كثير انظر : التذكرة لابن غلبون (٤٦٦/٢).

يرتعي فلما أسقط الياء منه كسرت العين دلالةً عليه وتصديق من قرأ بالنون فلقوله تعالى ﴿ **إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متعنا فأكله الذئب**﴾ ومعنى نرتع بكسر العين، فهو من الحفظ أي نحفظه ونحارسه، ومن سكن العين فهو من الرتع رتع يرتع رتعاً.

قوله: ﴿**قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب**﴾ الآية قال مقاتل بن سليمان: فيها تقديمٌ وتأخيرٌ، أي ﴿**فقالوا أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحفظون**﴾[٢].

قال ﴿**إني ليحزنني أن تذهبوا به**﴾ أي ذهابكم به ﴿ **وأخاف أن يأكله الذئب**﴾ قال مقاتل: إنما قال يعقوب هذا لأنه رأى في المنام أن ذئبا انتزع يوسف من يده فمن أجل ذلك قال: ﴿ **إني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غفلون**﴾. أي وأنتم في غفلة من حفظه ﴿**قالوا**﴾ يعني إخوة يوسف ﴿**لئن أكله الذئب ونحن عصبةٌ**﴾ أي، جماعةٌ يعني عشرة ﴿**إنا إذاً لخسرون**﴾ لمغبونون[٣]. وقيل: إذاً لعاجزون[٤]، وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: لا تلقنوا الناس فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الإنسان حتى لقنهم أبوهم فقالوا أكله الذئب[٥].

قال أبو علي الجوزجاني: خاف الذئب فسلط عليه، ولو خاف الله لمنع عنه الذئب وكيد الإخوة[٦].

---

(١) لم أجد قول مقاتل المشار إليه في تفسيره.

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٥/أ) وقال الألوسي (١٢/١٩٥): وأنا لم أجد لرواية الرؤيا مطلقاً سنداً يعول عليه، ولا حاجة بنا إلى اختيارها لتكلف الكلام فيها.

(٣) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٥/أ).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٤٧٠).

(٥) انظر: فتح القدير (٣/١١)، وقال السيوطي في الدر المنثور (٤/٥١٠): أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه والسفلي في الطيوريات عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٦) وهذا الكلام لا يصح معناه، لأنه يفهم منه أن يعقوب عليه السلام لم يخف الله، وأن الذئب أكل يوسف وهذا ليس بصحيح.

قوله: ﴿فلما ذهبوا به﴾ الآية، وذلك أن إخوة يوسف ذهبوا بيوسف من عند يعقوب وأرادوا أن يلقوه في غيابة الجب فتعلق يوسف برأس الجب وتعلق قميصه بصخرة فخلعوا قميصه وتركوه عريانا وأوثقوا يده لكيلا يتعلق بشيءٍ ثم القوه فيها فقال يوسف: يا إخوتي ردوا علي قميصي استتر به في الجب، فقال له إخوته: أدع أحد عشر كوكبا والشمس والقمر، حتى يستروك في الجب، وكان الجب الذي ألقي فيه يوسف بالأردن[1] في وادٍ من أوديتها، يقال لها إدناة[2] على رأس ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب[3]، وكان ماؤها غليظا كدراً، فلما ألقي فيها يوسف عذب ماؤها وصفا، ووكل الله ملكا فوقع يوسف على صخرةٍ ناتئةٍ في الجب وجعل يؤنسه، قال وبكى يوسف واشتد بكاؤه وبكى الجب / لبكائه، وبكى كل شيء سمع صوته من شجر أو ٢٥٨/ب مدرٍ أو حجر ثم قال لهم يهوذا: إنطلقوا فألطخوا هذا القميص بدم بعض ذبائحكم،ثم أخبروا أباكم انه قد أكله الذئب، وهذا دمه في قميصه حين إفترسه وأقيم أنا يومي هذا ها هنا فإني أخاف أن يرد الوارد إلى الجب فيستغيث بهم فيرحموه ويخرجوه فيبطل عملنا فأخبروا أباكم إذا هو افتقدني فقولوا، إني ذهبت أطلب الذئب الذي أكله وإني آليت على نفسي أن لا أرجع أبداً حتى أقتله فصدقوه وإنما أراد يهوذا بتخلفه عنهم إذا ولوا عن الجب أن يخرجه عن الجب. ويرده إلى أبيه فلما ولوا عن يهوذا كما أمرهم إلتفت منهم ملتفت فإذا هو بيهوذا يدلي ثوبه إلى يوسف ليلبسه فرجعوا إليه مقبلين فقال لهم يهوذا إني لم أفعل ذلك متعمداً ولكني أدليت رأسي في الجب فأصغيت إليه سمعي لأعلم أحيٌّ هو أم ميتٌ، فوقع عنى ثوبي، ولم أملك ذلك

---

(١) ذكره البغوي ونسبه إلى وهب (٢/٤١٤)، والواحدي في الوسيط (٢/٦٠٢)، والبحر المحيط (٥/٢٨٤).

(٢) قال مقاتل بن سليمان (٢/٣٢٥): والجب بواد في أرض الأردن يسمى أدنان. وقيل: أدمان.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٢/٦٠٢).

فرجعوا إلى أبيهم مجمعين مع يهوذا عند المساء فذلك قوله تعالى: ﴿**فلما ذهبوا به وأجمعوا**﴾ به[١]، وأجمعوا وعزموا ﴿**أن يجعلوه**﴾ أن يطرحوه وإنما سمي العزم إجماعاً لإجتماع الدواعي إليه ﴿**في غيبت الجب وأوحينآ إليه**﴾ أي وأوحينا إليه والواو مقحمة، وهو جواب﴿ **فلما ذهبوا به** ﴾ ﴿**أوحينآ** ﴾كقوله ﴿**وكذا نرى إبراهيم ملكوت السمٰوات والأرض وليكون من المؤمنين**﴾[٢] أي ليكون والواو مقحمة ﴿**وأوحينآ إليه**﴾ إلى يوسف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ولم يكن نبيٌ أوحى الله إليه قبل أربعين سنة إلا يوسف وعيسى.

﴿**لتنبئنهم بأمرهم**﴾ أي أوحينا إليه في الجب ستنجوا، وتخبر إخوتك بما صنعوا، وقال ابن عباس: ﴿**وأوحينآ إليه لتنبئنهم بأمرهم**﴾ لتخبرنهم بصنيعهم ﴿**هـذا**﴾ ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ إنك يوسف في ذلك الوقت[٣]. وقال مجاهد وقتاده: ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ أنا أوحينا إليك في الجب[٤]، وقال الحسن: لا يشعرون بأنا جعلناك نبيا في الجب.[٥]

قوله: ﴿**وجآءو أباهم عشاءً يبكون**﴾ قيل: بعد الظهر[٦]، ﴿**قالوا يـأبانآ إنا ذهبنا نستبق** ﴾ قال مقاتل بن حيان: نشتد أي نعدو[٧] وقيل: نروض أنفسنا بالعدو[٨]،ويقال:﴿**نستبق**﴾ ننتضل أي نرمي السهم[٩]، ﴿**وتركنا يوسف عند متـٰعنا**

---

(١) كذا في الأصل والكلمة لا معنى لها.ولعله تكرار لما قبله من الآية ﴿ **به وأجمعوا**﴾

(٢) سورة الأنعام آية ٧٥.

(٣) أخرجه الطبري (٥٧٦/١٥) برقم (١٨٨٤٠).

(٤) أخرجه الطبري (٥٧٦/١٥) برقم (١٨٨٣٤، ١٨٨٣٥، ١٨٨٣٦، ١٨٨٣٧).

(٥) البحر المحيط (٢٨٧/٥).

(٦) لم أقف على من قال به، وظاهر الآية أنهم جاءوا ليلاً، وهو الراجح.

(٧) انظر: تفسير ابن حبيب(ق:١١٦/أ)، والبغوي (٤١٤/٢) ونسبه إلى السدّي.

(٨) انظر: تفسير القرطبي (١٤٥/٩).

(٩) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٦/أ) ، والبغوي (٤١٤/٢).

فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ﴾ بمصدق لنا ﴿ **ولو كنا صـٰدقين** ﴾ والذى دل يعقوب أنه لم يأكله الذئب أنه علم أن الله حرم لحوم الأنبياء على الأرض وأهلها .

وقيل: رأى يعقوب ذات يوم ذئباً فقال: هل أكلت ابني يوسف؟ قال : لا، إن لحوم الأنبياء علينا حرام.[1]

قوله : ﴿ **وجآءوا على قميصه بدمٍ كذبٍ** ﴾ أي بدم مكذوب عليه وهو دم جَدْيَ، وقال ابن عباس : بدم سخلة[2]، وهما واحد، وقرأ ابن مسعود وعائشة والحسن : بدم كدب بالدال غير المعجمة[3]، أي وطري، وقيل : بدم ذي كذب[4]، وقيل : جعل الكذب نعتا للدم، وهو مصدر بمعنى المكذوب[5].

﴿ **وجآءوا على قميصه بدم كذب** ﴾ قالوا: يا أبانا هذا قميصه عليه الدم فانظر إليه فأخذ القميص وألقاه على وجهه فشمه فقال / ما هذا بريح دم ابني فانظروا ما صنعتم به، قالوا : أكله الذئب، قال : وكيف أكله ولم يخرق قميصه حتى تناول عنقه بمنكبيه وصدره، وكيف وصل الذئب إلى ذلك منه، ما أرى الذئب إلا أبرَّ بأخيكم وأحسن إبقاءً عليه منكم، فهذا ذئب يخبر أن يعقوب مكذوب، وأن ابنه مظلوم، قالوا : قتله اللصوص، قال ما أصدقكم. ٢٥٧/أ

لو أن اللصوص قتلوه ما تركوا قميصه، وهل يريدون منه إلا ثيابه، فإتهمهم

---

(١) لم أقف على هذا القول.

(٢) أخرجه الطبري (١٥/٥٨٠) برقم (١٨٨٤٩).

(٣) انظر: البحر المحيط (٥/٢٨٩) وكذلك انظر: الكشاف (٢/٢٤٦)، واتحاف فضلاء البشر (٢٦٣).

(٤) البحر المحيط (٥/٢٨٩).

(٥) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٦/أ).

عليه، فعندها ﴿قال﴾ يعقوب : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم ﴾ بمعنى: زينت لكم أنفسكم ﴿أمراً ﴾ في هلاك يوسف، فبقي بغير حيلة، ففزع إلى الصبر والاستعانة بالله تعالى من الله.

قال ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ قريء فصبر جميل بالوجهين بالرفع[1] والنصب[2]، فمن رفع فمعناه ، فصبري صبرٌ جميل، أو فمني الصبرُ الجميلُ وعليّ صبرٌ جميلٌ، أي: فصبرٌ جمليٌّ أولى من الجزع ، ومن نصب فمعناه، فلأصبرنّ صبراً جميلاً، وقال النبي ﷺ في تفسير قوله ﴿ فصبرٌ جميلٌ ﴾ قال صبر في غير شكوى.[3]

وروي أنه سئل رسول الله ﷺ ﴿ بل سولت لكم ﴾ الآية ، قال : صبر لا شكوى فيه، ومن بث لم يصبر[4] ، قال سعيد بن جبير: الصبر الجميل الذي لا جزع فيه[5] ، ومعنى الصبر: هو حبس النفس على الموعود لمجيء المضمون .

﴿ والله المستعان على ما تصفون ﴾ من الكذب .

قوله: ﴿ وجآءت سيارة ﴾ الآية ، وذلك للسفر، أي جاءت قافلة من قبل مدين شعيب، وهو قريب من بيت المقدس يريدون مصر بعد ثلاثة أيام فتحيروا في الطريق وأخطأوه فجعلوا يتيهون ويدورون حتى وقعوا في الأرض التي فيها الجب فنزلوا عليه

---

(١) بالرفع القراءة الصحيحة الموافقة لرسم المصحف.
(٢) قراءة شاذة انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٦٣).
(٣) أخرجه الطبري (١٥/٥٨٥) برقم (١٨٨٧٣) عن حبان بن أبي جبلة.
(٤) أخرجه الطبري (١٥/٥٨٤ – ٥٨٥) برقم (١٨٨٧٢) عن حبان أيضاً.
(٥) أخرج الطبري مثله عن مجاهد من طرق متعددة (١٥/٥٨٤) برقم (١٨٨٦٧، ١٨٨٦٨) وغيرها.

﴿فأرسلوا واردهم﴾ فأرسل كل قوم طالب الماء فوافق جب يوسف مالك بن الذعر بن نويب بن عفان بن مدين بن إبراهيم من أهل مدين بن أخي شعيب ﴿فأدلى دلوه﴾ في جب يوسف، فتعلق به يوسف، فلم يقدر على نزعه من البئر، فنظر فيه فرأى غلاماً قد تعلّق بالدلو لم ير مثله حُسنا وجمالاً، فنادى أصحابه، و﴿قال يبشرى﴾ أي قالوا وما البشرى وما ذاك يا مالك، قال: ﴿هذا غلم﴾ أحسن ما يكون من الغلمان فاجتمعوا عليه وأخرجوه من الجب، ﴿وأسروه بضعة﴾، وكتموه من القوم، وقالوا لأهل القافلة هذه بضاعة استبضعنا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر، وقال وهب بن منبه : لما ألقوه في الجب، عرّوه من الثياب، وكان في عنقه تعويذ فيه حُلَّة وجهها الله إلى إبراهيم جده حين رموه في النار فدفعها إبراهيم إلى اسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعلها يعقوب في تعويذ ليوسف، فأتاه جبريل في البئر وألبسها إياه[1] فلما أخرجوه من الجب علم بذلك إخوته فعرضوا للقافلة وقالوا هذا مملوك لأبينا فهل لكم أن تشتروه منا ، قالوا : نعم، فباعوه منهم وإشتراه مالك بن ذعر وجاءوا به إلى مصر، فذلك قوله : ﴿ وجآءت سيارة ﴾ أي: جاءت قافلة من قبل مدين يريدون مصر. ﴿فأرسلوا واردهم﴾ فأرسل كل قوم طالب الماء.

﴿ فأدلى دلوه ﴾ فأرخى دلوه في بئر يوسف ﴿ قال يبشرى هذا غلم وأسروه بضاعة. والله عليم بما يعملون ﴾ يعني إخوة يوسف بيوسف، وقيل : أهل القافلة ﴿ وشروه ﴾ يعني باعوا يوسف من مالك بن ذعر وهو الأعم في اللغة

(١) انظر: تفسير ابن حبيب: (ق:١١٦/أ) وهذه من الإسرائيليات الباطله لمخالفتها لشرع الله، فيجب أن ينزه كلام الله تعالى عنها، ويصان مقام الأنبياء عليهم السلام عن مثل هذه الأقاصيص والأخبار الشنيعة.

﴿بثمن﴾، قال وهب: بعشرين درهماً[1]، وقال مجاهد: باثنين وعشرين درهماً[2]، وقيل : باثنين وثلاثين درهما ﴿بخس﴾ ناقص، وقال ابن عباس: قليل[3]، وقال مقاتل بن حيان : زيف ردي[4]، وقال السدّي ومجاهد: حرام[5] لأنه، ثمن حُرّ وثمن الحرّ حرام.

﴿ دراهم معدودة ﴾ أي قليلة، وإنما قال معدودة، لأنها قليلة لأن الكثير قد يمتنع من العدد لكثرته، وقيل: عدوها ولم يزنوها. لأنهم كانوا لا يزنون الدراهم حتى يبلغ أربعين درهما، وكان ثمنه دون الأربعين.

﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ إن جعلت الفعل لإخوة يوسف، كان ،معناه: وكانوا مبغضيه وكارهيه غير محبيه، ولم يذكر الله الزهادة في جميع القرآن إلا ها هنا، وإن جعلت الفعل لمالك بن ذُعر كان معناه ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ أي: لم ينظروا إليه بعين الشهوة مع حسنه وجماله وهما اللذان يضرب بهما المثل إلى يوم القيامة، وقال النبي ﷺ : أعطي يوسف شطر الحسن، يعني نصف الحسن، والنصف الآخر لسائر الناس[6]، وروى

---

(١) أخرج الطبري (١٣/١٦، ١٤) مثله عن ابن عباس وابن مسعود، والسدّي، ونوف البكالي، وقتادة، وانظر: تفسير ابن كثير (٣٠٥/٤).
(٢) أخرجه الطبري (١٤/١٦) برقم (١٨٩٣٠، ١٨٩٣١)، وذكره ابن كثير (٣٠٥/٤).
(٣) أخرج الطبري مثله عن عكرمة (١٢/١٦) برقم (١٨٩١٨، ١٨٩١٩).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١١٦/ب).
(٥) وأخرج الطبري مثله عن الضحاك (١١/١٦) برقم (١٨٩١٠، ١٨٩١١).
وقد رجح ابن جرير الطبري أن البخس بمعنى النقص فقال: وإنما أريد: بثمن مبخوس منقوص (١١/١٦).
وقال ابن كثير (٣٠٥/٤): وقيل: المراد بقوله (بخس) الحرام، وقيل: الظلم. وهذا وإن كان كذلك، لكن ليس هو المراد هنا لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد أن ثمنه حرام على كل حال وعلى كل أحد، لأنه نبي ابن نبي ....».
(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٦/أ) وأخرج الطبري (٨٠/١٦) برقم (١٩٢٢٨) عن انس عن النبي ﷺ . قال: أعطي يوسف وأمه شطر الحسن، ورواه أحمد في مسنده (٢٨٦/٣). قال محمود شاكر : وهذا خبر صحيح الإسناد.

جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ قال : هبط عليّ جبريل فقال يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك حبيبي إني كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت حسن وجهك من نور عرشي ما خلقت خلقا أحسن منك يا محمد[1]، وقال جعفر الصادق: إنك تتعجب من بيع إخوة يوسف بالبخس من الثمن، وما تفعله أعجب لأنك تبيع حظك من الآخرة بشهوة نظرة أو حظ من الدنيا وربما باع الرجل معرفته بأخس ثمن وربما فاته حظه من ربه بأقل القليل[2].

قوله : ﴿ وقال الذى اشتريه من مصر لامرأته أكرمى مثويه ﴾ وذلك أنه لما انطلقت السيارة حتى وردوا به مصر فوقفوه في سوقها للبيع. قال ابن عباس : باعه مالك بن ذعر بعشرين درهما ونعلين وحُلة وهما ثوبان أبيضان[3]، وقال وهب : فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا[4] وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة فاشتراه بذلك الثمن رجل من القبط قوم فرعون يقال له قطفير، وهو العزيز، وكان أمين مصر وأمين الملك والملك يومئذ الريّان بن الوليد رجل من العماليق فذلك قوله ﴿ وقال الذى اشتريه من مصر ﴾ في مصر ﴿ لامرأته ﴾ فقال لامرأته زليخا ﴿ أكرمى مثويه ﴾ يعني قدره ومنزلته.

قال الله : ﴿ عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ﴾ في أرض مصر أربعين فرسخا في أربعين فرسخاً ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ﴾ وإنما قال ذلك لأنه لم يكن

---

(١) حديث موضوع ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص:٣٢٣)، واللآلئ المصنوعة (٢٧٣/١)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٩١/١).

(٢) لم أقف على قول جعفر الصادق.

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٦/أ)، وانظر: الوسيط للواحدي (٦٠٤/٢)، والبغوي (٤١٦/٢)، والطبري (١٤/١٦) برقم (١٨٩٢٥). ولم يذكر النعلين والحلة.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١١٦/أ)، وانظر: بحر العلوم (١٥٥/٢).

لهما ولد ﴿ ولنعلمه ﴾ ولكي نلهمه ﴿ من تأويل الأحاديث ﴾ من تعبير الرؤيا والعلم والفقه ﴿ والله غالب علىٰ أمره ﴾ في هذه الكناية قولان : قيل: راجع إلى يوسف، وقيل: إلى الله فمن قال راجع إلي يوسف، أي ومعناه.

والله غالب على أمر يوسف، أي لم يمكن أحداً من خلقه بل تولى هو بنفسه تربية يوسف وتبليغه إلى ما بلغ من الملك والرتبة والمنزلة.[١]

ومن قال: راجع إلى الله أي معناه لا يغلب/ الله شيء بل هو الغالب على أمره[٢]. ٢٦٠/أ

وقيل : ﴿ والله غالب علىٰ أمره ﴾ أي على مقدوره أي لا يرد مقدوره.[٣]

﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ أي أكثر أهل مصر وإخوته ﴿ لا يعلمون ﴾ قضاءه وقدره.

قوله : ﴿ ولماّ بلغ أشده ﴾ أي يوسف، أي: ولما بلغ مبلغ الرجال والأشدّ استواء الشباب والقوة وهو ثمان عشرة سنة ﴿ ءاتينه حكمًا وعلماً ﴾ أي أعطيناه إصابة في القول وعلماً بتأويل الرؤيا ومصادر الأمور ومواردها.

﴿ وكذلك نجزى المحسنين ﴾ قال ابن عباس : المؤمنين[٤]، وقال أبو روق عن الضحاك: أي الصابرين على النوائب كما صبر يوسف.[٥]

قوله : ﴿ ورٰودته ﴾ أي ودعته وطلبته امرأة العزيز ﴿التى هو فى بيتها عن

(١) ذكره أبو القاسم ابن حبيب (ق:١١٨/ب).

(٢) هذا هو القول الراجح. انظر: تفسير ابن كثير (٣٠٦/٤).

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٥٦/٢).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤١٧/٢) وذكره أيضاً: ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٧/أ).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٤١٧/٢)، وأيضاً انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٧/أ).

نفسه﴾ أن تستمكن من نفسه **﴿وغلقت الأبواب﴾** عليها وعلى يوسف ، وقيل كان لها سبعة بيوت بعضها في بعض فأراد بقوله: **﴿ وغلقت الأبواب ﴾** يريد أبواب سبع بيوت **﴿وقالت هيت لك ﴾** هلم أنا لك[١]، وقيل أقبل إليّ فأنا لك[٢]، وقال السدّي: هلم لك تقول تعالى، قال إبن حبيب: رأيت في بعض التفاسير **﴿هيت لك﴾** أي هل لك رغبة في حسني وجمالي.[٣]

﴿ قال﴾ يوسف **﴿معاذ الله﴾** أعوذ بالله من هذا الأمر، وقيل **﴿ معاذ الله ﴾** أي أعوذ عياذاً بالله إن أجبت إلى هذا، وقيل: أعتصم بالله من هذا **﴿ إنه ربى أحسن مثواى ﴾** وفيه قولان:

أحدهما : أن سيدي العزيز أحسن قدري ومنزلتي لا أخونه في أهله، وقيل هذه الهاء راجعة إلى الله أي إن الله ربي أحسن مثواي وعافاني من بلاء الجب[٤] **﴿ إنه لا يفلح ﴾** لا يأمن **﴿الظـلمون﴾** الخائنون أي الزناة من عذاب الله.

﴿قالت هيت لك ﴾ فيه أربع لغات[٥] : بفتح الهاء والتاء وبفتح الهاء وضم التاء وبكسر الهاء وفتح التاء وبكسر الهاء وضم التاء، فأما الأولى فمشبهة باين وكيف.

وأما الأخرى فمأخوذ من هيأت فحذفت الهمزة وخففت الياء كما خففت من الميت والهين واللين والضيف.

---

(١) اخرجه الطبري عن ابن عباس من عدة طرق (١٦/٢٥، ٢٦) برقم (١٨٩٦٧، ١٨٩٦٨، ١٨٩٦٩).

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره عن مقاتل (ق:١١٧/أ).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٧/أ).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٢/٤١٨).

(٥) ذكر ابن جرير الطبري هذه اللغات الأربع وشرحها أنظر: تفسيره (١٦/٢٨ وما بعدها).

وأما الثالثة أرادوا أن يفرقوا بين الأداة العاملة وبين الأداة غير العاملة فخولف بين بنائهما.

فقال : أين وهيت بفتح أين وكسر هيت، فرقا بينهما ، وأما الآخرة فمأخوذ من هاء يهيء هيأ على وزن جاء يجيء جيأ، ثم قال: هيت على وزن جيت لك وفيه لغات أكثر مما ذكرنا، ولكن اقتصرنا على المشهور منه.

قوله: ﴿ **ولقد همت به** ﴾ أي المرأة يعني زليخا ﴿ **به** ﴾ بيوسف ، ﴿ **وهم بها**﴾ يوسف، وأراد أن يدخل معها في فراشها ﴿ **لولا أن رءا برهـٰن ربه** ﴾ ناداه مناد من السماء ثلاث مرات مهلاً يا يوسف إن واقعت الخطيئة مُحيى اسمك من ديوان النبوة فغلبت شهوته فمثل الله له أباه يعقوب في الصورة التي عهده فيها غضباناً عاضاً على أنملته التي تُدعى بالمسبحة يوعده ليقتله، فلما رأى ذلك يوسف ولى هارباً فذلك قوله ﴿ **لولا أن رءا برهـٰن ربه**﴾ لوقع في الزنا.[1]

قال الحسين بن الفضل : فيها تقديم وتأخير أي ولقد همت به لولا أن رأى برهان ربه لهم بها[2]، وقيل: ولقد همت به وهم بها بالفرار منها[3]، وقيل:

---

(١) قال ابن جرير الطبري (٤٩/١٦): بعد أن ذكر الروايات المأثورة في هذا الباب، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا، ولا حجة للعذر قاطعة.

ثم قال: والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١١٧/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١١٧/ب).

﴿**وهم بهـا**﴾ أي بضربها[1]، وقيل: بمرافعتها[2] إلى زوجها[3].

قال الله تـعالى : ﴿**كذلك لنصـرف عنه السوء والفحشآء**﴾ الزنـا ﴿**إنه من عبادنا المخلصين**﴾ المعصومين من الزنا.[4]

/ قوله : ﴿**واستبقا الباب**﴾ وتبادر إلى الباب، أراد يوسف أن يخرج، وأرادت زليخا أن لا تأخذه، فسبقها يوسف، وتبعته زليخا ﴿**وقدت قميصه**﴾ وشقت قميصه أي قميص يوسف بنصفين ﴿**من دبر**﴾ من الخلف، من وسطه إلى قدميه، وأخذت تجره من خلفه ليرجع وجعلا يتنازعان ﴿**وألفيا سيدها**﴾ زوج المرأة ﴿**لدا الباب**﴾ عند الباب، قال ما شأنكما وفيم تتنازعان، قالت : أدخلت بيتك لِصاً وأمنته على أهلك، فأغلق الباب وأنا نائمة فلم أشعر، إلا وهو أراد أن يدخل معي في فراشي فوثبت إليه من نومي لآخذه، فبدرني إلى الباب وأراد أن يابق منك، من أجل ما فعل ثم : ﴿**قالت: ما جزآء من أراد بأهلك سُوءاً**﴾ أي زنا ﴿**إلا أن يُسجن أو عذابٌ أليم**﴾ أو يضرب ضرباً وجيعاً. قال العزيز : يا يوسف خنتني في أهلي وغدرت مع ما كنت أرى من صلاحك وما كنت تظهر لي من أمانتك وعفافك . ٢٦٠/ب

﴿ قال ﴾ يوسف ﴿**هى راودتنى عن نفسى**﴾ أي هي طلبتني ودعتني أن تستمكن من نفسي وغلبتني وهذا قميصي مشقوقاً من دبري إذ وليت منها هارباً ﴿**وشهد شاهد من أهلهآ**﴾، أي: أخوها وكان رجلاً حكيماً، أي استشهدوا من

(١) ذكره الماوردي في تفسيره (٣/٢٤).

(٢) في الأصل بمواقعتها ، والصواب ما أثبته.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١١٧/ب).

(٤) قال ابن كثير (٤/٣٠٩): أي المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار. صلوات الله وسلامه عليه.

أخيها فقال الرجل: قد سمعت الصياح والجبلة[1] من وراء الباب، وشق القميص، ولا ندري أيكما قدام صاحبه ﴿ **إن كان قميصه** ﴾ أي قميص يوسف ﴿ **قُد من قُبُلٍ** ﴾ أي شق من قدام ﴿ **فصدقت** ﴾ المرأة ﴿ **وهو من الكـٰذبين وإن كان قميصه قد من دُبر** ﴾ أي شق من الخلف ﴿ **فكذبت** ﴾ المرأة ﴿ **وهو من الصـٰدقين** ﴾. فنظروا إلى قميصه فإذا هو مشقوق من خلفه.

﴿ **فلما رءا قميصه قُد من دبر قال** ﴾ لها أخوها ﴿ **إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم** ﴾ أي مكرهن عظيم.

ثم اختلفوا في الشاهد من هو؟ فقال مقاتل والضحاك: كان ابن عم المرأة وهو رجل ذو لحية[2]، وقال مجاهد: كان صبيا في المهد ، وكان ابن خال المرأة، ويدل على هذا قول النبي ﷺ: «خمسة تكلموا قبل أوان الكلام» ثم ذكر هذا في جملتهم[3]، وروي عن بعض العلماء أنه قال أفرس الناس ثلاثة : أحدهم : شاهد يوسف، والثاني: ابنة شعيب، حين قالت لأبيها يا أبت استأجره، والثالث : أبو بكر حين ولى عمر بن الخطاب.[4]

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب : (والجلبة) أي الصوت.

(٢) أخرجه عبدالرزاق بن همام في تفسيره (٢/٣٢٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ذكره ابن حبيب (ق:١١٨/أ)، وأخرج الطبري (١٦/٥٤، ٥٦) برقم (١٩٠٩٩ إلى ١٩١١٠) مثله عن كل من ابن عباس رضي الله عنهما، والضحاك، وسعيد بن جبير وغيرهم.

(٣) ذكره ابن حبيب بهذا اللفظ (ق:١١٨/أ) ورواه أحمد في مسنده من طريق ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً (١/٣١٠) بلفظ: تكلم أربعة صغار ... الحديث، رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٩٦)، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

قلت: وهذا معارض بما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ... الحديث» ولم يذكر شاهد يوسف منهم . وانظر: صحيح البخاري (٤/١٤٠) كتاب الأنبياء، وصحيح مسلم (٤/١٩٧٦) برقم (٢٥٥٠).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١١٨/أ).

وقيل : الشاهد أخوها[١]، قال الفراء : ﴿ **إن كان قميصه قُد من قبل** ﴾ فصدقت ﴿ **وإن كان قميصه قُد من دبر** ﴾ فيه إضمار وهو، قد، معناه، إن كان قميصه قد قدّ من قبل فصدقت، وإن كان قميصه قد قد من دبر فكذبت[٢]، والفرق بين القطع والقدّ أن القد شق من طول والقطع شق من عرض.[٣]

قوله : ﴿ **يوسف أعرض عن هذا** ﴾ ثم أقبل الشاهد على يوسف وقال: يا يوسف أعرض عن هذا الحديث أي لا تخبر به أحد ثم قال للمرأة ﴿ **واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين** ﴾ ففشا أمرهما بعد ذلك في مصر وارتفع الصوت عليهما وقُبحت المقالةُ فيهما وعيَّرتها نساءُ الملوك قال الله ﴿ **وقال نسوة في المدينة** ﴾ في مصر ﴿ **امرأت العزيز** ﴾ زليخا ﴿ **تراود فتىها عن نفسه** ﴾ تدعو غلامها إلى نفسها قال ابن عباس : وهن أربع نسوة.

امرأة ساقي الملك وامرأة صاحب سجنه وامرأة صاحب مطبخه وامرأة صاحب دوابه[٤]، فإن قيل: هلا قال وقالت نسوة، قيل: تأنيث الجمع قدّم عليه الفعل وتأنيث الجمع إذا اجتمع مع تأنيث الفعل بطل تأنيث الفعل لأن العرب لا تجمع بين العلامتين على شيء واحد.

﴿ **قد شغفها حبا** ﴾ أي دخل حبه شغاف قلبها، وقيل : قد شق شغاف

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أجد هذا القول المنسوب إلى الفراء في كتابه معاني القرآن.

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٨/أ).

(٤) انظر: تنوير المقباس للفيروز آبادي (١٤٨) وذكره الماوردي (٣/٣٠) ونسبه إلى جويبر، وذكره ابن حبيب (ق:١١٨/أ)، ونسبه إلى وهب، وذكره السمرقندي (٢/١٥٩) دون عزو. ونقل مثله مقاتل بن سليمان (٢/٣٣١)، إلا أنه قال: خمس نسوة بدل أربع.

قلبهـــا[١] بحب يوسف، ويقـال بطنها[٢]، وقال ابن عباس :حجب حبه قلبـها حتى لا تعقل سواه[٣]، وقال الضحاك: شغفها أي فتنها[٤]، وقال الكلبي: قـد شغفهـا حُبا، أي قلبهـا حُبه ، وقال أبو رجـاء: صدقها حـبا ﴿قد شغفها﴾ من الشغـاف، والشغاف، جُليدةٌ رقيقةٌ فيهـا القلبُ، وهي غلافُ القلب، وقيل: شغاف القلب، وسطه، وقريء قد شعـفها حبـا بالعين غير المعجمة[٥]، وقال الأخـفش: شغفـها برّح[٦] بهـا وقـال أبو عبيده: شغفها أي أحبها[٧] والشعف بالعين أشد من الشغف.

﴿ إنا لنرىٰها فـي ضلـٰل مـبين ﴾، في خطأ بّين بإيثـار عبـدها على جمـيع الناس وشغل قلبـها به، ﴿ إنك كنت من الخـاطئين ﴾، فإن قـيل: لم قال من الخـاطئين، ولـم يقل من الخاطئات؟ قيل: لتغليب المذكـر على المؤنث، والمذكر والمؤنث إذا إجتمعا في موضع فـالغلبة للـمذكـر دون المؤنث، وقـيل لنظم رؤوس الآيات، ولموافـقة رأس الآية لأن رؤوس الآيات قبلها وبعدها بالياء والنون أو بالياء والميم.

قـوله : ﴿ فلما سـمعت بمكرهن ﴾، قـال وهب: ذلك أن زليخـا إتخذت مـأدبةً ودعت أربعين امرأة[٨] منهن هؤلاء النساء اللاتي ذكرنا، وهن المعيّرات، اللائمات لها، اللائي قلن ﴿قد

(١) ذكره السمرقندي في تفسيره عن الحسن (٢/١٥٩).

(٢) ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره عن الحسن برقم (١٩١٤٧)، انظر: الطبري (١٦/٦٤).

(٣) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٨/أ)، وكذلك انظر: تفسير البغوي (٢/٤٢٢).

(٤) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٨/أ).

(٥) قرأ بها الحسن وابن محيصن . انظر: اتحاف فضلاء البشر (ص:٢٦٤).

(٦) ذكره أبو القاسم بن حبيب (ق:١١٨/ب).

(٧) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٣٠٨).

(٨) انظر: تفسير الثعلبي (ق:٧٨/ب)، وابن حبيب (ق:١١٨/ب)، والبغوي (٢/٤٢٣).

شغفها حبًا إنا لنرلها فى ضلٰل مبين﴾، **﴿فلما سمعت﴾** زليخا **﴿بمكرهن﴾** بقولهن ولائمتهن وإنما قال: بمكرهن لأنهن يخفين هذه اللائمة ، وهذه المقالة كالمكر الخفي **﴿أرسلت إليهن﴾** دعتهن إلى الضيافة وهن أربعون امرأة، لم يكن في مصر، أعظم منهن لِتُعْذَرَ فيما صنعت **﴿وأعتدت لهن متكئاً﴾** وهيأت لهن متكئاً، وسائد يتكئين عليها قال ابن عباس: أي طعاماً[١] وهذا على الاستعارة، لأنه يسمى الطعام متكئاً. وقال الضحاك: وأعتدت لهن متكئا وهو الزُّماور[٢] ، وهذه على قراءة من قرأ بالتشديد، وقرأ مجاهد: متكاً بجزم التاء وتنوين الكاف[٣].

قال وهب: معناه أعتدت لهن أترجاً وبطيخا وموزاً[٤] والمتك بجزم التاء لا يكون إلا الاترج، وقال القتيبي: كل ماحُزَّ بالسكين فهو عند العرب متك[٥] ، وقرأ الحسن البصري: متكاء بالتشديد والمد[٦].

﴿وأعتدت﴾ هيأت يقال أعتدت، وأعتدت وهيأت كلها بمعنى واحد **﴿وءاتت﴾** وأعطت **﴿كل واحدةٍ منهن﴾** من هؤلاء النساء **﴿سكينًا﴾** لأنهن كن لا يأكلن من اللحم إلا ما يقطعن بسكاكينهن، فلما أنشأن في قطع ذلك قالت لهن: ألا أريكن عبدي الذي عُذبت في حبه، قلن بلى إن كان فيه عذر عذرناك وإن كان قَصُرَ رأيك وعظناك **﴿ وقالت﴾** يا يوسف **﴿أخرج عليهن﴾** فيه إضمارٌ ، فخرج، **﴿فلما رأينه أكبرنه﴾** أعظمنه وأجللنه فدهشن

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٧٨/ب)، والبغوي (٢/٤٢٣)، وذكره أبو القاسم بن حبيب في تفسيره (ق:١١٨/ب).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/٧٠) برقم (١٩١٧٢)، والثعلبي (ق:٧٨/ب)، والبغوي (٢/٤٢٣).

(٣) قراءة شاذة انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٦٣).

(٤) ذكره أبو القاسم ابن حبيب (ق:١١٨/ب).

(٥) ذكره أبو القاسم ابن حبيب (ق:١١٨/ب).

(٦) قراءة شاذة انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ق:٦٣).

﴿وقطعن أيديَهُنّ﴾ روي عن عبد الوهاب [ابن][1] مجاهد عن أبيه أن معنى / قوله ﴿أكبرنه﴾ ٢٦١/ب
أي حضن وفيه غموضٌ[2] لأن الحيض فعل لازم والإكبار إذا كان بمعنى الحيض كان فعلاً لازماً
واللازم من الفعل لا تدخله الكناية وهي الهاء والكاف.

وقال الأستاذ ابن حبيب: ورأيت في بعض التفاسير ﴿وقطعن أيديهن﴾ القين
مفاصلهن[3]. وقال قتادة: وقطعن أناملهن[4] فما أحسسن إلا بالدم وهن لا يجدن من جز اليد الما
لشغل خاطرهن بيوسف ﴿وقلن حش لله﴾ أي: معاذ الله بل أنت المعذورة عندنا المرحومة
المظلومة وقرئ بالشواذ حاشاً لله[5] ﴿ما هذا بشراً﴾ أي: ما هذا ببشر، وقرأ الأعمش[6]: ما
هذا بشرٌ، ﴿إن هذا إلا ملك﴾ ما هذا إلا ملك ﴿كريمٌ﴾ من رؤساء الملائكة المقربين.

قال ابن عباس: نعت يوسف، وذلك أن الله أعطى يوسف حسن آدم[7]، وكان يوسف
في زمانه عند الناس كضوء النهار عند نور الشمس، وكان يوسف حسن الوجه، جعد الشعر،
أبيض الجسم، غليظ الساقين، غليظ العضدين، خميص البطن، صغير السرة، ضخم العينين،

---

(١) في الأصل: [عن] والصواب ما أثبته.

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١١٨/ب).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٨/ب).

(٤) ذكر هذا القول عن قتادة ابن حبيب (ق:١١٨/ب). وأخرج قول قتادة الثعلبي (ق:٧٩/ب) دون ذكر الأنامل، وكذا البغوي (٢/٤٢٣) بلفظ: «إنهن أبنَّ أيديهن حتى القينها». قال البغوي: والأصح كان قطعاً بلا إبانة.

(٥) نسبت هذه القراءة إلى أبي السمال. انظر: مختصر في شواذ القرآن إلى خالوية (ص:٦٣)، والبحر المحيط (٥/٣٠٣)، والكشاف (٢/٣١٧).

(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٨/ب)، والبحر المحيط (٥/٣٠٤) ونسبها لابن مسعود رضي الله عنه، والكشاف (٢/٣١٧)، وقال: على لغة بني تميم. وهي قراءة شاذة.

(٧) لم أجد هذا القول منسوباً إلى ابن عباس رضي الله عنهما. ولكن هذه الأوصاف التي ذكرها المؤلف في يوسف عليه السلام ذكرها الثعلبي في كتابه المسمى (عرائس المجالس) ضمن كلام طويل منسوب إلى كعب الأحبار وهو من الإسرائيليات (ص:٩٥ - ٩٦).

مستوي الخلق مثل آدم عليه السلام يوم خلقه الله، وكان إذا تبسّم رئ النور من ضواحكه، وإذا تكلم رئ شعاع النور في كلامه يذهب من بين يديه فلا يستطيع أدمي أن ينعت نعته، وقال النبي ﷺ وهو يصف يوسف حين رأى القمر في السماء: ولقد رأيت صورة يوسف كصورة القمر ليلة البدر[1] و﴿قالت﴾ زليخا لهن ﴿فذلكن الذى لمتننى فيه﴾ فهل على من لومٌ (فذا) إشارة إلى يوسف، ﴿وكن﴾ إشارةٌ إلى النسوة، ثم أقرت فقالت: ﴿ ولقد رٰودته ﴾ دعوته ﴿عن نفسه فاستعصم﴾ فامتنع[2] وقيل: فسأل ربه العصمة ﴿ولئن لم يفعل مآ ءامره ليسجنن وليكوناً من الصٰغرين﴾ من الذليلين فيه، وهذا من الصغار الذي هو الذل والإذلال ﴿وليكوناً﴾ النون نون التأكيد، ولكن تكتب الفًا إذا كانت خفيفةً، نظيره ﴿لنسفعا بالناصية﴾[3] وقلن هؤلاء النسوة ليوسف أطع يا يوسف مولاتك ولا تعصها فيما تأمرك .

وقال وهب : والنسوة كانت أربعين، لم يكن فى مصر أعظم منهن قال وهب: وبلغني أنه مات تسع من تلك النسوة حبا ليوسف[4] ، فلما أكثرن عليه ﴿قال﴾ يوسف ﴿ رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه﴾ أي: يارب الدخول في السجن أحب إليّ من الزنا، وهذا خرج مخرج التقدير أي ولو قدر هذا وهذا، وقيل: لي إختر، فأختار السجن؛ لأن الزنا يؤول إلى الهلاك، والسجن عن هذا الأمر يؤل إلى النجاة، والعاقل يميل من الهلاك إلى النجاة، وقرأ السجن بفتح السين وكسرها[5] فالكسر الاسم والفتح المصدر.

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٧٩/أ) والبغوي (٤٢٣/٢) والذي جاء في صحيح مسلم من حديث الإسراء : «فإذا أنا بيوسف إذا هو اعطي شطر الحسن» كتاب الإيمان (١٠٠/١) برقم (٢٥٩).

(٢) هذا هو التفسير الصحيح . انظر: تفسير ابن كثير (٣١٣/٤).

(٣) سورة العلق آية ١٥.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١١٨/ب)، والثعلبي في كتاب: قصص الأنبياء المسمى (عرائس المجالس) (ص:١٠٧) بلفظ سبع بدل تسع.

(٥) قرأ بالفتح يعقوب، وكسرها الباقون . انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٦٧/٢).

والدعـاء طلبٌ ﴿وإلاّ تصرف عنى﴾ أي وإن لم تصـرف عني ﴿كيدهن﴾ مكرهن ﴿أصب إليهن﴾ أمل إليهن بالجمع لأنهن دعونه إلى ما دعته امرأة العزيز ﴿ وأكن من الجـٰهلين ﴾ والصرف، نفي الشيء عن غيره بضده، والصيارفة الهواء ﴿فاستجاب له ربه﴾ أي فأجاب له ربه ﴿فصرف عنه كيدهن﴾ مكرهن، والإستجابة الإجابة لموافقه الداعي / فيما دُعي إليه ﴿إنه هو السميع﴾ لدعاء الداعي، ﴿العليم﴾ بإخلاصه في دعـائه، ولا تحذف السين ليكون السميع للصوت معناه: العليم بالصوت وقيل: السميع لدعائه العليم بكيدهن ومكرهن[١]. ٢٦٢/أ

قوله: ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الأيـٰت ليسجننه ﴾ الآية فلمايئست منه زليخا قالت لزوجها إنه قد شاع أمر هذا العبد وقد فضحني ذلك، وقد كرهت قربه فأذن لي في سجنه حتى يكون سجنه من تحت يدي، فإنه أقطع للمقالة قال لها زوجها قد أذنت لك في سجنه، فحبسته في السجن، قال الله: ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الأيـٰت ﴾ وهي شق القميص وقضاء أخيها[٢] وجمع النسوة .

﴿ليسجننه حتى حين﴾، إلى خمس سنين، فإن قيل: لم قال ثم بدا لهم ولم يقل لهن قيل: لأنه أراد به الرجال والنساء فإذا اجتمع الرجال والنساء فالغلبة للرجال. قوله: ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ وذلك أن يوسف لما دخل السجن فتح الله عليه العبارة، وكان يعبر لأهل السجن الأحلام، فلم يزل في السجن حتى سجن معه غلامان للملك: يومئذ وهو ريان بن الوليد العمالقي، وقد غضب عليهما، وكان اسم أحدهما: محلب، وهو طباخ الملك، والآخر: يونا، وهو ساقيه، وقال ابن عباس: اسم الساقي، شبرها شكم، واسم الخباز: شترهايم[٣]

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١١٩/أ).

(٢) القول بأن الشاهد أخو المرأة لم أجده وكأن المؤلف يرجحه، وجزم به. ولا دليل على ذلك.

(٣) أخرج ابن جرير (٩٥/١٦) برقم (١٩٢٦٦) عن ابن اسحاق أن الغلامين، اسم أحدهما (محلث) والآخر (بنو) وبنو الذي كان على الشراب. ولم أقف على رواية ابن عباس رضي الله عنهما التي أشار إليها المؤلف.

ثم إن يوسف رآهما ذات يوم حزينين مهمومين، قال ما لكما قالا: لرؤيا رأيناها، قال: فقصاها علي لأخبركما بتأويله قال الساقي إني رأيت حبلة فيها ثلاثة قضبان فبينما أنا أنظر إليها إذ هي قد أورقت وأخرجت ثمارها ونضجت عنا قيدها وإذ كأس الملك في يدي فأخذت العناقيد فعصرتها في الكأس فتناوله الملك فشربه.

قال الله: ﴿ قال أحدهمآ إنى أرىٰنى أعصر خمراً ﴾ قال يوسف: ما أحسن ما رأيت أما الحبلة التي كنت عليها هي سلطانك، وأما القضبان الثلاثة فهي ثلاثة أيام تكون في السجن ثم يرضى عنك الملك فيخرجك من السجن ويردك إلى أحسن ما كنت عليه من سلطانك، وأما أوراقها وإخراج ثمرها ونضج عناقيدها فهو عزك وكرامتك في ذلك العمل، وأما العنب الذي عصرت وناولت الملك فهو أن يردك إلى عملك ويكرمك ويحسن إليك فهذا تعبير رؤياك .

﴿وقال الأخر﴾ وهو الطباخ ﴿إنى أرىٰنى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه﴾ أي رأيت كأني أخرج من مطبخه وعلى رأسي ثلاث سلات من الخبز وإذا سباع الطير تأكل من السلة العليا ﴿نبئنا بتأويله إنا نرىٰك من المحسنين﴾ قال له يوسف: بئس ما رأيت أما خروجك من المطبخ، فهو أن تخرج من عملك، وأما السلات الثلاث فهي ثلاثة أيام تكون في السجن، وأما أكل الطير الخبز فهو أن يخرجك الملك بعد ثلالة أيام ليصلبك وتأكل الطير من رأسك ففزع ذلك الغلام، وقال لم أر شيئا فقال يوسف: ﴿قضى الأمر الذى فيه تستفيتان﴾.[1]

وكان سبب حبس الملك إياهما أن أهل مصر أرادوا قتل الملك فرشوا الطباخ على أن يسمه في طعامه، فقبل الرشوة وهم أن يفعل ذلك ليستريح ويريح الناس/ منه فسم الطباخ ورشوا الساقي على أن يسمه في شرابه فأبى ذلك ورد الرشوة فلما حضر طعام الملك وشرابه قال صاحب الشراب للملك لا تأكل لأنه سم طعامك، فقال صاحب الطعام لا تشرب فإنه سم شرابك، فقال الملك لصاحب الشراب إشرب فشرب فلم يضره، وقال لصاحب الطعام كل فلم يأكل، فأطعم دابة فماتت، فأمر بهما الملك إلى السجن، ثم أخرجهما بعد ذلك وأكرم

٢٦٢/أ

(١) سورة يوسف آية ٤١.

الساقي وصلب الطباخ بعد تعبير يوسف لرؤياهما فذلك قوله ﴿ودخل معه السجن﴾ أي بعده ومع هـهنا، بمعنى بعد، كقوله ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسرا﴾[1] أي بعده في الموضعين والسجن ﴿فتيان﴾ عبدان للملك وكان أحدهما، على شراب الملك، والآخر على طعامه.

فقال أحدهما: ﴿إنى أرٰنى أعصر خمرًا﴾ يعني عنباً، وإنما سمي العنب خمراً لمآله إليه ﴿وقال الأخر﴾: ﴿إنى أرٰنى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله﴾ أي أخبرنا بتأويله بتفسيره ﴿إنا نرٰلك من المحسنين﴾ من الموحدين.

قال الضحاك: كان إحسانه إذا مرض رجلٌ في السجن قام عليه وإذا ضاق قلبه وسع عليه وإذا احتاج، جمع وسأل له[2] فلهذا قال ﴿إنا نرٰلك من المحسنين﴾.

قوله: ﴿قال لا يأتيكما طعامٌ﴾ أي قال يوسف ﴿لا يأتيكما طعامٌ ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله﴾ بتفسيره، أي أخبرتكما بالصباح عن طعام المساء، وبالمساء عن طعام الصباح الذي يحمل إليكما، واخبركما كم أكلتم ومتى أكلتم؟ قالا: هذا من فعل العرّافين والكهنة قال يوسف: ما أنا بعرّاف ولا كاهن، فحينئذٍ قال لهما يوسف ﴿ذلكما مما علمنى ربى﴾ وأشار بذلك إلى علم الرؤيا.

وقيل: إلا أنبأتكما بتأويله، بلونه وليس في القرآن التأويل بمعنى اللون إلا هاهنا[3].

ثم قال: ﴿إنى تركت ملة قوم﴾ دين قوم ﴿لا يؤمنون بالله﴾ لا يصدقون بالله ﴿وهم بالأخرة هم كٰفرون﴾ وإنما أراد بهذا دين الملك وأهل مصر لأنه لم يكن في أهل مصر أحد من المسلمين إلا يوسف، فإن قيل: ولم قال تركت ملة قوم ولم يكن يوسف قط

(١) آية ٥، ٦ من سورة الشرح.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/٩٨، ٩٩) برقم (١٩٢٧٩، ١٩٢٨٠).

(٣) هذا المعنى بعيد، ولم أقف على من قال به.

كافرًا وإنما يقال تركت إذا كنت على شيء ثم تركته؟ قلنا: تركت هاهنا بمعنى رغبت عنه فمعنى الآية إني رغبت عن[1] دين قوم لا يؤمنون بالله وهو دين الملك وأهل مصر وإنما قال **﴿هم كـفرون﴾** دخل هم للتأكيد والتكرار **﴿واتبعت ملة ءاباءى﴾** دين آبائي **﴿إبرهيم وإسحق ويعقوب﴾** أي دين الحنيفية **﴿ما كان لنآ﴾** ما جاز لنا وماينبغى لنا **﴿أن نشرك بالله من شيء﴾** من، صلة[2] معناه أن نشرك بالله شيئا أي أن الله عصمنا من الشرك به **﴿ذلك﴾** يعنى: إتباع الآباء **﴿من فضل الله علينا﴾** تفضل به علينا **﴿وعلى الناس﴾** أي وعلى سائر الناس، **﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾** لا يوحدون الله.

وقيل: لا يشكرون نعم الله[3].

قوله: **﴿يـصـحبى السجن﴾** أراد الساقي والطباخ **﴿ءأربابٌ متفرقون﴾** يعني آلهة متفرقة **﴿خيرٌ أم الله الوحد القهار﴾** الذي ليس كمثله شيء، القهار الذي خلق الموت والحياة وقهر العباد بالموت **﴿ما تعبدون من دونه﴾** من دون الله يعني الأصنام **﴿إلا أسمآءً سميتموهآ أنتم وءاباؤكم مآ أنزل الله بها﴾** بعبادتها / **﴿من سلطن﴾** من كتابٍ ولا حجةٍ. ٢٦٣/أ

﴿إن الحكم﴾ ما القضاء **﴿إلا لله﴾** وحده لا شريك له **﴿أمر ألا تعبدوا﴾** الا توحدوا **﴿إلا إياه ذلك الدين القيم﴾** أي هذا التوحيد، الدين المستقيم **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** ما للمطيعين عند الله من الثواب وما للعاصين من العقاب.

قوله: **﴿يـصـحبى السجن أمآ أحدكُما﴾** هذا تعبير رؤياهما **﴿أماآأحدكما فيسقى ربه خمراً﴾** أي سيده يريد الخمر بعينها **﴿وأما الأخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾** قال الطباخ: ما رأيت شيئًا قال يوسف: **﴿قضى الأمر الذى فيه تستفتيان﴾** معناه الذي عنه تسألان.

---

(١) معنى الآية أن يوسف عليه السلام تبرأ من الكفر وأهله . انظر: تفسير الطبري (١٦/١٠١).

(٢) لتأكيد نفي الشرك بالله، فهي للتأكيد وليست صلة كما ذكر المؤلف رحمه الله.

(٣) الذي يظهر لي أنه لا منافاة بين القولين، ولكن الطبري رحمه الله يميل إلى القول الثاني. انظر تفسيره.

وقيل: قال الطباخ لما سمع هذا التأويل قال: هذا رؤياه، يعني هذا الذى قلت رؤيا الساقي وذلك الذي قال الساقي رؤياي فعند ذلك قال يوسف: ﴿**قضى الأمر الذى فيه تستفيان**﴾ وقيل: كان كذلك الذي قال الطباخ.

فتبادلا قبل تعبير الرؤيا وإستفتيا فصار كما سألا وروي عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: جاءت إمرأة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت: يا رسول الله إني رأيت في منامي كأن جايزة بيتي إنكسرت وأن زوجي غائب، فقال النبي ﷺ فهل قصصتيها على أحدٍ قبلي، قالت على أبي بكر أو قالت على عليٍّ، فقال لها ماذا قال. قالت: قال لقد مات زوجك فقال النبي ﷺ على ما قيل لك؛ إن الرؤيا لا تكاد تجري إلا على ما أولت[1] ﴿ **وقال** ﴾ يوسف ﴿ **للذى ظن أنه ناج**﴾ أيقن أنه ناج ﴿ **منهما اذكرنى عند ربك** ﴾ .

قال ابن عباس: قال يوسف بعد ما عبر رؤياهما، قال للساقي: اذكرني عند ربك أي إذكر أمري عند سيدك يعني الملك فإني مظلومٌ، عدا عليَّ إخوتي فباعوني[2] وأنا مسجون ﴿**فأنساه الشيطـن ذكر ربه**﴾ أي فشغله الشيطان حتى ذكر يوسف عند سيده الملك فلما تضرع يوسف إلى مخلوقٍ وكان خروجه قد إقترب فأنساه الشيطان ذكر ربه حيث مال إلى المخلوق وترك الخالق ﴿**فلبث فى السجن بضع سنين** ﴾. قال ابن عباس: سبع سنين وكان

---

(١) لم أقف على هذه الرواية، وأخرج الحاكم (٣٩١/٤) وغيره مرفوعاً: «أن الرؤيا تقع على ما تعبر، ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها ، فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحًا أو عالمًا» وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وصححه الألباني . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحه (١٢٠).

(٢) هذا المعنى الذي ذهب إليه المؤلف بعيد لأن أخوة يوسف لم يبيعوه، ولم يكن سجنه بسببهم، والمعنى أخبر سيدك الملك بمظلمتي، وأني محبوس بغير جرم، انظر: تفسير الطبري (١٠٩/١٦).

يوسف في السجن قبل هذا خمس سنين ثم سبع سنين، فجميع لبثه في السجن إثنا عشر سنه[1]، والبضع ما بين الثلاثة إلى التسع، وأرادها هنا سبع سنين قيل أن جبريل أتاه في السجن وقال يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين، ويقول أما استحيت مني إذ استشفعت بالآدميين فوعزتي لألبثنّك يعني في السجن بضع سنين، قال يوسف: وهو بعد ذلك راضي عني، قال نعم، قال إذا لا أبالي[2].

قال كعب: قال جبريل ليوسف، إن الله يقول : من خلقك ولم تك شيئا؟ قال الله، قال فمن حببك إلى أبيك؟ قال الله، قال فمن ألبسك في البئر وأنت عريان؟ قال الله، قال فمن أنجاك من كرب البئر؟ قال الله، قال فمن علمك تأويل الرؤيا؟ قال الله، قال: فكيف استشفعت بآدمي مثلك[3].

قال قتادة: إنما خلده في السجن بعد ذلك سبع سنين لاستشفاعه بالآدميين، وقال النبي ﷺ لو لم يستشفع بمثله من الآدميين خرج من يومه من السجن[4] .

قوله: ﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرت سمانٍ ﴾ الآية / وذلك أنه لما استكمل ٢٦٣/ب يوسف اثنى عشر سنة في السجن بعث الله جبريل بالبشارة، فلما دخل السجن قال هل تعرفني أيها الصديق ؟ قال لا، قال فإني رسولُ رب العالمين ، وأنا الروح الأمين، قال يوسف فما

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند ضعيف (تفسير سورة يوسف)، تحقيق محمد عبدالكريم البنحابي (ص:١٩٥)، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٣١٧).

(٢) انظر: البغوي (٢/٤٢٨).

(٣) هذا القول بطوله أخرجه الثعلبي في تفسيره(ق:٨٥/أ)، والبغوي (٢/٤٢٨) وهو من الإسرائيليات.

(٤) أخرجه الطبري (١٦/١١٣) برقم (١٩٣١٧) عن قتادة وعن الحسن مرسلاً وقال محمود شاكر هذه أخبار مرسله لا حجة في شيء منها.
وقال ابن كثير رحمه الله: (٤/٣١٧): وهذه المرسلات ها هنا لا تقبل.
وأخرج الطبري مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٦/١١٢) برقم (١٩٣١٥) بسند ضعيف جداً لأن فيه إبراهيم بن يزيد القرشي متروك، وسفيان بن وكيع ضعيف. انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣١٧).

أدخلك مدخل الخاطئين؟ قال جبريل، أو ما تعلم أيها الصديق أن الله طهر بك السجن وما حوله إلى يوم القيامه، قال له يوسف يا جبريل فهل لك علم بيعقوب؟ قال له جبريل نعم، وهب له الصبر الجميل على حزنه، قال يا جبريل وما بلغ من حزنه؟ قال عليه السلام حزن مائة ثكلى وبلغ من صبره على ذلك ما استوجب على الله أجر مائة شهيد، وهذا أول وقت عتقك وعتق رقبتك، ونشر حكمتك وتصديق رؤياك، ويهب الله لك مصر وعزها ويلقي الله لك المودة في قلوبهم ويزكيك ربك حتى يبلغك برحمته مما قد بلغ آباؤك الصالحون ، ويرى الملك حُلمًا فيفزع منه فيعبر تفسير حلمه عليك وعلى السحرة ولا يعلم تأويله إلا أنت أبشر أيها الصديق فإنك ولي الله وصفيه وابن صفيه وابن ذبيحه[1] وابن خليله فلما انصرف عنه جبريل لم يلبث في السجن إلا ذلك اليوم وحده، فلما جن الليل نام الملك فرأى في منامه في تلك الليلة رؤيا فلما أصبح جمع ملأ عظيما من قومه فقصها عليهم كما قال تعالى ﴿**وقال الملك إني أرى سبع بقرت سمان يأكلهن سبع عجاف**﴾ مهزولات أي أني أرى سبع بقرات سمان، وسبع بقرات عجاف فابتلعت، فأكلت العجاف السمان فدخلت بطونهن ولم يتبين عليهن شيء ﴿**وسبع سنبلت خضر**﴾ ورأى سبع سنبلات ﴿**خضر وأخر يابست**﴾ فالتوت اليابسات على الخضر وغلبن خضرتهن ولم يتبين عليهن شيء فصار الخضر على اليابسات.

---

(١) الراجح أن الذبيح: إسماعيل عليه السلام، لأنه الذي وهب لإبراهيم إثر الهجرة، ولأن البشارة بإسحاق معطوفة على البشارة بهذا الغلام الذبيح. ولما رواه الحاكم في المناقب قال ﷺ : أنا ابن الذبيحين – يعني جده إسماعيل عليه السلام وأبيه عبدالله، ولأن البشارة باسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه، فلا يناسبها الأمر بذبحه مراهقًا.

قال ابن كثير: وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضاً. وليس ذلك في كتاب ولا سنة. وما أظن ذلك تلقى إلا عن أخبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه – الذبيح – إسماعيل فأنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك ﴿ **وبشرنه بإسحق نبياً من الصلحين** ﴾ ١١٢ الصافات.

انظر: تفسير ابن كثير (٧/٢٣).

﴿ يـٰأيها الملأ أفتونى ﴾ يا أيها الأشراف والعرّافون والسحرة والكهنة ﴿أفتونى﴾ أخبروني ﴿ فى رُءيٰى إن كنتم للرءيا تعبرون﴾ فلم يدروا تأويلها، وعجزوا عنها ، و ﴿قالوا﴾ أيها الملك ﴿أضغٰث أحلٰم﴾ أي رؤياك هذا باطل، أحلام كاذبةٌ مختلقةٌ وإنما الأضغاث من الشيطان وليست برؤيا ﴿وما نحن بتأويل الأحلٰم بعٰلمين ﴾ أي علم هذه الرؤيا مغيبٌ عنا .

قوله: ﴿وقال الذى نجا منهما﴾ أي من فتيان الملك وهو الساقي شرها شكم ﴿وادكر﴾ يوسف ﴿بعد أمة﴾ بعد سبع سنين ومن قرأ بالهاء أراد بعد نسيان وهذه الهاء لا تنقلب تاءً في وقفٍ ولا وصل إن قرأت ﴿بعد أمه﴾ بالهاء ﴿ أنا أنبئكم﴾ أخبركم ﴿بتأويله﴾ بتفسيره ﴿فأرسلون﴾ أي أنه قال للملك أرسلني إلى السجن ، فإن فيها رجلا حكيما عليما من آل يعقوب فلو كان عند أحد من أهل الأرض [علم][1] برؤياك فهو عنده، فإن الناس لم يروا قبله ولا بعده مثله عالما وحكيماً وقد كنا أنا وصاحبي في السجن فرأينا رؤيا فأخبرنا بتأويله، فكان كما قال، فأرسله، فلما دخل على يوسف قال لـ﴿يوسف أيها الصديق﴾ يريد الصالح الصادق وإنما [أسماه][2] صديقا لأنه لم يجرب عليه الكذب والصديق من كثرة الصدق كالشريب ﴿أفتنا فى سبع بقرٰت﴾ ﴿سمان يأكلهن سبع عجاف﴾ خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف / فابتلعت وأكلت العجاف السمان فدخلت في بطونهن ولم يتبين عليهن شيء ٢٦٤/أ ﴿وسبع سنبلٰت ﴾ وأفتنا في سبع سنبلات ﴿خضر وأخر يـٰبسٰت﴾ وسبع أخر يابسات فالتوت اليابسات على الخضر فعلين خضرتهن ولم يتبين عليهن شيء فصار الخضر كاليابس ﴿لعلى أرجع إلى الناس﴾ إلى أهل مصر ﴿لعلهم يعلمون ﴾ لكي يعقلوا هذه الرؤيا، قال يوسف: أما سبع بقرات سمان فهو سبع سنين خصبة، وأما السنبلات الخضر فهو الخصب والسعة والرخص في سنين الخصب، وأما سبع بقرات عجاف هالكات فهي سبع سنين جدبة،

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل والسياق يقتضي إثباته فأثبته.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل والسياق يقتضي إثباته.

وأما السنبلات اليابسات، فهو القحط والغلاء في السنين الجدبة قال الغلام كيف نصنع في هذا القحط يا يوسف ﴿قال﴾ يوسف ﴿تزرعون﴾ أي إزرعوا ﴿سبع سنين﴾ الخصبة ﴿دأباً﴾ دائما كل عام، ﴿فما حصدتم﴾ من الزرع ﴿فذروه فى سنبله﴾ في كفايره ولا تدوسوه، لأنه أبقى له ﴿إلا قليلاً مما تأكلون﴾ أي كل ما أردتم أكله فدوسوه ودعوا الباقي في سنبله ﴿ثم يأتى من بعد ذلك﴾ السنين الخصب ﴿سبع شداد﴾ قحط ﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ ما رفعتم للسنين الجدبة في السنين الخصبة ﴿إلا قليلاً مما تُحصِنون﴾ تحرثون ﴿ثم يأتى من بعد ذلك﴾ وهذه الآية ليست من تعبير الرؤيا، إنما قاله يوسف من نفسه لعلمه أنها كائنه ﴿ثم يأتى من بعد ذلك﴾ الجدب ﴿عام فيه يغاث الناس﴾ يعني يغاث أهل مصر بالطعام والمطر والخصب والألبان، وقيل: الغوث، المطر، وقيل: يغاث الناس، أي ينجون من الإغاثة ﴿وفيه يعصرون﴾ من الزيتون زيتا ومن الأعناب خمراً ومن الجلجلان دهنا، والجلجان، السمسم، وقال على ابن أبي طلحه: يعني يحتلبون،[1] والمراد به تكثر النعيم.

وقال أبو عبيدة: يعصرون أي ينجون[2]، والعصرة، النجاة من الكرب والقحط، هو من قول العرب فلان عصرة للناس، سبب لنجاتهم فرجع الساقي وأخبر الملك الريان بن الوليد بذلك فأعجب به وانكشف عنه الهم والحزن الذى كان فيه فـ﴿قال الملك ائتونى به﴾ أي بهذا الرجل الحكيم حتى أكرمه وأرفع منزلته ﴿فلما جآءه الرسول﴾ وهو الساقي الذى ذكره عند الملك، فقال له إن الملك يدعوك ليكرمك ويقربك ﴿قال﴾ يوسف ﴿ارجع إلىٰ ربك﴾ إلى سيدك الملك ﴿فسئله﴾ وقل له حتى يسأل ﴿ما بال النسوة التى قطعن أيدهن﴾ الآية.

﴿إن ربى بكيدهن﴾ بمكرهن ﴿عليمٌ﴾ فلما جاء الرسول الملك من عند يوسف بما

---

(١) أخرجه الطبري عن طريق علي بن أبي طلحه عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٦/١٣٠) برقم (١٩٣٩٠، ١٩٣٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (ص:٢٠٨) تحقيق البنجابي.

(٢) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٣١٣).

أرسل به إليه، أرسل الملك إلى النسوة وجمعهن و﴿**قال ما خطبكن**﴾ حالكن، وما شأنكن، وما بالكن، ﴿**إذ رودتّن**﴾ دعوتن ﴿**يوسف عن نفسه قلن حش لله**﴾ معاذا لله ﴿ **ما علمنا عليه من سوء**﴾ من زنا، ولقد قلنا فيه الكذب والزور ثم ﴿**قالت امرأت العزيز**﴾ أي امرأة قطفير وهي زليخا ﴿ **الئن حصحص الحق** ﴾ أي تبيّن الحق، وقيل: تنور الحق، ثم أقرت على نفسها وقالت ﴿ **أنا رودته عن نفسه**﴾ أنا دعوته عن نفسه ﴿**وإنه لمن الصدقين**﴾ في قوله فرجع الساقي إلى يوسف بخبر النسوة وتكذيبهن أنفسهن فقال يوسف عند ذلك : ﴿**ذلك**﴾ يعني جمع النسوة وإقرارهن على أنفسهن ﴿**ليعلم**﴾ زوجها العزيز وهو قطفير ﴿**أني لم أخنه بالغيب**﴾ يعني في امرأته بالزنا إذا غاب عنها، ﴿**وأن الله لا يهدى كيد الخآئنين**﴾ الذين يخونون أمانته، أي لا يصلح عمل الزناة فضرب جبريل ﷺ بين كتفي يوسف، فقال أتذكر ما هممت حين هممت[1] بها فقال يوسف / عند ذلك ﴿ **ومآ أبرئ نفسى**﴾[2] ، أي وما أزكي نفسي من الهم الذي هممت ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾ بالقبيح وما لا يحب الله . ﴿ **إلا ما رحم ربى** ﴾ إلا من عصم ربي ﴿ **إن ربى غفورٌ رحيم** ﴾ لأوليائه رحيم بهم. ٢٦٤/ب

قوله: ﴿ **وقال الملك ائتونى به** [...][3] **أستخلصه لنفسى** ﴾ أي أملكه على ما خلّف لي

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/١٤٣) برقم (١٩٤٢٨، ١٩٣٢٦) ، وابن أبي حاتم (ص:٢١٥).

(٢) أختلف في قائل هذا القول: [وما أبريء نفسي]. فقيل: إنه قول يوسف عليه السلام، وقيل: إنه من قول امرأة العزيز وهذا اختيار الإمام ابن تيمية وابن كثير وغيرهما وهو الظاهر لامور ثلاثة أوردها الحافظ ابن كثير، أولها: أنه القول الأشهر الذي اختاره أكثر المفسرين.
ثانيها: أنه الأليق بحال يوسف عليه السلام.
ثالثها: أنه الأنسب لسياق القصة لأن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً في ذلك الوقت بل أمر الملك باحضاره بعد.
انظر: الفتاوى (١٥/١٣٩) ، وتفسير ابن كثير (٤/٣٢٠).

(٣) في الأصل مثبت كلمة (الآية) ولا معنى لها.

أبي وأجعله خالصا لنفسي دون العزيز، فقال الرسول ليوسف، قم إلى الملك يدعوك فقام يوسف واغتسل وانتظف من درن السجن، ولبس ثيابا حسنه، ثم أتى الملك قال ابن عباس: وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة[1] ، فأقعده الملك قدامه وقال لا تخف فإنما أنا بشر مثلك ﴿**فلما كلمه قال**﴾ و﴿**إنك اليوم لدينا مكين أمين**﴾ وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا، وكلما تكلم بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان، حتى إذا فرغ من الألسن كلها. ثم دعا له يوسف بالعبرانية، ولم يكن الملك يحسنها فقال ما هذا اللسان يا يوسف؟ فقال لسان أبائي، فلما خرج من عنده سلم عليه بالعربية ولم يكن الملك يحسنها ، فقال ما هذا اللسان يا يوسف؟، فقال لسان عمي إسماعيل، فازداد فرعون عجباً مما سمع من يوسف، ثم قال: يا يوسف أقصص عليّ رؤياي فإني أحب أن أسمعها منك فقص عليه رؤياه فقال الملك؛ وكيف لي بهذا ومن القائم عليه، قال يوسف: إن الله قضى ذلك على يدي فأنا صاحبه ومدبره والقائم عليه ﴿**اجعلني على خزآئن الأرض**﴾ أي على خراج أهل مصر وكانت مصر أربعين فرسخا في أربعين فرسخاً.

﴿**إني حفيظ**﴾ لتقديره في السنين ﴿**عليم**﴾ بساعة الجوع ، حين يقع، وقيل ﴿**حفيظ**﴾ بالحساب ﴿ **عليم** ﴾ بالألسن، وقيل : ﴿**حفيظ عليم** ﴾ كاتبٌ حاسبٌ، وقيل: ﴿**حفيظ**﴾ بما يدخل ﴿ **عليم** ﴾ بما يخرج، وإنما قال يوسف للملك ﴿ **اجعلني على خزآئن الأرض** ﴾ أراد به إذا جاء القحط، وجاءت إليه إخوته لأجل الميرة فيميرهم لأنه قال إذا كان آخر مكانه بموضعه يمنع فيهم الميرة فلهذا ﴿ **قال اجعلني على خزآئن الأرض**﴾ فلما قال يوسف ذلك قال الملك صدقت، ما أعلم اليوم أحداً يطيق ذلك غيرك، فلك هذا الخاتم والتاج والسرير، فإنهن رأس كل مُدَّعى ملكي حتى يرتفع قدرك عند أهل مصر.

فقال له يوسف: أما السرير فاشدد به سلطانك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي، قال الملك : فإنك إن لم تلبس التاج فاقبله مني حتى يعلم

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره دون عزوه إلى أحد (ق:٨٩/أ).

الناس أني قد فضلتك على نفسي فوضع التاج زمان يوسف كله وأقبل على بناء الخزائن والإهداء ووكل بذلك الأمناء، وولي يوسف مصر، ومات العزيز قطفير في تلك الليالي وأن الملك زوج [يوسف][1] إمرأة قطفير، أي، زليخا وهو ابن ثلاثين، فلما دخل عليها وجدها عذراء فقال لها: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين، قالت: أيها الصديق لا تلمني فإن الله كساك من الحسن والبهاء ما لا يصبر عليه أحد، وكان صاحبي / لا يمس النساء، وكنت كما ترى ناعمة في ملك الدنيا، فغلبتني نفسي وشهوتي، فلا تلمني يا يوسف إن الحرص والشهوة صيّر الملوك عبيدا، وإن الصّبر والتقى صيّر العبيد ملوكا، فولد له رجلين في سنين الخصب، يقال لأحدهما افراييم وللآخر منسا[2] أبنا يوسف، وانتظر يوسف دخول سنين الخصب، فلما دخلت جاءت الأرض بالغلات إلى يوسف فجمعها وتركها في سنبلها واتخذ من الزيت المعصر[3] ومن الأعناب الخل، وملك يوسف مدائن مصر كلها، وجمع من الطعام في سنين الخصب ما يكفي أهل مصر أناسهم ودوابهم ومن حولهم من الآفاق، فلما فرغ من جمع الطعام ومضت سنين الخصب كلها، جاءت سنين القحط، ووقع بمصر من القحط والجوع الذي لم يعهد الناس مثلة ما كانت الدنيا، واشتد الجوع في أهل الأرض وقصد الناس مصر من كل أوابٍ وناحيةٍ يمتارون، فجعل يوسف لا يمكن أحداً منهم وإن كان عظيما أكثر من حمل بعير، وتزاحم عليه أهل مصر فباعهم أول السنة بالدنانير والدراهم ثم لم يبق بمصر دينار ولا درهم إلا قبض عليه، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء، وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى لم يبق دابة بمصر إلا وكانت في ملكه، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق عبد ولا أمة في يدي أحد إلا وهو في ملكه، وباعهم في السنة الخامسة بالفرش والأثاث والثياب حتى لم يبق منها شيئ إلا وهو في ملكه، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم وذراريهم حتى استرقهم كلهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار عبد له .

٢٦٥/أ

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل والكلام لا يستقيم بدونه.

(٢) كذا في الأصل ، وفي الحاشية : ميشا.

(٣) كذا في الأصل ، وفي الحاشية المعاصر ولعله الصواب.

فقالوا تالله ما رأينا كاليوم ملكاً أعظم ولا أجل من هذا، ثم قال يوسف للملك: كيف رأيت صنيع ربيّ وما خولني من الملك، فقال الرأى رأيك ونحن لك تبع فكذلك.[١]

قوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض﴾ الآية أي كما أنجيناه من السجن كذلك مكنا، ملكنا ﴿ليوسف فى الأرض﴾ في أرض مصر ﴿ يتبوأ منها حيث يشآء﴾ أي ينزل منها حيث يشاء، ﴿نصيب برحمتنا من نشآء﴾ أي أتفضل على من أشاء برحمتي، وأرفع درجاته وأملكه حتى أصيّره إلى رحمتي، إلى جنتي ﴿ ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ أي ثواب الموحدين قال ابن عباس: ولا نضيع أجر الصابرين[٢]. وقال وهبٌ: وذلك لصبره في البئر وصبره في السجن وصبره في الرق وصبره عما دعته إليه المرأة فهذا في الدنيا ﴿ولأجر الأخرة خيرٌ﴾ أي الجنة وثوابها أعظم وأفضل ﴿للذين ءامنوا ﴾ صدقوا ﴿ وكانوا يتقون ﴾ معاصي الله[٣].

وقيل: معناه: إتقوني ولا تشركوا بي شيئا .

قوله: ﴿ وجآء إخوة يوسف فدخلوا عليه﴾ الآية وذلك لما قحط الناس فاشتد أيضا على يعقوب وأولاده القحط فقال يعقوب لأولاده: إن بمصر رجلا صالحا فيما زعموا يبيع الطعام ويميرُ الناس . قالوا ومن / أين يكون بمصر رجلاً صالحا وهم يعبدون الأوثان[٤] فقال إنما تذهبون إليه وتعطون إليه دراهمكم ودنانيركم وتأخذون طعاماً لا تسئلون عن شيء قال فخرجوا إلا بنيامين وهم عشرةٌ فأتوا حتى دخلوا عليه وهم يريدون الميرة ﴿فعرفهم﴾ يوسف ﴿ وهم له منكرون﴾ لا يعرفون أنه يوسف، وعليه تاجٌ وثيابٌ من حرير وطوقٌ من ذهب

٢٦٥/ب

(١) هذا الكلام ساقه ابن حبيب في تفسيره (ق:١٢٢/أ)، والسمرقندي مختصراً (١٦٧/٢)، والواخدي في الوسيط (٦١٩/٢)، والبغوي (٤٣١/٢ - ٤٣٣).
وهذه القصة ظاهرة الوضع بينة البطلان ، يلوح عليها طابع التكلف في عبارتها ومعانيها ولا أشك في استقائها من أخبار بني إسرائيل التى لا تستند إلى دليل صحيح.

(٢) أخرجه البغوي (٤٣٣/٢)، وذكره القرطبي (٢١٩/٩).

(٣) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٢٢/أ).

(٤) كذا في الأصل وفي الحاشية مثبت الأصنام.

وعليه حجاب الملك فرأوه خلف الحجاب، فأدناهم بمكانهم منه، وأنزلهم وسألهم من أنتم؟ قالوا نحن أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم من أهل كنعان، فقال لهم ذاك الشيخ الصالح؟ قالوا نعم، قال فكيف تركتموه؟ قالوا شديد الوجد على ابن له فقده، قال وكم له من الولد؟ قالوا اثنا عشر ولداً فقال لهم هذه وقصةُ والدى سواء. قال فأخبروني عن أمهاتكم، قالوا متفرقات، قال هكذا نحن أنا وأخٌ لي من أمٍ واحدة، قال فأخوكم الآخر أين هو؟ قالوا حبسه أبوه لوجده على أخيه المفقود قال فأنا والله فقد فقدت أخي فما يهناني طعامٌ ولا شرابٌ ولا نومٌ إذا ذكرته ولوددت أنه كان عندي حتى أشكو إليه بعض حزني على أخي ويشكو إلي بعض حزنه. فقال سبحان الله ما أشبه قصتي بقصتكم كان لأبي إثنا عشر ولداً من أربع نسوةٍ وكنت أنا وأخي أصغر ولده وكان بنا رفيقا لصغرنا فابتلينا، أن فارقت أبي وبقي أخي عنده فأنا أريد أن تشفعوا لي فترحلون إلى أبيكم فتأتوني بأخيكم أشكوا إليه بثي وحزني[1].

فذلك قوله: ﴿**ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم الا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين**﴾ أي خير منزول به حيث أكرمهم ﴿ **فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى**﴾ لاميرة لكم عندي ﴿ **ولا تقربون** ﴾ ولا تأتون فأجابوه ﴿ **قالوا سنراود**﴾ أي سندعوا ﴿ **عنه أباه وإنا لفـٰعلون** ﴾ لضامنون ذلك فقال يوسف لفتيته إجعلوا بضاعتهم في رحالهم وذلك أن يوسف خاف أن لا يكون عند أبيه شيء من الورق ما يرجعون إليه[2] مرة أخرى فأمر أن تجعل دراهمهم في أوعيتهم فذلك قوله: ﴿ **وقال**﴾ يوسف ﴿**لفتيٰنه اجعلوا بضـٰعتهم** ﴾ أي دراهمهم ودنانيرهم التي جاءوا بها ﴿ **فى رحالهم** ﴾ في أوعيتهم ﴿ **لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا**﴾ إذا رجعوا ﴿ **إلىٰ أهلهم لعلهم يرجعون** ﴾ لكي يرجعون الثانية فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا إنا جئنا من أعظم ملكٍ على ظهر الأرض ونزلنا عليه فإذا هو يذكر

---

(١) لم أجد هذه القصة في كتب التفسير المعتمدة ، ويظهر أنها من الإسرائيليات المتكلفة.

(٢) كذا في الأصل، ويظهر أن فيه كلمة [به] ساقطه من الأصل والكلام لا يستقيم إلا بوجودها، والتقدير: [ما يرجعون به إليه مرة أخرى].

أبًا له فارقه وأخا من أمه فسألنا من أنتم، قلنا إنا ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فقال الشيخ الصالح؟ قلنا نعم، قال فكيف تركتم أباكم؟ قلنا تركناه شديد الوجد على ابن له فقده وهو حزينٌ باكيٌ بالليل والنهار، قال وكم كنتم من أخ؟ قلنا إثنا عشر، قال فأين الآخر؟ قلنا حبسه أبوه لشدة وجده على أخيه، فقال: سبحان الله ما أشبه قصتي بقصتكم ولوددت أن أخاكم كان عندي حتى أشكو إليه حزني فوعدناه يا أبت بأننا نأتيه ببنيامين،[1] وقد قال لنا: ﴿ **فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى** ﴾ الآية فذلك قوله: ﴿ **فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يـأبانا منع منا الكيل**﴾ أي الميرة ﴿ **فأرسل معنا أخانا**﴾ بنيامين ﴿ **نكتل**﴾ نمتار نحن، ومن قرأ بالياء[2] أي يمتار بنيامين ﴿ **وإنا له لحـفظون** ﴾ من كل ما تخافه حتى نرده إليك.

﴿**قال**﴾ لهم يعقوب ﴿ **هل ءامنكم عليه**﴾ على بنيامين ﴿ **إلا كمآ أمنتكم على أخيه من قبل** ﴾ أي قد صنعتم هذا في يوسف فكيف آمنكم على بنيامين ﴿ **فالله خيرٌ حـفظاً** ﴾ أن أرسله معكم ﴿ **وهو أرحم الرحمين** ﴾ أي أسأل الله أن يحفظني فيه / وفي يوسف وفيكم. ٢٦٦/أ

وذلك أنه سأل ربه أن يريه ملك الموت، فأتاه ملك الموت، فقال له يعقوب أيها الملك الطيب، هل قبضت روح يوسف في الأرض؟ قال لا، فاطمأن قلب يعقوب ورجاءه ﴿ **ولما فتحوا متـعهم وجدوا بضـعتهم ردت إليهم**﴾ أي البضاعة التي خلفوها عنده، ففرحوا وقالوا يا أبانا هذا من عدل الملك ورأفته ورحمته.

﴿ **قالوا يـأبانا ما نبغى** ﴾ما نطلب ما نصنع ﴿**هـذه بضـعتنا ردت إلينا**﴾ أي ليس هذا من قبلنا هـذا من قبل الملك ﴿ **ونمير أهلنا** ﴾ طعامًا ﴿ **ونحفظ أخانا**﴾ بنيامين ﴿**ونزداد كيل**

---

(١) هذه من الإسرائيليات التي لا يصح نقلها عن أحد من السلف. وقد أثرى المؤلف رحمه الله تفسيره هذا بنقل مثل هذه الروايات التي لا يحتاج التفسير إلى مثلها والتي يجب أن لا يحمل كلام الله على مثل هذه الأخبار الشنيعة والله المستعان.

(٢) قرأ بالياء حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالنون، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٦٩).

بعير﴾ أي حمل بعير، إذا كان معنا أخونا لأن الملك لا يحمل للرجل الواحد بعيرين، ﴿ **ذلك كيلٌ يسيرٌ﴾** .

أيْ الذي يُسأل أمرٌ يسيٌر، وقيل: قال يعقوب ذلك كيلٌ واحدٌ فأحب بنيامين الخروج معهم وفرح بذلك ﴿ **قال﴾** يعقوب ﴿ **لن أرسله معكم حتىٰ تؤتون موثقًا من الله** ﴾ عهداً من الله ﴿ **لتأتننى به إلا أن يحاط بكم** ﴾ إلا أن يأتيكم من الله أمرٌ غالبٌ لا طاقة لكم به ﴿ **فلمآ ءاتوه موثقهم** ﴾ عهودهم ﴿ **قال﴾** يعقوب ﴿ **الله علىٰ ما نقول وكيلٌ﴾** أي شهيدٌ وقيل: كفيلٌ، قال ابن عباس: ضمنه روبيل[1]. وقال وهب: ضمنه يهوذا[2]. وكان أرجلهم وأوثقهم في نفسه عنده.

قوله: ﴿ **وقال يـٰبنى لا تدخلوا من باب وٰحدٍ** ﴾ الآية، قال وهب بن منبه: لما استأذن بنوا يعقوب أباهم بالخروج إلى مصر للامتيار قال لهم أبوهم ﴿ **يـٰبنى لا تدخلوا من باب وٰحدٍ وادخلوا من أبوٰب متفرقة﴾**[3].

قال ابن عباس: خشي عليهم العين لحسنهم وإمتداد قامتهم وشبه بعضهم بعضا[4] وكانوا عشرة وكان بمصر أربعة أبواب فدخلوها من أبوابها ﴿ **ومآ أغنى عنكم من الله من شيء﴾** أي ما أنفعكم إلا بمشيئة الله ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ أي ما الحكم والقضاء والأمر إلا لله، فإن حكم في قضائه دخولكم مصر فإني لا أخالفه ولكن تفرقوا إذا دخلتم لئلا تصيبكم العين ﴿ **عليه توكلت﴾** به وثقت في تسريحي إياكم مع أخيكم بنيامين الذي كان أنس قلبي بعد يوسف ﴿ **وعليه فليتوكل المتوكلون﴾** به فليثق الواثقون .

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٢/ب).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٢/ب)، وابن كثير (٤/٣٢٤).

قوله: ﴿ ولما دخلوا ﴾ أي إخوة يوسف ﴿ من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى﴾ ﴿عنهم من الله شيء﴾ أي ما كان ينفعهم دخولهم متفرقين ﴿إلا حاجةً﴾ إلا حزازةً ﴿ فى نفس يعقوب﴾ أي فى قلبه ﴿قضىها ﴾ أي أظهرها ﴿ وإنه﴾ أي يعقوب ﴿ لذوعلم﴾ صاحب علم ومعرفة ويقين. ﴿ لما علمنـٰه ﴾ من تأويل الأحاديث وعبارة الرؤيا وغيرها ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ما يعلم يعقوب .

وقيل: لا يعلمون أكثر الناس مرتبة يعقوب في العلم[١].

قوله: ﴿ ولما دخلوا على يوسف ءاوىٰ إليه أخاه ﴾ قال عطاء بن أبي رباح: قال يوسف لإخوته: كونوا أنتم في منزل أخلاه لهم، ودعوا أخاكم عندي حتى يخبرني بوجده على أخيه ويشكو إليّ ما يجد من حزنه، وأخبره أنا بما أجد لعل الله يفرّج بعض[٢] حزني فخلا يوسف بنيامين[٣].

فـ﴿ قال ﴾ له يوسف ﴿ إنى أنا أخوك فلا تبتئس ﴾ فلا تحزن فقد جمع الله بيننا وبينك وأرجوا أن يجمع الله بيننا وبين يعقوب فأقبل عليه يسأله فقال له أولد لك؟ قال نعم، قال كم؟ قال بنيامين ثلاثة غلمان، قال يوسف فما سميتهم؟ قال سميت واحد يوسف أحببت أن أذكر به أخي قال فما سميت الآخر؟ قال دمًا والآخر ذئبا، قال يوسف لم سميتهم هذا؟ قال لأن إخوتي أتوا بقميص يوسف وعليه دمٌ قالوا أكله الذئب وكنت إذا ذكرت دمًا / ذكرت أخي وإذا ذكرت ذئبا ذكرت أخي. ٢٦٦/ب

قال عطاء: والله أعلم أن يوسف غيّر اسماءهم[٤] فذلك قوله ﴿ (ولما)[٥] دخلوا على

---

(١) قال به ابن حبيب (ق:١٢٣/أ).

(٢) ذكر هذه القصة ابن حبيب (ق:١٢٦/أ) مختصرة.

(٣) كذا في الأصل والصواب [بنيامين] لأنه اسم له وليس كنية.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/أ).

(٥) في الأصل (فلما) وهو خطأ تم تصويبه.

يوسف أوىٰ إليه أخاه﴾ ضم إليه أخاه بنيامين و**﴿قال إني أنا أخوك﴾** اختلفوا فيه. فقال ابن عباس: تعرف إليه وأخبره أنه يوسف أخوه[1].

وقال وهب والشعبي: لم يقل أنا يوسف ولكنه أراد أن يطيب نفسه ومجاز الآية أنا أخوك بدلٌ عن أخيك المفقود فلا تبتئس[2].

قال ابن عباس: لا تحزن[3].

قال الضحاك: لا تبالي[4].

وقال الفراء ومجاهد: من البؤس، وهو الشدة والحزن[5] **﴿بما كانوا يعملون﴾** بما كانوا قد فعلوا به.

قوله: **﴿ فلما جهزهم بجهازهم ﴾** فلما قال له يوسف أنا أخوك قال بنيامين: أنا لا أفارقك، قال يوسف: قد علمت اغتمام الوالد بي وإذا حبستك إزداد غمة فلا يمكنني هذا إلا بأن أشهرك بأمرٍ فظيع وأنسبك إلى ما لا يحمل، قال لا أبالي فافعل ما بدا لك فإني لا أفارقك، قال فإني أدس صاعي هذا في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال فافعل[6] **﴿ فلما جهزهم بجهازهم﴾** أي هيأ لهم أسباب الميرة جعل السقاية في رحل أخيه وهو الصواع.

---

(١) ذكره في زاد المسير (٤/٢٥٥) ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنهما من طريق أبي صالح. وبمثله قال ابن كثير (٤/٣٢٥) وكذا ابن حبيب (ق:١٢٣/أ).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/١٧٠) برقم (١٩٥٠٦) عن وهب بن منبه. والثعلبي في تفسيره (ق:٩٦/أ) عن كل من وهب والشعبي أيضاً.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٣/أ).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٣/أ).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٥٠).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٣/أ).

قال عطاء: وكان الصواع قدحًا من زبرجد، وكان يشرب فيه الماء .وكان موضوعًا بين يدى[١] يوسف .

وقال عكرمة: كانت مشربة مرصعة بالجواهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال[٢] بغيرها وكان يشرب فيها ﴿ ثم أذن مؤذنٌ﴾ أمر مناديا ينادى فيهم ﴿ أيتها العير إنكم لسٰرقون﴾ .

قال الفراء: لا يُقال عيرًا إلا لأصحاب الأبل[٣]. ﴿إنكم لسٰرقون﴾ إختلفوا فيه.

فقال قوم: إن المؤذن سماهم سارقين من غير إذن يوسف تنزيها ليوسف عن الكذب[٤] وقيل : إنما نادى بأمر يوسف وهذا أشبه بالصواب، ويوسف مبرؤٌ عن الكذب لأنه كان صادقا فى تسميته إياهم السارقين، فإن قيل: فما كانت سرقتهم؟ قلنا سرقوا يوسف عن أبيه وأخفوه[٥] وألقوه في الجب ﴿ قالوا ﴾ يعني إخوة يوسف ﴿ وأقبلوا عليهم ﴾ على المؤذن وغلمان يوسف وقالوا ﴿ ماذا تفقدون﴾ أي ماذا تطلبون، قالوا يعني غلمان يوسف ﴿نفقد﴾ نطلب ﴿صواع الملك﴾ والفقدان إنما هو ضد الوجود ﴿ ولمن جآء به حمل بعير﴾ هذا قول المؤذن ﴿وأنا به زعيمٌ﴾ فقال إني كفيل لمن جاء بالصاع.

وقال السدّي وعطاء: ﴿ وأنا به زعيم﴾ أى حميل[٦] حتى أدفعه[٧] إليك .

وقال قتادة: ضامن[٨] ﴿ قالوا تالله﴾ يعنون والله والعرب تعاقب بين التاء والواو في

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٥٨/٤).
(٣) أخرجه الثعلبي (ق:٩٦/ب)، والبغوي (٤٣٩/٢).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٣/أ).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٣/أ).
(٦) الحميل، والكفيل بمعنى واحد ذكره ابن جرير الطبري (١٨٠/١٦).
(٧) نقل قول السّدي ابن حبيب في تفسيره (ق:١٢٣/أ).
(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٣/أ).

قولهم والله وتا لله.

قال الفراء: والعلة في ذلك أن أكثر القسم يكون بالله.

فتوهموا أن الواو من نفس الحرف فقلبوها تاء وهذا يقع في هذا الاسم الواحد أعنى الله فأما الرحمن والرحيم فلم أسمع فيهما تالرحمن وتالرحيم .

وقال أبو حاتم سهل بن محمد:[٢] وبعض العرب يجيز ذلك وليس بمستعمل في الكلام، **﴿قالوا﴾**: يعني إخوة يوسف، وكانوا سادة أهل الرفقة وخيارهم، **﴿ تالله ﴾** والله **﴿ لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾** ما جئنا لنخرب في أرض مصر **﴿ وما كنا سـٰرقين﴾** أي ليس من شأننا الفساد في الأرض ولا السرقة، **﴿ قالوا﴾** أي المؤذن وأصحابه **﴿ فما جزٰؤه إن كنتم كـٰذبين﴾**.

قال الأخفش: إن شئت رددت الهاء إلى السارق، وإن شئت رددتها إلى السرقة[٣] ،/ ٢٦٧/أ **﴿قالوا﴾** أي إخوة يوسف **﴿جزٰؤه من وجد﴾** الصاع **﴿في رحله فهو جزٰؤه﴾** وذلك أن عادتهم إذا سرق منهم أحد استعبدوه سنة فهو جزاؤه إستعبادُ سنةٍ . وقال بعض أهل المعاني: قالوا جزاؤه الهاء صلةٌ وتقديره جزاء من وجد في رحله فهو جزاؤه.

قال المصنف إسماعيل الضرير: سمعتُ ابن حبيب يقول: سمعت الإمام أبا حامد الخازرنجي يقول: الجزاء ها هنا البدل وهو غريب جداً[٤] أي من وجد الصاع في رحله فهو بدل الصاع يقيم حيث يقيم الصاع. وهذا حسنٌ غريبٌ .

فقال غلمان يوسف: والله ما كان أحد من أهل الرفقة نازلا عندنا ولا رأى ذلك الصواع

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٥١).

(٢) هو: أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم السجستاني ، قال عنه السيوطي: كان إمامًا في علوم القرآن واللغة والشعر توفي سنه ٢٥٠هـ. وقيل غير ذلك . انظر: بغية الوعاة (١/٦٠٦).

(٣) انظر قول الأخفش في: تفسير الثعلبي (ق:٩٧/ب).

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٢٣/ب).

إلا أنتم ﴿ **كذلك نـجزى الظـلمين**﴾ السـارقين ، ﴿**فبدأ بأوعيتـهم قبل وعاء أخيه**﴾ وإنما أخروه لصغره، ثم فـتشوها فلم يجدوا فيهـا شيئا ففتشـوا وعاء بنيامين فاستخـرجوا السقاية منه فذلك قوله ﴿ **ثم استـخرجها من وعـآء أخيه** ﴾ والصاع مـذكرٌ، وكـذلك حقـه أن يقول ثم استخرجه وإنما قال ثم استخرجها، ردًا إلى المعنى دون اللفظ، وهو السقاية وهذه مسألةٌ شريفةٌ في المعاني ونظيره ﴿ **الذين يرثون الفردوس هم فيها خـلدون**﴾[1].

ولفظه مذكـرٌ ثم قال: ﴿ **هم فيها خـلدون**﴾ ردًا إلى المعنى، وهـو الجنة ونحـوه ﴿**وإذا حـضر القسمة أولوا القربى**﴾[2] ، والقسمة مؤنثة بلا اختلاف، ثم قال ﴿**فارزقوهم منه**﴾ أي من الميراث، ردها إلى المعنى دون اللفظ لأن مـعنى القسمة ها هنا الميـراث، وكذلك قوله ﴿ **إن رحمت الله قـريب من المحسنين**﴾[3] في قـول من يقـول إن الرحـمـة ها هنا الثـواب أو المطر[4] فالـقرب إذًا نعتٌ للـمـعنى دون اللفظ، وهذا حسنٌ في المعـاني ﴿ **كذلك كدنا**﴾ الكاف ههنا للتشبيـه، والمعنى كما فعلوا في الإبتداء بيوسف، فعلنا بـهم، لأن الله حكى عن يعقوب أنه قال ليوسف فيكيدوا لك كيـدا، والكيد جزاء للكيد ﴿ **كذلك كدنا ليوسف** ﴾ أي الهمنا يوسف هذا الكيد ﴿ **ما كان ليأخذ أخاه**﴾ أي ما كـان يوسف ﴿ **ليأخـذ أخاه فى دين الملك**﴾ وقال عطاء بن أبي رباح: فـي حكم الملك[5] ﴿ **إلا أن يشـآء الله** ﴾ أي ما كان يعمل فـي ذلك شيئا ﴿**إلا أن يشـآء الله نـرفع درجـتٍ من نشـآء وفوق كلٌ ذى عـلم علـيم** ﴾ أي علم يعـقوب وولده يفوق علم العلماء.

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم (١١).

(٢) سورة النساء آية رقم (٨).

(٣) سورة الأعراف آية رقم (٥٦).

(٤) هذا تأويل، والصواب أن نترك الآية على ظاهرها ويقال: إن الثواب، والمطر، من آثار الرحمة . انظر: تفسير ابن كثير (٤٢٥/٣).

(٥) لم أجد هذا القـول منسوبًا إلى عطاء. ولكـن قال بمثله ابن جرير الطبـري (١٨٧/١٦)، وابن كـثير (٣٢٦/٤) ونسبه إلى الضحاك وغيره.

وقيل: علم الله فوق علم كل أحدٍ، وفي مصحف عبدالله وفوق كل عالمٍ عليمٌ .

قوله: ﴿ قالوا﴾ أي إخوة يوسف ﴿ إن يسرق﴾ هذا ﴿ فقد سرق أخ له من قبل ﴾ يعنون يوسف، وذلك أن له عمةً كانت تزين[1] إلى أن شب، لا تصبر عنه ساعة، فلَّما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها ويرده إلى منزله، فعلمت بذلك أخته فشدت المنطقة، على وسط يوسف وبعثت به إلى يعقوب ثم أتت على أثره فقالت فقدت المنطقة ولم أجدها في شيء ففتشوا ثياب يوسف فإذا المنطقة على وسطه وكانت سنة آل يعقوب استرقاق اللصوص والسراق ثلاثة أشهر فردت يوسف إلى منزلها ثلاثة أشهر فذلك قولهم ﴿فقد سرق أخٌ له من قبل﴾ يعنون سرق المنطقة. [2]

قال وهب: كان يوسف يأخذ الطعام من المائدة سرًا منهم ويتصدق به على الفقراء والمساكين[3].

وقال كعب: كان يوسف في المنزل وحده، فأتى سائلٌ وكان في المنزل عناق وهي / ٢٦٧/ب الأنثى من الجدى فدفعها إلى السائل من غير أمر أبيه[4] .

قال محمد بن إسحاق بن يسار: كانت في منزل يعقوب جونةٌ فيها صنم لجد أم يوسف فحمله يوسف والقاه فيما بين الجيفة[5] وغطاه بالتراب قال سفيان بن عيينه: سرق يوسف

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب [تربيه] لأن بعض كتب التفسير تذكر أن عمته تولت تربيته بعد وفاة أمه . انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٢٤/أ) ، والبغوي (٤٤١/٢).

(٢) هذه القصة أخرجها ابن جرير الطبري (١٩٦/١٦، ١٩٧) برقم (١٩٦٠٥) عن مجاهد ابي الحجاج مع اختلاف طفيف في بعض العبارات.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٤/أ).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/أ).

(٥) كذا في الأصل ولعل الصواب [الجيف].

دجاجةً من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلاً[1] ﴿**فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم**﴾ لئلا يعلموا أنه يوسف، يعني أسر هذه الكلمة، ويقال: هذه الكناية مردودة إلى المقالة وفي مصحف أبي، فأسره يوسف في نفسه، ولم يقل لهم رده إلى القول، ﴿**قال**﴾ يوسف لهم ﴿ **أنتم شرٌّ مكانا** ﴾ أراد في صنيعهم بيوسف ﴿ **والله أعلم بما تصفون** ﴾ أي تقولون ، قال عطاء بن أبي رباح : أي أنتم شرٌّ فعلا طرحتم أخاكم في قعر الجب، وزعمتم لأبيكم أن الذئب أكله، وأنتم كاذبون، ثم بعتموه بعشرين درهما والذي صنعتهم بأبيكم شرٌّ مما صنعتم بيوسف، ﴿**والله أعلم بما تصفون**﴾ أي أن سرقة يوسف كانت لله رضاً .

قوله: ﴿ **قالوا**﴾ يعني إخوة يوسف ﴿ **يـٰأيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيرًا فخذ أحدنا مكانه** ﴾ واحبسه بدله، وسرحه معنا ﴿ **إنا نرىٰك من المحسنين**﴾ يعني إذا فعلت ذلك فقد أحسنت إلينا، وفعلت بنا كل خير مع إكرامك إيّانا ﴿ **قال** ﴾ يوسف ﴿ **معاذ الله**﴾ أعوذ بالله ﴿**أن نأخذ** ﴾ أن نحبس ونستعبد ﴿**إلا من وجدنا متٰعنا عنده**﴾ غير الذي وجدنا متاعنا عنده ﴿ **إنآ إذًا لظـٰلمون**﴾ أي إنا إن فعلنا ذلك إنا لظالمون، مخالفون لسنة أهل الناحية، وكانت السنة فيهم أن يكون السارق عبداً للمسروق ثلاثة أشهر.

قوله: ﴿ **فلما استيئسوا منه** ﴾ أن يخلي سبيله معهم، قال يهوذا: أيها الملك لإن لم تخل سبيله معنا لأصيحن صيحة لا يبقى في مملكتك، يريد المدينة التي كانوا فيها، حاملٌ إلا أسقطت ما في بطنها، وكان ذلك في ولد يعقوب معروفًا، فكلم يوسف ابنا له صغيراً بالقبطية يقال له إفراييم أن تضع يدك بين كتفيه ولا يشعر بك واحذر أن يراك، وكان الناس مجتمعين فدخل الصبي بين الناس حتى وضع يده بين كتفي يهوذا فذهب ذلك الغضب، وكان إذا غضب خرج شعر جسده من قميصه فالتفت يهوذا فقال والله لقد وضع يده بين كتفي إنسان

(١) انظر: تفسير سفيان بن عيينة (ص:٢٧٦)، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (ق:٩٩/ب)، والبغوي (٤٤١/٢).

من ولد يعقوب فذلك قوله ﴿ فلما استيئسوا منه ﴾ قال بعضهم: الهاء راجع إلى يوسف، أي فلما إستيئسوا من يوسف وتسريحه أخاهم، وقيل: فلما استيأسوا من خروج بنيامين معهم ﴿خلصوا نجيا ﴾ أي إعتزلوا من الناس لئلا يكون معهم سواهم، متناجين في أمر أخيهم، وهذا من فصيحات[1] القرآن والنجى والنجوى والمتناجون كلها جمع دليلة .

قال الله ﴿ وإذ هم نجوىٰ﴾[2] أي متناجون، والأنجية جمع الجمع ﴿ قال كبيرهم ﴾ اختلفوا فيه:

فقال وهب: هو يهوذا[3] وكان أعقلهم وأعلمهم.

قال مجاهد: هو شمعون[4] .

قال كعب: هو روبيل[5] وكان أسنهم.

قال محمد بن إسحاق: هو لاوي[6].

﴿ ألم تعلموا ﴾ يا إخوتي ﴿ أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله﴾ أي عهداً من الله وهو قوله ﴿ فلما أتوه موثقهم﴾ أعطوه عهدهم، وكان العهد عندهم ثقيلا شديداً ﴿ ومن قبل﴾ رفعٌ على الغاية، أي ومن قبل / هذا الشأن ﴿ ما فرطتم فى يوسف﴾ وما صلةٌ أي فرطتم وقصرتم في يوسف. ٢٦٨/أ

---

(١) سبق القول قبل هذا أن القرآن كله فصيح صحيح وأن مثل هذا القول لا يصح فلا يوصف بعض القرآن به دون بعض.

(٢) سورة الاسراء آية رقم (٤٧) .

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٤أ).

(٤) انظر: تفسير مجاهد (ص:٣١٩).

(٥) أخرج الطبري مثله عن قتادة وابن اسحاق (١٦/٢٠٦، ٢٠٧) برقم (١٩٦٢٥، ١٩٦٢٦، ١٩٦٢٨).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٤/أ).

﴿فلن أبرح الأرض﴾ أى لن أزال بأرض مصر ﴿ حتىٰ يأذن لى أبى ﴾ في الرجوع، وقيل: ﴿يأذن لى أبى﴾ حتى يبعث إلى أحداً أن آتيه ﴿ أو يحكم الله ﴾ أو يقضي الله في خروج أخي بنيامين ﴿ وهو خير الحكمين﴾ وهو أفضل القاضين.

قوله: ﴿ أرجعوا إلى أبيكم ﴾ قاله يهوذا لإخوته[1] ﴿فقولوا يـٰأبانآ إن ابنك سرق﴾ يعني الصاع قرأ الضحاك بن مزاحم: إن ابنك سُرِّق بالتشديد[2] على مالم يسم فاعله، أي نسب إلى السرقة، تقول العرب سرّقت الرجل وخونته وفسقته وفجرته وشجعته وجبنته، إذا نسبته إلى هذه الأشياء[3].

﴿وما شهدنآ إلا بما علمنا﴾ معناه: ما كانت منا شهادة في عمرنا فى شيء إلا بما علمنا وليست هذه شهادة منا وهذا خبرٌ عن صنيع قوم أو عن صنيع ابنك بزعمهم، وقيل: ﴿ وما شهدنآ إلا بما علمنا﴾ أي وما شهدنا إلا بما ظهر لنا ﴿ وما كنا للغيب حـٰفظين﴾ اختلفوا من أربعة أوجه.

فقال ابن عباس: لم نعلم ما كان يصنع في ليله ونهاره ومجيئه وذهابه[4].

وقال الكلبي: أي لم نعلم أن إبنك سرق أو يسرق ولو علمنا ذلك لم نذهب به[5].

وقال ابن كيسان: ﴿ وما كنا للغيب حـٰفظين ﴾ أي لم نعلم أنك تصاب به كما أصبت بيوسف، ولو علمنا ذلك لم نحرق قلبك ولم نذهب به[6].

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٢٤/أ).

(٢) قُرئ (سُرِّق) بضم السين وكسر الراء وتشديدها ونسبت هذه القراءة إلى كل من ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وابن أبي سريج عن الكسائي انظر: زاد المسير (٤/٢٦٧) ومختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٦٥).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٢٤/ب).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٤/ب).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٤/ب).

(٦) ذكره ايضاً ابن حبيب (ق:١٢٤/ب).

وقيل: ﴿وما كنا للغيب حـٰفظين﴾ أي قد أخذت السرقة من رحله ونحن ننظر ولا علم لنا بالغيب.

وقال عكرمه: ﴿للغيب حـٰفظين﴾ فلعلها دَسّت بالليل في رحله[1].

وقال محمد بن إسحاق: حافظين، أي لم نطلع على أنه سرق ولكنهم سرقوه[2].

﴿وسئل القرية﴾ أي: إن لم تصدقنا على ذلك سل أهل القرية ﴿التى كنا فيها﴾ أي أهل مصر ﴿والعير التى أقبلنا﴾ أي أهل الرفقة التي كنا ﴿فيها وإنا لصـٰدقون﴾ في مقالتنا فلما قدموا على أبيهم وأخبروه إشتد حزنه فقال يا بني أتذهبون وأنتم أحد عشر وترجعون وأنتم عشرة ثم تذهبون عشرةٌ فترجعون تسعةً سبحان الله كيف هذا؟ يوشك أن كان هذا دأبكم إلى أن لا يبقى منكم أحدٌ ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم ﴾ أي زّينت لكم أنفسكم ﴿ أمراً﴾ اشتهيتموه قال ابن حبيب: رأيت في بعض التفاسير المعاني: بل سولت أي شبهت وزورت وموهت لكم أنفسكم[3] أمرًا ﴿فصبرٌ جميلٌ﴾ قد مضى ذكر العلة في رفعه ﴿ عسى الله أن يأتينى بهم جميعًا﴾ أي بيوسف وبنيامين ويهوذا ﴿إنه هو العليم ﴾ بشدة حزني ﴿الحكيم﴾ الذي حكم بهذا الحزن وعظم المصيبة بابن بعد ابن.

وقيل: ﴿انه هو العليم﴾ بما في قلبي من الحرقة ﴿الحكيم﴾ حكم علي هذه المحنة، وقيل ﴿إنه هو العليم﴾ بهم، يعني ببنيه، ﴿الحكيم﴾ يحكم ردهم إلي[4].

﴿وتولىٰ عنهم﴾ أي أعرض عن بنيه كراهةً لما سمع منهم ﴿وقال يـٰأسفى علىٰ

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/ب).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/ب).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٢٤/ب): بلفظ: «رأيت في بعض المعاني سولت أي شبهت وموهت وزورت لكم أنفسكم» وهو الصواب ليستقيم المعنى.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٤/ب).

يوسف﴾ قال ابن عباس: يا حزني على يوسف[١] . قال عطاء: طول حزني على يوسف[٢]. وقال مجاهد: ياجزعاه[٣] ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ يعني من البكاء، وقال مقاتل: لم يبصر بهما ست سنين[٤] ﴿فهو كظيم﴾ فهو مغموم مكروب، وقال ابن عباس: مهموم[٥]، وقال مجاهد: ساكت،[٦] وقال قتادة/ كظيم عن الحزن لم يتكلم[٧] بسوء، وقال عكرمة: ممتلئ[٨] ٢٦٨/ب حزنا، قال ابن حبيب: وأصل الكظم الإمتلاء في اللغة، تقول العرب: كظمت الحوض أي ملأتها[٩] ﴿ قالوا تالله ﴾ بالله والله ﴿ تفتؤا تذكرُ يوسف﴾ لا تزال تذكر يوسف، تقول العرب: فتئت أفعل كذا أي ما زلت أفعل كذا ﴿تفتؤا ﴾ لا تزال ، ولا مضمرٌ فيه وهذا جواب القسم ويسمى هذا في اللغة المحذوف، وقال مجاهد: أي لا تفتؤا ﴿حتى تكون حرضاً ﴾حتى تكون كالشيخ الفاني الذي قد تغير، وقال ابن عباس: حرضًا دنفاً[١٠] أي جيفةً . وقيل: أي قريب من الموت[١١]. وقال الربيع بن أنس: حتى يكون يابس الجلد على العظم[١٢]، وقال المؤرج: حتى تكون ذائبا من الهم[١٣]، وقيل: حرضاً أي ضعيفًا لا حراك[١٤] بك، وقال أهل المعاني: حتى تكون هرمًا[١٥]. والواحد والاثنان والجمع والمؤنث والمذكر سواء

(١) أخرجه الطبري (٢١٥/١٦) برقم (١٩٦٤٧).
(٢) لم أقف عليه عن عطاء ، وفي الوسيط مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما (٦٢٧/٢).
(٣) أخرجه الطبري (٢١٥/١٦) برقم (١٩٦٤٨).
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٤٨/٢)
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/أ)، والثعلبي (ق:١٠٣//أ).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/أ).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/أ).
(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/أ).
(٩) انظر تفسير ابن حبيب (ق:١٢٥/أ).
(١٠) أخرجه الثعلبي (ق:١٠٣/ب) ، والبغوي (٤٤٤/٢).
(١١) أخرجه الطبري عن مجاهد (٢٢٢/١٦، ٢٢٣) برقم (١٩٦٨٤، ١٩٦٨٥)، والثعلبي (ق:١٠٣/ب)، والبغوي (٤٤٤/٢).
(١٢) أخرجه الثعلبي (ق:١٠٣/ب).
(١٣) أخرجه الثعلبي (ق:١٠٣/ب).
(١٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/أ) ونسبه إلى الفراءنقلاً عن بعضهم.
(١٥) انظر: زاد المسير (٢٧٣/٤) ونسبه إلى الحسن وقتادة وابن زيد.

لأنه اسم يضارع المصدر كالصوم والرضا والعدل .

﴿ أو تكون من الهـٰلكين﴾ عنـد الموت ﴿ قال﴾ يعقوب ﴿ إنمآ أشكـو بثى ﴾ كربي ﴿وحزنىٓ ﴾ بما في قلبي ﴿ إلى الله ﴾ وقيل: أشكو ضميري وحـزني إلى الله، وقال أبو عمرو بن العـلاء: البث أشد الحـزن[1] ﴿ وأعلم من الله مـا لا تعلمـون ﴾ أي أعلم من رحـمـة الله وعظمته وجـبروته وعزته وقدرته ورأفتـه على أوليائه ما لا تعلمون أنتم، وقـيل: وهو أحسن ما فيـه وأعلم من الله أن يوسف حيٌّ وذلك أنه كان رأى ملك الموت في المنام فسأله هل قـبضت روح يوسف؟ قـال: لا والله وهو حيٌّ فـاطـلبـه فـمن هـاهنا قـال يعـقـوب ﴿يـٰبنى اذهبـوا فتحسسوا ﴾ الآية قال ابن عباس: التمسوا[2] ، وقيل: اطلبوا[3] ، وقـال أهل المعاني: تخبروا أي اطلبوا الخبر ﴿من يوسف وأخيـه﴾ بنيامين[4] ﴿ ولا تايئسوا من روح الله ﴾ مـن رحمة الله ، وقيل: من رزق الله .

﴿إنه لا يايئس من روح الله إلا القـوم الكـٰفـرون ﴾ فخرجوا من عنـد يعقوب وكتب معهم كتابا من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن إلى ملك مصر أما بعد:

فإن بني أتوني يحسنون ثناك لولا ما فعلت بأخـيهم وليس ابني بسارق ولا إخوته بسراق وإنا أهل بيت قد اصطفـانا الله وعظمنا من كل سرقـة وجعلنا له أولياء وأنبـياء فخل سـبيل ابني وادفعه إلى إخوته يتم معروفك إلينا فلما دخلوا على يـوسـف ودفعوا إليه كتاب يعقوب ﴿ قالوا يـٰأيها العزيز﴾ قال الأصمعي: العزيز المـلك بلغة حمير[5] ﴿ مسنا وأهلنا الضر ﴾ أي أصابنا الجهد والجوع ﴿ وجئنا ببضـٰعة مزجـٰة ﴾ حقيرة .

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/أ) وبمثله قال البغوي (٤/٤٤٤).
(٢) أخرجه البغوى (٢/٤٤٦)، وابن حبيب (ق:١٢٥/ب).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/ب).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/ب).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/ب).

وقال عطاء: ببضاعة مزجاة، ليس كدراهمكم[1] وذلك أن دراهم يوسف كانت تضرب فيها صورة يوسف والتي جاؤا بها ليس فيها صورة يوسف وهي أدنى [لا تجوز مجاز تلك][2] وقال بعضهم جاؤا بصوف وأقط وخرنوب نوع من الدواء[3] .

قال الضحاك: مزجاة أي فاسدة غير نافقة[4].

وقال قتادة ومجاهد: مزجاةٌ يسيرةٌ[5].

وقال سعيد بن جبير: فسول وزيوف[6] وأصل الفسل الشيء الرديء .

وقال السدّي: ناقصةٌ[7].

وقال عكرمة: قليلة. قال الحسن : كانت البضاعة صوفا وسمنا[8] وأقطا .

وقال مقاتل بن حيان: كانت البضاعة الحبة الخضراء والصنوبر.[9]

﴿فأوف لنا الكيل﴾ أي/ تممه لنا ﴿وتصدق علينآ إن الله يجزى المتصدقين﴾ أي ٢٦٩/أ يثيبهم في المعاد فلما قرأ كتاب يعقوب ارتعدت مفاصله واقشعر جلده ولان قلبه وأرخى عينيه

(١) لم أقف عليه عن عطاء . وروي عن ابن عباس مثله، انظر: الوسيط (٢/٦٣٠).

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب (لا تجوز مكان تلك) أي دراهمنا زيفة لا تجوز مكان الدراهم الحقيقية.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/ب).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/٢٣٩) برقم (١٩٧٧٢) .

(٥) أخرجه الطبري (١٦/٢٣٨) برقم (١٩٦٠) عن مجاهد بلفظ قليلة وعن قتادة (١٦/٢٤٠) برقم (١٩٧٧٧) بلفظ يسيرة والمعنى واحد.

(٦) أخرجه الطبري (١٦/٢٣٦) برقم (١٩٧٤٨).

(٧) أخرج الطبري مثله عن عكرمة (١٦/٢٣٩) برقم (١٩٧٦٧) وعن سعيد بن جبير برقم (١٩٧٧٣).

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/ب) وأخرج الطبري مثله عن عبدالله بن الحارث (١٦/٢٣٧) برقم (١٩٧٥١).

(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٥/ب) وخرج مثله ابن جرير عن أبي صالح (١٦/٢٣٧) برقم (١٩٧٥٣).

بالبكاء ﴿ **قال** ﴾ يوسف لإخوته ﴿ **هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه** ﴾ بنيامين ﴿**إذا أنتم جاهلون**﴾ المؤن ﴿ **قالوا**﴾ يعني إخوة يوسف ﴿ **أءنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينآ** ﴾ حين أنجاني من البئر وحين أنقذني من بلايا تلك المرأة وحين خلصني من السجن وحين ملكني مصر وأهله. وقيل: قد من الله علينا تفضل الله علينا بكل خير في الدنيا والآخرة وذلك أن جبريل كان يأتيه كما يأتي الأنبياء فيخبره حتى سأله عن يعقوب فقال يوسف أيها الملك الحسن وجهه الطيب ريحه الكريم على ربه ما فعل الشيخ يعقوب؟ قال: حي. قال فما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فما بلغ من أجره؟ قال: أجر ألف شهيد ﴿ **إنه من يتق ويصبر** ﴾ على المصائب وعن المعاصي ﴿ **فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**﴾ الصابرين ﴿ **قالوا تالله** ﴾ والله ﴿ **لقد ءاثرك الله** ﴾ لقد فضلك الله ﴿ **علينا** ﴾ واختارك في العلم والمملكة والحسن ﴿ **وإن كنا لخطئين** ﴾ أي وما كنا إلا مذنبين ﴿ **قال**﴾ يوسف ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم**﴾ .

قال ابن عباس: لا تعيير عليكم اليوم[1] .

وقال الأخفش: لا ملامة عليكم[2].

وقال أبو عمرو بن العلاء: لا تقريع عليكم وهو اللوم[3].

قال الكسائي: لا تقرير عليكم[4] أي لا أقرركم بذنبكم، وقال النضر بن شميل: لا

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/أ)، وحكاه الماوردي عن سفيان ابن عيينه (٧٥/٣) ، وقال به الواحدي في الوسيط دون عزو (٦٣١/٢).

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٢٦/أ). ونسب هذا القول الواحدي في الوسيط لابن عباس رضي الله عنهما (٦٣١/٢).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/أ).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/أ).

تخليــط[1] عليكم ، قال ابن حبيب: وأصل التثريب في اللغة التعيير وهو لغة أهل الحجاز دون غيرهم[2] ﴿ يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾.

قوله: ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا﴾ قال ابن عباس: فحمله يهوذا دونهم وخرج حافيا وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة، وكانت المسافة ثمانين فرسخا[3] ، وذلك أن يوسف أخرج لهم تعويذاً من فضة كانت في عنقه يخفيها منهم ولم يعلم بها إخوته فيها قميصٌ وهذا القميص الذي نزل به جبريل من الجنة على إبراهيم إذ كان فى النار فوهبه إبراهيم لإسحاق ووهبه إسحاق ليعقوب ووهبه يعقوب ليوسف[4] ﴿فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا﴾ ويذهب البياض الذي على عينه ﴿ وأتونى بأهلكم أجمعين﴾ أي وجيئوا بجميع أهلكم وكان جميع أهل بيت يعقوب في ذلك الوقت اثنين وسبعين نفساً ﴿ولما فصلت العير ﴾ من أرض مصر متوجهاً إلى كنعان وجد يعقوب ريح يوسف من ثمانين فرسخا ﴿ قال أبوهم﴾ لولد ولده[5] ﴿ إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾ لولا أن تكذبون . قاله ابن عباس[6] .

وقال مجاهد: لولا أن تقولوا ذهب عقلك[7] .

قال قتادة: لولا أن تسفهون[8].

---

(١) إلى مثل هذا القول ذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/٣١٨).

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٢٦/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/ب).

(٤) هذا كلام يحتاج إلى دليل، وما كان ليوسف أن يضع التعاويذ عليه، وأمّا القميص فهو قميصه الذي كان يلبسه لأن رائحته فيه كما هو ظاهر القرآن.،

(٥) أي أحفاده أبناء الأبناء.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري (١٦/٢٥٥) برقم (١٩٨٤٣).

(٧) أخرجه الطبري (١٦/٢٥٥) برقم (١٩٨٣٠).

(٨) أخرجه الطبري (١٦/٢٥٣) برقم (١٩٨٢٧).

وقال السدّي: / لولا أن تهّرمون[1] .قال علي بن أبي طلحة: لولا أن تجهلون[2]. قال ٢٦٩/ب الأخفش: لولا أن تلومون[3]. قال الكسائي: لولا أن تعجزون[4] ، قال أبو عبيدة: لولا أن تضللوني[5].

قال الأستاذ ابن حبيب: وهو أعجب الأقاويل اليّ لدليل ما قبله وما بعده أما ما قبله، قالوا في أول السورة ﴿إن أبانا لفى ضلـٰل مبين﴾ وما بعده، قالوا حين قال لهم أبوهم إني لأجد ريح يوسف ﴿تالله إنك لفى ضلـٰلك القديم﴾[6] قال يعني أولاد أولاده إنك لفي ضلالك القديم وروى عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه أنه قال معناه: إنك في محبتك القديمة ليوسف[7] ويؤيد هذا تأويل بعض المفسرين في قوله ﴿ ووجدك ضالاً فهدىٰ﴾[8] أى ووجدك محبًا فثبتك على الحب ﴿فلمآ أن جآء البشير﴾ يعني يهوذا أتاه بخبره ويبشر بهم ﴿ ألقىٰه علىٰ وجهه﴾وألقى القميص على وجه أبيه ﴿فارتد بصيرا﴾ أي رجع بصيرا في الوقت، وقيل انجلى البياض وذهبت الظلمة ورجع إليه جماله ﴿قال﴾ يعقوب لبنيه ﴿ الم أقل لكم إنى أعلم من الله ﴾ من رحمة الله وعظمته وجبروته وعزته وقدرته ورأفته على أوليائه ﴿ ما لا تعلمون ﴾ من حياة يوسف وبقائه ﴿ قالوا يـٰأبانا استغفر لنا ذنوبنآ إنا كنا خـٰطئين﴾ أثمين ﴿قال﴾ يعقوب ﴿سوف استغفر لكم ربى﴾ قال مجاهد: أخّر دعاءه إلى وقت السحر[9] ، وبقي سدس

(١) أخرجه الطبري عن كلٍ من مجاهد والحسن (١٦/٢٥٥) برقم (١٩٨٤٤، ١٩٨٤٦).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/ب).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/ب).
(٤) انظر المصدر السابق.
(٥) انظر المصدر السابق.
(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٢٦/ب).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/ب).
(٨) سورة الضحى آية رقم (٧).
(٩) لم أجده عن مجاهد ولكن أخرج ابن جرير مثله عن ابن مسعود، وإبراهيم التيمي، وعمرو بن قيس وابن جريج (١٦/٢٦٢) برقم (١٩٨٧١، ١٩٨٧٢، ١٩٨٧٣، ١٩٨٧٤). وقال البغوي: قال اكثر المفسرين: أخّر الدعاء إلى السحر (٢/٤٤٩).

الليل لأن الدعاء في ذلك الوقت مجابٌ ويؤيد قول مجاهد ما روى عن سفيان الثوري، أنه قال: إن لله ريحًا يقال لها الصبحة تهب وقت الأسحار، تحمل الاستغفار والدعاء والأذكار إلى الملك الجبار[١].

قال وهب: ﴿سوف أستغفر لكم ربى﴾ قال: ليلة الجمعة، كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة[٢] ﴿ إنه هو الغفور ﴾ لذنوبكم ﴿ الرحيم ﴾ في رد أولادي عليّ. وقيل: ﴿ الغفور ﴾ لمن تاب ﴿ الرحيم ﴾ بأوليائه.

قوله: ﴿ فلما دخلوا على يوسف ﴾ وذلك أنه لما جاءته البشارة، وقال له يهوذا أن الملك العزيز الذي ملك مصر وأهلها هو ابنك يوسف، وقد بعث إليك جهازًا ومائتي راحلة وسألك أن تخرج ومن معك ممن وراك إليه وهو قوله: ﴿ وأتونى بأهلكم أجمعين ﴾ قال: فتهيأ يعقوب للخروج، وخرج معه جميع أهل بيته وهم اثنان وسبعون من ذكر وأنثى، فدخلوا على يوسف فذلك قوله ﴿ فلما دخلوا على يوسف ءاوى إليه أبويه ﴾، ضم إليه أبويه، يعني يعقوب وخالته أخت راحيل، واسمها ليا، وكانت راحيل أمه قد ماتت فسمى الخالة بالأمومة كما يسمى العم بالأبوة كقوله ﴿ قالوا نعبد الهك وإله ءابآئك إبرهيم وأسمعيل وإسحق﴾[٣] فسمى العم أبا لأن عم الرجل صنو أبيه كما أنه سمى الخالة أمًا . وقال بعض أهل العلم: بعثت له أمه حتى رآها مع أبيه[٤] ﴿ وقال ادخلوا مصر إن شآء الله ءامنين ﴾ أي إنزلوها فإن سئلت عن الاستثناء ها هنا أي فائدةٍ فيه وكانوا دخلوا مصر كرتين، قلنا: الاستثناء وقع على الأمر لا على الدخول نظيره ﴿وليدخلن المسجد الحرام إن شآء الله ءامنين﴾[٥] وقيل: إن بمعنى إذ كنتم / آمنين ﴿ولا تكرهوا فتيتكم على البغاء إن أردن تحصناً﴾[٦] يعني إذ أردن تحصنا. ٢٧٠/أ

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٦/أ)

(٢) تفسير ابن حبيب (ق:١٢٦/أ)، والبغوي (٤٤٩/٢).

(٣) سورة البقرة آية ١٣٣.

(٤) لم أجد لهذا القول أصلاً ولا أظنه الا من الإسرائيليات التي لا تصح .

(٥) سورة الفتح آية (٢٧).

(٦) سورة النور آية (٣٣).

وقال الحسين بن الفضل: الكلام مردودٌ إلى ما قبله، وتقديره سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله وادخلوا مصر آمنين[1] ﴿ورفع أبويه﴾ يعقوب وخالته ﴿على العرش﴾ أي على السرير ﴿وخروا له سجدًا﴾ أي وخروا لله سجداً عند ذلك[2]. قال وهب: ﴿وخروا له سجدا﴾ من غير وضع الجباه على الأرض، لأن وضع الجباه على الأرض لا يصلح إلا لله، وكان رسمهم في ذلك الوقت الانحناء والتطاطؤ من الوضيع للرفيع،[3] قال ابن حبيب: وأصل السجود الإنحناء والتواضع[4].

﴿ وقال ﴾ يوسف ﴿ يـٰأبت هـذا تأويل رءيـٰـي ﴾ أي قوله ﴿ والشمس والقمر رأيتهم لى سـٰجدين ﴾، ﴿ قد جعلها ربى حقا ﴾ صدقًا ﴿وقد أحسن بى إذ أخرجنى ﴾ حين أخرجني ﴿ من السجن﴾ فإن قيل: لم لم يقل من البئر؟

قلنا لأنه لو قال أخرجني من البئر كان فيه تعيير لإخوته والقاؤه في البئر من فعل إخوته ويوسف قد عفا عنهم التعيير بقوله: ﴿ لا تثريب عليكم ﴾ فلهذا قال ﴿إذ أخرجنى من السجن﴾، ولم يقل من البئر فراراً من تعيير إخوته. ﴿ وجآء بكم من البدو﴾ من البادية وكان يعقوب قد تحول إلى بدو سكنها، وله بها مسجد تحت جبلها ومنها قدم على يوسف فلذلك قال وجاء بكم من البدو من البادية ﴿ من بعد أن نزغ الشيطـٰن بينى وبين إخوتى﴾، من بعد ما أغوى الشيطان بيني وبين إخوتي، وقال عكرمة: من بعد ما أفسد[5].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق/١٢٣/أ).

(٢) قال ابن كثير: (٤/٣٣٥): أي سجد له أبواه وإخوته الباقون ... وقد كان هذا سائغًا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام ، فحرم هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصاً بجناب الرب سبحانه وتعالى. هذا مضمون قول قتادة وغيره. أهـ.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق/١٢٧/أ).

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق/١٢٧/أ).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق/١٢٧/ب)، وقال بذلك ابن جرير الطبري (١٦/٢٧٧) دون أن يعزوه إلى أحد، وكذا الثعلبي (ق/١١٣/أ)، والبغوي (٢/٤٥١).

قال ابن حبيب: وأصل النزغ في اللغة التحريك والتهييج[1] . وقال: رأيت في بعض الكتب أن يوسف لما جمع الله شمله وشمل أبيه وإخوته أخذ بيد أبيه فجعل يطوف به في خزائنه، فأدخله خزانة الذهب والورق، وخزانة السلاح، وخزانة الحلي والحلل، وخزانة الثياب، ثم أدخله خزانة القراطيس والكاغذ فرأى يعقوب من كثرتها ما شاء الله فقال يا بني [ما أقل غمك][2] لأبيك، قال يوسف: وما هو يا أبة؟ قال يعقوب: عندك كل هذا يعني القراطيس وكنت مفارقًا من أربعين سنة على ثمان مراحل فما الذي صدك عن مكاتبتي؟ قال يوسف: أمرني جبريل بذلك قال أفلا تسأله قال أنت يا أبة أبسط إليه مني، فجاء جبريل فسأله يعقوب أأنت نهيت ولدي يوسف عن مكاتبتي؟ قال : نعم ، قال: ولم؟ قال لأن الله أمرني بذلك، قال أفلا تسأله؟ قال نعم فمضى وسأل الله [جل][3] ذكره وذكر له الحال فقال قل لعبدي يعقوب أنسيت يوم قال لك بنوك أرسله معنا غداً نرتع ونلعب، وقولك لهم إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب ولم تذكرني في ذلك الوقت يا يعقوب[4].

﴿إن ربى لطيف لما يشآء﴾ أي بارٌ بمن يشاء وقيل: (لطيفٌ بما يشاء) أي عالم بدقائق الأمور وحقائقها والسر والعلانية عنده بمثابة، وقيل: إن ربي لطيفٌ رفيقٌ وبارٌ بما[5] يشاء ﴿ إنه هو العليم﴾ بحال أبي وحال إخوتي ﴿ الحكيم﴾ حكم الجمع بيني وبينهم ثم دعا ربه وشكره. فقال: ﴿ رب قد ءاتيتنى من الملك ﴾ وهذه الآية دعاء يوسف. قال قتادة: ما سمعنا عفواً مثل عفو يوسف وهو قوله لإخوته ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾ وما سمعنا دعاء مثل دعاء

(١) انظر: تفسيره (ق:١٢٧/ب).
(٢) كذا في الأصل، وعند ابن حبيب [ما أعقك]. انظر: تفسيره (ق:١٢٧/ب).
(٣) ساقط من الأصل، تم استدراكه من تفسير ابن حبيب.
(٤) ذكر هذه القصة بحذافيرها أبو القاسم ابن حبيب (ق:١٢٧/ب) ويلوح عليها طابع قصص بني اسرائيل ولا دليل على صحتها.
(٥) ذكر الوجهين ابن حبيب (ق:١٢٧/ب) ثم قال والآية تتضمن الوجهين جميعاً.

يوسف وهو قوله[١] ﴿ رب قد/ ءاتيتنى﴾ قد أعطيتني ﴿ من الملك ﴾ ومن صلةٌ، وأراد بالملك ، ٢٧٠/ب ملك مصر أربعين فرسخًا في أربعين فرسخاً، وقال بعضهم ﴿ من ﴾ مثبتٌ وهو حرف التبعيض ﴿ وعلمتنى من تأويل الأحاديث ﴾ يعني تعبير الرؤيا ﴿ فاطر ﴾ يعنى خالق ﴿السموٰت والأرض أنت ولى ﴾ ناصري ، ومعينى ومتولي أمري ﴿ فى الدنيا والأخرة ، توفنى مسلمًا ﴾ ، إجعل وفاتي على الإسلام، يعني لا تسلبنى الإسلام . حتى تتوفاني عليه، ﴿وألحقنى بالصـٰلحين ﴾ يعني بإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

قال ابن حبيب: وذلك لمّا انتظمت أسبابه واطررت أحواله، واتسعت أموره، والتأم مراده إشتاق إلى ربه فقال: ﴿ توفنى مسلمًا ﴾ الآية[٢].

قال ابن عباس: ما تمنى نبيٌّ الموت إلا يوسف[٣] ﴿ذلك﴾ يا محمد ﴿ من أنبآء الغيب ﴾ أي من أخبار الغيب التي غابت عنك وعن قومك، ﴿ نوحيه ﴾ أي نرسله ونقرأه ﴿إليك﴾ عليك ﴿ وما كنت ﴾ يا محمد ﴿ لديهم ﴾ عندهم يعني بني يعقوب ﴿ إذ أجمعوا أمرهم ﴾ حين عزموا على أمرهم ﴿ وهم يمكرون ﴾ في أمر يوسف إلى هنا قصة يوسف.

قوله: ﴿وما أكثر الناس ﴾ يا محمد أي أهل مكة ﴿ ولو حرصت بمؤمنين ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت، أي ليسوا بمؤمنين ولو اشتد حرصك على إيمانهم ﴿ وما تسئلهم ﴾ يا محمد يعني أهل مكة ﴿ عليه ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ من أجر﴾ من مال يعطونك ، قال ابن حبيب: هذه الآية ردٌّ على الروافض في الآية التي احتجوا بها على أن للرسول على الناس جُعلا وأجرًا على تبليغ الوحي[٤]، بقوله: ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربىٰ ﴾[٥].

(١) لم أقف على قول قتادة هذا عند أحد من المفسرين.

(٢) انظر: تفسيره (ق:١٢٨/أ).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/٢٧٩) برقم (١٩٩٤١)، وروي عن قتادة مثله انظر: تفسير البغوي (٢/٤٥١)، والوسيط (٢/٦٣٦).

(٤) انظر تفسير أبي القاسم ابن حبيب (ق:١٢٨/أ).

(٥) سورة الشورى آية ٢٣.

قال الحسين بن الفضل: هذه الآية منسوخةٌ بأربع آيات.

إحدها: هذه الآية . والثانية: قوله ﴿ **أم تسئلهم أجرًا فهم من مغرم مثقلون** ﴾[1]، والثالثة: ﴿ **قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله** ﴾[2] . ﴿ **إن هو** ﴾ أي ما هو ﴿ **إلا ذكرٌ للعلمين** ﴾ يعني موعظةً وشرفا للمتقين.، الرابعة: ﴿ **قل مآ أسئلكم عليه من أجر ومآ أنا من المتكلفين** ﴾[3][4].

قوله: ﴿ **وكأين من ءاية** ﴾ وكم من علامة ﴿ **فى السموت والأرض** ﴾ يعني في السموات: الشمس والقمر والنجوم، وفي الأرض الشجر والدواب والبحار والأنهار ﴿ **يمرون عليها وهم عنها معرضون** ﴾ أي بقلوبهم لا يعتبرون فيها.

وقال الضحاك: آيات السموات: الشمس والقمر والنجوم وآيات الأرض: الأمم الهالكة وخرّابها مثل قوم نوح ولوط وعاد وشعيب[5] ومثلها ﴿ **يمرون عليها** ﴾ على الأرض ﴿ **وهم عنها معرضون** ﴾ ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم** ﴾ به ﴿ **مشركون** ﴾

وهذه آيةٌ صعبة الظاهر، ولها معاني يُسَلّمُ بها من طعن الطاعنين الذين يقولون كيف جمع بين الإيمان والشرك.؟

أحدها: ما قاله ابن عباس: ﴿ **وما يؤمن أكثرهم** ﴾ الآية وذلك حين سئلوا من خلقكم

---

(١) سورة الطور آيه ٤٠، وسورة القلم آية رقم ٤٦.

(٢) سورة سبأ آية رقم ٤٧.

(٣) سورة (ص) آية رقم ٨٦.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٨/أ)، ودعوى النسخ لا تصح لأن الأنبياء لا يسألون على تبليغهم أجراً، والمعنى لكني أذكركم المودة في القربى قال ابن الجوزي: وقد روى هذا المعنى جماعة عن ابن عباس، منهم العوفي، وهذا اختيار المحققين، وهو الصحيح أهـ.
انظر: زاد المسير (٧/٢٨٤).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٨/أ).

ومن أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله[١] فهذا إيمانهم، ثم هم يعبدون الأوثان ويقولن هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى[٢] فهذا شركهم[٣].

وقال مجاهد: هذا في التلبية وذلك أنهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك[٤].

وقال عطاء بن أبي رباح: قال أهل مكة: ربنا الله وحده لا شريك / له والملائكة بناته ٢٧١/أ فلم يؤمنوا إلا قد أشركوا، وقالت اليهود: ربنا الله لا شريك له وعزيرٌ بن الله فلم يؤمنوا، وقالت النصارى: ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابنه فلم يؤمنوا، وقال عبدة الشمس والقمر: ربنا الله وحده لا شريك له وهم لا يذرون عبادتهما فلم يؤمنوا وهم نوع من المجوس[٥].

فذلك قوله: ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون أفأمنوا ﴾ الألف ألف التوبيخ ﴿أن تأتيهم﴾ أي أهل مكة ﴿غـٰشية من عذاب الله﴾ وقال قتادة: عذابٌ من عذاب الله[٦].

﴿ أو تأتيهم الساعة ﴾ أي القيامة ﴿ بغتةً ﴾ أي فجأةً ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ لا يعلمون ما شأنها وذلك أنها لا تكون إلا بغتةً، وقد جاء أشراطها مع النبي ﷺ، من انشقاق القمر

(١) يشير إلى آية العنكبوت رقم ٦٣.
ونص الآية: ﴿ ولئن سألتهم من نزّل من السمآء مآءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ﴾.

(٢) يشير إلى آية سورة الزمر رقم (٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/٢٨٨، ٢٨٩) برقم (١٩٩٦٩).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٨/أ)، وأخرج الطبري مثله عن ابن زيد (١٦/٢٨٩) برقم (١٩٩٧٣).

(٥) أخرجه الطبري (١٦/٢٨٩) برقم (١٩٩٧١) عن عطاء مختصراً بلفظ: «قال يعلمون أن الله ربهم وهم يشركون به بعد».

(٦) أخرجه الطبري (١٦/٢٩١) برقم (١٩٩٧٩).

وغيره.وقال رسول الله ﷺ « بعثت أنا والساعة كفرسي رهان»[1] ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **هذه سبيلي**﴾ أي دعوتي ﴿ **أدعوا إلى الله** ﴾ توحيد الله قال مقاتل: أي ديني ﴿ **أدعو إلى الله على بصيرة** ﴾ أي على علم ودين ويقين ﴿ **أنا ومن اتبعني** ﴾ يعني أهل بيتي وأصحابي أيضاً يدعون إلى توحيد الله، ﴿ **وسبحن الله** ﴾ أي تنزيها لله وتنزيه الله من قول الملحدين وشرك المشركين وعدوان الظالمين ﴿ **وما أنا من المشركين** ﴾ يعني وما أنا من الذين اتخذوا مع الله ضداً ونداً وكفواً وولداً.

قوله: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً** ﴾ يعني الأنبياء ليس فيهم امرأةٌ ﴿ **نوحى إليهم من أهل القرى** ﴾ من أهل المدائن، لأن الله لم يبعث نبياً من أهل البدو والرساتيق[2]، لأن فيهم جهلاً وجفاء، بيانه قوله ﷺ « إن الجفاء والقسوة في الفدادين يعني أهل الحروث والزروع والمواشي[3] ﴿ **أفلم يسيروا فى الأرض** ﴾ أي أهل مكة ﴿ **فى الأرض** ﴾ يريد، الشام وأرض اليمن[4] ﴿ **فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم** ﴾ من قبل أهل مكة يعني فينظروا كيف آخر أمر الذين (كانوا أنبياى)[5] مثل قوم لوط وقوم شعيب ﴿ **ولدار الأخرة** ﴾ يعني الجنة

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٤٠/١٦): بلفظ وروى: «بعثت والساعة كفرسي رهان».
وفي الصحيحين: «بعثت أنا والساعة كهاتين - وضم السبابة والوسطى».
البخاري (١٩٠/٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٥١).

(٢) الرساتيق: جمع رستاق، وهي كلمة فارسية معربة، ومعناها السواد.
انظر: اللسان، مادة (رستق).

(٣) البخاري (١٢٢/٥) كتاب المغازي (٧٤/٦٤) ولفظه والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومُضَر.
ومسلم (٧١/١) كتاب الإيمان حديث رقم (٨١).

(٤) يشير إلى رحلتي الشتاء والصيف المشار إليها في كتاب الله تعالى في سورة قريش، ولا دليل على تخصيص الأرض في الآية بأرض الشام واليمن فهو تخصيص بلا مخصص وحمل الآية على العموم أولى. انظر الطبري (٢٩٣/١٦، ٢٩٤).

(٥) كذا في الأصل، ولعل الصواب: [كذبوا أنبيائي].

﴿خيرٌ للذين اتقوا ﴾ الشرك والفواحش ﴿ أفلا تعقلون ﴾ يا أهل مكة ، فرقاً بين الآخرة والأولى.

قوله: ﴿ حتى إذا استيئس الرسل ﴾ يعني فلما يئس الرسل من قومهم أن يؤمنوا وقالت عائشة ﴿ حتى إذا استيئس الرسل ﴾ يعني قنطوا من إيمان قومهم[1] ، ﴿ وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ الوعيد، ومن قرأ بالتشديد، فمعناه وأيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم ﴿ جآءهم نصرنا ﴾ نصر الله، نصر النبيين، وحل بالمكذبين العذاب ﴿ فنجيّ من نشآء ﴾ يعني قوم يونس.

﴿ ولا يرد بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ المشركين لأن العذاب إذا نزل لم نرده عن أحد وإن ءامن عند نزوله، لأن الله لم يفعل هذا / بأحد إلا بقوم يونس كما قال تعالى: ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا ءامنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمـنهم﴾ الآية[2]. ٢٧١/ب

وقال في نجاة قوم يونس ﴿ فلولا كانت قرية ءامنت ﴾ الآية[3] .

قوله: ﴿ لقد كان فى قصصهم عبرةٌ ﴾ يعني في قصة إخوة يوسف عبرةٌ فكرةٌ ﴿ لأولى الألبـب ﴾ لأهل العقول ﴿ ما كان حديثا يفترى﴾ أي ما كان هذا القرآن حديثًا يفترى، يختلق من دون الله ويتقوله بشرٌ ﴿ ولـكن ﴾ هذا القرآن ﴿ تصديق الذى بين يديه ﴾ موافق لما بين يديه في التوراة والإنجيل، وصدق القرآن ما فيها من قصة يوسف وإخوته ﴿ وتفصيلَ كُلِّ شىء﴾ وتبين الحلال والحرام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، ﴿ وهدى ﴾ من الضلالة ﴿ ورحمة ﴾ من العذاب لمن اتعظ ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ يصدقون بما جاء به محمدٌ من عند الله.
قال ابن حبيب: روينا عن وهب أنه عاش يعقوب بعد التقائه بيوسف هو وبنوه أربعًا وعشرين سنة في أسر حالٍ، وأنعم بالٍ، وخَفْضٍ ودعةٍ، فلما حضرته الوفاة دعا بنيه فقال ﴿يا يـبني إن

(١) أخرجه الطبري (١٦/٣٠٧، ٣٠٨) برقم (٢٠٠٣١، ٢٠٠٣٢).
(٢) سورة غافر آية رقم ٨٤، ٨٥.
(٣) سورة يونس آية رقم ٩٨.

الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[1] ثم قال لبنيه **﴿ ما تعبدون من بعدى﴾**[2] الأية ووصى يوسف عليه السلام بحمله إلى الأرض المقدسة ودفنه عند قبور آبائه، فلما قبض حمله يوسف على عجل وخرج به يهوذا وروبيل فدفنوه عند قبور آبائه، وكان عمره مائة وسبعة وأربعين سنةً، وعاش يوسف بعد موت أبيه ثلاثا وعشرين سنةً، فلما حضرته الوفاة أمر أن يحمل إلى الأرض المقدسة فيقبر عند آبائه ففعلوا ذلك وهو أول رسول من بني إسرائيل، ثم انصرف بالنبوة بعد موت يوسف إلى روبيل ثم إلى يهوذا وكان عمره مائه وعشرين سنة قال كعب: دخل يعقوب مصر في اثنين وسبعين من رجل وامرأة، وخرجوا من مصر وكانت المقاتلة منهم ستمائة الف وخمسمائه ونيف وأربعين من ذكر وأنثى في أيام موسى عليه السلام وكانت الذرية ألف ألف وسبعمائة ألف وخمسمائه ونيف وأربعين من ذكر وأنثى وكان بين يوسف وموسى أربعمائة سنة[3].

* * *

(١) سورة البقرة آية ١٣٢.

(٢) سورة البقرة آية ١٣٣.

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٢٨/ب/١٢٩/أ).

تفسير سورة الرعد

هذه السورة كلها مكيةٌ وهي أربعون وثلاث آيات في الكوفي وأربع في المدني وخمس في البصري وكلماتها ثمانمائة وثلاث وخمسون كلمةٍ وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وستة وثمانون حرفًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الرحيم الودود الذي يأمر بالعهود، وينهى عن الصّدود.

قوله: ﴿الـمر﴾ قال الكلبي: عن أبي صالح عن ابن عباس إني أنا الله أعلم وأرى[1]، وعن ابن عباس أيضًا ﴿الـمر﴾ الألف الله، واللام جبريل والميم محمد[2] / ٢٧٢/أ والراء رسل رحمة لجميع العالمين، ومعناه الله نزل جبريل إلى محمد بالرحمة لجميع العالمين وقيل: ﴿الـمر﴾ أنا الله الملك الرحمن الرحيم[3] ﴿**تلك ءايت الكتب**﴾ أي هذه آيات الكتاب قال ابن عباس: يعني القرآن[4]، ﴿**والذى أنزل إليك من ربك الحق**﴾ هو القرآن أيضا.

قال قتادة: تلك آيات الكتاب يعني التي أنزلت من قبل القرآن والذي أنزل إليك من ربك هو الحق[5] يعني القرآن.

---

(١) أخرجه الطبري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (١٦/٣٢٠) برقم (٢٠٤٤)، وعن أبي الضحى عن ابن عباس (٢٠٠٤٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٢/١) ونسبه إلى ابن عباس.

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره (٣٠٠/٣) وقال رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٩/أ).

(٥) أخرجه الطبري عن قتادة (١٦/٣٢٠، ٣٢١) برقم (٢٠٠٤٧، ٢٠٠٥٠).

قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة وذلك أنهم قالوا إنَّ محمداً يقول القرآن من تلقاء نفسه[1] فأنزل الله هذه الآية.

قال الفراء: الحق إن شئت جعلت محل الذي رفعًا بالحق والحق رفعًا بالذي كالإبتداء والخبر.

وإن شئت جعلت محل الذي خفضاً فيكون تقديره تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك[2] ﴿ **ولكن أكثر الناس** ﴾ أهل مكة ﴿ **لا يؤمنون** ﴾ أن القرآن من عند الله وكلامه ووحيه وتنزيله ﴿ **الله الذى رفع السمٰوات بغير عمدٍ ترونها** ﴾ قال ابن حبيب: هذه من جملة مائة وثمانين آية أجوبة لسؤال المشركين رسول الله ﷺ أن الرب الذي تعبده ما فعله وما صنيعه فأنزل الله ﴿ **إن ربكم الله الذى خلق السمٰوات والأرض** ﴾[3] و ﴿ **الله يبدأ الخلق ثم يعيده** ﴾[4] ﴿ **الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾[5][6] ﴿ **الله الذى رفع السمٰوات** ﴾ الآية اختلفوا فيه فمنهم من نفى العمد والرؤية وقالوا: معناه رفع السموات بغير عمد ترونها وهذه طريقة الكلبي ومجاهد[7] ومنهم من أثبت العمد ونفى الرؤية وهو ابن عباس[8] يقول: أن لها عمداً يعتمد على قاف وهو جبل من زبرجد محيط بالدنيا[9] ولكن لا ترونها ﴿ **ثم استوى**

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٣٦٦).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٥٧، ٥٨).

(٣) آية ٥٤ من سورة الأعراف ورقم ٣ من سورة يونس.

(٤) آية رقم ١١ من سورة الروم.

(٥) آية رقم ٤٠ من سورة الروم.

(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٢٩/أ).

(٧) الذي ثبت عن مجاهد وأخرجه الطبري عنه (١٦/٣٢٣) برقم (٢٠٠٥٣، ٢٠٠٥٤) يثبت العمد وينفي الرؤية. وانظر تفسير مجاهد (٣٢٣).

(٨) أخرجه الطبري (١٦/٣٢٣) برقم (٢٠٠٥١، ٢٠٠٥٢).

(٩) هذه من خرافات زنادقة بني إسرائيل.

على العرش ﴾ أي غلب وقهر على العرش[1] وقد مّر ذكره في سورة الأعراف ﴿**وسخر الشمس والقمر**﴾ أي ذلل الشمس بالنهار والقمر بالليل ﴿**كل يجرى لأجل مسمى** ﴾ اللام بمعنى إلى، قال مقاتل ابن سليمان: الأجل المسمى يوم القيامة[2] يعني أن الشمس والقمر يجريان إلى أن تقوم الساعة وأجلها أن الله يسلب ضوءها ويجمعها كما قال في قوله ﴿ **وجمع الشمس والقمر** ﴾[3] أي سلب ضوءهما كأنهما ثوران عقيران ﴿ **يدبر الأمر** ﴾ يعني من السماء إلى الأرض ليس له وزيرٌ ولا ندٌّ ولا ضدٌّ ﴿ **يفصل الأيـٰت** ﴾ بينها لكم هذا كله آيات لا يقدر عليها غيري ولا معي فيها وزيرٌ ولا شريك ولا عون ﴿ **لعلكم بلقآء ربكم توقنون** ﴾ بالبعث بعد الموت يا أهل مكة وتصدقوا .

قوله : ﴿ **وهو الذى مد الأرض** ﴾ أي بسطها على وجه الماء ﴿ **وجعل فيها رواسى**﴾ وخلق لها جبالاً ثوابت لئلا تميد بأهلها ﴿ **وأنهـٰراً** ﴾ أي وجعل فيها أنهاراً من الماء ﴿ **ومن كل الثمرٰت** ﴾ ومن ألوان كل الثمرات .

﴿ **جعل فيها زوجين اثنين** ﴾ يعني صنفين كل صنف زوج واختلفوا في الزوجين . فقال قومٌ: ردّهما إلى الذكر والأنثى اعتباراً بقوله ﴿ **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى** ﴾[4] ﴿ **يغشى الـيل النهار** ﴾ يعني الليل والنهار معناه: يغطي النهار ظلمة الليل وظلمة الليل ضوء النهار ﴿ **إن فى ذلك لأيـٰت** ﴾ يعني فيما ذكرنا لعلامات ﴿ **لقوم يتفكرون** ﴾ في عظمة الله وقدرته وسلطانه وقوته فيعتبرون / ٢٧٢/ب ويعلمون أن لها صانعًا وخالقًا ومدبراً.

---

(١) هذا تأويل باطل يوافق معتقد الأشاعرة ، والواجب إبقاء النص على ظاهره ، والمعنى مفهوم من اللفظ بلا إشكال، وأما الغلبة والقهر فهو جل وعلا غالب لكل شيء، وقاهر لكل شيء وليس العرش فقط.

(٢) انظر: تفسيره (٢/٣٦٦).

(٣) سورة القيامة آية ٩.

(٤) سورة النجم آية ٤٥.

قوله : ﴿ وفي الأرض قطعٌ متجـٰورتٌ ﴾ قال الكلبي: متدانيات[١] .

قال الأخفش: متلاصقات[٢].

قال قتادة: قريبة بعضها من بعض[٣] السبخة والعذبة ﴿ وجنـٰت ﴾ أي بساتين ﴿ من أعنـٰب ﴾ يعني الكروم ﴿ وزرعٌ ﴾ يعني الحروث ﴿ ونخيلٌ صنوان ﴾ قال ابن عباس: الصنوان النخل أصولها مجتمعةٌ وفروعها متفرقةٌ[٤] ﴿ وغير صنوان ﴾ النخلة تنبت وحدها قال البراء بن عازب: الصنوان: النخل المجتمعة ﴿ وغير صنوان ﴾ الفذ[٥].

قال الأستاذ[٦] : أراد بالفذ الواحد بيانه قوله ﷺ صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ سبعاً وعشرين درجة[٧].

قال قتادة: الصنوان: النخلة والنخلتان والثلاثة أصلها واحد، وغير الصنوان: النخلة الفاردة.[٨] قال مجاهد: الصنوان: النخلات من غير[٩] أصل واحد كما يكون من الصبيان اثنين وثلاثة وأكثر وأبوهم واحد وأمهم واحدة. ﴿ وغير صنوان ﴾ نخلات من أصول شتى ﴿يسقىٰ بمآء وٰحد﴾ يعني التراب واحد والشرب واحد والجنس واحد ﴿ونفضل بعضها على بعضٍ في الأكل﴾ .

---

(١) بمثل قول الكلبي : قال ابن جرير الطبري (٣٣٠/١٦).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٢٩/ب).

(٣) أخرجه الطبري (٣٣٣/١٦) برقم (٢٠٠٧٦).

(٤) أخرجه الطبري (٣٣٦/١٦) برقم (٢٠٠٩٥).

(٥) أخرجه الطبري (٣٣٧/١٦) برقم (٢٠٠٩٨).

(٦) أراد بالأستاذ ابن حبيب انظر: تفسيره (ق:١٢٩/ب).

(٧) صحيح البخاري (١٥٨/١) باب فضل صلاة الجماعة.

(٨) أخرجه الطبري (٣٣٨/١٦) برقم (٢٠١٠٤، ٢٠١٠٥).

(٩) كذا في الأصل، والصواب [من أصل واحد] أخرجه الطبري (٣٣٩/١٦) برقم (٢٠١١١).

ومعنى التفضيل أن تحمل شجرةٌ حملها[1] أكثر من الأخرى بعضها حلوٌ وبعضها مرٌّ وبعضها حامض وبعضها أصغر وبعضها أكبر فهذا هو التفضيل ﴿ **إن فى ذلك** ﴾ إن في هذه الأشياء التي ذكرنا ﴿ **لأيـٰتٍ لقومٍ يعقلون** ﴾ لعلاماتٍ لأهل العقل الذين لم يجعلوا لله ضداً ولا نداً.

قوله: ﴿ **وإن تعجب** ﴾ يا محمد من تكذيبهم إياك بعد ما كنت عندهم الصادق الأمين ﴿ **فعجبٌ قولهم** ﴾ أن ضعفوا قدري وسلطاني وقالوا: ﴿ **ءإذا كنا ترابًا** ﴾ أي صرنا ترابًا ﴿ **أءنا لفى خلق جديد** ﴾ أي نرد إلى أول عمرنا إنكاراً للبعث وما قضيت من ثوابي وعقابي وما أردت من جزاء أوليائي وعذاب أعدائي .

وقيل: ﴿ **أءنا لفى خلقٍ جديدٍ** ﴾ أي نجدد بعد البلى هذا ما لا يكون.

قال الله: ﴿ **أولـٰئك الذين كفروا بربهم** ﴾ أي قائلوا هذه المقالة ﴿ **الذين كفروا بربهم وأولـٰئك الأغلـٰل فى أعنـٰقهم**﴾ وهم الذين في أعناقهم الأغلال في جهنم نظيره ﴿ **إذ الأغلـٰل فى أعنـٰقهم والسلـٰسل يسحبون**﴾[2] ﴿**وأولـٰئك أصحـٰب النار هم فيها خـٰلدون** ﴾ مقيمون لا يبرحون أبداً .

قوله ﴿ **ويستعجلونك بالسيئة** ﴾ الآيه نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن قصي وذلك أنه قال: ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق** ﴾[3] الآيـة[4] فأنزل الله ﴿ **يستعجلونك** ﴾ يا محمد ﴿ **بالسيئة** ﴾ بالعذاب ﴿ **قبل الحسنة وقد خلت** ﴾ وقد

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب: [حملاً].

(٢) سورة غافر آية ٧١.

(٣) سورة الأنفال آية ٣٢.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري (١٣/٥٠٥، ٥٠٦) عن كل من سعيد بن جبير ومجاهد ، وعطاء وغيرهم . عند تفسير آية الأنفال. وذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٣٠/أ).

مضت ﴿**من قبلهم المثلٰت**﴾ العقوبات ﴿**وإن ربك لذو مغفرةٍ للناس علىٰ ظلمهم**﴾ يعني المؤمنين وقال بعض المفسرين[1] هذه أرجى آيةٍ للموحدين في القرآن.

قال السدّي: ﴿**للناس علىٰ ظلمهم**﴾ يعني المؤمنين ﴿**وإن ربك لشديد العقاب**﴾ يعني الكافرين[3]. نظيره ﴿**غافر الذنب**﴾[4] الآية وقوله ﴿**نبئ عبادى**﴾[5] الآية.

وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿**وإن ربك لذو مغفرة للناس**﴾ الآية أي لذو تجاوز عن المشركين على شركهم إذا آمنوا صدقوا ﴿**وإن ربك لشديد العقاب**﴾ على المصّرين بالشرك غير راجعين / عنه إلى محبته ورضوانه[6]. ٢٧٣/أ

قوله: ﴿**ويقول الذين كفروا**﴾ يعني كفار مكة ﴿**لولآ أنزل عليه ءاية من ربه**﴾ مثل الناقة لصالح، والعصا لموسى، وما جاء به النبيون ﴿**إنمآ أنت**﴾ يا محمد ﴿**منذرٌ**﴾ مخوفٌ بالنار لمن عصا الله ﴿**ولكل قومٍ هادٍ**﴾ أي لكل قوم نبي يدعوهم إلى الله قال ابن عباس: يعني داعيا يدعوهم إلى الخير والشر[7].

قال الحسين بن الفضل: فيها تقديم وتأخير معناه إنما أنت منذر وهاد لكل قوم يكون المنذر والهادي كلاهما لرسول الله ﷺ[8].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٣٠/أ).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) سورة غافر آية ٣.

(٥) سورة الحجر آية ٤٩.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) أخرجه الطبري (٣٥٧/١٦) برقم (٢٠١٤٢). وذكره ابن حبيب في تفسيره (ق: ١٣٠/أ).
والمعنى: يدعوهم إلى الخير ويحذرهم من الشر.

(٨) ذكره أبو القاسم بن حبيب (ق: ١٣٠/أ).

قال الضحاك: ﴿ **إنمآ أنت منذر ولـكل قـوم هاد**﴾ وإنما الهادي دونك[١] نظيره قوله: ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾[٢] الآية .

قوله: ﴿ **الله يعلم ما تحمل كل أنثىٰ** ﴾ يعني الله يعلم ما تحمل كل امرأة أذكر أم أنثى، واحـداً أو اثنين أو أكثـر ﴿ **وما تغيض الأرحام** ﴾ وما تنقص[٣] الأرحـام ﴿ **وما تزداد** ﴾ اختلفوا في غيضوضة الرحم وازديادها من ثلاثة أوجه.

أحدها: ومـا تغيض الأرحام من الدم عند الحبل وما تزداد من الدم عند الولادة، إذا كان الدم في أول الحمل قـد تراه المرأة قل عند الولادة وإذا كان قلّ في أول الحمل كثر عند الولادة، وكان خروج الولد أسهل .

الثـاني: وقـال الربيع بن أنس: ومـا تغـيض[٤] الأرحـام ومـا تنقص الأرحـام يعني السِقط ومـا تزداد يعني توأمين وثلاثة إلى أربعـةٍ . وولد لسيـرين أربعـة بنين في بطنٍ واحدٍ: أحمد بن سيرين وعبدالله بن سيرين وأنس بن سيرين ومحمد بن سيرين، فهذا ازدياد الرحم[٥].

والثالث: ﴿**وما تغيض الأرحام**﴾ وما تنقص الأرحام من التسعة أشهر في الحمل وما يولد على التسـعة من المدة وهي أن تضع المرأة لستة أشهـر ولسبعة أشهر ولثـمانية أشهر وما تزداد على التسعة وهي أن تضع لسنتين أو لأربع سنين .

وقـيل: أن الخليل بن أحمـد والضحـاك بن مـزاحم وهرم بن حيـان ولدوا لأربع

(١) أخرجه الطبري (١٦/٣٥٥) برقم (٢٠١٤٧)، وأبو القاسم بن حبيب (ق:١٣٠/أ).

(٢) سورة القصص آية ٥٦.

(٣) في الأصل بالياء التحتية، والصواب بالتاء الفوقية.

(٤) في الأصل بالظاء والصواب ما أثبته.

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٠/أ).

سنــين[1] وسمي الضحاك لصوت ضحكه في بطن أمه وأجمع العلماء على أن أقل الوضع ستة أشهر واختلفوا في أكثرها فقال أبو حنيفة: أكثرها سنتان[2]. وقال الشافعي: أكثرها أربع سنين[3].

﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ قال قتادة: والله لقد حفظ رزقهم وأجلهم وجعل لكم منها أجلا معلومًا[4] ﴿عالم الغيب﴾ يعني علم ما غاب عن جميع خلقه ﴿ والشهادة﴾ يعني وأشهد مما عملوا ﴿ الكبير المتعال ﴾ يعني الذي لا أكبر منه ولا أعلى ولا أعز ولا أعظم ولا أكرم .

قوله: ﴿ سوآءٌ منكم من أسر القول﴾ الآية وذلك أن عامر بن الطفيل أتى النبي ﷺ فقال: مالحق من أمرك إلي إن أسلمت. قال اجعل لك أعنة الخيل. قال أليس ذلك لي؟ فقال له رسول الله ﷺ. فما تريد؟ قال اجعل لي الأمر بعدك. قال: ذاك إلى الله. قال فاجعلني على القرى وأنت على المدن. قال: ليس ذاك إليّ فغضب عامر وقال / ٢٧٣/ب لأربد بن ربيعة أكفني أمر محمدٍ أو أنا أكفيك أمره. فقال :ما تريد؟ قال عامر: أشغله بالحديث فتقتله، فأجابه إلى ذلك فجاء عامر فشغل رسول الله ﷺ بالحديث فجاء أربد خلف عامر مشتملا على سيفه ليضر به واختلف الناس فيما بعد هذا فمنهم من قال: شلت يده ومنهم من قال: استمسك السيف في الجراب فلم يقدر على سله ومنهم من قال: كف على قتل رسول الله ﷺ فقال ﷺ اللهم أكفني عامرًا وبني عامر. وبنو عامر قبيلة فانصرف أربد، فقال له عامر ما منعك عن قتله؟ قال: كلما

---

(١) أخرج ابن جرير الطبري (٣٦٣/١٦) برقم (٢٠١٨٥، ٢٠١٨٧، ٢٠١٨٨) عن الضحاك وغيره أنه قال: إن أمه حملته سنتين ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٨/٩).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٧/٩).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٧/٩).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق: ١٣٠/ب).

هممت بقتله رأيتك بيني وبينه فجاءت صاعقة من السماء وأحرقته يعني أربد وجعلته فحمًا وانصرف عامر ودخل بيت امرأة من بني سلول فظهرت على ركبته غدة وهو يقول: غُدة كغدة البعير وموت في بيت سُلولية[١] والله ما قتلني إلا رب محمد ومات فأنزل الله ﴿ **سوآء منكم من أسر القول** ﴾ يعني إخفاءه ﴿ **ومن جهر به** ﴾ يعني أبدأه وأعلنه ﴿ **ومن هو مستخفٍ باليل** ﴾ يعني مستترا بالليل ﴿**وساربٌ بالنهار**﴾ وظاهرا بالنهار مثل أربد وعامر وقال ابن عباس: ذاهب[٢] بالنهار، وقال الحسين بن الفضل: بارز[٣] .

قال مقاتل بن حيان: خارج[٤] . قال مقاتل بن سليمان: منتشر بتلك المعصية[٥] بالنهار. وقال الأستاذ ابن حبيب: وأصل السروب في اللغة : الظهور من غير اكتتامٍ وانتشارٍ والفعل منه سرب يسرب سروبًا فهو ساربٌ[٦].

﴿**له معقبتٌ**﴾ له للنبي[٧] ﷺ حافظاتٌ ﴿ **من بين يديه ومن خلفه** ﴾ يعني

---

(١) هذه القصة أخرجها الطبري في تفسيره (١٦/٣٧٩ – ٣٨١) برقم (٢٠٢٥٠) عن ابن زيد، ثم عقب عليها بقوله: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في تأويل هذه الآية قول بعيد من تأويل الآية مع خلافه أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويل . وذلك أنه جعل (الهاء) في قوله: «له معقبات» من ذكر رسول الله ﷺ ، ولم يجر له في الآية التي قبلها ولا في قبل الآخرى ذكر ... .

ويرى ابن جرير أن (الهاء) تعود على (من) التي في قوله «ومن هو مستخف بالليل» . فرجح العموم وهو الصواب.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٠/ب)، وأخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى السارب بالنهار: الظاهر.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٠/ب).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٠/ب).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٣٦٩).

(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٣٠/ب).

(٧) قال ابن كثير (٤/٣٥٩): أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل، وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات أهـ. فالآية عامة وليست خاصة بالنبي ﷺ .

الملائكة الحفظة تتعاقب في المجيء والذهاب ﴿**يحفظونه من أمر الله**﴾ بأمر الله وإذنه قال الأستاذ[١]: ورأيت في بعض التفاسير قولاً استحسنته وهو أن الأمر هاهنا بمعنى العقوبة والبلاء كأنه أراد يحفظونه من عقوبة الله وبلائه وعذابه ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ قال ابن عباس: يعني أن الله إذا أنعم على قوم نعمة فشكروها ولم يكفروها زاد لهم في تلك النعمة وآدامها عليهم وإذا لم يشكروها وتلقوها بالكفران سلبها عنهم وابتلاهم بضدها[٢].

﴿ **وإذآ أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له** ﴾ فلا راد له ﴿ **وما لهم من دونه** ﴾ من دون الله ﴿ **من وال** ﴾ أي من ملجأٍ يلجئون إليه .

﴿ **هو الذى يريكم البرق خوفاً** ﴾ من الصواعق ﴿ **وطمعًا** ﴾ في المطر .

وقال الضحاك: خوفاً من العذاب وطمعًا في الغيث[٣].

قال ابن عباس: خوفاً للمسافر وطمعًا للمقيم يرجو بركته ومنفعته[٤] ﴿ **وينشىء السحاب الثقال**﴾ ويخلق السحاب الذي فيه الماء فأما الذي لا ماء فيه فإنه يسمى الجهام .

والسحاب: جمع سحابةٍ، والثقال: جمع الثقيل ﴿ **ويسبح الرعد بحمده**﴾ قال ابن عباس: الرعد ملك يسوق السحاب والصوت الذي تسمعون منه زجرة السحاب.[٥]

---

(١) الأستاذ أبو القاسم بن حبيب.
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٠/ب).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣١/أ).
(٤) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن حبيب (ق:١٣١/أ)، وأخرجه ابن جرير عن قتادة (٣٨٧/١٦) برقم (٢٠٢٥٢، ٢٠٢٥٣).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٣١/أ).

وقال الضحاك: الرعد ملك على صورة الزنبور يسوق السحاب يؤلف بعضه على بعضٍ ثم يسوقه إلى حيث أمر الله[1].

قال علي بن أبي طالب: الرعد الريح ، والبرق نارٌ وهي مخاريق الملائكة[2] ﴿ **والملئكة من خيفته** ﴾ وتسبح الملائكة من خوف الله ﴿ **ويرسل الصوعق** ﴾ يعني النار ﴿ **فيصيب بها من يشآء** ﴾ كما أصاب أربد.

﴿ **وهم / يجدلون فى الله** ﴾ في توحيد الله ومجادلتهم قول عامر للنبي ﷺ أخبرني إلهك من أي جنس؟ أهو من خشب؟ أم حديد؟ أم رصاص؟ أم صُفر؟ أم فضه؟ أم ذهب؟ فأنزل الله ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾. ٢٧٤/أ

﴿ **وهو شديد المحال** ﴾ يعني والله شديد العقوبة إذا عاقب ﴿ **له دعوة الحق** ﴾ .

قال ابن عباس: يعني شهادة أن لا إله إلا الله[3] ﴿ **والذين يدعون من دونه** ﴾ يعني الأصنام ﴿ **لا يستجيبون لهم** ﴾ يعني لهم للكفار ﴿ **بشىء إلا كبسط** ﴾ إلا كماد ﴿ **كفيه** ﴾ ﴿ **إلى المآء ليبلغ فاه وما هو ببلغه** ﴾ هذا على طريق المثل.

قال ابن عباس: هذا مثل المشرك الذي عبد غير الله فمثله كمثل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء ليتناوله فلا يقدر عليه[4] وكذلك الكافر إذا عبد الأصنام لا يستجاب له الدعاء ما دام على عبادة الأصنام ﴿ **إلا كبسط كفيه** ﴾ كماد كفيه ﴿ **إلى المآء ليبلغ فاه** ﴾ أي ليبلغه فاه ﴿ **وما هو ببلغه** ﴾ يعني الماء لا يبلغ فمه .

---

(١) انظر تفسير ابن حبيب (٤: ١٣١/أ).

(٢) بهذا النص ذكره ابن حبيب (ق:١٣١/أ) ، وأخرج الطبري (٣٤٣/١) برقم (٤٤١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: الرعد الملك ، والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد.

(٣) أخرجه الطبري (٣٩٨/١٦) برقم (٢٠٢٨١).

(٤) أخرجه الطبري (٤٠١/١٦) برقم (٢٠٢٩٤).

﴿وما دعآء الكـٰفرين﴾ أصنامهم ﴿إلا فى ضلـٰل﴾ إلا في خساره وأباطيل .

قـوله: ﴿ولله يسـجـد من فى السمـٰوٰت والأرض طوعًا وكـرهًا وظلـٰلهم بالغدو والأصال﴾ قال مجاهد: يسجد المؤمن طائعاً وظله طوعاً ويسجد ظل الكافر طائعاً والكافر كارهًا[1].

قال ابن عباس: بالغدو عن اليمين وبالآصال وهي العشـاء عن الشمال[2]. نظيره ﴿يتفيؤا ظلـٰله[3] عن اليمين والشمآئل سجدًا وهم دٰخرون﴾ صاغرون.

قوله ﴿قل﴾ يا محمد لقومك ﴿من رب السمـٰوٰت والأرض﴾ يعني من خالقهما ﴿قل الله﴾ فأقروا لله بالربوبية وقالوا الله في مصحف أبي قالوا الله ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أفاتخـذتم من دونه أوليآء﴾ في العبادة يعني الأصنام ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا﴾ النفع معاش الدنيا وثواب الآخرة والضر الأسقام والمرض ﴿قل﴾ يا محمد ﴿هل يستوى الأعمىٰ والبصير﴾ أي لا يستوي الكافر والمؤمن ﴿أم هل تستوى الظلمـٰت والنور﴾ يعني لا يستوي الشرك والإيمان.

﴿أم جعلوا لله شـركآء خلقوا﴾ أي أخلقـوا يعني أخلق الأصنام ﴿كخلقه﴾ كخلق الله ﴿فتشـٰبه الخلق عليهم﴾ فقالوا هذا من خلق الله وهذا من خلق الأصنام ومـا كـان هذا قط ﴿قل﴾ يا محمـد ﴿الله خـٰلق كـل شىء﴾ منشئه وموجده ومبدعه ومخترعه ﴿وهو الوٰحد القهـٰر﴾ (الواحد) الذي ليس كمثله شيء ﴿القهـٰر﴾ الذي قهر خلقه بالفناء والموت .

قوله: ﴿أنزل من السمـآء مآء فسـالت أودية بقدرها﴾ قال ابن حـبيب : هذه

(١) أخرجه الطبري (٤٠٤/١٦) برقم (٢٠٣٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (٤٠٤/١٦) برقم (٢٠٣٠١).

(٣) سورة النحل آية ٤٨.

الآيه صعبة المسلك والمخرج منها لغموضها وليس شيء من علوم القرآن أغمض ولا أشق من الأمثال إذ الأمثال تحتاج إلى الممثلات[1] واشتغل الناس بالأمثال دون الممثلات والأمثال دونها لا تفيده معنى ولا تكون مفهومة ، وقال مقاتل بن سليمان: ﴿ **أنزل من السمآء مآء فسالت** ﴾ الآية، الصغير على قدر صغره والكبير على قدر كبره[2] فشبه نزول القرآن بالماء لأنه ينزل من السماء ﴿ **فاحتمل السيل زبدًا رابياً** ﴾ أي عاليًا فوق الماء ﴿ **ومما يوقدون عليه فى النار ابتغآء حليةٍ أو متـٰع زبد مثله** ﴾ فكما استخرجتم بالنار المتاع مما تنتفعون به من الذهب والفضة والرصاص والحديد والصفر لها زبدٌ أي خبثٌ مثل زبد الماء لا ينتفع به فمثل الأودية مثل القلوب ومثل السيل مثل الأهواء ومثل الحلي الذي يبقى في الكير والماء الصافي الذي يبقى في الأرض مثل الحق والخبث الذي يلقيه الكير مثل الباطل فكما لا ينفع الزبد والخبث أهلهما في الدنيا كذلك لا ينفع الباطل أهله في الآخرة وكما ينفع الماء الصافي وما يبقى من الجواهر / في الكير أهلها في الدنيا فكذلك الحق ينفع أهله في الآخرة . ‏/٢٧٥

﴿ **فأما الزبد فيذهب جفآء** ﴾ أي يذهب كما جاء. قال مقاتل : يابسًا لا ينتفع به[3].

﴿ **وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾ يعني الماء الصافي يشرب ويسقى منه الزروع والكروم والدواب ، وقال قتادة: هذه ثلاثة أمثال في مثل واحد. أحدهما: إلى قوله بقدرها والثاني: إلى قوله رابيًا والثالث إلى آخرها[4].

﴿ **كذلك يضرب الله الأمثال** ﴾ ﴿ **للذين استجابوا لربهم** ﴾ يعني الذين

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٣٢/أ).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٣٧٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٣٧٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/٤١٢) برقم (٢٠٣١٩).

أقاموا على الإيمان ﴿ **الحسنىٰ** ﴾ يعني بالحسنى وهي الشهادة ﴿ **والذين لم يستجيبوا له** ﴾ والذين لم يقيموا على الإيمان ﴿ **لو أن لهم ما في الأرض جميعاً** ﴾ إذا رأوا ثواب المقيمين على الإيمان والشهادة ﴿ **ومثله معه لا فتدوا به** ﴾ أي لاشتروا به أنفسهم ﴿**أولئك لهم سوء الحساب** ﴾ يعني شدة الحساب ﴿ **ومأوىٰهم جهنم** ﴾ أي مصيرهم إليها ﴿ **وبئس المهاد** ﴾ أي الفراش فرشوا لأنفسهم .

قوله: ﴿ **أفمن يعلم أنمآ أنزل إليك من ربك الحق** ﴾ الصدق نزلت في عمار بن ياسر ﴿ **كمن هو أعمىٰ** ﴾ نزلت في حذيفة بن المغيرة وكان يعادي رسول الله ﷺ ويخالفه وقال بعضهم ﴿ **أفمن يعلم أنمآ أنزل إليك** ﴾ الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﴿ **كمن هو أعمىٰ** ﴾ نزلت في أبي جهل بن هشام[1].

﴿ **إنما يتذكر** ﴾ أي يتعظ بوعظ القرآن ﴿ **أولوا الألبـٰب** ﴾ يعني ذوي العقول ثم وصفهم فقال: ﴿ **الذين يوفون بعهد الله** ﴾ قال ابن عباس: يقيمون على الشهادة يعني على قول ﴿ **لا إلـٰه إلا الله** ﴾[2].

قال مقاتل بن حيان :﴿ **الذين يوفون بعهد الله** ﴾ يعني قولهم ﴿ **بلى** ﴾[3] ﴿**ولا ينقضون الميثاق**﴾ يوم الميثاق[4] وإذ بلغوا الحنث ﴿ **والذين يصلون مآ أمر الله به أن يوصل** ﴾ قال ابن عباس: يعني من آمن من أهل الكتاب ووصفوا[5] الإقرار بكل الأنبياء والكتب[6] ولم يقولوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومجاز الآية الـــذين يؤمنون

---

(١) ذكر هذين السببين ابن حبيب (ق:١٣٢/ب) ، والبغوي (١٤/٣) ، والوسيط للواحدي (١٣/٣). والذي عليه أكثر المفسرين أن الآية عامة والله أعلم.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٢/ب).

(٣) ويشير إلى قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ **وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيـٰمة إنا كنا عن هذا غـٰفلين** ﴾ ١٧٢.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٢/ب).

(٥) كذا في الأصل ولعل الصواب [ووصلوا الإقرار بكل الأنبياء].

(٦) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٣٢/ب).

بكـل الأنبياء وجميع الكتب ﴿ **ويخشـون ربهم** ﴾ أي يخافون ربهم في السر والعلانية ﴿ **ويخافون سوء الحساب** ﴾ يعني شدة الحساب ﴿ **والذين صبروا ابتغآء وجه ربهم** ﴾ قال ابن عباس والذين صبروا على أمر الله[1] ﴿**ابتغآء وجه ربهم** ﴾ طلبا لرضا الله .

قـال عطاء: والـذين صـبـروا يعني عـلى الضـراري والمصـائب والحـوادث والنوائب[2] وقيل الذين صبروا على دينهم ﴿ **وأقاموا الصلوٰة** ﴾ أداموها بحقوقها وحدودها.

﴿ **وأنفقوا مما رزقنٰهم** ﴾ من الأموال ﴿ **سرًا وعلانيـة ويدرءون بالحسنة السيئة**﴾ قال ابن عباس: يعني يدفعون بالكلام الحسن الكلام السيء ما ورد عليهم[3].

قالَ الحسن: ﴿ **ويدرءون بالحسنة السيئة** ﴾ يعني إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا[4].

قال ابن كيسان: ﴿ **ويدرءون بالحسنة السيئة** ﴾ يعني إذا أذنبوا تابوا وإذا هربوا أثابوا ليدفعوا بالتوبة عن أنفسهم معرة الذنب[5] ﴿ **أولٰئك لهم عقبى الدار** ﴾ يعني الجنة والعاقبة الحسنة وروى عبدالله بن المبارك: أنه قرأ هذه الآية فقال: هذه ثمان خلال مشيرةٌ إلى ثمانية أبواب الجنة وهو قول غير مدفوع[6].

---

(١) أخرجه البغوي (٣/١٦)، وذكره ابن حبيب (ق:١٣٢/ب).
(٢) أخرجه البغوي (٣/١٦)، وذكره ابن حبيب (ق:١٣٢/ب).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٣/أ)، والبغوي (٣/١٦).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٣/أ)، والبغوي (٣/١٦).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٣/أ)، والبغوي (٣/١٦).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٣/أ)، والبغوي (٣/١٦).

﴿جنت عدن يدخلونها ومن صلح﴾ أي ويدخلها من آمن ﴿من ءابآئهم / وأزوٰجهم وذريتهم﴾ يعني نسائهم وأولادهم ﴿والملئكة يدخلون عليهم﴾ إذا دخلوا الجنة ﴿من كل باب سلٰمٌ عليكم﴾ يقولون سلامٌ عليكم قال مقاتل: يدخلون في مقدار يومٍ وليلةٍ من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف[1] يقولون: ﴿سلٰم عليكم بما صبرتم﴾ عن الفضول والمعاصي في الدنيا ﴿فنعم عقبى الدار﴾ فنعم العاقبة الجنة ثم وصف الكافرين فقال: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثٰقه﴾ يعني يكفرون بعد الإسلام ويكذبون الله ورسوله ﴿ويقطعون مآ أمر الله به أن يوصل﴾ قد مضى تفسيره قبل هذه الآية ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالشرك والمعاصي ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ لهم الطرد والخزي والهوان ﴿ولهم سوء الدار﴾ يعني ولهم نار جهنم .

١/٢٧٦

قوله: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشآء﴾ يعني يوسع الرزق على من يشاء ﴿ويقدر﴾، أي: ويضيق عليه ويقتر نظيره ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾[2] الآية، والتاء والدال مخرجهما واحد لذلك يعاقب بينهما، نظيره من كلام العرب: هرت الخبز وهرده في القصعة إذا فته وهشمه، وهرت القصار الثوب وهرده إذا خرقه.

﴿وفرحوا بالحيوٰة الدنيا﴾ يعني مشركي مكة أشروا وبطروا.

﴿وما الحيوٰة الدنيا في الأخرة إلا متٰع﴾: بلغةٌ قليلةٌ

﴿ويقول الذين كفروا﴾ يعني عبدالله بن أبي أمية ﴿لولا أنزل عليه﴾ هلا أنزل عليه، ، على محمدٍ ، ﴿ءايةٌ من ربه﴾ علامةٌ من ربه ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إن

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٣٣٦).

(٢) الفرقان آية ٦٧.

الله يضل من يشآء ﴾ كمـا أضلل يعني عبـدالله بن أبي أمـية هذا، ﴿ **ويهدى إلـيه** ﴾ ويرشد إلى دينه وبابه وخدمته، ﴿ **من أناب** ﴾ يعني من رجع إليه بقلبه.

قوله: ﴿ **الذيـن ءامنوا وتـطمئـن قلوبـهم ...** ﴾ الآية قـال مـجـاهد: نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا بمحمدٍ[1] والقرآن.

﴿ **وتطمئن قلوبهم بذكر الله** ﴾ قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: هذا في الحَلِف إذا حلف الرجل على شيء تسكن قلوب المؤمنين إليه[2].

قال مقاتل بن سليمان: ﴿ **وتطمئـن قلوبهم بذكر الله** ﴾ يعني بالقرآن[3].

﴿ **ألا بذكر الله تطمـئن القلوب** ﴾ يعني تسكن القلوب بالقرآن.

﴿ **الذين ءامنوا وعـملوا الصـٰلحـٰـت طوبىٰ لهـم** ﴾ قال ابن عبـاس: فرحٌ لهم وسرورٌ وقرة عين[4].

وقال إبراهيم النخعي: الخيرُ الكثير لهم[5].

وقال مجاهد: الجنة لهم[6]، وطوبى الجنة بلسان الحبشة.

وقال الربيع بن أنس: طوبى البستان بلغة الهند[7]، قيل طوبى يعني دوام الخير.

وقال الفراء: طوبى أصله من الطيب، وإنما جاءت الواو لضمة الطاء[8].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٥/أ).

(٢) أخرجه البغوي (١٧/٣)، وابن حبيب (ق:١٣٥/أ).

(٣) انظر: تفسيره (٣٧٧/٢).

(٤) أخرجه الطبري (٤٣٥/١٦) برقم (٢٠٣٦٩)، وذكره البغوي (١٨/٣).

(٥) أخرجه الطبري (٤٣٦/١٦) برقم (٢٠٣٧٢، ٢٠٣٧٣).

(٦) أخرجه الطبري (٤٣٧/١٦) برقم (٢٠٣٧٩، ٢٠٣٨٠).

(٧) أخرجه البغوي (١٨/٣).

(٨) ذكره البغوي (١٨/٣).

وقال أبو هريرة: طوبى شجرة في الجنة[1] في كل دار منها غصن.

وقال مقاتل: طوبى شجرة في الجنة إن ركب رجل فرساً أو نجيبة عُمْرَه لم يبلغ إلى الموضع الذي ركب منه حتى يدركه الهرم ، ولو طار طائر من ساقها لما أدرك فرعها حتى يدركه الهرم ، لها أوراق كل ورقة منها تظل أمة، على كل ورقة مَلَك يسبح الله[2] بأنواع التسبيح، ثمارها الحلي والحلل.

قال ابن حبيب: هذه الشجرة هي التي أشار إليها النبي ﷺ في قوله: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرؤا إن شئتم: ﴿وظلٍ ممدود﴾»[3].

قال عبيد بن عمير: طوبى شجرة في جنة عدن، أصلها في دار النبي ﷺ ، في كل دار وغرفته غصن منها، / لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منها [إلا][4] السواد، ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها، ينبع من أصلها عينان: الكافور والسلسبيل[5]. ٢٧٥/ب

وفي طوبى لغتان: تقول العرب: طوباك وطوبى لك.

﴿ وحسن مئاب﴾ أي المرجع إلى الله في الجنة.

قوله: ﴿ كذلك أرسلنـٰك في أمةٍ ﴾ معناه: كما أرسلنا قبلك الرسل إلى الأمم

---

(١) أخرجه الطبري (٤٣٨/١٦) برقم (٢٠٣٨٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٧٧/٢) وهذا الوصف الذي قاله مقاتل يحتاج إلى دليل صحيح ولا دليل على ذلك.

(٣) الحديث متفق عليه . انظر: صحيح البخاري (٥٧/٦) كتاب التفسير ، تفسير سورة الواقعة، وصحيح مسلم (٢١٧٥/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل تم تصويبه من نفس الرواية في البغوي.

(٥) أخرجه البغوي (١٨/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٣٥/ب).

﴿**كذلك أرسلنـٰك فى أمةٍ قد خلت**﴾ أي مضت﴿ **من قبلها أممٌ**﴾. ﴿ **لتتلوا عليهم** ﴾ لتقرأ عليهم، ﴿ **الذى أوحينآ إليك** ﴾ من القرآن، ﴿ **وهم يكفرون بـالرحمـٰن** ﴾ قال مقاتل بن سليمان: نزلت في صلح الحديبية حين صالح رسول الله ﷺ أهلها منهم سهيل بن عمرو، وذلك أنهم أرادوا كتب كتاب الصلح قال النبي ﷺ : «اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعني مسيلمة الكذاب، اكتب باسمك اللهم، فكتب باسمك اللهم ، ثم كتب هذا ما صالح عليه محمدٌ رسول الله ، فقال سهيل: ظلمناك إن علمنا أنك رسول الله ثم منعناك دخول مكة وصرفناك فقال ﷺ : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله، فوقع في المسلمين من ذلك شغل ، ثم كتبوا بأمر الرسول ما أرادوا[1]، وأعان مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى سُهيلاً فأنزل الله فيهم ﴿ **وهم يكفرون بالرحمـٰن قل** ﴾ يا محمد ﴿ **هو ربى لا إلـٰه إلا هو عليه توكلت** ...﴾ الآية .

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي جهل وذلك أنه دعى جماعة من المشركين فقال النبي ﷺ : إن سرَّك أن نؤمن بك ونتبعك فسيرلنا هذه الجبال بمكة فنحن في ضيق حتى نتخذ الآبار ونغرس ونزرع فلست بأهون عند الله من داود فقال النبي ﷺ : لا أطيق ذلك، قال: فسخر لنا الريح لنركبها، ونمتار في يوم واحد من الشام مسيرة شهر ونرجع من يومنا فلست بأهون عند الله من سليمان قال: لا أطيق ذلك، قال فإن كنت لا تطيق ذلك فأحيي لنا قُصياً حتى يخبرنا عن البعث وعن صحة أمرك فلست بأهون عند الله من عيسى قال: لا أطيق ذلك . قال: فإن كنت لا تطيق فلا أراك تذكر آلهتنا بسوء[2]، فأنزل الله: ﴿ **وهم يكفرون بالرحمـٰن** ... ﴾ الآية ،

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٣٧٧، ٣٧٨).

(٢) ذكره بنصه ابن حبيب (ق:١٣٥/ب)، وذكره البغوي (٣/١٩) مع اختلاف يسير وإسناد هذا القول إلى عبدالله بن أبي أمية.

﴿ وإليه متاب﴾، أي: مرجعي، وهو مصدر ونظيره: ﴿ ومن تاب وعمل صٰلحًا فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾[1] بغير ياء، وقرأ عيسى بن عمرو: متابي بالياء[2] فهو على الأصل، ومن حذف الياء جعل كسرة الباء دالة على سقوط الياء.

قوله: ﴿ ولو أن قرءانًا سيرت به الجبال ...﴾ الآية ﴿ أو قطعت به الأرض ﴾ وطويت، ﴿ أو كلم به الموتىٰ ﴾ وجوابه مضمر أي كلم به الموتى لكان هذا القرآن، وقيل جوابها: أو كلم به الموتى لكفروا، ﴿ بل لله الأمر جميعاً ﴾ يعني لا لسواه نظيره: ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾[3]، و ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾[4]. ﴿ أفلم يايئس الذين ءامنوا ﴾ .

قال ابن عباس: أفلم يعلم[5]، قال قتادة: أفلم يعرف[6]، قال الأخفش: ﴿ أفلم يايئس الذين ءامنوا ﴾ من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله أنهم لا يؤمنون لأنه ﴿أن لو يشاء الله لهدى / الناس جميعاً ﴾. ٢٧٦/أ

﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعةٌ ﴾ قال ابن عباس: عقوبةٌ[7]، وقال قتادة: بليةٌ[8]، وقال مجاهد: وقيعةٌ[9]، وقيل: هلكةٌ يعني من سرايا رسول الله

(١) سورة الفرقان آية ٧١.

(٢) قرأ بالياء يعقوب [متابي] وقرأ الباقون بدون ياء انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٧٩/٢).

(٣) سورة الأعراف آية ٥٤.

(٤) سورة الروم آية ٤.

(٥) أخرجه الطبري (٤٥٤/١٦) برقم (٢٠٤١٣).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٦/أ).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٤/أ) وأخرج الطبري من طرق مختلفة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسّر القارعة ، بالسرية انظر: تفسيره (٤٥٦/٦، ٤٥٧)، وابن كثير (٣٨٣/٤).

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٤/أ)، وعند ابن جرير الطبري فسّر قتادة (القارعة) بالوقيعة (٤٥٨/١٦، ٤٥٩) برقم (٢٠٤٣٢) والمعنى واحد.

(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٤/أ)، وأخرج ابن جرير تفسيره للقارعة بالكتيبة (٤٥٨/١٦) برقم (٢٠٤٢٩).

﴿ **أو تحل** ﴾ أو تنزل يا محمد ﴿ **قريبًا من دارهم** ﴾ من مكة مثل محاصرة الطائف ﴿ **حتى يأتي وعد الله** ﴾ يعني العذاب[١] ﴿ **إن الله لا يخلف الميعاد** ﴾ .

﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك** ﴾ كما استهزأ بك قومك نظيره قوله: ﴿ **ما يُقال لك إلاَّ ما قد قيل للرسل من قبلك** ﴾[٢] ﴿ **فأمليت للذين كفروا** ﴾ قال الأخفش: يعني أطلت عمرهم وهو من الملاءة وهو الدهر[٣]، وقيل: فأمهلت الذين كفرو[٤] ﴿ **ثم أخذتهم** ﴾ عاقبتهم ﴿ **فكيف كان عقاب** ﴾ فكيف كان عقوبتي لهم، نظيره: ﴿ **فكيف كان نكير** ﴾[٥].

﴿ **أفمن هو قآئم على كل نفس** ﴾ أي حافظ ، وقيل: رقيب، وقيل: شاهد[٦] ﴿ **على كل نفس بما كسبت** ﴾ محذوف الجواب، ومجازه: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسب كمن ليس بقائم نظيره: ﴿ **أمن هو قـنت ءانآء الَّيل ساجدًا وقآئمًا** ﴾[٧] كمن ليس بقانت ﴿ **أفمن هو قائم على كل نفس** ﴾ معناه يأخذها بما جنت ويثيبها بما أحسنت.

﴿ **وجعلوا لله شركآء** ﴾ يعني الأصنام ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **سَمُّوهُمْ** ﴾ بصفاتهم، يعني الآلهة ﴿ **أم تنبئونه** ﴾ تخبرونه ﴿ **بما لا يعلم فى الأرض** ﴾ بما ليس له شريكٌ في الأرض ، والله تعالى لا يعلم لنفسه شريكاً ﴿ **أم بظـهر من القول** ﴾

(١) جمهور كبير من المفسرين فسروا وعد الله هنا بفتح مكة، وهو الراجح إن شاء الله. انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٤٥٦/١٦) وما بعدها ، وابن كثير (٣٨٣/٤).

(٢) سورة فصلت آية ٤٣.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٤/أ).

(٤) انظر تفسير البغوي (٢٠/٣).

(٥) سورة الملك آية ١٨.

(٦) لا تنافي بين الأقوال الثلاثة وكلها صحيحة.

(٧) سورة الزمر آية ٩.

قـال الكلبي: أم بباطل من القول[1].

قال ابن حبيب: هذا قول غير مفهوم، ومعنى الآية عندي: قل لهم أتنبئون الله بباطن لا يعلمه أم بظاهر يعلمه؟ فإن قالوا بباطن لا يعلمه أحالوا ولم يكن كلامهم مستحقاً للجواب، وإن قالوا بظاهر يعلمه قل لهم : سموهم حتى يجيبوا[2]، نظيره قوله: ﴿ **أرونى ماذا خلقوا من الأرض**﴾[3] ، ونظيره: ﴿**قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السمٰوٰت والأرض** ﴾[4].

﴿ **بل زين للذين كفروا مكرهم** ﴾ كيدهم ﴿ **وصدوا عن السبيل** ﴾ ومنعوا الناس عن دين الله، ﴿ **ومن يضلل الله** ﴾ أي يطرده ويخذله، ﴿ **فما له من هادٍ**﴾ مرشدٍ يرشده إلى دين الله.

﴿**لهم عذابٌ فى الحيوٰة الدنيا** ﴾ يعني البلايا والمصائب والزلازل، ﴿**ولعذاب الأخرة أشق** ﴾ يعني أشد وأعسر وهو النار، ﴿ **وما لهم من الله** ﴾ من عذاب الله، ﴿**من واقٍ**﴾ من مانع، يعني ليس لمن يعذب من الكفار مانع يمنعه عذاب الله.

﴿**مثل الجنة التى وعد المتقون** ﴾ يعني وعدوا دخولها، قال ابن عباس: المتقون يعني الذين اتقوا الكفر والشرك والفواحش[5]، ﴿ **تجرى من تحتها الأنهـٰر** ﴾ يعني من تحت أشجارها ومساكنها، ﴿**أكلها دآئم** ﴾ أي ثمرها مقيمٌ، ﴿ **وظلها** ﴾ ظليلٌ لا شمس فيه ولا حر، ﴿ **تلك عقبى الذين اتقوا**﴾ يعني تلك عاقبة المتقين، ﴿ **وعقبى**

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٤/أ).
(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٣٤/أ).
(٣) سورة فاطر آية ٤٠.
(٤) سورة يونس آية ١٨.
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٤/ب).

الكـٰفرين النار﴾ يعني وعاقبة الكافـرين النار نار جهنم، وقيل: ﴿ **مثل الجنة** ﴾: المثل صلةٌ معناه الجنة التي وعد المتقون، فإن العرب تزيد المثل والاسم والوجه في الكلام.

وقيل: المثل بمعنـى الصفة ، معناه صفة الجنة التي وعـد المتقون أن الأنهـار تجري من تحتها، وقرأ علي بن أبي طالب: أمثال[1] الجنة التي وعد المتقون.

قوله: ﴿ **والذين ءاتينـٰهم الكتـٰب يفرحون** ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إن مؤمني اليهود: عبدالله بن سلام وأصحابه أتوا النبى ﷺ فقالوا : يا رسول الله ذكرُ الرحمن في التوراة كثيرٌ، ولسنا نرى في القرآن / ذلك فأنزل الله :[2] ﴿ **قل ادعواْ الله أو ادعـواْ الرحمـٰن ...**﴾[3] الآية فقال مشركـو مكة: محمد يدعو إلى إلهٍ واحـد والآن يدعـو إلى إلهـين اثنين ، فـأنكروا اسم الرحـمــن فـأنزل الله[4]: ﴿ **ومن الأحزاب من ينكر بعضه** ﴾، فذلك قـوله: ﴿ **والذين ءاتينـٰهم** ﴾ أعطيناهم التـوراة يعني عبدالله بن سـلام وأصحابه ﴿ **يفرحـون بما أنزل إليك** ﴾ يا محمد، يعني قوله: ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمـٰن** ﴾ . ٢٧٦/ب

﴿ **ومن الأحزاب** ﴾ ومن الكفار ﴿ **من ينكر بعضه** ﴾ بعض الفرآن ، ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **أنمآ أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به** ﴾ سواه، ﴿ **إليه أدعواْ** ﴾ يعني إلى الله أدعوا الخلق ﴿ **وإليه مـئاب** ﴾ يعني: مرجعي في الآخرة.

(١) قراءة شاذة انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٦٧).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٤/ب).
(٣) سورة الإسراء آية ١٧.
(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٣٤/ب).
الآية تتحـدث عن إنكار بعض أهل الكتاب لبعض مـا أنزل في القرآن على النبي ﷺ ، وهو ما عليه جمهور كبير من المفسرين ، مثل: مجاهد وقتـادة وعبدالرحـمن بن زيد، انظر: تفسير الطبري (٤٧٤/١٦)، وتفسير ابن كثير (٣٨٨/٤). وتخصيصها بمشركي العرب مرجوح.

قوله: ﴿ **وكذلك أنزلنـه حكماً عربيًا** ﴾ معناه : كما أنزلنا على الأنبياء بلسانهم كذلك أنزلنا إليك القرآن حكماً عربيًا بلسانك، ﴿ **ولـئن اتبعت أهوآءهم** ﴾ وذلك أن المشركين دعوا النبي ﷺ إلى ملة آبائه فقال الله ﴿ **ولئن اتبعت** ﴾ مرادهم ﴿ **بعد ما جآءك من العلم** ﴾ والبيـان أن دين الله هو الإسلام، ﴿ **ما لك من الله من ولى** ﴾ ناصـــر، ﴿ **ولا واقٍ** ﴾ مانع يمنع من عذابه إن أراد عذابك .

قوله: ﴿ **ولقد أرسلنا رسـلاً من قبلك وجعلنا لهم أزوٰجًا وذرية** ﴾ نزلت هذه الآية في اليـهود، وذلك أنـهم عيـروا النبي ﷺ فـقالوا: مـا نرى لهذا الرجل همـةً إلا النساء والنكـاح فأنزل الله[1]: ﴿ **ولقـد أرسلنا رسـلاً من قبلك وجـعلنا لهم أزوٰجـاً وذريةً** ﴾ منهم داود كـان له مائـة امرأة جـهرية وثـلاثمائة سـرية، وسليـمان كـان له ثلاثمائة امـرأة جهرية وسبعمـائة سرية، وأنت يا محـمد لك تسع نسوة فـما بالهم لا يعيبون أنبياءهم وهم يعيبونك؟.

﴿ **ومـا كـان لرسـولٍ أن يأتى بـئـايةٍ إلا بإذن الله** ﴾ إلا بأمر الـله، كما سأله عبدالله بن أبي أمية متى يفجر الأنهار؟.

﴿ **لكل أجلٍ كتابٌ** ﴾ قال ابن عباس: لكل أمة أجل ووقت ينتهون إليه[2]، وقال مقـاتل بن حيان: فـيه تقديم وتأخـير معناه لـكل كتاب أجل ووقت ينزل فـيه[3]، وقال الفـراء: هذا مـن المقلوب: لكل أجـل كـتـاب ولكل كـتـاب أجـل[4]، وهو قـولـه: ﴿وجآءت سكرة الموت بالحق ﴾[5] وسكرة الحق بالموت.

---

(١) ذكره البغوي (٣/٢٢)، وابن حبيب (ق:١٣٥/أ)، والواحدي في أسباب النزول (٢٧٩).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٥/أ).
(٣) انظر المصدر السابق، وانظر: تفسير البغوي (٣/٢٢).
(٤) انظر نفس المصدر السابق، وانظر: معاني القرآن للفراء (٢/٦٦).
(٥) سورة (ق) آية ١٩.

﴿يمحوا الله ما يشآء ويثبت﴾ الآية، أكثر الناس فيها حتى بلغ سبعين قولاً، روي عن ابن عباس: فيها أربعة أقاويل[1]:

أحدها: ما رواه أبو صالح أنه قال ﴿يمحوا الله ما يشآء﴾ من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ﴿ويثبت﴾ ما فيه ثواب وعقاب؛ وذلك أن الحفظة تكتب على الإنسان جميع ما يقول ويعمل، فإذا كان يوم الإثنين والخميس عورض ذلك باللوح المحفوظ، فيلقي من كتب الحفظة ما لا جزاء له من خيرٍ وشرٍ، ﴿ويثبت﴾ ما يوافق الكتاب : اللوح من ذكر الخير والشر والثواب والعقاب.

والثاني: قوله: وهما كتابان ﴿يمحوا الله﴾ من أحدهما ﴿ويثبت﴾[2] في الآخر، والثالث: ﴿يمحوا الله ما يشآء﴾ إلا أربعاً: الخَلْق والخُلُق والرزق والأجل، والرابع: ﴿ما يشآء﴾ إلا ستاً / : الخَلْق والخُلُق والرزق والأجل والسعادة والشقاوة. ٢٧٧/أ

وقال الضحاك: ﴿ما يشآء﴾ أي يمحو ما ليس للعبد ولا عليه، ﴿ويثبت﴾ ما عليه وله[3]، وقال عكرمة: ﴿ما يشآء﴾ بالتوبة جميع الذنوب، ﴿ويثبت﴾ بدل الذنوب حسنات[4] بيانه: ﴿إلا من تاب وءامن وعمل عملاً صـلحًا فأولـئك يبدل الله سيئاتهم حسنـت﴾[5] الآية.

وقال الحسن البصري: ﴿يمحو الله ما يشآء﴾ يعني الآباء ﴿ويثبت﴾

(١) نقل هذه الأقاويل الأربعة ابن حبيب في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما (ق:١٣٥/أ)، وأخرج البغوي عن ابن عباس قوله: ﴿يمحو الله ما يشآء ويثبت﴾ إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة. انظر: تفسيره (٣/٢٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/٤٨٠) برقم (٢٠٤٧٣).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٧/أ).

(٤) أخرجه البغوي (٣/٢٣).

(٥) سورة الفرقان آية ٧٠.

الأبنـاء[1].

وقال السـدّي: هذا في الشمس والقمـر، معناه: ﴿ يمحوا الله مـا يشآء ﴾ يعني القمر، ﴿ويثبت ﴾ ما يشاء يعني الشمس[2].

قال محمـد بن كعب القرظي: ﴿ يمحو الله ما يـشآء ويثبت ﴾ إذا ولد الإنسان أثبت أجله ورزقه، وإذا مات يمحي أجله ورزقه[3].

وقـال الربيع بن أنس: هـذا في الأرواح والأجسـاد؛ ومـعناه: ﴿يمحوا الـله ما يشآء ﴾ من الأرواح ويثبت [ما يشاء][4] من الأجساد[5].

قال ابن حبيـب: وسئلت في هذه السنين عن الآية فزدت فيها على سـبعين قولاً، لكن ختمتها بقول يعلو الأقاويل كلها، وهو القول العام الموجب لقبوله: ﴿ يمحوا الله ما يشآء﴾ الدنيا ﴿ ويثبت﴾ الآخرة[6].

﴿ وعنده أم الكتـب﴾ يعني اللوح المحفوظ.

﴿ وإمّا نرينك ﴾ أي: وإن نرينك، ومـا صلة والمعنى : وإن مـا أريناك ﴿ بعض الذى نعدهم ﴾ ، من العـذاب في حيـاتك ﴿ أو نتوفينك ﴾ وعذبناهم بـعد مماتك، ﴿فإنما عليك البلـغ﴾ فليس عليك إلا البلاغ ﴿ وعلينا الحساب﴾. الجزاء.

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٥/أ)، وأخرجه البغوي عن الحسن بلفظ: أي من جاء أجلُه يذهب به، ويثبت من لم يجيء أجله إلى يوم أجله (٣/٢٣).

(٢) أخرجه البغوي (٣/٢٣).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٥/أ).

(٤) سقط من الأصل وأثبته لدلالة مقتضى السياق عليه.

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٥/أ)، والبغوي (٣/٢٣).

(٦) انظر: قول ابن حبيب في تفسيره (ق:١٣٥/ب).

وقوله: ﴿ أو لم يروا ﴾ يعني أهل مكة ﴿ أنا نأتي الأرض ﴾ الآية روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «هو موت العلماء والعباد»[1].

قال ابن عباس: ما كان يفتح الله حول مكة من القرى[2]، ويرجع إلى المسلمين ، قال الحسن: هو نقصان أطراف المشركين والزيادة في أطراف المؤمنين[3]، قال عكرمة: يعني موت الناس[4]، ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ لا راد لقضائه، ﴿ وهو سريع الحساب﴾ قال ابن عباس: إذا حاسب فحسابه سريع[5].

﴿ وقد مكر الذين من قبلهم ﴾ وقد كفر الذين من قبلهم. أي الأمم السابقة ﴿ فلله المكر جميعاً ﴾ يعني جزاء المكر بالنار، ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾ من خير وشر ﴿ وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ﴾ لمن له في العاقبة الجنة أي الرجاء والعاقبة المحمودة.

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٥/ب) وفي تفسير ابن كثير : قال ابن عباس في رواية: خرابها بموت فقهائها وعلمائها وأهل الخير منها.
وأخرج الحاكم في المستدرك من طريق طلحة عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزوجل: ﴿ أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصهامن أطرافها﴾ «قال موت علمائها وفقهائها» ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: طلحة بن عمرو قال أحمد متروك.
انظر: المستدرك للحاكم (٢/ ٣٥٠).
وقد رجح ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٩٧)، وابن كثير (٤/ ٣٩٣) أن معنى الآية ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية، وهو المروي عن ابن عباس أيضاً.
انظر: الطبري (١٦/ ٤٩٣).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٩٣) برقم (٢٠٥١٤) بلفظ: أولم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض، وبرقم (٢٠٥١٥) .

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٥/ب).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/ ٤٩٦) برقم (٢٠٥٢٨، ٢٠٥٢٩، ٢٠٥٣٠).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٥/ب).

قوله: ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ قال ابن عباس :هذه الآية في اليهود: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وكنانة ابن أبي الحقيق وشعبة بن عمير[١]، وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في مشركي مكة[٢]، ﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلاً ﴾ لست يا محمد رسول الله، ﴿ قل ﴾ يا محمد: ﴿ كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ﴾ بأني رسول ﴿ ومن عنده علم الكتٰب ﴾ يعني: علم التوراة ، وهو : عبدالله بن سلام ومؤمنوا[٣] أهل الكتاب يشهدون بأني رسول الله .

وقال ابن حبيب: وهذا من مفصول الجواب، وجوابه في آيات إحداها: ﴿ يسٓ والقرءان الحكيم ﴾[٤] [الآية] والثانية: ﴿ وربك يخلق ما يشآء ويختار ﴾[٥] والثالثة: ﴿إنا أرسلنٰك بالحق بشيًرا ونذيراً[٦] ...﴾[٧].

وقرئ في الشواذ ﴿ ومن عنده علم الكتٰب﴾ بخفض[٨] من كقوله: ﴿وعلمنٰه من لدنا علماً ﴾[٩] والسورة كلها مكية.

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٥/ب)، وأخرج مثله الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما (٥٠٢/١٦) برقم (٢٠٥٣٧).

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٣٦/أ).

(٣) الآية مكية وعبدالله بن سلام أسلم بعد الهجرة إلى المدينة ، والصحيح كما قال ابن كثير (٣٩٤/٤): أن (ومن عنده) ، اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمه، من بشارات الأنبياء به والله أعلم.

(٤) سورة يس آيه ١.

(٥) سورة القصص آية ٦٨.

(٦) سورة البقرة آية ١١٩، وسورة فاطر آية ٢٤.

(٧) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٣٦/أ).

(٨) انظر: الطبري (٥٠٣/١٦)، والبحر المحيط (٤٠٢/٥).

(٩) سورة الكهف آية ٦٥.

تفسير سورة إبراهيم - عليه السلام

وهي كلها مكية إلا قوله ﴿ ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة اللهِ كُفْراً ... ﴾ إلى آخر الآيتين فإنهما نزلتا بالمدينة.

وهي خمسون وآيتان في الكوفي، وأربع في المدني، وآية في البصري. [وكلامها][1] ثمانمائة / كلمة، وعدد حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وتسعون حرفاً. ٢٧٧/ب

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله المؤمن المهيمن الذي لا يُضيّع ولا يخيّب.

قوله ﴿الٓر ﴾ قال ابن عباس: أنا الله أرى، ﴿كتـٰب﴾ أي، هذا كتابٌ يعني القرآن كأنه إبتداءٌ، وخبره في قوله: ﴿ أنزلنـٰه إليك ﴾ يا محمد ﴿ لتخرج الناس﴾ لتدعو أهل مكة ﴿ من الظلمـٰت إلى النور ﴾ يعني: من الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة ومن سخط الله إلى رضا الله، ﴿ بإذن ربهم ﴾ بأمر ربهم، ﴿ إلى صراط العزيز الحميد ﴾ إلى دين الله الإسلام، والصراط في اللغة الطريق، ﴿والعزيز﴾ المنيع بالنقمة ممن يشاء، ﴿الحميد﴾ في أمره وأفعاله، وقيل: الحميد المحمود عند خلقه.

﴿ الله الذى له ما فى السمـٰوٰت وما فى الأرض ﴾ قرئ بالرفع والخفض[2]، من قرأ بالرفع فعلى الاستئناف، وخبره ﴿الذى له ما فى السمـٰوٰت وما فى الأرض﴾،

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب: وكلماتها أو عدد كلماتها.

(٢) بالرفع قرأ نافع، وابن عامر، والمفضل الضبي عن عاصم، وبالجر قرأ الباقون انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٨١/٢).

ومن قرأ بالخفض فعلى التقديم والتأخير، ومجازه إلى صراط الله العزيز الحميد، وهذا كما تقول في الكلام: مررت بالظريف عبدالله، ومعناه: مررت بعبدالله الظريف ﴿الله الذى له ما فى السموٰت وما فى الأرض﴾ من الخلق والعجائب كلها، ﴿وويلٌ للكٰفرين﴾ قال ابن عباس: الويل وادٍ في جهنم[1]، قال الكلبي: مملوء من القيح والصديد[2]، ويقال، الويل: شدة العذاب، وأصل الويل: الثبور والحرب، ﴿من عذابٍ شديد﴾ يعني عذاب النار.

ثم وصفهم فقال: ﴿الذين يستحبون﴾ يعني: يختارون ﴿الحيوٰة الدنيا على الأخرة ويصدون عن سبيل الله﴾ أي ويمنعون الناس عن دين الله ﴿ويبغونها عوجًا﴾ أي يطلبون ف دين الله زيغاً، وقال مقاتل بن حيان: غيراً[3]، والكناية مردودةٌ إلى السبيل، وهو يؤنث ويذكر، ﴿أولئك فى ضلٰل بعيد﴾ أي في خطأ بعيد، وقال الكلبي: معنى البعيد: الطويل[4].

﴿ومآ أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ إلا بلغة قومه ليفقهوا عنه ويفهموه، بيانه، قوله: ﴿ليبيّن لهم﴾ [لما][5] أمروا به وما نهوا عنه، ﴿فيضل الله من يشآء﴾ بتكذيب الرسل ﴿ويهدى من يشآء﴾ بتصديقهم ﴿وهو العزيز﴾ فلا يوجد

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٨/أ)، وأخرج ابن جرير الطبري (٢/٢٦٩) برقم (١٣٨٧) حديث عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «ويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ إلى قعره..

قال أحمد محمد شاكر في الحكم على هذا الحديث: إسناده صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/٥٩٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٦/أ)، وأخرج مثله الطبري (٢/٢٦٧، ٢٦٨) عن أبي عياض عمرو بن الأسود العنسي تابعي قال: الويل، وادٍ صديد في جهنم.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٦/أ).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٦/أ).

(٥) كذا في الأصل ولعل الصواب حذف اللام ليستقيم المعنى.

مثله ﴿الحكيم﴾ حكم لقومٍ بتكذيب الرسول وحكم لقوم بتصديقه[1].

قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسىٰ بـٔايٰتنآ﴾ التسع: اليد والعصا وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس ﴿أن أخرج قومك﴾ فيه إضمارٌ معناه: قلنا له أن ادع[2] قومك. وقال بعضهم[3]: معناه: ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وبأن أخرج قومك ﴿من الظلمٰت إلى النور﴾ يعني من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ﴿وذكرهم﴾ : وعظهم ﴿بأيٰم الله﴾ قال أبي بن كعبٍ ومجاهدٌ وقتادةٌ: بنعم الله[4]، قال مقاتل بن سليمان: ﴿بأيٰم الله﴾ : بعذاب الله في الأمم السالفة[5]، وقال ابن عباس: ﴿وذكرهم بأيٰم الله﴾ أي بنعمائه وبلائه[6]؛ فأما نعماؤه فهو أن ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر إلى سائر نعمائه عليهم،/ وأما بلاؤه فإهلاكه قوم نوح وعادٍ وثمودٍ ولوطٍ وشعيب. ٢٧٨/أ

﴿إن فى ذلك﴾ فيما ذكرت لكم ﴿لأيٰت﴾ لعلامات ودلالات ﴿لكل صبارٍ﴾ على الطاعة ﴿شكورٍ﴾ بالنعم.

اعترضت الزنادقة في هذه الآية والتي في سورة سبأ ﴿ومزّقنٰهم كل ممزقٍ إن فى ذلك لأيٰتٍ لكل صبارٍ شكورٍ﴾[7] قالوا: فأي فائدةٍ في تخصيص الصبار

(١) بمثله قال ابن كثير (٣٩٧/٤)، وابن جرير (٥١٧/١٦).
(٢) ابن جرير الطبري (٥١٨/١٦).
(٣) فسّرها بمثله ابن كثير (٣٩٧/٤).
(٤) أخرجه الطبري (٥٢٢/١٦) برقم (٢٠٥٧٩) عن أبي بن كعب يرفعه، وهذا الخبر نقله ابن كثير في تفسيره (٣٩٨/٥)، وأشار إلى رفعه ووقفه على أبي رضي الله عنه. وأخرج ابن جرير الطبري عن مجاهد وقتادة أيضًا (٥٢٠/١٦، ٥٢١) برقم (٢٠٥٦٧، ٢٠٥٦٨، ٢٠٥٦٩، ٢٠٥٧٠، ٢٠٥٧١، ٢٠٥٧٢، ٢٠٥٧٣، ٢٠٥٧٤، ٢٠٥٧٦).
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٩٨/٢).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٦/ب).
(٧) سورة سبأ آية ١٩.

والشكور وفيها آياتٌ لجميع الناس؟ قلنا: ليس معنى الآية [ما ذهبتم][1] إليه، وإنما المعنى: إن في ذلك لآياتٍ لكل مؤمنٍ؛ لأن الصبر والشكر من أفعال المؤمنين. والعرب تعبر ببعض الشيء عن كله، ولأن حال المؤمنين شدةٌ أو نعمةٌ، فالصبر لأحدهما والشكر لأخرى، ومنه قول النبي ﷺ: «الإيمان نصفان: نصفه في الصبر، ونصفه في الشكر»[2].

قوله: ﴿ **وإذ قال موسى** ﴾ أي واذكر إذ قال موسى، وقيل: وقد قال موسى ﴿**لقومه**﴾ يعني لبني إسرائيل ﴿ **اذكروا نعمة الله** ﴾ منة الله ﴿**عليكم إذ أنجـكم** ﴾ حين أنجاكم ﴿ **من ءال فرعون** ﴾ يعني: أتباعه وأشياعه ﴿ **يسومونكم** ﴾ يولونكم[3]، وقيل: يعذبونكم، وقيل: يكلفونكم ﴿ **سوء العذاب**﴾ أشد العذاب ﴿ **ويذبحون أبنآءكم** ﴾ صغاراً، وقال الفراء: والعلة الجالبة لهذه الواو أن الله أراهم أن فرعون كان يسومهم بأنواع العذاب فكأنه قال: كان يعذبكم بالذبح وغير الذبح[4] وأما طرح الواو في قوله: يذبحون أبناءكم فإنه تفسير صفات العذاب كما قال الله في سورة البقرة: ﴿**وإذ أنجينـكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبنآءكم ويستحيون نسآءكم**﴾[5] يستخدمونهن كباراً.

قال أبو عبيدة: يستبقونهن وأصلها من الحياة[6] ومنه قول النبي ﷺ: «اقتلوا

---

(١) في الأصل: ما ذهبت والصواب ما أثبتُه لأنه يرد على جماعة.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٢٣/٧) برقم (٩٧١٥)، وهو ضعيف جداً، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (٦٢٥).

(٣) كذا في الأصل، وأيضاً عند ابن حبيب (ق:١٣٦/ب) وفي حاشية تفسير الحيري يؤذونكم، ولعله أولى بالصواب.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٦٩/٢).

(٥) سورة البقرة آية ٤٩.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٦/ب).

شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم»[1] أي: دعوا شبابهم أحياء، ﴿ **وفى ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيمٌ** ﴾ أي: في جميع ما وصفنا نعمةٌ عظيمةٌ من الله.

قوله: ﴿ **وإذ تأذن ربكم** ﴾ قال القتيبي: أعلم[2] ربكم، ومنه الأذان والتأذين بالصلاة، ﴿ **لئن شكرتم** ﴾ قال ابن عباس: أي شكرتم في النعيم، ﴿ **لأزيدنكم** ﴾[3].

وقال مجاهد: ﴿ **لئن شكرتم** ﴾ فى الطاعة[4] ﴿ **لأزيدنكم** ﴾، قال سفيان بن عيينة: الشكر بقاء النعمة، وثمن الزيادة ومرضاة الرب[5].

﴿ **ولئن كفرتم** ﴾ جحدتم نعمائي، ولم تشكروني بها، ﴿ **إن عذابى** ﴾ للكافرين ﴿ **لشديد** ﴾، ﴿ **وقال موسىٰ** ﴾ أي لقومه: ﴿ **إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعًا فإن الله لغنىٌ** ﴾ عن إيمانكم وطاعتكم، ﴿ **حميدٌ** ﴾ عند من لم يعص ولم يهَمّ بمعصيةٍ[6] يعني الملائكة.

﴿ **ألم يأتكم نبؤا الذين** ﴾ خبر الذين، ﴿ **من قبلكم قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ** ﴾، كيف أهلكناهم ﴿ **و** ﴾ أهلكنا ﴿ **الذين من بعدهم** ﴾ من بعد قوم نوحٍ وصالحٍ وهودٍ وشعيبٍ وغيرهم، ﴿ **لايعلمهم** ﴾ أي: لا يعلم عددهم وكثرتهم وأحسابهم

---

(١) اخرجه أبو داود (٣/١٢٢) كتاب الجهاد حديث رقم (٢٦٧٠) والترمذي برقم (١٥٨٣) وقال حديث حسن صحيح غريب، وأحمد في مسنده (٥/١٢، ١٣، ٢٠)، والشرخ جمع شارخ كصحب وصاحب، وهو الشباب . انظر: مختار الصحاح للرازي (٣٣٣).

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٧٤).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٦/ب).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٦/ب).

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) الحميد: هو المحمود من الملائكة وغيرهم وإن كفره من كفره، انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣٩٩).

وأنسابهم ، ﴿ إلا الله ﴾ قال أبو وائل[1]: كان عبدالله بن مسعود يقول إذا قرأ هذه الآية: كذب النسابون، كذب النسابون[2]، أي الذين يدّعون علم الأنساب والقبائل والبطون والأفخاذ، ﴿ جآءتهم رسلهم بالبينـٰت ﴾ بالأمر والنهي، والحلال والحرام، والحدود والأحكام، والكتب والمعجزات، ﴿ فردوا أيديهم فى أفوٰههم ﴾ ، قال ابن عباس في رواية الكلبي: فردوا أيديهم يعني الأمم في أفواه أنفسهم[3]، أي وضعوا الأيدي على الأفواه إشارةً إلى الرسل أن اسكتوا، وقال مقاتل: يعني الأمم في أفواههم أي أفواه الرسل أسكتوهم بذلك[4].

قال ابن حبيب: يدل على صحة ما قال مقاتل فعل عتبة بن ربيعة حين قال لرسول الله ﷺ / -وكان شيخ العرب-: اقرأ عليّ مما أُنزل عليك، فقرأ رسول الله ﷺ ﴿حـمٓ﴾ فصلت، حتى إذا بلغ قوله: ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صـٰعقة مثل صـٰعقة عادٍ وثمودٍ ﴾[5] فقفز ووضع يده على فم رسول الله حتى لم يزد في القراءة، فقيل له في ذلك، فقال: خشيت إن أتم الآية أن يأتيني صاعقةٌ من الصاعقة فتحرقني[6]. ٢٧٨/ب

(١) شقيق بن سلمة أبو وائل الكوفي، ثقة، مخضرم ،روى له الجماعة، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز، انظر: تهذيب التهذيب (٣٦١/٤) وسير أعلام النبلاء (١٦١/٤).

(٢) أخرجه الطبري (٥٣٠/١٦) برقم (٢٠٥٩٢).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٦/أ)، ونسب البغوي هذا القول إلى الكلبي (٢٧/٣)، وأخرج الطبري مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما (٥٣٣/١٦) برقم (٢٠٦٠٥) بلفظ: ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم، تعجبًا من القرآن .

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣٩٩/٢).

(٥) سورة فصلت آية (١ إلى ١٣).

(٦) الحديث ساقه البغوي في تفسيره بسنده إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنه، وفي سنده الأجلح بن عبدالله الكندي قال ابن كثير رحمه الله وقد ضعف بعض الشيء. انظر: تفسير البغوي (١١٠/٤)، وتفسير ابن كثير (١٥١/٧).

قال مجاهد وقتادة: ﴿فردوا أيديهم فى أفوٰههم﴾ أي: كذبوا الرسل وردوا ما جاؤا به[١]، قال الأخفش: ﴿فردوا أيديهم في أفوٰههم﴾ أي كفوا عما أمروا به ولم يمضوه[٢]، ﴿وقالوا﴾ يعني الأمم ﴿إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب﴾، يعني موقعا في التهم، ومعناه إنا لفي شك مريب مما تدعونا إليه، والمريب ظاهر الشك، و ﴿قالت رسلهم أفى الله شك﴾ ، أي: في توحيد الله ودين الله شك؟ ﴿فاطر السمٰوٰت والأرض﴾ يعني الله أي: خالقهما ﴿يدعوكم﴾ ، إلى الإيمان والتوحيد، ﴿ليغفر لكم﴾ ، لكي يغفر لكم، ﴿من ذنوبكم﴾ ، من صلة أي ذنوبكم، ﴿ويؤخركم﴾ ويؤجلكم ﴿إلىٰ أجلٍ مسمىً﴾ ، أي: الموت، ﴿قالوا﴾ ، أي الأمم السالفة للرسل، ﴿إن أنتم﴾ ، أي: ما أنتم، ﴿إلا بشر مثلنا﴾ ، آدميٌّ مثلنا، ﴿تريدون أن تصدونا﴾ ، تمنعونا، ﴿عما كان يعبد ءاباؤنا فأتونا بسلطٰن مبين﴾ ، فجيئوا إلينا بحجة بينة على صحة دعواكم.

قال القتيبي: السلطان على وجهين: ملك وحجة؛ فأما الملك فقوله: ﴿ما كان لى عليكم من سلطٰن﴾[٣] يعني ملكًا، وأما الحجة فقوله: ﴿إن عندكم من سلطٰن بهذا﴾[٤] أي: ما عندكم من حجة[٥] بهذا، وكذلك هـهنا ﴿فأتونا بسلطٰن مبين﴾ بحجةٍ مبينة فأجابتهم الرسل، ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن﴾، أي ما نحن ﴿إلا بشر مثلكم﴾ [آدميٌّ][٦] مخلوقون محتاجون ﴿ولكن الله يمن علىٰ من يشآء من عباده﴾ ، ولكن يتفضل الله على من يشاء من عباده بالوحي والرسالة والإسلام،

---

(١) أخرجه الطبري (٥٣٤/١٦) برقم (٢٠٦٠٦، ٢٠٦٠٩) عنهما .
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٧/أ).
(٣) سورة إبراهيم آية ٢٢.
(٤) سورة يونس آية ٦٨.
(٥) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:١٩٨).
(٦) كذا في الأصل والصواب آدميون.

﴿ **وما كان لنآ** ﴾ : وما جاز لنا، ﴿ **أن نأتيكم بسلطـٰن**﴾، يعني بحجةٍ، ﴿ **إلا بإذن الله**﴾: إلا بأمر الله وقضائه، ﴿**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾، أي: وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله، وقيل: فليثق به المؤمنون ، وفيه إضمارٌ، وهو: فقالوا للرسل: توكلوا أنتم على الله، فقالت الرسل: ﴿ **وما لنآ ألا نتوكل على الله**﴾، يعني ألا نثق بالله، وما لنا ما الجحد، ﴿ **وقد هدٰنا سبلنا** ﴾: بين لنا طريق الخير والشر، ﴿**ولنصبرن**﴾ : اللام جواب القسم، أي: والله لنصبرن والنون نون التوكيد، ﴿ **على مآ ءاذيتمونا**﴾ هو ما المصدر يعني: ولنصبرن على أذاكم، ﴿**وعلى الله فليتوكل المتوكلون**﴾ : فليثق الواثقون.

قوله: ﴿ **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنآ**﴾: من مدينتنا حين دعوهم إلى الإيمان، كما قالوا لشعيب، ﴿**أو لتعودن فى ملتنا**﴾ : إلا أن ترجعون إلى ديننا ودين آبائك، ﴿ **فأوحى إليهم ربهم** ﴾ ، يعني: إلى الرسل، ﴿ **لنهلكن الظـٰلمين**﴾ ، يعني: أعداءكم من المشركين والقائلين لهم هذه المقالة.

﴿ **ولنسكننكم الأرض** ﴾ ولننزلنكم الأرض ، ﴿ **من بعدهم** ﴾: من بعد هلاكهم، نظيره: ﴿ **كم تركوا من جنـٰت وعيون ، [وزروع]**[1] **ومقام كريم** ﴾ إلى قوله: ﴿ **قوماً ءاخرين**﴾[2]، وقوله: ﴿ **ثم جعلناكم خلـٰئف فى الأرض من بعدهم**﴾[3]، وقوله: ﴿ **وسكنتم فى مسـٰكن الذين ظلموا أنفسهم ...**﴾[4] ﴿**ذلك**﴾ المسكن ﴿ **لمن خاف مقامى** ﴾ ، يعني لمن خاف مقامه بين يدي، معناه: ذلك لمن خاف مقامي عليه/ وحفظي أسبابه من قوله: ﴿ **أفمن هو قآئمٌ على كل نفس بما** ٢٧٩/أ

(١) بالأصل: [وكنوز] وهو خطأ وخلط بين آيات سورة الدخان وآيات سورة الشعراء.

(٢) سورة الدخان الآيات من (٢٥ – ٢٨).

(٣) سورة يونس ١٤.

(٤) سورة إبراهيم ٤٥.

كسبت ﴾[1].

قال الأخفش: ذلك لمن خاف مقامي يعني عذابي، ، ﴿ **وخاف وعيد** ﴾ يعني القرآن[2].

﴿ **واستفتحوا** ﴾ : واستنصر كل قوم على نبيهم، واختلفوا في المستفتحين، فقال ابن عباس ومقاتل: يعني الأمم[3]، وذلك أن الرسل أنذروا الأمم ودعوهم إلى الإيمان فكذبوهم ولم يؤمنوا بهم، فدعا الأمم ربهم وقالوا: اللهم إن كان رسلنا صادقين فعذبنا، نظيره ﴿ **ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصلدقين** ﴾[4].

قال مجاهد وقتادة: واستفتحوا يعني الرسل، وذلك أنهم لما أيسوا من إيمان قومهم دعوا عليهم[5]، بيانه قوم نوح: ﴿ **رب لا تذر على الأرض ...** ﴾[6] الآية، وقول موسى: ﴿ **ربنا اطمس على أموٰلهم ...** ﴾[7]، وقول لوط: ﴿ **رب انصرنى على القوم المفسدين** ﴾[8].

﴿**وخاب**﴾ وخسر عند الدعاء للنصرة، ﴿ **كل جبار عنيد**﴾ : قتال متكبر معرض مجانب.

﴿ **من ورآئه جهنم**﴾ ، قال أبو عبيدة: يعني أمامه[9] ؛ وهو من الأضداد؛ يقال

---

(١) سورة الرعد ٣٣.
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٧/ب).
(٣) أخرجه البغوي (٣/٢٨)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٤٠١).
(٤) سورة العنكبوت آية ٢٩.
(٥) البغوي (٣/٢٨) ، وتفسير ابن حبيب (ق:١٣٧/ب).
(٦) سورة نوح آية ٢٦.
(٧) سورة يونس آية ٨٨.
(٨) سورة العنكبوت آية ٣٠.
(٩) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٣٣٧).

أمامك زيد يعني خلفك وقدامك، وقال مقاتل: من ورائه جهنم يعني من بعده[١].

قال ابن حبيب: والأصل في هذا أن كل من وارى عنك شيئاً من خلف أوقدام فهو وراء[٢].

﴿ ويسقىٰ من مآءٍ صديدٍ ﴾ قال مقاتل: خلطة قيح ودم[٣]، قال قتادة: هو ما يخرج من بين جلد الكافر ولحمه[٤].

قال الربيع بن أنس ومحمد بن كعب: هو غسالة أهل النار، وذلك ما يسيل من فروج الزناة يسقاها الكافر[٥].

﴿ **يتجرعه** ﴾ : يستمسك الصديد في حلقه ، ﴿ **ولا يكاد يسيغه** ﴾ : يكاد صلة ومعناه لا يسيغه، نظيره: ﴿ **لم يكد يرىٰها** ﴾[٦]، أي: لم يرها، ويكد صلة.

قال ابن عباس: لا يجيزه عن حلقه[٧].

وقيل: لا يمريه، يعني الصديد عن حلقه، ﴿ **ويأتيه الموت** ﴾ في النار، ﴿ **من كل مكان** ﴾ : من كل ناحية، أي: ليس في جسده موضع شعرةٍ إلا والموت يأتيه منها من شدة العذاب حتى يجد طعم الموت وكربه.

وقيل: يعني ويأتيه الموت من كل مكان: من كل عضوٍ ومفصل.

---

(١) انظر: تفسيره (٢/٤٠١).
(٢) انظر: تفسير ابن حبيب مخطوط (ق:١٣٧/ب).
(٣) أنظر: تفسير مقاتل (٢/٤٠١).
(٤) أخرجه الطبري (١٦/٥٤٨) برقم (٢٠٦٢٩).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٧/ب)، والبغوي (٣/٢٩) عن محمد بن كعب.
(٦) سورة النور آية ٤٠.
(٧) أخرجه البغوي (٣/٢٩)، وذكره ابن حبيب (ق:١٣٧/ب).

وقال الأخفش: ﴿ ويأتيه الموت ...﴾ الآية يعني البلايا التي تصيب الكافر في النار من كل جانب سمّاها موتاً[1]، ﴿ وما هو بميت﴾ يعني لم [تفارقه][2] روحه لأنه إن مات استراح ويدل عليه قوله ﴿ لا يموت فيها ولا يحى ﴾[3] قراءة العامة بالتثقيل وروي عن ابن كثير﴿ وما هو بميت ﴾ بالتخفيف، ﴿ ومن ورآئه عذاب غليظ ﴾ ، يعني أمامه عذابٌ غليظ، يعني أمامه عذابٌ شديدٌ في النار.

قوله: ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمـٰلهم ﴾ قال الفراء: أضاف المثل إلى الكافرين والمثل للأعمال[4] دونهم مجازه: مثل أعمال الذين كفروا بربهم ﴿كرماد اشتدت به الريح﴾، نظيره قوله: ﴿ الذى أحسن كل شئ خلقه ﴾[5] معناه: الذى أحسن خلق كل شئ، وقوله: ﴿ ويوم القيـٰمة ترى الذين كذبو على الله ...﴾[6] الآية.

قال الفراء أيضًا: وإن شئت جعلت المثل صلة فقلت: ﴿ الذين كفروا بربهم أعمـٰلهم كرماد ﴾[7] الآية ومعناها أن الكافر لا ينتفع [بعلمه][8]، كما أن الرماد الذى ذرته الريح لا ينتفع به، ﴿ فى يوم عاصف ﴾، والعاصف ليس من نعت اليوم ولكنه وصف اليوم فيه للجواز.

قال الفراء: إن شئت قلت: في يوم ذي عصوف وإن شئت قلت: في يوم عاصف الريح[9]، ولذلك قال القتيبي.

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٧/ب).
(٢) في الأصل بالياء: [يفارقه] والصواب ما أثبته.
(٣) سورة الأعلى آية ١٣.
(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٧٢).
(٥) سورة السجده ٧.
(٦) سورة الزمر ٦٠.
(٧) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٧٣).
(٨) كذا في الأصل والصواب [بعمله] ، انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٣٨/أ).
(٩) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٧٣، ٧٤).

﴿ لا يقدرون﴾ يعني / الكفار، ﴿ مما كسبوا على شئ﴾ ، أي: لا يقدرون على ثواب أعمالهم مما كسبوا لأن كسبهم كان في غير إيمان[١]، ﴿ ذلك ﴾ الكفر والعمل لغير الله، ﴿هو الضلـل البعيد﴾ : هو الخطأ الطويل. ٢٧٩/ب

قوله: ﴿ألم تر﴾: ألم تخبر يا محمد، خاطب نبيه وأراد به قومه، ﴿ أن الله خلق السمـوت والأرض بالحق ﴾ ، أي : لم يخلقهما باطلاً، وإنما خلقهما لأمر كائن، ﴿إن يشأ يذهبكم ﴾ يهلككم، ﴿ ويأت بخلق جديد﴾ أي: ويأت بقوم سواكم خير منكم وأطوع لله منكم، ﴿ وما ذلك على الله بعزيز﴾ بشديد يعني: إهلاككم والإتيان بمثلكم.

قوله: ﴿ وبرزوا لله جميعاً ﴾، يعني خرجوا من قبورهم ، ﴿ فقال الضعفـؤا﴾ يعني الأتباع، ﴿ للذين استكبروا ﴾ يعني المتبوعين، ﴿ إنا كنا لكم تبعاً ﴾ ، أي: تابعين في الدنيا، وهو جمع تابع، جمع قليل نظيره: حارس وحرس، وراصد ورصد، وناقر ونقر، ﴿ فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ ﴾ ، أي: نافعون لنا ودافعون عذاب الله عنا، قال المتبوعون: ﴿ لو هدنـا الله ﴾ يعني لو هدانا لدينه ﴿لهدينـكم ﴾ إلى دينه، ﴿ سوآءٌ علينآ أجزعنآ أم صبرنا ﴾ ، قال مقاتل: إنهم يقولون في النار: تعالوا نجزع، فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون: تعالوا حتى نصبر، فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر، فحينئذ يقولون: سواءٌ علينا أجزعنا من العذاب أم صبرنا على العذاب[٢]، ﴿ ما لنا من محيص ﴾ من فرار ونجاة.

﴿ وقال الشيطـن ﴾، يعني إبليس، ﴿ لما قضى الأمر ﴾ ، قال ابن عباس: حين

(١) لم أقف على قول ابن قتيبة هذا.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٤٠٢).

أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار[1]، قال مقاتل: يوضع له منبرٌ في النار فيرقاه ويجتمع عليه الكفار باللائمة[2]، فيقول لهم: ﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ﴾، يعني كون هذا اليوم كما ترون، فصدقكم وعده، ﴿ ووعدتكم ﴾ ، أنه غير كائن، ﴿ فأخلفتكم ﴾، وعدي، ﴿ وما كان لى عليكم من سلطـٰن ﴾، أي: ملك في الدنيا، ﴿ إلا أن دعوتكم ﴾ إلى طاعتي، ﴿ فاستجبتم لى ﴾ في طاعتي، ﴿فلا تلومونى﴾، بدعوتي إياكم، ﴿ ولوموا أنفسكم﴾، بإجابتكم لي، ﴿مآ أنا بمصرخكم﴾: بمنجيكم ومنقذكم ومغيثكم ومجيركم، ﴿ ومآ أنتم بمصرخى﴾: بمنجي ومنقذي ومغيثي ومجيري، وقرأ حمزة والأعمش بمصرخيٍّ بالكسر والإشباع[3]، ﴿ إنى كفرت ﴾ تبرأت منكم ومن دينكم ومن إجابتكم، ﴿بمآ أشركتمون﴾، يعني شرككم إياي ﴿ من قبل ﴾ ، يعني من قبل هذا في الدنيا، ﴿ إن الظـٰلمين ﴾ ، يعني الكافرين ﴿ لهم عذابٌ أليمٌ﴾ موجعٌ مؤلم أي يخلص وجعه إلى قلوبهم.

من قوله: ﴿وقال الشيطـٰن لما قضى الأمر﴾ إلى هنا من قول إبليس للكفار توبيخاً لهم، ثم ذكر مدخل المؤمنين فقال: ﴿وأدخل الذين ءامنوا وعملوا الصـٰلحـٰت جنـٰت﴾ :بساتين، ﴿تجرى من تحتها﴾ من تحت شجرها ومساكنها، ﴿الأنهـٰر خـٰلدين فيها﴾ مقيمين فيها لا يخرجون أبداً، ﴿بإذن ربهم﴾ ، يعني بأمر ربهم،﴿تحيتهم فيها سلـٰم﴾ قال ابن عباس: يحيى بعضهم بعضاً بالسلام إذا تلاقوا[4].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٨/أ)، وقال البغوي مثله (٣١/٣) دون أن يعزوه إلى أحد.

(٢) البغوي (٣١/٣) ، وابن حبيب (ق:١٣٨/ب).

(٣) ذكرها في البحر المحيط (٤١٩/٥) عن الأعمش وحمزة ويحي بن وثاب. وقال وطعن كثير من النحاة في هذه القراءة.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٨/ب).

قال الضحاك: ﴿ تحيتهم فيها سلٰم﴾ يعني أن الملائكة يدخلون عليهم من كل بابٍ يسلمون عليهم[١].

قال أبو حاتم سهل بن محمد: وقرأ بعض القراء ﴿وأدخل الذين ءامنوا ﴾بضم الهمزة والسلام على الخبر وهو حسنٌ في المعنى ولا أدري من قرأ به[٢].

قوله: ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً ﴾ ، قال ابن عباس: يقول ألم تخبر يا محمد كيف بين الله مثلاً، ﴿ كلمةً طيبةً﴾ وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿ كشجرةٍ طيبةٍ﴾[٣]، يعني شجرة النخلة، ومعنى طيبة حسنة، وهو المؤمن، ﴿ أصلها ثابت﴾ ، يعني أن المعرفة ثابتة في قلب المؤمن كما أن أصل الشجرة ثابت في الأرض، ﴿ وفرعها فى السمآء ﴾ يعني أن أعضاء الشجرة عالية في السماء وهو الهواء، كذلك الشهادة برفعها العمل الصالح، ﴿ تؤتى أكلها كل حين ﴾ ، يقول يخرج ثمرها كل ستة أشهر[٤]، ﴿ بإذن ربها﴾ : بإرادة ربها، وكذلك المؤمن المخلص يعمل كل حين طاعة وخيراً بأمر ربه.

قال: واختلفت الناس في العلة التي بها شبه المؤمن بالنخلة فقال قائل: إن العلة فيه تسوية حال المؤمن والنخلة في قطع الرأس، وذلك أن كل شجرة سوى النخلة إذا قطع رأسها تتشعب الغصون من جوانبها، والنخلة إذا قطع رأسها ذهبت أصلاً، كما أن المؤمن إذا قطع رأسه ذهب أصلاً، وشجرة النخلة إذا قطع غير رأسها بقيت، وكذلك المؤمن إذا قطع غير رأسه بقي، ﴿ ويضرب الله الأمثال ﴾ ، يعني

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٣٨/ب).

(٢) لم أجده.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٨/) وأخرج الطبري مثله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما (٥٦٧/١٦) برقم (٢٠٦٥٨).

(٤) المعروف أن النخله لا تثمر في السنة إلاّ مرة واحدة وليست كل ستة أشهر لأنها لو كانت كذلك لكانت تثمر في السنة مرتين وهذا غير معروف.

ويبين الله الأمثال والأشباه ﴿ للناس لعلهم يتذكرون ﴾ لكي يتعظوا ويرغبوا في توحيد الله.

قوله: ﴿ ومثل كلمةٍ خبيثةٍ ﴾ ، يعني الشرك، ﴿ كشجرةٍ خبيثةٍ ﴾ ، قال أنس ابن مالك: وهي الحنظل[1] فكما أنها أخبث الأشجار كذلك الشرك أخبث الكلمات، وكما أنها لا ينتفع بها كذلك الشرك لا ينتفع صاحبه به، ﴿ اجتُثت من فوق الأرض ﴾ ، قال ابن عباس: اقتلعت من وجه الأرض[2]، وقال السدّي: انتزعت[3] من وجه الأرض.

قال المورج: اجتثت أي أخذت جثتها وهي نفسها من فوق الأرض[4]: من وجه الأرض، ﴿ ما لها من قرار ﴾: من أصل في الأرض فكذلك الشرك لا قرار له ولا أصل.

قوله: ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت ﴾ ، الباء مكان على وهي الشهادة ﴿ فى الحيوٰة الدنيا﴾، يعني في الدنيا، ﴿ وفى الأخرة ﴾، يعني في القبر عند سؤال منكر ونكير.

قال ابن عباس: من دام على الشهادة في الحياة الدنيا يثبته الله عليها في قبره[5]،

(١) أخرجه الطبري (٥٨٣/١٦) برقم (٢٠٧٣٨، ٢٠٧٣٩).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٩/أ).
(٣) انظر المصدر السابق .
(٤) انظر المصدر السابق.
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٩/أ). وأخرج البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيوٰة الدنيا وفى الأخرة ﴾ صحيح البخاري تفسير سورة إبراهيم (٢٢٠/٥).

ويلقنه إياها .

قال مقاتل:[1] وذلك أن المؤمن إذا مات بعث الله إليه ملكاً يقال له دومان فيدخل عليه قبره فيقول له: إنه يأتيك الآن ملكان أسودان فيسألانك من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأجبهما بما كنت عليه حياتك في الدنيا، ثم يخرج فيدخل الملكان وهما منكر ونكير أسودان أزرقان فظان غليظان أعينهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد العاصف معهما مرزبة، فيقعدانه ويسألانه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ولا يشعران بدخول دومان فيقول: الله ربي، وديني الإسلام، ونبي محمد، فيقولان: عشت حميداً ومت شهيداً ، ثم يقولان: اللهم ارضه كما أرضاك ويفتح في قبره بابٌ من الجنة يأتيه منها التحف، فإذا انصرفا - يعني الملكين - عنه قالا: نم نومة العروس. فهذا هو التثبيت والتلقين[2].

قوله: ﴿ ويضل الله الظلمين ﴾ ويخذل الله الكافرين، يعني لا يلقن الكافرين؛ فإذا دخل على الكافر الملكان قالا له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال: لا أدري، قالا له: لا دريت ولا تليت، عشت عصياً ومت شقياً، ثم يقولان له: نم نومة المنهوس، ويفتح في قبره باب من جهنم، ويضرب ضربة بتلك المرزبة، فيشهق شهقة يسمعها كل حيوان إلا الثقلين، ويلعنه كل من سمع صوته فذلك قوله: ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون ﴾[3]. ﴿ ويفعل الله ما يشآء﴾ يعني شاء للمؤمن التلقين والتثبيت وللكافر الطعن والتفزيع.

قوله: ﴿ألم تر﴾ ، يا محمد، ﴿ إلى الذين بدلوا﴾: غيروا، ﴿ نعمت الله ﴾ منة

(١) انظر: كلام مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢/٤٠٥، ٤٠٦).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٩/أ)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٤٠٥، ٤٠٦) فقد ذكر ذلك بأختصار.

(٣) سورة البقرة آية ١٥٩.

الله، ﴿كفراً﴾ ، قال ابن عباس: يعني مشركي مكة[١] مثل أبي جهل وأصحابه، وقال الضحاك: يعني منافقي قريش[٢]، ﴿وأحلوا قومهم﴾ وأنزلوا قومهم، ﴿دار البوار﴾ ، يعني دار الهلاك، وهي وقعة بدر.

قال الأخفش: البوار الهلاك والفعل بارت السوق تبور بوراً[٣] وبواراً أي كسدت، وفي الحديث: «نعوذ بالله من بوار الأيم» يعني كسادها إذا بقيت في البيت فلم تخطب، والفاعل منه باير وبورٌ على لفظ الجمع، ومنه يقال رجل بور، ورجال بور أي هالكون.

﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ، وهي اسم دركات النار أجمع وأصلها من بعد القعر، تقول العرب: بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر، ﴿يصلونها﴾ : يدخلونها، وقال بعضهم: يستدفئون بها تقول العرب: صليت النار إذا مسك حرها ، ﴿وبئس [القرار][٤]﴾ : الفراش، فرشوا لأنفسهم بشركهم .

﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ ، يعني وصفوا لله وسموا لله الأشكال والأنداد والأشباه والأمثال ، نظيره: ﴿ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سآئبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ﴾[٥]، يعني ما وصف الله وما سمى، ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ ، قرئ بفتح[٦] الياء ورفعها[٧]؛ من قرأ بفتح الياء فهو لازم، معناه ﴿ليضلوا﴾ بأنفسهم عن دين الله، ومن قرأ ﴿ليضلوا﴾

(١) أخرجه البغوي (٣/٣٥)، وهو في صحيح البخاري (٥/٢٢٠).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٩/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٣٩/ب) ولم أجده في معاني القرآن للاخفش.

(٤) في الأصل المهاد وهو خطأ تم تصويبه.

(٥) سورة المائدة آية ١٠٣.

(٦) قرأ بفتح الياء كل من ابن كثير وأبي عمرو . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٨٢).

(٧) وقرأ الباقون برفعها انظر المصدر السابق.

بضم الياء فهو متعد يعني ليصرفوا الناس عن دين الله.

﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ تمتعوا ﴾، قال ابن عباس: عيشوا[1]، ﴿ فإن مصيركم ﴾ : مرجعكم، ﴿ إلى النار ﴾ في القيامة.

وقوله: [عيشوا][2] نسختها آية القتال[3].

قوله: ﴿ قل ﴾ يا محمد ، ﴿ لعبادى الذين ءامنوا ﴾ يعني المؤمنين، ﴿ يقيموا الصلوٰة ﴾ يديموا الصلوات الخمس، قال الفراء : هو على معنى الجزاء[4]، ﴿ وينفقوا مما رزقنٰهم ﴾ ويتصدقوا مما أعطيناهم من الأموال، ﴿ سراً وعلانية ﴾ : جهراً وخفاءً، ﴿ من قبل أن يأتى يوم ﴾ : وهو يوم القيامة، ﴿ لا بيع فيه ﴾.

قال أبو عبيدة: البيع هاهنا الفداء[5]، ومعناه لا فداء فيه، ﴿ ولا خلٰل ﴾ ، مصدر، وأراد به المخالة، ومعناه لا مخالة بين الكافرين.

وقال مقاتل: إنما هو يوم القيامة[6] لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة، وإنما هي أعمال يثاب بها قوم ، ويعاقب عليها آخرون.

قوله: ﴿ الله الذى خلق السمٰوٰت والأرض ﴾ يعني أوجدهما عن عدم، وضد الوجود العدم، والعدم الفقر، ﴿ وأنزل من السمآء ماءً ﴾ ، يعني المطر، ﴿ فأخرج به ﴾ يعني بالمطر، ﴿ من الثمرٰت رزقاً لكم ﴾ ، طعاماً لكم ، يعني الفواكه، ﴿ وسخر

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٤١/ب).

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب: تمتعوا لأنها نص الآية أما عيشوا فهى المعنى.

(٣) الآية محكمة وليست منسوخة.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٧٧/٢).

(٥) انظر: مجاز القرآن لابي عبيدة (٣٤١/١).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٠٧/٢).

لكم﴾ : وذلله لكم، ﴿ **الفلك**﴾ : السفن، وواحده وجمعه سواء، ﴿**لتجرى**﴾ الفلك ﴿ **فى البحر بأمره**﴾ ، بإرادته، ﴿ **وسخر لكم الأنهـٰر** ﴾ ، وذلل لكم الأنهار في الأرض فتطرّد بأنواع المياه. ﴿ **وسخر لكم الشمس والقمر دآئبين**﴾ ، دائمين لا يفتران ، ولا يملان، يطلب أحدهما الآخر فلا يجتمعان إلى يوم القيامة، ﴿**وسخر**﴾ وذلل ، ﴿ **لكم اليل والنهار**﴾ يعتقبان في الضوء والظلمة، والزيادة والنقصان.

﴿ **وءاتـٰكم** ﴾ وأعطاكم، ﴿ **من كل ما سألتموه** ﴾ ، قراءة العامة على الإضافة فيكون محل ﴿**ما**﴾خفضاً بالإضافة، وقرأ سلامٌ أبو المنذر قارئ أهل البصرة[1] / والحسن والضحاك على النفي[2]، يعنون أعطاكم ما لم تسألوه، وهكذا فسره مقاتل بن سليمان فقال: وآتاكم ما لم تسألوه[3] فيكون محل «ما» نصباً لأنه مفعول ثاني لأن أتى وأعطى يتعديان إلى مفعولين، وقوله: ﴿**وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها**﴾ ، أي لكثرتها لا بالجنان ولا بالبنان ولا باللسان، لأنّ حصر العدد إنما يكون بهذه الثلاثة لا رابع لها.

٢٨١/أ

قال ابن فورك: النعمة نعمتان: نعمة الدفع ونعمة النفع، وأراد هاهنا الدفع لأن نعمة النفع تحصى، ونعمة الدفع لا تحصى، ومعناه وإن تعدوا نعمة الله: ما دفع الله عنكم من المرض والفقر والشدة والبلاء لا تحصوها.

وقال الشيخ الإمام سهل الصعلوكي[4]: أنه لو اجتمع الخلائق على إحصاء نعمة

(١) هو سلام بن سليمان الطويل أبو المنذر المزني مولاهم البصري ثم الكوفي، مات سنة إحدى وسبعين ومائة، انظر ترجمته في : التقريب (٣٤٢/١)، وطبقات القراء للجزري (٣٠٩/١).

(٢) انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية(ص:٦٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٠٨/٢).

(٤) هو أبو الطيب العلامة شيخ الشافعية بخراسان، سهل بن الإمام أبي سهل محمد بن سليمان بن محمد العجلي الحنفي ثم الصعلوكي النيسابوري ، الفقيه الشافعي. تفقه على والده. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: كان فقيهاً أديباً جمع رئاسة الدنيا والدين وأخذ عنه فقهاء نيسابور ،حدث عنه الحاكم، وهو أكبر منه، توفي سنه أربع وأربعمائه. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٧/١٧).

الله [على][1] عبد لعجزوا عنها وما أحصوها.

وقيل: إنما قال نعمة الله على الوحدان والواحد لا يعدو فيه إضمار، ومعناه وإن تعدوا فوائد نعمة من الله لا تحصوها، والعد راجعٌ إلى الفوائد.

وقيل: نعمه مثل الماء والخبز وصحة البدن والأمن والعافية وأشباه ذلك.

﴿ إن الإنسـٰن لظلوم كفار﴾ ، يعني ظلوماً لنفسه في معصيته، كفاراً لربه في نعمته، وقيل ظلوم في الشدة يضجر ويجزع، كفار في النعمة يجمع ويمنع.

قوله: ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل ﴾ : يا رب اجعل، ﴿ هذا البلد ﴾ يعني مكة، ﴿ ءامناً ﴾ : من أن يهاج فيه، وقال في البقرة: ﴿ هذا بلداً ءامناً ﴾[2] على النكرة، وقال ههنا: هذا البلد بالألف واللام، والعلة في ذلك أن النكرة إذا كررت وأعيدت صارت معرفة كما يقال: رأيت رجلاً، ثم إذا كررت قلت: رأيت الرجل كقوله في سورة مريم: ﴿وسلـٰمٌ ﴾[3] ثم قال: ﴿ والسلـٰم ﴾[4]، وكقوله في سورة النور: ﴿ كمشكـوٰة فيها مصباح ﴾[5] الآية نكر في الأول، ثم إذا كرر وأعاد عرف بالألف واللام.

﴿واجنبنى ﴾: وبعدني، ﴿ وبنيَّ ﴾ : وبعد بنى، ﴿ أن نعبد الأصنام ﴾ من أن نعبد الأصنام، وإنما قال إبراهيم ذلك لأنه علم أن ذريته يختلفون في التوحيد، ﴿ رب إنهن﴾ : يا رب إنهن، يعني الأصنام، ﴿ أضللن كثيراً من الناس﴾ ، وهذا من

(١) ساقطه من الأصل وأثباتها ضروري لاستقامة المعنى.
(٢) سورة البقرة آية ١٢٦.
(٣) سورة مريم آية ١٥.
(٤) سورة مريم آية ٣٣.
(٥) سورة النور آية ٣٥.

المقلوب لأن الأصنام لا تضل، ومعناه: ضل بهن كثير من الناس، نظيره: ﴿ إنما ذٰلكم الشيطـٰن يخوف أوليآءه ﴾[1]، أي: يخوفكم بأوليائه، ﴿ فمن تبعنى فإنه منى﴾ ، أي: من تبعني على ديني فإنه على ملتي، ﴿ ومن عصانى﴾ ، ثم تاب، ﴿ فإنك غفور رحيم﴾ ، وقال مقاتل بن حيان: ومن عصاني دون الشرك فإنك غفور متجاوز عنه رحيم عليه[2].

﴿ ربنآ ﴾ : يا ربنا، ﴿ إنى أسكنت ﴾ أنزلت، ﴿ من ذريتى ﴾ ، وإنما أدخل حرف من لأنه أراد أسكنت ناساً من ذريتى، وهو إسماعيل وأمه هاجر، ﴿ بوادٍ ﴾ فى واد، ﴿ غير ذى زرع ﴾ ، أي: لا زرع فيه ولا نبات، وهو مكة، ﴿ عند بيتك المحرم ﴾ ، يعني الكعبة حرم أن يعبد فيه صنم، أو يستحل فيه محرم، ﴿ ربنا﴾ : يا ربنا، ﴿ليقيموا الصلوٰة ﴾: ليدعوا الصلاة، ﴿ فاجعل أفئدةً من الناس تهوى إليهم﴾، يعني فاجعل قلوب بعض الناس تنزع إليهم.

قال ابن عباس وقال الضحاك: تهوى إليهم: تشتاق إليهم[3].

وقال مجاهد: لو قال فاجعل أفئدة الناس لازدحمت عليه الروم والترك والهند[4].

﴿ وارزقهم من الثمرٰت﴾ ، أي: من ألوان الثمرات، ﴿ لعلهم يشكرون﴾ لكي يشكروا / نعم الله.

٢٨١/ب

(١) سورة آل عمران آية ١٧٥.
(٢) ذكره ابن حبيب (ق: ١٤٠/أ).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق: ١٤٠/أ).
(٤) أخرجه الطبري (١٥٥/١٣) ط: دار المعرفة ، بيروت.

﴿ربنا﴾: يا ربنا، ﴿ إنك تعلم ما نخفى ﴾ ، أى: ما نسر من جميع أمورنا ونخفيه، ﴿ وما نعلن ﴾ منها ونبديه.

قال ابن عباس ومقاتل: يعني ما نخفي وما نعلن من الوجد بإسماعيل وأمه، وغربتهما، وكونهما بواد غير ذي زرع[١].

قال الله: ﴿ وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السمآء﴾ ، هذا قول بعض أهل المعاني، وقال آخرون: هذا من أصل قول إبراهيم يعني وما يخفى على الله من شئ في الأرض ولا في السماء.

﴿ الحمد لله ﴾ : الشكر لله، ﴿ الذى وهب [لى][٢]﴾ : أعطاني، ﴿ على الكبر﴾ : بعد الكبر، ﴿ إسمعيل وإسحق ﴾ ، قال ابن عباس: ولد إسماعيل لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة[٣]، فكان بين ولادة إسماعيل وإسحاق ثلاث عشرة سنة، ﴿إن ربى لسميع الدعآء﴾: لمجيب الدعاء.

﴿رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى﴾، فاجعلهم مقيمى الصلاة، ﴿ربنا﴾ يا ربنا، ﴿وتقبل دعآء﴾ ، حين بنى البيت هو وإسماعيل، ﴿ربنا اغفر لى ولولدى﴾ ، إن تابا وآمنا لأن والديه كانا كافرين، وقيل لوالدي: آدم وحواء.

وقرئ في الشواذ[٤] ﴿ ربنا اغفر لى ولولدى﴾ بغير الألف يعني إسماعيل وإسحاق، ﴿ وللمؤمنين﴾ ، قال ابن عباس: وللمؤمنين والمؤمنات من أمة

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٤٠/أ)، والبغوي (٣٨/٣).
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) البغوي (٣٨/٣)، وابن حبيب (ق: ١٤٠/أ).
(٤) انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص: ٦٩).

محمـــد[١]، ﴿ يوم يقوم الحساب﴾ ، يعني في يوم يبدو ويظهر الحساب.

قوله: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً ...﴾ الآية، معناه ولا تحسبن الله بتارك عقوبة ما يعمل الظالمون، وكـان سفيان بن عيـينة: إذا قرأ هذه الآية قال: تعزية للمـظلوم ووعيد للظالم[٢]، فقال له رجل: من؟ قال هذا، فغضب سفيان، وقال: قاله من علمه.

﴿ إنما يؤخرهم ﴾ : يؤخر عقـوبتهم ﴿ ليوم﴾ يعني يوم القيـامة ﴿ تشخص فيه الأبصـر﴾ ، وقـال الفـراء: أى لا تغتـمض من هول مـا ترى في ذلك اليـوم[٣]، وقيل تشخص أي: تخرج ، ﴿ فيه ﴾ في ذلك اليوم الأبصار.

﴿ مهطعين﴾، قـــال ابن عـبـــاس في رواية الـكلبي: يـعني ناظـرين[٤]، وقـال مقاتل:مقبلين إلى النار[٥]، وقال قتادة: عامدين إلى الداعي[٦] ، وهو إسرافيل.

قال سعيد بن جبير: الاهطاع النسلان[٧] وهو عدوٌ كعدو الذئب.

قال القـتيبي: مسـرعين، يقال أهطع البعيـر فى سيره واستـهطع إذا أسرع[٨]، قال الأستاذ[٩]: أصل الاهطاع السرعة، ﴿ مقنعى رءوسهم﴾ ، فيه قولان: أحدهما: رافعي رؤسـهم، وقال القـتيـبي: المقنع الذى يرفع رأسـه ويقبل ببـصره على مـا بين[١٠] يديه،

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٠/أ).
(٢) انظر نفس المصدر السابق.
(٣) ذكره عن الفراء ابن حبيب (ق:١٤٠/ب)، وقال بمثله البغوي دون عزوه إلى أحد (٣٩/٣).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٠/ب).
(٥) انظر: تفسيره (٤١٠/٢).
(٦) أخرجه الطبري (١٥٧/١٣).
(٧) أخرجه الطبري (١٥٦/١٣، ١٥٧).
(٨) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٣٣).
(٩) يعني ابن حبيب انظر: تفسيره (ق:١٤٠/ب).
(١٠) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٢٣٣).

وقيل: مطأطئ رؤسهم، وهذان القولان أحدهما على ضد الآخر، ﴿ **لا يرتد إليهم طرفهم** ﴾، أي لا يرجع إليهم إجفانهم، وقيل: لا يغتمضون بعد ما شخصت أبصارهم. ﴿ **وأفئدتهم هوآء** ﴾ : قال ابن عباس: وقلوبهم خالية من كل خير[1]، قال ابن عباس[2]: انتزعت قلوبهم من صدورهم فارتفعت إلي حناجرهم، فلا هي تخرج من [أفواههم][3]/ ولا هي تعود إلى أمكنتها. ٢٨٢/أ

وقال الحسن: أفئدتهم أي خالية كهواء ما بين السماء والأرض[4].

قال ابن حبيب: وأصل الهواء الخلاء ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء[5].

﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب** ﴾ يقول: خوفهم إتيان العذاب يوم القيامة يعني أهل مكة، ﴿ **فيقول الذين ظلموا** ﴾ : كفروا في القيامة، ﴿ **ربنا** ﴾ : يا ربنا، ﴿ **أخرنآ إلى أجل قريب** ﴾ ، يعني إلى دار الدنيا، ﴿ **نجب دعوتك ونتبع الرسل** ﴾ ، قال الله مجيباً لهم، ﴿ **أولم تكونوا أقسمتم** ﴾ : حلفتم، ﴿ **من قبل** ﴾ : من قبل هذا في دار الدنيا، ﴿ **ما لكم من زوال** ﴾ ، أي: حلفتم وقلتم إن الدنيا ليست بفانية ولا بعث، وإقسامهم مبين في سورة النحل: ﴿ **وأقسموا بالله جهد إيمنهم لا يبعث الله من يموت بلى ...** ﴾[6] الآية ﴿ **وسكنتم** ﴾ ونزلتم ﴿ **في مسكن الذين ظلموا**

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/١٥٨).

(٢) كذا في الأصل: قال ابن عباس: والصواب أن هذا القول ليس لابن عباس رضي الله عنهما، بل هو منسوب إلى قتادة كما أخرجه الطبري عنه (١٣/١٥٩)، والبغوي (٣/٣٩).
وقال به أيضاً مقاتل بن سليمان (٢/٤١٠) ونسبه له ابن حبيب في تفسيره والذي كثير ما يأخذ عنه الحيري (ق: ١٤٠/ب).

(٣) في الأصل: [أفواهها] والصواب ما أثبته، كما جاء ذلك في تفسير ابن حبيب (ق: ١٤٠/ب)، والبغوي (٣/٣٩).

(٤) أخرجه الطبري (١٣/١٥٨)، والبغوي (٣/٣٩)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٤٠/ب).

(٥) انظر: تفسيره (ق: ١٤٠/ب).

(٦) سورة النحل آية ٣٨.

أنفسهم﴾ ، يعني منازلهم؛ يعني قوم عاد وثمود ولوط، **﴿ وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾**، أي: كيف عذبناهم، **﴿ وضربنا لكم الأمثال﴾** : وبينا لكم الأمثال في تعذيبهم.

﴿ وقد مكروا مكرهم ﴾، قال ابن عباس: كادوا كيدهم(١)، **﴿وعند الله مكرهم﴾**، يعني جزاء مكرهم، **﴿ وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾** ، قال ابن عباس ومقاتل: إن نمرود بن كنعان الجبار كان أول من ملك الأرض وقال: إن كان ما يقوله إبراهيم حقاً إن في السماوات إلهاً فلا استقر حتى أعلم صدق قوله(٢)، فاتخذ تابوتاً وعمد إلى أربعة نسور فعلق كل جانب من التابوت بنسر منها، وأقعد في التابوت رجلين، وجعل له بابين من أعلى ومن أسفل، وجعل على جوانب التابوت من فوق لحما شديد الحمرة حيال النسور فارتفعن طمعاً في اللحم حتى أبعدن في الهواء فقال أحد الرجلين للآخر افتح الباب الأعلى فانظر هل إن وردنا من السماء قرباً ففتح ونظر، وقال إنها كهيئتها، ثم قال: افتح الباب الأسفل ففتح ، فقال: انظر إلى الأرض كيف تراها؟ فقال: أراها كاللجة البيضاء، ثم أغلق الباب، وارتفعت النسور حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه: افتح الباب الأعلى فانظر ففتح وقال: إن السماء كهيئتها ثم فتح الباب الأسفل وقال أرى الأرض سوداء مظلمة، فقال لصاحبه: نكس اللحم فنكسه على قوائم التابوت متدلياً، فتصوبت النسور طمعاً في اللحم حتى قربت من الجبال، فسمعت الجبال صوت التابوت والنسور فظنت أن حدث بها حدث من السماء فكادت تزول من أماكنها فذلك قوله: **﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾** ، وقيل: وذلك أن نمرود أخذ تابوتاً وشد عليه أربعة نسور، وجعل في كل جانب من جوانب التابوت رمحاً وعلق على الرماح لحماً وقعد

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٤٠/ب).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق: ١٤٠/ب)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٤١١).

نمرود في التابوت بنفسه ومعه غلام، وحمل القوس والنشاب فلما أبعد في الهواء رمى بسهم فعاد السهم متلطخاً بالدم كغيث فقال: شُغِل إله السماء، فانصرف، واختلفوا في السهم من أي شئ تلطخ فقال بعضهم: من طائر من الطيور، وقال عكرمة: من سمكة من السماك فدت نفسها لله من بحر في الهواء معلق، ثم انصرف ونكس اللحم، ونزل، فلما قرب / من الجبال ظنت الجبال أن الله أراد بها حدثاً أو عقوبة فكادت أن تزول، فذلك قوله[1]: ﴿ وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾، ٢٨٢/ب

وقرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وأبـي بن كعب: ﴿ وإن كاد مكرهم ﴾ بالدال[2].

﴿لتزول منه الجبال﴾ قرأ ابن جريح[3] والكسائي لتزول بفتح اللام الأولى وضم الثانية، وقرأ الباقون: لتزول بكسر الأولى وفتح الثانية.

﴿ وإن كان مكرهم ﴾ وقد كان مكر نمرود الجبار، ﴿لتزول منه الجبال﴾ لتخر منه الجبال، حيث سمع صوت التابوت والنسور.

قوله: ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾، هذا من المقلوب، معناه: فلا

---

(١) هذه خرافة لا تنطلي على عاقل فضلاً عن العلماء، فالنمرود لا يستطيع أن يطير في الهواء، والنسور لا تستطيع أن تحمل الرجال، فكيف تجتمع النسور الأربعة وهي مقرونة في بعض، وكيف تطير؟، ومع ذلك لو قدر أن هذه الخرافة كما يقول ملفقوها، فكيف تخشى الجبال كلها من هذا النسر، فلا يجوز أن يكون هذا تفسيراً لكلام الله تعالى، ومما يدل على تمام الزندقة قوله أن هناك سمكة فدت نفسها لله فهل سهم الضعيف العاجز من جميع الوجوه يصل إلى الله تعالى وتقدس حتى تفديه السمكة؟

ولكن معنى الآية: أن عصيان بنى آدم وكفرهم الواقع منهم تكاد تزول منه الجبال خوفًا من الله تعالى.

(٢) انظر: كتاب مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٦٩).

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/٤٣٧).

تحسبن الله مخلف رسله وعده بنجاتهم وهلاك أعدائهم، ﴿ إن الله عزيز ﴾ : منيع، ﴿ ذو انتقام ﴾ من أعدائه الماكرين.

﴿ يوم تبدل الأرض ﴾ يعني في يومٍ تبدل الأرض غير الأرض.

قال ابن عباس: الأرض هي تلك الأرض وإنما تبدل آكامها وجبالها وأنهارها ثم أنشد فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت أعرف[1].

وقال بعضهم: ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض ﴾ أي طويت تلك الأرض وبسطت أرضٌ غيرها ﴿ والسمٰوات ﴾ أي طويت السموات نظيره قوله: ﴿والسمٰوات مطويٰت بيمينه ﴾[2] ﴿ وبرزوا ﴾ يعني وخرجوا من قبورهم إلى ﴿ لله الوٰحد القهار﴾ ومعنى القهار الغالب الذي قهر العباد بالموت ﴿ وبرزوا لله﴾ وجاء في الخبر أن تسبيح صنفٍ من الملائكة سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت[3].

﴿ وترى المجرمين﴾ يعني الكافرين ﴿ يومئذٍ﴾ يوم القيامة ﴿ مقرنين﴾ مشدودين وقيل: مسلسلين وقال بعضهم مقرونين أي يقرن بعضهم ببعضٍ[4] وقال بعضهم مقرونين بالشياطين.

دليله قوله: ﴿ وإذا النفوس زوجت﴾[6] قال عطاء: قرنت نفوس المؤمنين بالحور

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤١/أ)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/٤٣٩).
(٢) سورة الزمر آية ٦٧.
(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٤١/ب).
(٤) وهو القول الراجح انظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٤٠).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٤١/ب).
(٦) سورة التكوير آية ٧.

العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين[١] ﴿ فى الأصفاد﴾ يعني القيود وأحدها صفد بفتح الفاء والصفد أيضاً: العطية والفرق بينهما بالفعل.

وأما من القيد فالفعل منه صفدت آصفد صفداً فأنا صافدٌ وهو مصفود وصفدت بالتشديد لتكثير الفعل منه أصفد تصفيداً والفعل من العطية أصفد يصفد إصفاداً يعني أعطى.

﴿ سرابيلهم ﴾ يعني قمصهم والواحد سربالٌ والفعل منه تسربلت بنفسي إذا اكتسبت قميصا وسربلت غيرى إذا كسوته.

﴿ من قطران ﴾ من نارٍ سوداء من القطران وقرأ عكرمة من قطران[٢] وهو النحاس والصفر المذاب والآن الذى انتهى حره بيانه ﴿ يطوفون بينها وبين حميم ءان﴾[٣] حارٌ قد إنتهى حره، ﴿ وتغشى وجوههم النار﴾ أي تعلوها.

﴿ ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، معناه وبرزوا لله الواحد القهار ليجزى الله كلَّ نفس ما كسبت من خيرٍ وشرٍ.

﴿إن الله سريع الحساب﴾ إذا حاسب فحسابه سريعٌ.

﴿هذا بلاغ للناس﴾ يعني هذا القرآن عظةٌ للناس ﴿ ولينذروا به﴾ أي: وليخوفوا بهذا القرآن ﴿ وليعلموا﴾ ولكي يعلموا ﴿ أنما هو إله واحد﴾ لا شريك له ﴿ وليذكر أولوا الألباب ﴾ يعني وليتعظ ذوا العقول.

* * *

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/٤٥٢)، وذكره ابن حبيب (ق:١٤١/ب).

(٢) قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط (٥/٤٤٠).

(٣) سورة الرحمن آية ٤٤.

تفسير سورة الحجر مكية

وهي تسع وتسعون آية ليس فيها إختلاف وكلماتها[1] ستمائه وأربع وخمسون كلمة وحروفها الفان وسبعمائه وواحدٌ وسبعون حرفا.

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم السيد الكريم الذى يسأل الناس عن الخفىّ والجلىّ. قوله: ﴿**آلــر**﴾ قال ابن عباس: أنا الله أرى، ﴿**تلك ءايٰت الكتٰب**﴾ أى هذه آيات القرآن ﴿**وقرءان مبين**﴾ يعنى وآيات قرآن مبين.

﴿**ربما يود الذين كفروا**﴾ قرئ بتخفيف الباء[2] وتشديدها[3] قال أبو حاتم:[4] أهل الحجاز يخففون ربما.

وقيس وبكر وتميم يثقلونها ﴿**ربما يود الذين كفروا**﴾ يتمنى الذين كفروا ﴿**لو كانوا**﴾ أن لو كانوا ﴿**مسلمين**﴾ .

قال ابن عباس: يأتى على الكافر يومٌ يتمنى أنه كان أسلم[5]. قال عطاء: ذلك

(١) في الأصل [وكلامها] ، والصواب ما أثبته لأنه جمع كلمة.

(٢) قرأ بها نافع وعاصم . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٨٥).

(٣) قرأ الباقون بالتشديد . انظر نفس المصدر.

(٤) هو: سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمى السجستاني البصرى أبو حاتم نحوي البصرة ومقرئها في زمانه، صنف اختلاف المصاحف، وإعراب القرآن، والقراءات .
انظر ترجمته في: بغية الوعاة (١/٦٠٦، ٦٠٧).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٤١/ب).

وهم في النار حين يرون أهل الإسلام يخرجون[١] منها، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: يعذب الله قومًا ممن كان يعبده ولا يعبد غيره وقوماً ممن كان يعبد غيره ولا يعبده.[٢]

فيجمعهم في النار فيعيرّ الكفار المؤمنين فيقولون ما أغنى عنكم توحيدكم وأنتم معنا فى النار فيأمر الله بإخراجهم فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وقال مقاتل بن حيان: يجمع طائفة من أهل التوحيد من العصاة وطائفة من الكفار في بعض دركات النار فيقول الكفار للمؤمنين: أما نحن فمعلوم كفرنا وشركنا وتكذيبنا فلذلك وقعنا فى النار فأما أنتم فكنتم مؤمنين فما أدخلكم النار فيرحم الله المؤمنين العصاة، فيقول: وعزتى لانجينكم منها ثم يأمر الشفعاء حتى يشفعوا لهم ويخرجوا من النار فحينئذ يتمنى الكفار أن لو كانوا مسلمين[٣] ويكون لهم شفيع ليشفعهم فعند ذلك قالوا: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾[٤] الآية وذلك قوله: ﴿يود الذين كفروا﴾ يتمنى الكفار أن لو كانوا مسلمين[٥].

قوله: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ الآية يعني دع الكفار يعيشوا في الدنيا فذلك خلاقهم فى النار ولا خلاق لهم فى الآخرة وهذا أمرٌ وعيدٌ وتهديدٌ.

﴿ويلههم الأمل﴾ ويشغلهم الرجاء والطمع ﴿فسوف يعلمون﴾ حين يتجرعون فى النار وبال ما صنعوا فى الدنيا نسختها آية القتال[٦].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٤١/ب).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/ب، ١٤٤/أ).

(٤) سورة الشعراء آية ١٠٠ – ١٠١.

(٥) في الأصل: يتمنى الكافر أن لو كان مسلماً وهو خطأ والصواب ما أثبته.

(٦) الآية عند جمهور المفسرين محكمة وليست منسوخة ودعوى النسخ بآية السيف لا تصح.

قال ابن حبيب: وفيها مسألةٌ شريفةٌ سئلت عنها وأنا بمرو[1] وذلك أن السائل قال ﴿**ما الفرق بين قوله ذرهم يأكلوا**﴾، الآية وبين قوله ﴿**ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون**﴾[2] وما العلة الجالبة للنون فى أحديهما وحذفها من الأخرى.

فكان من جوابى أن من شأن العرب أن تقول دع زيدا ينم ودع زيدا ينام فقولهم دع زيداً ينم جواب للأمر فلذلك الجزم وقوله دع [زيداً][3] ينام حال مردود إلى الإستقبال أى لاعبين ونظيره قوله: ﴿**أنزل علينا مائدةً من السماء**﴾[4] الآية[5].

﴿**تكون لنا**﴾ أى كائنةً لنا وقوله: ﴿**فأرسله معي ردءًا يصدقنى**﴾[6].

فى قراء[ة][7] من قرأ بالرفع[8] أراد مصدقًا على الحال ﴿**فهب لى من لدنك وليا يرثنى**[9]﴾[10] بالرفع [أي][11] وارثًا.

وأما قوله: فدعه ينم للذى لم ينم[12]، أي دعه حتى ينام. ودعه ينام للنائم، أي

---

(١) مرو: وتسمى مرو الشاهجان: قال ياقوت الحموى: أشهر مدن خرسان وقصبتها بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً وبالقرب منها مدينة أصغر منها اسمها: مروالرُّوذ ولعل ابن حبيب أراد مرو الشاهجان. انظر: معجم البلدان ٥/١١٢، ١١٣.

(٢) سورة الانعام ٩١.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

(٤) سورة المائدة آية ١١٤.

(٥) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٤٢/أ).

(٦) سورة القصص ٣٤.

(٧) الهاء ساقطة من الأصل.

(٨) قرأ عاصم وحمزة برفع القاف، والباقون بالجزم . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٩٥).

(٩) سورة مريم آية ٦.

(١٠) بالرفع قراءة الجمهور وبالجزم قراءة أبي عمرو والكسائي. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٢٣).

(١١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل وتم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٤٢/أ).

(١٢) هذا من كلام ابن حبيب.

قرره على حال نومه.

قوله: ﴿ ومآ أهلكنا من قرية﴾ من أهل قرية ﴿ إلا ولها كتابٌ معلومٌ﴾ وفيه إضمارٌ وهو العذاب معناه: وما أهلكنا من قرية إلا ولعذابها وقت مؤقت والهاء كنايةٌ راجعةٌ إلى القرية ﴿ ما تسبق من أمة أجلها ﴾ قال الأخفش: من: صلة معناه ما تسبق أمةٌ أجلها[1] ﴿ وما يستئخرون ﴾ معناه وإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

قوله: ﴿ وقالوا يـأيها الـذى نزّل عليه الذكر﴾ نزلت في، عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي والنضر بن الحارث بن كلدة ونوفل بن خويلد بن عبدالعزى وكلهم من قريش قالوا للنبي ﷺ : إنك تهدي وأنت مجنون[2] فأنزل الله ﴿ وقالوا﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿ يـأيها الذى نزّل عليه الذكر﴾ القرآن، يعنون محمداً.

﴿ إنك لمجنونٌ. لوّ ما تأتينا بالملـٰئكة﴾ هلا تأتنا بالملائكة من السماء فيخبروننا بصدق دعوتك وإنك نبيٌ مبعوثٌ إلينا ﴿ إن كنت من الصـٰدقين﴾ إنك نبيٌ وإنك مبعوثٌ إلينا.

قال الكسائى: لولا ولو ما سواء فى الخبر والاستفهام[3] ومعناه هلا.

قال الله مجيبًا لهؤلاء الكفار ﴿ ما ننزل الملـٰئكة إلا بالحق ﴾ إلا بالعذاب والحق هـهنا بمعنى العذاب، ﴿ وما كانوا إذاً منظرين﴾ يعني إذا نزل عليهم الملائكة بالعذاب فحينئذ لم ينظروا ولم يمهلوا ولم يؤجلوا ولم يؤخروا ساعةً.

قال الله: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر﴾ يعني القرآن على محمد ﴿ وإنا له﴾ للقرآن

(١) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٤٢/أ).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٢/أ).

(٣) انظر المصدر السابق.

﴿ لحٰفظون﴾ قال قتادة: يعني من الشياطين حتى لا يزيدوا فيه ولا ينقصوا[١] وقيل: الكناية راجعةٌ إلى محمد معناه وإنا لمحمد لحافظون.[٢]

قوله: ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك ﴾ الآية فيه إضمارٌ معناه: ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً ﴿ فى شيع الأولين ﴾ قال قتادة : في أمم الأولين[٣] . وقال الحسن: في قرن الأولين[٤]. وقيل : في أحزاب الأولين.[٥] واحدتها شيعةٌ وهي الفرقة والطائفة من الناس ومنه سميت أصحاب الشيعة.

﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن ﴾ كما استهزأ بك قومك ﴿ كذلك نسلكه﴾ ندخله ﴿ فى قلوب المجرمين ﴾ وهو كنايةٌ عن غير مذكور ثم اختلفوا فيها.

فقال الحسن: يعني الشرك[٦]. قال ابن عباس: يعني التكذيب[٧] بالعذاب . قال الربيع بن أنس: يعني الاستهزاء[٨]. ونظيرها في سورة الشعراء ﴿ كذلك سلكنٰه فى قلوب المجرمين﴾[٩] ﴿ لا يؤمنون به﴾ حتى لا يؤمنوا به، بالله وهو رد على المعتزلة؛ لأنهم يقولون: إن الكفر ليس من الله بل من العبد، ففي هذه الآية دليلٌ على أن الكفر

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٧).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/٤٤).
(٣) أخرجه الطبري (١٤/٧).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٢/أ) بلفظ [في فِرَقِ الأولين].
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٢/أ).
(٦) أخرجه الطبري (١٤/٧).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٢/أ).
(٨) انظر المصدر السابق.
(٩) سورة الشعراء آية ٢٠٠.

ليس بالعبد، بل يكون الكفر من الله[١] لأن الله قال: ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ أي نسلك الشرك في قلوب المجرمين.

﴿لا يؤمنون به﴾ حتى لا يؤمنوا به، بالله، ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ يعني وقد مضت سنتنا في تعذيب الأولين، يخوف بذلك أهل مكة. قال الله: ﴿ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء﴾ يعني على مشركي مكة ﴿فظلوا فيه﴾ فصاروا، ﴿يعرجون﴾ يصعدون في الباب لما صدّقوا ﴿لقالوا﴾ بل قالوا ﴿إنما سكرت﴾قال ابن عباس ومقاتل: سدت[٢] ﴿أبصارنا﴾، وقال الحسن: سحرت[٣] أبصارنا دليله وقال في آخره: ﴿بل نحن قومٌ مسحورون﴾، وقال قتادة: أخذت[٤]. قيل: أغشيت.[٥] وقال عمرو بن العلاء: غطيت[٦]، وكان أبو عبيدة، يقول: هو من سكر الشراب كأنه أراد غشيت أبصارنا،[٧] وقرأ ابن كثير: سكرت بالتخفيف[٨]. قال أبو عبيدة والفراء: معناه حبست أبصارنا[٩].

وهو من قول العرب: سكرت النهر والبثق إذا حبسته ليستد الماء وسمي البثق السكر بكسر السين ﴿بل نحن قومٌ مسحورون﴾ أي سحرنا محمد بفتح باب السماء.

(١) هذا الإطلاق لا يصح فإن الله تعالى خلق العبد وجعل له اختياراً وقدرة على الفعل الذي أمر به فإذا فعل الكفر فإنه يفعله باختياره وقدرته فهو الكافر حقيقة ولكن الله جل وعلا منعه فضله الذي هو تكريه الكفر إليه وتحسين ضده وهو الإيمان . ولا يجوز أن يقال: أن الكفر من الله فالكفر من العبد.

(٢) البغوي (٣/٤٥) ومقاتل بن سليمان (٢/٤٢٥) وذكره ابن حبيب (ق:١٤٢/ب).

(٣) البغوي (٣/٤٥)، وابن حبيب (ق:١٤٢/ب).

(٤) أخرجه الطبري (١٤/١٠)، والبغوي (٣/٤٥).

(٥) ذكره ابن حبيب عن الكلبي (ق:١٤٢/ب).

(٦) ذكره عنه ابن حبيب (ق:١٤٢/ب).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٢/ب).

(٨) انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٨٥).

(٩) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٨٦).

قوله: ﴿ ولقد جعلنا فى السمآء بروجاً ﴾ قال ابن عباس: في رواية الكلبي. هي: البروج الإثنا عشر وأسماؤها : الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت[١].

قال قتادة: البروج أراد الكواكب.[٢] وروى ابن جريح عن مجاهد: قال: هي دراري النجوم وهي عظامها وبيضها[٣] ﴿ وزينٰها للنٰظرين ﴾ يعنى زينا السماء بالشمس والقمر والنجوم.

﴿ للنٰظرين ﴾ لمن نظر إليها. ﴿ وحفظنٰها ﴾ يعني السماء ﴿ من كل شيطٰن رجيم إلا من استرق السمع ﴾ من الشياطين ﴿ فأتبعه شهاب مبين ﴾ فرمي بشهاب مبين فإن أصابه أحرقه وإن أخطأه خبله فصار غولاً يضل الناس في البوادي.

قال ابن عباس: كانت الشياطين لا يحجبون من السموات ، كانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقونها على الكهنة. فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد رسول الله ﷺ منعوا من السموات أجمع فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب مبين فإن أصابه أحرقه وإن أخطأه خبله فصار غولاً يضل الناس فى البوادي[٤].

بيانه قوله حكاية عنهم ﴿ وأنا لمسنا السمآء فوجدنٰها ملئت حرسًا شديدًا

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٢/ب)، ومعلوم أن الكلبي ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري (١١/١٤)، وذكره ابن كثير (٤٤٦/٤)، وابن حبيب (ق/١٤٢/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٢/ب).

(٤) ذكره ابن حبيب في تفسره (ق:١٤٢/ب)، وذكره الواحدي في الوسيط (٤١/٣).
والصواب أن الشياطين ما تصل إلى السماء ولكنها كما جاء في الحديث الصحيح أنهم يركب بعضهم بعضًا إلى عنان السماء، والمقصود بالسماء هنا العلو، فيستمعون إلى الملائكة الذين يكونون بالقرب من الأرض فيسترقون السمع، عند ذلك ترسل إليهم الشهب.
انظر الحديث في: صحيح البخاري (٢٢١/٥) تفسير سورة الحجر.

وشهبًا﴾[1] والحرس جمع حارسٌ وهو جمعٌ غريبٌ للفاعل كتابع وتبع ﴿ **وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع**﴾ يعني من السماء ﴿ **فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدًا**﴾[2] أي نجما أرصد له أي جعل على طريقه.

وقوله: ﴿ **ويقذفون من كل جانب دحورًا** ﴾ مردًا ﴿ **ولهم عذابٌ واصب** ﴾ يعنى دائما ﴿ **إلا من خطف الخطفة** ﴾ يعني إسترق السمع ﴿ **فاتبعه شهاب ثاقب**﴾[3] يعني كوكباً مضيئا فذلك قوله ﴿**وحفظنـٰها من كل شيطـٰن رجيم إلا من استرق السمع**﴾ الآية.

قوله: ﴿ **والأرض مددنـٰها** ﴾ أي بسطناها على وجه المـاء ﴿ **وألقينا فيها رواسى** ﴾ يعني في الأرض رواسي جبالاً ثوابت على ظهرها لئلا تميد بأهلها ﴿**وأنبتنا فيها** ﴾ وأخرجنا وأنشأنا ﴿ **فيها** ﴾ في الجبـال من جواهرهـا من الصفر والحديد والزنك والفضة والذهب والنحاس حتى الزرنيخ والكحل ﴿**من كل شيء موزون**﴾ وإنما ذلك كله يوزن وزنا فذلك قوله: ﴿ **من كل شيء موزون** ﴾.

﴿ **وجعلنا لكم فيها معـٰيش** ﴾ يعني في الأرض معايش يعني عيشا وترددًا واضطرابا وتحريكاً وقياماً وقعوداً وهو جمع معيشة.

﴿ **ومن لستم له برٰزقين**﴾ قال الفراء: محل ﴿ **من**﴾ خفض معناه وجعلنا لكم فيها معايش ﴿ **ومن لستم له برٰزقين**﴾. أيضا جعلنا لهم فيها معايش يعني الدواب والبهائم والسباع والطيور .[4]

قوله: ﴿ **وإن من شيء**﴾ يعني وما من شيء ﴿ **إلا عندنا خزائنه** ﴾ يعني: المطر والرياح وغيرها.

---

(١) سورة الجن آية ٨.

(٢) سورة الجن آية ٩.

(٣) سورة الصافات الآيات (٨، ٩، ١٠).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٨٦).

﴿وما ننزله﴾ من السماء ﴿إلا بقدر معلوم، وأرسلنا الريح لواقح﴾ يعني حوامل الواحد لاقحٌ ، تقول العرب: لقحت الناقة إذا حملت .

قال أبو عبيدة: لواقح يعني: ملاقح[1] وكلاهما جمعٌ ؛ لأن الريح تلقح السحاب ولا تكون لاقح.

وقال القتيبي: رداً على أبي عبيدة: أن مثل هذا لا يقال في الكلام، وتسمي العرب ريحا لاقحاً[2].

قال الفراء: أراد ملاقح وهو كقول العرب: رجل نابل ذو نبل ،وتامر ذو تمر فكذلك لاقح ذو لقح[3].

وقال مقاتل: ينشي الله السحاب ثم يبعث الله الرياح فتحمل السحاب وتلقحه وتمزقه وتمر به حتى يدر ويمطر[4].

قال أبو بكر بن عياش: لا تقطر قطرةٌ من مطر السحاب إلا بعد أن تعمل فيه الرياح الأربع، فالصبا تهيجه، والدبور تلقحه، والجنوب تدره، والشمال تفرقه[5].

﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ يعني المطر ﴿فأسقينـٰكموه﴾ أي جعلنا المطر لكم سقيا.

وأما الفرق بين السقي والإسقاء، أن الإسقاء إعطاء الماء، والسقي شرب الماء.

قال المورّج: ما تناله الأيدي والدلاء فهو السقي مثل النهر والبئر وغيرهما وما

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٢/ب).
(٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٣٦).
(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (٨٧/٢).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/أ).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/أ).

لا تناله الأيدي والدلاء[١] فهو الإسقاء، مثل المطر، قال بعضهم: السقي والإسقاء بمعنى واحد. ﴿ **وما أنتم له** ﴾ يعني للماء ﴿ **بخٰزنين** ﴾ بحافظين ﴿ **وإنا لنحن نحي ونميت** ﴾ يعني الإحياء والإماتة المعهودين على ذلك أكثر المفسرين[٢].

وقال بعضهم : نحيي بالإيمان ونميت بالكفر[٣].

بيانه: ﴿ **أو من كان ميتا فأحيينٰه** ﴾[٤] يعني كافراً فهديناه . وقيل: نحي بالفضل ونميت بالعدل. وقيل: نحي بالطاعة ونميت بالمعصية . وقيل: نحيي بالعلم ونميت بالجهل. وقيل: نحي بالتوفيق ونميت بالخذلان[٥].

﴿**ونحن الوٰرثون** ﴾ نحن الباقون إذا أمتنا الخلق . بيانه ﴿ **إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون**﴾[٦].

قوله: ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين** ﴾ الآية، معناه: ولقد علمنا من تقدم منكم ومن تأخر عنكم ثم اختلفوا فيه من سبعة أوجه:

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: يعني بالمستقدمين من الأموات وبالمستأخرين من الأحياء[٧] .

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/أ).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠٦/١٤)، وابن كثير (٤٤٩/٤)، والبغوي (٤٨/٣)، والواحدي في الوسيط (٤٢/٣، ٤٣).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/أ).
(٤) سورة الأنعام آية ١٢٢.
(٥) ذكر هذه الأقوال كلها ابن حبيب (ق:١٤٣/أ).
(٦) سورة مريم آية ٤٠.
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/أ).

وقال مقاتل بن سليمان: يعني من مات من لدن آدم ومن يموت إلى يوم القيامة[١].

وقال مجاهد: يعني بالمستقدمين: القرون الأُولى وبالمستأخرين أمة محمد[٢].

وقال علي بن أبي طلحة: هذا في الصفوف وذلك أن النساء كن يخرجن إلى الجماعات فيقوم الرجال صفوفا خلف النبي ﷺ والنساء صفوفا خلف صفوف الرجال وربما كان من الرجال من كان في قلبه ريبةٌ ونفاقٌ فيتأخر إلى الصف الأخير من صفوف الرجال وربما كان من النساء من في قلبها ريبةٌ ونفاق فتتقدم في أول صف النساء لتقرب من الرجال[٣] وكانت امرأة من أحسن الناس وجها [تصلي][٤] مع النبي ﷺ فربما ينظر الرجل من تحت إبطه إليها فأنزل الله[٥]. ﴿**ولقد علمنا المستقدمين منكم**﴾ من تقديم الرجال في الصف الأول ﴿**ولقد علمنا المستئخرين**﴾ أي من تأخر من الرجال في الصف الأخير ولذلك قال النبي ﷺ «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وشر صفوف النساء أولها وخيرها آخرها»[٦].

قال مقاتل بن حيان: هذا في القتال معناه ﴿**ولقد علمنا المستقدمين منكم**﴾ أي من تقدم منكم في الصف الأول من القتال ﴿**ولقد علمنا المستئخرين**﴾ من تأخر

---

(١) انظر تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٤٢٧) مع وجود بعض الاختلاف ، وانظر أيضاً تفسير ابن حبيب (ق:١٤٣/أ).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٣٤٠، ٣٤١).

(٣) ذكره البغوي: (٣/٤٨) دون تعيين القائل، وذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/أ) ونسبه إلى على بن أبي طلحة كما قال المؤلف.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل وتم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٤٣/أ).

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٢٠، ٢٨٢)، وأخرجه الحاكم (٢/٣٥٣) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وأخرجه الترمذي (٨/٢٨٠، ٢٨١) برقم (٢١٢١).

(٦) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف (١/٣٢٦) رقم الحديث (٤٤٠).

منكم في صف القتال[١].

وقال سفيان بن عيينة : يعني من يسلم ومن لا يسلم[٢].

وقال الربيع بن أنس: حض النبي ﷺ على الصف الأول في الصلاة فازدحم عليه الناس وكانت بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد فقالوا :نبيع دورنا ونشتري دوراً قريبةً من المسجد فأنزل الله ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم** ﴾[٣] الآية وفيهم نزلت ﴿ **إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وءاثـٰرهم**﴾[٤][٥] يعني خطاهم إلى المساجد.

قال ابن حبيب: ورأيت للأوزاعي تأويلاً استحسنته وذلك أنه قال: ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم** ﴾ يعني المصلين في أول الأوقات ﴿ **ولقد علمنا المستئخرين**﴾ المؤخرين صلاتهم إلى آخر الأوقات[٦].

﴿**وإن ربك هو يحشرهم** ﴾ أي يجمعهم للبعث ﴿ **إنه حكيمٌ**﴾ يحكم البعث ﴿ **عليمٌ**﴾ بوقته.

قوله: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسـٰن** ﴾ يعنى آدم، والإنسان اسم جنس.

قال القتيبي: وسمي الإنسان إنساناً لظهوره وإدراك البصر إياه[٧] ومنه قوله:

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/أ).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/أ)، وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٨١)، والوسيط له (٤٣/٣)، وزاد المسير (٣٩٦/٤)، والدر المنثور (٩٧/٤).

(٤) سورة يس آيه ١٢.

(٥) قال الواحدي في أسباب النزول، نزلت هذه الآية في بني سلمة حيث اشتكوا من بعد منازلهم من المسجد (ص:٣٨٤).

(٦) انظر: تفسيره (ق:١٤٣/أ)، والبغوي (٤٨/٣).

(٧) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢١).

﴿ إني ءانست نارًا ﴾[1] أي إني أبصرتها.

وروي عن ابن عباس إنه قال: سمي إنساناً لأنه عهد إليه ونسي[2]. قال الله: ﴿ولقد عهدنا إلى ءادم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً﴾[3] ويدل على ما قاله قول أبي تمام:

لا تنسين تلك العهود فإنما　　　سميت إنساناً لأنك ناسي[4]

﴿ من صلصال ﴾ قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: الصلصال الطين الجيد الذي إذا نضب عنه الماء تشقق، فإذا حرك تقعقع، وخلق آدم منه[5].

وقال قتادة: الصلصال الطين اليابس[6].

وروى ابن جريج عن مجاهد أنه قال: الصلصال: الطين الرطب[7].

وقال الكلبي: الطين المنتن[8]، وهو من قول العرب صل اللحم وأصل إذا تغير وخمَّ، وأخم إذا تغير وهو شواءً أو طبيخً، ﴿ من حمإ ﴾ قال الأخفش: الحماء، جمع الحماة وهو الطين المتغير[9] ومن قرأ ﴿ وجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ أراد به هذا.

---

(١) سورة طه آيه ١٠، والنمل آيه ٧ والقصص آيه ٢٩.

(٢) ذكره ابن قتيبة في غريب القرآن (ص:٢٢).

(٣) سورة طه آيه ١١٥.

(٤) انظر: ديوان أبي تمام (١٥٢).

(٥) ذكر رواية الكلبي هذه ابن حبيب (ق:١٤٣/ب) وأخرجه الطبري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٩/١٤).

(٦) أخرجه الطبري (١٩/١٤) . وذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/ب).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/ب). وفي تفسير مجاهد: الصلصال: الطين. والحمأ المسنون: المنتن. (ص:٣٤١) وفي رواية للطبري عن مجاهد التراب اليابس (٢٠/١٤).

(٨) في تفسير ابن حبيب (ق:١٤٣/ب) نسب هذا القول للكسائي .

(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/ب).

والفعل منه حميت الركية وتحم حمأة إذا تغيرت ﴿ مسنون ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: هو المنتن[١].

قال الفراء: هو المتغير،[٢] ﴿والجآن﴾ هو أبو هؤلاء الذين يسمون الجن.

وقال مقاتل: ﴿ والجآن خلقنـٰه ﴾ يعني إبليس،[٣] ﴿ من قبل ﴾ من قبل خلق آدم؛ لأنه كان مخلوقا قبل آدم، ﴿من نار السموم﴾.

قال ابن عباس: هو نارٌ لا دخان لها والصواعق تكون فيها وهي نار تكون بين السماء والحجاب فإذا أحدث الله أمراً خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب[٤].

وقال آخرون: ﴿نار السموم ﴾ من نار الجان .

قال الكسائي: الجان والجن والجنة من أصل واحد[٥]، ومنه الجنون.

﴿ وإذ قال ربك للملـٰئكة إنى خـٰلقٌ بشراً ﴾ أي سأخلق بشراً، يعني آدم، ﴿من صلصـٰل من حمإٍ مسنونٍ فإذا سويته ﴾ يعني سويت خلقه ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ معناه ونفخت فيه الروح من أمري ﴿ فقعوا له سـٰجدين ﴾ أي فاسجدوا له بأجمعكم.

﴿ فسجد الملـٰئكة كلهم أجمعون ﴾ وإنما ذكر أجمعون لأنه من حروف

(١) البغوي (٤٩/٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٢٨/٢) وذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/ب).
(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٨٨/٢).
(٣) انظر: تفسيره (٤٢٨/٢).
(٤) أخرجه البغوي من رواية الكلبي عن أبي صالح (٤٩/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/ب).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٣/ب).

التأكيد وهي أربعة أحرفٍ: أجمعون، وأكتعون، وكلهم، وأنفسهم، ويدل على هذا أنه أمرٌ عام لجميع الملائكة ﴿ **إلا إبليس** ﴾ مستثنى من الملائكة ﴿ **أبى**﴾ امتنع ﴿ **أن يكون مع السٰجدين** ﴾.

قال الله: ﴿ **يا إبليس ما لك ألا تكون مع السٰجدين** ﴾ قال إبليس ﴿ **لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصٰل من حمإٍ مسنون** ﴾ قال الله لإبليس ﴿ **فاخرج منها**﴾ من الجنة ﴿ **فإنك رجيمٌ** ﴾ أي مريدٌ ملعونٌ ﴿ **وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**﴾ إلى يوم الحساب.

﴿ **قال** ﴾ إبليس ﴿ **رب** ﴾ يا رب ﴿ **فانظرنى** ﴾ فأجلني ﴿ **إلى يوم يبعثون قال**﴾ الله ﴿ **فإنك من المنظرين** ﴾ يعني المؤجلين ﴿ **إلى يوم الوقت المعلوم** ﴾ وهو النفخة الأولى، وبين النفخة الأولى ونفخة البعث أربعون سنةٍ، وكان إبليس ميتا في تلك الأربعين سنة إلى أن يبعث الخلائق و ﴿**قال رب** ﴾ يا رب ﴿ **بما أغويتنى** ﴾ يقول: أضللتني وأبعدتني ﴿ **لازينن لهم** ﴾ يعني لأولاد آدم / الشهوات ﴿ **في الأرض ولأغوينهم** ﴾ ولأضلنهم ﴿ **أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ المؤمنين أني لأأضلهم ﴿ **قال** ﴾ يعني قال الله لإبليس ﴿ **هذا صراط على مستقيم** ﴾ والصراط الطريق . ٢٨٥/ب

قال مجاهد: يقول هذا صراطٌ حق وعلي طريقه[1] .

قال قتادة: يقول هذا صراطٌ رفيعٌ مستقيمٌ[2].

قال الأخفش: يعني علي الدلالة على صراطٍ مستقيم[3].

(١) اخرجه الطبري (١٤/٢٣)، والبغوي (٣/٥١)، وذكره ابن حبيب (ق:١٤٤/أ).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/٢٣)، والبغوي (٣/٥١)، وذكره ابن حبيب (ق:١٤٤/أ).

(٣) البغوي (٣/٥١)، وابن حبيب (ق:١٤٤/أ).

قال الكسائي: هذا على الوعيد[١] وهو كقولك للرجل تخاصمه أنا على طريقك أي لأبدلك مني قراءة العامة ﴿ هٰذا صرٰطٌ على مستقيم ﴾ وقراءة ابن سيرين وقيس بن عباد وحميد ﴿ هٰذا صرٰطٌ عليٌ مستقيم ﴾ بالتنوين ورفعها[٢] أي على صراطٌ رفيعٌ مستقيمٌ جعلوا العلي نعتاً للصراط .

قال الكسائي: هو كقوله تعالى: ﴿ ورفعنٰه مكانا علياً ﴾[٣] قالت الروافض في أكاذيبهم وبهتهم هذا صراط علي مستقيم على الإضافة إلى علي رضي الله عنه، تعالى الله سبحانه عن بهتهم علواً كبيراً.

قوله: ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطٰنٌ ﴾ قال ابن عباس: إستأثر الله عباداً واصطنعهم لنفسه فأخبر إبليس اصطناعة إياهم[٤] فقال: ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطٰن ﴾ الآية.

قال أهل المعاني: يعني على قلوبهم[٥]؛ لأن القلب في قبض القدرة لقول النبي ﷺ : القلب بيد الله يقلبه كيف يشاء[٦] وإبليس مسلط على الأعضاء والجوارح دون القلب.

قال أبو بكر ابن عبدوش: السلطان: سلطانان، سلطان الغلبة وسلطان الاستحواذ[٧] ، فإبليس قادرٌ على سلطان الغلبة، وليس بقادرٍ على سلطان الاستحواذ،

(١) البغوي (٥١/٣)، وابن حبيب (ق:١٤٤/أ).

(٢) قراءة الجمهور بفتح اللام والياء بدون تنوين، وقراءة يعقوب بكسر اللام ورفع الياء مع التنوين في (علي). انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٨٥/٢، ٤٨٦).

(٣) سورة مريم ٥٧.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٤/أ)، وذكره الواحدي في الوسيط (٤٥/٣).

(٥) البغوي (٥١/٣)، وابن حبيب (ق:١٤٤/أ).

(٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (١٦٨/٢)، ومسلم في صحيحه (٢٠٤٥/٤) كتاب القدر، وابن جرير الطبري (٢١٩/٦، ٢٢٠) برقم (٦٦٥٧) وكلهم من طريق عبدالله بن عمرو بن العاص ولفظ مسلم «إن قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد،يصرفه حيث يشاء» ولم أقف عليه بهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف ولعله رواه بالمعنى.

(٧) لم أقف عليه

والاستحواذ: الإضلال.

وها هنا أراد سلطان الإستحواذ فلهذا قال تعالى: ﴿ **ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ .

الغاوين: الكافرين فلك عليهم سلطان نظيره: ﴿ **كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير** ﴾[1].

﴿ **وإن جهنم لموعدهم أجمعين** ﴾ يعني موعد الجن والإنس نظيره: ﴿ **لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾[2].

قال علي بن أبي طالب: إن الله وضع الجنان على العرض ووضع دركات النيران بعضها فوق بعض[3] فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية ﴿ **لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ قال ابن عباس: ﴿ **لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ يعني حظا معلوماً، فجهنم لمن ادعى الربوبية من الخلق، ولظى لعبدة النار، والحطمة لعبدة الأصنام ، وسقر لليهود، والسعير للنصارى، والجحيم للصابئين، والهاوية للموحدين من عصاة أمة محمد.[4]

قال ابن حبيب: اشتق جهنم من قول العرب: بئرجهنام إذا كانت بعيدة القعر. واشتق لظى من التلظي وهو التوقد والتلهب بيانه.

(١) سورة الحج ٤.
(٢) سورة هود ١١٩.
(٣) البغوي (٣/٥١)، ابن حبيب (ق:١٤٤/أ)، والواحدي في الوسيط (٣/٤٦).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٤/أ).

﴿ فأنذرتكم ناراً تلظى ﴾[١] وأما الحُطمة فلأنها تحطم عظام الكفار أي تكسرها، وسُمي سقراً لأنها تذيب عظامهم ولحومهم، تقول العرب سقرته الشمس وصقرته إذا أذابته، وسُمي السعير سعيراً؛ لأنه سُعر أي أوقد، بيانه ﴿ وإذا الجحيم سُعِّرَتْ ﴾،[٢] سمي جحيما لعظم النار والعرب تسمي النار العظيم جحيما وجحاماً، وسميت الهاوية؛ لأنها تهوي بهم أي تسقطهم.[٣]

قوله : ﴿ إن المتقين في جنٰت وعيون ﴾ قال ابن عباس : الذين اتقوا الكفر والشرك والفواحش والكبائر.[٤]

ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها والجنات البساتين، والعيون عيون الماء والخمر واللبن والعسل ﴿ادخلوها ﴾ أي يقال لهم، وقرأ الحسن البصري أُدخلوها بقطع الألف ونصبها وكسر[٥] الخاء على ما لم يسم فاعله.

وهذا حسنٌ في المعنى لسلامته من الضمير ﴿ بسلٰم ﴾ أي بسلامة ﴿ ءامنين ﴾ من الموت والخوف وإبليس والعزل والحوادث والآفات والعاقبة والقطيعة والفراق.

قوله : ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل ﴾ الآية . قال ابن عباس: يقول وأخرجنا ما كان في قلوبهم من الغل والغش والحسد والعداوة والشحناء[٦] قال علي ابن أبي طالب : فينا نزلت أهل بدر.[٧]

---

(١) سورة الليل آية ١٤.
(٢) سورة التكوير آية ١٢.
(٣) انظر: تفسير ابن حبيب مخطوط (ق:١٤٤/أ، ب).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٤/ب).
(٥) قرأ بها رويسٌ عن يعقوب. انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٨٦/٢)، وانظر قراءة الحسن البصري في: البحر المحيط (٤٥٦/٥).
(٦) تفسير ابن حبيب (ق:١٤٤/ب)، والبغوي (٥٢/٣) دون عزوه إلى ابن عباس رضي الله عنه.
(٧) أخرجه الطبري (٢٥/١٤).

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى : قلت لعلي بن أبي طالب كنا نظن أن الآية نزلت فيك وفي طلحة والزبير، فقال اعلم أن تيماً وعدياً كان بينهما في الجاهلية دماً وخماشات، أي جراحات وتناحر وتجادل فيقتل هذا ذاك وذاك هذا إذا ظفر به، فلما جاء الله بالإسلام وأسلم من أسلم من تيم وعدي طفقت قريش تقول : أتظن تيم وعديٌ أن الشحناء التي كانت فيهم تزول عنهم، فأنزل الله هذه الآية، فدعا رسول الله ﷺ أبابكر وعمر في تكملة أربع عشر نفسا وقرأ عليهم الآية.(١)

وزال عن قلوبهم ما خامرها من الشحناء والبغضاء وروى القاسم عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: إن أهل الجنة يدخلون الجنة بما في صدورهم من الشحناء والغل، فإذا ترافعوا وتقابلوا نزع الله ذلك عن صدورهم(٢)، فذلك قوله : ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل** ﴾ قال مجاهد : لا يرى الرجل من أهل الجنة قفا زوجته ولا زوجته قفاه؛ لأن الأسرة تدور بهم حيث ماشاؤا حتى يكونوا في جميع أحوالهم متقابلين.(٣)

﴿ **لا يمسهم فيها نصب** ﴾ يعني لا يصيب أهل الجنة في الجنة تعب ﴿ **وما هم منها** ﴾ من الجنة ﴿**بمخرجين**﴾ ردا على الجهمية والنظام ، وذلك أنهم يقولون أن الجنة فانية فدل في هذه الآية أنها باقية لقوله تعالى : ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾ .

﴿ **نبىء عبادى** ﴾ أخبرهم ﴿ **أنى أنا الغفور الرحيم** ﴾ قال ابن عباس : يعني لمن تاب منهم ﴿**وأن عذابى هو العذاب الأليم**﴾ لمن لم يتب منهم(٤). وقال آخرون

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (٢٨١ - ٢٨٢).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري عن القاسم عن أبي امامة موقوفاً (١٤/٢٥).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٤/ب).

(٤) البغوي (٣/٥٢)، وابن حبيب (ق:١٤٤/ب).

﴿أني أنا الغفور الرحيم﴾ لمن أقرّ ﴿ وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ لمن أصر ﴿الرحيم﴾ لمن اعترف ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ لمن إقترف ﴿أني أنا الغفور الرحيم﴾ لمن ذل، ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ لمن ضل، ﴿وأني أنا الغفور الرحيم﴾ لمن دنا، ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ لمن ناء، ﴿وأني أنا الغفور الرحيم﴾ لمن استغفر، ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ لمن استكبر.

وقيل :﴿أني أنا الغفور الرحيم﴾ لمن قالها ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ لمن لم يقلها.

قوله : ﴿ ونبئهم عن ضيف إبرهيم ﴾ وأخبرهم يا محمد يعني أصحابك عن ضيف إبراهيم، اعلم أن كل اسم كان وصفاً للمصادر كان الواحدُ والاثنان والمذكر والمؤنث فيه سواء كالصوم والرضا والعدل وما أشبهها على أنهم قد قالوا : اضياف وضيوف وضيفان ﴿ إذ دخلوا عليه ﴾ حين دخلوا عليه ﴿ فقالوا سلماً ﴾ يعني سلموا عليه، وقد مضى ذكر اختلاف عدد الملائكة في سورة هود.

﴿ قال ﴾ يعني إبراهيم ﴿ إنا منكم وجلون ﴾ أي خائفون ﴿ قالوا ﴾ يعني الملائكة ﴿ لا توجل ﴾ أي لا تخف. قال الأخفش: فيه ثلاث لغات وجل يوجل وياجل وييجل، نظيره : وجع يوجع وياجع وييجع.(١)

﴿ إنا نبشرك بغلم عليم ﴾ في صغره، حليم في كبره، وكما أن العلم في الصغر عجب، فكذلك الحلم في الكبر عجب، وهو اسحاق بلا خلاف/ هاهنا، ٢٨٦/أ وفي سورة هود والذاريات، وأما الذي في الصافات فأختلفوا فيه فقال بعضهم: إسحاق، وقال بعضهم: إسماعيل.

﴿ قال ﴾ إبراهيم ﴿ أبشرتموني على أن مسني الكبر ﴾ يعني على كبره ﴿ فبم

(١) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٦٠٣)، وتفسير ابن حبيب (ق:١٤٥/أ).

تبشرون قالوا ﴾ يعني الملائكة ﴿ **بشرنـك بالحق** ﴾ أي بالصـدق ﴿ **فـلا تكن من القـنطين** ﴾ يعني من الآيسين.

﴿ **قال** ﴾ يعني إبراهيم ﴿ **ومن يقنط من رحمة ربه** ﴾ ومن ييأس من رحمة الله ﴿ **إلا الضـلون** ﴾.

﴿ **قال** ﴾ يعني إبراهيم ﴿ **فما خطبكم** ﴾ فما شأنكم وأمركم ﴿ **أيها المرسلون قالوا** ﴾ يعني الملائكة.

﴿ **إنا أرسلنا إلى قوم مـجرمين** ﴾ إلى هلاك قوم كافرين وهم قوم لوط ﴿ **إلا ءال لوط إنا لمنجوهـم أجمعين إلا امـرأته قدرنا إنها لمن الغـــبرين** ﴾ من البـاقين في العذاب.

قال ابن حـبيب : وفي هذه الآية فـقه من جهـة العربيـة لم يخرجـه أحد من أهل المعاني إلا أبو عبيـد، وذلك أنه قال استثنى آل لوط من القوم المجرمين ثـم إستثنى امرأته من آل لوط فـرجعـت امرأته في التـأويل إلى القـوم المجـرمين؛ لأنه استـثناء مـردود إلى المستثنى.[1]

وكذلـك ما جـاء في الكلام وهو أن يقول الرجل لفـلان علي عشـرة دراهم إلا أربعة إلا درهـما فلزمه سـبعـة دراهم لأنك لما قلت إلا أربعـة قدمت سـتـة ولما قلت إلا درهما كان هذا إستثناء من أربعة فعاد سبعاً.[2]

لأن الاستـثناء أن يسـتثنى القليل من الكثـير وكـذلك إن قال رجل لامـرأته أنت طالق ثلاثا إلا اثنتين إلا واحدةً فإنها تطلق اثنتين[3] ومعناه أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين غير

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٤٥/أ) وفيه بلفظ: «فإنه استثناء مردود على استثناء».

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٤٥/أ).

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (١٠/٤٠٧) فقد وافق المؤلف في هذه المسألة.

واقعة لزمه واحدة ثم قال إلا واحدة واقعة لزمه تطليقتان.

قوله : ﴿ **فلما جآء ءال لوط المرسلون** ﴾ يعني جبريل والملائكة ﴿ **قال** ﴾ يعني لوطاً للملائكة ﴿ **إنكم قوم منكرون** ﴾ يعني غير معروفين.

﴿ **قالوا** ﴾ يعني الملائكة ﴿ **بل جئنك** ﴾ يا لوط ﴿ **بما كانوا فيه يمترون** ﴾ أي يشكون من العذاب يعني قومك.

﴿ **وأتينك بالحق** ﴾ يعني بالصدق يعني بالعذاب ﴿ **وإنا لصدقون** ﴾ في مقالتنا ﴿ **فأسر بأهلك** ﴾ أي سر بهم ليلاً ﴿**بقطع من الليل**﴾ بنصف من الليل، وقرأ الحسن البصري بقطع من الليل بنصب الطاء[1]، وقد مّر تفسير هذا في هود.

﴿ **واتبع أدبرهم** ﴾ أي امش في أثر أهلك ﴿ **ولا يلتفت منكم أحد** ﴾ ولا تترك من أهلك أحداً إلى ورائه[2] ﴿ **وامضوا حيث تؤمرون** ﴾، قال ابن عباس: يعني بالشام[3]، وقال مقاتل: يعني صُغر.[4]

وذلك أن لقوم لوط خمس قريات فجاءت الملائكة بهلاك أربع لأن[5] كلهم كفار وهي سدوم وصبوا يم وعمورا وداذوما ولم يهلكوا واحداً من صُغر لأن بعض

(١) قال في البحر المحيط: «وحكى القاضي منذر بن سعيد أمر فرقة قرأت (بقطع) بفتح الطاء» انظر: البحر المحيط (٤٦١/٥). وهي قراءة شاذة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب أن يقال: إلى ورائك، والمعنى كما هو واضح من ظاهر الآية: لا يلتفت أحد منكم إلى الخلف حيث يقع العذاب على المعذبين، انظر: تفسير ابن كثير (٤٦٠/٤).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٥٤/٣)، وابن حبيب (ق:١٤٥/أ).

(٤) كذا في تفسر ابن حبيب (ق:١٤٥/أ)، وفي البغوي (٥٤/٣) بلفظ: قال مقاتل: يعني زعز. وقال الواحدي في الوسيط: إلى صغر إحدى قرى قوم لوط (٤٨/٣).

(٥) كذا في الأصل، ولعل الصواب: [لأنهم].

قومهم كانوا مؤمنين فأمر الله لوطاً وأهله أن يرجع[١] إلى صُغر على قول مقاتل.

قال الله : ﴿ وقضينآ إليه ذٰلك الأمر ﴾ أي أعلمناه بتعذيب قومه ﴿ أن دابر هؤلآء ﴾ أي أصلهم وآخرهم ﴿ مقطوع مصبحين ﴾ يعني مهلكا وقت الصبح.

﴿ وجآء أهل المدينة ﴾ قال ابن عباس : يعني أهل سدوم[٢]، وقال مقاتل بن حيان : يعني أهل صبوايم[٣] ﴿ يستبشرون ﴾ بأضياف لوط.

وذلك أنه لما دخل على لوط الضيفان فجاء قومه يستبشرون بأضيافه يريدون الفساد معهم فهذا معنى الاستبشار ﴿ قال ﴾ لوط لهم: ﴿ إن هؤلآء ضيفي ﴾ أي أضيافي﴿ فلا تفضحون﴾ بقصدكم إياهم ﴿ واتقوا الله ﴾ واخشوا الله في أمرهم ﴿ولا تخزون ﴾ ولا تذلوني ﴿ قالوا ﴾ يعني قوم لوط ﴿ أولم ننهك عن العـٰلمين﴾ عن أضياف الغرباء ﴿ قال ﴾ لوط لهم: ﴿ هؤلاء بناتي ﴾ أزوجهن / إياكم أراد بناته بنتيه ربثا وزعورا، وقال آخرون : أراد بناته بنات قومه.[٤] ٢٨٧/أ

﴿ إن كنتم فـٰعلين ﴾ ذلك ثم صرف الخطاب إلى النبي ﷺ فقال ﴿لعمرك﴾ ، قال ابن عباس: وعيشك[٥] ، قال الضحاك: وحياتك.[٦]

قال ابن جريح : ما أقسم الله من خلقه بحياة أحد إلا بحياة محمد[٧]. قال قتادة:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب أن يرجعوا لأنهم جمع.
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٥/أ).
(٣) انظر: المصدر السابق.
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٥/أ).
(٥) أخرجه الطبري (١٤/٣٠).
(٦) أخرجه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٤/٣٠)، وابن حبيب (ق:١٤٥/أ).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٥/أ)، وأخرج ابن جرير مثله عن ابن عباس رضي الله عنه (١٤/٣٠).

﴿لعمرك﴾ كلمة عربية يقولون في الإكرام والتبجيل[1]، قال الأخفش: ببقائك وفيه لغتان عَمْرُ وعُمْرُ[2]، تقول العرب أطال الله عَمرَك وعُمرَك ﴿ إنهم ﴾ هذا جواب القسم، يعني إن قوم لوط ﴿ لفى سكرتهم ﴾ في حيرتهم ﴿ يعمهون ﴾ يترددون.

قال مجاهد : في غفلتهم يعمهون يضطربون[3] ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ يعني العذاب بالحجارة ﴿ مشرقين ﴾ يعني وقت الصبح، وهو نصب على الحال، أي في حال كونهم في الإشراق وهو إضاءة الشمس وصفاؤها.

قال الله ﴿ فجعلنا عٰليها سافلها ﴾ أي قلبناها ظهراً لبطن ﴿ وأمطرنا عليهم ﴾ على قوم لوط ﴿ حجارة من سجيل ﴾ قال ابن عباس : من سنج وجل فارسي مُعرب وقد مضى تفسيره في سورة هود[4] ﴿ إن في ذلك ﴾ الذي ذكرت من عذاب قوم لوط ﴿ لأيٰـت للمتوسمين ﴾ قال ابن عباس : لعلامات للناظرين[5].

قال مجاهد: للمتفرسين[6]، قال قتادة: للمعتبرين[7]، قال مقاتل: للمتفكرين[8]، وأصله من الفراسة تقول العرب توسمت فيك الخير أي: تفرسته.

﴿ وإنها لبسبيل مقيم ﴾ يعني وإن قريات لوط لبطريق واضح معلم غير خفي لمن يمر بها وينظر إليها ويعتبر بها ويخبر سائر الناس والمقيم عبارة عن الواضح.

(١) أخرجه الطبري (١٤/٣٠) بلفظ كلمة من كلام العرب، وابن حبيب (ق:١٤٥/ب).
(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٦٠٤)، وابن حبيب (ق:١٤٥/ب).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٥/ب) ، وفي رواية الطبري عن مجاهد (١٤/٣٠) يترددون.
(٤) انظر: تفسير آية ٨٢ سورة هود من هذا الكتاب.
(٥) أخرجه الطبري (١٤/٣١)، والبغوي (٣/٥٥)، وابن حبيب (ق:١٤٥/ب).
(٦) انظر: تفسير مجاهد (ص:٣٤٢) ، وفي الطبري (١٤/٣١).
(٧) أخرجه الطبري (١٤/٣١).
(٨) البغوي (٣/٥٥)، وابن حبيب (ق:١٤٥/ب).

﴿ **إن في ذلك** ﴾ الذي ذكرت من هلاك قوم لوط ﴿ **لأية** ﴾ لعلامة ﴿ **للمؤمنين** ﴾. إلى ههنا قصة لوط.

﴿ **وإن كان أصحٰب الأيكة لظٰلمين** ﴾ معناه وما كان أصحاب الأيكة إلا ظالمين. قال ابن عباس : يعني أهل مدين وهم قوم شعيب ومدين والأيكة واحد، وكان شعيب رسولاً إليهم[1]. قال قتادة: كان شعيب بن نويب مبعوثاً إلى أهل قريتين إحداهما مدين والأخرى الأيكة وعُذب أهلهما بعذابين مختلفين.[2]

فأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة، وأما أهل الأيكة فكانوا أصحاب رياض وغياض وكان عامة شجرهم الدوم وهو المقل، وكانت أشجارهم ملتفه، فعاقبهم الله بالحر سبعة أيام فاستظلوا بظل الشجر فما نفعهم ذلك شيئاً فأنشأ الله سحابة سوداء فالتجؤا إلى ظلها فأحرقهم الله بحر النار فذلك قوله ﴿ **فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة** ﴾[3] وقوله ﴿ **فانتقمنا منهم** ﴾ انتصفنا انتصرنا منهم.

﴿ **وإنهما لبإمام مبين** ﴾ اختلفوا في الكناية من ثلاثة أوجه، أحدها : قال ابن عباس : ﴿ **وإنهما لبإمام مبين** ﴾ يعني قرى لوط وقرى قوم[4] شعيب، قال قتادة : ﴿ **وإنهما** ﴾ يعني مدين والأيكة ﴿ **لبإمام مبين** ﴾ لبطريق واضح[5] لمن يمر به وينظر إليه ويعتبر به ويخبر أهله.

قال الفراء : وسمى الطريق إماماً لأنه يؤتم به[6]، وقال بعضهم : ﴿ **وإنهما** ﴾

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٤٥/ب).
(٢) أخرجه الطبري (٣٣/١٤).
(٣) سورة الشعراء آية ١٨٩.
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٥/ب).
(٥) أخرجه الطبري (٣٣/١٤).
(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٩١/٢).

يرجع إلى النبيين لوط وشعيب ﴿ لبإمام مبين ﴾ لبطريق واضح من الحق يؤتم به ولا يشكل ولا يخيل على من قصده أو تدبر في أمره. إلى ههنا قصة قوم شعيب.

قال الله : ﴿ ولقد كذب أصحب الحجر المرسلين ﴾ يعني قوم صالح ﴿ المرسلين ﴾ يعني صالح وحده ، نظيره ﴿ يا أيها الرسل ﴾[1] أراد به نبينا محمد ﷺ[2] وحده والحجر ديار ثمود وهي ما بين الشام والمدينة[3] ﴿ وءاتينهم ﴾ وأعطيناهم ﴿ ءايتنا ﴾ يعني الناقة وولدها والبئر ﴿ فكانوا عنها ﴾ عن الآيات ﴿ معرضين ﴾ أي لم يؤمنوا بها / ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا ﴾ مغاراً في الحجر ﴿ ءامنين ﴾ أي ليأمنوا من وقوع الجبل ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ النار ﴿ مصبحين ﴾ وقت الصبح ﴿ فما أغنى عنهم ﴾ فما نفعهم ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ من الكفر والشرك إلى ها هنا قصة قوم صالح.

٢٨٧/ب

قوله: ﴿ وما خلقنا السموت والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ يعني لم يخلقهما باطلاً ﴿ وإن الساعة لأتية فاصفح الصفح الجميل ﴾ هذا إعراض القلب لا إعراض الوجه أي فاعرض عنهم بالقلب ولا تعرض عنهم بالوجه . وقيل: فأعرض عنهم من غير محاربةٍ ولا قتال نسختها آية القتال[4].

---

(١) سورة المؤمنون آية ٥١.

(٢) الصواب أن الخطاب عام للمرسلين عامة وليس خاصاً بمحمد ﷺ ، فهو كما قال ابن كثير : أمر لهم بالأكل من الحلال، والقيام بصالح الأعمال، (٥/٤٧٠).
وأن أصحاب الحجر هم ثمود الذين كذبوا صالحاً عليه السلام ومن كذب برسول واحد فقد كذب بجميع الرسل.
انظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٦٢).

(٣) هي ما يعرف في وقتنا الحاضر باسم مدائن صالح تقع شمال المدينة المنورة على بعد ٤٥٠ كم تقريبًا من المدينة على طريق محافظة العُلا.

(٤) قال بالنسخ في هذه الآية: كل من الطبري (١٤/٣٥)، والنحاس في ناسخه (١٧٩)، ومكي بن أبي طالب في الإيضاح (٢٨٥) وابن الجوزي في نواسخه (٣٧٩).

﴿ إن ربك هو الخلـٰق العليم ﴾ أي: خلق الخلق ﴿العليم﴾ بهم، وقيل: العليم بوقت البعث.

قوله: ﴿ ولقد ءاتينـٰك سبعاً من المثانى ﴾ ولقد أعطيناك يا محمد سبعاً اختلفوا فيه، فقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك وسعيد بن جبير والربيع بن أنس في آخرين: هي فاتحة الكتاب[1].

قال سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن السبع المثاني فقال: فاتحة الكتاب سبع آياتٍ إحداهن بسم الله الرحمن الرحيم[2].

وقال علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: كنت عند ابن عباس فسأله سعيد بن جبير عن السبع المثاني فقال: فاتحة الكتاب قلت فأين السابعة؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم[3] وعدها في يده، وقال مجاهد وعبيد بن عمير[4] وأبو مالك[5]، ومُرّة الهمذاني: هي السبع الطُّول[6].

---

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري في تفسيره (١٤/٣٧، ٣٨)، وانظر: البغوي (٣/٥٤)، وابن حبيب (ق:١٤٥/ب).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/٣٩).،

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٧/ب).

(٤) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسّر من ثقات التابعين توفي سنة أربع وسبعين هجرية، وقيل غير ذلك.
انظر: طبقات ابن سعد (٥/٤٦٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/١٥٦ - ١٥٧).

(٥) أبو مالك: غزوان الغفاري الكوفي روى عن عمّار بن ياسر، وابن عباس رضي الله عنهم ثقة أخرج له البخاري معلقاً وأبو داود والترمذي والنسائي.
انظر: الجرح والتعديل (٧/٥٥)، والتقريب (٢/١٠٥).

(٦) أخرج قول مجاهد الطبري (١٤/٣٦).

وقال الضحاك: ﴿ سبعا من المثانى ﴾ يعني سبعة أسباع[1] ﴿ والقرءان العظيم ﴾ وفيه إضمار يعني وهو القرآن العظيم، فمن قال إنها فاتحة الكتاب أراد بالسبع سبع آيات . واختلفوا في المثاني، فقال بعضهم: سميت مثاني لأن أولها ثناءٌ على الله[2]. وقال الحسين بن الفضل: سميت مثاني؛ لأن جبريل نزل بها مرتين مرة بمكة ومرةً بالمدينة[3].

وقد ذكرنا الاختلاف في المثاني في سورة الحمد بتمامها . ومن قال إنها السبع الطول أراد سبع سور، وأراد بالمثاني تثنية الأنباء والقصص فيها، ومن قال سبعة أسباع أراد جميع القرآن وأراد بالمثاني ترديد القصص وتثنيتها.

وكذلك الأخبار والقرآن العظيم.

قال أهل المعانى: أن الواو في قوله: ﴿ والقرءان ﴾ مقحمةٌ والقرآن بدل من السبع كأنه قال ولقد أتيناك سبعاً من المثاني القرآن العظيم واحتجوا بقول الشاعر[4]:

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة فى المزدحم

وقوله: وابن الهمام وليث الكثيبة واواهما مقحمان ومجازه إلى الملك القرم ابن الهمام ليث الكيبة فى المزدحم.

وقال بعضهم الواو مثبتة معناه: [فكما][5] من الله على محمد بفاتحة الكتاب

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٣٨/أ).
(٢) البغوي (٥٧/٣).
(٣) البغوي (٥٧/٣)، وابن حبيب (ق:١٤٨/أ).
(٤) لم أهتد إلى قائله والبيت في الإنصاف (٤٦٩)، والقرطبي (٣٩٩/١)، وشواهد الكشاف (١٠٨)، والخزانة (٢١٦/١).
(٥) في الأصل: [فكمل] وهو خطأ والصواب ما أثبته.

فكذلك من عليه بجميع[١] القرآن . وقال بعض المذكرين ﴿ **ولقد ءاتينـٰك سبعاً من المثانى** ﴾ يعني فاتحة الكتاب ﴿ **والقرءان العظيم** ﴾ يعني آية الكرسي[٢].

قوله: ﴿ **لا تمدن عينيك** ﴾ الآية قال ابن عباس: نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا وعن أن يمد عينيه إليها رغبةً فيها[٣].

قال أبو العالية: ضاف إلى رسول الله ﷺ ضيفٌ فاستسلف يهوديا شيئا من التمر، فقال: لا أسلف إلا برهن، فقال ﷺ : لو أسلفني لوجدني ملياً برده فإني أمين في السماء والأرض فأنزل الله[٤] ﴿ **لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزوٰجاً منهم** ﴾ قال ابن عباس: أي أعطيناهم ﴿ **أزوٰجا** ﴾ أي أصنافاً[٥] من متاع الدنيا ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ أي ولا تحزن على أهل مكة إن هلكوا فللهلاك خلقتهم ﴿ **واخفض جناحك** ﴾ أي لين جناحك ﴿ **للمؤمنين** ﴾ وتواضع لهم وجناح الإنسان يده.

﴿ **وقل** ﴾ يا محمد ﴿ **إنى أنا النذير المبين** ﴾ يعني المخوف الظاهر ﴿ **كما أنزلنا على المقتسمين** ﴾ قال ابن عباس: كانوا اثنى عشر[٦] رجلا. قال مقاتل: كانوا ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم حتى قعدوا على أعقاب مكة ودروبها وأبوابها[٧]. فإذا جاء الحجاج قال فريق منهم لا تغتروا بالخارج منا والمدعي للنبوة فإنه مجنون.

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٦/أ).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٦/أ)، وانظر ايضاً: إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٥/٢٣٩).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٦/أ).
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٦٦) من رواية ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي رافع وذكر الحديث، وابن حبيب (ق:١٤٦/أ).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٦/أ).
(٦) انظر المصدر السابق.
(٧) البغوي (٣/٥٨)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٤٣٧، ٤٣٨).

[وقال][1] طائفة أخرى: على طريق آخر إنه كاهن [وقال][2] طائفة ثالثه: على طريق ثالث إنه عراف، وقالت طائفة أخرى: إنه شاعر والوليد بن المغيرة قاعد على باب المسجد نصبوه حكماً، فإذا سئل الوليد عن رسول الله ﷺ قال الوليد صدق أولئك يعنى المقتسمين وسموا المقتسمين مقتسمين لأنهم اقتسموا أعقاب مكة، قال ابن عباس: في رواية أخرى المقتسمون هم أهل الكتاب آمنوا ببعض الكتاب والأنبياء وكفروا ببعض[3] كما قال تعالى ﴿ **ويقولون نؤمن ببعضٍ ونكفر ببعض** ﴾[4].

وقال بعضهم: المقتسمون الذين اقتسموا رسول الله ﷺ فقال بعضهم إنه ساحر، وقال بعضهم: إنه كاهن ، وقال بعضهم : إنه شاعر ،وقال مقاتل بن حيان: المقتسمون هم قوم اقتسموا القرآن فقال بعضهم: إنه سحر، وقال بعضهم: إنه سمر.

وقال بعضهم: كذب وقال بعضهم: أساطير الأولين ويؤيد ما قاله مقاتل

قوله: ﴿ **الذين جعلوا القرءان عضين** ﴾ متفرقين أي فرقوه أجزاءً فقال بعضهم: سحرٌ وقال بعضهم: كذب . وقال بعضهم: سمر، والعضون في كلام العرب السحر بعينه، ويقال عضوه أى فرقوه كما تعضى الشاة والجزور أي تفرق، وواحد العضين عضة.

ونظيره: من الكلام عزةٌ وعزين يعني جماعة كما قال الله ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾[5] وقال بعضهم: هو على هجائين عضة وعضون رفعها بالواو

(١) كذا في الأصل، والصواب أن يقال : [وقالت].
(٢) كذا في الأصل ، والصواب أن يقال : [وقالت].
(٣) أخرجه الطبري (٤٣/١٤).
(٤) سورة النساء آية ١٥٠.
(٥) سورة المعارج آية ٣٣.

وخفضـها ونصبها عزين بالـياء، ومن العرب من يجعلها باليـاء على كل حال ويعرب نونها كسنين فيـقول هذا عضينك ومررت بعضينك ورأيت عضـينك وهي كثيرة في أسد[1] وعامر[2].

قوله: ﴿ **فوربك لنسئلنهم أجمعين** ﴾ هذه اعترضت فيها الملاحدة [فحكمت][3] بين جمع هذه الآيه وبين قـوله تعالى ﴿ **فيومئـذٍ لا يسئل عن ذنبه** [4] **إنسٌ ولا جـانٌ**﴾ بالتناقض فيهما ولهما أجوبة. قـال عكرمة: سألت مولاي بن عباس عن الآيتين فقال: إن يوم القـيـامـة يومٌ طويلٌ وفـيه مـواقفٌ يسئلون فـى بعض المواقف ولا يسئلون في بعضـــها[5].

قال ابن حبيب: ونظيرهما قوله تعالى: ﴿ **هذا يوم لا ينطقون** ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿ **ثم إنكم يوم القـيـامـة عند ربكم تخـتـصـمـون** ﴾[7] والجـواب عنهمـا كالجـواب الماضي[8].

وقال بعضهم: ﴿ **فيومئذٍ لا يسئل عن ذنبه** ﴾ الآيه إذا كان الذنب فى حال النوم

---

(١) أسد: قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ولها بطون كبيرة منازلهم في نجد . انظر: معجم قبائل العرب (٢٢/١).

(٢) عامر بن صعصعة بطن من هوزان من قيس بن عيـلان من العدنانيين ، وهم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن نزلوا الطائف .
انظر: معجم قبائل العرب (٧٠٨/٢، ٧١٠).

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل وتم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٤٦/ب).

(٤) سورة الرحمن آية ٣٩.

(٥) البغوي (٥٩/٣)، وابن حبيب (ق:١٤٦/ب).

(٦) سورة المرسلات آية ٣٥.

(٧) سورة الزمر آيه ٣١.

(٨) انظر: تفسيره (ق:١٤٦/ب).

أو في الجنون.

وفي حال الصبا قبل أن يبلغ الحنث بيانه قوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق والنائم حتى يستيقظ»[١].

وقرأ ﴿ **فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ يعني المؤمنين بيانه قوله ﷺ: «إن الإسلام يجُب ما قبله»[٢] يعنى يقطع وقوله: ﴿ **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** ﴾[٣].

قال محمد بن المستنير قطرُب النحوي: السؤال على ضربين سؤال استعلام واستخبار وسؤال توبيخ وتقريع / وتقرير ﴿ **فيومئذ لا يسئل عن ذنبه** ﴾ الآية يعنى ٢٨٨/ب إستعلاماً واستخباراً؛ لأنه كان عالماً بهم قبل أن خلقهم قوله ﴿ **فوربك لنسئلنهم أجمعين** ﴾ يعني توبيخا وتقريعاً وتقريرا لنريهم العذر في تعذيبنا إياهم.

قوله: ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ هذا من فصيحات القرآن قال ابن عباس: أظهر[٤] وقال الضحاك: أعلم[٥] وقال الأخفش: أفرق[٦] وقال المورج: أفصل[٧]. وقال سيبويه: إقض بما تؤمر[٨]. أي بأمرنا ﴿ **وأعرض عن المشركين** ﴾ منسوخ بآية القتال[٩].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥/٥٦٠) برقم (٤٤٠٣) بلفظ رفع القلم عن ثلاث . عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل.
(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/٢٠٤، ٢٠٥).
(٣) سورة الأنفال آية ٣٨ .
(٤) البغوي (٣/٥٩)، وابن حبيب (ق:١٤٦/ب).
(٥) البغوي (٣/٥٩)، وابن حبيب (ق:١٤٦/ب).
(٦) البغوي (٣/٥٩)، وابن حبيب (ق:١٤٦/ب).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٦/ب).
(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٦/ب).
(٨) قال بالنسخ ابن الجوزي في نواسخه (٣٨١، ٣٨٢)، والبغوي (٣/٥٩).

قوله: ﴿ إنا كفينٰك المستهزءين ﴾ قال ابن عباس: كانوا خمسة الوليد بن المغيرة. والعاص بن الوائل، والحارث بن قيس، والأسود بن عبدالمطلب، والأسود بن عبد[1] يغوث.

قال مقاتل: كانوا سبعة يزيد على هؤلاء الخمسة بعكك وأصرم[2] .

قال ابن عباس: كان جبريل عند النبي ﷺ فمر الوليد بن المغيرة فقال جبريل: يا محمد ما تقول فيه؟ قال أقول إنه عبد سوءٍ ، فأشار جبريل إلى أخمص قدميه، فقال: كفيت أمره، فمر بنبال فبدرت نبل، فتعلقت ببرده، وكان عليه برد يماني يتبختر فيه فمنعه الكبر أن ينزعه منه، فهبت ريح فأسقطته على يده فأصابت أكحله فمات منه. ومر العاص بن وائل فقال له جبريل: ما تقول فيه يا محمد؟ قال: أقول عبد سوءٍ فأشار جبريل إلى ظهره فقال: كفيت أمره، فخرج متنزها مع بنيه في شعب من شعاب مكة فصاح وقال: لُدغت لُدغت، ففتشوا فلم يروا شيئا ومات منه ومرّ به الحارث فقال جبريل: ما تقول فيه؟ فقال: عبد سوءٍ فأشار جبريل إلى بطنه فقال: قد كفيت أمره فأكل سمكة مالحة فجعل يشرب ولا يروى من الماء حتى انفطر بطنه فمات. ومرّ به الأسود بن عبدالمطلب فقال جبريل، ما تقول فيه؟ فقال: عبد سوءٍ فأشار جبريل إلى عينيه فعمى، ووجعت عينه فجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك. وكان رسول الله ﷺ دعا عليه قبل ذلك فقال: اللهم اعم بصره[3]. ومر به الأسود بن عبد يغوث فقال : ما تقول فيه؟ فقال: عبد سوءٍ فأشار إلى جسده فخرج

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٦/ب) وقال بذلك البغوي دون عزوه إلى أحد (٥٩/٣).

(٢) انظر: تفسيره (٤٣٩/٢، ٤٤٠).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٧٠/٤)، والبداية (١٠٥/٣)، ودلائل النبوة (٩١/١).

إلى البادية ورجع وقد اسود جسده كله فقرع الباب فأنكره أهله فلم يفتحوا له الباب، فضرب رأسه على الباب حتى مات[1]. فذلك قوله: ﴿ إنا كفيناك ﴾ يا محمد ﴿المستهزئين ﴾.

قال مقاتل: وأما بعكك فأخذته الذُّبيلة، وأما أصرم فأخذته ذات الجنب فمات وذات الجنب داء يخرج من الجنب يقال له ذات الجنب[2].

قال ابن حبيب: ورأيت في بعض التفاسير أن كلهم ماتوا في يوم وليلة[3] ثم وصفهم فقال ﴿ الذين يجعلون مع الله إلـٰهاً ءاخر ﴾ يعني المستهزئين يشركون الأصنام مع الله ﴿ فسوف يعلمون ﴾ وبال ما قالوا وجعلوا.

قوله: ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ يعني قول كفار مكة إنك كاهنٌ وساحرٌ ومجنونٌ ﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ قال بن عباس: صَل بأمر ربك ﴿وكن من السـٰجدين﴾، أي من المتواضعين[4] وقال الضحاك: أي فقل سبحان الله وبحمده ﴿وكن من السـٰجدين﴾ يعني من المصلين[5] ﴿ واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين ﴾ يعني الموقن وهو الموت فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ : ما أوحى إليّ أن اجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحي إليّ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين[6] ﴿واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين﴾ يعني الموت والسورة كلها مكية.

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٦، ١٤٧/ب، أ)، وذكر مثله البغوي (٣/٥٠٩)، وابن كثير (٤/٤٧٠).

(٢) انظر: تفسيره (٢/٤٤٠).

(٣) انظر: تفسيره (ق:١٤٧/أ).

(٤) البغوي (٣/٦٠)، وابن حبيب (ق:١٤٧/أ).

(٥) البغوي (٣/٦٠)، وابن حبيب (ق:١٤٧/أ).

(٦) أخرجه البغوي (٣/٦٠)، وذكره ابن حبيب (ق:١٤٧/أ)، وهو في كنز العمال برقم (٦٣٧٥)، وانظر: تفسير القرطبي (١٠/٦٤) ، وفي الحلية (٢/٢٣١).

تفسير سورة النحل

مكيـةٌ إلا أربـع آيات قـوله: ﴿ **والذين هاجـروا فى الله من بعـد مـا ظلـمـوا** ﴾ وقوله: ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا** ﴾ / إلى آخر ثلاث آيات وهى مائة وثمانٍ وعشرون آيةً ٢٨٩/أ ليس فيها اختلافٌ وكلاماتها ألفٌ وثمان مائةٍ وخمس وأربعون كلمةً وحروفها تسعة الاف وسبعمائه وثمانيةٌ وأربعون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

بشم المهيمن الوهاب الذى يأمر بالدين والشريعة وينهى عن المنكر والخديعة .

قوله: ﴿ **أتى أمر الله** ﴾ جواب النضـر بن الحارث بن علقمة حين قـال: إن كان ما يقول محمدٌ حقاً، ﴿ **فأمطر علينا حـجارةً من السمـآء أو ائتنا بعذابٍ أليم** ﴾[1][2] وهو من الجواب المفصول.

والجواب جوابان: الجواب المفصول والجواب الموصول.

فالموصـول الذى يتصل بالسـؤال، والمفصـول الذى يكون مقطوعـاً عن السؤال يكون السؤال فى سورةٍ وجوابه فى سورةٍ أخرى، وهذا من الجواب المفصول .

قـال ابـن عـبـاس: لما أنـزل الله ﴿ **اقـتـرب للـنـاس حـسـابهم وهم فـى غـفـلةٍ معرضون** ﴾[3] أشفق المشركون وإنتظروا قرب الساعة فلما إمتدت الأيام قالوا يا محمد

(١) سورة الأنفال آية ٣٢.

(٢) البغوي (٣/٦١)، وابن حبيب (ق:١٤٧/أ).

(٣) سورة الأنبياء آية ١.

ما نرى شيئا مما تخوفنا به، فأنزل الله ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾[1] فقالوا يا محمد أين ما تعدنا به من العذاب، فأنزل الله: ﴿ **أتىٰ أمر الله** ﴾ الآية فوثب النبي ﷺ حذراً من وقوع الساعة، فأنزل الله ﴿ **فلا تستعجلوه** ﴾ فاطمأن رسول الله ﷺ فقال ﷺ عند ذلك: « بعثت والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني» وشبك بين أصبعيه[2].

وقال ﷺ : «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل ثوب شق بإثنين وبقى خيطٌ الا وكان ذلك الخيط قد أنقطع»[3].

وقال ﷺ : «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأتمه إلا موضع لبنةٍ فأنا تلك اللبنة»[4].

قال ابن عباس: كان بعث النبي ﷺ من أشراط الساعة، وإن جبريل لما مر بأهل السموات مبعوثاً إلى النبي ﷺ قالوا الله أكبر قد قامت الساعة[5].

قوله: ﴿ **أتىٰ أمر الله** ﴾ قال ابن عباس: يعني العذاب[6].

قال سعيد بن جبير: يعني الساعة[7].

---

(١) سورة القمر آية ١.

(٢) أخرجه البغوي (٦١/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٤٧/أ)، وانظر: تفسير السمرقندي (٢٢٧/٢)، والبخاري (٧٩/٦) تفسير سورة النازعات.

(٣) هكذا ذكره ابن حبيب (ق:١٤٧/أ) ولم أجده عند غيره.

(٤) رواه مسلم (١٧٩٠/٤) برقم (٢٢٨٦) بلفظ «فأحسنه وأجمله» الحديث.

(٥) البغوي (٦١/٣).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٧/ب).

(٧) انظر المصدر السابق.

قال الضحاك: ما كانوا يستعجلون به من الفرائض والشرائع[١] ﴿ **فلا تستعجلوه** ﴾ ثم نزه نفسه فقال: ﴿ **سبحنه وتعلى عما يشركون** ﴾ وقرأ سعيد بن جبير ﴿ **فلا يستعجلوه** ﴾ و ﴿ **يشركون** ﴾ بالياء فيهما[٢] وقرأ الأعمش: ﴿ **ينزل الملئكة** ﴾ بالتخفيف. والملائكة بالرفع على الفاعل[٣] وأراد بالملائكة جبريل وحده ﴿ **بالروح من أمره** ﴾.

قال ابن عباس: بالوحى من أمره[٤]، قال قتادة: بالروح من أمره، يعنى الرحمة[٥].

قال عطاء: يعنى بالنبوة[٦]، قال [القسم][٧] بالروح، يعنى بالقرآن[٨]؛ لأن كلام الله روح لأنه حياه لهؤلاء وبه موت الكفر نظيره: ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾[٨] يعني القرآن ونظيره: ﴿ **رفيع الدرجات** ﴾[٩] الآيه.

قال أبو عبيدة: ﴿ **ينزل الملئكة** ﴾ أراد الملائكة بعينها ﴿ **بالروح** ﴾ الباء مكان مع يعنى مع جبريل بيانه قوله: ﴿ **نزل به الروح الأمين** ﴾[١٠] يعنى جبريل من أمره يعنى بأمر الله[١١]. كقوله: ﴿ **يحفظونه من أمر الله** ﴾[١٢] أى بأمر الله ﴿ **على من يشاء**

---

(١) أخرجه الطبري (٥٢/١٤).
(٢) انظر: كتاب مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (٧٢).
(٣) قال في البحر المحيط (٤٧٣/٥): والأعمش وأبو بكر تنزل مشدداً مبنياً للمفعول الملائكة بالرفع.
(٤) أخرجه الطبري (٥٣/١٤) وهو القول الراجح وبه قال ابن كثير (٤٧٤/٤).
(٥) أخرجه الطبري (٥٤/١٤).
(٦) البغوي (٦١/٣)، وابن حبيب (ق:١٤٩/ب).
(٧) كذا في الأصل، ولعل الصواب: [القتيبي] حيث أن ابن حبيب ذكر مثل هذا القول ونسبه للقتيبي، والمؤلف يأخذ عنه . انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٤٧/ب).
(٨) سورة الشورى ٥١.
(٩) سورة غافر ١٥.
(١٠) سورة الشعراء ١٩٣.
(١١) البغوي (٦١/٣)، وابن حبيب (ق:١٤٧/ب).
(١٢) سورة الرعد ١١.

من عباده ﴾ يعنى محمداً.

﴿ **أن أنذروا** ﴾ يعنى بأن خوفوا. والخطاب الملائكة وفيه إضمارٌ يعني يقال لهم بأن خوفوا وقال آخرون: مجازه ينزل الملائكة بالروح من أمره بالإنذار ﴿ **أنه لا إلـه إلا أنا فاتقون** ﴾ فاخشون ، وقيل: فأطيعون.

﴿ **خلق السمـوت والأرض بالحق** ﴾ أى للزوال والفناء، وقال مقاتل: لم يخلقهما باطلا خلفها لأمرٍ كائنٍ[1] ﴿ **تعلى عما يشركون** ﴾ يعني كفار مكة .

قوله: ﴿ **خلق الإنسـن من نطفة** ﴾ نزلت فى أبيٍّ ابن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما رم ويعاد خلقاً جديداً بعد البلى[2] فأنزل الله فيه﴿ **وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظـم** ﴾[3] إلى آخر الآيات ونزلت ﴿ **خلق الإنسـن** ﴾ يعني أبي بن خلف ﴿ **من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ مبينٌ** ﴾ سمعت ابن حبيبٍ يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد بن عبدالله العنبري يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن الأزهر السجزي سمعت أبا حاتم سهل بن محمد السجستاني يقول: الخصيم في الحق والخصيم فى الباطل[4] ويؤيد ما قاله قوله تعالـى: ﴿ **ولا تكن للخائنين خصيماً** ﴾[5].

وقال هاهنا: ﴿ **خصيم مبين** ﴾ لأنه خاصم النبي ﷺ في العظم الرميم وهو

(١) انظر: تفسيره (٢/٤٥٩، ٤٦٠).
(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (٢٨٤)، وفي الوسيط (٣/٥٦)، والبغوي (٣/٦٢).
(٣) سورة يس ٧٨.
(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٤٧/ب).
(٥) سورة النساء آية ١٠٥.

الباطل فلهذا قال ﴿ خصيم مبين ﴾.

قوله: ﴿ والأنعـٰم خلقهـا لكم ﴾ يعنى الإبـل والبـقـر والغنـم والمعز ﴿ لكم فيـها﴾في الأنعام ﴿دفء ومنـٰفع ﴾.

قال ابن عباس: الدفء القطف والأكسية وبيوت الشعر والوبر ومنافع يعنى ظهورها للركوب[1].

قال مقاتل: ﴿ لكم فيها دفء ﴾ يعني أصوافها وأوبارها وأشعارها. ومنافع يعنى ألبانها ولحومها[2].

قال الكلبي: لكم فيها دفء يعني حواشي الإبل يعني صغارها[3].

قال الفراء: دفء يعني ما إستدفأت به[4].

قال عكرمة: لكم فيها دفء يعنى الأوبار والأصواف ومنافع يعنى النسل والقنية[5] ﴿ومنها تأكلون﴾ يعني اللحوم.

﴿ولكم فيها جمال﴾ يعني بهاءً وحسن منظر ﴿ حين تريحون ﴾ آخر النهار من مرعاها إلى البيوت ﴿وحين تسرحون﴾ أول النهار من البيوت إلى المرعى.

قال قتادة: ليس شيء أحسن منها إذا راحت عظام الضروع والأسنمة[6]

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/٥٥)، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٧٦).
(٢) انظر: تفسيره (٢/٤٦٠).
(٣) ذكره الماوردي (٣/١٧٩).
(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٩٦).
(٥) أخرجه الطبري عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٤/٥٥)، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٧٦).
(٦) أخرجه الطبري (١٤/٥٦).

﴿وتحمل أثقالكم﴾ يعني أمتعتكم ﴿إلىٰ بلد﴾ يعني مكة ﴿ لم تكونوا بـالغيه ﴾ الهاء راجعٌ إلى البلد معناه لم تكونوا بالغي البلد ﴿ إلا بشق الأنـفس ﴾ يعني بالتعب والمشقة.

قال ابن عباس: ﴿ إلا بشق الأنـفس ﴾ يعني في الأسفار[1] قراءة العامة بكسر الشين وقرأ أبو جعفر المدني بشق بفتح الشين[2] وكلاهما واحدٌ نظيرهما في الكلام جَصٌ وجِصٌ ورَطلٌ ورِطلٌ.

قال يعقوب بن اسحاق السّكيت[3]: الشق بفتح الشين الصدع في زجاجة أو حائط أو عود والشق بالكسر المشقة[4] وهو أيضا نصف الشيء ومنه شق المحمل لأنه بنصفين قال الفراء: ﴿ إلا بشق الأنفس ﴾ يحتمل كلاهما المشقة والنصف[5] لأنها إذا هزُلت في أسفارها عادت إلى نصف لحمها.

﴿ إن ربكم لرءوف رحيم﴾ بخلقه حيث خلق لهم هذه الأشياء.

قوله: ﴿ والخيل ﴾ أي وخلق لكم الخيل ﴿والبغال والحمير﴾ ، والخيل: إسم جمع لا واحد له من لفظه وواحده فرسٌ ونظيره: الإبل والنساء والواحد والواحده بعير وإمرأة. ﴿ لتركبوها وزينة ﴾ قال الكسائي: الواو مقحمة أراد لتركبوها زينة[6] وأن الله نبهنا على أنها للركوب ولهذا يكره مالك وأهل الحجاز: أكل الخيل[7]

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٧/ب)، والواحدي في الوسيط (٣/٥٦).

(٢) انظر: كتاب مختصر في شواذ القرآن (ص:٧٢).

(٣) هو شيخ العربية ابو يوسف، يعقوب بن اسحاق بن السكيت البغدادي له تصانيف كثيرة مات سنة (٢٤٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/١٦).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٨/أ).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٩٧).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٨/أ).

(٧) انظر: تفسير البغوي (٣/٦٢)، والقرطبي (١٠/٧٦).

ورخص فيه أهل العراق[١] إلا أبا حنيفة وحده فإنه كرهه دونهم.

﴿**ويخلق ما لا تعلمون**﴾ قال ابن عباس: ويخلق الله ما لا تعلمون من الأشياء[٢] ولكن لم يُسمه وقال خليد إبن دعلج عن قتادة : ﴿ **ويخلق ما لا تعلمون** ﴾ يعني السوس في النبات والدود في الفواكه[٣] وما أشبهه .

قوله: ﴿ **وعلى الله قصد السبيل**﴾ والكناية مردودة إلى السبيل لأنها مؤنثة فى لغة أهل الحجاز وفي مصحف عبدالله[٤] ﴿ **وعلى الله قصد السبيل ومنكم جائر** ﴾ يعنى عن السبيل.

قال [جابر][٥] بن عبدالله ﴿ **وعلى الله قصد السبيل**﴾ يعني بيان الفرائض والشرائع[٦] .

قال قتادة : يعني بيان الحلال والحرام[٧].

قال السدّي: يعني بيان الهدى[٨] ﴿ **ومنها جائر**﴾ أي الضلاله وهي الطريق للشيطان.

قال مجاهد: ﴿ **وعلى الله قصد السبيل**﴾ يعني طريق الحق[٩] ومنها جائر أي

---

(١) قال البغوي: وذهب جماعة إلى إباحة لحوم الخيل، وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير وبه قال الشافعي وإسحاق (٦٢/٣)، وانظر: تفسير القرطبي (٧٦/١٠).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٨/أ).

(٣) البغوي (٦٣/٣).

(٤) يعنى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه . انظر: الطبري (٥٩/١٤).

(٥) في الأصل: [عامر بن عبدالله]، والصواب ما أثبتناه.

(٦) البغوي (٦٣/٣).

(٧) أخرجه الطبري (٥٨/١٤). وانظر: تفسير ابن كثير (٤٧٩/٤).

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٨/أ)، وأخرج الطبري مثله عن الضحاك (٥٩/١٤).

(٩) أخرجه الطبري (٥٨/١٤)، ورجحه ابن كثير (٤٧٩/٤).

زائـــغ.

قال عبدالله بن المبارك وسهل بن عبدالله التستري: يعنى الدين والسنة[١] ﴿ ومنها جائر﴾ يعنى الأهواء والبدع.وبيـانه قوله: ﴿ وإن هذا صراطى مستقيما فـاتبعوه﴾[٢] ﴿ولو شآء لهدىٰكم أجمعين ﴾ رداً على المعتزلة لأن ظاهر الآية يدل على أنه لم يشأ أن يهديهم.

قوله: ﴿ هو الذى أنزل من السمآء مآء﴾ يعني المطر ﴿ لكم منه ﴾ من المطر ﴿شراب ومنه شجرٌ فيه تسيمون ﴾ ترعون[٣] يعني رعى الأبل تقول العرب أسمتها فسامت أي رعيتها فارتعت.

﴿ ينبت لكم به الزرع ﴾ يعـــني بذلك المـاء ﴿ والزيتون ﴾ وشجر الزيتون ﴿ والنخيل والأعنـٰب ﴾ يعني الكروم ﴿ ومن كل الثمرات﴾ يعني من ألوان كل الثمرات.

﴿ إن فى ذلك لأيةً ﴾ لعلامة وعبرةً ﴿ لقوم يتفكرون﴾ في توحيد الله وصنعه ﴿ وسخر لكم الليل والنهار﴾ أي وذلل لكم الـليل والنهـار ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخـرٰت﴾ مذللات ﴿ بأمره ﴾ بأمر الله ﴿إن فى ذلك ﴾ الذي ذكـرت ﴿لأيـٰـت ﴾ لعلاماتٍ ﴿ لقومٍ يعقلون﴾ عن الله أمره.

﴿وما ذرأ لكم فى الأرض﴾ قال الفراء: معناه ومما ذرأ أى خلق لكم في الأرض ﴿ مختلفاً ألونه﴾ وهيأته ومنظره[٤] ﴿ إن فى ذلـك ﴾ الذى ذكـرت ﴿ لأية ﴾ دليلاً وعلامةً ﴿ لقوم يذكرون﴾ أي يتعظون ﴿ وهو الذى سخر البحر ﴾ أي ذلل البحر

---

(١) البغوي (٣/٦٣).

(٢) سورة الأنعام .

(٣) في الأصل: [تزرعون] وهو خطأ والصواب ما أثبتناه دلّ عليه السياق وأيضاً تم تصويبه من بعض كتب التفسير، انظر: البغوي (٣/٦٣) ، وابن حبيب (ق:١٤٨/أ).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٨/أ).

﴿ لتأكلوا ﴾ أي ليأكلوا ﴿ منه ﴾ من البحر ﴿ لحماً طرياً﴾ وهو السمك ﴿وتستخرجوا منه ﴾ من البحر﴿حلية ً﴾ يعني اللؤلؤ والمرجان ﴿ تلبسونها﴾ الكناية راجعةٌ إلى الحلية ﴿ وترى الفلك مواخر فيه﴾ يعني السفن والفلك يكون الواحدان والجمع وأراد ها هنا الجمع بدليل أنه قال ﴿ مواخر فيه ﴾ .

قال ابن عباس: مواخر فيه، جواري فيه[1] في البحر وهو جمع الجاري.

قال قتادة ومقاتل: مقبلة ومدبرة بريح واحده[2].

قال الحسن: مواخر يعني مواقير[3] أي ثقالا بالحمول .

قال أبو عبيدة: لا يكون المخر إلا بالصوت[4].

قال مجاهد: لا يكون ذلك إلا لعظام الفلك[5].

قال الفراء: ﴿ مواخر﴾ شواق مخرت السفينة الماء إذا شقته[6].

قال ابن حبيب: وأصل المخر: الدفع والشق[7] ومنه مخر الأرض وفي الحديث (إذا أراد أحدكم البول فليتمضر الريح)[8] يعني لينظر من أين مجراها فيستدبرها حتى يكون مهبها على ظهره فلا يرد عليه البول ﴿ ولتبتغوا﴾ ولكي تطلبوا ﴿ من فضله﴾ يعني الرزق في التجارة ﴿ ولعلكم تشكرون﴾ ولكي تشكروا نعم الله.

﴿ وألقىٰ فى الأرض روٰسى﴾ يعني جبالاً ثوابت ﴿ أن تميد بكم ﴾ يعني لئلا

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٤٨/أ).

(٢) أخرجه الطبري (٦١/١٤)، وانظر: تفسير مقاتل (٤٦١/٢).

(٣) أخرجه الطبري (٦١/١٤).

(٤) البغوي (٦٤/٣).

(٥) أخرجه الطبري (٦١/١٤).

(٦) البغوي (٦٤/٣).

(٧) انظر: تفسيره (ق:١٤٨/أ، ب).

(٨) انظر: غريب الحديث للهروي (١٩٣/٢) مادة: (مخر).

تميد بكم وأصل الميد الميل ومنه سميت المائده لأنها تميد بالأكلين أي تميل بهم .

قال وهب بن منبه: لما خلق الله الخلق جعل الأرض تمور وتضطرب فقالت الملائكة إن هذه غير مقرة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لا يدري كيف أرسيت[1] ﴿ وأنهـٰراً﴾ أي وخلق فيها أنهاراً ويقال والقى فيها أنهاراً ﴿وسبلاً﴾ يعني طرقا مختلفةً ﴿ لعلكم تهتدون﴾ إلى ما تريدون.

﴿ وعلـٰمـٰت ﴾ وخلق علامات وهو وقفٌ تامٌ عند أهل القراءات ثم استأنف فقال ﴿ وبالنجم هم يهتدون﴾ قال ابن عباس: وبالنجم هم يهتدون إلى الطرق[2] .

قال السدّي: وبالنجم يعني القطب والفرقدين وبنات نعش والجدى[3]. ﴿ هم يهتدون﴾ إلى الطرق والقبلة، وقال محمد بن كعب: الجبال علامات النهار والنجم علامات الليل[4] .

وقال قتادة: إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطرق ورجوماً للشياطين فمن قال غير هذا فقد أخطأ رأيه[5].

﴿ أفمن يخلق﴾ يعني هذه الأشياء وهو الله ﴿ كمن لا يخلق﴾ شيئا منها يعني الأصنام نظيره ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾[6] الآيــة.

﴿أفلا تذكرون﴾ أفلا تتعظون فتعتبرون صقه وتعرفون توحيده ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ قد مر ذكرها في سورة إبراهيم ﴿إن الله لغفورٌ رحيمٌ﴾

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٨/ب)، وذكره ابن كثير مثله عن الحسن عن قيس بن عباد (٤/٤٨١).
(٢) أخرجه الطبري (٦٣/١١)، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٨٢).
(٣) البغوي (٦٤/٣).
(٤) البغوي (٦٤/٣).
(٥) أخرجه الطبري (٦٣/١٤).
(٦) سورة لقمان ١١.

حيث وسع عليكم نعمه.

﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ يعني مشركي مكة من عداوة النبي ﷺ وبعث الطوائف إلى عقاب مكة ليصدوا الناس عن رسول الله ﷺ أيام الموسم ﴿والذين يدعون من دون الله ﴾ يعني الأصنام ﴿ لا يخلقون شيئاً﴾ يعني الأصنام ﴿وهم يخلقون ﴾ وهم مخلوقون ﴿ أموٰت غير أحياء ﴾ يعنى الأصنام سماها أمواتا لقلة النفع ﴿ وما يشعرون﴾ يعني الأصنام ﴿ أيان يبعثون ﴾ أي متى يحشرون ومتى يكون البعث ﴿ وما يشعرون ﴾ ما الجحد.

ثم بين توحيده فقال ﴿ إلـٰهكم إلـٰهٌ وٰحدٌ﴾ أي خالقكم واحدٌ ورازقكم واحدٌ ومميتكم ومحييكم واحدٌ.

﴿ فالذين لا يؤمنون بالأخرة﴾ يعني بالبعث بعد الموت ﴿ قلوبهم منكرةٌ﴾ جاحدةٌ ﴿ وهم مستكبرون﴾ متعظمون عن الإيمان بالله وبالرسول ﷺ.

﴿ لا جرم ﴾ حقا ﴿ أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ يعني مشركي مكة من أقوالهم وأفعالهم ﴿ إنه﴾ إن الله ﴿ لا يحب المستكبرين﴾ أي المتعظمين عن الايمان بالله وبالرسول ﷺ.

قوله: ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ يعني مشركى مكة حين سألهم الوفد والحجاج أيام الموسم عن رسول الله ﷺ وعما أنزل عليه ﴿ قالوا أسـٰطير الأولين ﴾ أي أكاذيبهم وكتبهم وقد مر ذكر الأساطير في سورة الأنعام.

﴿ليحملوا﴾ عدة اللام لام العاقبة ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي أثقال أنفسهم ﴿كاملة﴾ وافرةً ﴿ يوم القيـٰمة ﴾ أراد بها وبال الذنوب وعقوبتها ﴿ ومن أوزار الذين يضلونهم﴾ معناه: وليحملوا أيضاً من أثام الذين يضلونهم يعني متبوعيهم ورؤسائهم ﴿ بغير علم﴾.

﴿ ألا سآء ما يزرون﴾ أي بئس ما يأثمون، وقيل قبح ما يحملون وأصل الوزر الثقل ومنه سمي الوزير وزيراً لأنه يوازر الملك أي يعينه.

﴿ قد مكر الذين من قبلهم﴾ فيه إضمارٌ معناه: قد مكر أهل مكة كما مكر الذين من قبلهم. يعني: نمرود حين بنى الصرح ببابل قال وهب وابن عباس: كان طول البناء في السماء خمسة ألاف ذراع[1].

قال كعب ومقاتل: كان طوله في السماء فرسخين[2] . ثم هبت ريح وألقت رأسها في البحر وخر عليهم الباقي من فوقهم. فذلك قوله: ﴿ فأتى الله بنيـٰنهم من القواعد﴾ أي فأتى الله بنيانهم ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم وأتـٰهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ يعني: من حيث لا يشعرون أتى من حيث لم يتوقعوا نظيره: ﴿فأتـٰهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾[3] يعني: بني قريظة والنضير ﴿ ثم يوم القيـٰمة يخزيهم﴾ أى يذلهم.

﴿ ويقول﴾ أي ويقول الله ﴿ أين شركآءِى الذين كنتم تشـٰقون فيهم﴾ أي تخالفون فيهم يعني الأصنام.

وأصل الشقاق: الخلاف ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾ من المؤمنين ﴿ إن الخزى اليوم ﴾ الذل والهوان ﴿ والسوء ﴾ والعذاب ﴿ على الكـٰفرين ﴾ دون المؤمنين.

ثم وصفهم فقال: ﴿ الذين تتوفـٰهم الملـٰئكة ﴾ تقبض أرواحهم الملائكة .

قال مقاتل: يعني ملك الموت وحده[4].

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/٦٧)، والبغوي (٣/٦٦)، وذكره ابن حبيب (ق:١٤٨/أ)، وابن كثير (٤/٤٨٥).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/٦٦)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٢/٤٦٥)، وابن حبيب (ق:١٤٨/ب).

(٣) سورة الحشر ٢.

(٤) انظر: تفسيره (٢/٤٦٦) وفيه قال: ملك الموت وأعوانه.

وقال بعضهم: ملك الموت وأعوانه ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ أي ظالمين على أنفسهم بكفرهم وشركهم ﴿ فألقوا السلم ﴾ أي إنقادوا وإستسلموا عند الموت.

﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ يعني ويقولون لم نكن نشرك فردت عليهم الملائكة فقالت: ﴿ بلىٰ إن الله عليمٌ بما كنتم تعملون﴾ من التكذيب والشرك.

﴿فادخلوا أبوٰب جهنم خـٰلدين فيها﴾ دائمين مقيمين فيها ﴿ فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ أي فلبئس مصير المتعظمين عن الإيمان ويقال لهذه اللام لام الذم.

إلى هنا قصة الكافرين ومن هنا صفة المؤمنين وأصحاب النبي ﷺ.

﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ وذلك أن كل حي من أحياء العرب كانوا يبعثون رجلاً أيام الموسم ليأتيهم بخبر النبي ﷺ ويسأل عنه وينظر ما آل إليه أمره. [فسأل][1] الرجال الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحرٌ وكذابٌ ومجنونٌ ويأمرونه بالإنصراف ويقولون له لو لم تلقه خيرٌ لك من أن تلقاه فيقول الرجل: أنا شر، وافدان رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وألقاه [فدخل][2] مكة فيرى أصحاب رسول الله ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه مبعوثٌ فذلك قوله: ﴿ وقيل للذين اتقوا﴾ يعني الشرك والكبائر والفواحش وهم أصحاب رسول الله ﷺ ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ وفي[3] هاتين الآيتين مسألة: فإن قال قائل: الصورتان واحدة فلم إرتفع جواب المشركين وهو قوله: ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا أسـٰطير الأولين﴾ وإنتصب جواب المؤمنين وهو قوله: ﴿ ماذا أنزل [ربكم][4] قالوا خيراً﴾ فالجواب عن هذا أن المشركين لم يؤمنوا بالتنزيل فلما قيل لهم ماذا أنزل ربكم

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب: [فيسأل] على المضارعة ليستقيم السياق.

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب [فبدخل] على المضارع ليستقيم السياق.

(٣) في الأصل: (وقرأ هاتين الآيتين)، والصواب ما أثبته تم تصويبه من تفسير ابن حبيب (ق:١٤٩/أ).

(٤) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل.

قالوا أساطير الأولين يعنون أن ما يقوله محمد أساطير الأولين .

وإنتصب جواب المؤمنين لأنهم كانوا مقرين بالتنزيل ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴾ جعلوا الجواب في السؤال يعنون أنزل خيراً لأنهم آمنوا بالتنزيل والكافرون لم يؤمنوا بالتنزيل فلهذا نصب هاهنا، واضمر التنزيل، وهناك رفع ولم يضمر التنزيل، وهذا قول المفسرين.

وأما طريق النحويين فإنهم يقولون إنما رفع الأول لأن قوله ماذا أنزل ربكم إستفهام وجواب الإستفهام يكون مرفوعا فلهذا رفع.

وهاهنا ليس بإستفهام فإذا لم يكن إستفهاماً نصب فقال: ﴿ خيراً للذين أحسنوا﴾ إستئناف أي عملوا وأطاعوا ﴿ فى هذه الدنيا حسنةٌ ﴾ أي لهم حسنةٌ في الآخرة نظيره: ﴿ للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة ﴾[1] الآية و ﴿ هل جزاء الإحسـٰن إلا الإحسـٰن﴾[2] الآية ﴿ ولدار الأخرة خيرٌ﴾ يعني الجنة، وهذه اللام لام الابتداء.

﴿ ولنعم دار المتقين﴾ يعني الجنة، وهذه اللام يقال لها لام المدح.

﴿جنـٰت عدن يدخلونها تجرى من تحتها الأنهـٰر لهم فيها ما يشآءون﴾ ويشتهون من جميع الأشياء ﴿ كذٰلك يجزى الله ﴾ أي يثبت الله ﴿المتقين﴾ ﴿الذين تتوفـٰهم الملـٰئكة ﴾ يعني تقبض أرواحهم ﴿ طيبين ﴾ قال مجاهد: يعني زاكية أفعالهم وأقوالهم[3] ﴿ يقولون سلـٰمٌ عليكم ﴾ أي تقول لهم الملائكة سلامٌ عليكم. ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ من الطاعات والحسنات في دار الدنيا، إلى هـهنا صفة المؤمنين ثم صرف الخطاب إلى أهل مكة فقال لهم: ﴿ هل ينظرون ﴾ أي مـا

---

(١) سورة يونس ٢٦.

(٢) سورة الرحمن ٦٠.

(٣) أخرجه البغوي (٣/٦٧). وذكره ابن حبيب (ق:١٤٩/أ).

ينتظر أهــل مكة ﴿ **إلا أن تأتيـهم الملـئكة**﴾ تقبض أرواحهم ﴿ **أو يأتى أمر ربك**﴾ أى عذاب ربك.

قال الله: ﴿ **كـذلك** ﴾ يا محمد ﴿ **فعل الذين من قبلهم** ﴾ يعني الكفار من الأمم السالفة.

﴿ **وما ظلمهم الله** ﴾ بتعذيبه إياهم ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ بشركهم ﴿ **فأصابهم سيئات ما عملوا**﴾ يعني وبال سيئات ما عملوا وعقوبة سيئات ما عملوا.

﴿ **وحاق بهم**﴾ أي وأحاط بهم ونزل عليهم ﴿ **ما كانوا به يستهزءون**﴾ يعني جزاء إستهزائهم بالرسل والأنبياء ﴿ **وقال الذين أشركوا**﴾ يعني مشركي مكة. ﴿ **لو شآء الله ما عـبدنا من دونه من شيءٍ نحن ولآ ءاباؤنا**﴾ ولم يعبد أباؤنا الـذين إقتدينا بهم.

﴿ **ولا حـرمنا من دونه مـن شيء**﴾ يعني الحرث والأنعام والبحـاير والسيب والوصايل والحام فرد الله عليهم فقال: ﴿ **كـذلك فعل الذين من قبلهم** ﴾ يعني فكما كذبتم كذلك كذبت الأمم قبلكم.

﴿ **فـهـل على الرسل إلا البلـٰغ المبين** ﴾ أي مـا على الرسل إلا تبليغـهم إنا لم نحرم هذه الأشياء.

قوله: ﴿ **ولقـد بعثنـا فى كل أمة رسـولاً** ﴾ فيه إضـمار يعني وقلنا له أن يقـول لقومه ﴿ **اعبدوا الله** ﴾ قال الفراء: فـإن شئت قلت ﴿**ولقد بعثنـا فى كل أمةٍ رسولا أن اعبـدوا الله واجتنبـوا الطـٰغوت** ﴾ وبأن اجتـنبوا عبـادة الأصنام[1] ، والطاغـوت جمع الشيطان والكاهن والصنم.

﴿ **فـمـنهم من هـدى الله**﴾ إلى دينـه فـاهتـدوا ﴿**ومنهم مـن حـقت عليـه**

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٤٩/ب).

﴿الـضلـٰـلة﴾ أي وجب عليه الكفر حتى يموت على كفره.

﴿ فـسيـروا فى الأرض﴾ سـافـروا في الأرض ﴿ فـانظروا كيف كـان عـٰقبـة المكذبين﴾ يعني خراب منازلهم وديارهم.

﴿ إن تحرص﴾ يا محمد ﴿ على هدٰهم فـإن الله لا يهـدى من يضل ﴾ معناه: فإن الله لا يرشد من يضل من حـكم عليه بالضلالة ﴿ وما لهم من نـٰصرين﴾ يعني: مانعين يمنعونهم من عذاب الله.

﴿ وأقسموا بالله جهد أيمـٰنهم﴾ أى حلفوا بالله ﴿لا يبعث الله مـن يموت﴾ و ﴿لا﴾ جواب الـقسم لأن القـسم واقـعٌ عليه فـرد الله عليهم فـقـــال : ﴿ بلىٰ وعداً عليه ﴾ .

﴿ بلىٰ ﴾ البعث حـقًا صـدقًا كائنًا يـبعث الناس من قبـورهم للثواب والعـقاب وروى في الخبر أن اللـه يقول مـا أنصـفني ابن آدم يكذبني حينا ويسبني حـينا فأمـا تكذيبه إياي فحلفه بي أني لا أبعث الخلق وأما سبه إياى فقوله بأن لي ولداً[1].

﴿ ولـكن أكـثـر الناس لا يعلمـون﴾ ولكن أكـثـر أهل مكـة لا يعلمـون شـأن البعث. إنما بعث الله لهم ﴿ ليبين لهم﴾ لكي يبين الله لهم ﴿ الذى يختلفون فيه﴾ من شأن البعث[2]. نظيـره: ﴿ عم يتـساءلون﴾[3] الآيـة. [و][4] قـوله: ﴿ إنكم لفـى قـول مختلف﴾[5] ﴿ وليعلم ﴾ ولكـي يعـلم ﴿ الذين كـفـروا أنهم كـانوا كـٰـذبين﴾ في

---

(١) رواه البخاري (٧٣/٤ - كتاب بدء الخلق) من حديث أبي هريرة بلفظ: «يقول الله شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني وما ينبغى له، أما شتمه فقوله إن لي ولداً، وأما تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بدأني».

(٢) قال ابن كثير (٤٩٠/٤) أي من كل شيء.

(٣) سورة النبأ تكملة الايه: ﴿عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون ﴾.

(٤) الواو ساقطه من الأصل ، والسياق يقتضى اثباتها.

(٥) سورة الذاريات آية ٨.

مقالتهم أن الله لا يبعث الخلق.

قال الله: ﴿ **إنما قولنا لشيء إذآ أردنـٰه** ﴾ يعني أردنا كونه ﴿ **أن نقول له كن فيكون** ﴾ فكان في الوقت، قرئ ﴿ **فيكون** ﴾ بالرفع والنصب[1] فالرفع بمعنى: فهو يكون، وبالنصب هو معطوفٌ على ﴿ **أن يقول كن فيكون** ﴾[2] وقيل: جواب الأمر، وهو ضعيفٌ.

قوله: ﴿ **والذين هاجروا فى الله** ﴾ هذه الآية نزلت بالمدينة إلى قوله: ﴿ **وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ وسائر السورة مكية وقال بعضهم : من أول السورة إلى هاهنا نزلت بمكة والذين هاجروا إلى آخر السورة نزلت بالمدينة[3].

﴿ **والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا** ﴾ نزلت في ستة نفر، يعني بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق وصهيب بن سنان مولى عبدالله بن جدعان وخباب بن الأرت مولى بني انمار وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة وعابس وجبر أخذهم المشركون فعذبوهم[4]. فأنزل الله ﴿ **والذين هاجروا** ﴾ يعني من مكة إلى المدينة ﴿ **فى الله** ﴾ يعنون في سبيل الله ولأجل الله ﴿ **من بعد ما ظلموا** ﴾ من بعد ما عذبهم كفار مكة ﴿ **لنبوئنهم** ﴾ يعني لننزلنهم ﴿ **فى الدنيا** ﴾ في المدينة ﴿ **حسنةً** ﴾ منزلةً حسنةً .

وقال بعض أهل المعاني: لنبوئنهم مجازه ولنحسنن إليهم في الدنيا حسنة ﴿ **ولأجر الأخرة** ﴾ يعني الجنة ﴿ **أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾ ﴿ **الذين صبروا** ﴾ على أذى الكفار وعلى أداء أمر الله ﴿ **وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ يتقون به إلى هاهنا نزلت

---

(١) قرأ بفتح النون ابن عامر والكسائي، ورفع الباقون. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٣٢٠، ٣٢١).

(٢) كذا في الأصل، وصواب الآية: ﴿ **أن نقول له كن فيكون** ﴾.

(٣) انظر: الاتقان (١/٢٠).

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٤).

فيهم.

قوله: ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم﴾ نزلت في أبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وعبدالله بن أبي أمية المخزومي وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ هلا بعث الله إلينا ملكا فيصدقك بما تقول يا محمد[1]. فأنزل الله ﴿ وما أنزلنا من قبلك ﴾ فيه إضمارٌ معناه ﴿ وما أرسلنا من قبلك ﴾ يا محمد [رسولا][2] ﴿ إلا رجالا نوحى إليهم فسئلوا أهل الذكر ﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه يخبرونكم إنا لم نبعث ملكا رسولاً إلى أمةٍ من الأمم ﴿ إن كنتم لا تعلمون﴾ ذلك ﴿بالبينـٰت والزبر﴾ . قال الحسين بن الفضل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ ومجازه وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم بالبينات والزبر[3] يعني بالحجج والكتب، ثم قال: ﴿ فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ قال الله ﴿ وأنزلنآ إليك ﴾ يا محمد ﴿ الذكر ﴾ يعني القرآن ﴿ لتبين للناس﴾ لكي تبين للناس ﴿ ما نزل إليهم ﴾ من الحلال والحرام والوعد والوعيد.

وقيل: ﴿ ما نُزِّل إليهم﴾ ما أمرتهم ﴿ ولعلهم يتفكرون﴾ لكي يتفكرون في ذلك فيعتبروا.

قوله: ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ أي أفأمن الذين إجترحوا الكفر والشرك ﴿ أن يخسف الله بهم الأرض﴾ كما خسف بقارون ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ لا يعلمون بإتيانه ﴿ أو يأخذهم فى تقلبهم﴾ قال ابن عباس: في

---

(١) انظر: الطبري (١٤/٧٤)، والبغوي (٣/٧٠)، واسباب النزول للواحدي (ص:٢٨٤، ٢٨٥).

(٢) كذا في الأصل ، وورد في تفسير ابن حبيب رسلاً، وهو المناسب ليطابق الوصف (ق:١٤٩/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٤٩/١٥٠/أ).

أسفارهـــم ورحلتهم[1] قال مقاتل: في ليلهم ونهارهم[2] ، وقيـل: في مجيئهم وذهابهم ﴿ **فما هم بمعجزين**﴾ يعني بفايتين من العذاب.

﴿ **أو يأخذهم على تخوف** ﴾ قـال ابن عبـاس: وهو أن يأخـذ قريةً بالعـذاب فيخيف بها أهل قرية أخرى [3].

قال الضحاك[4] ومقاتل[5] وقتادة[6] ﴿ **على تخوف** ﴾: أي على تنقص واحداً بعد واحد.

قال سعيد بن المسيب: بينما عمر بن الخطاب على المنبر فقال: يا أيهـا الناس ما تقولون في قول الله ﴿**أو يأخذهم على تخوف**﴾. فسكت الناس فقـام شيخ فقال: يا أمير المؤمنين هذه لغتنا بنـي هذيل، التخوف التنـقص. قال عمـر: فهل تعـرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم هذا شاعرنا أبو كبير الهذلي يقول :

تخوف الرجل منها تامكاً [صلباً][7]   كما تخوف عـود النبعة السفن

فـقـال عمـر بن الخطاب: يا أيهـا الناس عـليكم بديوانكم لا تضلوا قـالـوا: ومـا ديواننا قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[8].

---

(١) أخرجه الطبري (٧٧/١٤).

(٢) انظر: تفسيره (٤٧١/٢).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٠/أ). وأخرج ابن جرير عنه أنه فسرها بالتنقص والتفزيع (٧٨/١٤).

(٤) ذكره الماوردي (١٩٠/٣).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٠/أ).

(٦) انظر المصدر السابق.

(٧) كذا في الأصل، وفي الموافقات للشاطبي (٨٨/٢) [قَرِدًا] وأيضاً في تفسير القرطبي (١١٠/١٠)، والتامك: السنام. والقرد الذي تجعد شعره فكان كـأنه وقاية للسنام. والنبع: شجر للقسيّ والسهام. والسفن: كل ما ينحت به غيره.

(٨) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٥٠/أ). وانظر: الموافقات للشـاطبي (٨٧/٢، ٨٨)، والقرطبي في تفسيره (١١٠/١٠).

﴿فإن ربكم لرءوفٌ رحيمٌ﴾ بخلقه حين لم يعجل بالعقوبة.

قوله: ﴿ أولم يروا﴾ يعني: أهل مكة ﴿ إلىٰ ما خلق الله من شيء﴾ يعني: جميع الأشياء والأشباح والشخوص ﴿ يتفيؤا ظلله ﴾ الآية.

قال ابن عباس: عن اليمين بالغدوات وعن الشمال بالعشيات وذلك أن الشمس تقع بالغدوات عن يمينك وبين يديك نحو المغرب إذا إستقبلتنا وإذا زالت عادت الشمس إلى شمالك نحو المشرق فيرجع الفئ من جانب إلى جانب. فدورتها من جانب إلى جانب هو سجودها[1] فذلك قوله: ﴿ يتفيؤا ظلله عن اليمين والشمآئل سجداً لله ﴾ أي ساجدين يعني الظلال وهو جمع ساجد.

﴿ وهم دٰخرون ﴾ صاغرون متواضعون منقادون أذلاء وفيه مسألة في الأصول [سئل][2] عنها: وذلك توحيد اليمين وجمع الشمائل فالجواب عنها أن من شأن العرب إذا إجتمعت علامتان في شيء واحدٍ أن تبقى واحدةً وتُلقي أخرى وتكتفي بالمبقاة من الملقاة بيانه قوله تعالى: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾[3] فجمع القلوب ووحد السمع وقوله: ﴿ يخرجهم من الظلمٰت إلى النو ر﴾[4] ولم يقل إلى الأنوار وقوله: ﴿ غير المغضوب عليهم﴾[5] ولم يقل المغضوبين والعلة فيه أن الجمع في الشمائل والقلوب والهاء والميم في ﴿ عليهم ﴾ دالةٌ على أنه يريد بالسمع الإسماع وبالنور الأنوار وبالمغضوب المغضوبين وباليمين الإيمان.

قوله: ﴿ ولله يسجد ما في السمٰوٰت وما في الأرض من دآبة﴾ يعني يستسلم

(١) أخرجه الطبري (١٤/٧٨، ٧٩).

(٢) كذا في الأصل، وفي تفسير ابن حبيب (ق: ١٥٠/أ)، [يسأل عنها].

(٣) سورة البقرة ٧.

(٤) سورة البقرة ٢٥٧.

(٥) سورة الفاتحة ٧.

وينقـاد ﴿ **من دابـة** ﴾ كل مـا يدب على وجـه الأرض ﴿ **والملـئكـة وهم لا يستكبرون** ﴾ يعني: لا يتعـظون عن عبـادته نـظيـره: ﴿ **إن الـذيـن عـنـد ربـك لا يستكبرون عن عبادته** ﴾[1] يعني الملائكة. وقـوله: ﴿ **لن يسـتنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملـئكة المقربون** ﴾[2].

﴿ **يخافون ربهـم من فوقهم** ﴾ يعني الملائكة من فـوقـهم يعني يخافـون عذاب ربهم من فوقهم يعني : من السماء لأن أكثر العذاب يكون من السماء ﴿ **ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ يعني الملائكة[3].

قوله: ﴿ **وقال الله لا تتـخذوا إلـهين اثنين** ﴾ إنما ذكر إثنين للتـأكيد ﴿ **إنما هو إلـهٌ وحدٌ فإيـى فارهبون** ﴾ أي فخافون ﴿ **وله ما فى الـسمـوت والأرض** ﴾ عبيده وإماؤه وملكه ﴿ **وله الدين واصباً** ﴾ قال ابن عباس: دائما[4] ، قال الضحاك: خالصا. قال عكرمة : واجباً.

﴿ **أفغير الله تتقون** ﴾ وعيد في ضـمنه نهى أي لا تتقوا سواه ثم ذكـر أن جميع النعم من الله.

---

(١) سورة الاعراف آية ٢٠٦.

(٢) سورة النساء آية ١٧٢.

(٣) هذا تأويل باطل؛ لأنه جعل الفوق راجعاً إلى العذاب والصواب أنه راجع إلى الله تعالى وهو دليل على علوه سبحانه وتعالى فهو فوق الملائكة وسائر المخلوقات وقوله من السماء لأن اكثر العذاب يكون من السماء ، ليس صحيحاً فأن عذاب الله يكون من السماء ومن الأرض ومن كل جهة وإنما قال ذلك ليتفق مع عقيدة التعطيل وهو ظاهر البطلان والله المستعان.

(٤) هكذا ذكره ابن حبيب في تفسيره كما أخذ عنه المؤلف رحمه الله (ق:١٥٠/ب) وأخرجه الطبري في تفسيره (٨١/١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي رواية عن ابن عـباس عـند الطبري أيضـاً أنه فسرّ الواصب بالواحـد، وأن الضحـاك وعكرمه فسراه بالدائم، انظر: تفسير الطبري (٨١/١٤).

فقال: ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله﴾ يعني: الذى بكم من النعم فمن الله لا من عند سواه يعني هو المنعم بها عليكم ﴿ ثم إذا مسكم الضر﴾ إذا أصابكم الشدة في البر والبحر ﴿ فإليه تجئرون﴾ يعني: تضجون وتصيحون وتلجأون وأصل الجوار صوت البقر وقرأ علي بن أبي طالب ﴿ فأخرج لهم عجلاً جسداً له جوارٌ﴾[1] بالجيم يعني الجوار والصوت والفعل منه جأر يجأر جؤاراً.

﴿ ثم إذا كشف الضر﴾ الشدة ﴿ عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ أى يشركون بربهم ﴿ ليكفروا بمآ ءاتينـٰهم﴾ أعطيناهم يعنى كفر النعم، ﴿ فتمتعوا﴾ فعيشوا ﴿ فسوف تعلمون﴾ وبال صنيعكم في الدنيا نسختها آية القتال[2].

﴿ ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقنـٰهم﴾ من الحرث والأنعام وقد مرت قصته في سورة الأنعام عند قوله: ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعـٰم نصيباً...﴾ الآية[3].

ثم خاطب بعد الخبر يقال هذا تلوين الخطاب لأنه أخبر في الأول ثم خاطبَ وتلوين الخطاب أن يخبر في الأول ثم يخاطب في الآخر أو يخاطب في الأول ثم يخبرفي الآخر فقال ﴿ تالله ﴾ يعني والله ﴿ لتسئلن﴾ هذه اللام جواب القسم ﴿عما كنتم تفترون﴾ تكذبون وتختلفون ﴿ ويجعلون لله البنـٰت﴾ أي ويصفون الله بالبنات ثم نزه نفسه فقال ﴿ سبحـٰنه﴾ عما يقولون ﴿ ولهم ما يشتهون ﴾ يعني البنين نظيره: ﴿ أم له البنـٰت ولكم البنون﴾[4] ، وقوله : ﴿ اصطفى البنـٰت على البنين﴾[5].

---

(١) سورة طه اية ٨٨، وسيأتي بيان هذه القراءة في موضعها من سورة طه إن شاء الله.

(٢) الآية محكمة وليست منسوخة، ولا دليل على النسخ.

(٣) سورة الانعام آية ١٣٦.

(٤) سورة الطور آية ٣٩.

(٥) سورة الصافات آية ١٥٣.

قال ابن عباس: كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله وكانوا يعبدون الملائكة[1].

قوله: ﴿ وإذا بشر أحدهم﴾ وإذا أخبر أحدهم﴿ بالأنثىٰ ﴾ بالولد الأنثى ﴿ظل وجهه مسودًا ﴾ أي صار وجهه أسود ﴿ وهو كظيمٌ ﴾ أي محزونٌ مغمومٌ وقد فسرنا الكظيم في سورة يوسف.

﴿ يتوٰرىٰ من القوم من سوء ما بشر به ﴾ من قبح ما أخبر به من ولد الأنثى.

قال ابن عباس: كانت مضر[2] وخزاعة[3] وتميم[4] يئدون البنات[5] يعني يدفنونها أحياء ومنه الحديث: أن رسول الله ﷺ نهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ونهى عن عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات[6].

قال الله ﴿ وإذا الموءدة سئلت بأى ذنب قتلت﴾[7] إختلفوا فيه فقال قوم: تسأل [من][8] البنت وقال آخرون : يسأل القاتل[9] وكانوا يقولون إنما نفعل ذلك خوفا على

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٥٠/ب)، والبغوي (٧٣/٣) دون عزو.

(٢) مضر: قبيلة كبيرة من العدنانيين، كانت لهم رئاسة مكة. انظر: معجم قبائل العرب (١١٠٧/٣).

(٣) خزاعة: هي قبيلة كبيرة من الأزد من القحطانية، وهم بنو عمرو بن ربيعة ، مساكنهم بانحاء مكة يقال كان ولاية الكعبة قبل قريش بايديهم.
انظر: معجم قبائل العرب (٣٣٨/١ - ٣٤٠).

(٤) تميم: قبيلة كبيرة عدنانية تنتسب إلى تميم بن مرّ بن أدّ بن طانحة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان منازلهم بأرض نجد قديماً وحديثاً.
انظر: معجم قبائل العرب (١٢٦/١).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق: ١٥٠/ب)، والبغوي (٧٣/٣) دون عزو.

(٦) صحيح البخاري (١٤٣/٨) كتاب الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال.

(٧) سورة التكوير آية ٨، ٩.

(٨) كذا في الأصل، والصواب حذف [من] ليستقيم المعنى.

(٩) ذكره ابن حبيب (ق: ١٥٠/ب).

البنت أن تفتقر فيطمع فيها لفقرها أي لا يرغب في نكاحها بل يطمع في سفاحها.

﴿ **أيمسكه على هون** ﴾ أيتركه حيا على الهوان الألف ألف التوبيخ وكان حقه أن يقال أيمسكها لأنه راجعٌ إلى الأنثى ولكن الكناية رد إلى قوله ﴿ **من سوء ما بشر به**﴾ رد إلى ﴿ **ما** ﴾ قال أبو عبيدة: الهون لضم الهاء الهوان والهون بفتح الهاء الرفق[1] كما قال تعالى: ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً** ﴾[2] الآية. يعني رفقا ﴿ **أم يدسه فى التراب** ﴾ أي يدفنه تحت التراب وكانوا في الوأد مختلفين فمنهم من كان يتقدم إلى القابلة حتى تقتل الولد قبل أن يخرجها ، ومنهم من كان يغمز خلقها فتموت، ومنهم من يضع وسادةً على وجهها فيقعد عليها، ومنهم من كان يسقطها في بئر ثم يصب فوقها الرمل.

قال الله: ﴿ **ألا سآء ما يحكمون** ﴾ أي بئس حكمهم في البنات ليّ البنات ولهم البنون نظيره: ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمةٌ ضيزى**﴾[3] جائرةٌ ﴿**للذين لا يؤمنون بالأخرة** ﴾ بالبعث بعد الموت الذى فيه جزاءُ الأعمال ﴿ **مثل السوء**﴾. قال ابن عباس: ﴿ **ولله المثل الأعلى**﴾ يعني[4] الإخلاص ﴿ **وهو العزيز**﴾ لا يوجد مثله ﴿ **الحكيم**﴾ حكم عليهم بالنار.

قوله: ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم**﴾ بشركهم وكفرهم ﴿ **ما ترك عليها من دآبة**﴾ يعني على الأرض وهو من جملة الكناية عن غير مذكور لأن ذكر الأرض

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٥١/أ).

(٢) سورة الفرقان آية ٦٣.

(٣) سورة النجم (٢١، ٢٢).

(٤) عند ابن حبيب (ق:١٥١/أ)، والبغوي (٧٣/٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ النار والمثل الأعلى، شهادة أنه لا إله إلا الله.

ليس بمذكورٍ في الآية ﴿ **ولكن يؤخرهم**﴾ يؤجلهم ويمهلهم ﴿ **إلى أجل مسمىً**﴾ يعني إلى منتهى أجالهم نظيره ﴿ **إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً**﴾[1] ﴿ **وإنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصر**﴾[2] ﴿ **فإذا جآء أجلهم**﴾ أى وقت أجالهم ﴿ **لا يستئخرون** ﴾ عن أجلهم ﴿ **ساعة ولا يستقدمون**﴾ أجلهم.

﴿ **ويجعلون لله** ﴾ أي ويسمون ويصفون لله ﴿ **ما يكرهون** ﴾ وفيه إضمارٌ ومجازه ﴿ **ويجعلون لله ما يكرهون**﴾ ولأنفسهم ما يشتهون ﴿ **ما يكرهون** ﴾ يعني البنات ولأنفسهم ما يشتهون يعني البنين نظيره ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثى**﴾[3] ﴿**وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى**﴾ يعني البنين بزعمهم ولي البنات وقرأ ابن عباسٍ والحسن البصري ﴿ **وتصف ألسنتهم الكذب**﴾ بضم الكاف والذال والباء[4] جعلاها من نعت الألسنة والكذب جمع الكذوب، كقوله صبور وصبر وشكور وشكر، قال يمان بن رياب: ﴿ **وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى**﴾ في الميعاد إن كان البعث صحيحاً[5] نظيره قول العاص بن وائل السهمي[6] كما قال الله: ﴿**أفرءيت الذى كفر بئايتنا وقال لأوتين مالا وولداً**﴾[7].

قال ابن حبيب: رأيت فى بعض التفاسير ﴿ **وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى**﴾ الجنة كأنهم قالوا للمؤمنين إن كانت لكم الجنة فلنا كما لكم في الجنة ثوابٌ ونعيمٌ فكذبهم الله فقال ليس كما قالوا[8] ﴿ **لا جرم**﴾ حقاً.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٨.

(٢) سورة إبراهيم آية ٤٢.

(٣) سورة النجم آية ٢١.

(٤) قراءة شاذة . انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٧٣).

(٥) البغوي (٧٤/٣)، وابن حبيب (ق:١٥١/أ).

(٦) سورة مريم ٧٧.

(٧) أخرجه البغوي (٢٠٧/٣، ٢٠٨) عن خباب بن الأرت، وذكره ابن حبيب (ق:١٥١/ب).

(٨) انظر: تفسيره (ق:١٥١/ب).

وقال عكرمة: بلى[1] ﴿ **أن لهم النار**﴾ وليس لـهم ما إدعوا ﴿ **وأنهم مفرطون**﴾ .

قال مقاتل: متركون[2] فى النار.

قال ابن عباس: منسيون[3] فى النار.

قال سعيد بن جبير: مبعدون[4].

قال قتادة: معجلون[5] إلى النار.

قال الفراء: مقدمون إلى النار[6].

وقرأ نافع مفرطون بكسر الراء ومعناه مسرفون فى النار وقرأ أبو جعفر مفرطون بتشديد الراء وكسرها معناه مضيعون فى الدنيا[7].

﴿ **تالله** ﴾ يعني والله ﴿ **لقد أرسلنا إلـى أمم من قبلك** ﴾ فيه إضمارٌ معناه لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً كما أرسلناك إلى هذه الأمة ﴿ **فزين لهم** ﴾ فحسن لهم يعنى للأمم ﴿ **الشيطـن أعمـلهم** ﴾ كفرهم وشركهم فى الدنيا.

﴿ **فهو وليهم اليوم**﴾ يعنى أنهم يتولونه وأنه[8] يتولاهم نظيره ﴿ **كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير**﴾[9] ﴿ **ولهم عـذابٌ أليمٌ** ﴾ أى

(١) عند البغوي (٣/٧٤) قال ابن عباس بلى. ولعل ذلك من رواية عكرمه عنه إذ لم أجد هذا القول موقوفاً على عكرمة. وخرج الطبري مثله ايضاً عن ابن عباس رضي الله عنه (١٤/٨٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٤٧٥).

(٣) أخرجه البغوي (٣/٧٤)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٥١/ب).

(٤) أخرجه البغوي (٣/٧٤).

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) انظر المصدر السابق.

(٧) انظر: القراءتين في التذكرة لابن غلبون (٢/٤٩٢).

(٨) في الأصل: [لا يتوالاهم] وهو خطأ والصواب ما أثبتناه. من تفسير ابن حبيب (ق: ١٥١/ب).

(٩) سورة الحج آية ٤.

مُوجعٌ يخلص وجعه إلى قلوبهم.

قوله: ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتـب**﴾ يعني القرآن ﴿ **إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه**﴾ . قال بعضهم: الذى إختلفوا فيه من شأن البعث[1] نظيره: ﴿ **عم يتسآءلون عن النبإِ العظيم الذى هم فيـه مختلفون**﴾[2] وقوله:﴿ **وإنكم لفى قول مـختلف**﴾[3] قال مقاتل بن حيان: ﴿ **لتبين لهم الـذى اختلفوا فيه**﴾ من الحلال والحرام[4] ﴿ **وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون**﴾ معناه ومـا أنزلنا عليك القرآن إلا هدى ورحمـة لقوم يؤمنون يصدقون بالله ورسوله.

قولـه: ﴿ **والله أنزل من السـمآء مآءً** ﴾ يعني المطر ﴿ **فأحـيا به الأرض بعـد موتها** ﴾ بعد يـبسها وجـدبها ﴿ **إن فـى ذلـك** ﴾ الذي ذكـرت ﴿ **لأيـةً** ﴾ لعلامةً ودلالـةً ﴿**لقوم يسمعون** ﴾ سمع القلب لا سمع الآذان ﴿ **وإن لكم فى الأنـعـٰم** ﴾ في الإبـل والغنم والبقـر والمعز ﴿ **لعبرةً نسقيكم** ﴾ . قرأ شيبـة وحميدٌ ونافـع وأبـو بكـر عن عاصم نسـقيكم بفتح النون والبـاقون بضـم النون[5] وقد ذكـرنا الفرق بين السـقى والإسقـاء في سورة الحـجر ﴿ **مما فى بـطونه** ﴾ وكـان حقـه أن يقـول مما في بطونهـا لأن الهـاء راجعٌ إلى الأنعـام واخـتلفـوا فيـه قـال الأخفش: الـنعم والأنعـام يـؤنثـان ويذكـران لأنه لا واحـد للنعم من[6] لفظه قـال الفـراء: النعم والأنعـام واحـد

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٥١/ب) ولم يبين اصحاب هذا القول. واكتفى بقوله: قالوا من شأن البعث.

(٢) سورة النبأ (١، ٢).

(٣) سورة الذاريات ٨.

(٤) تفسير ابن حبيب (ق:١٥١/ب).

(٥) القراءتان سبعيتان، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٩٢).

(٦) البغوي (٣/٧٥).

والنعـم يذكر والأنعـام يؤنث فقوله: ﴿ في بطونه ﴾ ردٌّ إلى النعم دون الأنعام، وليس في لفظ النعم من عـلامات التأنيث شيء، قـال الكسائي: ﴿ مما في بـطونه﴾ أراد في بطون ما ذكرنا فـالهاء راجع إلى ﴿ ما ﴾[1] وقال المؤرج: الكناية مـردودة إلى البعض والجزء، كأنه يقول نسقيكم مما في بطون بعضها إذ ليس كل الأنعام تنتج وتلد ويكون لها[2] لبن وهذا قول حسن.

﴿ من بين فرث ودم لبناً خـالصاً سائغاً للشـٰربين﴾ ومعنى السائغ الجائز الذي يجوز في الحلق ولا يقـص به الحلق بيانه ﴿ يتجرعه ولا يكـاد يسيغه﴾[3] الآية ويكاد صلة أي لا يجيزه ﴿ من بين فـرث ودم ﴾. قـال ابن عبـاس: إذا أكلت الدابة العلف فاستقر فى كرشها صار أعلاه دما وأوسطه لبنا وأسفله فرثا[4].

قال ابن حبيب: والكبد مسلطة على هذه القسم فيجرى الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش كما هو[5].

وسئل شفيق البلخي عن الإخلاص فقال: تمييـز العمل من العيوب كتمـييز اللبن من بين فرث ودم[6] قال الله: ﴿ من بين فرث﴾ الآية .

﴿ ومن ثمرٰت النخيل والأعنـٰب تتـخـذون منه ﴾ الآية الكنايـة راجـعـةٌ إلى ﴿مـن ﴾ لأنه حـرفٌ من حروف التبعيض ﴿ سكـراً﴾ قـال ابن عبـاس: خـمـراً

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٠٨، ١٠٩).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥١/ب)، والبغوي (٣/٧٥).
(٣) سورة إبراهيم آية ١٧.
(٤) أخرجه البغوي (٣/٧٥)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥١/ب).
(٥) انظر: تفسيره (ق:١٥١/ب).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق١٥١/ب).

﴿ورزقاً حسناً﴾ الزبيب والرب والخـل وما أشبـه[1] ذلك.

قال الضـحاك: ﴿ تتـخـذون منه سكراً﴾ يعني حـرامـاً ﴿ ورزقاً حسناً ﴾ أي حلالا[2].

وروي عن الشعبي: أنه قال: ﴿ سكراً ﴾ يعني ما لم يطب منه ﴿ ورزقاً حسناً﴾ يعني ما طاب منه[3].

قال أبو عـبيدة: السكر الخـمر[4]. وروي عن النبي ﷺ أنه قـال: حُرمت الخـمر لعينها والمسكر من كل شراب[5] يعني المسكر وهو الخمر.

وقال ﷺ : الخمر مـا اتخذ من العنب والسكر من التمر والبـتع من العسل والمزر من الذره والغبيزا من الحنطه وأنا أنهاكم عن كل مسكر[6].

قال ابن حبيب: ورأيت بعضهم أنه احتج في تحليل النبيذ وأنه كان يسكر بقوله: ﴿ تتخـذون منه سكراً ﴾ ولا مـتعلـق له به لأن هذا خطاب وإخـبار عن فـعل كـانوا يتعاطونه فأي رخصةٍ في هذا اللفظ[7].

قال مقاتل بن سليمان: هذه الآية منسوخة بآية تحريم الخمر[8] وهي: ﴿ يسئلونك

---

(١) أخرجه الطبري (١٤/٩٠)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/أ)، وابن كثير (٤/٥٠٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٤/٩١)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/أ)، وأخرج الطبري مثله عنه (١٤/٩١).

(٤) كذا ذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/أ) وتابعه الحيري، وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٣٦٣) فسّر السكر بالطعم، وذكره البغوي في تفسيره (٣/٧٥).

(٥) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (١٠/٢١٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/أ).

(٧) انظر: تفسيره (ق:١٥٢/أ).

(٨) انظر: تفسيره (٢/٤٧٦).

عن الخمر والميسر ﴾[1] الآية لأن هذه الآية نزلت بمكة قبل تحريم الخمر لأن السورة مكيةٌ وكان الخمر حلالاً في ذلك الوقت وتحريم الخمر نزلت بالمدينة[2] فلما نزلت تحريم الخمر بالمدينة صارت تلك الآية منسوخة بتحريم الخمر وقال بعضهم لفظه خبر ومعناه إستفهام ومجازه أتتخذون منه سكراً ورزقتكم منه رزقا حسناً ونظيره: ﴿ أفإين مت فهم الخلدون ﴾[3] أي أفهم الخالدون وقوله: ﴿عن النبأ العظيم ﴾ أي: أعن النبأ العظيم[4]؟.

﴿إن فى ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ لأيةً﴾ لعلامةً ودلالةً ﴿ لقوم يعقلون ﴾ عن الله أمره .

قوله: ﴿ وأوحى ربك ﴾ أي ألهمها ﴿ إلى النحل أن اتخذى ﴾ أي بأن اتخذي ﴿ من الجبال ﴾ في الجبال ﴿ بيوتاً ومن الشجر﴾ معناه بأن اتخذي في الشجر بيوتاً ﴿ ومما يعرشون﴾ وفيما ينون بيوتا ﴿ ثم كلى من كل الثمرت﴾ الكل هاهنا بعض لأنها لا تأكل من كل الثمرات. نظيره: ﴿ وأوتيت من كل شىء﴾[5] ﴿ وتدمر كل شيء﴾[6] الآيه ﴿ فاسلكى﴾ يعني فادخلي ﴿ سبل ربك﴾ أي طرق ربك ﴿ ذللا﴾ أي مذللاً مسخراً وقال بعضهم ذللا راجعةٌ إلى النحل منقادة لله مطيعة له[7] وقال

---

(١) سورة البقرة ٢١٩.

(٢) يشير إلى آية المائدة (٩٠) ونصها: ﴿ يآ أيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلـم رجس من عمل الشيطـن فاجتنبوه﴾ الآيه.

(٣) سورة الأنبياء ٣٤.

(٤) سورة النبأ ٢.

(٥) سورة النمل ٢٣.

(٦) سورة الاحقاف ٢٥.

(٧) قال به قتادة وعبدالرحمن بن زيد. انظر: تفسير ابن كثير (٤/٥٠٠).

بعضهم : ذللاً راجعٌ إلى الثمر والشجر والزهر أي مذللاً لكي الشجر والثمر والزهر[1].

﴿ يخرج من بطونها شرابٌ ﴾ يعني العسل ﴿ مختلف ألوٰنهُ﴾ من أصفر وأحمر وأبيض ﴿ فيه﴾ في العسل ﴿ شفآءٌ للناس﴾ ووضع كثيرٌ من الناس هذا على العموم تصديقا لقوله تعالى: ﴿ فيه شفآءٌ للناس﴾ ووضعها بعضهم على بعض على الخصوص في علةٍ دون علةٍ فأما من وضعها على العموم فقالوا جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنه فقال النبي ﷺ اسقه شربة عسل فسقاه فزادت علته فأتى النبي ﷺ فقال زادت علته ولم تنفعه تلك الشربة شيئا فقال رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه[2] شربةً أخرى قال فسقاه شربةً أخرى فقام الرجل كأنما أنشط من عقالٍ.

وقال الحارث الأعور[3] جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فشكا إليه سوء حفظه فقال أترجع إلى أهلٍ قال: نعم. فقال: فقل لها تعطك من مهرها درهمين عن طيب نفس فإشتر بهما لبناً وعسلاً وشربة من ماء المطر فاشربهما على الريق ترزق حفظا[4].
وسئل الحسين بن الفضل عن هذا الخبر فقال: أخذها عليّ من قول الله ﴿ ونزلنا من السمآء مآءً مبٰركاً[5]﴾[6]

---

(١) ذكره البغوي (٣/٧٦).

(٢) البخاري كتاب الطب باب داوء المطبوب (١٨/٧)، ومسلم كتاب السلام باب التداوي بسقي العسل (٢٦/٧).

(٣) الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني الحوتي الكوفي أبو زهير صاحب على كذّبه الشعبي في رأيه، ورمي بالرفض، وفي حديثه ضعف مات في خلافة ابن الزبير.
انظر ترجمته في: التقريب (١٤١/١).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/أ)، وذكره إبن كثير في تفسيره (٥٠٣/٤).

(٥) سورة ق ٩.

(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٥٢/أ).

وقـال في اللبن ﴿ خـالصا سـائغا للشـاربين ﴾ وقـال في العسل ﴿ فيه شـفآءٌ للناس﴾. وقـال في المهـر ﴿ فكلوه هنيئا مـريئاً﴾[١] فإذا إجتمعت البـركة والشـفاء والهنيء والمريء والخالص والسائغ فلا عجب أن يزداد بهما الحفظ.

﴿ إنَّ فـي ذلـك ﴾ أي فـيـما ذكـرنا ﴿ لأية[٢]﴾ لعـلامـاتٍ ودلالاتٍ ﴿ لقـومٍ يتفكرون﴾ يعتبرون.

﴿ والله خلقكم ثم يتوفّـاكم﴾ يقول ﴿ والله خلقكم ﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ثم يتوفـاكم﴾ أى يقبض أرواحـكم عند إنقضـاء آجالكم ﴿ ومنـكم من يرد إلـى أرذل العـمر ﴾ قـال ابن عبـاس: إلى أسـفل العُـمر[٣] . قـال مـقـاتل: يعني الهـرم.[٤] قـال عـبدالرحـمن ابن زيد بن أسلم: يعني الخرف[٥]. وروى شيبان[٦] عن قتـادة: قال أرذل العمر، تسعون سنةً[٧] قـال على بن أبي طالب : أرذل العـمر خـمس وسبعـون سنةً[٨] نظيره في سورة الحج: ﴿ ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا﴾[٩]. يعني يصير إلى حالة من الهرم لا يعلم ما كان يعلمه قبل ﴿ إن الله عليمٌ﴾ بالبعث ﴿ قديرٌ﴾ قادرٌ عليه.

---

(١) سورة النساء آية ٤.

(٢) في أصل المخطوط: [لآيات] بالجمع والصواب ما أثبته بالافراد لأنه جزء من الآية . ويتغير تبعاً لذلك المعنى فيكون: [لعلامةً ودلالةً].

(٣) أخرجه الثعلبي (ق:١٩٩/ب)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/أ).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٤٧٧).

(٥) أخرجه الثعلبي (ق:١٩٩/ب).

(٦) هو: شيبان بن عبدالرحمن التميمي مولاهم النحوي أبو معاوية البصري، نزيل الكوفة ثقة مات سنة ١٦٤هـ. انظر: التقريب (١/٣٥٦).

(٧) أخرجه الثعلبي (ق:١٩٩/ب)، والبغوي (٣/٧٦).

(٨) انظر المصدر السابق.

(٩) سورة الحج آية ٥.

قوله: ﴿ والله فضل بعضكم علىٰ بعض فى الرزق﴾ والمال والخدم يعني كثر وقلَلَ وبسط ورزق وقتر ووسع وضيق ﴿ فما الذين فضلوا﴾ أي الذين أعطوا الفضل من المال والخدم ﴿ برآدى رزقهم ﴾ أي بما نعى رزقهم أي يمنعون رزقهم ﴿ علىٰ ما ملكت إيمٰنهم فهم فيه سواء﴾ .

قال ابن عباس: يقول لا يُعطى المولى على ما ملكت يمينه مما رزق له من الأموال والخدم حتى يكون المولى والمملوك في المال شرعاً سواء[١] نظيره في سورة الروم: ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمٰنكم من شركآء فى ما رزقنٰكم فأنتم فيه سوآء﴾[٢].

قال ابن عباس: نزلت في نصارى أهل نجران حين قالوا: إن عيسى بن الله[٣]، يقول الله فهل أنتم تشركون عبيدكم معكم في أملاككم فاذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم رضيتم أن تشركوا عيسى معي وهو عبد من عبيدي أفتعدلون بي خلقي ﴿فهم فيه سوآء أفبنعمة الله يجحدون ﴾ يعنى بالتوحيد.

﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزوٰجاً﴾ أى من النساء ﴿ وجعل لكم من أزوٰجكم ﴾ من نسائكم ﴿ بنين وحفدة﴾ قال سعيد بن جبير : الحفدة ولد الولد[٤].

قال ابن عباس: الحفدة : الأعوان[٥] قال قتادة: الحفدة : مهنة يمهنونك

(١) أخرجه الثعلبي (ق:٢٠٠/أ)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/ب).
(٢) سورة الروم ٢٨.
(٣) انظر: تفسير الثعلبي (ق:٢٠٠/أ)، وتفسير ابن حبيب (ق:١٥٢/ب).
(٤) أخرجه الطبري (٩٨/١٤) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، والثعلبي (ق:٢٠٠/ب)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/ب).
(٥) أخرجه الطبري (٩٧/١٤)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/ب).

ويخدمونك[١] والمهنة الخدم قـال مقاتل: الحفدة كـبار البنين[٢]. قال عكرمـة: هم الذين ينفعون الرجل من ولده[٣].

وقال الحسن والضحاك: الحفدة: الخدم[٤]، قال مقاتل بن حيان: هم الأصهار[٥]، قال عبـدالله بن مسعود: هـم الأختان[٦]، قـال عبـدالرحمـن بن زيد بن أسلم: هم بنو المرأة من الزوج الأول[٧]، قال ابن حـبيب: أصل الحـفد الإسراع فى المشـى وإنما يفعل ذلك الخدم[٨] ومنه قوله: فى القنوت واليك نسعى « ونحفد»[٩].

﴿ **ورزقكم من الطيبـــت**﴾ من الحلال ﴿ **أفبالبـطـل يؤمنون**﴾ قال ابن عباس، ومقاتل: يعنى بالأصنام[١٠].

﴿ **وبنعمة الله هم يكفرون**﴾ يعنى بالتوحيد والطيبات والحلالات.

قال مقاتل: أفبالباطل يؤمنون أى بالشيطان[١١] ﴿ **وبنعمة الله** ﴾ وبدين الله ﴿ **هم يكفـرون ويعبـدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السـمـوت** ﴾ بالمطـــر

(١) أخرجه الطبري (١٤/٩٧)، والثعلبي (ق:٢٠٠/ب)، والبغوي (٣/٧٧).
(٢) انظر: تفسيره (٢/٤٧٧).
(٣) أخرجه الطبري (١٤/٩٨).
(٤) أخرجه الطبري (١٤/٩٨) ، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/ب).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/ب).
(٦) أخرجه الطبري (١٤/٩٧).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/ب).
(٨) في الأصل: [الجفدة]، والصواب ما أثبته من تفسير ابن حبيب.
(٩) انظر: تفسيره: (ق:١٥٢/ب).
(١٠) هذه الجمله وردت في قنوت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة الصبح ذكر ذلك النووي في الأذكار باب القنوت في الصبح (ص:٤٩).
(١١) أخرجه الثعلبي (ق:٢٠٠/ب)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٢/ب).
(١٢) انظر: تفسيره (٢/٤٧٨).

﴿**والأرض**﴾ بالنبات ﴿ **شيئاً** ﴾ أي ويعبدون ما لا يرزقهم شيئا، أي الأصنام.

قال الأخفش: جعل الشيء بدلاً من الرزق وهو في معنى لا يملكون شيئا قليلاً ولا كثيراً يعني الأصنام[1].

قال الفرّاء: نصب شيئاً بوقوع الرزق عليه[2] كما قال﴿ **ألم نجعل الأرض كفاتا أحيآءً وأمواتاً** ﴾[3] فأحياء نصب بوقوع الكفات عليه وأمواتا نصب عطفاً عليه أي كفت الأرضُ الأحياء والأموات ﴿ **ولا يستطيعون** ﴾ يعني ولا يستطيعون أن يرزقوا أحداً.

﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾ يعني فلا تجعلوا ولا تقولوا لله الأشكال والأشباه.

ويقال: لا تشبهوه بخلقه ﴿ **إن الله يعلم**﴾ أن لا ولد له، ولا شريك له ﴿ **وأنتم لا تعلمون**﴾ ذلك يا معشر الكفار.

قوله: ﴿ **ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً**﴾ قال قتادة: هذا مثلٌ ضربه الله للكافرين والمؤمنين[4] [فقوله][5] ﴿ **ضرب الله** ﴾ بيّن الله ﴿ **مثلا عبداً** ﴾ صفةَ عبدٍ ﴿ **مملوكا لا يقدر على شئ** ﴾ من المنفعة والإحسان وهذا مثل الكافر.

﴿ **ومن رزقنـه منا رزقاً حسناً**﴾ مالاً كثيراً ﴿ **فهو ينفق منه سراً**﴾ فيما بينه وبين الله ﴿ **وجهراً** ﴾ فيما بينه وبين الناس في سبيل الله يبتغي مرضاة ربه، وهذا مثل المؤمن المخلص .

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/٧٧)، وتفسير ابن حبيب (ق:١٥٢/ب).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١١٠).

(٣) سورة المرسلات الآيتان ٢٥، ٢٦.

(٤) أخرجه الطبري (١٤/١٠٠).

(٥) في الأصل: [كقوله] وكاف التشبيه ليس لها معنى لأنه لم يأتي بمثل آخر من القرآن عَقِبه، فما أثبته يقيم المعنى ويناسب السياق. والله أعلم.

قال مقاتل: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ وهو [هشام][1] بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشي[2] كان رجل قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ،

﴿ومن رزقنه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ يعني المؤمن.. وروى ابن جريج عن عطاء ﴿عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ قال[3] أبو جهل بن هشام[4].

﴿ومن رزقنه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ هو أبو بكر الصديق ﴿هل يستون﴾ أي هل يستوي الكافر والمؤمن في الطاعة والثواب.

﴿الحمد لله﴾ الشكر والوحدانية لله ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ بل كلهم لا يعلمون أمثال القرآن.

قوله: ﴿وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء﴾ قال مجاهد: هذا الإله الحق وآلهة الباطل، فإله الحق هو الله وآلهة الباطل، الأصنام،[5] فقال ﴿وضرب الله﴾ وبيّن الله ﴿مثلا رجلين أحدهما أبكم﴾ أخرس ﴿لا يقدر على شيء﴾ من الكلام وهو الصنم ﴿وهو كَلٌّ على مولنه﴾ وهو عيالٌ على عابده

(١) في الأصل: [هاشم] وهو خطأ وصحة اسمه هشام بن عمرو بن الحارث بن ربيعة، وقيل: ابن ربيعة ابن الحارث بن حبيب بن نصر بن جُذيمة ينتهي نسبه في عامر بن لؤي وهو الذي قام بنقض صحيفة قريش التي كتبوها وعلقوها على الكعبة لمحاصرة بني هاشم وبني عبدالمطلب.

انظر: سيرة ابن هشام (١/٣٧٤ - ٣٧٦)، وتفسير مقاتل بن سليمان (٢/٤٧٨)، وأسباب النزول للواحدي (٢٨٥). وفيه قال: نزلت هذه الآية في هشام بن عمرو، وهو الذي ينفق ماله سراً وجهراً، ومولاه أبو الجوزاء الذي كان ينهاه.

(٢) انظر: تفسيره (٢/٤٧٨): وفيه يقول: نزلت في أبي الجواجر مولى هشام بن عمر ... الخ. كذا عند مقاتل ولعله كما ذكره الواحدي.

(٣) في الأصل: كلمة [قال] مكررةً وهو خطأ تم تصويبه من تفسير ابن حبيب (ق:١٥٣/أ).

(٤) أخرجه الثعلبي (ق:٢٠١/ب)، والبغوي (٣/٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (١٤/١٠١).

﴿ أينما يوجهه﴾ يدعوه من شرق وغرب. ﴿ لا يأت بخير﴾ لا يجيب من يدعوه بخيرٍ وهذا مثل الصنم ﴿ هل يستوى ﴾ في النفع والدفع ﴿ هو﴾ يعني الصنم.

﴿ومن يأمر بالعدل﴾ بالتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وهو الله تعالى(١) ﴿وهو على صرط مستقيم﴾ وهو يدلكم إلى صراطٍ مستقيم.

قال مقاتل: ﴿ أحدهما أبكم لا يقدر على شيء﴾ وهو أبو العاص بن أمية بن عبد الشمس ﴿ وهو كَلٌّ على مولـه﴾ وهو ثقل علي وليه ﴿ أينما يوجهه لا يأت بخيرٍ هل يستوى هو﴾ يعني أبا العاص بن أمية ﴿ ومن يأمر بالعدل﴾ يعنى عثمان بن عفان(٢) ﴿ وهو على صرط مستقيم ﴾ على دين الإسلام وروى ابن جريج عن عطاء أنه قال: ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء ﴾ يعني أبيّ بن خلف الجمحي ﴿ هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل ﴾ يعني حمزة وعثمان بن مظعون(٣) ﴿ وهو على صرط مستقيم﴾ على دين الاسلام.

﴿ ولله غيب السموت والأرض ﴾ يعني علم غيب السموات والأرض وما غاب عن العباد ﴿ ومآ أمر الساعة﴾ في قرب كونها وسرعة قيامها ﴿ إلا كلمح البصر ﴾ قال ابن عباس: كرجوع الطَرْف(٤).

قال عطاء: كمرجع الطرف ﴿ أو هو أقرب﴾(٥) يعني بل هو أقرب ﴿ إن الله على كل شيء ﴾ من البعث وغيره ﴿ قدير﴾ قادر .

قوله: ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهـتكم لا تعلمون شيئا﴾ من الأشياء

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٤/١٠٠، ١٠١).
(٢) انظر: تفسيره (٢/٤٧٩).
(٣) أخرجه الثعلبي (ق:٢٠٢/أ)، والبغوي (٣/٧٨)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٣/أ).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٣/أ)، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٥٠٨) وقد قال بمثله دون عزو.
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٣/أ).

﴿وجعل لكـم السمع ﴾ لكي تسمعوا ﴿ والأبصـٰر﴾ لكي تبصروا ﴿ والأفئدة ﴾ يعني القلوب لكي تفهموا ﴿ لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا هذه النعم.

﴿ الم يـروا ﴾ يعني أهل مـكة ﴿ إلى الطير مـسخرٰت﴾ مـذللات ﴿ فى جوّ السمآء﴾ قـال ابن عبـاس: في الهـواء[1]، قـال عـثـمـان بن عطاء عن أبيـه: في عنان السماء[2] . ﴿ ما يمسكهنّ﴾ في حال القبض والبسط والإصطفاف ﴿ إلا الله إن فى ذلك﴾ فيما ذكرت ﴿ لأيـٰت ﴾ لعلامات ودلالات ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ فيعتبرون.

قوله: ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ يعني مساكن تسكنون فيها السكن بجزم الكاف: أهل الدار، والسكن بفتحها: المسكن الذي سكنت إليه ﴿وجعل لكم من جلود الأنعـٰم بيـوتاً﴾ يعني قبـابَ الأدَمِ ﴿ تستخفونها﴾ أي تستخفـون حملها ﴿يوم ظعنكم ﴾ يوم سفركم ورحلتكم.

﴿ ويوم إقامـتكم ﴾ ويوم مـقـامكم ونزولكم أي لا تثـقل في الحـالتين ﴿ ومن أصوافها﴾ أي وجـــعل لـكم مـن أصــــواف الغـنـم ﴿ وأوبارها﴾ وأوبـار الإبـل ﴿وأشعارها﴾ يعني أشعـر الغنم وهي القطف[3] والفساطيط[4] والأجبية ﴿ أثـٰثاً﴾ قال القـتيـبي: الأثاث المال أجـمع من الإبل والغنم والعبيـد والمتاع والواحـد أثاثة[5]. وهو نصب مفعـول جعل وقال الخليل بن أحمـد: أصله من الكثرة[6] ﴿ ومتـٰعاً إلى حين﴾ أي ومنفـعـة إلى وقت بـلوغكم أسـفـاركم وقـرئ ﴿ يوم ظعنكــم﴾ بسكـون العين

(١) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٥٣/أ).
(٢) انظر المصدر السابق.
(٣) القُطُفُ: جمع قطيفة وهو دثار مُخْمَلٌ . انظر: مختار الصحاح للرازي (مادة: قطف).
(٤) والفسطاط : بيت من شعر ، انظر: مختار الصحاح مادة: (فسط).
(٥) انظر: تفسير الثعلبي (ق:٢٠٣/أ)، والبغوي (٧٩/٣)، وابن حبيب (ق:١٥٣/أ).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٣/أ).

ونصبـــها[١] ،وهمـا لغـتان بمعـنى واحد ونظيرهمـا من الكلام النّهَـر والنَّهْـر والشَّمْع والشَّمَع واليبْس واليَبَس ونشَز من الأرض ونَشْز أي صعود.

﴿ **والله جعل لكم مما خلق ظلالاً**﴾ يعني ظلَّ الأشجار والسقوف ﴿ **وجعل لكم من الجبال** ﴾ في الجبال ﴿ **أكنـاناً** ﴾ يعني الغيران والكهوف.

﴿ **وجعل لكم سرابيل**﴾ يعني قُمُص الكتـان والقطن ﴿ **تقيكم الحر** ﴾ والبرد، والكتان يقي الحر والقطن يقي البرد فعبر بأحدهما عن الآخر فكذلك هاهنا.

﴿ **وسرابيل تقيكم بأسكم**﴾ أي الدروع تقيكم بأس أعدائكم ﴿ **كذلك** ﴾ قال إبن عباس: [هكذا][٢].

﴿**يتم**﴾ الله ﴿ **نعمته عليكم لعلكم تسلمون** ﴾ أي تخضعون وتنقادون وروى نوفل بن أبي عقرب عن ابن عـباس أنه قرأ ﴿ **يتم**﴾ بنصب الياء. ﴿ **نعمته**﴾ برفع التاء على الفاعل ﴿ **لعلكم تسلمـون**﴾ بنصب التـاء واللام أي لكى تسلمـوا من عـدوكم ومن الجراحة[٣].

﴿ **فإن تولوا**﴾ فـإن أعرضـوا عن الإيمان يعني أهل مـكة ﴿ **فإنما عليك البلــغ المبين**﴾ أي فإنما عليك أن تبلغهم بما أرسل به إليك وهذه منسوخة بآية القتال[٤].

فلما ذكـر لهم النبي ﷺ هذه النعم، قـالوا: يا مـحمـد ، هذه كلهـا من الله ثم أنكروا بعد ذلك فـقال الله ﴿ **يعرفون نعـمت الله ثم ينكرونها**﴾ أي يقـرون أن هذه

---

(١) قراءة الكوفين وابن عامر الشامي بالسكون، وفتحها الباقون.
انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٩٣).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل واستدرك من تفسير ابن حبيب (ق:١٥٣/أ).

(٣) أخرجه الطبري (١٤/١٠٤)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٣/أ).

(٤) الآية محكمة ولا نسخ فيها ولا تعارض بين كونه ﷺ مبلغ، وأنه يقاتل، فتبليغه لكل ما جاء عن الله تعالى بالنسبة للمؤمنين والكافرين، وأمّا القتال فهو لمن امتنع عن قبول الحق أو عارضه.

النعم كلها من الله ثم ينكرونها بعد ذلك .

قال ابن عباس: ﴿ **يعرفون نعمت الله**﴾ يعني قولهم حين سألتهم من خلقهم ومن نزّل من السماء ماء قالوا الله ﴿ **ثم ينكرونها** ﴾ بقولهم للأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله[1].

قال مجاهد: ﴿ **يعرفون نعمت الله**﴾ يعني المساكن والأنعام ﴿ **ثم ينكرونها**﴾ ، بعبادة الأوثان[2].

قال السدّي: ﴿ **يعرفون نعمت الله**﴾ يعني محمداً، ﴿ **ثم ينكرونها**﴾ بقولهم إنه ساحر وكاهن وعراف ومجنون وشاعر.[3]

قال عون بن عبدالله[4]: هو قول الرجل لولا فلان لما أصبت كذا وكذا[5].

وقال قتادة: هو قولهم للنعم والأموال ورثناها من آبائنا[6] ﴿ **وأكثرهم**﴾ وكلهم ﴿ **الكـفرون** ﴾ يعني الجاحدين لنعماء الله .

قوله: ﴿ **ويوم نبعث** ﴾ يعني في يوم القيامة يخرج ﴿ **من كل أمةٍ شهيدا** ﴾ نبياً يخبر أنه قد بلغ رسالة الله إلى أمته ﴿ **ثم لا يؤذن للذين كفروا** ﴾ في الكلام ﴿ **ولا هم يستعتبون**﴾ يعني ولا هم يسترضون. والمعنى لا يكلفون أن يرضوا ربهم في الآخرة لأن الآخرة ليست بدار تكليف ولا عتاب ولا أرضاء ولا إستعتاب ولا

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٣/ب).
(٢) أخرجه الطبري (١٤/١٠٥).
(٣) أخرجه الطبري (١٤/١٠٥).
(٤) هو: عون بن عبدالله بن عتبه بن مسعود الهذلي، أبو عبدالله الكوفي ثقة عابد مات سنة ١٢٠هـ. انظر: التقريب (٢/٩٠).
(٥) أخرجه الطبري (١٤/١٠٦).
(٦) أخرجه البغوي (٣/٨٠).

إسترضاء ﴿ **وإذا رءا الذين ظلموا**﴾ يعني الذين كفروا ﴿ **العذاب فلا يخفف عنهم**﴾ يعنى العذاب ﴿ **ولا هم ينظرون** ﴾ يعني لا يؤخرون ولا يؤجلون ﴿ **وإذا رءا الذين أشركوا**﴾ يعني وإذا رأى الكافرون ﴿ **شركآءهم**﴾ يعني الأصنام.

﴿ **قالوا**﴾ يعني الكافرين ﴿ **ربنا** ﴾ يا ربنا ﴿ **هؤلآء شركآؤنا**﴾ وهم آلهتنا ﴿ **الذين كنا ندعوا من دونك**﴾ أرباباً يعني الأصنام.

﴿ **فألقوا إليهم القول**﴾ يعني ردت الآلهة عليهم فقالوا ما كنا لكم بالهةٍ وما استحققنا [أن نُدْعى](1) أربابا من دون الله.

ثم قال الالهة لهم ﴿ **إنكم لكـٰذبون**﴾ في تسميتنا آلهة ﴿ **والقوا إلى الله يومئذ السلم**﴾ يعنى الآلهة والعبدة خضعوا بأجمعهم عند ذلك اليوم.

﴿ **وضل عنهم**﴾ وبطل عنهم ﴿ **ما كانوا يفترون**﴾ يختلقون يعني الأصنام ﴿**الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** ﴾ يعني منعوا الناس عن دين الله ﴿ **زدنـٰهم عذابا فوق العذاب**﴾ ومعناه: زدناهم عذاب الحيّات والزمَهرِير والعقارب والجوع والعطش وغيرذلك فوق عذاب النار.

قال ابن عباس ومقاتل : يعني خمسة أنهار من صُفر مذابٌ يسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل في الدنيا ويعذبون باثنين على مقدار النهار(2).

قال سعيد بن جبير : يزادون حيات أمثال البُخت وعقارب أمثال البغال تلسع

---

(١) ما بين القوسين ساقط وتم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٥٥/ب).

(٢) أخرجه الثعلبي (ق:٢٠٤/ب)، والبغوي (٨١/٣)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤٨٢/٢، ٤٨٣) بلفظ نحاس بدل صفر . وهذه من رواية الكلبي وهو ضعيف . انظر: تفسير السمرقندي (٢٤٦/٢).

أحداهن اللسعة يجد صاحبها ألم حُمَتِها أربعين خريفا[1].

قال عبدالرحمن بن زيد: يزادُون عقارب أذنابها مثل النخل الطوال.

﴿ **بما كانوا يفسدون**﴾ يعني يظهرون من الشرك. ﴿ **ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً**﴾ أي نبياً عليهم من أنفسهم ﴿ **وجئنا بك**﴾ يا محمد ﴿ **شهيداً**﴾ يعني شاهداً ﴿ **على هـؤلآء**﴾ على أمتك.

وقيل: ﴿ **على هـؤلآء**﴾ الأنبياء مزكياً لهم نظيره: ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هـؤلآء شهيداً**﴾[3].

﴿**ونَزلنا عليك**﴾ يا محمد ﴿ **الكتـب**﴾ القرآن ﴿ **تبيـناً لكل شىء**﴾ يعني بيانا للحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد ﴿ **وهدىً**﴾ من الضلالة ﴿ **ورحمةً**﴾ من العذاب ﴿ **وبشرىٰ**﴾ وبشارة ﴿ **للمسلمين**﴾ للمؤمنين. وقيل للمنقادين الخاضعين.

قوله: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل**﴾ الآية روى علي عن النبي ﷺ أنه قال جماع التقوى في قول الله ﴿ **إن الله يأمر بالعدل**﴾[4] الآية ثم قرأ الآية حتى أتمها وروى شتير بن شكَل عن ابن مسعود أنه قال أجمع آية في القرآن قوله: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل**﴾ الآية[5].

---

(١) أخرجه الثعلبي (ق:٤:٢٠٠/ب)، والبغوي (٣/٨١).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٣/ب).

(٣) سورة النساء آية ٤١.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٣/ب) ولم أجده عند غيره.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/١٠٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٧٣)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٤٨٤)، وابن كثير (٤/٥١٥)، والقرطبي (١٠/١٦٥).

قال قتادة: إن الله من كرمه نهى عباده عن سفاسف الأخلاق ومذامّها[1] ، وقال عثمان بن مظعون : كنت أسلمت إستحياءً من رسول الله ﷺ لكثرة ما كان يعرض عليَّ الإسلام ولم يقر الإسلام في قلبي فكنت ذات يوم عند رسول اله ﷺ جالساً أتأمله فشخص ببصره نحو السماء ورأيته كأنه يستفهم شيئا فلما سُرِّيَ عنه سألته عن حاله فقال نعم بينما أنا أحدثك رأيت في الهواء جبريل فأتى بهذه الآية ﴿ **إن الله يأمر بالعدل**﴾ الآية. وقرأها عَلَيَّ إلى آخرها فقرّ الإسلام في قلبي[2] وأتيت عمه أبا طالب فأخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمداً ترشدوا فإنه لا يأمركم إلا بمكارم الأخلاق فإن كان ابن أخي صادقاً أو كاذباً فإن إلهه لا يأمره إلا بخير فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بقوله ففرح بذلك فقال له يا عمّ تأمر الناس بإتباعي ولا تتبعني فأنَّى ذلك . فأنزل الله ﴿ **إنك**﴾ يا محمّد ﴿**لا تهدى من أحببت**﴾[3] فأتيت الوليد بن المُغيرة وقرأت عليه هذه الآية ﴿ **إن الله يأمر بالعدل**﴾ الآية فقال إن كان محمدٌ قاله فنعم ما قال وإن قاله ربه فنعم ما قال فأنزل الله ﴿ **أفرءَيت الذى تولىٰ وأعطىٰ**﴾[4] ومعنى قوله﴿ **أعطىٰ قليلاً**﴾ يعني قوله فنعم ما قال، ومعنى قوله ﴿ **أكدى الذى**﴾ أي لم يقم على ما قاله وقطعه فذلك قوله ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسٰن** ﴾ الآية وإختلفوا فيه فقال الكلبي عن أبي صالح عن إبن عباس: ﴿**بالعدل**﴾ بشهادة أن لا إله إلا الله[5] ﴿**والإحسٰن**﴾ الإخلاص وعن ابن عباس في رواية أخرى ﴿**بالعدل**﴾ بالتوحيد ﴿**والإحسٰن**﴾ أداء الفرائض[6].

---

(١) أخرجه الطبري (١٠٩/١٤) بلفظ «نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامّها».

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٣١٨/١) بلفظ فذلك حين استقر الإيمان في قلبي، وذكره البخاري في الأدب المفرد، وضعّف الالباني اسناده . انظر: ضعيف الادب المفرد للإلباني (٨٢).

(٣) سورة القصص آية ٥٦.

(٤) سورة النجم ٣٣.

(٥) أخرجه الطبري (١٠٩/١٤).

(٦) أخرجه الطبري (١٠٩/١٤) ، والبغوي (٨١/٣).

قال مقاتل: العدل التوحيد والإحسان العفو عن الناس[١].

وروى ابن جريج عن عطاء عن إبن عباس: العدل خلع الأنداد، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[٢] قال سفيان بن عيينة : العدل إستواء السرّ معه العلانية[٣].

والإحسان: أن يكون السرّ خيراً من العلانية قال[٤] ورأيت في بعض التفاسير العدل في الأفعال، والإحسان في الأقوال. بيانه قوله: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾[٥] وقال بعضهم العدل في الأقوال والأفعال، والإحسان أن تحب للناس ما تحب لنفسك[٦].

﴿وإيتآيءِ ذى القربىٰ﴾ يعني صلة الرحم ﴿وينهىٰ عن الفحشآء﴾ وهو القبيح من الأفعال والأقوال والمنكر .

قال ابن عباس: ﴿والمنكر﴾ ما لا يعرف في شريعة ولا سنة[٧] ﴿والبغى﴾ : الإستطالة على الناس.

قال سفيان بن عيينة: الفحشاء مخالفة القول الفعل، والمنكر الشرك والكفر، والبغي الكيد[٨].

﴿ يعظكم﴾ ينهاكم عن الفحش والمنكر ﴿ لعلكم تذكرون﴾ تتعظون

(١) انظر: تفسيره (٢/٤٨٣).

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٥٤/أ).

(٣) انظر: تفسيره جمع أحمد صالح محايري (ص:٢٨٥)، والبغوي (٣/٨٢)، وابن كثير (٤/٥١٤).

(٤) القائل أبو القاسم بن حبيب سقط ذكره في الأصل انظر: تفسيره (ق:١٥٤/أ).

(٥) سورة البقرة آية ٨٣.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٤/أ).

(٧) أخرجه الثعلبي (ق:٢٠٥/أ)، والبغوي (٣/٨٢).

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٤/أ)، والذي في تفسيره جمع أحمد صالح محايري (٢٨٥): أن الفحشاء والمنكر : أن تكون علانيته أحسن من سريرته.

فتعتــبرون.

قـوله: ﴿ **وأوفـوا بعهـد الله إذا عـٰهـدتم** ﴾ يعني الدوام على الإسـلام ﴿ **ولا تنقضوا الأيمـٰن**﴾ يعني الحلف ﴿ **بعد توكيدها** ﴾ بعد إحكامها يعني إذا حلفتم بالله فلا تحنثوا.

﴿ **وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً**﴾ يعني شهيداً ﴿ **إن الله يعلم ما تفعلون**﴾ من الخير والشر والوفاء والحنث.

قوله: ﴿**ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها**﴾ الآية قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في امرأة حـمقاء من قريش يقـال لها زائطة[1] قال مـقاتل: نزلـت في إمرأة خرقـاء من قريش يقـال لها ريطة بنـت عمرو بن سـعد بن كـعب بن زيد بن مناة بن تميم[2] وهي تلقب بجعـرة والجعـر: البعـر كـانت إتخـذت مغـزلاً بغلظ زراع وفلكة على قـدرها وكـانت لها جـوارٍ تأمرهن من الغـداة إلى نصف النهـار بغزل الصـوف فإذا إنتـصف النهار أمرتهن بنقض مـا غزلن فهذا كان دأبهـا وعادتها[3]. فضرب الله بهـا مثل ناقض العهد يعني من حلف فحنث أو عـاهد فنقض كان بمنزلة من غزل ثم نقض غـزله فقال ﴿ **ولا تكونوا**﴾ في نقض العهد ﴿ **كالتى نقضت**﴾ كالمرأة التي نقضت ﴿**غزلها من بعد قوة** ﴾ إبرام وإحكام ﴿ **أنكـٰثا** ﴾ والأنكاث جمع نكث وهو ما نقض من الغزل ليغزل ثانياً.

﴿ **تتخذون أيمـٰنكم**﴾ عهودكم ﴿ **دخلا بينكم**﴾ أي دخلاً وخيانةً بينكم﴿**أن تكون أمّةٌ**﴾ يعني لأن تكون جماعـةٌ نظيره: ﴿ **يخرجـون الرسول وإياكم أن تؤمنوا**

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٤/أ)، والبغوي (٣/٨٢).

(٢) انظر: تفسيره (٤٨٤/٢)، والبغوي (٣/٨٢).

(٣) أخرجه الثعلبي (ق:٢٠٦/ب)، والبغوي (٣/٨٢).

باللــه﴾[1] أي لأن تؤمنوا ﴿ **هى أربىٰ من أمـةٍ**﴾ هي أكثر وأزيد ﴿ **من أمـةٍ** ﴾ من جماعةٍ على البغي والإستطالة على الناس.

﴿ **إنما يبلوكم الله** ﴾ يختبركم الله ﴿ **به**﴾ يعني من الوفاء بالأيمان وقيل الكناية مردودة إلى الله وقد ذكر الله الإبتلاء في القرآن على وجوه فقال في موضع ﴿**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع**﴾[2] وقال في موضع ﴿**ونبلوكم بالشر والخير**[3] [**فتنة**][4]﴾ وفي موضع ﴿**إنما يبلوكم الله به**﴾ أي نفسه والمراد أمره ونهيه.

﴿ **وليبينَنَّ لكم يوم القيـٰمة ما كنتم فيه تختلفون**﴾ من شأن البعث والقرآن.

﴿ **ولو شآء الله لجعلكم أمة واحدة**﴾ يعني على ملة الإسلام أو على ملة الكفر ﴿ **ولـٰكن يضل من يشآء**﴾ عن دينه فلا يهتدى إليه.

﴿ **ويهدى من يشآء**﴾ إلى دينه فلا يضل عنه ﴿ **ولتسئلن**﴾ يعني يوم القيامه ﴿**عما كنتم تعملون**﴾ من الخير والشر.

قوله: ﴿ **ولا تتخذوا أيمـٰنكم** ﴾ عهودكم ﴿ **دخلاً بينكم**﴾ يعني خيانةً ومكراً وخديعة بينكم.

﴿ **فتزل قدم بعد ثبوتها**﴾ يعني أن من خان ومكر وخدع بالإيمان زل عن ذنبه كزلول القدم بعد ثبوتها ﴿**وتذوقوا السوء**﴾ يعني وبال السوء وعقوبته ﴿ **بما صددتم عن سبيل الله**﴾ يعني منعتم الناس عن دين الله ﴿ **ولكم عذابٌ عظيمٌ**﴾ في الآخرة.

(١) سورة الممتحنة آية ١.

(٢) سورة البقرة آية ١٥٥.

(٣) سورة الأنبياء آية ٣٥.

(٤) ما بين القوسين مثبت بين السطرين.

قوله: ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً**﴾ يعني بالإيمان بالله الآية نزلت في عبدان بن الأشوع الحضرمي[١] وإمرئ القيس الكندي[٢] في الأرض أو البئر التي كانت بينهما.

وقد ذكرت قصتهما في سورة آل عمران، ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله**﴾ يعني بالإيمان بالله ﴿**ثمنا قليلاً**﴾ عرضاً يسيراً من الدنيا ﴿ **إنما عند الله هو خيرٌ لكم** ﴾ وذلك أن اليمين إتجهت على امرئ القيس فنكل عنها ولم يحلف ورد إليها الأرض أو البئر فقال الله﴿ **إنما عند الله**﴾ إن الذي عند الله والكرامة والثواب ﴿ **هو خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ ثواب الله وقيل: إن كنتم تصدقون بثواب الله ﴿ **ما عندكم ينفد**﴾ يعني من الأموال والعقار والمتاع يفنى ﴿ **وما عند الله** ﴾ من الجنة والنعيم والخير والدرجات ﴿**باق**﴾ لا يزول ولا يفنى والآية رد على الجهمية لأنهم يقولون إن الجنةً فانيةٌ والله يقول ﴿ **وما عند الله باقٌ**﴾.

وقد مضت هذه المسألة في قوله: ﴿ **وما هم منها بمخرجين**﴾[٣]، ﴿ **ولنجزين الذين صبروا**﴾ فيه قولان: أحدهما : صبروا على طاعة الله. والثاني: صبروا عن معصية الله. وأصل الصبر الحبس. ﴿ **أجرهم**﴾ يعني جزاءهم وثوابهم ﴿ **بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ من الصبر.

﴿ **من عمل صـلحاً من ذكرٍ أو أنثى**﴾ من رجل أو امـرأةٍ ﴿ **وهو مؤمن**

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب ما هو ثابت في صحيح مسلم (١/١٢٤)، وأسد الغابة (٢/٢١٥) من أن الذي خاصم امرأ القيس اسمه ربيعة بن عبدان بن ذى العرف بن وائل بن ذي طواف الحضرمي ويقال الكندي.

(٢) هو أمرؤ القيس بن عابس بن المنذر الكندي الشاعر اسلم ووفد على النبي ﷺ فلما ارتد قومه ثبت على الاسلام انتقل في آخر عمره إلى الكوفة وتوفى بها بحدود سنة خمس وعشرين هجرية .
انظر: التجريد (١/٢٨)، والاصابه (١/٦٤).

(٣) سورة الحجر آية ٤٨.

فلنحيينه حيوٰةً طيبةً ﴾ قـال ابن عبـاس: يعنـي في الجـنة[1] قـال الضحـاك : يعني في القبر[2]. ٢٩٦/أ

قال عطاء: يعني الرزق الحلال في الدنيا[3] .قال مقاتل بن حيان: يعني العيش في الطاعة[4] قال سعيد بن جبير: يعني القناعة[5] قال أبو بكر محمد بن عمر الوراق: يعني لنوفقنة لطاعة يجد حلاوتها في قلبه[6].

﴿ ولنجزينـهم أجرهم﴾ جـزاءهـم وثوابهم ﴿ بأحسن ما كـانوا يعملون﴾ من العمل الصالح.

قـوله: ﴿ فإذا قـرأت القـرءان فاستعذ بـالله من الشيطـٰن الرجيم ﴾ اختلف الناس في وقت الإستعاذة فرأى عـامة الفقـهاء أنها قبـل القراءة كالتسـمية لأنهـا تحرّزٌ وتأهبٌ للقراءة.

ورُوي عن بعض المتـأخـرين وهو داود[7] أنه قـال: الإستـعـاذة بعد الفـراغ من القراءة[8] أجـراه على الظاهر وقال: إنـه شرط أجيب بالفـاء وكلامٌ عُـقد آخـره بأوّله. وهذا كقـولك إذا غسلت وجهك فـقل اللهم بيض وجهي فلزم هذا القول بعـد غسل الوجه فلذلك لزم الإستعاذة بعد القراءة لظاهر الآية.

---

(١) ذكـره ابن حـبـيب (ق:١٥٤/ب)، وأخـرج الطبـري عن ابن عـبـاس رضي الله عنهـمـا خـلافـه (١١٤/١٤).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٤/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٤/ب)، والبغوي (٨٣/٣)، وأخرج الطبري مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره (١١٤/١٤).

(٤) أخرجه الثعلبي (ق:٢٠٧/ب)، والبغوي (٨٣/٣).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٤/ب) ، وأخرج الطبري مثله عن الحسن البصري (١١٥/١٤).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (ق:٢٠٧/ب)، والبغوي (٨٤/٣)، وابن حبيب (ق:١٥٤/ب).

(٧) هو: داود بن على بن خلف البغدادي المعروف بالاصبهاني الظاهري المتوفي سنة سبعين ومئتين . انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٩٧/١٣) ، وتاريخ بغداد (٢٥٩/٨).

(٨) انظر: تفسير القرطبي (٨٨/١).

ونحن نقـول: إن هـهنا ضميراً يـدل عليه نظم الآية، والمعنى إذا أردت القـراءة فاستعذ بالله وهو كقوله: ﴿ إذا طلقتم النسآء فطـلقوهن لعدتهن ﴾[1] فكأنه قال إذا أردتم تطليق النسـاء فطلقـوهن لعدتهـن أي لقبل عـدتهن طواهر من غـير حـيض يعني طلقـوهن بالسنة لأنه مـحـالٌ أن يأمـرهم بالتطليق للـسنة بعـد مضي التـطليق فكذلك محـال أن يأمرهـم بالإستعـاذة بعد الـفراغ من القـراءة لأن الإسـتـعـاذة لأجل القـراءة والإستعـاذة: الإعتصام والإسـتجارة ، و﴿الرجيم﴾ الطريد الملعـون ﴿ إنه ليـس له﴾ يعني للشيطان ﴿ سلطـٰنٌ﴾ غلبةٌ وإضلال ﴿ على الذين ءامنوا﴾ يعنى صدقوا.

﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي بالله يـثـقـون ﴿ إنما سلطـٰـنه﴾ يعني إضـلاله وغلبته ﴿ على الذين يتولونه﴾ يتبعونه ﴿ والذين هـم به﴾ يعني بـالله ﴿مشركون﴾ إبليس. وقـال آخـرون: الكناية مـردودة إلى إبليس[2] فكـأنه أراد: والذين هـم بإبليـس مشركون بالله تعالى .

قوله: ﴿ وإذا بدلـنآ ءايـة مكـان ءاية ﴾ يعني وإذا حولنا آيـةً ناسخةً فـيهـا يسرٌ وتخـفيـفٌ مكان آيةٍ منسـوخةٍ فـيـها تغليظ وتشديدٌ مـثل قـوله: ﴿ الأن خـفف الله عنكم﴾[3] الآية ناسـخةٌ لما قبـلها ﴿ إن يكن منكم عـشرون صـابرون يغلبو مـائتين﴾ الآية[4][5].

---

(١) سورة الطلاق آية ١.

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٥٥/أ).

(٣) سورة الأنفال آية ٦٦.

(٤) سورة الأنفال آية ٦٥.

(٥) قـال بالنسخ ابن جرير الـطبري (٥٧/١٤)، وأخـرج ذلك عن ابن عبـاس رضي الله عنهـما، وقـال بذلك ابن كـثير (٣١/٤)، والسـيـوطي في الدر (١٠٣/٤)، وعـبدالقـاهر بن طاهر الـبغـدادي في الناسخ والمنسـوخ (١٤٠) ومـصطفى زيد (١٩٢) وغـيرهم، وقـال بالإحكام أبو جـعـفر النحـاس (١٥٦) وغيره، وقد سبقت الاشارة إلي ذلك في سورة الانفال.

وقيل: قوله: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم﴾[1] ناسخٌ لقوله: ﴿ يـا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته[2]﴾[3].

﴿ قالوا ﴾ يعني كـفار مكة ﴿ إنما أنت ﴾ يا محمد ﴿ مفتر﴾[4] مختلق تقولته وإخترعـته من ذات نفسك ﴿ والله أعلـم بما ينزل﴾ من التغليظ والتـخفيف والناسخ والمنسوخ مقدمٌ ومؤخرٌ ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون﴾ بل كلهم لا يعلمون أن الله أنزله.

قال قتـادة: هي كقوله: ﴿ ما ننسخ من آية ﴾[4] الآيـــة فأجابهم اللـه لقولهـــم ﴿ إنما أنت مفتر﴾ .

وقال ﴿ قل ﴾ يا محـمد ﴿نزّله﴾ يعني نزل به يعني بالقـرآن ﴿ روح القدس﴾ جبـريل ﴿ من ربك بالحق ليثبت الـذين ءامنوا ﴾ أي ليكـون للمـؤمنين به ثبـاتٌ ﴿وهدى﴾ وبيانٌ من الضلالة ﴿ وبشرى ﴾ وبشارةٌ ﴿ للمسلمين﴾ .

قوله: ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون ﴾ الآية قال ابن عباس: يعني به جبراً[5] ويساراً[6] أبا فكيهة غلامين لعامر[7] بن الحضرمي وكانا يهوديين[8].

---

(١) سورة التغابن آية ١٦.

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٢.

(٣) الآية محكمة ولا نسخ فيها لأنه لا تعارض بين الآيتين، وفيهما الأمر بالتقوى، وفي حدود الاستطاعه لأن الله لم يكلف نفساً إلاّ وسعها.

(٤) أخرجه الطبري (١١٨/١٤).

(٥) جبر النصراني عبد لبني الحضرمي كانت قريش تزعم أنه يعلم محمداً ﷺ فأكذبهم الله بهذه الآية . انظر: سيرة ابن هشام (٣٩٣/١).

(٦) يسار أبو فكيهة، مولى صفوان بن أمية . وكان النبي ﷺ إذا جلس مع المستضعفين خباب وعمار وأبي فكيهة يسار مولى صفوان وأشباههم. هزئت منه قريش. انظر: أسد الغابة (٥١٨/٥).

(٧) عامر بن الحضرمى حليف بني عبدشمس قتل يوم بدر قتله عمار بن ياسر . انظر: سيرة ابن هشام (٧٠٨/١).

(٨) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٥٥/أ).

قال الضحاك: كانا يطبعان السيوف وكان النبي ﷺ إذا آذاه الكفار يقعد إليهما فيستريح / بكلامهما[1] فقيل لسيدهما إنهما يعلمان محمداً فقال ليسار بلغني أنك ٢٩٦/ب تعلم محمداً قال لا بل هو يعلمني وكانا يقرآن التوراة وكان لسانهما أعجميا يعني بالفارسية فقال الكفار إن الذى يقول محمدٌ من القرآن هو كلام جبرٍ ويسارٍ فأنزل الله[2] ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون** ﴾ يعني المشركين ﴿ **إنما يُعلِّمه** ﴾ يعني محمداً ﴿ **بشرٌ** ﴾ يعني جبراً ويساراً.

قال الله: ﴿ **لسان الذى يلحدون إليه** ﴾ أي يميلون يعني يسيرون وينسبون إليه ﴿ **أعجمى** ﴾ فارسيٌ ﴿ **وهذا** ﴾ القرآن الذي يقول محمد ﴿ **لسانٌ عربىٌ مبينٌ** ﴾. فكيف يعلمه جبر ويسار قرئ ﴿ **يَلْحَدُون** ﴾ ﴿ **ويُلْحِدُون** ﴾[3] وكلاهما واحدٌ والفرق بين الأعجمي والعجمي والأعرابي والعربي أن الأعجمي الذي لا يفصح وإن كان نازلا بالبادية والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحا والأعرابي البدوي والعربيّ منسوب إلى العرب وإن لم يكن فصيحاً واللسان في كلام العرب : اللغة.

﴿ **إن الذين لا يؤمنون بـايـٰت الله** ﴾ يعني لا يصدقون بمحمد والقرآن ﴿ **لا يهديهم الله** ﴾ إلى دينه وإلى الإسلام ﴿ **ولهم عذابٌ أليمٌ** ﴾ وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم.

قوله: ﴿ **إنما يفترى الكذب** ﴾ الآية هذا جواب قولهم لرسول الله ﷺ ﴿ **إنما أنت مفتر** ﴾ فأجابهم الله وقال: ﴿ **إنما يفترى** ﴾ يختلق ﴿ **الكذب الذين لا يؤمنون بـٔايـٰت الله** ﴾ بمحمد والقرآن ﴿ **وأولـٰئك** ﴾ أهل هذه الصفة ﴿ **هم الكـٰذبون** ﴾

---

(١) أخرجه البغوي (٣/٨٥).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٥/أ).

(٣) قرأ حمزة والكسائي: ﴿ يَلْحَدُون ﴾ بفتح الياء والحاء. وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء: ﴿ يُلْحِدون ﴾. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٩٤).

روى يعلي بن الاشدق عن عبدالله بن جراد[1] وكانت له صحبةٌ مع رسول الله ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله المؤمن يسرق قال: [قد][2] يكون ذلك، قال: قلنا: المؤمن يشرب، قال: قد يكون ذلك، قلنا: المؤمن يزني، قال: قد يكون ذلك، قلنا: المؤمن يكذب، قال: لا لأن الله يقول: ﴿ **إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بئايـت الله وأولئك هم الكـذبون**﴾[3].

قوله: ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمـنه** ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عمار وأبيه ياسر وأمه سمية وصهيب بن سنان مولى عبدالله بن جدعان وخباب بن الأرت مولى بني أنمار وسالم مولى أبي حذيفة وبلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق أخذهم المشركون فعذبوهم وقد مضت القصة في البقرة فأما سُمية فإنها ربطت بين بعيرين وجئ قبلها بحربة وقيل لها أنها أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الأسلام وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها يعني الكفر فأخبر رسول الله ﷺ بأن عماراً كفر فقال ﷺ كلا إن عماراً ملى [الإيمان][4] من قرنه إلى قدمه[5].

وقال لما رآه إن عادوا فعد[6] فأنزل الله ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمـنه إلا من أكره** ﴾ أجبر عليه ﴿ **وقلبه مطمئن بالإيمـن** ﴾ وهذه الآية ردٌ علي المرجية الضالة

---

(١) عبدالله بن جراد الخفاجي قيل ابن المنتفق بن عامر بن عُقيل العقيلي. قيل له صحبة. قال عز الدين ابن الاثير في أسد الغابة لا يروي عنه غير ابن أخيه يعلى بن الأشدق وهو ضعيف.
انظر: أسد الغابة (١٩٧/٣).

(٢) [قد] ساقطه من الأصل تم استدراكها من تفسير ابن حبيب (ق:١٥٥/ب).

(٣) أخرجه البغوي (٨٥/٣، ٨٦)، وذكره السيوطي في الدر (١٦٨/٥). وقال: أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق، وابن عساكر في تاريخه عن عبدالله بن جراد.

(٤) هكذا في الأصل والصواب: [ملئ إيماناً] كما جاء عند البغوي.

(٥) أخرجه البغوي (٨٦/٣)، وأسباب النزول للواحدي (٢٨٨).

(٦) أخرجه الطبري (١٢٢/١٤)، والحاكم في المستدرك (٣٥٧/٢).

حيث قالوا بتجريد الإقرار مع أنهم يقولون إن الإيمان إقرار باللسان ولا يحتاج إلى تصديق القلب فجعلوا رسول الله ﷺ في إيمانه كعبدالله بن أبي وجعلوا أنفسهم كجبريل وميكائيل في إيمانهم وكان النبي ﷺ يتحرى الناس إلى الإيمان فلو كان الإيمان والكفر باللسان دون القلب لكان رسول الله ﷺ داعياً عماراً إلى الكفر بقوله ﷺ : « وإن عادوا فعد » ومن المحال أن يكون داعياً وقتا إلى الإيمان، ووقتا إلى الكفر، فصح أن الكفر يحتاج إلى تكذيب ونكرةٍ حتى يكون كفراً والإيمان يحتاج إلى تصديقٍ ومعرفةٍ حتى يكون إيماناً.

قوله: ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمـنه** ﴾ فيها تقديم وتأخير. ومجازها من كفر بالله من بعد إيمانه فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيمٌ ﴿ **إلا من أكره**﴾ / يعني عماراً ﴿ **وقلبه مطمئنٌ بالإيمـن ولكن من شرح بالكفر صدراً** ﴾ معناه لكن من وافق قلبه لسانه بالكفر ﴿ **فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيمٌ**﴾ في النار، نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي سرح[1] يعني قوله ﴿ **من شرح بالكفر**[2] **صدراً**﴾ ﴿**ذلك**﴾ العذاب ﴿ **بأنهم استحبوا**﴾ أي اختاروا ﴿ **الحيوة الدنيا على الأخرة وأن الله لا يهدى القوم الكـفرين** ﴾ إلى دينه.

٢٩٧/أ

﴿ **أولـئك الذين طبع الله**﴾ ختم الله ﴿ **على قلوبهم**﴾ فلا يعقلون شيئا ﴿**و**﴾ على ﴿**سمعهم**﴾ فلا يسمعون شيئا ﴿ **وأبصـرهم**﴾ فلا يبصرون شيئا .

﴿ **وأولـئك هم الغـفلون**﴾ عن دينه ﴿ **لا جرم** ﴾ حقا ﴿ **أنهم فى الأخرة هم الخسـرون**﴾ المغبونون.

---

(١) هو: عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن حذافة القرشي العامري يكنى ابا يحي، كان يكتب للنبي ﷺ فأزله الشيطان فلحق بالكفار فأهدر النبي ﷺ دمه ، أسلم عام الفتح وحسن إسلامه، مات بعسقلان سنة ست وثلاثين. انظر: الإصابه (٤/٧٧).

(٢) ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢/٤٨٨)، والآية عامة في كل من شرح بالكفر صدراً.

قوله: ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ نزلت هذه الآية[١] في عياش بن أبي ربيعة[٢] أخي أبي جهل من الرضاعة وأبي جندل[٣] بن سهم[٤] بن عمرو والوليد[٥] بن المغيرة بن [عبدالله][٦] وسلمة بن هشام[٧] وعبدالله بن أسيد الثقفي[٨].

فتنهم الكفار عن دينهم وعذبوهم فأبوا الكفر وصبروا على ما هم فيه من الإيمان فأثنى الله عليهم بصبرهم وأنزل ﴿ ثم إن ربك﴾ يا محمد ﴿ للذين هاجروا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿ من بعد ما فتنوا﴾ عذبوا، عذبهم أهل مكة ﴿ ثم جهدوا﴾ العدو في سبيل الله ﴿ وصبروا ﴾ مع محمدٍ ﴿ إن ربك من بعدها ﴾ من بعد الهجرة

---

(١) أخرجه الثعلبي (ق:٢١٢/أ)، والبغوي (٨٧/٣).

(٢) هو: عياش بن أبي ربيعة واسمه: عمرو بن المغيرة القرشي ابن عم خالد بن الوليد، مات سنة خمس عشرة بالشام.. انظر: الإصابة (٤٧/٥).

(٣) أبو جندل بن سهيل بن عمرو العامري من بني عامر بن لوىء، اختلف في اسمه فقيل: اسمه: العاصي، وقيل: غيره. أسلم بمكة ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: أسد الغابة (٥٤/٦).

(٤) كذا في الأصل، والصواب: [سهيل] كما أثبتناه في الترجمه أعلاه.

(٥) كذا في الأصل والصحيح الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أخو خالد بن الوليد كان النبي ﷺ يدعو له في القنوت يقول: « اللهم إنج الوليد بن الوليد والمستضعفين من المؤمنين».
انظر: الإصابة (٦٣٩/٣)، وأسد الغابة (٤٥٤/٥، ٤٥٥).

(٦) ساقطه من الأصل، تم استدراكها.

(٧) هو: سلمة بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أسلم قديماً وكان من خيار الصحابة، هاجر إلى الحبشة ومنع من الهجرة إلى المدينة وعذب في الله، استشهد في آخر خلافة أبي بكر، وقيل: في أول خلافة عمر.
انظر: أسد الغابة (٤٣٥/٢، ٤٣٦).

(٨) هكذا في تفسير ابن حبيب (ق:١٥٦/أ)، والثعلبي (ق:٢١٣/أ)، والبغوي (٨٧/٣). باسم عبدالله بن أسَيد بالفتح الثقفي وذكره ابن حجر في الإصابة نقلاً عن الثعلبي في تفسيره. وعقب بقوله: ويحتمل أن يكون هو عتبة بن أسيد وهو ابن نصر وإلا فأخوه، الإصابة (٢٧٥/٢).

لغفورٌ﴾ متجاوزٌ ﴿ **رحيمٌ** ﴾ بهم.

قوله: ﴿ **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها** ﴾ إحدى النفسين ههنا الروح وذلك أن النفس والروح يجثوان يوم القيامة بين يدي الله فيختصمان فتقول النفس للروح كنت كالثوب الملقى ما لم تدخل فيَّ فلم أقترف ذنبا وتقول الروح للنفس كنت مخلوقا قبلك بدُهورٍ ولم أدر ما الذنب إلى أن دخلت فيك. فيردد كل واحد منهما على صاحبه فيمثل الله لهما أعمى ومقعداً وكرماً على جرارةِ عنبٌ والناس ينظرون فيقول الله لهما مُرَّا فاقتطفا من ذلك العنب فيقول الأعمى أنا لا أبصره ويقول المقعد لا رجل لي فأمشي إليه فيقول الله للمقعد اركب على عاتق الأعمى فيحمله الأعمى حتى يقطف المقعد العنب فيقول الله لهما هذا مثلكهما فكما صار العنب مقطوفا بكما جميعا كذلك الذنب صار موجوداً منكما جميعاً[1] فذلك قوله: ﴿ **يوم تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها**﴾ أراد باحدى النفسين الروح ﴿ **وتوفىٰ كلّ نفسٍ** ﴾ أي توفر كلّ نفسٍ عملها وافيا ﴿ **ما عملت**﴾ يعني ما كسبت من شرٍ وخيرٍ ﴿ **وهم لا يظلمون**﴾ أي لا ينقصون من حقوقهم شيئا.

قوله: ﴿ **وضرب الله مثلا** ﴾ وبين الله صفة أهل ﴿ **قريةً** ﴾ أبي جهل والوليد وأصحابهما ﴿ **كانت ءامنةً** ﴾ كان أهلها امنين من العذاب والعدو والقتل والجوع والسبى ﴿ **مطمئنةً**﴾ يعني أهلها ﴿ **يأتيها رزقها** ﴾ يُحمل إليها من الثمرات ﴿ **رغداً**﴾ موسَّعاً ﴿ **من كل مكانٍ** ﴾ من كل ناحيةٍ وأرض يحمل إليها ، ومن البر والبحر ﴿**فكفرت بأنعم الله** ﴾ وكفر أهلها بمحمد والقرآن ﴿ **فأذٰقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾ وذلك أن العرب كانوا قارين في أماكنهم مطمئنين آمنين من الخوف والشدة فكفروا بأنعم الله بمحمد والقرآن فأبدلهم الله بالأمن الخوف

(١) هذه القصة ذكرها ابن حبيب في تفسيره (ق:١٥٦/أ)، وأخرج مثلها الثعلبي في تفسيره من رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ق:٢١٣/ب)، والبغوي (٨٧/٣).

وبالنعمة الشدة من سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه وإبتلاهم بالجوع والقحط سبع سنين حتى أكلوا العلهز[١] والعظام المحرقة والقد[٢] والكلاب والجيف وبُدلوا بصحة النفس نهكة البدن والضمر والشحوب/ فذلك قوله: ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع﴾ الآية. ٢٩٧/ب

قال القتيبي: وأصل الذوق بالفم ثم استعير فوضع موضع الإبتلاء والإختيار، تقول العرب: ناظر فلانا فذق ما عنده أي إختبر[٣] ﴿ بما كانوا يصنعون﴾ يعملون من الكفر والشرك . ويقولون لمحمد من الجفاء.

قوله: ﴿ ولقد جآءهم ﴾ يعني العرب ﴿ رسولٌ﴾ يعني محمداً ﴿ منهم﴾ من نسبهم﴿ فكذبوه﴾ ﴿ فأخذهم العذاب﴾ يعني ببدرٍ ﴿ وهم ظـلمون﴾ كافرون.

قوله: ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلـلاً طيبـاً﴾ يعني من الحرث والأنعام ﴿واشكروا نعمت الله﴾ ولا تكفروها ﴿ إن كنتم إياه تعبدون﴾ توحدون، وقيل: تطيعون، وقيل: إن كنتم تطلبون رضا الله لأن رضا الله في شكر نعمته.

﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم﴾ المسفوح ﴿ ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ أي ما ذبح للأوثان وما ذكر عليه غير اسم الله وأصل الإهلال رفع الصوت.

﴿ فمن اضطر﴾ إلى هذه الأشياء ﴿ غير باغ﴾ غير ظالم على المسلمين بسيفه ﴿ولا عاد﴾ عليهم يجوز له أكل هذه الأشياء وهو مذهب الشافعي[٤]، وقيل: ﴿غير

---

(١) العِلْهِزُ: وبرٌ يخلط بدماءِ الحَلَمَ كانت العرب في الجاهلية تأكله في الجدب.
انظر: لسان العرب مادة: (علهز) (٨٣٣/٢) وفي الأصل: [العلهن] والتصويب من اللسان.

(٢) القَدُّ: بفتح القاف جلد السخلة وكانوا يأكلون الجلد في الجدب.
انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٨/٣، ٢٩) مادة (قدد).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٥٦/أ).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢٢٨/٢، ٢٣٠).

باغ﴾ أي غير آكل فوق الشبع ﴿ ولا عاد﴾ أي متزود منها وهو مذهب أبي حنيفة[١] ﴿ فإن الله غفور رحيم﴾ حيث رخص في أكل الميتة عند الإضطرار.

قوله: ﴿ ولا تقولوا﴾ يا أهل مكة ﴿ لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ يعني من الكذب في البحائر والسيب والوصايل والحام ﴿ هذا حلٰلٌ﴾ للرجال حرام على النساء ﴿ وهذا حرامٌ﴾ على الرجال حلال للنساء وقد مضى تفسيرها في سورة الأنعام وقرأ ابن عباس: الكُذُبُ[٢] برفع الكاف والذال والباء نعتا للألسنة وهو جمع كذوب. كصبر وصبور وشكر وشكور ﴿ لتفتروا على الله الكذب﴾ لتختلقوا على الله الكذب ﴿ إن الذين يفترون﴾ يختلقون ﴿على الله الكذب لا يفلحون﴾ لا ينجون ولا يأمنون من عذاب الله تم الكلام هـهنا.

ثم قال: ﴿ متٰعٌ قليلٌ﴾ أي ما هم فيه من العيش والنعيم متعةٌ قليلةٌ لا بقاء لها في الدنيا ﴿ ولهم عذابٌ أليمٌ﴾ وجيعٌ في الآخرة.

قوله: ﴿ وعلى الذين هادوا﴾ أي مالوا عن الحق إلى الباطل، ومن الإيمان إلى الكفر ، وهم اليهود ﴿ حرمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ يعني حرمنا ما سميناه لك من قبل في سورة الأنعام وهو قوله: ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفرٍ ومن البقر والغنم﴾[٣] الآية إلى أخرها .

قال الله: ﴿ وما ظلمنٰهم﴾ وما نقصناهم حظهم بما حرمنا عليهم من الشحوم واللحوم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يضرون أي بذنوبهم حرَّم الله عليهم.

قوله: ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهٰلة﴾ قال مجاهد: نزلت هذه الآية في أناس إرتدوا عن الإسلام ثم تابوا وآمنوا فقبل الله توبتهم[٤] وإيمانهم فذلك

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/١٤٦).

(٢) قراءة شاذه. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٧٣).

(٣) الأنعام ١٤٦.

(٤) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٥٦/ب).

قوله: ﴿ ثم إن ربك ﴾ يا محمد ﴿ للذين عملوا السوء بجهـلةٍ ﴾ بتعمدٍ وإن كان جاهلا بركوبها.

﴿ ثم تابوا من بعد ذلك﴾ السوء ﴿ وأصلحوا﴾ العمل فيما بينهم وبين الله ﴿إن ربك﴾ يا محمد ﴿ من بعدها﴾ يعني من بعد تلك الفعلة وقيل: ﴿ من بعدها﴾ من بعد التوبة ﴿ لغفور ﴾ متجاوز ﴿ رحيم﴾ بهم.

قوله: ﴿ إن إبرٰهيم كان أمة﴾ يسمى الله إبراهيم أمة لما فيه من الخير والصلاح والعفة والرشد والسداد والحسن والأمن والأمانة ما كان في أمة. فلهذا سماه الله أمةً، قال ابن عباس: ﴿ إن إبرٰهيم كان أمةً﴾ يعني معلماً للخير[1]، قال السدّي: كان يعني يفيء بأمةً[2]، وقال قتادة: ﴿ كان أمة﴾ أي إماماً يؤتم به ﴿ قانتا﴾ مطيعا ﴿لله﴾ ﴿حنيفاً﴾ مخلصاً وحاجاً ، قال سعيد بن جبير: كانت العرب تسمى من إختتن وحج حنيفا[3] ﴿ولم يكُ من المشركين﴾.

﴿شاكراً لأنعمه﴾ يعني لنعمائه وأنعُم ليس بجمع النعمة لأنه ليس في كلام العرب فعله تجمع على أفعل . قال الفراء: الأنعم جمع النعماء، وكذلك الأبؤس جمع البأساء[4]. وقال الأخفش: الأنعم جمع نعم[5] ونظيره: برج وأبرج وبرد وأبرد.

﴿ إجتبله ﴾ يعنى اختاره الله ﴿ وهدله إلى صرٰط مستقيم ﴾ يعني النبوة والدين ﴿ وءاتينـٰه ﴾ وأعطيناه يعني إبراهيم ﴿ فى الدنيا حسنةً ﴾ قال ابن عباس:

---

(١) كذا عند ابن عباس رضي الله عنهما عند المؤلف هنا وعند ابن حبيب (ق:١٥٦/ب). وأخرج الطبري مثله عن ابن مسعود رضي الله عنه (١٤/١٢٩)، والبغوي (٣/٨٩).

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٥٦/ب).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٥٦/ب).

(٥) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٦٠٩).

يعني الذكر الحسن[١].

قال الضحاك: الثناء الحسن[٢]، قال مقاتل بن حيان: يعني الصلوات[٣] في قول هذه الأمة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم . قال قتادة: وآتيناه في الدنيا حسنة وذلك أنك لا ترى أهل ملةٍ من ملل الكفر إلا يتولونه ولا يتبرؤن منه ويدعون فيه[٤]. فيقول اليهود هو منا والنصارى هو منا ونحن نقول هو منا ونحن على دينه فذلك قوله: ﴿ **وءاتينـه فى الدنيا حسنةً وإنه فى الأخرة لمن الصـلحين**﴾ ظاهر الآية يدل على أن إبراهيم يكون في الآخرة من الصالحين ولم يكن في الدنيا من الصالحين. وفيها تقديمٌ وتأخيرٌ ومجازها وآتيناه في الدنيا والآخرة حسنةً وإنه لمن الصالحين.

قال الله: ﴿ **ثم أوحينآ إليك**﴾ يا محمد ﴿ **أن اتبع ملة إبراهيم**﴾ دين إبراهيم ﴿**حنيفا**﴾ مخلصاً ﴿ **وما كان من المشركين** ﴾ .

قوله: ﴿ **إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه** ﴾ يعني اليهود وذلك أن موسى قال لهم قبل أن تهودوا اختاروا في الأسبوع يوما تتفرغون فيه لعبادة الله واجعلوه يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق الأشياء ولم يخلق فيه شيئا وهو يوم السبت[٥] فأذن لهم موسى فيه فهذا قول أكثرهم وكانت شرذمة منهم يرغبون في الجمعة فهذا اختلافهم وذلك قوله: ﴿ **إنما جعل السبت** ﴾ الآية أي إنما حرم السبت على الذين اختلفوا فيه في الجمعة.

---

(١) تفسير ابن حبيب (ق:١٥٦/ب)، وزاد المسير (٤/٥٠٤).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٦/ب).

(٣) تفسير ابن حبيب (ق:١٥٦/ب)، والبغوي (٣/٨٩).

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٥٦/ب)، وزاد المسير (٤/٥٠٤).

(٥) ذكرها البغوي في تفسيره عن الكلبي (٣/٩٠).

﴿ وإن ربك ليحكم ﴾ ليقضي ﴿ بينهم يوم القيـمة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من السبت وغيره.

ثم قال لمحمد ﴿ أدع إلى سبيل ربك ﴾ يعني إلى دين ربك ﴿ بالحكمة﴾ يعني بالقرآن ﴿ والموعظة الحسنة ﴾ يعني مواعظ القرآن ﴿ وجـدلهم بالتى هى أحسن﴾ نسختها أية القتال[1].

﴿ إن ربك ﴾ يا محمد ﴿ هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ أي عن دينه ﴿ وهو أعلم بالمهتدين﴾ إلى دينه.

قوله: ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ الآية وذلك أن المشـركين لما ارتكبوا بأحد من المؤمنين ما ارتكبوا وقتلوا من المؤمنين سبعين رجلا فجدعوا آذان القتلى وأنوفهم وجبوا مذاكرهم قال المؤمنون: لئن كان لنا يوم لنزيدن على صنيعهم وقال رسول الله ﷺ حين رأى عمه حمزة مبقور البطن فقتله [وحشي][2] لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين رجلا فأبى الله إلا المقاصة على السواء مثلا بمثل كما قال الله ﴿ فمن اعتدى عليكم﴾[3] الآية وقال: ﴿ وجزؤا سيئة سيئة مثلها﴾[4] فأنزل الله ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ ثم أمر الله بالصبر فقال: ﴿ ولئن صبرتم

(١) ذكر النسخ البغوي في تفسيره (٣/ ٩٠). وقال ابن الجوزي في نواسخ القرآن: (٣٨٧): «وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف. وفيه بعد، لأن المجادلة لا تنافي القتال، ولم يقل له اقتصر على جدالهم. فيكون المعنى: جادلهم فإن أبوا فالسيف فلا يتوجه نسخ» أهـ.

وقد رد النسخ أيضاً مكي بن أبي طالب في الايضاح (٣٣٦).

(٢) في الأصل: الوحشي بالتعريف وهو خطأ لأن اسمه وحشي أبو دسمه وهو غلام لجبير بن مطعم وهو حبشي.

انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٦١، ٦٢).

(٣) سورة البقرة آية ١٩٤.

(٤) سورة الشورى آية ٤٠.

لهو خيرٌ للصـٰبرين﴾ في الدنيا وقيل ولئن صبرتم / لهو خير لأنك نبي الرحمة. ٢٩٨/ب
وقيل: ﴿ **لهو خير**﴾ يعني إنك إن شفعتني في وحشي[1] قاتل حمزة فأنما أشفعك يوم القيامة في جميع أمتك وأغفر عنهم ذنوبهم لأجلك.

قال الضحاك: ﴿ **وإن عاقبتم**﴾ الآية كان هذا قبل نزول براءة[2] ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله**﴾ يعني اصبر بالله لا بنفسك قال الأستاذ[3] ورأيت في بعض التفاسير أن قوله ﴿ **وأصبر**﴾ الآية ناسخ لقوله: ﴿ **وإن عاقبتم**﴾ الآية.

﴿ **ولا تحزن عليهم**﴾ على القتلي من أصحابك وعلى صنيع الكفار بك ﴿ **ولا تك في ضيق مما يمكرون**﴾ يكيدون ويصنعون. قال أهل المعاني: الضيق بكسر الضاد في المساكن والمعاش والضيق بفتحها حزازة الصدور وضجرها[4] ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا**﴾.

قال ابن عباس: يعني الكفر والشرك والفواحش[5] ﴿ **والذين هم محسنون** ﴾ في العمل.

قال الحسين بن الفضل: ﴿ **اتقوا** ﴾ يعني محارم الله ﴿ **والذين هم محسنون**﴾ فيما رزقهم الله[6].

والسورة كلها مكيةٌ إلا قوله: ﴿ **وإن عاقبتم...**﴾ إلى اخرها فإنها نزلت بالمدينة[7].

---

(١) في الأصل: [الوحشي] تم تصويبه.
(٢) أخرجه البغوي (٣/٩١).
(٣) المراد بالأستاذ: ابن حبيب . انظر: تفسيره (ق:١٥٧/أ).
(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١١٥).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/أ).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/أ).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/أ).

تفسير سورة بني إسرائيل

ونزلت هذه السورة سورة بني إسرائيل بمكة وهي مائة وعشر آيات عند الجميع إلا عند الكوفيين فإنهم قالوا هذه السورة مائة وإحدى عشرة آية وكلامها ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وحروفها ستة [ألف][1] واربعمائة وستون حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم.

بسم العلي الأعلى الذى أسرى بعبده إلى العليين[2] ويسبح له من في السموات والأرضين.

قوله: ﴿ سبحـٰن الذى أسرىٰ بعبده ليلاً﴾ روي عن طلحة بن عبيد الله أنه قال سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان فقال تنزيه الله عن كل سوء[3].

قال الفراء: سبحان نصب على المصدر تقول العرب سبّحت تسبيحا وسبحاناً[4].

قال الأخفش: التسبيح مصدر وسبحان اسم وربما يكون سبحان بمعنى التعجب

(١) كذا في الأصل، والصواب: [آلاف].

(٢) كذا في الأصل، والصواب: [إلى عليين].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/٢، ٣).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/أ).

كما قال الشاعر[1]:

سُبْحان من عَلْقَمَةَ الفاخر.

أي: عجباً. ﴿ الذى أسرى بعبده ﴾ الآية.

قال مقاتل: كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة وفيها فرضت الصلاة المكتوبة[2] على النبى ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ تلك الليلة نائما فى دار أم هانئ[3] أخت علىّ إبن أبى طالب وزوجها هبيرة بن أبى وهب المخزومي فلما أصبح قال لها ألا أخبرك بالعجب. فقالت: بلى . قال: صليت ههنا صلاة العشاء والفجر وذهبت فيما بينهما إلى بيت المقدس ومثل لى النبيون فصليت بهم. فلما أراد أن يخرج تعلقت أم هانئ بثوبه فقال: ما وراك قالت: أخشى أن يكذبك قومك. قال: وإن كذبونى فلا بأس. وسألته أم هانئ عن كيفية خروجه. فقال: أتانى جبريل ومعه ميكائيل بالبراق وهى دابةٌ دون البغل وفوق الحمار ووجهها كوجه الإنسان وذنبها كذنب البقرة وحافرها كظلف البقرة خطوها مد البصر فركبتها فإن هممت بها سارت وإن هممت بها طارت فدخلت بها مسجد بيت المقدس وإذا النبيون فيه فصليت بهم ثم أسرى بالنبي ﷺ من بيت المقدس إلى السماء الدنيا والسماء الثانية والثالثة إلى السابعة إلى تحت العرش. ورأى ما رأى من الآيات والعجائب والجنة وغيرها ثم إنصرف وهبط إلى

---

(١) هذا الشطر الباقي من بيت شعر للأعشى. وصدر البيت:
أقول لمّا جاءني فَخْرهُ ....
انظر ديوانه (ص:١٩٣)، وانظر قول الأخفش في: تفسير ابن حبيب (ق:١٥٧/أ).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥١٣).

(٣) حديث أم هانيء رواه بن اسحاق عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح والكلبي متروك بالمرة وساقط. ورواه الطبراني في (الكبير) وفيه عبد الاعلى بن أبي المساور قال الهيثمي في (المجمع) (٧٦/١) متروك الحديث. والصحيح حديث مالك بن صعصعة الذي في الصحيحين وغيرهما. البخاري (١٥٤/٧)، ومسلم (١٥٠/١)، وابن جرير (٣/١٥).

بيت المقدس ورجع إلى بيت أم هانئ وإنما ذهب إلى بيت المقدس ورجع إليها[1] وهبط إليها[2] لأن صخرة بيت المقدس موضع الهبوط / والصعود من جبريل والملائكة[3]. ثم ٢٩٩/أ أتى النبي ﷺ المسجد الحرام وفيه صناديد قريش فقال: ألا أخبركم بالعجب ؟ قالوا بلى: قال صليت صلاة العشاء والفجر ههنا وذهبت فيما بينهما إلى بيت المقدس وقص عليهم القصة فقال مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف من هذا الكذاب إن عيرنا لتخرج من مكة إلى بيت المقدس فى أربعين يوماً بشق الأنفس[4] وقد خرجت إليها فى ساعةٍ أشهد أنك كذابٌ . فقال المشركون لرسول الله ﷺ حين أخبرهم هذا الخبر فأين رأيت عيرنا قال رأيتها بموضع كذا وهم نائمون فشربت من إنائهم وكفأته فسلوهم إذا قدموا . ورأيت العير الأخرى وهم قافلون يقدمها جملٌ وعليه زوج جواتقٍ من لونين أحدهما أبيضٌ والآخر أسودٌ قالوا: اين رأيتهم ؟ قال: بموضع كذا وكذا، وإنهم يقدمون بعد ساعة فاستهزأ المشركون به فإذا العير أقبلت من عقبة التنعيم فقال المشركون لم يكن أحدٌ أعلم بهذا الرجل من الوليد بن المغيرة لذلك سماه ساحراً.

ثم أخبر بذلك أبو بكر فأتاه وسأله وقال له: ما لقيت على يمينك حين دخلت بيت المقدس وعلى يسارك وسأله عن الصخرة فأجابه فصدقه فمن ثم سمى الصديق[5] وأبو بكر بلغ إلى بيت المقدس بالتجارة والنبي ﷺ لم يبلغ واختلف الناس فى المعراج:

---

(١) في الحاشية: إلى بيت المقدس.

(٢) فى الحاشية إلى بيت المقدس.

(٣) هذا القول غير صحيح ولا دليل عليه.

(٤) في الحاشية النفس بدل الأنف، وهو المثبت في تفسير ابن حبيب (ق:١٥٧/ب).

(٥) هذه الرواية مدارها على محمد بن السائب الكلبي وهو كذاب .
انظر: تفسير ابن كثير (٤١/٥).

فروي عن عائشة أنها قالت : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عُرج بروحه[1].

وقال الحسن البصري: إنما كان رؤيا رآها رسول الله[2] .

وقال غيرهما: إنما عرج بجسده وروحه[3] وهذا أصح الأقاويل فذلك قوله: ﴿سبحـٰن الذى أسرىٰ بعبده﴾ الآية.

قال ابن عباس: يعني أدلج بعبده، يعني محمداً[4] قال الأخفش: يقال سرى به[5] وأسري به قرئ بهاتين اللغتين في قوله في قصة لوطٌ فأسر بأهلك بقطع من الليل[6] بقطع الألف وبوصلها باللغتين ﴿من المسجد الحرام﴾ يعني مسجد مكة ﴿إلى المسجد الأقصا﴾ يعني مسجد إيليا وله ثلاثة أسماء بيت المقدس والمسجد الأقصى ومسجد إيليـــا.

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/١٥)، وذكره ابن كثير (٤١/٥).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/ب)، وأخرج الطبري مثله عن معاوية بن أبي سفيان (١٣/١٥).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/ب)، قال ابن كثير رحمه الله (٤٠/٥): والحق أنه عليه السلام ، أسرى به يقظة لا مناما من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق. وذكر القصة بطولها.
ثم قال: والأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناما، ولا ينكر أن يكون رسول الله ﷺ رأي قبل ذلك مناماً، ثم رآه بعده يقظة ، لأنه عليه السلام كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.
وقال ابن جرير الطبري (١٣/١٥) بعد أن ذكر الروايات بأسانيدها ومتونها: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال أن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أن الله حمله على البراق حتى أتاه وصلى هناك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال أسرى بروحه دون جسده ... الخ.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/أ).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/أ).

(٦) سورة هود آيه رقم ٨١.

﴿ الذى بـٰركنا حوله ﴾ يعني من الأشجـار والثمار والـزيتون . قال مـجاهد: سماه مباركاً لأنه مقر الأنبيـاءِ وفيه مهبط الوحي وهو الصخرة ومنه يحشر الناس يوم القيامة [١] وقيل: سماه مـباركاً لأنه منبع جميع العيون في الـدنيا من تحت صخرة بيت المقدس[٢].

﴿ لنريه من ءاياتنآ ﴾ يعني ما رآه تلـك الليلة من البراق والملائكة والنبـيين ﴿ إنه هو السميع﴾ لأقوال الخلق ﴿ البصير﴾ بأعمالهم.

قوله: ﴿ وءاتينا مـوسى الـكتـٰب ﴾ يعني وأعطـينا[ه][٣] التـوراة ﴿ وجعلنـٰه هدى﴾ بياناً من الضـلالة والكناية راجعةٌ إلى الكتـاب وهو التوراة ﴿ لبنى إسرٰءيل﴾ لأولاد يعقوب ﴿ ألا تتخذوا ﴾ قـرئ بالياء والتاء[٤] فبالتاء مـعناه قلنا لهم لا تتخذوا ﴿من دونى وكيلا﴾ ومن قرأ بالياء يعني عهـدنا إليهم أن لا تتخذوا من دوني وكـيلاً أي ربـــاً.

قال مجاهد: كفيلاً[٥]. قال الضحاك: حافظاً[٦].

قوله: ﴿ ذرية من حملنا مع نوحٍ ﴾ على الخطاب لأن جميع الخلائق كانت في أصلاب بنـي نوح ذلك اليوم فـمعناه أي يا ذرية من حـملنا مع نوح والذرية الأولاد / ٢٩٩/ب وهي من ذرأ الله الخلق إذا خلقهم وأصلها مهموزٌ مشددٌ لأن التشديد في هذا الحرف أخف على اللسان من الهمز وكذلك البرية ﴿ إنه كان عبداً شكوراً﴾.

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/ب).
(٢) كل هذه الأقوال باطلة لا دليل عليها.
(٣) الهاء ساقطه من الأصل.
(٤) قرأ أبو عمرو بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٩٧).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/أ).
(٦) انظر المصدر السابق.

قال ابن عباس: يعني علـى جميع أحواله[1] وروي عن عمـر بن الخطاب أنه قال أنه كـان عبـداً شكوراً على أحواله الأربع: حـال النعمـة وحال الشـدة وحال الطـاعة وحال المعـصية[2] .

قال مـجاهد كـان عبداً شكوراً يعني أنه كـان يحمـد ربه قائما وقـاعداً ومـتكئا ومستلقياً وراكباً وماشيا وفي جميع الأحوال[3].

قـال قتـادة: كان إذا إستجـد ثوباً يقـول الحمـد لله الذي كـساني مـا أواري به عورتي وأتجمل به في الناس وكذلك إذا بلي[4] ثوبه.

قال الضـحاك: وذلك أنه إذا أكل الطعـام قال الحمـد لله الذي أشبـعني ولو شاء لتركني جـائعا وإذا شـرب قال الحمـد لله الذي أرواني ولو شاء لتركـني عطشاناً وإذا لبس قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء لتركني عرياناً فأثنى الله[5] عليه وقال: ﴿ **إنه كان عبداً شكوراً**﴾ قال وشكور على وزن فعـول وكل ما جاء على وزن فعـول فهو على الكثرة والمبالغة كالصبور والطهور والغفور والشكور.

قوله: ﴿ **وقضينـآ**﴾ يعني وعهدنا ﴿ **إلـى بنى إسرءيل فى الكتـٰـب**﴾ فـي التوراة ﴿ **لتفسدن فى الأرض مرتين** ﴾ اللام خبر القسم كأنه قـال والله لتفسدن والنون نون التأكيد.

---

(١) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٥٧/ب).

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٥٧/ب).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٥٧/ب). وذكره الماوردي (٢٢٨/٣).

(٥) لم أقف على نسبته إلى الضحاك، ونسب القرطبي هذا القول لعمران بن سليم. انظر: أحكام القرآن (٢١٣/١٠).

﴿ ولتعلن﴾ ولتقـهرن الناس ﴿ علواً كبيراً﴾ قهـراً ظاهراً ففعلوا من الفسـاد ما حكى الله عنهم.

قوله: ﴿ فإذا جاء وعـد أولـهما﴾ الآية وذلك أن الله وعـدهـم فى التـوراة بأن يفسدوا فى الأرض مرتين ففـعلوا من الفساد ما حكى الله عنهم فى الكرة الأولى ولم يعملوا بالتوراة وتركوا أمر الله وارتكبوا نهيه فعذبهم الله على يد بخت نصر[1] فأتاهم بخت نصر وقـتل علماءهم وأحرق التـوراة وخرب المسجـد وألقى فيه الجـيف وسبى منهم سبـعين ألفاً وذهب بهم إلى بابل وكـانوا بها سبـعين سنة ثم إستنقـذهـم الله على يدي انطيانوس بن يلنس الرومى وأصلح شأنهـم وعمروا بيت المقدس[2] ثم عادوا ثانيا إلى الفساد وقتلوا زكريا ويحيى بن زكريا فـإنتقم الله منهم بالمقباس فأتاهم فقتل منهم مائة وثمـانين الفاً على دم يحيى بن زكـريا وخرب بيت المقدس وقتل العلمـاء وأحرق التـوراة وألقى فى المسـجـد الجـيف وكـان خرابا إلـى زمن عمـر بن الخطـاب فعـمـره المسلمون[3] فذلك قوله: ﴿ فإذا جاء وعد أولـهما﴾ يعنـى الكرة الأولـى من الفساد ﴿ بعثنا عليكم عباداً لنا ﴾ يعنى بخت نصر وأصحابه.

﴿أولى بأس شديد﴾ يعنى قوةً وشوكـةً وعدة ﴿ فجاسوا خلـل الديار﴾ يعنى داروا وطافـوا خـلال ديارهـم وهـــو بخت نصر وأصحابه وقـــرأ ابـن عبـــاس: ﴿ فحاسوا[4]﴾ بالحاء ومعناهما واحد ﴿ وكان وعداً مفعولاً ﴾ معناه وكان العذاب

---

(١) بخت نصر: هو أحد ملوك بابل من قبل ملك الفرس. غزا بيت المقدس فصالح بني أسرائيل ثم رجع عنهم فبلغه أنهم قتلوا ملكهم الذي صالحه فرجع عليهم وقتلهم. وقيل غير ذلك.
انظر: تاريخ الطبري (١/٢٨٥).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٧/ب).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٥٧/ب).

(٤) قراءة شاذة منسوبة إلى أبي السَّمَّال. انظر: المحتسب لابن جني (٢/١٥).

لهم ﴿ وعداً مفعولاً﴾ مقضياً ﴿ ثم رددنا لكم الكرة﴾ / الدولة ﴿ عليهم﴾ بظهور ٣٠٠/أ انطيانوس بن يلنس الرومي عليهم على بخت نصر ﴿ وأمددنـــكم ﴾ يعني وأعناكم ﴿ بأمول وبنين وجعلنـــكم أكثر نفيراً﴾ قال ابن عباس: أكثر عدداً[١] وقل مجاهد: أكثر رجالاً[٢].

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ أى فعليها واللام بمعنى على كما قال: ﴿ وعليها ما اكتسبت﴾[٣]. وهذا الخطاب لبني إسرائيل ومعناه: ﴿ إن أحسنتم ﴾ وحدتم الله ﴿ أحسنتم لأنفسكم﴾ ثواب ذلك الجنة ﴿ وإن أسأتم﴾ أشركتم بالله ﴿ فلها﴾ فعليها عقوبة ذلك.

وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال ما أحسنتُ إلى أحدٍ ولا أساءت إلى أحد، قيل: وكيف؟ قال: لأن الله يقول: ﴿ إن أحسنتم﴾ الآية[٤] فهذا تفسير الاية على بني إسرائيل.

فأما أهل المعاني والحقائق قالوا: لهـذه الفاء وجهان ترهيبٌ وترغيبٌ وكل واحدٍ منهما على أربعة أنحاءٍ فأما وجه الترهيب ﴿ وإن أسأتم فلها﴾ يعني فلها العقوبة بمقدار ما أساءت.

والوجه الثاني: فلها الوعيد. الوجه الثالث: فلها الجزاء. والوجه الرابع: فلها الحياة.

وأما الترغيب فلها التوبة. والوجه الثاني: فلها الرجاء. والوجه الثالث: فلها المهلة

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٨/أ)، وأخرج الطبري مثله عن قتادة والسدّي وابن زيد (١٥/٢٤).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٨/أ).

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٨/أ).

إلى أن تموت. والوجه الرابع: قال الحسين بن الفضل: ﴿ وإن أسأتم فلها﴾ يعنى فلها ربٌّ يغفر الإساءة[1] ويؤيد هذا قوله ﷺ «من أذنب ذنبا وعلم أن له رباً يغفر الذنوب غفر الله له وإن لم يستغفر»[2].

﴿فإذا جاء وعد الأخرة ﴾ آخر الفسادين وآخر العذابين ﴿ ليسئوا وجوهكم﴾ يعنى الله يحزنها ، وقيل: ليسوء ليقبح الوعد وجوهكم بظهور المقباس عليكم.

قرئ ليسوؤا بالجمع[3] وأراد به مقباساً وأصحابه وقرئ لنسوء بالنون[4].

قال الله: ﴿ ليسؤوا وجوهكم﴾ إعتباراً بقوله: ﴿ وقضينا إلى بنى إسرءيل ﴾ وأراد بالوجوه عبارة عن أنفسهم. ﴿ وليدخلوا﴾ يعنى: المقباس ﴿ المسجد﴾ يعنى بيت المقدس ﴿ كما دخلوه أول مرة﴾ بخت نصر وأصحابه. ﴿ وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ أى وليهلكوا ما ظهروا عليه إهلاكاً .

قوله: ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم﴾ إن تركتم المعاصى والفساد ﴿ وإن عدتم عدنا﴾ [وإن عدتم][5] إلى الفساد عدنا إلى العذاب وقيل: وان عدتم إلى الإحسان عدنا إلى الرحمة وهذه الآية خطابٌ لبنى إسرائيل وهى لنا تقريعٌ من وجهٍ ورجاءٌ من وجــه.

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٨/أ) أوجه الترغيب هذه لا تفهم من ظاهر الآية فهو معنى بعيد ، والصواب فعليها إساءتها.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١١/١٠) ، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبراهيم بن هراسة وهو متروك.

(٣) قراءة الجمهور بالياء . انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٩٧/٢).

(٤) قرأ بها الكسائي. انظر المصدر السابق.

(٥) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، ولا يستقيم المعنى إلا به فأثبته.

قال ابن عباس: وإن عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة[1]

وقال بعضهم: وإن عدتم إلى الدعاء عدنا إلى الاجابة وإن عدتم إلى السؤال عدنا إلى النوال وإن عدتم إلى المعذرة عدنا إلى المغفرة وان عدتم إلى التنصل عدنا إلى التفضل وأن عدتم إلى الإعتراف عدنا إلى غفران الإقتراف وإن عدتم إلى التوبة عدنا غفران الحوبة . وقيل: فيه مائة [قولٍ][2].

قال الله: ﴿ **وجعلنا جهنم**﴾ يعني النار ﴿ **للكـفرين حصيراً** ﴾ يعني محبساً وسجناً.

﴿ **إن هذا القرءان يهدى للتى هى أقوم** ﴾ يعني للطريقة التي هي أصوب يعني إلى الإسلام وإلى شهادة أن لا إله إلا الله.

﴿ **ويبشر المؤمنين** ﴾ بالجنة ﴿ **الذين يعملون الصلحت** ﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿ **أن لهم أجراً كبيراً**﴾ ثواباً عظيماً في الجنة.

﴿ **وأن الذين لا يؤمنون بالأخرة**﴾ لا يصدقون بالبعث بعد الموت ﴿ **أعتدنا لهم**﴾ هيأنا لهم ﴿ **عذاباً أليماً**﴾ فى النار.

قوله: ﴿ **ويدع الإنسن بالشر دعآءه**﴾ يعني كدعائه ﴿**بالخير**﴾، ﴿ **وكان الإنسن عجولاً**﴾ قالوا في التفسير / : أراد بالإنسان آدم[3] . ٣٠٠/ب

وقال مجاهد: أراد بالانسان جميع الناس حين يعجلون بدعاء الشر على إخوانهم وأولادهم[4].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/٣٥) مع تغيير بسيط في اللفظ.

(٢) فالاصل: [أقاويل]، والصواب ما أثبته.

(٣) أخرجه الطبري (١٥/٣٧) عن الضحاك وسلمان الفارسي.

(٤) أخرجه الطبري (١٥/٣٧)، واختاره ابن كثير رحمه الله (٥/٤٥).

قوله: ﴿ وجعلنا اليل والنهار ءايتين ﴾ دليلين على وحدانيتنا وقدسيتنا يعني الشمس والقمر.

قال الضحاك وقتادة: ﴿ فمحونا ءاية اليل ﴾ يعني السواد الذي في وجه القمر[1] ﴿ وجعلنا ءاية النهار مبصره ﴾ لكي يبصر بها.

قال ابن عباس: ﴿ مبصرة ﴾ اي منيرةً[2].قال الكسائي: هو من قول العرب أبصر النهار إذا أضاء وصار بحالةٍ يبصر فيها[3].

قال مقاتل بن سليمان: في كتاب العجائب وذلك أن الله لما خلق الشمس والقمر فأضاءت الشمس على سبعين جزءاً والقمر كذلك وإشتبه على الناس اليوم والليلة فلا يعرفون النهار من الليل ولا الليل من النهار فبعث الله جبريل فمسح بجناحه على القمر فقبض تسعة وستين جزءاً من ضوء القمر ورجع ضوءه إلى جزء واحد وأثر مسح جبريل باق فيه[4] فذلك قوله: ﴿ وجعلنا اليل والنهار ﴾ الآية وفيه مسألةٌ شريفةٌ يسأل عنها وذلك أن الله قال: ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه ءاية ﴾[5] وهما ضدان متنافيان سماهما آية وسمى الشمس والقمر آيتين وهما ضدان متنافيان.

قال بعض أهل المعاني: أراد جعلنا كل واحدٍ منهما آيةً فمعناه وجعلنا ابن مريم وأمه آيةً كما قال ﴿ كلتا الجنتين ءاتت أكلها ﴾[6] ولم يقل أتتا لأنه أراد اتت كل واحدةٍ منهما.

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٨/أ)، وأخرج الطبري مثله عن مجاهد (٣٨/١٥).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٨/أ)، وأخرج الطبري مثله عن قتادة (٣٨/١٥).
(٣) انظر: تفسير البغوي (١٠٧/٣، ١٠٨).
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٢٤/٢)، وأخرج البغوي مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره (١٠٧/٣).
(٥) سورة المؤمنون آية ٥٠.
(٦) سورة الكهف آية ٣٣.

وقال آخرون: إنما سمي عيسى وأمه آيةً لأنهما يكونان في وقت واحد فمن رأى هذا رأى تلك ومـن رأى تلك رأى هذا ورأهمـا فـي وقت واحـد. وسـمي الـشـمس والقمر آيتين لأنهمـا يكونان في وقتين اثنين فلم يكن سبيل إلى رؤيتهـما معا في وقت واحد[١].

وقال بعضـهم: إنما سمى الله عيسى وأمـه آيةً على المعنى لأن علامة مـريم حملها بعيـسى من غير بشر وعـلامة عيسى كـونه من غير أبٍ وكـلا المعنيين راجعٌ إلى معنى واحدٍ وإن كـان كلا المعنيين معنى واحـداً فسمـاهما آية على المعنى. وسـمى الشمس والقمر آيتين على ظاهرهما لأن الشمس آيةٌ بالنهـار والقمر آيةٌ بالليل فإذا كان كذلك سماهما آيتين.

﴿**فمحونآ**﴾ فنقصنا ﴿**ءاية الـيل**﴾ يعنى القمر ﴿**وجعلنا ءاية النهار مبصرةً**﴾ منيرة زائدةً على الضوء.

﴿**لتبتغوا فضلاً من ربكم**﴾ لكي تطلبوا الرزق بالنهار ﴿**ولتعلموا عدد السنين والحساب**﴾.

﴿**وكل شيء فصلنـٰه تفـصيلاً**﴾ يعني وكل شيء من الأصـول بيناه تبيـاناً في القرآن كقوله: ﴿**ما فرطنا فى الكتـٰـب من شيء**﴾[٢] يعني من الأصول.

قوله: ﴿**وكل إنسـنٍ ألزمنـٰه**﴾ الزقناه ﴿**طـٰئره فى عنقه**﴾ العرب تعبر عن الطائر بالخير والشر واليمن والشؤم والسعادة والشقاوة.

---

(١) هذا القول فيه نظر لأنه يمكن رؤية القمر والشمس معاً نهاراً.

(٢) سورة الانعام آية ٣٨.

قال ابن عباس: ﴿ الزمنـه طـئـره﴾ يعني خيره وشره[١].

قال مجاهد ومقاتل: طائره : يعني عمله[٢].

قال مقاتل: يعني ما كان يعمل من خير وشر لا يفارقه حتى يحاسب به[٣] وذلك أن ابن آدم إذا مات طويت صحيفته فإذا بعث نشرت فدفعت إليه منشورة.

قـال الحسن: ﴿ ألزمـنـه طـئـره ﴾ يعني يمنه وشـؤمـه[٤]. وقـال بعضـهم: ﴿طئره﴾ يعني كتابه في عنقه ﴿ونخرج له﴾ قرأ أبو جعفر ﴿ ويُخرج له﴾على ما لم يسم فاعله[٥] وقـرأ يحي بن وثاب[٦] ﴿ ويخرج له﴾ ويخرج الله له[٧] وقرأ الباقون ﴿ونخرج له﴾ بالنون[٨].

قال الله: ﴿ ونخرج له يوم القيـمـة كتـبـاً يلقـه﴾ يراه ﴿ منشوراً﴾ وقرأ ابن عامر يلقاه[٩] يعني يؤتاه منشوراً مفتوحاً فيه حسناته وسيئاته.

---

(١) ذكـره ابن حبيب (ق:١٥٨/ب)، والماوردي (٢٣٣/٣)، دون عـزو، وابن كثير (٤٧/٥) وعـزاه لابن عباس ومجاهد وغير واحد.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (٣٩/١٥)، وانظر: تفسير مجاهد (٣٥٩)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٨/ب)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٢٤/٢).

(٣) أخرجه البغوي (١٠٨/٣)، وانظر: تفسير مقاتل (٥٢٥/٢).

(٤) أخرجه البغوي (١٠٨/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٨/ب).

(٥) انظر: التذكرة في القراءات الثلاث المتواترة للدكتور محمد سالم محيسن (٣٤٣/١).

(٦) هو: يحي بن وثاب الأسدي تابعي ثقة كبير من العباد الاعلام توفي سنة (١٠٣هـ). انظر: ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري (٣٠٨/٢).

(٧) قراءة شاذة ذكرها أبو حيان في البحر المحيط (١٥/٦) دون تعيين من قرأ بها واكتفى بقوله (وقرأت فرقة).

(٨) قراءة الجمهور انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٩٧/٢).

(٩) انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٩٧/٢).

﴿ **اقرأ كتـبك** ﴾ وفيه إضمار يعني يقال له ﴿ **أقرأ** ﴾ الاية وكان الحسين إذا قرأ هذه الآية قال عدل والله يا ابن آدم من جعلك حسيب نفسك[1].

﴿ **من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه** ﴾ يعني ثواب ما اهتدى لنفسه ﴿ **ومن ضل فإنما يضل عليها** ﴾ يعني عقاب ضلالته عليها نظيره: ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾[2].

قال الله: ﴿ **وما كنا معذبين** ﴾ الآية ما كنا معذبين أمةً من الأمم ﴿ **حتى نبعث** ﴾ إليها ﴿ **رسولاً** ﴾ اتخاذا للحجة عليهم.

قوله: ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية** ﴾ أي أهل قرية ﴿ **أمرنا** ﴾ قرأ أبو رجاء العطاردي[3] أمرنا بالتشديد[4] وقرأ قتادة وأبو حيوة الشامي[5] ويعقوب الحضرمي[6] أمرنا بالمد[7] وقرأ الباقون أمرنا بالتخفيف

---

(١) أخرجه البغوي (١٠٨/٣).

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦.

(٣) هو: عمران بن تيم ويقال: ابن ملحان البصري التابعي الكبير. المتوفى سنة ١٠٥هـ.
انظر ترجمته في: طبقات القراء لابن الجزري (٦٠٤/١).

(٤) قراءة شاذة قرأ بها أبو عثمان النهدي وليث.
انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٧٥).

(٥) هو: شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي الحمصي صاحب القراءة الشاذة ومقرئ الشام توفي عام ٢٠٣هـ.
انظر ترجمته في: طبقات القراء لابن الجزري (٣٢٥/١).

(٦) هو: يعقوب بن اسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي اسحاق أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري أحد القرأ العشرة وإمام أهل البصرة توفى سنة (٢٠٥هـ).
انظر ترجمته في: طبقات القراء لابن الجزري (٣٨٩/٢).

(٧) قرأ بالمد يعقوب، وقرأ الباقون بدون مدّ، انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٩٨/٢).

وأخــــــتـاره أبو حاتم[1] وأبو عبـيد[2]، قـال أبو عـبـيـد وإنما اختـرنا ذلك لأن أمـرنا بالتـخفـيف يتضـمن المعـاني الثلاثة. يكون بمعنى الآمـر ويكون بمعنى الكثـرة ويكون بمعنى التسليط ومنه يقال أمر ومأمور ومؤمرّ.

ومن قـرأ بالتـخفـيف قـال الحسن وقتـادة: أمرناهم بالـطاعة فـعـصوا. ومن قـرأ بالتشديد أراد سلطنا مترفيها.

ومن قرأ ﴿ آمرنا ﴾ بالمد كان معناه التكثير لا غير أى كثرنا مترفيها تقول العرب أمـــر الله مـا له يـعني كـثـره ﴿ مترفيها﴾ يعني رؤسـاءها . وقـيل مُنْعَـمِيـهـا والتَرفـة النعمة،والتتريف بمعنى الإتراف وهما التنعيم .

قال الشاعر[3]:

الموت أخرجني من دار مملكتي ... فالترب مضطجعي من بعد تتريف

أي من بعد تنعيم.

﴿ففسقوا فيها﴾ يعني أفسدوا بالمعاصي فيها ﴿ فحق عليها القول﴾ أي فوجب عليها العذاب.

---

(١) لعله سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد أبو حاتم السجستاني إمام أهل البصرة قيل: أنه أول من صنف في القراءات. توفي سنة (٢٥٥هـ) ويقال سنة (٢٥٠هـ).
انظر ترجمته في: طبقات القراء لابن الجزري (١/٣٢٠).

(٢) القاسم بن سلام بن عبدالله أبو عبيد، قرأ القرآن على أبي الحسن الكسائي وطائفة ، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد وجماعة ، له مصنفات كثيرة منها في غريب القرآن، ومعانية، ونواسخه مات سنة ٢٢٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٤٩٠).

(٣) لم أقف على اسم الشاعر، والبيت ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٥٩/أ).

﴿ فدمرنـها تدميراً ﴾ يعنى أهلكناها إهلاكاً والاسم الدمار تقول العرب عليه الدمار والتبار والبوار وهذه الكنايات راجعةٌ إلى القرية .

﴿ وكم أهلكنا من القرون ﴾ من الأمم الماضية قوم لوط وشعيب وهود وثمود ﴿ من بعد نوح ﴾ بأنواع العذاب.

﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا ﴾ عالماً بظاهر الذنوب ﴿ بصيراً ﴾ عالماً بباطن الذنوب.

قوله: ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ الآية، نزلت هذه الاية فى ثلاثة نفر من ثقيف[١]. فرقد بن ثمامة وأبو فاطمة بن البخترى وجدعان وكانوا حراصاً على الدنيا فأنزل الله ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ يعنى الدنيا والعاجلة نعت الدنيا فعبر بالنعت عن الاسم ﴿ عجلنا له فيها﴾ في الدنيا ﴿ ما نشاء لمن نريد﴾، نظيره ﴿ من كان يريد حرث الأخرة نزد له فى حرثه ﴾[٢].

وقوله: ﴿ من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف إليهم﴾ الآية[٣]. وقوله: ﴿ فأعرض عمن تولى﴾ الآية[٤] وقوله: ﴿ فمن الناس من يقول ربنا ءاتنا فى الدنيا﴾ الآية[٥]

﴿ ثم جعلنا له جهنم يصلـها مذموماً مدحوراً﴾ قال الحسن يعنى أي مطروداً.

---

(١) انظر: تفسير ان حبيب (ق:١٥٩/أ)، ولم يوافق المؤلف وشيخه ابن حبيب فيما أعلم أحد من المفسرين بأن الآية نزلت بسبب كما ذكرا، قال ابن كثير رحمه الله (٥٩/٥): هذه الآية مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات.

(٢) سورة الشورى آية ٢٠.

(٣) سورة هود آية ١٥.

(٤) سورة النجم آية ٢٩. ونص الآية: ﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحيوة الدنيا...﴾.

(٥) سورة البقرة آية ٢٠٠.

قال الحسن: مقصى[1]. قال أبو العالية مبعداً[2].

قوله: ﴿ ومن أراد الأخرة﴾ الآية نزلت في بلال[3] بن رباح مولى أبي بكر الصديق ومهجع بن عبدالله[4] مولى عمر بن الخطاب فأنزل الله فيهما ﴿ ومن أراد الأخرة﴾ الآية.

/ قال ابن عباس: عمل لها عملها[5]. قال القتيبي: السعي العمل مع مشي ٣٠١/ب وإسراع[6] ﴿ وهو مؤمنٌ﴾ مصدقٌ بتوحيد الله ﴿ فأولئك كان سعيهم﴾ يعني عملهم ﴿ مشكوراً﴾ غير مكفور.

﴿كلا نمد﴾ يعنى نعطى ﴿ هـؤلآء﴾ الثلاثة من ثقيف ﴿ وهـؤلآء﴾ يعنى بلالاً ومهجعاً ﴿ من عطآء ربك ﴾ من رزق ربك ﴿ وما كان عطآء ربك محظوراً﴾ يعني وما كان رزق ربك محبوساً ممنوعاً عن عباده.

قوله: ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الرزق ﴿ وللأخرة أكبر درجـٰت وأكبر تفضيلا﴾ يعني تفاوتا فيما بين الدرجات.

﴿ لا تجعل مع الله إلـٰهاً ءاخر﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره ﴿ فتقعد مذموماً﴾ ملوماً تلوم نفسك ﴿ مخذولاً﴾ يخذلك معبودك.

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق/١٥٩/أ).
(٢) انظر نفس المصدر ص١٤٤.
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٩/أ).
(٤) مِهْجَع : مولى عمر بن الخطاب من أهل اليمن . قال ابن هشام: مِهْجَع، من عك بن عدنان. انظر: سيرة ابن هشام (١/٦٨٣، ٧٠٧)، وانظر: أسد الغابة (٥/٢٨٠).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٩/أ) وذكر مثله الطبري دون أن ينسبه إلي أحد (١٥/٤٥) ، والبغوي (٣/١٠٩).
(٦) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٥١٠).

قوله: ﴿ وقضىٰ ربك﴾ الآية قال ابن عباس: أمر ربك[1]. قال الضحاك: حتم ربك[2]. قال الربيع بن أنس: أوجب ربك[3] وقرأ علي بن أبي طالب: ووصى ربك[4].

وكذا هو في مصحف عبدالله بن مسعود[5] ﴿ ألا تعبدوا إلآ إياه﴾ ألا تعبدوا سواه ﴿ وبالوٰلدين إحسٰناً﴾ يعني وأمرنا بالوالدين إحساناً براً بهما وعطفاً عليهما.

﴿ إما يبلغن عندك الكبر﴾ الألف للتثنية والنون للتأكيد واختاره الفراء[6]. وقال إنما اخترت هذا لأنه ذكر الوالدين قبله ومن قرأ يبلغن جعل الفعل موجوداً لتقدمه الاسم.

﴿ أحدهمآ﴾ أحد الأبوين ﴿ أو كلاهما﴾ كلا الأبوين ﴿ فلا تقل لهمآ أف﴾ .

قال ابن عباس: أفٍ كلمه كراهة[7]. قال مقاتل: أف هو الكلام الردىء[8] . قال الحسن ﴿ فلا تقل لهما أفٍ ﴾ أي لا تمتنع من شيء أراداه[9]. قال أبو عبيدة: وأصل

---

(١) أخرجه الطبري (٤٦/١٥)، وأخرجه البغوي (١١٠/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٩/أ).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٩/أ).
(٣) أخرجه البغوي (١١٠/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٥٩/أ).
(٤) أخرج الطبري هذه القراءة عن الضحاك (٤٧/١٥)، وكذا البغوي (١١٠/٣). وذكرها ابن حبيب (ق:١٥٩/أ)، ونسبها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والقراءة شاذة . انظر: شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٧٥، ٧٦) ، ونسبها إلى ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) انظر: تفسير الطبري (٤٧/١٥).
(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (١٢٠/٢).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق: ١٥٩/أ).
(٨) انظر: تفسيره (٥٢٧/٢).
(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٩/أ).

الأف في اللغة الوسخ على الأصـابع إذا فتلته[1]. وكذلك التف مـا يكون في الأصابع وفيه ست لغاتٍ أفٌ وأفِ وأفُ وأفا وأف وأفٍ ومعناه واحد.

﴿ وَلا تنهرهما ﴾ أي لا تزجرهـما ﴿ وقل لهمـا قولاً كريماً ﴾ قـال عطاء : لا تسيئهما ولا تكنيهما[2]. وقل لهـما يا أبتـاه ويا أمـاه نظيره: قـوله: ﴿ لا تجعلـوا دعاء الرسول﴾ الآية[3] بل قولوا يا نبي الله يا رسـول الله. وقوله: ﴿ ولا تجهـروا له بالقول كجهر بعضكم﴾[4] الآية.

﴿واخفض لَهُمَا جَنَاحَ الذُّل مِنَ الرحمة ﴾ وهذا من فصيحات القرآن[5] ومعناه قال مـقاتل: ألن لهـما جناحك[6]. قال سعيد بن جبير: اخضع لهـما[7]. وقرأ الحسن البصري واخفض لهـما جناح الذل بكسر[8] الذال أي لا تستـصعب معهـما لأن الذل بضم الذال ضد العز وبكسر الذال ضد الصعوبة.

﴿ وقل رب ارحمـهمـا كما ربياني صغيراً ﴾ إن كـانا مسلمين ، فإذا كـانا مشركين فـهي منسـوخة بقـوله: ﴿ مـا كـان للنبي والذين ءامنوا أن يسـتغـفـروا

---

(١) البغوي (٣/١١٠)، وابن حبيب (ق:١٥٩/أ).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٩/أ)، عن عطاء، وأخرج مثله البغوي (٣/١١٠) عن مجاهد.

(٣) سورة النور آية ٦٣.

(٤) سورة الحجرات آية ٢.

(٥) هذا القول لا يصح لأنه يفهم منه أن في القرآن فصيح وغير فصيح وهذا خطأ إذ القرآن كله في منتهى الفصاحة والبلاغة.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٢٨).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٥٩/ب) بهـذا اللفظ، وأخرج الطبري عن سعيد بن جبير بلفظ: «كن لهما ذليلاً ولا تكن لهما ذلولاً» (١٥/٤٩).

(٨) قراءة شاذة مروية أيضاً عن سعيد بن جبير وغيره. انظر: شواذ القرآن لابن خالويه (ص:٧٦).

للمشركين﴾[1] **﴿ ربكم أعلم بما فى نفوسكم﴾** يعنى من الوالدين وعقوقهما.

﴿ إن تكونوا صـلحين﴾ أعِفَّاء أتقياء **﴿ فإنه كان﴾** فإن الله كان **﴿ للأوبين غفوراً﴾** قال ابن عباس: الأواب الرجاع[2] إلى الله . قال عبيد بن عمير[3]: سألت عائشة عن الأواب فقالت الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب[4]. قال سعيد بن جبير: **﴿ فإنه كان للأوبين ﴾** يعنى للمسبحين[5] نظيره: **﴿ يـجبال أوبى معه ﴾**[6] أى سبحى معه.

قال مجاهد: الأواب الذى يتذكر ذنبه فى الخلاء فيستغفر منه[7]. قال قتادة: **﴿ للأوبين ﴾** يعنى للمطيعين[8].

قوله: **﴿ وءات ذا القربى حقه ﴾** يعنى واعط الأقرباء (حقهم) يعنى بالصلة **﴿ والمسكين ﴾** أمر بالاحسان إلى المسكين **﴿ وابن السبيل ﴾** أمر باكرام الضيف

---

(١) سورة التوبة آية ١١٣.
وقال البغوي: قال ابن عباس: هذا منسوخ بقوله: **﴿ ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾** انظر: تفسيره (٣/١١١).

(٢) أخرجه البغوي (٣/١١١).

(٣) هو: عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسر، ولد في حياة الرسول ﷺ حدث عن عائشة وغيرها من كبار الصحابة كان من ثقات التابعين مات قبل ابن عمر بايام يسيرة، وقيل توفي سنة ٧٤هـ.
انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤/١٥٦)، وتقريب التهذيب (١/٥٤٤).

(٤) كذا عند ابن حبيب (ق:١٥٩/ب)، وأخرج الطبري مثله عن عبيد بن عمير موقوف عليه دون رفعه إلى عائشة رضي الله عنها (١٥/٥٢).

(٥) أخرجه البغوي (٣/١١١) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) سورة سبأ آية ١٠.

(٧) أخرجه الطبري (١٥/٥٢).

(٨) أخرجه الطبري (١٥/٥١).

النازل وقيل إبن السبيل يعنى مار الطريق.

﴿ **ولا تبذر تبذيراً**﴾ يعنى لا تنفق في معصية الله إنفاقا ﴿ **إن المبذرين**﴾ المنفقين فى معصية الله ﴿ **كانوا إخون الشيـطين**﴾ وأعوانهـم أى أعوان الشيـاطين ﴿ **وكان الشيطـن لربه كفوراً**﴾ يعنى كافراً لنعماء ربه.

قوله: ﴿ **وإما تعرضن عنهم**﴾ الآية نزلت هذه الآية فى مهجع وبلال وسالم مولى أبى حذيفة وخباب بن الأرت وصهيب بن سنان كانوا يسألون النبي ﷺ فى الأحايين ما يحتاجون إليه ولا يجد لها متسعاً فيعرض عنهم حياءً منهم فأنزل اللـه[١] ﴿ **وإما تعرضن عنهم** ﴾ يا محمد عن هؤلاء الذين ذكرناهم ﴿ **ابتغاء رحمةٍ من ربك**﴾ إنتظار نعمةٍ من ربك ﴿ **ترجوها** ﴾ أن تأتيك ﴿**فقل لهم قولاً ميسوراً**﴾ يعنى عدهم عدةً جميلةً.

قوله: ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة** ﴾ قال جابر بن عبدالله: بينما رسول الله ﷺ قاعداً فيما بين أصحابه أتاه صبى فقال يا رسول الله إن أمى تستكسيك درعاً ولم يكن عند رسول الله إلا قميصه فقال النبي ﷺ للصبى يظهر من ساعةٍ إلى ساعةٍ فعد وقتا من الأوقات فعاد إلى أمه فقالت قل إن أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل رسول الله ﷺ داره ونزع قميصه وقعد عاريا فأذن بلال للصلاة وانتظروا فلم يخرج [فانشغل][٢] قلوب الصحابة فدخل عليه بعضهم فرآه عارياً فأنزل الله: ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك**﴾ يعنى لا تبخل[٣] بما فى يدك فتكون كالمغلول يده.

---

(١) ذكره البغوي (٣/١١٢)، وابن حبيب (ق:١٥٩/ب).

(٢) كذا في الأصل، وعند ابن حبيب (ق:١٥٩/ب) بلفظ فَشَغَل وكذا عند البغوي (٣/١١٢). والواحدي في اسباب النزول (ص:٢٩٥) وهو الصواب.

(٣) أخرجه البغوي (٣/١١٢) وذكره الواحدي في اسباب النزول (ص:٢٩٥). وابن حبيب (ق:١٥٩/ب)، والسمرقندي في تفسيره (٢/٢٦٦، ٢٦٧). لم أقف عليه عند غير هذه المصادر، ومتن الحديث يدل على عدم صحته والله أعلم.

﴿ ولا تبسطها كل البسط﴾ فتعطى جميع ما تملك حتى قميصاً يكون عليك ﴿فتقعد ملوماً﴾ فتبقى عن الصلاة حتى يلومك الناس ﴿ محسوراً﴾ عارياً لا تقدر أن تخرج من العرى.

﴿ إن ربك يبسط الرزق لمن يشآء﴾ يعنى يوسع ﴿ ويقدر﴾ يعنى ويقتر ﴿ إنه كان بعباده﴾ بصلاح عباده بالبسط والتقتير ﴿ خبيراً بصيراً﴾ يعنى عالماً.

قوله: ﴿ ولا تقتلوا أولـدكم﴾ نزلت هذه الآية فى خزاعة وكانوا يدفنون بناتهم أحياء[1] ﴿ خشية إملـق﴾ مخافة العيلة والفقر والإملاق المصدر والإسم الملق .

﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ يعنى الأولاد وإياكم.

﴿ إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾ ذنباً عظيماً فى العقوبة.

﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فحشةً ﴾ معصيةً ﴿ وساءَ سبيلاً ﴾ قال ابن عباس بئس المسلك[2]. وقال بعضهم: وقبح الطريق طريق الزنا[3]، ﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ﴾ قتلها وهى نفس مؤمن، ﴿ إلا بالحق ﴾ يعنى بما أباح الله قتلها، وهى الإرتداد، والقصاص، والرجم والدليل عليه قوله ﷺ « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل زنا بعد إحصانه فعليه الرجم، أو قتل عمداً فعليه القود [أ][4]

(١) الآية عامة في النهي عن قتل الأولاد خشية الفقر أو العيلة وليست خاصة بخزاعة أو غيرهم، والمؤلف رحمه الله تعالى كثيراً ما يعمد إلى تخصيص الآيات بدون مخصص وذلك من المآخذ عليه.

(٢) لم أقف على نسبته لابن عباس رضي الله عنهما. وفسره ابن كثير بهذا المعنى (٥/٩٦).

(٣) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٥٩/ب)، ولم ينسبه لأحد.

(٤) الالف ساقطه من الأصل تم استدراكها من كتب السنة.

وارتد بعد إسلامه فعليه القتل، الخبر[1].

﴿ ومن قتل مظلوماً﴾ بالتعمد ﴿ فقد جعلنا لوليه﴾ لولى المقتول ﴿ سلطـناً ﴾ عـذراً وحـجـةً على القـاتل إن شـاء عفـا وإن شـاء قـتل وإن شـاء أخـذ الـدية ﴿ فلا يسرف[2] ﴾ فى القتل أيها القاتل.

ومن قرأ بالياء كـان نهيا للقاتل غـائباً، قال ابن كيسـان: وهو قـول حسن ﴿ فلا تسرف فى الـقتل ﴾ أيها القـاتل، لا تمثل بالمقتـول، فتـجب المذاكيـر وتجدع الأنوف والأذان[3].

قـال ابن عبـاس: هذا النـهى لولى المقـتـول، أى لا تقـتل أيهـا الولى بالواحـد / اثنين[4]. ٣٠٢/أ

قال مـقـاتل: لا تقـتل أيها الولى غير الـقاتل[5]، ﴿ إنه ﴾ ، إن الـذى ذكرت ﴿ كان منصوراً﴾ يعنى لمن لم يقتل ولا يعفو.

---

(١) رواه أبو داود عن عـائشـة رضي الله عنهـا . كـتـاب الحـدود باب الحكم فـيـمن ارتد حـديث رقم ٤٣٥٣، (٤/٥٢٢، ٥٢٣)، والنسائي (٧/٩١، ٩٢) كتاب تحريم الدم.
وأصله في الصحيحين من رواية مسروق عن عبدالله قال ﷺ : «لا يحل دم أمرء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة، أخرجه البخاري في صحيحه (٨/٣٨) كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ أن النفس بالنفس﴾ ، ومسلم (٣/١٣٠٢) برقم (١٦٧٦).

(٢) قرأ بالتاء حمزة والكسائي ، وقرأ الباقون بالياء، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٤٩٩).

(٣) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق: ١٦٠.أ).

(٤) ذكـره ابن حبـيب (ق: ١٦٠/أ)، وفي الوسيـط للواحـدي مثله عـن مجـاهد (٣/١٠٧)، وأخـرج البغوي مثله عن سعيد بن جبير (٣/١١٣).

(٥) انظر: تفسيره (٢/٥٣٠).

﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ﴾ يعنى إلا بالسبل التى هى أحسن ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ خمس عشرة سنة وثمانى عشرة سنة وقد مر ذكره وتفسيره في سورة الأنعام[1].

﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ وأتموا بالعهد لله فيما بينكم وبين الناس ﴿ إن العهد ﴾ إن ناقض العهد ﴿ كان مسؤلاً ﴾ عن نقضه يوم القيامة ﴿ وأوفوا الكيل ﴾ وأتموا الكيل ﴿ إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ فيه لغتان ضم القاف وكسرها[2].

قال وهب: وهو القبان[3] بلغة الروم وهذا خطأ إذ لا يجوز أن يكون فى القرآن سوى العربية ولكنها لغة رومية وافقت العربية. كالطور إسم جبل بالسريانية ولكنه وافق العربية ﴿ ذلك ﴾ الوفاء بالكيل والوزن والعهد ﴿ خيرٌ ﴾ من النقض والبجس ﴿ وأحسن تأويلا﴾ وأحسن عاقبةً.

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ أي ولا تتبع ما ليس لك به علمٌ ، وتقول العرب قفوت الأثر إذا تتبعته .

﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولـئك كان عنه مسؤلاً﴾ يوم القيامه.

﴿ ولا تمش فى الأرض مرحاً﴾ يعنى: بالأشر والتكبر، والفعل منه مرح يمرح مرحاً فهو [مريح][4].

(١) عند قوله تعالى: ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده ...﴾ الآية سورة الأنعام ١٥٢.

(٢) قرأ بكسر القاف حمزة والكسائي وحفص، وضمها الباقون . انظر: التذكرة لابن غلبون (٤٩٩/٢).

(٣) قال صاحب اللسان: والقبّانُ: الذي يوزن به، لا أدري أعربي أم معرب.
انظر: اللسان لابن منظور (١٤/٣).

(٤) كذا في الأصل ولعل الصواب: [مرح].

﴿ إنك لن تخرق الأرض﴾ بأشرك ﴿ ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ بكبرك ﴿ كل ذلك ﴾ كل ما نهيتك عنه ﴿ كان سيئه ﴾ قبيحة ﴿مكروها﴾ ﴿عند ربك﴾ مقدمٌ ومؤخرٌ ﴿ ذلك ﴾ يعني الانتهاء عن نهيه والائتمار بأمره ﴿ مما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾ من القرآن ومواعظه.

﴿ ولا تجعل مع الله إلـٰهاً ءاخر ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره.

﴿ فتلقى فى جهنم﴾ فتطرح في جهنم ﴿ ملوماً﴾ تلوم نفسك ﴿ مدحوراً﴾ مقصاً مبعداً من كل خير.

﴿ أفأصفـٰكم ربكم بالبنين﴾ والألف ألف التوبيخ ﴿ واتخذ من الملـٰئكة إنـٰثاً﴾ أي بنات .

﴿ إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾ حين تصفون الله بالبنات، قال الله: ﴿ ولقد صرفنا﴾ بينا ﴿ فى هـٰذا القرآن﴾ يعني العبر، والأمثال، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، والأمر، والنهي، والحدود والأحكام، ﴿ ليذكروا﴾ ليتعظوا فيعتبروا ﴿وما يزيدهم﴾ ذكرك وقرآءتك يا محمد، ﴿ إلا نفوراً ﴾ تباعداً عن الإيمان.

وروى في الخبر أن سفيان[1] كان إذا قرأ هذه الآية يقول: إلـهى زادني لك خضوعاً، ما زاد أعداءك نفوراً ﴿ قل﴾ يا محمد ﴿ لو كان معه ءالهـة كما يقولون إذاً لابتغوا﴾ طلبوا ﴿ إلى ذى العرش سبيلاً﴾ يعني لقهروه وغلبوه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض.

قـــال قـــتادة: ﴿ لابتغوا إلى ذى العرش سبيلاً ﴾ يعني تقربوا إليه وتوسلوا[2]

(١) هو: سفيان الثوري نص عليه أبو القاسم بن حبيب في تفسيره وذكر هذه الرواية (ق: ١٦٠/أ).

(٢) أخرجه الطبري (٦٤/١٥) بلفظ: «إذاً لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم فابتغوا ما يقربهم إليه» وأخرجه البغوي (١١٦/٣).

﴿ سبحـٰنه﴾ نزه نفسه عن أن يكون معه ألهةٌ ﴿ وتعـٰلىٰ﴾ وارتفع ﴿ عما يقولون﴾ من الشرك ﴿ علواً﴾ أعلى كل شيء ﴿ كبيراً﴾ أكبر من كل شيء.

﴿تسبح له﴾ قال ابن عباس: في إحدى رواياته: تخضع له ﴿السمٰوٰت السبع والأرض ومن فيهن﴾(١).

قال مقاتل: يذكره السموات السبع والأرض ومن فيهن(٢).

﴿ وإن من شيء﴾ قال بن عباس: وما من شيء حي وله روح ﴿ إلا يسبح بحمده ﴾(٣).

قال الحسن: التراب يسبح فإذا لبن أي صير لبنا ترك التسبيح(٤).

قال عطاء: الشجر والنبات يسبحن فإذا قطعن تركن لأنهن أحياء ما لم تقطع فإذا قطعت صارت في [عدد](٥) الأموات ﴿ ولـٰكن لا تفقهون تسبيحهم﴾/ أى لغتهم، وقيل: ﴿ ولـٰكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ لأنه ليس ينطق. وتسبيحهم يا حليم يا غفور فلهذا قال: ﴿ إنه كان حليما غفوراً﴾ لمن تاب عن وصف الله بالشركاء والبنات قال مقاتل: ﴿ إنه كان حليماً غفوراً﴾ حين لم يعجل عليهم بالعقوبة(٦).

٣٠٣/أ

قوله: ﴿ وإذا قرأت القرءان ﴾ الآية نزلت في أبي جهل وأبي البختري بن عمر وبن هشام وزمعه بن الأسود وحويطب بن عبدالعزي كانوا يؤذون رسول

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٦٠/أ).
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٣٢).
(٣) أخرجه البغوي (٣/١١٦)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٦٠/أ).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق: ١٦٠/أ). وأخرج البغوي مثله عن المقدام بن معد يكرب (٣/١١٦، ١١٧).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق: ١٦٠/أ). وكذا في الأصل، ولعله في (عداد الاموات).
(٦) انظر: تفسيره (٢/٥٣٣).

الله ﷺ[١] فإذا قرأ القرآن صرف معرّتهم فذلك قوله: ﴿ **وإذا قرأت القرءان جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالأخرة حجاباً مستوراً** ﴾ يعنى ساتراً مفعول فى معنى فاعل ونظيره: ﴿ **إنه كان وعده مأتياً**﴾[٢] أى آتياً.

قال قتادة: تفسير الحجاب المستور قوله: ﴿ **وجعلنا على قلوبهم أكنة**﴾ أغطيةً وأحدها كنان ونظيره: ردآء وأردية، وكساءً وأكسيةً ﴿ **أن يفقهوه**﴾ يعنى لكيلا يفقهوه ﴿ **وفى ءاذانهم وقراً**﴾ يعنى ثقلاً وصمماً لكيلا يسمعوه وهذه الآية ردٌّ على المعتزلة لأنهم يقولون: إن الكفر من العبد والإيمان من الله. فبين الله فيها أن الكفر والإيمان من الله رداً على قولهم ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرءان وحده**﴾ يعنى إذا قلت لا إله إلا الله ﴿ **ولوا على أدبرهم نفوراً**﴾ أى هربوا.

قوله: ﴿ **نحن أعلم بما يستمعون به**﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ أمر [عليًّ][٣] بن أبى طالب أن يتخذ لهؤلاء الذين سميناهم طعاماً فيدعوهم إليه ففعل ذلك فدخل عليهم رسول الله ﷺ فقال قولوا لا إله إلا الله لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم فخرجوا ولم يقولوا فقال النضر بن الحارث: ما أرى محمداً يقول شيئا إلا أنه يحرك شفتيه فقال أبو جهل: هو مجنونٌ. قال حويطب: هو كاهنٌ. قال زمعةٌ: هو شاعرٌ. ثم أتوا الوليد بن المغيرة، فشاوروه فى أمره فقال: هو ساحرٌ فأنزل الله[٤] ﴿ **نحن أعلم بما يستمعون به**﴾ إلى قراءة القرآن ﴿ **إذ يستمعون إليك** ﴾ حين تدعوهم إلى الشهادة. ﴿ **وإذ هم نجوى**﴾ أى متناجون فى أمرك يقول بعضهم ساحر ويقول

(١) كذا عند ابن حبيب في تفسيره (ق: ١٦٠/أ، ب).

(٢) سورة مريم آية ٦١.

(٣) في الأصل: [علي].

(٤) ذكره ابن حبيب (ق: ١٦٠/ب)، والطبري (١٥/٦٩)، والواحدي في الوسيط (٣/١١١)، والقرطبي (١٠/٢٧٢)، والبحر المحيط (٦/٤٣، ٤٤).

بعضهم كاهن ويقول بعضهم مجنون ويقول بعضهم شاعر.

والنجوى: مصدر، ويكون المصدر إسماً للجمع، فيقال ناجيت نجوى، وقوم نجوى، أي متناجون، كقولهم: ركعت ركوعاً، وسجدت سجوداً، وقوم ركوع، وسجود، أي راكعون وساجدون، ﴿ إذ يقول الظـٰلمون﴾ يعني الوليد بن المغيرة ﴿إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ مخدوعاً . وقيل: ﴿ مسحوراً﴾ مغلوب العقل.

﴿ انظر﴾ يا محمد ﴿ كيف ضربوا لك الأمثال﴾ كيف شبهوك بالمسحور، حين سموك مجنونا وكاهنا وساحراً، ﴿ فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ يعني لا يستطيعون أن يأتوا بحجة على ما قالوا، ﴿ وقالوا أءذا كنا عظـٰماً﴾ ، بعد الموت، ﴿ورفـٰتا﴾ يعني ما بلى من العظام يقال رفت العظم إذا بلى .

﴿أءنا لمبعوثون﴾ لمحيون ﴿ خلقاً جديداً﴾ بعد البلى قال الله مجيباً لهم ، ﴿قل﴾ يا محمد ﴿ كونوا حجارة أو حديداً﴾ لفظه لفظ الأمر ومعناه توبيخٌ، لأنه لم يكن إليهم أن يصيروا حجارة أو حديداً.

قال مقاتل: ﴿ كونوا حجارة﴾ في القوة ﴿ أو حديداً﴾ في الشدة[1] ﴿ أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم﴾ يعني: أو كونوا جبالاً في الشدة إن قدرتم، فإنا نميتكم.

قال ابن عباس ومقاتل والضحاك والحسن[2]: ﴿ أو خلقا مما يكبر فى صدوركم﴾ يعني الموت إن قدرتم فإنا نميتكم ﴿ فسيقولون﴾ يعني كفار مكة ﴿ من يعيدنا﴾ أحياء بعد الموت ﴿ قل الذى فطركم أول مرةٍ ﴾ يعني: قل يا محمد

(١) انظر: تفسيره (٥٣٤/٢).

(٢) انظر هذه الأقوال أخرجها الطبري في تفسيره (٦٨/٥، ٦٩)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٣٥/٢).

يعيدكم الذى خلقكم أول مرةٍ في بطون أمهاتكم.

﴿ **فسينـغضون إليك رءوسهم** ﴾ إستهزاءً قال قتادة: يهزؤن[١].

قال بعضهم: يميلون إليك رؤسهم[٢] يعـني يحركون إليـك رؤسـهم إستهـزاء ﴿ **ويقولون متىٰ هو**﴾ يعني البعث بعد الموت ﴿ **قل**﴾ لهم يا محمد ﴿ **عسىٰ أن يكون قريباً**﴾ يعني البعث نظيره ﴿ **لعل الساعة تكون قريباً**[٣]﴾ و ﴿ **لعل الساعة قريبٌ**﴾[٤] ﴿ **يوم يدعوكم** ﴾ يعني ذلك البعث في يوم يدعوكم إسرافيل من قبوركم ﴿ **فتستجيبون بحمده** ﴾ أي تخرجون من قبوركم تحمدونه حيث لا ينفعكم الحمد ﴿ **وتظنون إن لبثتم إلا قليلا**﴾ معناه وتظنون إنكم لم تلبثوا في الدنيا والقبر إلا قليلاً، يعني: مدة يسيرة.

قال مقاتل: وكان هذا في النفخة الأخيرة حين ينفخ إسرافيل في الصور والخلق كلهم أموات فيقول أيتها اللحوم المتفرقة وأيتها الجلود المتمزقة وأيتها الأوصال البالية وأيتها العظام النخرة وأيتها العروق المتبددة وأيتها الشعور المنبثة قوموا إلى محاسبة رب العزة[٥].

قوله: ﴿ **وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن**﴾ نزلت هذه الآية في عمر[٦] بن الخطاب وذلك أن رجلاً من العرب شتمه فأمره الله بالصفح والعفو وأنزل فيه ﴿ **وقل**

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/٦٩، ٧٠) بلفظ: «فيهزون إليك رؤسهم برفع وخفض» وفي رواية أخرى: «يحركون رؤسهم تكذيباً واستهزاء».

(٢) نقله ابن حبيب في تفسيره (ق: ١٦٠/ب). وقال: رأيت في بعض المعاني يميلون إليك رؤسهم.

(٣) سورة الاحزاب جزء من الآية ٣٦.

(٤) سورة الشورى جزء من الآية ١٧.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٣٥) مع اختلاف يسير في بعض العبارات.

(٦) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٩٥)، والبغوي (٣/١١٩)، وانظر: تفسير السمرقندي (٢/٢٧٢).

لعبادى﴾ يا محمد **﴿يقولوا التى هى أحسن﴾** يعنـي الكلمـة التـــي هي أحسن إذا أوذوا نظـيره: **﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة﴾**(١) **﴿ وإذا خاطبهم الجٰهــلون قـالوا سلاماً﴾**(٢).

﴿إن الشــيطٰن ينزغ بينهم﴾ يعني يوســـــوس بينـهم **﴿إن الشـيطٰن كـان للإنسٰـن عدواً مبيناً﴾** يعني: ظاهر العدواة.

﴿ ربكم أعلم بكم إن يشـأ يرحـمكم أو إن يشأ يعـذبكم ﴾ قيل: رحـمة الله أقرب إلى عباده لأنه قدم الرحمة على العـذاب . وقيل: لأنه قرن رحمته بشرط واحد وقرن العذاب بشرطين وهو **﴿أو﴾** و **﴿ إن ﴾** **﴿ ومآ أرسلنٰـك ﴾** يا محمد **﴿ عليهم وكيلاً﴾** حـفيظاً نسـختــها آية القـتـال(٣) **﴿ وربك﴾** يا مـحـــمـد **﴿ أعلـم بمن فـى السـمٰوٰت والأرض﴾** عـددهم وأخلاقـهم وأقـوالهم وأحـوالهم وإختـلاف ألسنتـهم وألوانهم.

﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ فسخرنا لبعضهم النار، وهو إبراهيم ، ولبعـضهم الريح، وهو سليـمان، وألنا لبـعضهم الحـديد، وهو داود، وجعلنا بعـضهم يبرئ الأكـمه والأبرص ويشـفي ويحيي الموتـى وهو عيسى. نـظيره: **﴿ تلك الـرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾** الآية(٤).

﴿ وءاتينا داود زبوراً﴾ يعني كتاباً ليس فيـه فرض ولا شيء من الشرائع إنما هو

---

(١) سورة الرعد آية ٢٢.

(٢) سورة الفرقان آية ٦٣.

(٣) قال البغوي في تفسيره (١١٩/٣). قيل: «نسختها آية القتال»أهـ.
والصواب أن الآية محكمة وليست منسوخة لأنـه لا تعارض بين الآيتين. وقد ردّ دعوى النسخ فيها ابن الجوزي في نواسخ القرآن (ص:٣٩٢).

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٣.

حمد وثناء[1].

﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ﴾ يعني إدعيتم أنهم ألهة إدعوهم إذا حدث لكم أمراً ﴿ فلا يملكون ﴾ يعني الألهة ﴿ كشف الضر عنكم ولا تحويلا ﴾ يعني ما أصابهم من القحط سبع سنين.

قوله: ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون ﴾ الآية نزلت هذه الآية في الذين كانوا معبودهم مسلماً، وعابدهم كافراً، قال ابن مسعود: وكان ناس من الإنس يعبدون الجن فأسلم الجن وبقى الأنس على عبادتهم فأنزل الله في الجن الذين أسلموا ﴿ أولئك يدعون ﴾ الآية[2].

قال ابن عباس: ﴿ أولئك الذين يدعون﴾ يعني عيسى وأمه وعزيراً وذلك أن النصارى قالوا إن عيسى ابن الله واليهود قالوا عزيراً ابن الله[3] فأنزل الله ﴿ أولئك الذين يدعون﴾.

قال الضحاك وعطاء: ﴿ أولئك الذين يدعون﴾ يعني الملائكة[4].

﴿ يبتغون﴾ يطلبون ﴿ إلى ربهم الوسيلة﴾ يعني القربة ﴿ أيهم أقرب﴾ إلى الله ﴿ ويرجون رحمته﴾ رحمة الله .

﴿ ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ أي حق أن يحذر عذابه.

قوله: ﴿ وإن من قرية ﴾ أي ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم

(١) قاله ابن حبيب في تفسيره (ق:١٦١/أ)، والبغوي (١٢٠/٣).
(٢) أخرجه الطبري (٧٢/١٥)، والبغوي (١٢٠/٣).
(٣) أخرجه الطبري (٧٣/١٥)، ونقله ابن كثير (٨٦/٥)، والبغوي (١٢٠/٣).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٦١/أ)، والبغوي (١٢٠/٣).

القيــمة﴾ قال ابن عباس: ﴿ إلا نحن مهلكوها﴾ بالعذاب والسيف والزلازل قبل يوم القيامة[١]. أما الصالحـة فبالموت ، وأما الطالحة فبالعذاب ﴿ أو معذبوها عذاباً شديداً ﴾ بالموت الذريع يعنى السـريع ﴿ كـان ذلك فى الكتب مسطوراً﴾ يعنى كـان مـوت الصالحة وعذاب الطالحة مكتوبا فى اللوح المحفوظ.

قوله: ﴿ ومـا منعنـا أن نرسل بالآيـــت إلا أن كـذّب بهـا الأولون﴾ وذلـك أن عبدالله بن أبى أمـية المخزومى والحارث بن هشام بن أبي المغـيرة قالا للنبي ﷺ أرنا آية نؤمن بك وهو الذى ذكر الـله فى هذه السورة. ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾[٢] فأنزل الله ﴿ وما منعنا أن نرسل بالأيـــت ﴾ إلا تكذيبهم ومن سبـقنا فى الأمم الماضيـة إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنـوا أن [نأخذهم][٣] ولا نناظـرهم ، قال سمعت ابن حبيب يقـول سمعت أبا بكر بن عبدش يقول: ﴿ ما منعنا﴾ معناه: ما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين فأراهم أن تأخير العذاب إنما وقع لهذا الشأن[٤] ثم قال: ﴿ وءاتينا ثمود الناقة﴾ يعنى واعطينا ثمود الناقة ﴿ مبصرة ﴾ قال الضحاك: ظاهرة[٥]. قال الأخفش: بينة[٦]. قال الفراء : أى يـصر بها[٧] وهو كما يقـال سر كاتمٌ وليلٌ نائم أى يكتم وينام فيه. ﴿فظلموا بها﴾ أى فجحدوا بالناقة أنها من عند الله .

قال الله: ﴿ وما نرسل بالآيـــت ﴾ بالدلائل والعلامات ﴿ إلا تخويفا ﴾ حتى إن لم يؤمنوا عذبوا. ﴿ وإذ قلنا لك﴾ يا محمد ﴿ إن ربك أحاط بالناس ﴾ قال ابن

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦١/أ)، والسمرقندي دون عزو (٢/٢٧٤).
(٢) سورة الإسراء آية ٩٠.
(٣) في الأصل: بالياء، والصواب ما أثبته ، انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦١/أ).
(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦١/أ).
(٥) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٦١/أ).
(٦) انظر: معاني القرآن للأخفش (/٦١٤).
(٧) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٢٦)، وذكره ابن حبيب (ق/١٦١/أ).

عباس: يعنى أحاط علمه بالناس فلا يخفى عليه شيء منهم[١].

وقال مجاهد: ﴿ إن ربك أحاط بالناس﴾ أى هم في قبضته[٢].

قال قتادة: أحاط بالناس أي يمنعك منهم ويحوطك[٣] .

قال الحسن : أحاط بالناس أي عصمك منهم[٤].

قال مقاتل: ﴿ إن ربك أحاط بالناس﴾ يعني فتح مكة[٥] وبه يقول الفراء[٦].

﴿ وما جعلنا الرءيا التي أرينـٰك﴾ في ليلة الإسراء ما كانت رؤيا منام وإنما كانت رؤية عين. ﴿ إلا فتنةً للناس﴾ إلا بليةً للناس، يعني تصديقهم وتكذيبهم وفتنتهم الذى ذكرنا فى أول السورة حين أخبرهم النبي ﷺ بالمعراج، فكذبوه واستهزؤا به ﴿ والشجرة الملعونة فى القرءان ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، معنا: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، معناه: والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن وهي شجرة الزقوم . نظيره: ﴿ إن شجرت الزقوم طعام الأثيم﴾[٧] يعني الفاجر وقوله: ﴿ إنها شجرةٌ تخرج فى أصل الجحيم﴾[٨]. وقوله: ﴿ثم إنكم أيها الضالون المكذبون﴾[٩] الآية.

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٦١/أ).

(٢) أخرجه الطبري (١٥/٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/٧٦)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٦١/أ).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/٧٥).

(٥) انظر: تفسيره (٢/٥٣٨).

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٢٦).

(٧) سورة الدخان آية ٤٣ .

(٨) سورة الصافات آية ٦٤ .

(٩) سورة الواقعة آية (٥١، ٥٢).

وأما فتنة الزقوم لهم قال بن عباس: فجمع أبو جهل رجال قريش وقال لهم ألا ترون إلى محمد يزعم أن في النار ينبت الشجر وأنتم تعلمون أن النار تحرق الشجر، ويخوفنا بالزقوم فما تقولون في الذقوم فقال عبدالله بن الزبعري[1] إنها الزبد والتمر بلغة بربر وهو إسم قبيلة.

فقال أبو جهل: يا جارية زقمينا فأتت الجاريه بالزبد والتمر فقال تزقموا فإن محمداً يخوفكم بها[2].

وقال الله﴿ ونخوفهم﴾ بالزقوم والعذاب ﴿ فما يزيدهم﴾ تخويفنا بالعذاب والزقوم ﴿ إلا طغيـٰنا كبيراً﴾ يعني تجاوز عن الحد.

قوله: ﴿ وإذ قلنا للملـٰئكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس﴾ ﴿ قال﴾ يعني إبليس ﴿ ءأسجد لمن خلقت طينا﴾ يعني لمن خلقته من طين ﴿ قال﴾ إبليس لله تعالى ﴿ أرءيتك هذا الذى كرمت على﴾ فضلت على بالسجود وهو آدم ﴿ لئن أخرتن إلى يوم القيـٰمة لأحتنكن ذريته﴾ قال ابن عباس: لأستأصلن أولاده[3]، وقال مقاتل: لأحتوين[4]، قال السدّي: لأستميلن[5]، وقال بعضهم: لأسننزلن[6]. قال أبو عبيدة:

---

(١) هو: عبدالله بن الزبعري بن عدي بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.
انظر: سيرة ابن هشام (٥٧/١).

(٢) أخرجه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره (٧٨/١٥، ٧٩)، والبغوي (١٢٢/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦١/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦١/ب)، وقال به البغوي دون أن يعزوه لأحد (١٢٢/٣).

(٤) انظر: تفسيره (٥٣٩/٢).

(٥) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦١/ب).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٦١/ب).

لأستولين[١]. قال قتادة: لأجتاحن[٢]. قال ومنه يقال: إحتنك الجراد الزرع إذ لم يبق منه شيئا ﴿ إلا قليلا ﴾ يعني إلا عبادك المخلصين. وهم الذين إستثناهم الله في قوله: ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطـــن ﴾ .

﴿ قال اذهب ﴾ يعني قال الله لإبليس اذهب ﴿ فمن تبعك منهم فإن جهنم جزآؤكم جزآءً موفوراً﴾ وافراً تاما. ثم قال الله لإبليس: ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ هذا أمر توبيخ وتقريع ﴿واستفزز﴾ أي إستنزل، وقيل: إستمل ﴿ من استطعت﴾ الآية. قال ابن عباس: بندائك[٣]، قال قتادة: بدعائك[٤]، قال مجاهد: بصوتك يعني بالغناء[٥]، وهو صوت الطنابير والمزامير والبرابط وكل داعٍ إلى غير طاعة الله فهو من جند إبليس.

﴿وأجلب عليهم بخيلك ﴾ ، قال ابن عباس: إجمع عليهم[٦]، قال مقاتل: إستعن عليهم بركبانك، ﴿ ورجلك ﴾[٧] يعني رجالتك وهو جمع راجل وهو غريب ونظيره: تاجر وتجرٌ وراكب وركب ولأن الركبان أرؤس القوم وراجل القوم أضعف القوم.

قال ابن عباس: كل راكب في معصية الله فهو من جند إبليس وكل ماش في

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٦١/ب).
(٢) ذكر مثله ابن حبيب في تفسيره وعزاه إلى الأخفش (ق: ١٦١/ب).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق: ١٦١/ب).
(٤) أخرجه الطبري (١٥/٨١)، والبغوي (٣/١٢٣).
(٥) أخرجه الطبري (١٥/٨١)، والبغوي (٣/١٢٣).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق: ١٦١/ب). وقال بمثله الطبري في تفسيره دون عزو (١٥/٨١).
(٧) انظر: تفسيره (٢/٥٤٠).

معصية الله فهو من رجالة إبليس(١).

﴿ وشاركهم﴾ الآية قال ابن عباس: ﴿ وشاركهم فى الأموٰل ﴾ يعني: الحرث والأنعام والبحاير والسيب وما حرموا وحللوا(٢) ﴿ والأولـٰد﴾ يعني: أولاد الزنا .قال عطاء: شاركهم في الأموال يعني: احملهم على جمع الحرام(٣).

قال الحسن: ﴿ وشاركهم فى﴾ حتى يكسبوها من غير وجه وينفقونها من غير وج(٤) ﴿ والأولـٰد﴾ أولاد الزنا ﴿ وعدهم﴾ أن لاجنة ولا نار ولا بعث، وقيل: منهم الجميل بهذا . ثم قال: ﴿ وما يعدهم الشيطـٰن إلا غروراً﴾ ، إلا باطلاً ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطـٰن﴾ يعني الذى ذكرت هذا لك على الكافرين فأما عبادي المؤمنين المخلصين فليس لك عليهم سلطان غلبةٌ، كما قال الله حاكيا عن إبليس ﴿لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾(٥) .

﴿ وكفىٰ بربك وكيلاً﴾ يعني حافظاً ومعينا. ﴿ ربكم الذى يزجى لكم﴾ يعني يسوق لكم ﴿ الفلك﴾ يعني السفن ﴿ فى البحر لتبتغوا من فضله﴾ يعني لكي تطلبوا من رزقة. ﴿ إنه كان بكم رحيماً﴾ حيث سخر لكم الفلك في البحر ﴿ وإذا مسكم الضر فى البحر ﴾ الشدة في البحر وخفتم الغرق ﴿ ضل من تدعون﴾ من الآلهة والأصنام ﴿ إلا إياه﴾ إلا الله فلم تدعوا سواه ﴿ فلما نجـٰكم إلى البر أعرضتم﴾ عن الشكر والتوحيد ﴿ وكان الإنسـٰن كفوراً ﴾ كافراً بنعم الله حيث

(١) أخرجه الطبري (٨١/١٥).
(٢) أخرجه الطبري (٨٢/١٥).
(٣) أخرجه الطبري (٨٢/١٥) بلفظ الربا، وكذا البغوي (١٢٣/٣). وبهذا اللفظ عند ابن حبيب (ق:١٦١/ب).
(٤) أخرجه الطبري (٨٢/١٥).
(٥) سورة الحجر آية (٣٩، ٤٠).

علم أن الله نجاه من البحر وهوله. ثم عاد إلى شركه وكفران نعمه .

قال الله لأهل مكة: ﴿ **أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر**﴾ كما فعل بقارون ﴿ **أو يرسل عليكم حاصبا**﴾ حجارةً كما فعل بقوم لوط قال الفراء: الحاصب الريح تجيئ بالحصاء[1] ﴿ **ثم لا تجدوا لكم وكيلاً**﴾ أى مانعا يمنعكم من العذاب.

﴿ **أم أمنتم** ﴾ يا أهل مكة ﴿ **أن يعيدكم فيه**﴾ فى البحر ﴿ **تارةً أخرى** ﴾ مرةً أخرى يخرجكم الله ﴿ **فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم**﴾ فى البحر فيغرقكم البحر. من قرأ بالياء[2] أى الله يغرقكم.

وقرأ أبو جعفر بالتاء[3] أى الريح تغرقكم فى البحر ﴿ **بما كفرتم** ﴾ بالله وبنعمة الله ﴿ **ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً**﴾ بإرسال الريح وبالغرق تبيعاً يعنى: تابعا كقولك قديرٌ وقادرٌ قال مجاهد: تبيعاً أى: ثائراً[4] وروى شيبان[5] عن قتادة: تبيعاً يعنى طالبا بالثأر[6].

قوله: ﴿ **ولقد كرمنا بنى ءادم**﴾ والتكريم أبلغ من الإكرام لأنه مرة بعد أخرى. والتفعيل تكثير الفعل ثم اختلفوا فى تكريم الله لبنى آدم.

قال ابن عباس: ولقد كرمنا آدم بالعقل[7].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦١/ب) ولم أجده في معاني القرآن للفراء.

(٢) قراءة الجمهور ، انظر: التذكرة لابن غلبون (٥٠١/٢).

(٣) قراءة ابن جماز عن أبي جعفر ، انظر: التذكرة في القراءات الثلاث المتواترة لمحمد سالم محيسن (٣٥١/١).

(٤) أخرجه الطبري (٨٥/١٥).

(٥) هو شيبان بن عبدالرحمن التميمي مولاهم النحوي أبو معاوية البصري نزيل الكوفة ثقة مات سنة ١٦٤هـ. انظر: التقريب (٣٥٦/١).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).

(٧) البغوي (١٢٥/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).

قال مقاتل: ﴿ ولقد كرمنا بنى ءادم﴾ بالأكل بالأيدي ولأن ما دونهم يأكلون بأفواههم[١].

قال الضحاك: بالنطق والتمييز[٢]، وروى عثمان بن عطاء عن أبيه بامتداد القامة وتعديلها[٣]، لأن ما سوى بني آدم يمشون على البطون أم على أربع، قال يمان بن رباب: ﴿ ولقد كرمنا بنى ءادم﴾ بحسن الصورة[٤]، قال محمد بن كعب بأن جعلنا محمداً منهم[٥]، وقال بعضهم : كرمناهم على سائر الحيوانات، بأن جعلنا لهم الأرض مقبرة، وقيل: بأن جعلناهم من أمة محمد[٦] ﴿وحملنـهم فى البر والبحر﴾ فلم يخسف بهم في البر ولم يغرقهم في البحر[٧].

قال أبو بكر ابن عبدش: معناه: وحملناهم في البحر على الرطب، والبحر على اليابس، أراد بالرطب الإبل والبغال، والحمير وباليابس السفن[٨]﴿ ورزقنـهم من الطيبـت﴾ من الحلالات قال مقاتل: الطيبات السمن والزبد والتمر والحلاوى[٩]. وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم ﴿ وفضلنـهم على كثير ممن خلقنا﴾ من البهائم ﴿ تفضيلاً ﴾ بالصورة والأيدي والأرجل.

---

(١) انظر: تفسيره (٢/٥٤١، ٥٤٢).
(٢) أخرجه البغوي (٣/١٢٥)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).
(٣) أخرجه البغوي (٣/١٢٥) . وذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ). وذكره البغوي (٣/١٢٥) دون عزوه إلى معين.
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).
(٦) هذا القول باطل فليس بنو آدم كلهم أمة لمحمد ﷺ .
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).
(٨) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٢/أ)، وقال البغوي مثله (٣/١٢٥). وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٤٢).
(٩) أخرجه البغوي (٣/١٢٥). وذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).

قوله: ﴿ يوم ندعوا كل أناس بإمــمهم﴾ روى عليّ بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال بكتاب ربهم وسنة نبيهم[1].

قال السدى: بأعمالهم[2]، قال قتادة: بكتابهم[3]. قال علي بن أبي طلحة بأئمتهم من الشر[4] والخير كما قال: ﴿ وجعلنــهم أئـمة يدعون إلى النار﴾[5].

قال محمـد بن كعب يعنى بأمهاتهم[6]. وإنما يدعوهم بأمهاتهم لشيئين أحدهما قال بعضهم لأجل عيسى لأنه ليس له أب يدعونه إليه فإذا دعوا النـاس بالآباء فحينئذ يستحي عيسى، وقـال بعضـهم : لأجل ولد[7] الزناة لأنهم لـيس لهم أب فـحيـنئـذ يستحبون من الخلائق؛ وقال بعضهم: بمذاهبهم[8] ، وقال بعضـهم: بحرفهم[9] ، قال أهل الحقائق: بمقاماتهم[10] وبذلك جاء الأثر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس فى حديث ثم يعقد لواء آخر وينادى منادي اين الراضون بالمقدور فيقومون ثم يعقد لواء وينادى منادي اين الصابرون على المحذور فيقـومون فهـذه المقامـات إلى أن يتم أربع وسبعون من الألوية[11].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ)، والسيوطي في الدر (٣١٧/٥) وقال أخرجه ابن مردويه.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٨٦/١٥)، والبغوي (١٢٥/٣).

(٤) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٦٢/أ).

(٥) سورة القصص آية ٤١.

(٦) أخرجه البغوي (١٢٦/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).

(٧) كذا في الأصل.

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).

(٩) انظر المصدر السابق.

(١٠) انظر المصدر السابق.

(١١) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٦٢/أ).

﴿ فمن أوتى كتـبه بيمينه فأولـك يقرءون كتـبهم ولا يظلمون فتيلا﴾ يعنى مـا يكون فى شق النواة **﴿ ومن كـان فى هـذه أعـمى﴾** الآية قـرأ أهل الكوفـة **﴿كلاهما﴾**[1] بالإمالة[2] وقرأ ابن عباس كلاهما بالتفخيم[3] وقرأ أبو عمرو هذه أعمى بالأماله **﴿فهو فى الأخرة أعمى﴾** بالتفخيم[4]. قال الفراء: لا يجـوز هذا فى اللغة لأن أفعل إذا أردت به زيادة الفعل فلا يقال أفعل نحو أبيض وأحمر وأصفر فإذا أريد زيادة قيل أشد حمرةً وبياضاً وصفرة[5] .

وروى فى الخبر: أنه لما نزلـت هى هذه الآية جاء عـبدالـله ابن أم مكتوم وكـان ضرير البـصر فقـال يا رسول الله أنا فى الدنيـا أعمى فأكـون فى الآخرة أعـمى فأنزل الله[6] **﴿ فإنها لا تعمى الأبصــر﴾**[6] الآية[7]. يعنى أن [العمى][8] الضـار عمى القلوب لا عمى العـيون فمجاز الآيـة من كان هـاهنا أعمى كان هـناك أعـمى بيـانه قـوله: **﴿ونحشره يوم القيـمة أعمى﴾**[9].

قـال ابن عبـاس: من كان فى هذه أعـمى عن النعـيم فهـو فى الآخرة اعـمى عن الثواب[10].

(١) في الأصل: [كليهما] وهو خطأ تم تصويبه.
(٢) انظر: التذكره لابن غلبون (١/٢٥٤، ٢٥٥).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).
(٤) انظر: التذكرة لابن غلبون (١/٢٥٥).
(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٢٧).
(٦) سورة الحج آية ٤٦.
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).
(٨) في الأصل: [الأعمى الضار]، والصواب ما أثبته.
(٩) سورة طه آية ١٢٤.
(١٠) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/أ).

قـال قـتـادة: من كـان في هذه أعـمى بنعم الله ومنتـه وقـدرته كـان في الآخـرة كذلك أعمى[1].

قال أبو بكر الوراق: من كـان في هذه أعمى عن حجـته فهو في الآخـرة أعمى عن جنته ﴿ وأضل سبيلا﴾[2] يعني وأقطع طريقا.

قوله: ﴿ وإن كادوا ليفتنونك﴾ الآية . قـال ابن عـباس: جـاء وفـد ثقـيف إلى رسول الله ﷺ فقـالوا :نحن أخوالك وأصـهارك وجيـرانك فاعطنا ما نـريد نعطك ما تريد، فقال رسول الله ﷺ : وما تريدون . قـالوا: نريد ألا نعشر ولا نحشـر ولا نجبي وكل ربوا لنا على النـاس فهـو عليـهم وكل ربوا للناس علينا فـهـو موضـوع عنا ومن قصدوا وادينا يعضـد شجرها وإصطياد[3] صـيدها منعناه وضـربناه وإن تمتـعنا باللات والعزى[4] سنة لتظهر كـرامتنا وفضلنا وأن لا نكسرها بأيدينا، فـقال رسول الله ﷺ : أما قولكم لا نعشر ولا نحشر وكل ربوا فـهو لكم وأما قولكم لا نتجي فـلا خير في دين لا يكون فيه ركوعٌ ولا سجودٌ وأما قولكم لا نكسر اللات والعزى بأيدينا فلتأمر بكسرها وأمـا قولكم متعـنا به سنةً فأنا أنظر أمر الله فـيه فقالوا: إن لامك العـرب فقل أمرني الله به فغضب رسول الله ولم يجبهم. فـقال لهم عمر: ما لكم أحرقتم رسول الله أحرق الله اكبادكم لا ولا نعمةً عيني لا يدع رسول الله ﷺ صنماً بأرض العرب يعبد فأنزل الله: ﴿ وإن كادوا ليفتنونك﴾[5] ليصرفونك ﴿ عن الذى أوحينا إليك﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/٨٧).

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٦٢/أ).

(٣) كذا والصواب ويصاد صيدها .

(٤) إدخال العزى هنا لا وجه له لانها لقريش وقد هدمت يوم الفتح على يد خالد بن الوليد وكانت بنخلة. انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤٣٦).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/ب)، والبغوي (٣/١٢٧)، وأخرجه الطبري (١٥/٨٨)، والوسيط للواحدي (٣/١٢٠)، واسباب النزول له (٢٩٧)، وتفسير القرطبي (١٠/٢٩٩).

من القرآن ﴿لتفترى علينا غيره﴾ وهو قولهم قل أمرني الله به ، وقيل: ﴿غيره﴾ غير الوحي.

﴿وإذاً لا تخذوك خليلا﴾ فيه إضمارٌ يعنى لو فعلت ذلك لصادقوك وطاوعوك واتخذوك خليلا.

قال الله: ﴿ولولا أن ثبتنـــك﴾ عصمناك وحفظناك ﴿لقد كدت﴾ يعني أردت ﴿تركن إليهم﴾ أي أن تميل إليـهم ﴿شيئاً قليلاً﴾ مما طلبوك وفي بعض التفـاسير أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ امسح وجوه أصنامنا بيدك وهم رسول الله ﷺ بذلك فأنزل الله ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ إلى آخر الآيات(١).

﴿إذاً لأذقنـٰك﴾ فيه إضمارٌ معناه هو لو قلت إليهم حينئذٍ ﴿لأذقنـٰك ضعف الحيوٰة﴾ يعني عذاب الدنيا ﴿وضعف الممات﴾ عذاب الآخرة قال الحسن: ﴿ضعف الممات﴾ عذاب القبر ﴿ثم لا تجـد لك علينا نصيـراً﴾ أي ناصـراً يحـول بينك وبين عذابنا.

قوله: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ الآية نزلت في حيي بن أخطب وأخيه جـدي بن أخطب وفي رؤساء اليهـود قالوا للنبي ﷺ إنا لنعلم أن الحـجاز ليس بأرض الأنبيـاء وإنما مقام الأنبيـاء أرض المحشر بالشام فـإن كنت نبياً فاخـرج إلى الشام وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافتك قتل الروم إياك فتوجه رسول الله ﷺ نحو الشام إلى ذي الحليفة فأتى جبريل بهذه الآية فانصرف رسول الله من ذي الحليفة ورجع إلى المدينة فذلك قوله: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾(٢) يعني ليستنزلونك من

(١) ذكـره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٦٢/ب). وهذا القـول بـاطل، لأن ذلك ينافي عصـمت النبي ﷺ.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٢٩٨)، والبغوي (١٢٧/٣)، والطبري (٨٩/١٥، ٩٠)، وابن حبيب (ق:١٦٢/ب)، والقرطبي (٣٠١/١٠).
وضعف ابن كثير هذا القول لأن الآية مكية، نزلت قبل الهجرة . انظر: تفسيره (٩٧/٥).

المدينة ﴿ ليخرجوك منها﴾ من المدينة ﴿ وإذاً لايلبثون خلـفك إلا قليلاً﴾ يعني إن خرجت من المدينة فحينئذٍ لم [ينظروا][1] ولم يمهلوا من العذاب بعدك إلا ثلاثة أيام وإنما كان الله يمهلهم ولا يعذبهم ببركة النبي ﷺ فيما بينهم.

كما قال: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾[2] الآية ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ أي ألزم سنة الرسل قبلك. وقيل: لا تخالف سنة من قد أرسلنا من الرسل. وقال الفراء: إنما نعاملك كسنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا أهلكنا قومهم إذا خرج الرسل من بين أظهرهم[3] ﴿ ولا تجد لسنتنا تحويلاً﴾ .

قوله: ﴿ أقم الصلوٰة﴾ وإقامة الصلاة إدامتها ﴿ لدلوك الشمس﴾ .

وإختلفوا في الدلوك . قال ابن عباس ومقاتل وعطاء وأبو العالية وجعفر بن محمدٍ وعبيد بن عمير وجابر بن عبدالله: ﴿ لدلوك الشمس﴾ لزوالها[4].

وروى أبو وائل عن ابن مسعود إنه كان يصلي المغرب إذا غابت الشمس ويقول هذا الوقت الذي أشار إليه يعني الدلوك[5] وكا ن يغلس بالفجر.

وقال إبراهيم النخعي ومقاتل بن حيان والضحاك والسدي: ﴿ لدلوك الشمس﴾ لغروبها[6].

قال القتيبي: ﴿ لدلوك الشمس﴾. قالوا: زوالها، وقالوا: غروبها، قال والأخير

---

(١) في الأصل: [بناظروا]، والصواب ما أثبته.
(٢) سورة الانفال آية ٣٣.
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (١٢٩/٢).
(٤) أخرجه البغوي (١٢٨/٣). وذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/ب).
(٥) أخرجه البغوي (١٢٨/٣) وذكره ابن حبيب (ق:١٦٢/ب).
(٦) أخرجه البغوي (١٢٨/٣).

أعجب إليّ لأن العرب تقول دلك النجم إذا غاب[1].

قال المؤرج: دلكت الشمس ، إذا غابت، وإذا زالت[2].

قال الأخفش: ﴿ **دلوك الشمس**﴾ من زوالها إلى أن يظلم الليل، والعرب تقول دلكت براحٌ على غزال إذا زالت الشمس وبراح إسم للشمس كقولك حدام وقطامٌ ورقاش وهي من أسماء النساء[3].

﴿ **إلىٰ غسق اليل** ﴾ قال ابن عباس: إلى ظلمته[4] والفعل منه غسق وأغسق إذا أظلم .

قال قتادة: ﴿ **إلىٰ غسق اليل** ﴾ سواده[5]. قال ابن جريج: سألت عطاء عن دلوك الشمس فقال زوالها[6]. قلت: فغسق الليل قال أوله حين يدخل ﴿ **وقرءان الفجر**﴾ يعني صلاة الفجر وهو نصب معطوف على قوله ﴿ **أقم الصلوٰة** ﴾ وإنما سمى الصلاة قرآنا لأنه لا يجوز إلا بقرآن.

﴿ **إن قرءان الفجر**﴾ إن صلاة الفجر ﴿ **كان مشهوداً**﴾.

قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: كان مشهودا فيشهده ملائكة الليل وملائكة النهار[7] وتفسير ما قالوا: إن صلاة الظهر والعصر تكونان في ديوان النهار عند

---

(١) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٥٩).
(٢) تفسير ابن حبيب (ق:١٦٢/ب).
(٣) المصدر السابق.
(٤) البغوي (١٢٨/٣)، وابن حبيب (ق:١٦٣/أ).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/أ).
(٦) انظر المصدر السابق.
(٧) أخرجه الطبري (٩٥/١٥) عن مجاهد من طرق، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/أ)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٤٦/٢).

الملائكة وصلاة المغرب والعشاء تكونان في ديوان الليل وصلاة الفجر تكون في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار بفضلها ولهذا قال الشافعي: إن صلاة الوسطى هي صلاة الفجر وقال لأنها لا تجمع بينها وبين غيرها من الصلوات[1].

قوله: ﴿ومن الـليل فتهـجد به نافلةً لك﴾ يعني إسهر ولا تنم والتهـجد السهر والهجود النوم ﴿به﴾ بقراءة القرآن ﴿نافلةً لك﴾.

قال ابن عباس: خاصةً لك[2]، قال مقاتل بن حيان: كرامةً لك[3] وعطاءً لك.

قال مجاهد: ما كانت صلاة الليل نافلة لاحد قط إلا لرسول الله ﷺ لأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإنما تعبد الناس بالعبادات ليثابوا بها وليكفر بها سيئاتهم[4] فلما غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كانت صلاة الليل نافلةً.

وقال بعض أهل المعاني: كانت صلاة الليل فرضاً على النبي ﷺ في الإبتداء ثم رخص له في تركها فصارت نافلة[5]. ﴿عسى أن يبعثك ربك﴾ الآية . قال أكثر المفسرين[6] ﴿مقاماً محموداً﴾ يعني الشفاعة وروي عن حذيفة أن الله يجمع الخلائق يوم القيامة في صعيدٍ واحدٍ يسمعهم الداعي وينفذ البصر فينادي منادي أين النبي الأمي فيشرأب له الأنبياء كلهم يظن أنه يعني به فينادي ثانيا أين النبي الأمي

(١) انظر: كتاب الأم للشافعي (١/٧٥).
(٢) أخرجه الطبري (١٥/٩٦).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/أ).
(٤) أخرجه الطبري (١٥/٩٦).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/أ).
(٦) أخرج ذلك الطبري (١٥/٩٧، ٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وسلمان وقتادة وغيرهم وأختاره.

التهامي العربي فيقوم النبي ﷺ فيأمر الله بالشفاعة[(١)]. فذلك المقام .

قال مجاهد: ﴿ **عسىٰ أن يبعثك**﴾ الآية قال يقعده معه على العرش . قال المفسر إسماعيل: وهذه لفظةٌ فظيعةٌ شنيعةٌ لأن الله لم يخلق العرش مستقراً لقيامه وقعوده فقعوده معه على العرش[(٢)] أراد تقريبه إليه وهو بمثابة قوله: ﴿ **إن الذين عند ربك**﴾[(٣)] وقوله: ﴿ **رب إبن لى عندك بيتا فى الجنة**﴾[(٤)].

قوله: ﴿ **وقل رب أدخلنى مدخل صدقٍ وأخرجنى مخرج صدقٍ**﴾ الاية قراءة العامة بضم الميم وروى عن الحسن أنه قرأ مدخل ومخرج بنصب الميم[(٥)] فيهما وهو مصدر الدخول والخروج وبالضم موضع الدخول والخروج واختلفوا في تأويلها. فقال ابن عباس ومقاتل: أدخلنى المدينة دار الهجرة ﴿ **مدخل صدقٍ**﴾ يعني أمناً من اليهود وأخرجني من مكة ﴿ **مخرج صدقٍ** ﴾ يعني أخراج صدق أمناً من المشركين[(٦)].

قال الحسن: ﴿ **وقل رب أدخلنى مدخل صدق**﴾ إدخال الصدق يعني القبر وأخرجني من القبر مخرج[(٧)] صدقٍ، وروى عن عطاءٍ عن أبيه أدخلني في طاعتك

---

(١) أخرجه الطبري مطولاً عن حذيفة من طرق (٩٧/١٥، ٩٨)، وذكره ابن حبيب بهذا النص (ق:١٦٥/أ).

(٢) أخرجه الطبري (٩٩/١٥).

(٣) سورة الاعراف آية ٢٠٦.

(٤) سورة التحريم آية ١١.

(٥) انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٧٧)، ونسبها إلى على بن أبي طالب وأبي رضي الله عنهم وجماعة. وهي شاذة.

(٦) أخرجه الطبري (١٠٠/١٥)، والبغوي (١٣٢/٣)، وانظر: تفسير مقاتل (٥٤٦/٢).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/أ).

مدخل صدقٍ وأخرجني منها مخرج صدقٍ أي سالماً غير مقصر فيها[١].

﴿وأجعل لى من لدنك سلطنا نصيراً﴾ يعني فتح مكة ﴿ وقل﴾ يا محمد ﴿جآء الحق﴾ يعني الاسلام، لم يختلفوا فيه ﴿ وزهق البطل﴾ قال ابن عباس: يعني الشيطان[٢]. قال السدّي: يعنى الشرك[٣]. وقال أخرون: يعني الأصنام[٤] ومعنى ذهق ذهب وبطل وإضمحل.

﴿ إن البطل كان زهوقا﴾ باطلا مضمحلاً هالكاً وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه قال يوم فتح مكة في الكعبة ثلاثمائة صنم فدخلها رسول الله ﷺ وبيده مخصرةٌ وهو يضرب بها في وجوهها وصدورها ويقول: ﴿ جآء الحق وزهق البطل﴾ الآية وهن يحزرن لوجوههن[٥].

قال الله: ﴿ وننزل من القرءان ما هو شفآءٌ﴾ لمرض القلوب ودواءٌ لداء المؤمنين ﴿ ورحمةٌ﴾ ﴿للمؤمنين﴾ لجميع الخلق ﴿ ولا يزيد الظلمين﴾ يعني الكافرين ﴿ إلا خساراً ﴾ يعني إلا ضرراً وخشرانا.

قوله: ﴿ وإذآ أنعمنا علی الإنسن أعرض﴾ عن الشكر ﴿ ونئا بجانبه﴾ أي تباعد وقال عطاء: تعظمٌ وتكبرٌ[٦] وأصل النوء النهوض.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/ب)، وأخرج الطبري مثله عن قتادة (١٠٢/١٥).

(٣) أخرجه البغوي (١٣٢/٣).

(٤) ذكره البغوي (١٣٢/٣).

(٥) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنهما إلا عند ابن حبيب (ق:١٦٣/ب) وفي صحيح البخاري مثله عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (٢٢٨/٥) ، وصحيح مسلم (١٤٠٨/٣)، وانظر: تفسير النسائي (٦٦٥/١).

(٦) أخرجه البغوي (١٣٣/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/ب).

﴿ وإذا مسه الشر﴾ يعنى الفقر ﴿ كان يـؤسا﴾ يعنى قانطا.

قوله: ﴿ قل ﴾ يا محـمـد ﴿ كلٌ يعمل على شـاكلته﴾ يعنى على طريقـته التى جبل علـيها وشـريعتـه التى شرعت له وعلى مـا قضى وقـدر له. وقيل: كلٌ يعـمل ما يشبهه وقد جرى المثل السائر كل إمرئ يشبهه فعله ما فعل المرء فهو أهله[١].

وأما المفسرون فقد قالوا في معنى الشاكلة الفاظاً مختلفةً .

فقال ابن عـباس: على شاكلته على ناحـيته[٢]. قال مقـاتل: على جديلته[٣] يعنى طبعـه. قال مجـاهد: على حدته[٤]. قــال الحـسن وقـتاده: على نيـته[٥] . وقـيل: على دينـــه[٦].

﴿ فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾ وفى ضمنه وأضل سبيلا.

قوله: ﴿ ويسئلونك عن الروح﴾ الآية وذلك أن النبىﷺ مر بملأٍ من اليهود أو أتاه ملأٌ مـن اليهود فـسألوه عن ذى القـرنين وأصحـاب الكهف والروح [وسـيأتى][٧] قصتهـا فى سورة الضحى إن شاء الله[٨]. فأنزل الله ﴿ ويسئلونك﴾ يا محمد ﴿ عن

(١) لم أقف عليه.
(٢) أخرجه الطبري (١٥/١٠٤)، والبغوي (٣/١٣٣).
(٣) انظر: مقاتل بن سليمان (٢/٥٤٧).
(٤) أخرجه الطبري (١٥/١٠٤).
(٥) أخرجه البغوي (٣/١٣٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/ب).
(٦) أخرج الطبري هذا القول عن ابن زيد (١٥/١٠٤).
(٧) كذا في الأصل، والصواب: [وستأتي] بالتأنيث لأن القصة مؤنثة.
(٨) أصل الحديث في الصحيحن وغيرهمـا، وليس فيه أنهم سألوه عن ذي القـرنين وأصحاب الكهف، ولفظ البـخاري عند تفسير هذه الآية، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قــال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حـرث وهو متكيء علـى عسيب إذ مرّ اليـهـود فقـال بعضـهم لبـعض: سلـــوه عن الروح. فقال: ما دأبكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه فسألوه عن ـــ

الروح﴾ قال إبن عباس ومقاتل: الروح ملك عظيم على خلق بني آدم[1].

وروى شيبان عن قتادة: الروح جبريل[2]. وروى الحارث الأعور عن على بن أبى طالب: أنه قال الروح ملك له سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يسبح الله بكل لسان وهو حافظ على الملائكة كالملائكة حافظة على الخلق[3].

وقال الباقون: الروح هو الروح المركب فى الخلق الذى بفقده فناؤهم وبوجوده بقاؤهم[4].

﴿قل﴾ يا محمد **﴿ الروح من أمر ربى﴾** ومن علم ربى ولا سبيل لكم إلى علمه وهو كقوله: **﴿ يسئلونك عن الساعة أيان مرسـها﴾**[5] أى متى كونها **﴿قل﴾** يا محمد **﴿ علمها عند ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾**. وذلك أن النبي ﷺ سمع اليهود يقولون علم كل شيء فى التوراة فقرأ النبيﷺ هذه الآية **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾** الآية.

الروح. فأمسك النبيﷺ فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: ﴿ ويسئلونك عن الروح ... ﴾ الآية البخاري كتاب التفسير (٢٢٨/٥)، ومسلم (٢١٥٢/٤)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب سؤال اليهود النبيﷺ عن الروح.

ويقول ابن كثير (١١٢/٥): وهذا السياق يقتضى فيما يظهر بادى الرأى: أن هذه الآية مدنية، وأنها إنما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية، وقد يجاب عن هذا بأنه قد يكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه وحى بأنه يجيبهم عما سألوا بالآية المتقدم إنزالها عليه وهى هذه الآية.

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/ب)، وانظر: تفسير مقاتل (٥٤٧/٢).

(٢) أخرجه البغوي (١٣٤/٣). وذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/ب).

(٣) أخرجه الطبري (١٠٥/١٥) مع اختلاف يسير في بعض العبارات وكذلك البغوي (١٣٤/٣). وأورد ابن كثير (١١٣/٥)، ثم قال وهذا أثر غريب عجيب والله أعلم.

(٤) انظر: تفسير البغوي (١٣٥/٣) واختاره.

(٥) سورة النازعات آية ٤٢.

فقال اليهود نحن مخصوصون بهذا الخطاب أو أنتم معنا فيه؟ فقال رسول الله ﷺ : بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا. فقالوا: ما أعجب شأنك ساعة تقول: ﴿ يؤتى الحكمة من يشآء﴾[1] الآية وساعة تقول: ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فأنزل الله رداً عليهم وتصديقاً لرسوله[2]: ﴿ ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلم والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمت الله ﴾[3] فأراهم الله أن علم الخلائق يتلاشى في جنب علمه.

ثم قال للنبي ﷺ ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينآ إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾ مانعاً أى [نرده][4] عليك بعد ذهابنا به ﴿ إلا رحمةً من ربك﴾ إلا أن نرحمك فنقرر عندك ما أوحينا إليك ﴿ من ربك ﴾ ﴿إن فضله﴾ وعطاءه ومنّته ﴿كان عليك كبيراً ﴾في الإبتداء والإنتهاء.

قوله: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ الآية قال إبن عباس: هذا جواب قول النضر بن الحارث الذى حكى الله عنه ﴿ وإذا تتلى عليهم ءايتنا ﴾ يعني: القرآن ﴿قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾[5] وأن الذي قاله النضر بن الحارث فكذبه[6] الله فقال قل يا محمد ﴿ لئن اجتمعت الإنس والجن ﴾ الآية .

قال مقاتل بن سليمان: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ وذلك أن النبي ﷺ

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩.
(٢) أخرجه الطبري عن عطا بن يسار (١٠٦/١٥).
(٣) سورة لقمان آية ٢٧.
(٤) في الأصل: [نزده]، وهو خطأ تم تصويبه من تفسير ابن حبيب (ق:١٦٣/ب).
(٥) سورة الأنفال آية ٣١.
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٣/ب).

لما [تحداهم](١) في الإتيان بعشر سور مثله في سورة هود فلم يقدروا عليه فتحداهم إلى الإتيان[ب](٢) سورة مثله في يونس كما قال الله ﴿ **أم يقولون افتريه قل فأتوا بسورة مثله**﴾(٣) وكما قال في البقرة ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا علىٰ عبدنا**﴾ الآية(٤) فلم يقدروا عليه فايسهم الله عن الإتيان به فقال قل لهم يا محمد ﴿ **لئن إجتمعت الإنس**﴾ الآية وإنما قدم الإنس على الجن هاهنا وقدم الجن على الإنس في سورة الرحمن(٥) لأن هاهنا ترتيب العلم والفضل.

وفي سورة الرحمن ترتيب الخلقه(٦) ﴿ **علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرءان لايأتون بمثله**﴾ لا يقدرون على الإتيان بمثله.

قال السدي: لا يأتون بمثله لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله(٧) ﴿ **ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**﴾ ولو أعان بعضهم بعضا والظهير العون وكذلك الظهر ومنه قوله: ﴿ **وكان الكافر على ربه ظهيراً**﴾(٨).

قوله: ﴿ **ولقد صرفنا [للناس]**(٩) ﴾بينا ﴿ **فى هذا القرءان** ﴾ الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد ﴿ **من كل مثل** ﴾ يعني من كل نوع وشبه ﴿ **فأبى**

(١) في الأصل: مثبت الف قبل التاء وهو خطأ تم تصحيحه.
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل والسياق يقتضى اثباته.
(٣) سورة يونس آية ٣٨.
(٤) سورة البقرة آية ٢٣.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٤٨، ٥٤٩).
(٦) يشير إلى قوله: ﴿ **يٰمعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السمٰوٰت والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطٰن** ﴾ ٣٣ الرحمن.
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/أ) وقال البغوي مثله (٣/١٣٥).
(٨) سورة الفرقان آية ٥٥.
(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل وهو جزء من الآية.

أكثر الناس﴾ عن الإيمان **﴿ إلا كفوراً﴾** للنعم.

قوله: **﴿ وقالوا لن نؤمن لك﴾** الآية قال ابن عباس ومقاتل: وذلك أن عبدالله بن أبي أمية المخزومي جاء في جماعة من المشركين قالوا للنبي ﷺ إن سرك أن نؤمن بك ونتبعك فسير لنا الجبال من مكة فنحن في ضيق حتى نتخذ الآبار ونغرس الأشجار ونزرع فلست بأهون عند الله من داود فقال النبي ﷺ لا أطيق ذلك وسألوه عن السؤالات المحالات ما ذكر الله في هذه الآية[1].

﴿وقالوا﴾ يعني عبدالله بن أبي أمية المخزومي **﴿ لن نؤمن لك حتى تفجر لنا﴾** حتى تشقق لنا من الأرض يعني **﴿ من الأرض﴾** مكة **﴿ ينبوعاً ﴾** يعني عيونا جارية.

﴿حتى تفجر لنا﴾ قريء بالتشديد والتخفيف[2] من قرأ بالتشديد راجعٌ على معناه وهو العيون وبالتخفيف قال لأن الينبوع واحد.

﴿ أو تكون لك جنة﴾ معناه: لن نؤمن حتى تكون لك جنةٌ، بستان **﴿من نخيل وعنب﴾**، **﴿ فتفجر الأنهـٰر﴾** أى تشققها **﴿خلـٰلها﴾** يعني وسطها **﴿ تفجيرا﴾** لأنه قد شق علينا المتح يعني الإستقاء من البئر فتفجر الأنهار لم يختلفوا فيه أنها بالشديد لأنه راجعٌ إلى الأنهار والأنهار جمعٌ **﴿ أو تسقط السمآء﴾** معناه لن نؤمن لك حتى تسقط السماء **﴿ كما زعمت علينا كسفاً﴾** من قرأه بجزم السين أراد جانبا من السماء ومن قرأ بفتح السين أراد قطعاً الواحد كسفة[3].

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/١١٠)، والبغوي (٣/١٣٦)، وذكره ابن كثير (٥/١١٥ - ١١٧).

(٢) بالتخفيف قراءة حمزة وعاصم والكسائي ويعقوب، وبالتشديد قراءة الباقين .
انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٠٢).

(٣) قرأ بفتح السين نافع وابن عامر وعاصم . وقرأ الباقون باسكانها.
انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٠٢).

﴿ أو تأتي﴾ معناه: لن نؤمن لك حتى يأتي الله قال عبدالله بن أبي أميه: والله لن نؤمن لك حتى تأتي بالله أو حتى تجيء بأربعة من الملائكة يشهدون لك على صدق دعواك بأنك نبي مبعوث فذلك قوله: ﴿ أو تأتي بالله والملـٰئكة قبيلاً﴾ قال ابن عباس: قبيلاً ، كفيلاً(١).

قال الضحاك: ضامناً(٢). قال مقاتل: شهيداً(٣). قال مجاهد: القبيل جمع القبيلة أي نأتي بالملائكة قبيلة قبيلة(٤). وقال الفراء: معاينة من قول العرب رأيت فلانا قبلاً وقبلاً أي معاينةً(٥).

﴿أو يكون لك﴾ معناه: لن نؤمن لك حتى يكون لك ﴿ بيتٌ من زخرف﴾ من ذهبٍ وأصله في اللغة الزينة. ومنه قوله: ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ (٦) الآية.

﴿أو ترقى فى السمآء﴾ قال عبدالله بن [أبي](٧) أمية ﴿ولن نؤمن لك حتى ترقى فى السمآء﴾ تصعد إلى السماء بمرأ منا ومنظر منا ﴿ولن نؤمن لرقيك﴾ لصعودك إلى السماء ﴿ حتى تنزل علينا كتـٰبا﴾ فيه صدق دعواك وأنت مبعوث إلينا ﴿نقرؤه﴾ فأجابه الله في سورة الأنعام بقوله: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملـٰئكة﴾ الآية .

---

(١) أخرجه البغوي (١٣٧/٣) وقال به السمرقندي دون عزو (٢٨٣/٢).
(٢) أخرجه البغوي (١٣٧/٣).
(٣) انظر: تفسيره (٢/ ٥٥٠) بلفظ كفيلاً يشهدون بأنك رسول الله.
(٤) أخرجه البغوي (١٣٧/٣).
(٥) هكذا عند البغوي (١٣٧/٣) . وعند ابن حبيب (ق:١٦٤/أ)، وانظر: معاني القرآن للفراء (٣٥١/١).
(٦) سورة يونس آية ٢٤.
(٧) ما بين القوسين ساقط من الأصل وتم تصويبه.

﴿ قبلاً ﴾ أي معاينةً ﴿ ما كانوا ليؤمنوا إلآ أن يشآء الله ﴾[1] وفي هذه السورة يقول ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ سبحان ربى هل كنت ﴾ أي ما كنت ﴿ إلا بشراً ﴾ آدمياً ﴿ رسولاً ﴾ وليس ما تريدون مني في طاقة الرسل وفي قدرتهم.

﴿ وما منع الناس ﴾ يعني أهل مكة ﴿ أن يؤمنوا ﴾ من أن يؤمنوا ﴿ إذ جآءهم ﴾ حين جاءهم ﴿ الهدى ﴾ ويحتمل الدين والإسلام والقرآن ﴿ إلآ أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً ﴾ هلا بعث الله ملكا رسولا مضمرٌ فيه فأجابهم الله بقوله: ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ لو كان فى الأرض ملـٰئكة يمشون مطمئنين ﴾ ساكنين مستقرين ﴿ لنزلنا عليهم ﴾ من جنسهم ﴿ من السمآء ملكاً رسولاً ﴾.

﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ كفىٰ بالله شهيدا ﴾ يعني شاهداً ﴿ بينى وبينكم ﴾ على نبوتى وصدق دعواى ﴿ إنه ﴾ إن الله ﴿ كان بعباده ﴾ قبل خلقهم ﴿ خبيراً ﴾ عالماً ﴿ بصيراً ﴾ لا يخفى عليه منهم شيء.

﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ﴾ معناه ومن يرشده الله إلى دين الإسلام فهو المهتد لدينه ﴿ ومن يضلل ﴾ ومن يحكم الله عليه بالضلالة عن الإسلام ﴿ فلن تجد لهم أوليآء ﴾ يعني أنصاراً وأعوانا ﴿ من دونه ﴾ من دون الله ﴿ ونحشرهم ﴾ يعني الذين أضللناهم عن دين الإسلام ﴿ يوم القيـٰمة على وجوههم ﴾ قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال المشركون كيف يمشون على وجوههم. قال النبي ﷺ إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشهم على وجوههم[2].

---

(١) سورة الانعام آية ١١١.

(٢) نقله ابن حبيب في تفسيره (ق:١٦٤/أ). وأخرج البغوي مثله (١٣٨/٣).

الحديث رواه البخاري من طريق أنس بن مالك بلفظ: «أن رجلاً قال يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة . قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».

﴿عمياً﴾ يعنى لا يبصرون الهدى ﴿وبكماً﴾ لا يتكلمون بالهدى ﴿ وصماً﴾ لا يسمعون الهدى.

قال مقاتل: هذا حين يقال لهم[1] ﴿ اخسئوا فيها ﴾[2] الآية فيصيرون بأجمعهم عمياً بكماً صماً لا يرون ولا يتعظون ولا يسمعون بعد ذلك شيئا ثم ذكر مستقرهم وموضعهم فقال: ﴿ مأوىهم جهنم﴾ أى مصيرهم إليها ﴿ كلما خبت ﴾ قال ابن عباس: طفئت[3]. قال الضحاك: سكنت[4]. قال مجاهد وقتادة: ضعفت[5]. وقيل: خمدت[6].

﴿ زدنهم سعيراً﴾ على سعير نظيره : ﴿ زدنهم عذاباً فوق العذاب﴾[7] و ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلنهم جلوداً غيرها﴾[8] ﴿ ذلك جزاؤهم ﴾ أى ذلك الذى ذكرنا من أنواع العذاب جزاؤهم ﴿ بأنهم كفروا بئايتنا﴾ يعنى جحدوا بمحمد والقرآن .

﴿وقالوا أءذا كنا [...][9] عظماً ورفتاً﴾ الآية ﴿ أءنا لمبعوثون ﴾ أي لمحيون

--- انظر: صحيح البخاري (٦/١٤) كتاب التفسير، سورة الفرقان، ومسلم (٤/٢١٦١) برقم (٢٨٠٦).

(١) أخرجه البغوي (٣/١٣٨). وذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب).

(٢) سورة المؤمنون آية ١٠٨.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب)، وأخرج الطبري مثله مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ (١٥/١١٣).

(٤) أخرجه الطبري (١٥/١١٣) وذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب) وأخرجه البغوي عن قتادة (٣/١٣٨).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).

(٧) سورة النحل آية ٨٨.

(٨) سورة النساء آية ٥٦.

(٩) في الأصل توجد كلمة: [تراباً] وآية الإسراء ليس فيها هذه الكلمة.

لنستجد فنخلق ﴿ **خلقاً جديداً**﴾ فأجابهم الله على دلالة البعث فقال ﴿ **أو لم يروا**﴾ يعنى أهل مكة ﴿ **أن الله الذى خلق السموت والأرض** ﴾ فى عظمها وشدتها وكثرة أجزائها وقوتها ﴿ **قادرٌ على أن يخلق مثلهم**﴾ فى ضعفهم نظيره ﴿ **ءأنتم أشد خلقا أم السماء**﴾[1] وقوله: ﴿ **لخلق السموت والأرض أكبر من خلق الناس**﴾[2] ﴿**وجعل لهم أجلاً**﴾. يعنى للناس ﴿ **لا ريب فيه**﴾ لا شك فيه وهو يوم القيامة ﴿**فأبى الظلمون**﴾ الكافرون ﴿ **إلا كفوراً**﴾ إلا كفراناً.

ثم ذمهم الله على بخلهم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **لو أنتم تملكون** ﴾ أيها المشركون ﴿ **خزائن رحمة ربى**﴾ من الأمطار وأنواع الرزق ﴿ **إذاً لأمسكتم**﴾ حينئذ لبخلتم ﴿ **خشية الإنفاق** ﴾ قال ابن عباس: يعنى خشية الفقر[3]. وقيل: نظير الآية ﴿**ولقد كرمنا بنى ءادم وحملنهم فى البر والبحر ورزقنهم من الطيبت**﴾ الآية.

﴿ **لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق**﴾ قال ابن عباس: خشية الفقر.

ثم قال: ﴿ **وكان الإنسن**﴾ يعنى الكافر ﴿ **قتوراً**﴾ قال ابن عباس: ممسكا من النفقة[4] ، وقال الضحاك ﴿ **قتوراً**﴾ ضيق القلب[5]، وقال الحسن: ﴿ **قتوراً**﴾ بخيلاً[6]. والفعل منه قتر بالتخفيف وقتر بالتشديد وأقتر بالألف.

---

(١) سورة النازعات آية ٢٧.

(٢) سورة غافر آية ٥٧.

(٣) أخرجه الطبري (١١٤/١٥)، والبغوي (١٣٩/٣) عن قتادة، والواحدي في الوسيط (١٣٠/٣)..

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب)، وأخرجه الطبري عنه بلفظ: [نحيلاً] (١١٤/١٥).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب) وأخرج الطبري مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما (١١٤/١٥).

قوله: ﴿ولقد ءاتينا موسىٰ تسع ءايٰت بينٰت﴾ يعني ظاهرات واضحات .

روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن الآيات التسع اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والطمس[1].

قال مقاتل: كانت الآيات تسعاً إثنتان منها بالأرض المقدسة وهما اليد والعصا وسبع بأرض مصر الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون والطمسة[2]. أولها: اليد والعصا وآخرها الطمسة.

قال محمد بن كعب سألني أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز عن الآيات التسع فقلت اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسه وفلق البحر. فقال عمر بن عبدالعزيز: وكيف يكون الفقه إلا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فأخرج الغلام جرابا فنفضه فإذا بيض مكسور بنصفين وهما حجر وإذا جوز مكسور وهو حجر وإذا فول وعدس وحمص كلها حجارة[3].

وروى صفوان بن عسّال[4] أن يهوديين مرا بالنبي ﷺ فقال أحدهما لصاحبه تعال نسأل هذا النبي هذه[5] الآية فقال لصاحبه لا تقل له نبي فإنه إن سمعه صارت عيناه أربعاً ثم أتياه فسألاه عن الآية فقال النبي ﷺ أوحى الله إلى موسى أن قل لبني

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب)، وأخرج الطبري مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما إلا أنه جعل السنين بدل الطمس (١١٥/١٥).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب)، وساقط موضعها من النسخة الموجودة لدي من تفسير مقاتل بن سليمان.

(٣) أخرجه الطبري (١١٤/١٥). وذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب).

(٤) هو: صفوان بن عسال المرادي من بنى زاهر بن عامر بن عوسان بن مراد صحابي جليل غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة سكن الكوفة ومات بها.
انظر: الاصابة (٢٤٨/٣).

(٥) كذا في الأصل والصواب اثبات: [عن] قبلها.

إسرائيل لا تشركوا بي شيئاً.

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تشربوا الخمر ولا تسحروا ولا تقذفوا المحصنه ﴿و﴾ عليكم أيها اليهود ألا تعدوا في السبت خاصة قال فقبّلا رجلا النبي ﷺ وقالا نشهد أنك نبي مبعوث . قال فما يمنعكما من الإيمان بي قالا نخاف أن يقتلنا اليهود[1].

قال الأستاذ المفسر إسماعيل: فعلى قول المفسرين تكون الآيات معجزات لموسى وعلى هذا القول تكون الآيات آيات التوراة لأن الله نهاهم في التوراة عن تسعة أشياء ففعلوا فأراهم الله مكان كل نهي آية فذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ **ولقد ءاتينا موسىٰ تسع ءايٰت بينٰت**﴾. ﴿ **فسئل بنى اسرٰءيل إذ جآءهم** ﴾ قال ابن عباس: هذا الخطاب للنبي ﷺ أي سلهم يا محمد يخبروك كيف كان مجيئ موسى إلى فرعون ومحاورتهما ﴿ **فسئل**﴾ يا محمد ﴿ **بنى إسرٰءيل**﴾ يعني اليهود ﴿ **إذ جآءهم** ﴾ حين جاء موسى إلى أسلافهم وآبائهم[2].

قال الحسن: ﴿ **فسئل بنى إسرٰءيل** ﴾ سؤالك بني إسرائيل نظرك في القرآن[3].

وروي عن النبي ﷺ أنه قرأ فسأل[4] بتحريك الألف على الخبر ﴿**موسى**﴾ بني إسرائيل ﴿**إذ جآءهم**﴾ عن ترك الإيمان به ﴿ **فقال له فرعون**﴾ يعني لموسى ﴿ **إنى**

(١) أخرجه الطبري (١١٥/١٥)، والترمذي (٢٩٤/٨) برقم (٣١٤٣)، والحاكم في المستدرك (٩/١) وقال حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبغوي (١٣٩/٣، ١٤٠). وذكره ابن حبيب (ق:١٦٤/ب).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ).

(٣) أخرجه الطبري (١١٦/١٥).

(٤) هذه القراءة مروية عن ابن عباس رضي الله عنهما . انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٧٧) ولم أجدها رواية عن النبي ﷺ كما اشار المؤلف.

لأظنك يـٰموسىٰ مسحوراً﴾ قال ابن عباس: مخدوعاً[1]، وقيل: ﴿ **مسحوراً﴾** أي ذا سحر. قال أبو عبيدة والفراء: مسحوراً يعني ساحراً مفعول بمعنى فاعل[2] كقوله: ﴿**حجاباً مستوراً**[3]﴾ أي ساتراً وكقوله: ﴿ **إنه كان وعده مأتيا﴾**[4] أي آتيا وفلان مشئوم وميمون.

قوله: ﴿ **قال** ﴾ يعني موسى ﴿ **لقد علمت﴾** قرأ علي بن أبي طالب والكسائي بضم التاء، وقرأ الباقون بفتح التاء[5]، وهو إختيار أبي عبيدة وأبي حاتم وقالا: والله لقد علم فرعون أن موسى مبعوث إليه بالحقيقة وأن التوراة كلام الله والدليل عليه قوله[6]: ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها﴾**[7] الآية من قرأ بنصب التاء، معناه قال موسى لفرعون لقد علمت ، ومن قرأ بضم التاء، أخبر موسى عن نفسه فقال: ﴿ **لقد علمت﴾** يا فرعون ﴿ **ما أنزل هـٰؤلآء** ﴾ الآيات ﴿ **إلا رب السمٰوٰت والأرض بصائر﴾** يعني عظةً وعبرةً وبياناً وعلامةً لنبوتي.

وقيل: فيه تقديم وتأخير معناه ما أنزل هذه الآيات رب السموات والأرض إلا بصائر يعني عظةً وعبرةً وعلامةً لنبوتي ﴿ **وإني لأظنك يـٰفرعون مثبورا﴾**.

قال ابن عباس: مهلكا[8]. قال مقاتل: مغلوباً[9]. قال مقاتل بن حيان:

(١) أخرجه البغوي (٣/١٤٠)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ).
(٢) أخرجه عنهما البغوي (٣/١٤٠)، والواحدي في الوسيط (٣/١٣١).
(٣) سورة الإسراء آية ٤٥.
(٤) سورة مريم آية ٦١.
(٥) انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٠٣)، والبحر المحيط (٦/٨٦)، والوسيط (٣/١٣١).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ).
(٧) سورة النحل آية ١٤.
(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ)، وأخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ ملعوناً (١٥/١١٧).
(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ)، وأخرج الطبري مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٥/١١٧).

ملـــعون[1]. قال ابن كيسان: ﴿ **مثبوراً** ﴾ بعيداً عن الخيرات[2] . قال الفراء: محبوساً ممنوعـاً عن كل خيـر[3]. قال الفـراء: محـبولاً[4] ﴿ **فأراد** ﴾ يعني أراد فـرعـون ﴿ **أن يستفزهم من الأرض** ﴾ يعني أن يستنزل بني إسرائيل وأن يخرجهم من أرض مصر .

قال الله: ﴿ **فأغرقنـٰه** ﴾ يعني فرعون في اليم ﴿ **ومن معه جميعا** ﴾ ﴿ **وقلنا من بعده** ﴾ من بعد هلاك فرعون ﴿ **لبنى إسرٰءيل اسكنوا الأرض** ﴾ يعني مصـر نظيره: ﴿ **كم تركوا من جنـٰت وعيون** ﴾[5] الآية.

قال الله: ﴿ **فإذا جآء وعد الأخرة** ﴾ يعني البعث بعد الموت ﴿ **جئنا بكم لفيفا** ﴾ قال مجاهد: جميعا مختلطين[6].

قوله: ﴿ **وبالحق أنزلنـٰه** ﴾ وبالصدق أنزلنـاه، يعني القرآن ﴿ **وبالحـق نزل** ﴾ وبالصدق نزل، أنزلناه[7] ، يعني القرآن ثم إختلفوا في تكراره فـقال بعضهم ﴿ **وبالحق أنزلنـٰه** ﴾ من الوعـد والوعـيـد والأمـر والنهي والحـلال والحـرام والحـدود والأحكام ﴿ **وبالحق نزل** ﴾ يعني كمـا أنزلناه فنزل على محـمـد من غير نقصـان ولا تغيير ولم يبدله روح القدس ولا حرف منه شيئا.

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ) وأخرج الطبري مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره (١١٧/١٥).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (١٣٢/٢).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ)، ولم أجده في معاني القرآن للفراء وأخرج الطبري مثله عن ابن زيد (١١٧/١٥).

(٥) سورة الدخان آية ٢٥.

(٦) أخرجه الطبري (١١٨/١٥)، وأخرج مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) كذا في الأصل والصواب اثبات: [ما] قبله، و[فيه] بعده.

قال الضحاك: ﴿ وبالحق أنزلنـٰه﴾ يعني القرآن ﴿ وبالحق نزل﴾ يعني أحكام القرآن[١]. وقال بعضهم: ﴿ وبالحق أنزلنـٰه﴾ من التوراة ﴿ وبالحق نزل﴾ من القرآن[٢].

﴿وما أرسلنـٰك﴾ يا محمد ﴿ إلا مبشراً ﴾ بالجنة لمن أطاعنا ﴿ ونذيراً ﴾ منذراً بالنار لمن خالفنا ﴿ وقرءاناً فرقنـٰه﴾ قرأ ابن عباس: فرّقناه بالتشديد من التفرق وقال لم ينزل في يومين ولا في ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنه[٣].

وقرأ الباقون فرقناه بالتخفيف ، وهو إختيار أبي عبيده وأبي حاتم، ومعناه: بيناه ومنه قوله: ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم﴾[٤] ومنه سمي الفرقان فرقانا لأنه فرق بين الحق والباطل ﴿ لتقرأه﴾ يا محمد يعني القرآن ﴿ على الناس علىٰ مكث﴾ قال ابن عباس: على تؤده[٥] ، قال عطاء: على مهل[٦]. قال مجاهد وقتادة ومقاتل: على ترسل[٧] وفيه لغتان مُكث ومَكث بنصب الميم وضمها[٨] قال المؤرج : على

---

(١) لم أجد قول الضحاك.

(٢) لم أقف على من قال بهذا القول بعد البحث.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (١٣٣/٢) وتفسير الطبري (١١٨/١٥)، والبغوي (١٤١/٣) ، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٧٧)، وذكره الواحدي في الوسيط (١٣٢/٣) ونسبه إلى قتادة.

(٤) سورة الدخان آية ٤ .

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ)، وأخرج الطبري مثله عن مجاهد وغيره (١١٩/١٥). وقال به البغوي دون عزو إلى أحد (١٤١/٣).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ)، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٥٥/٢)، والواحدي في الوسيط عن مجاهد (١٣٢/٣).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١١٩/١٥)، وتفسير ابن حبيب (ق:١٦٥/أ).

هيـنه[1] ﴿ ونزلنـه﴾ يعني القرآن ﴿ تنزيلاً﴾ سورةً بعد سورةٍ وآية بعد آية.

قوله: ﴿ قل﴾ يا محمد ﴿ ءامنوا به أو لا تؤمنوا﴾ هذا أمر وعيد للمشركين. ثم أخبرَ عمن آمن من أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه فقال: ﴿ إن الذين أوتوا العلم﴾ بالتوراة عبدالله وأصحابه ﴿ من قبله ﴾ يعني من قبل خروج محمد.

وقيل ﴿ من قبله ﴾ من قبل القرآن [2].

﴿ إذا يتلىٰ عليهم ﴾ يعني القرآن ﴿ يخرون ﴾ يسقطون ﴿ للأذقان سجداً﴾ يعني على الأذقان ومعناه يسجدون ﴿ ويقولون سبحـٰن ربنآ ﴾ تنزيها له.

﴿إن كان وعد ربنا لمفعولاً﴾ معناه ما كان وعد ربنا في مبعث محمد إلا مفعولا كائنا صادقاً ﴿ ويخرون للأذقان يبكون﴾ يعني: يسجدون باكين ﴿ويزيدهم خشوعاً﴾ خضوعاً كما زاد المشركين نفوراً نظيره: ﴿ فإن يكفر بها هؤلآء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكـٰفرين﴾[3].

قوله: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمـٰن ﴾ قال ابن عباس: وذلك أن المشركين سمعوا النبيﷺ يقول مرةً الله ومرة الرحمن فقالوا ينهانا محمد عن إلهين إثنين وهو يدعوا إلهين فأنزل الله[4] ﴿ قل ادعوا الله ﴾ الآية.

قال مقاتل: دعا رجل من الصحابة، بسم الله، ودعاه ثانياً بسم الرحمن فسمعه أبو جهل فقال نهيتمونا عن إلهين وأنتم تدعون إلـهين[5] فأنزل اللـه ﴿ قل ادعوا

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ).
(٢) قال به البغوي (٣/١٤١)، وابن كثير (٥/١٢٥)، وابن حبيب (ق:١٦٥/أ).
(٣) سورة الانعام آية ٨٩.
(٤) أخرجه الطبري (١٥/١٢١) ، والبغوي (٣/١٤٢)، وذكره ابن كثير (٥/١٢٦).
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٥٥).

الله ...﴾ الآية

قال الضحاك: وذلك أن أهل الكتاب قالوا لرسول الله إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الإسم فأنزل الله[1] ﴿ قل ادعوا الله ﴾ الاية فسر به أهل الكتاب واغتم به المشركون وقالوا ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة فذلك قوله: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمٰن أياً ما تدعوا﴾ ما صلة ومجازه أيا تدعوا من هذين الإسمين، [الله][2] والرحمن [قال قتادة يعني][3] من جميع أسماء الله.

﴿ فله الأسمآء الحسنىٰ﴾ يعني: تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحدة من أحصاها كلها دخل الجنة[4].

قوله: ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ الآية قال مقاتل بن حيان: وذلك أن رسول الله إذا جهر في صلاته يسبه المشركون ولغوا في قراءته فلم يسمع أصحابه خلفه ما قرأ النبي ﷺ فأنزل الله ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾[5] فيسمع المشركون فيسبون ﴿ ولا تخافت بها﴾ فلا يسمع أصحابك خلفك.

﴿ وابتغ بين ذٰلك ﴾ يعني بين الجهر والمخافتة، قال مقاتل: كان رسول الله يصلي

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/أ).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل استدرك من تفسير ابن حبيب.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٦٥/أ).

(٤) أخرج ابن جرير الطبري ذلك في تفسيره (١٢١/١٥) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بلفظ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً كلهن في القرآن من أحصاهن دخل الجنة».

(٥) الحديث رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ أنزله بعلمه والملٰئكة يشهدون﴾ ١٩٦/٨)، ومسلم (٣٢٩/١) برقم (١٤٥، ٤٤٦) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره ابن حبيب عن مقاتل بن حيان (ق:١٦٥/ب).

في دار أبي سفيان بن الحارث عند الصفا يجهر بقراءته فمر به أبو جهل فقال لا تفتري على الله فخفض النبي ﷺ صوته فقال أبو جهل للمشركين ألا ترون إلى ما فعلت بابن أبي كبشة يعني رسول الله فقالوا وما فعلت به قال رددته عن قراءته[(١)].

قال الضحاك: ﴿ **ولا تجهر بصلاتك**﴾ رياء الناس ﴿ **ولا تخافت بها**﴾ مخافة الناس[(٢)].

قال علي بن أبي طالب وعائشة هذا في الدعاء يقول لا تجهر بإستغفارك وتوبتك فيسمعه غيرك فيلومك بذنبك[(٣)]..

قال الحسن: لا تحسن صلاتك في العلانية وتسئها في السر[(٤)].

قال ابن حبيب: والفعل منه خافت يخافت مخافتةً وأصل المخافتة من الخفوت وهو خفض الصوت والسكون ويقال الميت إذا برد خفت[(٥)] .

﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلا**﴾ بين الجهر والمخافتة وكان حقه أن يقول بين ذينك ولكن العرب تذكر التثنية بلفظ الواحدان كما قال تعالى: ﴿ **ولا فارض ولا بكر**﴾ الآية[(٦)]. وقوله: ﴿ **لم يسرفوا ولم يقتروا**﴾[(٧)] الآية. وقوله: ﴿ **ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك**﴾[(٨)] الآية ذكر الإختلاف والرحمة ثم قال ولذلك خلقهم على

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/ب)، وانظر أيضاً تفسير مقاتل بن سليمان فقد ذكر ذلك (٢/٥٥٦).

(٢) أنظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٥/ب).

(٣) أخرجه الطبري عن عائشة رضي الله عنها وغيرها (١٢٢/١٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٢٥/١٥).

(٥) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٥/ب).

(٦) سورة البقرة آية (٦٨) .

(٧) سورة الفرقان آية (٦٧).

(٨) سورة هود آية ١١٨.

الواحدان لأن العرب تذكر التثنية بلفظ الوحدان فكذلك هاهنا[١].

﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً﴾ الآية اعترضت الملحدة والزنادقة في هذه الآية، وقالت لأية علةٍ وجب علينا الحمد بأنه لم يتخذ ولداً؟ فالجواب عنه أنه لم يجب عليك الحمد بتركه إتخاذ الولد وإنما وجب عليك الحمد بتعريفه إياك حتى عرفته بلا ولد فكم مثلك من الناس يعرفونه بالولد والشريك مثل المشركين والنصارى.

قال الحسين بن الفضل: معناه: وقل الحمد لله الذى عرفني أنه لم يتخذ ولداً[٢].

﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ من إبليس والأصنام وغيرها ﴿ ولم يكن له ولى من الذل﴾ يعني معينا وناصراً . قال مجاهد: لم يذل فيحتاج إلى ولي يتعزز به[٣].

﴿ وكبره تكبيراً﴾ أي عظمه بقلبك تعظيما. وقيل: ﴿ كبره تكبيرا﴾ أي قل الله أكبر وقال عمر بن الخطاب: قول العبد الله أكبر خيرٌ من الدنيا وما فيها[٤]. والسورة كلها مكية.

***

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٥/ب)، والبغوي (١٤٣/٣).

(٢) انظر : تفسير ابن حبيب (ق:١٦٥/ب).

(٣) أخرجه الطبري (١٢٦/١٥)، والبغوي (١٤٣/٣)، وابن حبيب (ق:١٦٥/ب).

(٤) نقله ابن حبيب في تفسيره (ق:١٦٥/ب).

تفسير سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الملك الحميد الذى له الحمد من الخلق أجمعين.

قوله: ﴿ **الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتب** ﴾ قال مقاتل: وذلك أن اليهود زعمت إن كان ما يقول محمدٌ حقاً أن الله أنزل كتابه غير مختلف فهلا كان في التوراة كل فصل منها على حياله[1] فأنزل الله ﴿ **الحمد لله** ﴾ وفيه إضمارٌ أي قل الحمد لله أى الشكر والثناء لله ﴿ **الذى أنزل على عبده** ﴾ يعني: على محمد ﴿ **الكتب** ﴾ يعني القرآن وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ ومجازه الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيما غير مختلفٍ.

﴿ **ولم يجعل له عوجا** ﴾ أى لم ينزل ملَّبساً. وقيل: ﴿ **قيماً** ﴾ يعنى مستقيما. قال ابن عباس: عدلاً[2]. قال الفراء: ﴿ **قيماً** ﴾ على الكتب حافظا لها ناسخا لشرائعها[3]، ﴿ **ولم يجعل له عوجا** ﴾ أي زيفاٍ وميلاً، قال أبو العالية: أي لم ينزله مختلفاً[4] وقيل لم ينزله مختلطاً بل أنزله قيما. قال الأخفش: العوج بكسر العين فيما لا تراه العيون كالأمر والدين والأخلاق والهيئات.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٧٢)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/ب).
(٢) أخرجه الطبري (١٥/١٢٦)، والبغوي (٣/١٤٤)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/ب).
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٣٣)، والبغوي (٣/١٤٤)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/ب).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/ب)، وقال بمثله البغوي (٣/١٤٤) دون نسبته لأحد، وقال بمثله مقاتل بن سليمان (٢/٥٧٢).

والعـوج بفـتـح العين فـيـمـا تقع في الأبصـار مـثل الجــدار والحـائط والخشب والقصـا[1].

﴿ لينذر بأساً شديداً ﴾ هذا من المقلوب أي ليخوفكم ببأس شديد يعني: القرآن نظيره: ﴿ إنما ذلكم الشيطـٰن ﴾[2] الآية. ويخوفكم بأوليائه، ﴿ من لدنه ﴾ يعني/ من عنده. ٣١٠/ب

﴿ ويبشر المؤمنـين الذين يعملون الصـٰلحـٰت ﴾ قال مـقاتل: فقـال رسول الله ﷺ لليـهـود أنا أدعـوكم إلى الله وإلـى دين الإسـلام فمـن تاب منكم، من اليـهـود؛ كفرت سيئاته وأعطى أجره مـرتين. قالوا: فقل عزير ابن الله نؤمن بك فقال النبي ﷺ أعوذ بالله أن أقول ذلك بل أقـول عزير عبدالله داخـراً صاغراً. فقالت اليـهود: إنا نجد ذلك في كتـابنا وحدث آباؤنا به وإنما قـال هذا كعب بن الأشـرف وحيي بن أخطب وأخوه جـدي بن أخطب[3] فاعتزل النبي ﷺ حزينا فـقال له أبو بكر وعـمر وعثمان وعلي وعثـمان بن مظعون وزيد بـن حارثة : لا يحزنك قـولهم يا رسـول الله فـإن الله معنـا فأنزل الله ﴿ ويبشـر المؤمنين الذين يعملون الصـٰلحـٰت ﴾ يعـني أبا بـكر والذين سميناهم ﴿ أن لهم أجراً حـسناً﴾ يعني وافـراً في الجنة.﴿ ماكثين ﴾ دائمين مقيمين ﴿فيه﴾ في الثـواب﴿ أبداً﴾ ﴿ وينذر الـذين ﴾ أي ويخـوف يعني: بالقـرآن ﴿الذين قـالوا اتخـذ الله ولداً ﴾ يعني: كـعب بن الأشرف وأصـحابه إنهم قـالوا إن عزيراً ابن الله ﴿ ما لهم به﴾ يقولهم إن عـزيراً ابن الله ﴿ من علم ﴾ أي علم وحجة وبيان ﴿ ولا لأبآئـهم ﴾ كان علـم بذلك وهذا جواب لقـولهم حـــدث آباؤنا بذلك

(١) لم أجده في معـاني القرآن له، وذكره ابن حبيب عنه (ق:١٦٥/ب) وقـال بمثله الراغب في مفرداته (ص:٥٢٤).

(٢) سورة آل عمران آية ١٧٥.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٧٢)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٥/ب، ١٦٦/أ).

﴿ كبرت كلمةً ﴾ نصبٌ على التعجب، أي أكبر بها كلمةً، ومعناه: ما أكبر تلك الكلمة التي قالوا إن عزير بن الله﴿تخرج من أفوٰههم﴾ ﴿ إن يقولون﴾ أي ما يقولون ﴿ إلا كذباً﴾ وباطلا.

﴿ فلعلك بٰـخعٌ نفسك على ءاثـٰرهم﴾ وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ ومجازه فلعلك باخعٌ نفسك قاتلٌ نفسك.

قال الضحاك: مهلك نفسك[1].

قال الأخفش: تقول العرب: بخع يبخع إذا قتل وبخع يبخع بخوعاً إذا تواضع وخضع[2] ﴿ على ءاثٰرهم ﴾ لأجلهم ﴿ إن لم يؤمنوا بهـٰذا الحديث﴾ بهذا القرآن ﴿ أسفاً ﴾.

قال ابن عباس: أسفا حزناً[3]. قال مقاتل: غضباً[4]. قال مقاتل بن حيان: جزع[5]. قال أهل المعاني: ﴿ فلعلك بٰـخع نفسك﴾ لعل بمعنى لا، ومعناه فلا تبخع نفسك أي لا تقتل نفسك من الأسف والحزن والغضب لأجلهم[6] إن لم يؤمنوا بهذا القرآن.

قال الله: ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها﴾ قال مجاهد: معناه: إنا جعلنا كل ما على الأرض من البحار والجبال والأشجار والنبات[7]. ﴿ زينةً لها ﴾ للأرض.

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ)، وأخرج الطبري مثله عن قتادة (١٥/١٢٩).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ).
(٣) نقله عنه ابن حبيب (ق:١٦٦/أ). وقال مثله البغوي (٣/١٤٤) دون أن يعزوه لأحد.
(٤) أخرجه الطبري (١٥/١٢٩).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ) وأخرج الطبري مثله عن مجاهد (١٥/١٢٩).
(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٦/أ).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ).

وقال الضحاك: إنا جعلنا ما على الأرض يعنى الرجال خاصة[١] ﴿ لنبلوهم﴾ لنختبرهم ﴿ أيهم أحسن عملاً﴾ أى أحسن سيرة فيما أعطيناهم .

قال الحسن البصرى: ﴿ أيهم أحسن عملاً﴾ يعنى: أيهم أزهد فى الدنيا زهداً. وأترك لها تركاً[٢].

قال مقاتل بن حيان : أيهم أعف وأصلح فيما أوتى من المال[٣].

﴿ وإنا لجعلون﴾ لمغيرون ﴿ ما عليها﴾ على الأرض من الزهرة ﴿ صعيداً﴾ تراباً مستويا ﴿ جرزاً﴾ .

قال مقاتل: يعنى: أملس[٤] وكان هذا يوم القيامة قال ورأيت في بعض الكتب الجرز التراب الذى يغيب فيه القدم ولا ينبت فيه شيء.

قال القتيبي: الجرز: الذى لا ينبت شيئا[٥] قال الكسائي: تقول العرب: جرزت الأرض فهى مجروزة إذا لم تنبت شيئا[٦]. قال قطرب جرزاً يابسا وجمعه أجراز

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ)، وأورده السيوطي في الدر (٣٦١/٥)، ونسبه لابن عباس ولسعيد ابن جبير.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ)، والواحدي في الوسيط (١٣٦/٣).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ) ، والواحدي في الوسيط (١٣٦/٣)، والبغوي (١٤٤/٣)، وزاد المسير (٧٩/٤).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٧٤/٢).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ)، وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٦٣)، وانظر: تفسير السمرقندي (٢٨٩/٢).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ)، وانظر: تفسير البغوي (١٤٤/٣)، وانظر: تفسير السمرقندي (٢٨٩/٢).

يقال أرض جرز وأرضون جراز/ ومنه قوله[1] ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾[2]. ٣١١/أ

قوله: ﴿ أم حسبت أن أصحـب الكهف والرقيم﴾ من هنا قصة أصحاب الكهف.

قال ابن عباس: وذلك أن ملكا من الملوك يقال له دقيانوس ابن حلايوس ظهر على مدينة من مدن الروم يقال لها أفسوس فدعا أهل تلك البلدة إلى عبادة الأصنام وكان بها سبعة من الأحداث وكانوا مؤمنين يعبدون الله فى خفية منه فوقع خبرهم إليه فلما علموا أن خبرهم قد وقع إلى الملك خافوا منه وهربوا لئلا يقتلهم فمروا براع معه كلب فتبعهم الراعي على دينهم فنبح الكلب عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مراراً فقال لهم الكلب ما تريدون منى أتخشوا جانبي أنا أحب أحباء الله فناموا حتى أحرسكم فخرجوا من البلدة وآووا إلى الغار وهو قريب إلى البلدة ودخلوا فيه خوفاً من الملك دقيانوس فبلغ خبرهم إلى الملك أنهم هربوا ورجعوا إلى الغار فتبعهم الملك إلى الغار فرأى أثر دخولهم فى الغار ولم ير أثر خروجهم منه فدخلوا الغار فأعمى الله أبصارهم فلم يروا شيئا فى الغار فخرجوا منه فقال الملك لقومه سدوا عليهم باب الغار حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشا وانصرف وعاد إلى بلده[3] فذلك قوله: ﴿أم حسبت﴾ أم ظننت يا محمد، والميم صلة ﴿أن أصحـب الكهف﴾ أن أصحاب الغار وهم

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ).

(٢) سورة السجدة آية ٢٧.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/أ) وهي من الاسرائيليات التي لا يساندها دليل صحيح لا من كتاب ولا من سنة، بل أغلب عبارات القصة يدل على بطلانها وكذبها، لما فيها من الركاكة والتناقض كرد الكلب على الفتية وفعل الملك بعد أن دخل الكهف ولم ير شيئاً ثم خرج وأمر بسد باب الغار حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً، ومثل هذه الأخبار لا يتوقف عليها فهم شئ من القرآن الكريم.

سبعة فتية والكهف نقبٌ وغارٌ في الجبل متسع فأما أسماءهم فقال كعب : مكسلمنيا وهو كبيرهم ثم يملنحا وهو الذى كان يقوم بأسبابهم ونواس وضرار وبلينوس ومرطيوس وإسبسانوس[1].

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: إذا وقع الحريق فى موضع من المواضع فكتبت هذه الأسماء على قطعة رقٍ وطرح فى الحريق طفي بإذن الله[2].

وقال وهب وابن عباس: فسدوا عليهم باب الغار وكان فى البلدة قاضيان يقال لأحدهما ططيوس والآخر انطيوس وكانا على دين الفتية فاتخذا لوحاً من رصاص وكتبا فيه أسمائهم وأسماء آباءهم واسم الملك والزمان الذى كانوا فيه وذهبوا باللوح إلى الغار فألقوه فيه داخلاً فى خفيه[3].

قال كعب : كان لهم صديق يقال له مانيوس وكان على دينهم فاتخذ لوحاً من حجر ونقر فيه أسماءهم وأسماء آباءهم وألقاه داخل الغار[4].

﴿ والرقيم﴾ اختلفوا فيه فقال ابن عباس: الرقيم: إسم ذلك الوادى الذى فيه الكهف[5].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/ب) وهذه الأسماء وقع فيها اختلاف كبير عند من تعرضوا لها من المفسرين، ولا دليل صحيح يعول عليه في صحة هذه الأسماء.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/ب) وهذا الكلام المنسوب إلى عبدالله بن عمرو بن العاص كذب لا يمكن أن يقوله رضي الله عنه لأنه نوع من أنواع الشرك.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/ب).

(٤) ذكره ابن حبيب (١٦٨/ب).

(٥) أخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٣١/١٥) وفيه ان الرقيم اسم لواد بين عسفان وإيلة وكذا البغوي (١٤٥/٣). وأخرج الطبري مثله عن قتادة (١٣١/١٥).

وقال بعضهم[1]: الرقيم إسم البلد الذي فيه الملك دقيانوس، وقالت عائشة الرقيم: الغار الذى أوى إليه الفتية[2]، قال أبو روق عن الضحاك: الرقيم بلدة الروم ويقال لها هودة الرقيم[3] وفيه إحدى وعشرون نفسا في غارٍ أموات كأنهم نيام على هيئة أصحاب الكهف.

وقال السدي: الرقيم: هو اللوح الذى كتب فيه أسماؤهم وأسماء آبائهم وتاريخ الزمان الذي أخفوه فيه[4]، وقال عكرمة : الرقيم دراهمهم الذى كان عليها إسم دقيانوس قال ابن حبيب: رأيت في بعض التفاسير أن الرقيم/ إسم دواة[6]. ٣١١/ب

﴿كانوا من ءايـٰتنا عجبا﴾ يعني كانوا دليلاً على ربوبيتنا ووحدانيتنا.

قال مقاتل: وليسوا بأعجب مما أوحاه إليك[7] يعني إعجاز القرآن.

﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ يعني انضموا إلى الغار وصاروا إليه تقول العرب: أويت إلى فلان اوى إليه أوياً إذا لجأت إليه وأويت إليه أووايةً وماويةً إذا رحمته﴿ فقالوا﴾ يعني الفتية حين دخلوا الغار ﴿ ربنآ ءاتنا من لدنك ﴾ أي: ثبتنا على دينك﴿رحمة﴾ وقيل: مجازه ارحمنا ﴿ وهيىء لنا من أمرنا رشداً﴾.

---

(١) أخرج الطبري هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما وأنه نسبه إلى كعب الأحبار (١٣١/١٥)، وأخرج البغوي مثله عن كعب الأحبار (١٤٥/٣).

(٢) لم أجده عن عائشة رضي الله عنها وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك مثله بلفظ: هو غار في الوادي ذكره السيوطي في الدر (٣٦٢/٥) ، وأخرجه الطبري (١٣١/١٥).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/ب).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/ب). وقال السيوطي في الدر أخرجه بن أبي حاتم عن السدي (٣٦٢/٥).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٦/ب).

(٦) انظر : تفسير ابن حبيب (ق:١٦٦/ب).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٩٥٧٤/٢).

قال ابن عباس: مخرجا[١] من الغار في سلامة، وقال مقاتل: يسراً[٢]، وقيل: إذا كان الرجل فى حاجةٍ أو في شدة فدعا بهذا الدعاء ﴿ ربنا ءاتنا من لدنك رحمة ﴾ الاية [فا][٣] ستجاب الله دعاءه ونجاه من حزنه وشدته .

قال الله: ﴿ فضربنا علىٰ ءاذانهم ﴾ هذا من فصيحات[٤] القرآن التي أقرّت العرب بالعجز عن الإتيان بمثله، ومعناه، قال إبن عباس: القينا عليهم النوم وأنمناهم[٥]. وقال بعضهم: أرقدناهم. ومعناه: في الحقيقة سد نفوذ الصوت إلى مسامعهم[٦].

وكأنه أراد حجبناهم عن السمع وهذا وصف الأموات والنيام .

وقال قطرب بن محمد بن المستنير : هو كقول العرب ضرب الأمير على يد الرعية إذا منعهم من العبث والفساد وضرب السيد على يدي عبده المأذون له في التجارة إذا منعه من التصرف[٧] فيها ﴿ فى الكهف ﴾ في الغار.

﴿ سنين عدداً ﴾ يعني ثلاثمائة سنة وتسع سنين.

قال أبوعبيدة: عدداً نصب على المصدر[٨] . قال الفراء: العدد ها هنا المعدود[٩]

---

(١) أخرجه البغوي (١٥٢/٣) وانظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٧/أ).

(٢) انظر: تفسيره (٥٧٦/٢).

(٣) كذا في الأصل، والصواب حذف الفاء لأن المعنى لا يستقيم بوجودها.

(٤) مفهوم هذا القول أن القرآن فيه ما ليس بفصيح وهذا ليس بصحيح إذ القرآن كله في منتهى الفصاحة والبلاغة.

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/أ)، وقال به البغوي دون عزو (١٥٢/٣).

(٦) انظر: تفسير البغوي (١٥٢/٣).

(٧) انظر: تفسير ابن حبيب (١٦٧/أ).

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/أ).

(٩) انظر: معاني القرآن للفراء (١٣٥/٢).

سنين كالقبض والنقض. تقول العرب: قبض يقبض قبضاً ونقض ينقض نقضاً بسكون الباء والقاف مصدران ثم يقول للمقبوض والمنقوض قبض يقبض قبضا ونقض ينقض نقضا بفتح الباء والقاف أراد مقبوضا ومنقوضا، وكذلك العدد مصدر والعدد المعدود قال الله﴿ **ثم بعثنـٰهم**﴾ أيقظناهم من نومهم ﴿ **لنعلم**﴾.

قال ابن عباس: لنرى[1] قال الضحاك: لنميز[2] ﴿ **أى الحزبين أحصىٰ لما لبثوا أمداً**﴾.

قال مقاتل: كانوا مختلفين في مقدار مقامهم في الكهف فلهذا قال الله: ﴿**لنعلم أى الحزبين** ﴾ أي الفريقين المؤمنين والكافرين ﴿ **أحصىٰ**﴾ أحفظ وأعلم وأضبط ﴿ **لما لبثوا أمداً** ﴾ بما مكثوا في الكهف أجلاً وغايةً، الأمد: الغاية.

قال الله: ﴿ **نحن نقص عليك** ﴾ نبين لك ونقرأ عليك يا محمد ﴿ **نبأهم بالحق**﴾ خبر أصحاب الكهف بالصدق في القرآن.

﴿ **إنهم فتيةٌ ءامنوا بربهم وزدنـٰهم هدى** ﴾ بصيرةً في أمر دينهم ، وقيل زدناهم هدى على هدى.

﴿ **وربطنا علىٰ قلوبهم** ﴾ قال مقاتل :ثبتنا قلوبهم على الإيمان[4] ، وقيل: [شددناهم قلوبهم][5] وقويناها.

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٧/أ)، وقال بمثله البغوي (١٥٢/٣)، والواحدي في الوسيط (١٣٧/٣)، والبحر المحيط (١٠٣/٦).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/أ).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٧٦/٢).

(٥) كذا في الأصل، والصواب: [شددنا قلوبهم] كما جاء في تفسير ابن حبيب (ق:١٦٧/أ).

قال ابن عباس: ﴿ وربطنا علىٰ قلوبهم﴾ أي ألهمناهم الصبر[١] ﴿ إذ قاموا﴾ حين قاموا وخرجوا من عند الملك دقيانوس الكافر ﴿ فقالوا ربنا رب السمٰوٰت والأرض لن ندعوا من دونه ﴾ لن نعبد من دون الله ﴿ إلـٰهاً﴾ رباً[٢] ﴿ لقد قلنا إذاً شططاً ﴾ معناه لو عبدنا غير الله وفعلنا غير الذى قلنا فحينئذ يكون شططا.

قال ابن عباس ومقاتل : جوراً[٣]. قال قتادة: كذباً وزوراً[٤]، وأصل الشطط: الجور والغلو والتعمق في الشيء والفعل منه أشط يشط إشطاطاً ومنه قوله: ﴿ ولا تشطط واهدنا ﴾[٥] الآية وربما قالوا شط يشط شططا .

قوله: ﴿هؤلآء قومنا اتخذوا من دونه ءالهةً ﴾ من الأوثان / حكاية عن الفتية ٣١٢/أ يعنون أهل البلدة التي فيها دقيانوس ﴿ لولا يأتون ﴾ هلا يأتون ﴿ عليهم ﴾ على عبادتهم ﴿ بسلطـٰن بين ﴾ بحجةٍ واضحةٍ تدل على دعواهم وأن الله أمرهم بتلك العبادة.

﴿ فمن أظلم ممن افترىٰ على الله كذباً ﴾ فليس أحدٌ أظلم ممن وصف الله بالشريك والولد وممن كذب على الله.

﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ﴾ فيه أربعة أقاويل أحدها قال المفسرون: هذا قول بعض أهل الفتية لبعض وذلك أن في تلك البلدة التي فيها دقيانوس قاضيان وكانا على دين الفتية، فالهاء والميم كنايةٌ عن القاضيين.

﴿وإذ اعتزلتموهم ﴾ أي تركتموهم، أراد به القاضيين ﴿ وما يعبدون إلا

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/أ)، وقال الطبري بمثله دون عزو (١٥/١٣٧).
(٢) الصواب معنى إلهاً: معبوداً، ولا تفسر الالوهية بالرب لأن الرب هو المالك المتصرف.
(٣) أخرجه البغوي (٣/١٥٣).
(٤) أخرجه البغوي (٣/١٥٣).
(٥) سورة ص آية ٢٢.

الله﴾ وهما لا يعبدان إلا الله **﴿وما﴾** تكون ما الجحد على هذا القول.

والقول الثاني: ﴿ **وإذ اعتزلتموهم﴾** يعني تركتـم أهل البلدة **﴿وما يعبدون﴾** وتركتم الذى يعبدون وهي الأصنام **﴿إلا الله﴾** وفيه إضمارٌ وما كان عبادتكم إلا الله.

و القول الثالث: هذا إستثناء منقطع عن الكلام الأول، ومعناه: وإذا إعتزلتموهم أي: تركتم أهل البلدة **﴿وما يعبدون﴾** وتركتم الذى يعبدون وهو الأصنام **﴿إلا الله﴾** لكن تعبدون الله لقوله: ﴿ **فإنهم عدولى﴾**[1] الآية هذا أيضا إستثناء منقطع عن الكلام الأول ومعناه : فإنهم عدولي لكن أعبد رب العالمين **﴿وما﴾** ، يكون بمعنى الذى في هذين القولين.

والقول الرابع: قال بعض أهل المعاني: هذا قول الله حكايةً عن الفتية ﴿ **وإذ اعتزلتموهم** ﴾ يعني : تركتم أهل البلدة ﴿ **وما يعبدون إلا الله** ﴾ وهم ﴿ **لا يعبدون إلا الله**﴾، وهذا أضعف الأقاويل[2] لأن قوله: ﴿ **فأوُا إلى الكهف** ﴾ قول بعض الفتية لبعضهم فيجب أن يكون ما قبله كذلك لأنه متصلٌ به ﴿ **فأوُا إلى الكهف** ﴾ أي فسيروا إلى الغار ﴿ **ينشر لكم﴾** يهب لكم **﴿ربكم من رحمته** ﴾ من نعمته ﴿ **ويهيئ لكم** ﴾ وييسر لكم ﴿ **من أمركم** ﴾ من أمر رزقكم ﴿ **مرفقاً** ﴾ ما يرفق بكم غداً.

وقال ابن عباس: مرفقاً رزقاً[3] من قوله: ﴿ **فقالوا ربنا رب السموٰت والأرض﴾** إلى هاهنا قول بعض الفتية لبعض.

قوله: ﴿ **وترى** ﴾ يا محمد ﴿ **الشمس إذا طلعت تزٰور** ﴾ أي تميل

---

(١) سورة الشعراء آية ٧٧.

(٢) ذكر بعض هذه الأقوال ابن حبيب (ق:١٦٧/أ، ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/ب).

وتعدل ﴿ عن كهفهم ذات اليمين ﴾ يمين الغار ﴿ وإذا غربت ﴾ يعني غربت الشمس ﴿ تقرضهم ﴾ قال ابن عباس: تدعهم[١]، قال مجاهد: تتركهم[٢]، قال مقاتل بن حيان: تجاوزهم[٣]، قال أهل المعاني: تقطعهم[٤] ﴿ ذات الشمال﴾ شمال الغار.

﴿ وهم فى فجوةٍ منه﴾ فى ناحيةٍ من الكهف قال أبو عبيدة: وهم فى فجوةٍ أى في متسع منه[٥]. من ضوء الشمس وجمعها فجواة وفجاء .

قال القتيبي: إعترض بعض الملحدين بسوء النظر وقلة الفهم في هذه الآية فقالوا: ما في قوله: ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ من الفائدة.

وما فى الشمس إذا مالت بالغداة والعشي عن الكهف من الخير.

ونحن نقول أى شيء أولى بأن يكون فائدةً من هذا الخير وأى معنى ألطف مما أودع الله هذا الكلام: ذلك أن الله أراد أن يعرفنا لطفه للفتية وحفظه إياهم فى المهجع وإختياره لهم أصلح المواضع للرقاد فأعلمنا أنه يؤآهُمْ فى مقناةٍ[٦] من الكهف مستقبلاً بنات نعشٍ[٧] في أرض الروم تزول عنهم الشمس مستدبرةً وطالعةً ولا تدخل الشمس عليهم فتؤذيهم وتلفحهم بسمومها وتغير ألوانهم وتبلي ثيابهم وأنهم في فجوةٍ أى في

(١) أخرجه الطبري (١٥/١٤٠) عنه بلفظ: تذرهم ، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/ب).
(٢) أخرجه الطبري (١٥/١٤٠).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/ب).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/ب)، وانظر أيضاً: مجاز القرآن لابي عبيدة (١/٣٩٦).
(٥) انظر: مجاز القرآن لابي عبيدة (١/٣٩٦).
(٦) في اللسان (٣/١٦٧): المقناة: الموضع الذي لا تصيبه الشمس.
(٧) في اللسان (٣:٦٧٠): وبنات نعش: سبعة كواكب، أربعة فيها نعش؛ لأنها مربعة ، وثلاث بنات.

متسع منه ينالهم برد/ الريح ونسيمها وينفي عنهم غمة الغار وكربه[1]. ٣١٢/ب

﴿ **ذٰلك** ﴾ الذي ذكرت من قصتهم وشأن الفتية ﴿ **من ءايات الله** ﴾ من عجائب صنع الله.

﴿ **من يهد الله** ﴾ من حكم الله عليه بالهداية ﴿ **فهو المهتد** ﴾ لدينه ﴿ **ومن يضلل** ﴾ ومن حكم عليه بالضلالة[2] ﴿ **فلن تجد له ولياً مرشداً** ﴾ يعني معينا يدلهم على رشدهم.

قوله: ﴿ **وتحسبهم أيقاظاً** ﴾ وتظنهم يا محمد ﴿ **أيقاظاً** ﴾ يعني منتبهين ﴿ **وهم رقودٌ** ﴾ وهم نيامٌ لأن أعينهم كانت مفتوحةً في حال نومهم وقيل: معناه: لو إطلعت عليهم تحسبهم أيقاظاً وهم رقود.

قال الكسائي: الأيقاظ جمعٌ، واحدها يقظٌ ونظيره من الكلام: رجلٌ نجدٌ ونجدٌ أي شجاع وجمعه أنجادٌ[3].

قال الله: ﴿ **ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال** ﴾ قرأ الحسن: ونقلِّبهم ونَقلْبهم بفتح النون وتخفيف اللام[4] نظيره: ﴿ **ثم إليه تقلبون** ﴾[5] والتخفيف

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:٩)، وانظر: تفسير الواحدي المسمى الوسيط (١٣٩/٣)، وانظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٧/ب).

(٢) لا يفهم من هذا ما تقوله المعتزلة بأن هدى الله وإضلاله، هو الحكم على المهتدي بالهدى، وعلى الضال بالضلالة أو تسميتهما بذلك، وإنما يهدي الله جل وعلا من يشاء بالفعل ويضل من يشاء بالفعل.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/ب).

(٤) المروى عن الحسن بالتاء وتخفيف اللام وتشديده. انظر: البحر المحيط (١٠٩/٦)، والمختصر في شواذ القرآن لابن خالوية (ص:٧٨)، والمحتسب لابن جني (٢٦/٢).

(٥) لعله أراد الآية ٢١ من سورة العنكبوت، ونصها: ﴿ **يعذب من يشآء ويرحم من يشآء وإليه تقلبون** ﴾.

والتشديد هما لغتان.

قال ابن عباس: كانوا يقلبون في السنة مرةٍ من جانبٍ إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم[١].

وروى أبو عياض[٢] عن أبي هريرة قال: كان لهم في كل سنةٍ تقليبتان[٣] وكان تقليبهم بيد جبريل عليه السلام، قال [الأستاذ][٤]: ورأيت في بعض التفاسير أن تقليبهم كان في يوم عاشوراء ﴿**وكلبهم باسطٌ ذراعية**﴾ ناشرٌ ذراعيه ﴿**بالوصيد**﴾.

قال ابن عباس: بفناء الباب[٥]، قال السدي: الوصيد الباب[٦]، قال عطاء: الوصيد عتبة الباب[٧].

إذا جعلنا الوصيد عتبة الباب أمكن أن يكون الكلب في الكهف لأن الباب ملصقٌ بالعتبة وإذا جعلت الوصيد فناء الباب أو الباب يكون الكلب خارج الكهف.

---

(١) في الأصل: [يغلبونهم] وهو خطأ والصواب ما أثبته، تم التصويب من رواية البغوى عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) هو: عمرو بن الأسود العنسي، ويقال الهمداني، أبو عياض، ثقة من كبار التابعين وروى عن جمع من الصحابة منهم أبو هريرة رضي الله عنه مات في خلافة معاوية.
انظر: تهذيب التهذيب (٤/٨)، والتقريب (٢/٦٥).

(٣) أخرجه البغوي (٣/١٥٤)، وابن حبيب (ق:١٦٧/ب).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٦٧/ب). والمراد بالاستاذ ابن حبيب.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/١٤١)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/ب).

(٦) أخرجه البغوي (٣/١٥٤)، وأخرج الطبري مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٥/١٤٣).

(٧) أخرجه البغوي (٣/١٥٤).

وقرأ جعفر بن محمد الصادق وكالبهم باسطٌ ذراعيه يعني صاحب الكلب وهو الراعي[1].

﴿لو اطلعت﴾ يا محمد ﴿عليهم﴾ على أصحاب الكهف في تلك الحال أنهم يقبلون رقوداً على هيئة الأموات.﴿لوليت منهم فراراً﴾ لأدبرت منهم فراراً من الهيئة التي عليهم ﴿ولملئت منهم رعباً﴾ ولأخذت منهم رعباً خوفاً.

﴿وكذٰلك بعثنٰهم﴾ وهكذا أيقظناهم بعد مضي ثلثمائة سنة وتسع سنين ﴿ليتسآءلوا بينهم﴾ أي ليسأل بعضهم بعضاً ﴿قال قائلٌ منهم﴾ يعني رئيسهم مكسلمينا ﴿كم لبثتم﴾ كم مكثتم في الكهف ﴿قالوا لبثنا﴾ مكثنا ﴿يوماً أو بعض يوم﴾ .

قال مقاتل: وإنما قالوا يوماً أو بعض يوم لأنهم دخلوا الكهف غدوةً وقالوا هذا وقد زالت الشمس[2].

﴿قالوا﴾ يعني مكسلمينا ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ مكثتم في الكهف ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هٰذه إلى المدينة﴾ .

قال ابن عباس: وذلك أنهم وجهوا تمليخا إلى البلدة ودفعوا إليه الورق ليشتري لهم الطعام فخرج تمليخا من الكهف فرأى على باب الكهف حجارة مكسورة فأنكرها [فأخبر أصحابه بذلك فخرجوا فأنكروها وتعجبوه ثم بعثوه فدخل المدينة فأنكر][3] أهلها ولم يعرف منهم أحداً وكان ظهر على البلدة ملكٌ مسلمٌ يقال له

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٧/ب)، والبحر المحيط (٦/١٠٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٧٩).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، والسياق لا يستقيم بدونه، وتم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٦٨/أ).

إستحباذ فحملهم على الإسلام ومحق الأصنام فأتى تمليخا حانوت خباز فأخرج ورقه فـأنكره الخبـاز وقال له إنك وجـدت كنزاً وهـذه الدراهم من ضـرب دقيـانوس فـإن أعطيـتني من ذلك الكنز وإلا رفـعت أمـرك إلى الملك قال إني خـرجت منهـا أمس مع أصـحابٍ لي مـن البلدة فرفـع شأنه إلى الملك فـدعـاه / فـقال له من أين جئت بهـذه الدراهم قـال خرجت بهـا من البلدة عشـية أمس فـقال الملك إنك تريني إنك مـجنونٌ لتخبـرني من أين جئت بهذه الدراهم وإلا قـتلتك فقص عليه القصـة وكان هناك عند الملك شيوخٌ فقالوا أيها الملك حدث آباؤنا أن سبعةً من الفتية فروا بدينهم من دقيانوس ولعله صادقٌ فاركب حتى نخرج معك فننظر إلى الكهف وإليهم فلعل هذا أمرٌ يريد أن يظهرك الله عليه فركب الملك وركـبوا معه حتى أتوا باب الكهف فسبـقهم تمليخا بالدخول وقال لهم أتاكم الملك وظنوا أنه دقيانوس الكافر وخافوا على أنفسهم فدخل عليهم الملك والناس وجعلوا ليسـألونهم فبينما هم يتـحدثون إذ سقطوا ميتين فـقال الملك إن هذا الأمر عجيبٌ فما تأمرون فخرجوا من الكهف . فاختلفوا، فقال بعضهم : نبني عليـهم بنيـاناً، وقـال الملك نتـخذ مـسـجـداً على باب الكهف[1] فذلك قـوله: ﴿فابعثوا أحدكم﴾ يعني تمليخا ﴿ بورقكم ﴾ الورق الفضة مضـروبةٌ كانت أو غير مضروبةٍ ﴿ هذه إلى المدينة ﴾ مدينة أفسوس وفيه تقديمٌ وتأخـيرٌ ومعناه فابـعثوا إلى المدينة هذه بورقكم.

١/٣١٣

﴿ فلينظر أيها أزكى طعاماً ﴾ قال ابن عبـاس: أحل ذبيحةً[2]، لأن عامتهم كان

---

(١) بناؤهم المسجد على باب الكهف مخالف لشرعنا لأن الرسول ﷺ قال: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر مثل ما صنعوا.

انظر: صحيح مسلم (١/٣٧٧) برقم (٥٣١).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٨/أ)، وأخرج مثله الطبري (١٥/١٤٨) عن سعيد بن جبير بلفظ أحل طعاماً.

مجوساً . قال الضحاك: أزكى أي أطيب طعاماً[1] . قال مقاتل ابن حيان : أجود طعاماً[2]. قال يمان بن رباب[3] أرخص طعاماً. قال عكرمة: أزكى يعني أكثر طعاماً[4]، لأن الزكاة عند العرب الكثرة، وسميت الزكاة زكاةً لأنها سبب نماء المال وكثرته. وقال بعضهم: أنهم أمروه بحمل الخبز والعنب. وأصل الزكاة النماء والزيادة.

﴿ **فليأتكم برزق منه** ﴾ بطعامٍ منه، في هذه الكناية قولان:

أحدهما: إلى الطعام .

والثاني: راجعٌ إلى أزكى معناه ﴿ **فليأتكم برزق منه** ﴾ من الأزكى من الطعام ﴿ **وليتلطف** ﴾ وليرفق في الشرى .

وقيل: وليماكس في الشراء، ﴿ **ولا يشعرن بكم أحداً** ﴾ ولا يعلمن بكم أحداً من المجوس.

﴿ **إنهم إن يظهروا عليكم** ﴾ يعني أهل البلدة إن وقفوا على شأنكم ﴿ **يرجموكم**﴾ يقتلوكم ويكون بمعنى يضربوكم.

﴿ **أو يعيدوكم فى ملتهم** ﴾ يعني يصرفوكم إلى دينهم المجوسية ﴿ **ولن تفلحوا** ﴾ ولن تنجوا من عذاب الله إن عدتم إلى دينهم المجوسية، ﴿ **إذاً** ﴾ بعد ذلك ﴿ **أبداً** ﴾.

(١) أخرجه البغوي (٣/١٥٥)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٨/أ).
(٢) أخرجه البغوي (٣/١٥٥)، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٨/أ).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٨/أ)، وذكر البغوي مثله دون نسبه (٣/١٥٥).
(٤) أخرجه البغوي (٣/١٥٥) ، وذكره ابن حبيب (ق:١٦٨/أ).

قال: ﴿ وكذلك﴾ وهكذا ﴿ أعثرنا﴾ أطلعنا ﴿ عليهم﴾ غيرهم يعنى أهل البلدة ﴿ عليهم ﴾ على أصحاب الكهف، تقول العرب عثرت على الشيء إذا اطلعت عليه، ومنه قوله ﴿ فإن عثر على أنهما﴾[1] الآية أى اطلع وأعثرت غيرى إعثاراً إذا أطلعته على الشيء.

﴿ ليعلموا﴾ يعنى المؤمنين والكافرين ﴿ أن وعد الله ﴾ يعنى البعث بعد الموت ﴿ حق﴾ صدق كائنٌ ﴿ وأن الساعة لا ريب فيها ﴾ لا شك فيها ﴿ربهم أعلم بهم﴾✎

﴿ إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾ مقدمٌ ومؤخرٌ ومعناه ربهم أعلم بهم حين يختلفون بينهم في أمرهم ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ﴾ فقال بعضهم لبعض نبنى عليهم بنياناً.

﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم ﴾ يعنى ملكهم ﴿ لنتخذن عليهم مسجداً﴾ ﴿سيقولون ثلثة رابعهم ﴾ الآية من هنا كلام النصارى والمسلمين فى اختلافهم فى عدد أصحاب الكهف فى زمن النبي ﷺ وذلك أن النصارى من أهل نجران/ كانوا ٣١٣/ب عند النبي ﷺ[2] فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد من النصارى كانوا ثلاثةً رابعهم كلبهم، وكان السيد يعقوبياً، وقال العاقب منهم، كانوا خمسةً سادسهم كلبهم، وكان نسطوريا، وقال المسلمون كانوا سبعةً وثامنهم كلبهم فذلك قوله: ﴿ سيقولون ﴾ يعني النصارى ﴿ ثلثةٌ رابعهم كلبهم ﴾ ﴿ ويقولون ﴾ يعنى العاقب من النصارى وكان نسطورياً ﴿ خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ﴾ ظناً بالشك

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٧.

(٢) هذا القول فيه نظر، لأن السورة مكية ، وأن وفد نجران جاء إلى المدينة في السنة التاسعة من الهجرة ، ونزل في شأنهم أول سورة آل عمران والله أعلم.

من غير علم ﴿ ويقولون ﴾ يعني المسلمين ﴿ سبعةٌ وثامنهم كلبهم ﴾ فحقق الله قول المسلمين وصدقهم بقوله تعالى حكايةً عما قالوا ﴿ رجما بالغيب ﴾ يعني إنهم إنما قالوا بالحدس والظن لا بالحقيقة فلما ذكر قول المسلمين لم يقل ﴿ رجما بالغيب ﴾ فدل على أنهم كانوا مؤمنين فيما قالوا لا ظانين[1] فيه.

قال ابن حبيب: وقد تكلم عوام العلماء في هذه الواو وزعموا أنها واو الثمانية واحتجوا بسائر آيات القرآن فمنها قوله: ﴿التـٰئبون العـٰبدون﴾ ثم قال: ﴿والناهون عن المنكر﴾[2] ومنها قوله في صفة أهل النار ﴿ وسيق الذين كفروا﴾ إلى قوله ﴿ فتحت أبوٰبها﴾[3] ثم قال في صفة أهل الجنة ﴿ وفتحت أبوٰبها ﴾[4] وقالوا لأن دركات النار سبع والجنات ثمان ومنها قوله تعالى لأزواج رسول الله: ﴿ عسى ربه إن طلقكن ﴾[5] الآية ثم قال في أخرها ﴿ وأبكاراً﴾ فأدخل الواو في عدد الثمان، وقالوا كانت العرب إذا حسبت قالوا واحدٌ إثنان ثلاثةٌ أربعةٌ خمسةٌ ستةٌ سبعةٌ وثمانيةٌ ، وذلك أن العقد كانت عندهم سبعةٌ. كما هو اليوم عندنا عشرة[6]، فلما جازوا السبعة أدخلوا الواو وقال أهل الحقائق: إن هذا قولٌ ركيكٌ وحكم على اللغة بما لم ينطق به ولا يطرد. فلكلٍ من هذه الواوات حكم ومعنى آخر فأما قوله: ﴿ والناهون عن المنكر ﴾ فإنها تسمى واو الغمور، ومعناها أن الناهين عن المنكر هم الذين يغمرون

(١) قال الحافظ ابن كثير (١٤٣/٥، ١٤٤):: « يقول تعالى مخبراً عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال ... ثم حكى الثالث . وسكت عليه أو قرره بقوله: ﴿ وثامنهم كلبهم﴾ فدل على صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر»أهـ.

(٢) سورة التوبة آية ١١٢.

(٣) سورة الزمر آية ٧١.

(٤) سورة الزمر آية ٧٢.

(٥) سورة التحريم آية ٥.

(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٨/ب).

هذه الأوصاف السبعة.

وأما قوله في وصف أهل النار ﴿ **فتحت أبوٰبها** ﴾ فلأنها كانت مغلقةً ولا تفتح ما لم يأت أهلها.

وأما قـوله فـي وصف أهل الجنة ﴿ **وفتـحت أبوٰبها** ﴾ فهـذه تسمـى واو الحال ومجازها أن أبوابها مفتوحةٌ قبل مصير أهلها إليـها لقول الله تعالى: ﴿ **جنـٰت عدن مفتحةً لهم الأبوٰب** ﴾[1] وقوله: ﴿ **سبقت رحمتى غضبى** ﴾[2].

وأما قوله في وصف أزواج النبىﷺ ﴿ **ثيبات وأبكار اً** ﴾ فإن هذه الواو تسمى واو الفـرق والتمييـز، لأنه ميز بين البكر والثيب بهـذه الواو ، لأنه لو لم تدخل هذه الواو فقال ثيبات أبكارا لأدى أن الثيب لا يكون بكراً والبكر لا يكون ثيباً[3] وأما قوله في هذه الآية ﴿ **وثامنهم كلبـهم** ﴾ فـإن هذه الواو تسمى واو الحكم والتـحقـيق لأن النصارى اختلفوا في عـددهم فقال بعضهم ﴿ **ثلـٰثةٌ رابعهم كلبهم** ﴾ وقال بعضهم ﴿**خمسة سادسهم كلبهم**﴾ وقال المسلمون ﴿ **سبعـةٌ وثامنهم كلبهم** ﴾ فحقق الله قول المسلمين وأدخل هذه الواو فقال ﴿ **وثامنهم كلبهم** ﴾ .

والدليل على حـقـيـقـة قـول المسلمين أن الله قـال في قـول النصـارى: ﴿ **رجماً بالغيب**﴾ ولم يقل في قول المسلمين هذا.

﴿ **قل** ﴾ يا محـمد ﴿ **ربى/ أعلم بعـدتهم** ﴾ بعـددهم أي لم يظهـر لهم الحكم ١/٣١٤

(١) سورة ص آية ٥٠.

(٢) حديث قدسي أخرجه مسلم بهـذا اللفظ (٢١٠٨/٤) كتاب التوبة وأخـرجه الحميـدي في مسنده (١١٢٦/٢). وفي البخاري بلفظ: «إن رحمتى سبقت غضبي».

(٣) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٦٨/ب).

ليتميز العالم من الجاهل ﴿ **ما يعلمهم إلا قليلٌ**﴾ من المؤمنين وكان ابن عباس، إذا قرأ هذه الآية قال أنا من أولئك القليل[١] إنهم سبعةٌ وثامنهم كلبهم.

﴿ **فلا تمار فيهم**﴾ فلا تجادل معهم فى عددهم ﴿ **إلا مراءً ظهراً** ﴾ إلا أن تقرأ القرآن عليهم ظاهراً.

﴿ **ولا تستفت** ﴾ ولا تسأل ﴿ **فيهم** ﴾ يعنى فى شأن أصحاب الكهف ﴿**منهم**﴾ من أهل الكتاب ﴿ **أحداً** ﴾.

﴿ **ولا تقولن لشاىء إنى فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله** ﴾ إلا أن تقول إن شاء الله.

قال سعيد بن جبير : قل إن شاء الله ولو بعد يوم أو اسبوع أو شهر أو سنة[٢]، وستأتى قصتها فى سورة الضحى .

﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ أي استثنى إذا نسيت الإستثناء ثم ذكرته.

وقال الضحاك، والسدي والحسن: هذا في الصلاة[٣] أى وصل لربك إذا نسيت لقول النبيﷺ من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها[٤].

(١) أخرجه البغوي (٣/١٥٦، ١٥٧). وأخرجه الواحدي في الوسيط من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما (٣/١٤٢). وانظر: ابن كثير (٥/١٤٤).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٨/ب).

(٣) ابن حبيب (ق:١٦٩/أ)، وأخرجه البغوي (٣/١٥٧) عن الضحاك والسدي، وأخرج البغوي عن ابن عباس ومجاهد والحسن : أن معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن (٣/١٥٧).

(٤) رواه البخاري (١/١٤٨) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم في كتاب المساجد (١/٤٧٧) برقم (٤٨٤).

قال أهل الإشارة[١]: واذكر ربك إذا نسيت غيره، يعني إن ذكر الله إنما يتحقق بعد نسيان غيره.

ويؤيد هذا قول ذي النون المصري: من ذكر الله ذكراً على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء [و][٢] حفظ الله له كل شيءٍ وكان له عوضاً من كل شيء[٣].

﴿وقل عسى أن يهدين﴾ الآية معناه وقل يا محمد عسى أن يثبتني **﴿ربى لأقرب من هذا رشداً﴾** على طريق هو أقرب إليه أو يرشدني إليه من هذا الإختلاف.

﴿ ولبثوا﴾ ومكثوا **﴿ فى كهفهم ثلث مائةٍ سنين ﴾** قال مقاتل : ولما نزلت **﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلث مائةٍ سنين ﴾** فاختلفوا فيه، فقال بعضهم: ثلاثمائة شهر، وقال بعضهم: ثلاثمائة [يوم][٤]، وقال بعضهم: ثلاثمائة ساعة، فأنزل الله تفسير العدد فقال سنين[٥] وهو نصب على التفسير على قراءة من قرأ بالتنوين، ومن قرأ بالإضافة[٦] كان محل سنين حفضاً **﴿ وازدادوا تسعاً﴾** على الثلاثمائة، فإن قيل ما الحكمة فيه أن الله تعالى قال: **﴿ ثلث مائةٍ ﴾** ثم قال **﴿ وازدادوا تسعاً ﴾** قلنا: وذلك أن قبل الإسلام كان عددهم بالشهور فعدوا كل شهر ثلاثين يوماً فلما جاء الإسلام كان

---

(١) أهل الأشارة: هم الصوفية الذين يفسرون القرآن إشارياً على خلاف ما يظهر منه بمقتضى إشارات خفية يدعون أنها تظهر لأرباب السلوك، وهو تأويل باطل ينبغي أن يصان كلام الله عنه.

(٢) الواو ساقطة من الأصل تم استدراكها من أصل النص في الرسالة القشيرية (ص:٢٢٢).

(٣) انظر: الرسالة القشيرية (ص:٢٢٢).

(٤) في الأصل: [أياماً] والصواب ما أثبته.

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/أ). ولم أجد هذا القول في تفسير مقاتل . الذي بين أيدينا.

(٦) القراءتان سبعيتان . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٠٨).

عددهم الشهور بالهلال مرة يكون عددهم تسعاً وعشرين ومرةً ثلاثين فبين الله تعالى الفرق بين الشهور والأهلة فقال ﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلث مائةٍ سنين﴾ في عدد الشهور الأول الذي يعدون قبل الإسلام، وعلى حساب أهل الكتاب ﴿ ازدادوا تسعاً﴾ يعني ثلاثمائة وتسع سنين على حساب القمر الذي تعدون بعد الإسلام.

فإن قيل لم قال ثلاثمائة سنين ويقال في الحساب ثلثمائة سنة قلنا: إن هذا نصبٌ على التميز والتميز على نوعين تميزٌ راجعٌ إلى المعنى وتميزٌ راجعٌ إلى اللفظ فإذا قلت ثلثمائة سنةٍ فهو راجعٌ إلى اللفظ فإذا قلت ثلثمائة سنين فهو راجعٌ إلى المعنى لأن ثلثمائه يكون سنين.

﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ الله أعلم بما لبثوا ﴾ بما مكثوا بعد ذلك ، تم الكلام إلى هاهنا قصة أصحاب الكهف.

﴿ له غيب السموٰت والأرض ﴾ أي له سر أهل السموات وأهل الأرض ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ قال الفراء: هذا نصب على التعجب، وهو في صورة الأمر، ومعناه: ما أبصره بأحوال عباده ، وما أسمعه لأقوالهم[1].

٣١٤/ب

﴿ ما لهم ﴾ أي ما لأهل السموات/ والأرض ﴿ من دونه ﴾ من دون الله، ﴿من ولى﴾ من ناصرٍ ومانعٍ يمنعهم من عذاب الله.

﴿ ولا يشرك فى حكمه أحداً ﴾ يعني الله لا يشرك في حكمه أحداً من الأصنام وغيرها.

وقرأ ابن عامر: ولا تشرك بالتاء[2] جزماً على النهي أي ولا تشرك يا محمد في

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١٣٩/٢).

(٢) قرأ ابن عامر بالتاء، وقرأ الباقون بالياء. انظر: التذكرة لابن غلبون (٥٠٩/٢).

حكمه أحداً واستدلوا بما بعده . ﴿ **واتل** ﴾ واقرأ ﴿ **ما أوحى إليك من كتاب ربك** ﴾ ولا تزد فيه ولا تنقص منه ﴿ **لا مبدل لكلمته** ﴾ ولا مغير لكتابه يعنى القرآن نظيره ﴿ **ما يبدل القول لدى**﴾[1].

﴿ **ولن تجد من دونه**﴾ من دون الله ﴿ **ملتحداً**﴾ ملجأ قال ابن عباس: حرزاً[2].

قال الحسن: مدخلاً[3]. وقيل: مؤيلاً وقيل: مفراً ، وأصل الملتحد من لحد القبر وهو يؤول إلى الميل.

قوله: ﴿ **واصبر نفسك**﴾ الآية قال الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الغزارى[5]. وذلك أنه أتى النبى ﷺ وعنده صهيب بن سنان وعمار بن ياسر وعامر بن فهيرة ومهجع مولى عمر بن الخطاب وخباب بن الأرت وسلمان الفارسي وكان بيد سلمان خوصة[6] ينسخها وعليه شملة[7] قد عرق فيها فقال عيينة للنبي ﷺ أما يؤذيك يا محمد ريح هؤلاء فوالله لقد آذاني ريحهم فجعل ينحي سلمان عن المجلس ثم قال لرسول الله ﷺ نحن سادات مضر وأشرافها فإن أسلمنا أسلم الناس وإن أبينا أبا الناس وما يمنعنا من الدخول عليك

---

(١) سورة ق آية ٢٩.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/أ)، وأخرجه البغوي (١٥٨/٣، ١٥٩).

(٣) انظر المصدرين السابقين.

(٤) قال بذلك ابن حبيب (ق:١٦٩/أ)، والبغوي (١٥٩/٣).

(٥) هو: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو مالك قيل له صحبه وأنه أسلم قبل الفتح. انظر ترجمته في: الاصابه (٥٤/٣، ٥٥).

(٦) الخُوصة: هي ورقة النخلة (إي السعف). انظر: مختار الصحاح (ص:١٩٢).

(٧) نوع من الكساء يشتمل به . انظر: مختار الصحاح (ص:٣٤٧).

إلا سلمان وأصحابه الفقراء فاجعل لنا مجلسا ونح هؤلاء عنك حتى نتبعك فأنزل الله ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم** ﴾ فقال النبي ﷺ عند نزول هذه الآية الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم[1] وأصل الصبر الحبس ومنه المصبورة التي نهي عن قتلها وسمي شهر رمضان شهر الصبر لأن الصائم يحبس نفسه فيه عن الطعام والشراب فذلك قوله: ﴿ **واصبر نفسك**﴾ أي احبس نفسك ﴿**مع الذين يدعون ربهم**﴾ يعبدون ربهم ﴿ **بالغدوٰة والعشى**﴾.

قال ابن عباس: يعني طرفي النهار[2] . قال قتادة: يعني الصبح والعصر[3]. قال ابن حبيب هذه نكرة في صورة المعرفه لأنه ليس يريد به غدوةً وعشيةً بعينها[4].

﴿ **يريدون وجهه** ﴾ يعني يريدون الله والوجه صلة[5]، قال قتادة: يعني يطلبون بصلاتهم ودعائهم وجه الله والمراد به [الخشية][6] وترك الرياء[7].

﴿**ولا تعد عيناك عنهم** ﴾ قال الضحاك: لا تتجاوز عيناك عنهم

---

(١) البغوي (١٥٩/٣)، وابن حبيب (ق:١٦٩/أ). وانظر: الواحدي في اسباب النزول (ص:٣٠٦).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر: تفسيره (ق:١٦٩/ب).

(٥) هذا خطأ فالوجه ليس صلة، بل هو صفة لله عزوجل ، ويجب اثباته لله تعالى على ما يليق به كما وردت النصوص توضح ذلك وتبينه. قال تعالى: ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام**﴾ الرحمن ٧، وقال: ﴿ **وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**﴾ الليل ٢٠، وثبت في صحيح مسلم (١٦٣/١) أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة.

(٦) كذا في الأصل ولعل الصواب: [الحسبة] بدل [الخشية] كما هو في تفسير ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).

لرثاثة حالهم[1] .

قال ابن عباس: [لا تزر][2] بهم تهاوناً بهم[3] أي لا تعرض عنهم إعراضاً . قال الأخفش: لا ترفع عينيك عنهم إلى غيرهم[4] . قال ابن حبيب: والأصل فيه التجاوز.

تقول العرب: عدوت في المشي أعدوا عدواً وعدوت على الرجل عدوانا [إذا][5] ظلمته وعدوت عن فلان عدواً إذا جاوزت [عنهم][6] والفعل للغير والمراد به النبي ﷺ[7] ﴿ تريد زينة الحيوٰة الدنيا ﴾ وهو حالٌ مردودٌ إلى الاستعمال ومجازه: لا تعد عيناك عنهم مريداً زينة الحياة الدنيا .

وقيل: معناه: لا تعرض عنهم إعراضاً فإنك إن أعرضت عنهم فبذلك الإعراض تريد زينة الحياة الدنيا.

﴿ ولا تطع ﴾ يا محمد ﴿ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ قال ابن عباس والضحاك والمقاتلان[8] والسدي وقتادة وعطاء والحسن: يعني عيينة بن حصن[9]./ ٣١٥/أ

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).
(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: [لا تزدريهم] كما هو في تفسير ابن حبيب .
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).
(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب .
(٦) كذا في الأصل والصواب عند ابن حبيب: [عنه]..
(٧) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٩/ب) وفيه [والفعل للغيب والمراد به صاحبها].
(٨) المقاتلان: يعني مقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان.
(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).

وقال أبو العالية: يعني أمية بن خلف الجمحي[1] ومعناه: ولا تطع من أنسيناه ذكرنا وهو ردٌ على المرجئة لأنهم يقولون إن الإيمان إقرارٌ باللسان وليس بالقلب وقرأ يحيى بن يعمر : ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه**﴾ بفتح اللام وضم الباء[2] جعل الفعل للقلب يريد ولا تطع من نسينا وترك أمرنا وهو بعيد وقرأ الأعمش ﴿ **ولا تعد عيناك عنهم**﴾ بتشديد الدال وضم التاء[3] فعلان متعديان.

﴿**واتبع هوىه**﴾ واتبع [هواء][4] نفسه في عبادة الأصنام ﴿ **وكان أمره فرطا**﴾.

قال ابن عباس: يعني أفرط في قوله ولم يكن كما قال[5]، وهو الذي ذكرنا في القصة وهو عيينة بن حصن الفزازى.

قال قتادة والضحاك: ﴿**وكان أمره فرطا** ﴾ضياعاً[6]. قال مجاهد: ضائعا في الإسلام[7]. قال مقاتل بن حيان: سرفا[8] قال الأخفش: متجاوز الحد[9]. قال الفراء: وكان أمره متروكا[10]. قال أبو عبيدة: هو من قول العرب فرس فرطٌ إذا سبق الأفراس وفرطِ مني القولِ أي سبق.

(١) انظر المصدر السابق. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص/٣٠٧) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) قراءة شاذة . انظر: المحتسب لابن جني (٢٨/٢) ونسبها إلى عمرو بن قائد.
(٣) قراءة شاذة. انظر: البحر المحيط (١١٩/٦).
(٤) كذا في الأصل ولعل الصواب [هوى].
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).
(٦) انظر المصدر السابق وأخرجه البغوي عن قتادة ومجاهد (١٥٩/٣).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).
(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب)، وأخرجه البغوي (١٥٩/٣).
(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب) ، وأخرجه البغوي (١٥٩/٣).
(١٠) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٦٩/ب) ، والبغوي (١٥٩/٣)، ومعاني القرآن للفراء (١٤٠/٢).

﴿ وقل الحق من ربكم ﴾ يعنى ﴿ وقل ﴾ يا محمـــد ﴿ جاء الحق ﴾ نظـــيره: ﴿ وقل جـاء الحق وزهق البـطل ﴾[1]. قال الأخـفش: يعني قل هو الحق من ربكم[2]، وقيل: قل ظهر وبدا الحق من ربكم.

﴿فمن شاء فليـؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا أمر وعيـد وتهديد لقـوله تعالى : ﴿اعملوا مـا شئتم ﴾[3] قـال ابن عبـاس: فمن شـاء الله له الإيمان آمن ومن شـاء الله له الكفر كفر[4].

﴿ إنا أعتدنا ﴾ خلقنا وهيأنا وهو العتاد وهو الزاد والعـده وهو ردٌ على الجهمية وعلى النظام[5] . ومن أنكر خلق الجنة والـنار لأنه خبـر والخبـر لا ينسخ لأنه إذا نسخ صار المخبر كذاباً، قال الحسين بن الفضل : من أعد لك شيئاً ولم يكن المعد كما أعد كان المعد فيه كذاباً[6] ﴿ إنا أعتدنا ﴾ خلقنا وهيأنا ﴿ للظـلمين ﴾ للكافرين ﴿ ناراً أحاط بهم سرادقها﴾.

قال ابن عبـاس ومقـــاتل: السرادق هـــو مـا يخرج مـــن الـــنار مـــثل

---

(١) سورة الاسراء آية ٨١.
(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢/٦١٨).
(٣) سورة فصلت آية ٤٠.
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب)، وأخرجه البغوي (٣/١٥٩).
(٥) شيخ المعتزله أبو إسحاق إبراهيم بن يسار مولى آل الحارث بن عباد الضبعي البصري المتكلم. تكلم في القدر مات سنة بضع وعشرين ومئتين هجريه. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٢).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).

العـــنق(١) وهو كقوله: ﴿انطلقوا إلى ظل ذى ثلــث شعب﴾(٢).

قال السدي: ﴿ أحاط بهم سرادقها﴾ يعنى دخــان جهنم(٣). قــال بعضهــم: ﴿ أحاط بهم سـرادقها﴾ يعنى ظلمـات النار(٤)، وأصل السـرادق الفسطاط، وهو مـا يضـرب على السلاطـين، ويقال له البلق أيضـا وبيت مـسردق إذا كـان مـخاط عليـه الجدار لا فرجة فيه(٥).

﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل ﴾ يعني في النار .

قـال ابن عبـاس: ﴿ بماءٍ كـالمهل ﴾ يعنى بماءٍ أسـودٍ غليظٍ كـدردى(٦) الزيت(٧) والخمر وهو أصلها . وقال أبو العالية: ﴿ بماء كالمهل ﴾ يعنى كالقيح والدم(٨) . وقال ابن مسعود: المهل هو الفضة المذابة وكان عنده قوم فسألوه عن المهل فأمر غلامه حتى أذاب شيئاً من الفـضة ثم قدمـه إليهم فـقال هذا أشبـه شيءٍ بالمهل(٩). قال أبو عـبيدة: المهل: كل ما أذيب من جواهر الأرض(١٠).

﴿ يشوى الوجوه ﴾ ينضج الوجوه، إذا أدنوه من وجوههم ﴿ بئس الشراب ﴾

---

(٢) ذكـره ابن حـبيب (ق:١٦٩/ب)، وأخرجـه البـغوي عن ابن عـبـاس رضي الله عنهمـا (٣/١٦٠) بلفظ: «هو حائط من نار». وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٨٣).

(٢) سورة المرسلات آية ٣٠.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٦٩/ب).

(٤) قال ابن حبيب : رأيت في بعض التفاسير : يعنى ظلمات النار (ق:١٦٩/ب).

(٥) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٦٩/ب).

(٦) دردي الزيت وغيره ، ما يبقى في أسفله. انظر مختار الصحاح (ص٢٠٢).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٠/أ) ، وأخرجه البغوي (٣/١٦٠).، ولم يكن في اللفظ الخمر.

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٠/أ)، وأخرجه البغوي مثله عن مجاهد (٣/١٦٠).

(٩) أخرجه الطبري (١٥/١٥٨)، والبغوي (٣/١٦٠).

(١٠) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٠/أ).

شرابهم ﴿ وسآءت مرتفقا﴾ وأصل الإرتفاق الإتكاء.

ثم ذكر الله صفة المؤمنين ومستقرهم فقال: ﴿ إن الذين ءامنوا وعملوا الصـٰلحـٰت﴾ الآية.

قال ابن حبيب: ليس قوله: ﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ خبراً لقوله: ﴿ إن الذين ءامنوا وعملوا الصـٰلحـٰت﴾ بل هو كلامٌ معترضٌ والمعنى ﴿ إن الذين ءامنوا وعملوا الصـٰلحـٰت ﴾ ﴿ أولئك لهم جنـٰت عدن تجرى من تحتهم الأنهـٰر﴾ ﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾[1] نجازيه بإحسانه. نظيره: ﴿ إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾[2] ﴿ إنا لا نضيع أجر المحسنين﴾[3] .

﴿ أولئك لهم جنـٰت عدن﴾ والعدن الإقامة ﴿ تجرى من تحتهم الأنهـٰر يحلون فيها﴾ يعني يلبسون فيها ﴿ من أساور من ذهب ﴾ .

قال سعيد بن جبير: على كل واحد منهم ثلاثة أساور، واحدٌ من فضةٍ، وواحدٌ من ذهبٍ، وواحدٌ من لؤلؤ[4] ويواقيتا، قال قطرب: كان في الأصل أساوير فاستثقل فحذفت ياؤها وهو جمع الأسوار وربما قالوا أساورة[5].

﴿ ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق ﴾ قال ابن عباس: السندس ما رق من الديباج والإستبرق ما غلظ وثخن من الديباج[6] .

---

(١) انظر: تفسيره (ق: ١٧٠/أ).

(٢) سورة الاعراف آية ١٧٠.

(٣) لعله يشير إلى آية سورة يوسف آية ٥٦ ونص الآية: ﴿ ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ .

(٤) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/أ)، وأخرجه البغوي (٣/١٦٠).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/أ).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/أ)، وقال بمثله الطبري (١٥/١٥٩)، والبغوي (٣/١٦١).

﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ يعني الأسرة عليها الحجال ﴿ نعم الثواب ﴾ ثوابهم ﴿ وحسنت مرتفقاً ﴾ معناه وحسنت الجنة منزلاً ومقراً.

قوله: ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين ﴾ يعنى وصف لهم شبهـا وبين مثلاً رجلين من أهل مكة من بني مخزوم وأخوين أحدهما مؤمنٌ وهو أبو سلمة بن عبدالأسد بن عبدياليل واسمه عبدالله وكان زوج أم سلمه قبل النبيﷺ والآخر كافرٌ وهو الأسود بن عبدالأسد بن عبدياليل[1].

.وقال مقاتل: هذه القصة نزلت في رجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمنٌ قال ابن عباس وهو يهوذا والآخر كافرٌ وهو قطروس مات أبوهما فورث كل واحدٍ من أبية أربعة آلاف دينارٍ فأما المؤمن فأنفق ماله على الفقراء والمساكين وأما الكافر فاتخذ العقار والضياع والبساتين فافتقر المؤمن ورثِت حاله فأتى أخاه يتعرض لمعروفه فقال أنا أخوك قال إن كنت أخي فأين مالك الذى ورثته من أبيك قال أقرضته ربي قال وأنت تؤمن بانك تبعث وتجزى هيهات ما أبعدك قال فذلك قوله[2]: ﴿ واضرب لهم مثلا﴾ وبين لأهل مكة صفة رجلين أخوين من بني إسرائيل أحدهما مؤمن وهو يهوذا والآخر كافر وهو [أبو][3] قطروس ﴿جعلنا لأحدهما ﴾ يعني للكافر ﴿جنتين﴾ بستانين ﴿من أعنب﴾ وكروم وأراد بالجنتين جنةً واحدةً. ولكن بعضها نخيلٌ وبعضها زروعٌ فسمي باسم الجنتين والدليل عليه أنه قال ﴿ ءاتت أكلها ﴾ ولم يقل

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٠/أ)، وقال به البغوي (٣/١٦١).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٠/أ). وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٨٤) وقد ذكر القصة مع اختلاف في اسمي الرجلين : حيث ذكر أن اسم المؤمن هو يمليخا واسم الكافر فرطس.

(٣) كذا في الأصل والصواب أن صحة الاسم : [قطروس] بدل أبو قطروس. نص المؤلف عليه قبل قليل، وكما جاء أيضاً في تفسير ابن حبيب (ق:١٧٠/أ).

آتتا ، وقال ﴿ودخل﴾ جنــته(•) ﴿ وحففنــهما بنخل﴾ يعني وجعلنا حول الأعناب النخل ﴿ وجعلنا بينهـما زرعاً﴾ يعني وجـعلنـا وسط الأعناب الزرع ﴿ كلتـا الجنتين ءاتت أكلها ﴾ وأعطت ثمرها ﴿ ولم نظلم منه شيئا ﴾ يعنى لم تنقص من الثمر شيئا ﴿ وفجرنا خلـلهما نهراً ﴾ يعني وشققنا بينهما نهراً ﴿ وكان له ثمرٌ﴾ .

قال إبن عبـاس: يعني وكان لقطروس مال [1]. قال مجـاهد: وكان له ثمرٌ يعني الذهب والفـضة[2] قـال قـتـادة: كانت لـه أموالٌ كـثيـرةٌ[3] ﴿فقال﴾ يعـني قـطروس ﴿لصــحبه﴾ لأخيه يهوذا ﴿ وهو يحاوره ﴾ قال ابن عبـاس: يعني يراجعه الكلام[4] قـال أهل المعـاني:﴿ وهو يحـاوره﴾ أي يجـاوبه[5] والمحاورة والحـوار بكسـر الحـاء المحادثة/. ٣١٦/أ

﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً﴾ يعني واكثر مالاً وهذا القول أعجب لقوله في المحاورة ﴿إن ترنى أنا أقل منك مالاً وولداً﴾ ﴿ ودخل جنته﴾ يعني قطروس ﴿ وهو ظالمٌ لنفسه﴾ بشركـه وكفره ﴿ قـال مآ أظن أن تبيـد هذه أبداً﴾ يعني مـا أظن أن تهلك وتفنى هذه الجنة أبداً.

﴿ وما أظن السـاعة قآئمةً ﴾ يعني كـائنةً ﴿ ولئــن رددت إلى ربى ﴾ يعنى صرفت إلى ربي في المعاد إن كان ما يقوله حقا ﴿ لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ من هذه

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/أ).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/أ، ب)، وأخرجه البغوي (١٦٢/٣)، وهو في صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة الكهف (٢٢٩/٥).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب).
(٥) أنظر المصدر السابق.
(•) الدليل الذي ذكره غير كـاف - والاية تنص على الجنتين. انـظر: تفسير ابن كـثيـر (١٥٣/٥)، والبغوي (١٦١/٣).

الجنة يعني منزلاً ومرجعاً. ونظيره: ﴿ **ولئن رجعت إلى ربى إنّ لى عنده للحسنىٰ**﴾[1] وفي سورة مريم حكاية عن العاص بن وائل ﴿ **لأوتين مالاً وولداً** [2]﴾ فأجابه أخوه المؤمن ﴿ **قال له صاحبه** ﴾ يعني يهوذا ﴿ **وهو يحاوره** ﴾ أي يجاوبه ﴿**أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفةٍ ثم سوىٰك رجلاً**﴾ ثم عدلك بالقامة والصورة واليدين والرجلين ﴿ **لكنا هو الله ربى** ﴾ .

قال الفراء: أصله «لكن أنا» يعني لكن أنا أقول هو الله ربي[3] ﴿ **ولا أشرك بربى أحداً**﴾. قال الكسائي: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ على قراءة من قرأ لكن هو الله[4] ربي بغير ألف[5]. ومجازه لكن هو الله ربى ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شآء الله**﴾ يعني هذه الجنة من الله ليس مني ﴿**لا قوة إلا بالله**﴾ هذا بقوة الله لا بقوتي وقال بعضهم : ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله كان وما لا يشأ لا يكون ﴿ **إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً** ﴾.

﴿ **فعسى ربى أن يؤتين** ﴾ أن يعطيني في الآخرة ﴿ **خيراً من جنتك**﴾ من بستانك، في الدنيا إلى ها هنا قول يهوذا مجيبا لأخيه الكافر.

---

(١) سورة فصلت آية ٥٠.

(٢) سورة مريم آية ٧٧.

(٣) انظر: معاني القران للفراء (١٤٤/٢).

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب)، وأخرجه البغوي (١٦٢/٣).

(٥) قرأ ابن عامر : (لكنا هو الله ربي) بالف في الوصل ووصله الباقون بغير الف. انظر: التذكرة لابن غلبون (٥٠٩/٢).

ومن ههنا كلام الله أيضاً في شأنه ﴿ ويرسل عليها ﴾ على البستان ﴿ حسباناً من السمآء ﴾ قال ابن عباس: يعني ناراً[١]. وقال مجاهد وقتادة: يعني عذاباً[٢]. قال الأخفش: الحسبان: المرامي وهي السهام واحدها حسبانة[٣]. وهو في اللغة سائغ وليس ها هنا لائق بالتفسير ﴿ فتصبح صعيداً زلقاً﴾ فتصير تراباً.

قال قتادة: ﴿فتصبح﴾ أي فيصير زرعك ﴿صعيداً﴾ أي حصيداً ﴿زلقاً ﴾ أملس لا نبات عليه[٤].

قال مجاهد: ﴿ فتصبح﴾ أي فتصير رملاً هائلاً وترابًا[٥] ﴿ أو يصبح ﴾ يعني ويصير والألف صلة.

﴿ماؤها غوراً﴾ غائراً داخلاً في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء نظيره ﴿ قل أرءيتم إن أصبح مآؤكم غوراً ﴾[٦] أي غائراً ﴿ فلن تستطيع له طلباً ﴾ حيلة.

قال الله: ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه﴾ فيصير يصفق أسفاً وندماً ﴿على ماآ أنفق فيها﴾ يعني ما أنفق على البستان في بمعنى على نظيره ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾[٧] أي على جذوع النخل ﴿ وهى خاوية علىٰ عروشها ﴾ يعني

---

(١) أخرجه البغوي (٣/١٦٣)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب).
(٢) أخرجه الطبري عن قتادة (١٥/١٦٣)، والبغوي (٣/١٦٣)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب) عن مجاهد وقتادة.
(٣) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب).
(٤) أخرجه الطبري (١٥/١٦٣). وذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب).
(٥) أخرجه البغوي (٣/١٦٣)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب).
(٦) سورة الملك آية ٣٠.
(٧) سورة طه آية ٧١.

النخيل ساقطةً على كرومها . ﴿ **ويقول يـٰليتنى لم أشرك بربى أحداً** ﴾.

قال الله: ﴿ **ولم تكن له فئةٌ** ﴾ يعني عشيرةً وجماعةً ﴿ **ينصرونه** ﴾ يمنعونه ﴿ **من دون الله** ﴾ من عذاب الله ﴿ **وما كان منتصراً** ﴾ أي وما كان ممتنعاً بنفسه من عذاب الله وقيل وما كان منتقماً من الله ﴿ **هنالك الولـٰية** ﴾ قرئ بفتح الواو وكسرها[1] فمن قرأ بفتح الواو فهو من الموالاة، ومن قرأ بكسر الواو فهو من الإمارة ومعناه فعند ذلك الإمارة والملك ﴿ **لله الحق هو خيرٌ ثواباً** ﴾ أي هو خير من أثاب ﴿ **وخيرٌ عقباً** ﴾ وخيرُ من أعقب وهما مقصوران على التمييز والتفسير .

قوله: ﴿ **واضرب لهم مثل الحيـوٰة الدنيا** ﴾ يعني وبين لأهل مكة شبه الحيا ة/ ٣١٦/ب الدنيا. ﴿ **كمآءٍ أنزلنـٰه من السمآء** ﴾ وهو المطر ﴿ **فاختلط به نبات الأرض** ﴾ يعني فاختلط الماء بنبات الأرض ﴿ **فأصبح هشيماً** ﴾ قال ابن عباس: فيصير الزرع يابساً[2]. قال الضحاك: كسيراً[3] . قال الأخفش: متفتتا[4].

﴿ **تذروه الريـٰح** ﴾ قال ابن عباس: تذريه الرياح[5]. قال ابن كيسان: تجيء به الرياح وتذهب[6].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو وفتحها الباقون، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/ ٥١٠).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب)، وأخرجه البغوي (٣/ ١٦٤).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب)، وأخرجه البغوي (٣/ ١٦٤).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧٠/ب).

(٥) ذكره ابن حبيب عنه بلفظ: تديره (ق: ١٧١/أ)، وأخرجه البغوي عنه بلفظ: تفرقه الرياح (٣/ ١٦٤).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ).

قال الأخفش: تدفعه الرياح[1]. وقرأ طلحة ابن مصرّف تذريه الرياح[2]. وكلاهما واحد فكما أن الزرع يصير يابساً لا بقاء له فكذلك الحياة الدنيا تصير فانيةً لابقاء لها.

﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ أي قادراً.

﴿المال والبنون زينة الحيوٰة الدنيا والبٰقيٰت الصٰلحٰت﴾ اختلفوا فيها.

فروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه سأل أصحابه عن الباقيات الصالحات فقالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ هي التكبير والتهليل والتحميد والتمجيد والتسبيح[3].

قال الضحاك بن مزاحم: تفسير قول النبي ﷺ هو قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[4]. قال ابن عباس: يعني الصلوات الخمس[5]، قال عوف: سألت الحسن عن الباقيات الصالحات فقال: النيات والهمات لأن بها تقبل الأعمال وترفع[6]. قال قتادة: ﴿والبٰقيٰت الصٰلحٰت﴾ كل ما أريد به وجه الله[7].

---

(١) . انظر المصدر السابق.

(٢) قراءة شاذة انظر: مختصر في شواذ القرآن عن ابن عباس رضي الله عنهما (ص: ٨٠)، وانظر: البحر المحيط (٦/١٣٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/١٦٧)، والبغوي (٣/١٦٤، ١٦٥)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ). وأخرجه الطبري (١٥/١٦٥).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ)، والبغوي (٣/١٦٥).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ).

(٧) انظر المصدر السابق.

﴿ خيرٌ عند ربك ثواباً﴾ أي خيرٌ ثواباً عند ربك **﴿ وخيرٌ أملاً﴾** أي وخير ما يأمله الإنسان.

قوله: **﴿ ويوم نسير الجبال ﴾** من ههنا حديث القيامة **﴿ ويوم نسير الجبال﴾** يعني نزيلها عن أماكنها وهو يوم القيام نظيره: **﴿ وترى الجبال تحسبها جامدةً﴾** الآية[1].

﴿ وترى ﴾ ، يا محمد **﴿ الأرض بارزةً ﴾** قال أبو بكر بن عبدش: معناه وترى الأرض التي تحت الجبال ظاهرةً[2]. قال السدي: **﴿وترى الأرض بارزةً﴾** ظاهرةً لا عوج فيها ولا أمتا والأمت الصعود والنبك[3].

قال عطاء: **﴿ وترى الأرض﴾** باطن الأرض ظاهرةً[4] ونظيره: **﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾**[5].

﴿ وحشرنـاهم ﴾ وجمعناهم **﴿ فلم نغادر منهم أحداً ﴾** يعني فلم نترك منهم أحداً **﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾** يعني صفاً صفاً لأنهم صفٌ واحدٌ ونظيره: **﴿والملك صفاً صفاً ﴾**[6] **﴿ لقد جئتمونا ﴾** أي يقال لهم لقد جئتمونا **﴿كما خلقناكم أول مرة﴾**، يعني فرادى وضعافاً بلا قوةٍ وعدةٍ متجردين نظيره: **﴿ولقد جئتمونا﴾**[7]

---

(١) سورة النمل آية ٨٨.

(٢) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق: ١٧١/أ).

(٣) والنبك من الأرض: ما ارتفع وقيل: مسائل الاودية. انظر: لسان العرب لابن منظور (٩٥/١). مادة: (أمت).

(٤) أخرجه البغوي (١٦٥/٣) وذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ).

(٥) سورة الزلزلة آية ٢.

(٦) سورة الفجر آية ٢٢. ونص الآية: **﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾**.

(٧) سورة الانعام آية ٩٢، ونص الاية: **﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ...﴾**.

الآيه ﴿ بل زعمتم ألنّ نجعل لكم موعداً ﴾ يعني البعث .

قال الله: ﴿ ووضع الكتـٰب﴾ في اليـمين والشمـال ﴿ فترى المجرمين﴾ يعني الكافرين ﴿ مشفقين﴾ خـائفين ﴿ مما فيه ﴾ مما في الكتـاب، وقـيل: مما هم فـيـه من الخوف والهول.

﴿ ويقولون يـٰويلتنا مال هٰذاالكتـٰب﴾ ما بال هذاالـكتاب ﴿ لا يغادر ﴾ أي لم يترك ﴿ صغيرةً ﴾ من أعمالنا ﴿ ولا كبيرةً إلا أحصـٰها ﴾ إلا حفظها وكتبها

قال ابن عباس: الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة[١] قال سعيد بن جبير: الصغيرة اللمس والتجميش والميسيس والقبلة والكبيرة الزنا والمواقعة[٢]

﴿ إلا أحصـٰها ﴾ قال ابن عباس: علمها[٣]، قال السدي: كتبها وأثبتها[٤].

قال مقاتل ابن حيان: يعني حفظها.[٥]

قال إبراهيم بن الأشعث: كان الفضيل بن عياض[٦] إذا قرأ هذه الآية قـال ضجوا من الصغار قبل الكبار[٧].

---

(١) أخرجه البغوي (٣/١٦٦)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ).
(٢) أخرجه البغوي (٣/١٦٦) بلفظ: «الصغيرة: اللمم واللمس والقبلة والكبيرة الزنا»
(٣) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ).
(٤) أخرجه البغوي (٣/١٦٦)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ).
(٥) أخرجه البغوي (٣/١٦٦)، وذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ).
(٦) هو: الفـضيل بن عيـاض بن مسـعود بن بشـر التميمي اليـربوعي أبو علي الزاهد أصله من خـرسان سكن مكه ثقة عابد إمام مات سنة (١٨٧هـ).
انظر: تقريب التهذيب (٢/١١٣)، والتاريخ الكبير (٧/١٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/٤٢١).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/أ).

﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ معناه ووجدوا جزاء ما عملوا حاضراً في ديوان الحفظة نظيره: ﴿علمت نفسٌ ما أحضرت﴾[1].

﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ يعني لا ينقص ثواب أحد / عمل خيراً. قال الضحاك: لا يأخذ أحداً بجرم لم يعمله[2]. وقيل: لا يورِّك ذنب أحدٍ على غيره. ٣١٧/أ

قوله: ﴿وإذ قلنا للملـئكة اسجدوا لأدم﴾ سجود تحيةٍ لا سجود عبادةٍ ﴿فسجدوا الا إبليس كان من الجن﴾ قال أكثر المفسرين: كان إبليس من قبيلة من الملائكة يقال لهم[3] الجن ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي فخرج عن طاعة ربه.

قال الفراء: وهو من قول العرب فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت منه[4] ﴿أفتتخذونه﴾ أفتعبدونه يا أهل مكة إبليس ﴿وذريته أوليآء﴾ أرباباً وأعوانا وأنصاراً ﴿من دوني﴾ وفي هذه الآية دليلٌ على أن إبليس له أولاد. ولأن العرب لا تلفظ بالذرية إلا بالأولاد وأنكر ذلك كثيرٌ من الناس. قال مجاهد: فمن ذرية إبليس لا قيس [وزلينور][5] ومشوط وولهان وواسم والأجور والهفان ومرة[6] وكل هؤلاء

(١) سورة التكوير آية ١٤.

(٢) أخرجه البغوي (١٦٦/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧١/أ).

(٣) قال الحسن في أصل إبليس: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس رواه الطبري برقم (٦٩٦)، (٥٠٦/١).
وقال الحافظ ابن كثير: اسناده صحيح عن الحسن (١١٠/١).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١٤٧/٢).

(٥) في الأصل: [زلنبون] والصواب ما أثبتناه تم تصويب ذلك من تفسير ابن حبيب والطبري والبغوي.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٧١/أ) بهذا النص.
وأخرج البغوي مثله عن مجاهد أيضاً مع اختلاف يسير فيه تقديم وتأخير في الأسماء مع زيادة تفصيل لأعمالهم مع الانس (١٦٧/٣).
وأخرج الطبري مثله عن مجاهد من طريقين طريق الأعمش وطريق ابن جريج (١٧١/١٥).

أولاده وسئل الشعبي هل لإبليس زوجة. فقال: تلك وليمةٌ لم أشهدها ثم تذكر بعد ساعةٍ هذه الآية ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني** ﴾ فقال بلى لأن الذرية لا تكون إلا بين زوجين[1]. ﴿ **وهم لكم عدو**﴾ أي أعداء.

﴿ **بئس للظـلمين بدلاً** ﴾ بئس البدل إبليس وذريته من الله.

قوله: ﴿ **مآ أشهدتهم** ﴾ ما أحضرتهم، يعني إبليس وذريته، وقيل يعني: مشركي العرب والكفار أجمع ﴿ **خلق السموت والأرض** ﴾ يعني في خلق السموات والأرض حين خلقهما.

﴿ **ولاخلق أنفسهم**﴾ معناه ولا أحضرتهم في خلق أنفسهم حين خلقتهم ﴿ **وما كنت متخذ المضلين عضداً** ﴾ الكافرين اليهود والنصارى وعبدة الأوثان ﴿**عضدا**﴾ يعني أنصاراً وأعواناً . العون تقول العرب عاضدت فلاناً إذا عاونته واعتضدت به إذا استعنت به.

وقرأ الحسن وأبو جعفر ﴿ **ما أشهدناهم** ﴾[2] وكلاهما واحد وقال أهل الحقائق[3]: هذه الآية ردٌّ على المنجمين[4] يقول الله ما أحضرتهم خلق السموات

---

(١) أخرجه البغوي عن مجاهد عن الشعبي (٣/١٦٦، ١٦٧) بلفظ: روى مجاهد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوماً إذ أقبل رجل فقال : أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك العرس ما شهدته، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني**﴾. فعلمت أنه لا تكون الذرية إلا من زوجة، فقلت . نعم.

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/١٣٦)، وإتحاف الفضلاء (ص: ٢٩١).

(٣) يعني الصوفية، لأن ذلك مصطلح صوفي، وهم في الحقيقة ليسوا بأهل حقائق بل أهل أباطيل، لأن أهل الحقائق هم أهل السنة والجماعة في واقع الأمر.

(٤) المنجمون: هم الذين يستدلون بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهم الذين يدعون أن لسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها تأثيراً في السفليات ويزعمون أنهم يدركون بمرفتها ذلك، وهذا من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه وهو كفر.
انظر: العقيدة الطحاوية (٥٠٣) ، وتيسير العزيز الحميد (٤٤١).

فيحكموا ويقضوا عليها ولا خلق أنفسهم فيتعلموا أن أرزاقهم يعني المنجمين وآجالهم.

وقيل: هذه الآية ردٌّ على ثلاثة نفرٍ على المنجمين وعلى المساحين وعلى الأطباء.

ما أشهدتهم خلق السموات والأرض، السموات ردٌّ على المنجمين والأرض ردٌّ على المساحين لأنهم يحكمون على أنفس الخلق وطبائعهم ولا خلق أنفسهم ردٌّ على الأطباء ﴿ **ويوم يقول**﴾ يعني يوم القيامة يقول الله ﴿ **نادوا شركآءى الذين زعمتم**﴾ يعني الأصنام ﴿ **فدعوهم فلم يستجيبوا لهم** ﴾.

﴿ **وجعلنا بينهم** ﴾ بين العابد والمعبود ﴿ **موبقاً** ﴾ قال ابن عباس ومقاتل: واد في جهنم[1]. قال الضحاك وعطاء وعكرمة: ﴿ **موبقاً** ﴾ مهلكاً.[2]

﴿ **ورءا المجرمون**﴾ الكافرون ﴿ **النار فظنوا** ﴾ فعلموا وأيقنوا ﴿ **أنهم مواقعوها**﴾ داخلوها، يعني النار وقال بعضهم : نازلوها وواقعون فيها.

وقرأ الأعمش: ﴿ **فظنوا أنهم ملاقوها** ﴾[3] يعني مجتمعين فيها واللقاء الجمع ﴿ **ولم يجدوا عنها** ﴾ عن النار ﴿ **مصرفاً**﴾ مهرباً، وقيل: ﴿ **لم يجدوا عنها مصرفاً**﴾ انصرافاً إلى الجنة وقيل: ولم يقدروا عليها على صرف أنفسهم عنها أو على صرفها عن أنفسهم.

---

(١) انظر قول ابن عباس رضي الله عنهما ذكره ابن حبيب (ق:١٧١/ب). وأخرجه البغوي (١٦٨/٣). وانظر قول مقاتل بن سليمان في تفسيره (٥٩٠/٢).

(٢) هكذا ذكره ابن حبيب (ق:١٧١/ب)، وأخرج البغوي (١٦٨/٣) عن الضحاك وعطاء ، وأخرج عن عكرمة قوله: هو نهر في النار يسيل ناراً على حافته حيات مثل البغال الدهم .

(٣) قراة شاذة . انظر: البحر المحيط (١٣٨/٦).

قال الله: ﴿ ولقد صرّفنا ﴾ بيّنا ﴿ فى هذا القرءان للناس ﴾ لأهل مكة ﴿ من كل مثلٍ ﴾ من كل وجهٍ من العبر والأمثال والوعد والوعيد والحلال والحرام والأمر والنهي لكي يتعظوا فيؤمنوا.

﴿ وكان الإنسـن ﴾ يعنى أبى بن خلف الجمحى ﴿ أكثر شيءٍ جدلاً﴾ يعني أكثر خصومةٍ في الباطل ونزلت فيه: ﴿ خلق الإنسـن من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ مبينٌ﴾[1]. وقوله: ﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظم وهى رميم﴾[2] إلى آخر الآيات وكان شديد الإنكار فى البعث .

﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا﴾ الناس أهل مكة وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ ومجازه وما منع الناس/ أن يؤمنوا من أن يستغفروا ربهم ﴿ إذ جاءهم﴾ حين جاءهم ﴿ الهدى ويستغفروا ربهم﴾ يعني الإسلام والقرآن والنبي. ٣١٧/ب

﴿ إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ يعني إلا أن تأتيهم سنتنا في إهلاك الأولين ﴿ أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ قال ابن عباس: عياناً[3]. قال [ابن عطاء][4] معاينةً. ويقال فجاءةً[5]، وهى قراءة أهل الكوفة وقرأ الباقون بضمتين[6] وهى جمع قبيلةٍ يعني أنواع العذاب.

قال الله: ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ﴾ بالجنة لمن أطاع ﴿ومنذرين﴾

---

(١) سورة النحل الآية (٤).
(٢) سورة يس الآية (٧٨).
(٣) أخرجه البغوي (٣/١٦٩)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧١/ب).
(٤) كذا في الأصل، والصواب: [عطاء] كما في تفسير ابن حبيب (ق:١٧١/ب)، وأخرج مثله ابن جرير الطبري عن ابن زيد (١٥/١٧٣).
(٥) أخرجه ابن جرير الطبري عن مجاهد (١٥/١٧٣).
(٦) القراءتان سبعيتان ، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥١١)، وتفسير الطبري (١٥/١٧٣) ، والبغوي (٣/١٦٩).

مخوفين بالنار لمن عصى.

﴿ ويجـدل الـذين كـفـروا ﴾ يعـني ويخـاصم الكافـرون ﴿بالبـطـل﴾ بالشـــرك ﴿ليدحضوا﴾ ليبطلوا ﴿ به ﴾ بالباطل ﴿ الحق﴾[١] الهدى ، وقال السدى: ﴿ليدحضوا﴾ ليفسدوا ﴿ به﴾ بالباطل الحق. نظيره: ﴿ حجتهم داحضةٌ ﴾ فاسدةٌ ﴿عند ربهم﴾[٢] وأصل الدحض الزلق، يقـال: دحـضت رجلـه في الطـين إذا زلقت فيه .

﴿واتخذوا ءايـتى﴾ يعني محمداً والقرآن[٣] ﴿ وما أنذروا هزوا﴾ فيه إضمارٌ يعني ومـا أنذروا له وهو القـرآن ﴿ هزوا﴾ أى استهـزاءً وما في موضع النصب معطوفٌ على آيات ومعناه واتخذوا به آياتي هزواً واتخذوا هزؤاً ما أنذروا به.

﴿ومن أظلم ﴾ أى ليس أحدٌ أظلم وأكفر وأجدى ﴿ممن ذكر﴾ أى وعظ وذكر ﴿بئايت ربه﴾ أي إلى آيات ربـه ﴿فأعرض عنها﴾ انصرف عـنها جاحـداً ولم يؤمن بها.

﴿ ونسى ما قدمت يداه﴾ وترك ذكر ما عملت يداه من الذنوب والاجرام .

قـال الله: ﴿ إنا جـعلـنا على قلوبهـم أكنةً ﴾ أى غطاءً واحـدهـا كنان ﴿ أن يفقهوه﴾ كي لا يفقـهوه ﴿ وفى ءاذانهم ﴾ يعنى وجـعلـنا في آذانهم ﴿ وقراً ﴾ أى ثقلاً وصمماً وهو ردٌ على المعتزلة[٤].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٧١/ب) عنه.

(٢) سورة الشورى آية ١٦.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله (١٦٨/٥): «أي: اتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بعث بها الرسل وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب».

(٤) في قولهم العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، وأن الرب تعالى منزه أن يضاف إليه الشر والظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلـم كان ظالماً، وقالوا بأن الله لا يفعل إلا الصلاح والخير...الخ.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٤٥/١).

﴿وإن تدعهم﴾ يا محمد يعني المشركين ﴿ إلى الهدى﴾ يعني إلى الدين والإسلام ﴿ فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ أي لم يرشدوا أبداً ولن يقبلوه.

﴿ وربك الغفور ذو الرحمة﴾ هذه الآية من جملة ما اختلف فيها إنها أرجى آيةٍ للموحدين في القرآن.

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال يأمر الله بعبدٍ من عباده يوم القيامة إلى النار فإذا مضى ثلث الطريق التفت فإذا مضى ثلثى الطريق التفت وإذا مضى أشرف على النار التفت فيقول الله ردوه فإن كان التفاته بحجةٍ غفرت له وهو أعلم به فيرد العبد فيسأله الله عن التفاته فيقول نعم يا رب لما مضيت ثلث الطريق ذكرت قولك ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾[1] فرجوتك فلما مضيت ثلثى الطريق ذكرت قولك ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة ﴾ فصار رجائي أكثر من الأول فلما أشرفت على النار ذكرت قولك: ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾[2] قال فيأمر الله به إلى الجنة[3] فذلك قوله ﴿ وربك الغفور﴾ المتجاوز ﴿ ذو الرحمة﴾ بتأخير العذاب عنهم عند المعصية.

﴿لويؤاخذهم بما كسبوا﴾ يعني بشركهم ﴿ لعجل لهم العذاب﴾ في الدنيا ، ولكن لم يعجل لهم العذاب ﴿ بل لهم موعدٌ﴾ أي وعدٌ ينتهى إلى ثلاث شعب إما إلى التوبة أو الشفاعة أو إلى المغفرة[4] وهذا يكون للمؤمنين دون الكافرين ﴿ لن يجدوا من دونه ﴾ من عذاب الله ﴿ موئلا ﴾ ملجأ وقيل ﴿ من دونه﴾ من دون الموعد يعني التوبة والإستغفار والمغفرة ﴿ موئلاً ﴾ ملجأ.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٥.

(٢) سورةالزمر آية ٥٣.

(٣) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٧١/ب)، ولم أقف على من أخرجه.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٢/أ) ونسبه إلى أهل المعاني.

قال قتادة: محرزاً[1]. قال أبو عبيدة: والعرب تقول وألت /من الشر إذا نجوت ٣١٨/أ منه[2].

﴿ وتلك القرى ﴾ يعني ديار عاد وثمـــود ولـــوط وشعيب والأمـــم الماضية ﴿ أهلكنـــهم ﴾ يعني أهلكنا أهلها ﴿ لما ظلموا ﴾ حين كـفروا ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ وقتا. نظيره: ﴿وقل رب انزلنى منزلاً مباركاً﴾[3] ﴿ وأدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق ﴾[4] يعني إنزالا وإدخـالاً وإخـراجاً ولذلك ﴿ لمهلكهم﴾ لإهلاكهم وهو المصدر ومن قرأ ﴿ لمهلكهم موعداً ﴾[5] اى لهلاكهم وقتاً.

قوله: ﴿ وإذ قال موسى لفتـه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾.

قال ابن عباس: وذلك أن رجلاً من بني إسرائيل سأل موسى هل على الأرض أحد أعلم منك، فقال موسى لا، ثم وقع في قلبه شكٌ من ذلك هل هو كذلك الذى قلت أم لا؟ ثم ناجى موسى ربه فقال يا رب إني قرأت التوراة وعلمت تفسيرها ودعوت خلقك إليها فهل على بسيط الأرض أحدٌ أعلم مني فأوحى الله إليه إن لي عبداً عند مجمع البحرين هو أعلم منك فقال موسى: فكيف لي بلقائه؟ واستأذن ربه فيه فأذن له وقال احمل معك سمكةً مالحةً فإذا نسيتها فحينئذٍ تلقى ذلك الرجل فخرج موسى ومعه يوشع بن نون فحملا الخبز والسمكة فى [مكتل][6] ونزلا ليلة على

---

(١) كذا في الأصل عن قتادة، وأيضاً عند ابن حبيب (ق:١٧٢/أ)، وفي حاشية المخطوط . قال مجاهد بدل قتادة، وهو الموافق لرواية الطبري (١٧٥/١٥). وانظر: تفسير مجاهد (ص:٣٧٨). وقول مجاهد هذا في صحيح البخاري . انظر: تفسير سورة الكهف (٢٢٩/٥).

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٢/أ).

(٣) سورة المؤمنون آية ٢٩.

(٤) سورة الإسراء آية ٨٠.

(٥) قرأ بها يحي عن أبي بكر عن عاصم ، انظر: التذكرة لابن غلبون (٥١١/٢).

(٦) في الأصل مكتك بالكاف وهو خطأ تم تصويبه من كتب التفسير . انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٢/أ)، وتفسير البغوي (١٧٠/٣)، وتفسير ابن كثير (١٧١/٥).
والمِكْتَلُ: شبه الذنبيل يسع خمسة عشر صاعاً. انظر: مختار الصحاح (ص:٥٦٣).

شاطئ البحر عند عينٍ يقال لها عين الحياة وكل من شرب منها الماء لم يمت أبداً وكان خضر وإلياس قد شربا منه فقام موسى تلك الليلة على شاطئ البحر عند الصخرة فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت فدخلت البحر وظهر في الماء من أثر جري الحوت لشق أخدود شبه نهر من خشب دخلت إلى حيث إنتهت فلما أصبحا إرتحلا فلما كان وقت الغداء نزلا وسأل موسى صاحبه الطعام فقال آتنا غدائنا» الآية. قال يوشع نسيت الحوت عند الصخرة فعلم موسى أن ذلك الرجل الذى طلبه في ذلك الموضع الذى نسي الحوت عنده فرجع موسى على أثره الذى قد مشى عليه حتى انتهى إلى مجمع البحرين فإذا بالخضر يصلي وعنده عين ماءٍ وعليها شجرة رمان تنبت كل يوم رماناً وكان قوتاً للخضر فأتاه موسى من خلفه فسلم عليه فقال الخضر وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل فقال موسى وما أدراك بي أني نبي بني إسرائيل قال الخضر الذى أدراك بي ودلك علي ثم قال له الخضر خطر ببالك انك أعلم أهل الأرض، قال موسى نعم ، فإذا بعصفور[ة][1] وقيل: بخطّافة قد جاءت على شاطئ البحر وحملت بمنقارها ماءًا وطارت يميناً وشمالاً وقداماً وخلفاً وفوقاً وتحتاً فقال الخضر: يا موسى هل تعرف ما تقول تلك العصفورة قال لا قال تقول: ما علمك وعلمى وعلم أهل السمـاء وأهل الأرض في جنب علم الله إلا أقل من الماء الذي حملته العصفورة من البحر[2].

قال ابن حبيب: فأما الخضر فلم يختلفوا أنه نبي واختلفوا فيه أنه رسول قال بعضهم كان رسولا وقال بعضهم لم يكن برسول وأما الخضر فليس باسم إنما هو لقب وإسمه بليا بن ملكان بن يقطن وقال بعضهم اسمه بليا ابن عاميل بن يقطن[3].

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل دل عليه السياق بعده.

(٢) رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، في صحيح البخاري، تفسير سورة الكهف (٥/٢٣٠ – وما بعدها).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٢/أ)، وهذه الاسماء لا دليل عليها، وظاهر النصوص تدل على أن الخضر اسم لا لقب.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال إنما سمي الخضر لأنه قعد على فروة[1] أي قطعة فاهتزت تحته خضراً[2] فذلك قوله: ﴿ **وإذ قال موسى لفتـه** ﴾ لشاجرده يعني/ يوشع ٣١٨/ب بن نون وكان ابن أخت موسى وكان من سبط يوسف بن يعقوب وكان نبيا بعد موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **لا أبرح**﴾ أى لا أزال أمشي ﴿ **حتى أبلغ مجمع البحرين**﴾ العذب والمالح بحر فارس والروم﴿ **أو أمضى حقباً**﴾ سنيناً ويقال دهراً.

﴿ **فلما بلغا مجمع بينهما**﴾ بين البحرين ﴿ **نسيا حوتهما فاتخذ سبيله**﴾ طريقه ﴿ **فى البحر سرباً**﴾ يابساً ﴿ **فلما جاوزا**﴾ يعني موسى ويوشع من الصخرة.

﴿ **قال لفتـه**﴾ قال موسى لشاجرده يوشع ﴿ **ءاتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً** ﴾ تعباً ومشقةً.

﴿ **قال** ﴾ يوشع ﴿ **أرءيت** ﴾ يا موسى ﴿ **إذ أوينا** ﴾ إنتهينا ورجعنا ﴿ **إلى الصخرة** ﴾ ﴿ **فإنى نسيت الحوت وما أنسنيه** ﴾ يعني الحوت ﴿ **إلا الشيطـن أن أذكره** ﴾ لك .

وقال أهل المعاني: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، ومجازه، وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان.

﴿ **واتخذ سبيله** ﴾ طريقه ﴿ **فى البحر عجباً**﴾ يابساً يعني الحوت ﴿ **قال**﴾ موسى ﴿ **ذلك ما كنا نبغ**﴾ أي في ذلك الموضع ذلك الرجل الذى كنا نطلبه يعني الخضر ﴿ **فارتدا** ﴾ فرجعا ﴿ **على ءاثارهما** ﴾ على الموضع الذى مشيا ﴿ **قصصاً** ﴾ تبعاً.....

---

(١) الحديث رواه أبوهريرة رضي الله عنه وهو في صحيح البخاري كتاب الأنبياء (١٢٩/٤).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله (١٨٤/٥): والمراد بالفروة ههنا الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات ، وقيل: المراد بذلك وجه الأرض.

﴿ **فوجدا عبداً من عبادنآ** ﴾ يعني وجد موسى ويوشع الخضر ﴿ **ءاتينـٰه** ﴾ أعطيناه ﴿ **رحمة من عندنا** ﴾ يعني أكرمناه بالنبوة ﴿ **من عندنا** ﴾ يعني الخضر ﴿**وعلمنـٰه من لدنا علماً** ﴾ .

﴿ **قال له موسى** ﴾ يعني قال موسىٰ للخضر ﴿ **هل أتبعك** ﴾ أصحبك ﴿ **على أن تعلمن مما علمت رشداً**﴾ ورشداً يعني هدىً وصواباً ﴿ **قال**﴾ له الخضر ﴿ **إنك**﴾ يا موسى ﴿ **لن تستطيع معى صبراً** ﴾ لأني أعمل أعمالاً لا تسع في نفسك وطبعك فتصيح.

﴿ **وكيف تصبر علىٰ ما لم تحط به خبراً**﴾ يعني وكيف تصبر يا موسى على ما لم تعلمه والخبر العلم والخبير العالم.

﴿ **قال** ﴾ موسى للخضر ﴿ **ستجدنى إن شآء الله صابراً**﴾ على ما أرى ﴿ **ولا أعصى لك أمراً** ﴾ تأمرني به .

﴿ **قال** ﴾ الخضر ﴿ **فإن اتبعتنى فلا تسئلنى عن شىء** ﴾ تراه ﴿ **حتى أحدث لك منه ذكراً** ﴾ حتى أبين لك منه بياناً، وقيل: ﴿ **حتى أحدث لك منه ذكراً** ﴾ حتى أخبرك سببه.

﴿ **فانطلقا** ﴾ فمضيا يعني موسى والخضر ﴿ **حتىٰ إذا ركبا فى السفينة** ﴾ وذلك أنهما لقيا سفينةً فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوصٌ وأمروهما بالخروج من السفينة فقال صاحب السفينة ما هما بلصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء فركبوا في السفينة فلما مكثوا في السفينة ﴿ **خرقها**﴾ الخضر فدخلها الماء فأخذه بثوبه وفزع و ﴿**قال** ﴾ للخضر ﴿ **أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً** ﴾ أي داهية[1] أي فعلت شيئاً منكراً شديداً.

---

(١) قال البغوي (١٧٣/٣): «الإمر في كلام العرب الداهية. وأصله كل شيء شديد كثير». أهـ.

والإمر والإد: الداهية .

﴿ **قال** ﴾ له الخضر ﴿ **ألم أقل إنك** ﴾ يا موسى ﴿ **لن تستطيع معي صبراً** ﴾ ﴿**قال**﴾ له موسى ﴿ **لا تؤاخذني بما نسيت**﴾ بما تركت وصيتك .

وروى عن أبي بن كعب أنه قال لم ينسه ولكن من معاريض الكلام[1] .

﴿ **ولا ترهقني**﴾ ولا تكلفني ﴿ **من أمرى عسراً** ﴾ من أمري شدةً أي شدةً وأصل الإرهاق الإعتاب.

﴿ **فانطلقا** ﴾ فمضيا ﴿ **حتىٰ إذا لقيا غلـٰماً فقتله** ﴾ قال إبن عباس: كان غلاماً لم يبلغ الحنث[2]. وقال الضحاك: كان غلاماً يعمل بالفساد[3] وكان كافراً وإسمه خشنوذ[4] وكان إسم أبيه ملاس وإسم أمه رحمى وتأذى منه أبواه وذلك أن الغلام كان إذا ناما قام فسرق ثم عاد قبل الصبح فنام عندهم فلم يعلما بسرقته فلما /كان من الغد جاءوا إلى أبويه وإستحلفوهما أنه لم يسرق فحلفا ولم يعلما بذلك أنه سرق وكان كافراً . ٣١٩/أ

وروى عن النبيﷺ أنه قال إن الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً[5] يعني خلق يوم خلق كافراً فذلك قوله: ﴿ **حتى إذا لقيا غلـٰماً فقتله**﴾.

قال قومٌ: ﴿ رفسه ﴾ يعني لكزه برجله فقتله وقال أخرون: ضرب رأسه بالجدار فلما رأى ذلك موسى هاله وقال ﴿ **قال أقتلت نفساً زكيةً؟** ﴾

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٢/ب). وأخرج مثله البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما (١٧٤/٣).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٢/ب)، وأخرجه البغوي (١٧٤/٣).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٢/ب) ، وأخرجه البغوي (١٧٤/٣).
(٤) كذا في الأصل، وفي تفسير ابن حبيب [خشبوذ] بالباء (ق:١٧٢/ب).
(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٦١) (٢٠٥٠/٤) من رواية ابن عباس عن أبي بن كعب يرفعه.

قــرئ زكيةً وزاكيةً(١)، والفرق بين الزكية والزاكية أن: الزكية : التى أذنبت ثم تابت، والزاكية التى لم تذنب(٢).

﴿بغير نفسٍ؟﴾ يعني من غير أن قتلت نفساً أوجب عليها القتل ﴿ **لقد جئت شيئاً نكراً**﴾ أي منكراً وشراً .

قال ابن كيسان: قتلها النكر أشد وأعظم من الأمر(٣)، ﴿**قال**﴾ الخضر :﴿ **ألم أقل لك إنك**﴾ يا موسى ﴿ **لن تستطيع معى صبراً**﴾ إنك ترى مني أشياء لا تصبر عليها ﴿**قال**﴾ موسى: ﴿ **إن سألتك عن شيءٍ بعدها فلا تصحبنى قد بلغت من لدنى عذراً**﴾ قد أعذرت فيما قلت ﴿ **فانطلقا حتى إذا أتيآ أهل قرية**﴾ قال ابن عباس: كانت القرية انطاكية(٤) ﴿ **استطعمآ أهلها** ﴾ يعني استضافا أهل القرية يعني قرية انطاكية ﴿ **فأبوا أن يضيفوهما** ﴾ يعني فأبوا أن ينزلوهما منزلة الأضياف.

وتقول العرب: أضفت فلاناً: أنزلته وضيفته: اذا أنزلته منزلة الضيف وقرأ أبو رجاء العطاردى ﴿ **يضيفوهما**﴾(٥) مخففة من أضاف يضيف ﴿ **فوجدا فيها جداراً**﴾ يعني فى قرية انطاكية.

قال وهب: كان جداراً على درب قرية انطاكية فأقامه. وقيل: إنه ﴿ **يريد أن ينقض فأقامه**﴾ أي قرب من السقوط.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: [زاكية] وقرأ الباقون [زكية]. انظر: التذكرة لابن غلبون (٥١٣/٢).

(٢) نقله ابن حبيب (ق:١٧٢/ب) عن أبي عمرو بن العلاء. وكذا البغوي (١٧٥/٣).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٢/ب).

(٤) أخرجه البغوي (١٧٥/٣).
وأنطاكية مدينة مشهورة وهي في تركيا .
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢٦٦/١).

(٥) قراءة سبعية قرأ بها المفضل عن عاصم . انظر: التذكرة لابن غلبون (٥١٤/٢).

قال الأخفش: هذا من المجاز وليس للجدار إرادة والعرب تقول لمن قرب من الشيء: كاد، وأراد[1].

قال الفراء: هذا كقوله ﴿ **ولما سكت عن موسى الغضب** ﴾[2] ﴿ **فاذا عزم الأمر**﴾[3] والغضب لا يسكت والأمر لا يعزم[4].[5]

﴿**قال**﴾ موسى للخضر: ﴿ **لو شئت لتخذت عليه**﴾ على صنيعك ﴿ **أجراً** ﴾ جعلاً خبزاً نأكله وقريء ﴿ **لتخذت** ﴾ و ﴿ **لتخذت**﴾[6] قال ابن حبيب: هما لغتان تقول العرب: اتبع يتبع، وتتبع يتبع، وأبقى يبقى، وبقى يبقى. واتخذ يتخذ، وتخذ يتخذ،

﴿**قال**﴾ له الخضر: ﴿ **هذا فراق بيني وبينك** ﴾ وقرأ لاحق بن حميد ﴿ **هذا**

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٢/ب). وقال بمثله البغوي دون أن ينسبه إلى أحد (١٧٥/٣).

(٢) سورة الاعراف آية ١٥٤.

(٣) سورة محمد آية ٢١.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (١٥٦/٢).

(٥) اطلاق المجاز على كلام الله عزوجل لا يصح بهذا المفهوم الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الاسماء والصفات. وقد سماه ابن قيم الجوزية في كتابه الصواعق المرسلة بالطاغوت الثالث.
فقال: فصل في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الاسماء والصفات، وهو طاغوت المجاز.
وقال بأن الشرع لم يرد بهذا التقسيم ولا دل عليه ولا أشار إليه، وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة ومجاز.
ثم قال ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه والفراء وأبي عمرو بن العلاء والاصمعي كما لا يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الصحابة ولا من التابعين ... الخ وابطله من خمسين وجهاً .
انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/٢ - ٧٦).

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب [لتخذت] بلام من غير الف بعدها، مع تخفيف التاء وكسر الخاء، وقرأ الباقون بتشديد التاء وفتح الخاء.
انظر: التذكرة لابن غلبون (٥١٤/٢).

فراقٌ﴾ بالتنوين[١] **﴿بينى وبينك﴾** بنصب النون **﴿ سأنبئك﴾** سأخبرك **﴿ بتأويل﴾** بتفسير **﴿ما لم تستطع عليه صبراً﴾** ما لم تصبر عليه **﴿ أما السفينة﴾** التي ثقبتها **﴿فكانت لمسكين﴾** الآية .

قال كعب: كانت لعشرة إخوة خمسةٌ منهم زمنى وخمسةٌ **﴿يعملون فى البحر﴾**[٢].

وقد رد قومٌ على القتيبي وعلى أبي حنيفة بهذه الآية لأنهما يقولان المسكين الذى لا شيء له فقالوا: قد أثبت الله لمساكين سفينةً وتشترى السفينة بمالٍ كثيرٍ **﴿فأردت أن أعيبها وكان ورآءهم ﴾** قدامهم **﴿ ملكٌ ﴾** قال ابن عباس: كان اسم الملك جلندا وكان كافراً[٣].

قال محمد بن اسحاق بن يسار كان اسمه منولة بن جلبد الأزدى[٤].

ومعنى قوله: **﴿ ورآءهم﴾** أي قدامهم وهذا من الأضداد كقوله: **﴿ ما بعوضةً فما فوقها﴾**[٥] فما دونها ، وكقوله: **﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر﴾**[٦] أى من قبل الذكر ونظيره **﴿ ومن ورآئهم برزخٌ﴾**[٧] أى أمامهم.

﴿ يأخذ﴾ ذلك الملك **﴿ كل سفينةٍ ﴾** صحيحةٍ **﴿غصباً﴾** لذلك خرقتها لئلا يأخذها.

---

(١) قراءة شاذة . انظر: البحر المحيط (٦/١٥٢) ونسبها إلى ابن أبي عبلة.

(٢) أخرجه البغوي (٣/١٧٦) ، وذكره ابن حبيب (٥/١٧٣/أ).

(٣) أخرجه البغوي وفيه اسم الملك. الجلندي (٣/١٧٦).

(٤) أخرجه البغوي وفيه اسم الملك متولة بن جلندي الأزدي (٣/١٧٦).

(٥) سورة البقرة آية ٢٦.

(٦) سورة الأنبياء آية ١٠٥.

(٧) سورة المؤمنون آية ١٠٠.

﴿ وأمـا الغـلـم ﴾ أسمـه خشنوذ[1] أي الذي قـتلتـه ﴿ فكان أبـواه مـؤمنين فخشينا﴾/ قال ابن عباس فعلمنا[2] وفي مصحف أبي فـخاف ربك : أي علم ربك[3] ٣١٩/ب ﴿ أن يرهقهما ﴾ أي يهلكهما ﴿ طغيـــناً وكفراً ﴾ أي بالطغيـان والكفر ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربهـما خيراً منه﴾ من الغلام ﴿زكــوة﴾ يعنـي نماءً في الأولاد ﴿ وأقرب رحماً﴾ يعني وأوصل للرحم ،

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: « أبدلهـما الله جاريةً ولدت سبعين نـبياً بدل ذلك الغلام الكافر»[4].

﴿ وأما الجدار﴾ الذي سويته ﴿ فكان لغلـمين يتيمين فى المدينة﴾ في انطاكية اسمهما : أصرم، وصـريم واسم ابيهما كاشح[5] وكان من الأتقيـاء الصالحين ﴿ وكان تحته﴾ يعني تحت الجدار ﴿ كنزٌ لهما﴾ اختلفوا في الكنز :

فروي عن النبي ﷺ أنه قال: « كان لوحاً من ذهـب عليـه مكتوب : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفـرح، وعجبت لمن أيقن بالقـدر كيف يحزن، وعـجبت لمن أيقن بالدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله[6]».

قال الضحاك: ﴿ وكان تحته كنزٌ لهما ﴾ قال: صحف فيه علم[7]. قال مجاهد:

---

(١) قال ابن كثير : والغلام المقتول اسمه – يزعمون – جيسور (١٧٥/٥).

(٢) أخرجه البغوي (١٧٦/٣٠).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٣/أ).

(٤) أخرجه الواحدي في الوسـيط (١٦١/٣) مـوقوف على ابـن عبـاس رضي الله عنهـمـا، والبغـوي (١٧٧/٣) ، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٣/أ) مرفوعاً ، ولم أقف على رفعه عند غير ابن حبيب ، وانظر: زاد المسير (١٨١/٥)، وروح المعاني للألوسي (١٢/١٦).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٣/أ)، والبغوي (١٧٧/٣).

(٦) ذكـره ابن حبيب (ق:١٧٣/أ) وأخـرجه البـغـوي عن ابن عبـاس رضي الله عنهـما مـوقـوفاً عليـه (١٧٧/٣). وأخرجه الماوردي (٣٣٦/٣) عن أنس مرفوعاً من رواية الكلبي.

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٣/أ). وأخرجه البغوي عن سعيد بن جبير (١٧٧/٣)، وأخـرجه الحاكم في المستدرك (٣٦٩/٢) وقال صحيح، وتعقبه الذهبي وقال : بل يزيد متروك.

الكنز الذهب والفضة[1] ﴿ وكان أبوهما صـلحاً﴾ أي ذو أمانةٍ ، وقال بعضهم: أراد بالأب الجد السابع[2].

قال بعضهم: الجـد السبعين كان صالحاً بالغين بركـته إلى أولاده يعني الغلامـين ﴿فأراد ربك أن يبلغا﴾ يعني اليمين ﴿ أشدهما﴾ خمس عشـرة سنة . وقيل: ثماني عشرة سنة فصاعداً ﴿ ويستخرجا كنزهما رحمةً من﴾ رحمتَ ﴿ ربك ﴾ رحمهما الله بذلك رحمةً ونعمةً من ربك ﴿ وما فعلته عن أمرى ﴾ أي ما فعلت هذه الأشياء من قبل نفسي بل فعلته بأمر الله ﴿ ذلك ﴾ الذى قلت ﴿ تأويل ﴾، تفسير ﴿ ما لم تسطع عليه صبراً﴾ يعني ما لم تصبر عليه وفي هذه الآية مسائل:

أحدها: أن موسى استثنى في قوله ﴿ ستجدنى إن شاء الله صابراً﴾ فلم يصير صبره موجوداً ، واسماعيل قال: ﴿ ستجدنى إن شاء الله من الـصـبرين﴾ فصبر، والجواب عن هذا أن اسمـاعيل عد نفسه من جملة الصـابرين، فكأنه اقتدى بهم، ولم يفعل هذا موسى ولم يعد نفسه من الصابرين. قـال ﴿ستجدنى﴾ الآية . وقـال إسماعيل: ستجدنى إن شاء الله ﴿ من الصـبرين﴾ .

والجواب الثـاني: هو أن إسماعيل قطع بعجـزه إلى لله فلم يرجع إلى نفسـه بعد الاستثناء، ورجع موسى بعد الاستثناء إلى نفسه ﴿ ولا أعصى لك أمرا ﴾ .

والمسألة الثانية: العلة فى قول الخضر ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ عند خرق السفينة، وقال: ﴿فأردنا﴾ عند قتل النفس ، وقال ﴿فأراد ربك ﴾ عند إقامة الجدار.

---

(١) ذكـره ابن حبيب (ق:١٧٣/أ)، وأخـرج الطبري عن مـجـاهد: صحف لغلامين فيهـا علم، وفي أخرى: صحف علم (١٦/٥) وانظر: تفسير مجاهد (ص:٣٧٩).

(٢) ذكره البغوي (١٧٧/٣). بلفظ: وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة أباء.

والجواب أن للأنبياء والأولياء لسانين، لسان الشكايةِ ولسان الشكر فما كان من الشكاية يضيفونها إلى أنفسهم، وما كان من الشكر يضيفونه إلى اللـــه. كقولـــه: ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمني ويسقين ﴾ ثم قـــال: ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾[1] ولم يقل أمـــرضنى لأن فى المرض شكايةٌ وعيباً أضافه إلى نفسه.

قال الخضر: ﴿ فأردت أن أعيبها﴾ لما كان فيه ذكر العيب أضاف/ إلى نفسه ١/٣٢٠ وقال عند ذكر الرحمة ﴿ فأراد ربك﴾ لما كان فيه ذكر الرحمة والنعمة أضاف إلى الله تعالى .

وأما قوله في قتل النفس قال : ﴿ أن يبدلهما﴾ وانما قال ذلك لأنه كان هناك فعلان: أحدهما: من الخضر وهو قتل الغلام. والثاني: من الله وهو تبديل الجارية التى أبدلها الله لأبويه.

والمسألة الثالثة: العلة [الجالبة][2] للفاء في قوله: ﴿ حتى اذا لقيا غلـــماً فقتله﴾ ولم يذكر الفاء في قوله: ﴿ خرقها ﴾ وفي قوله ﴿ استطعما أهلها﴾[3] وذكرها في قوله ﴿ فقتله ﴾ الجواب عنه: أن الفاء في كلام العرب للتراخي والفصل ذلك أن الخضر لما دخل السفينة خرقها ولما رأى الجدار مائلاً أقامه، ولما رأى الغلام وقف وتأنى متدبراً متفكراً، ، أهل هذا الذي أمرت بقتله أم لا؟؟ لأنه هاله قتل النفس ، فسميت هذه الفاء فاء التراخي والفصل والانتظار لأن الواو للوصل والفاء للفصل.

الخَضِر: بفتح الخاء وكسر الضاد لا غير.

قوله : ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين ﴾ الآية وكان اسم ذى القرنين اسكندر

(١) سورة الشعراء الآيات ٧٨، ٧٩، ٨٠.

(٢) ما بين المعقوفتين مطموس من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٣/أ).

(٣) تم استدراكها من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٥/أ) لطمسها في الأصل.

وكان اسم ابيه [فيلاسون][1] وكان ملكاً جباراً، فلما هلك [...][2] مكانه فسار بسيرته زماناً يتجبر ويتكبر ، فقيض الله له قريناً صالحاً فقال [...][3] التجبر وتب إلى ربك قبل أن تموت بغير عذرٍ ولا حجة فغضب عليه الإسكندر [...][4] بحبسه فمكث في حبسه ثلاثة أيام ثم بعث الله إليه ملكاً فأتاه الملك [...][5]!! قال: وكيف أخرج وقد حبسني هذا الجبار؟ فقال له الملك: ارفع طرفك إلى [...][6] طرفه إلى السماء انفرج له سقف البيت واختطفه حتى أتى به منزل [...][7] الاسكندر، أخبر بأمر الرجل وذهابه من السجن . بعث إلى صاحب السجن وطالبه [...][8] فقال صاحب السجن: انفرج له سقف البيت واختطف، والسقف على حاله إن شئت فانظر.

قال: فانطلق الاسكندر في عظماء قومه ثم نظر فإذا السقف [...][9] قال: فاقشعر جلد الإسكندر وعرف أن ملكه ضعيف عند قدرة الله [...][10] فوجدوه قائماً يصلي على جبل طالس فلم يمكنهم أن يأخذوه فأخبروا بذلك ذا القرنين [...][11] إليه وقصده فلما دنا منه قال للرجل: أيه الاسكندر إعلم أنك في ملك الله

(١) كذا في الأصل، وفي الحاشية ميلاقوس، وعند البغوي (١٧٨/٣). اسم ابيه: فيلقوس بن ناقلوس الرومي.

(٢) في الأصل طمس وتقدير المطموس: [الأب صار الأسكندر].

(٣) يوجد طمس في الأصل، وتقدير المطموس: [أيها الملك أترك].

(٤) يوجد طمس في الأصل، بمقدار كلمة وتقديرها: [وأمر].

(٥) في الأصل طمس بمقدار كلمتين والسياق يدل على أن تقدير الكلام المطموس يكون : [وقال له أخرج].

(٦) في الأصل طمس وتقدير المطموس : [السماء فلما رفع الرجل].

(٧) يوجد طمس في الأصل ولم يتبين لي مقدار الطمس.

(٨) يوجد طمس في الأصل، ويقدر المطموس [بالرجل].

(٩) كلمة مطموسة فى الأصل، والتقدير: [كما] قال .

(١٠) يوجد طمس في الأصل، والتقدير [فانصرفوا].

(١١) يوجد طمس في الأصل، والتقدير: [فذهب] إليه، أو فصعد إليه وقصده، لأن كان فوق جبل طالس.

كبعوضة [...][1] بيدك فتب إلي الله واعلم أني عليك حجةٌ. قال الإسكندر: خذوه ، فلما قصدوا [...][2] أرسل عليهم نارٌ فأحرقتهم ، فلما رأى ذلك الاسكندر خر لوجهه ساجداً وأخذ [...][3] إلى الله تعالى وإلى العبد الصالح فبكا ثلاثة أيام ولياليها فهداه الله، فلما رأى [...][4] بكاء الاسكندر نزل إليه والتزمه وتضرع إليه الاسكندر وقال : أدع الله [...][5] الخطايا ويعطيني الظفر على [اعدائه][6] قال: فدعا له العبد الصالح بذلك، فاجتهد في العبادة وحسنت إنابته وتوبته ، ثم جمع الاسكندر قومه وخطبهم [...][7] الناس اعلموا أني رجل كأحدكم فاتقوا الله وأطيعوه ووحدوه لعلكم [...][8] فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعة الله وتقواه ودعوا له بالصلاح [...][9] على الأعداء، ثم كتب إلي ملوك الدنيا كتبا وأمرهم بالتوحيد والطاعة لله ولذي القرنين [...][10] (دارنوش) ملك فارس فكتب إليه: من (دارنوش) ملك الدنيا إلى ذي القرنين/ وأصحابه اللصوص: أما بعد: فقد بلغك ما أعطاني الله من الملك والشرف وبلغني أنك عقدت على رأسك بالتاج وسميت نفسك ملكاً وتوجهت إلينا فارجع إلى بلادك وقد تجاوزت عن ذنبك هذا والسلام . ٣٢٠/ب

ثم بعث إليه بدرة وكرةٍ وياقوتهٍ وجراب سمسمٍ، وتابوتٍ مملؤاً ذهباً ليجرب

(١) - يوجد طمس بمقدار كلمة واحدة وتقديرها [صغيرة].

(٢) طمس في الأصل.

(٣) يوجد طمس في الأصل، وتقدير الكلام المطموس [يتوسل، أو يتضرع].

(٤) يظهر أنه يوجد في الأصل كلام مطموس لم ابينه.

(٥) يوجد طمس في الأصل، ويحتمل أن يكون التقدير: [ليكفر]. أو ما يشابهها.

(٦) كذا في الأصل والأولى أن يقول: [على أعدائي].

(٧) طمس في الأصل، والتقدير: [فقال: أيها] الناس .

(٨) طمس في الأصل، والتقدير : [تنصرون].

(٩) طمس في الأصل، وتقدير المطموس، : [والنصر أو والظفر].

(١٠) طمس في الأصل، ويحتمل أن يكون الكلام المطموس هو: [وكتب إلى].

عقله، فلمـا قرأ الاسكندر كتـابه أمر برسل (دارنوش) حـتى نزعوا أسلحتـهـم وشدت أيديهم خلف ظهورهم .

ثم قال: لا تلوموني ولومـوا صاحبكم ، لأنه سماني لصاً فـأريد أن أفعل بكم ما يفعل اللصوص بمن يأتيهم ، فبكوا وتضرعوا، فعفا عنهم وأطلقهم.

ثم دعا بغـدائه فتغدوا مـعه على مائدته ثم كـتب إلى (دارنوش) مع [رسؤله][1] من ذى القرنين بـن فيلاسـون إلى دارنوش ملك فارس: أمـا بعد فإن الدرة التـي بعثت إلى سوط عذاب، يعنيني الله عليك وعلى من معك من الكفرة، وأما الكرة فإني أرجو أن ربي يجـمع لي ملك الأرض كاجتمـاع الكرة في يدي، وأمـا الياقـوته فأرجـو أن تضيء لي الدنيـا كـضـياء اليـاقـوته، وأمـا التـابوت المملوء بالذهب فـأرجـو أن يكون خزائنك المملوءة لي، وأما السمسم فإنك أحببت اعلامي بكثرة جنودك، ولعمري إن جنودك لكثيـرة ولكن لا شوكة لهم، والله نـاصري عليك وعليهم، وقـد بعثت إليك بجراب من خردل لتعلم أن جنودي أكثر وأشد بأساً من جنودك.

قال: فـانصرف الرسل إلى (دارنوش) واخبـروه بكل ما رأوا وسمـعوا منه ثم أن الإسكندر سار بجنوده إلى (دارنوش) فـالتقوا بالعراق واقتـتلوا قتالا شديداً سـبعة أيام فـهـزم الله دارنوش وجـنوده، وأخـذ ذو القـرنين خـزائنه وفـتـح بلاده وقـتل دارنوش رجلان من أصحابه، وذهبا برأسه إلى ذي القرنين .

قال: فـجمع ذو القـرنين جنوده وجنود فارس ، وقـال أيها الناس : ينبـغي لي أن اعظم قـاتلي دارنوش وأقرب منزلتـهـمـا لحرصـهـمـا على قـتل عدونا وإني اقـسم بالله لأفعن قاتليه فوق جنودي وجنود فارس فقاما وقـالا: إنا قتلناه طلباً لرضاك، فأمر بهما الاسكندر فشد وثاقهما وصلبهما على رأس قبر دارنوش على خشبتين طويلتين، وقال

(١) كـذا في الأصل، ولعل الصـواب: [برسل] بدل رسوله حيث تقـدمت الإشارة إلى أنهم اكثـر من واحد.

: قد رفعتكما فوق جنودى وجنود فارس لانكما غدرتما بسيدكما وكفرتما نعمته.

ثم قصد ذو القرنين إلى (فورٍ) ملك الهند وسار بجنوده حتى انتهى إلى أرض الهند حتى وافاه بجميع جنوده، وهيأ (فور) ملك الهند فيلة كثيرة وجمع جنوده وسار نحو الاسكندر فاصطفوا وحمل (فور) الفيلة قدام جيشه، وقد ألبسهم الحديد بحيث لا يرى منهم إلا عيونهم.

قال: فأمر ذو القرنين حتى حفروا قبل المعسكر خندقاً كبيراً ثم أمر فصنع تماثيل على صورة الفيل من نحاس وحديد وكان معه في معسكره خمسون ألف صانع لا يغلب على مدينة إلا أخذ صناعها فصنع له أربعة وعشرون/ تمثالاً ، فلما فرغوا من صنعها أمر حتى ملأوا أجوافها نفطاً وكبريتاً ثم أمر حتى أوقد فيها النار حتى إذا حميت وصارت ناراً ، فأمر جنوده بسد الخندق وأمرهم حتى لبسوا السلاح وصفوا خلف [التمثال][1]، فلما رأى ملك الهند جمع جنوده وأقاموا الفيلة أمام صفوفهم فلما نشبت الحرب حملت الفيلة على أصحاب الاسكندر وتلك التماثيل أمام صفه فجعلت الفيلة تضرب بمشافرها وخراطيمها على تلك التماثيل فإذا أصابها حر النار أدبرت الفيلة هاربة فحطمت جنود الهند فأخذ الاسكندر ما كان في عسكرهم من الأموال والسلاح وخزائنه ، وأحرق بيوت أصنامهم وفرض عليهم خراجاً يؤدونه إليه فى كل عام، ثم إن ذا القرنين ذكر فراق الأحبة فاشتد لذلك غمه، وتغير لونه فقيل له ما بالك أيها الملك ؟ قد سمعنا أن لله ظلمةً على وجه الأرض فيها عين يقال لها الحيوان مَن شرب من تلك العين عاش إلى يوم القيامة فهل لك بأن تطلبها؟ ٣٢١/أ

قال: فجمع أهل مملكته وسألهم عن تلك العين وموضعها، فقال له شيخ: قرأت في وصية آدم عليه السلام لابنه شيث (إن لله ظلمة على وجه الأرض من جانب المغرب وفيها عين الحياة) وقال: فقصد بجنوده نحو المغرب فانتهى إلى قوم يركبون

(١) كذا في الأصل، والصواب: [التماثيل] لأنها جمع.

الأسد ويأتون برجلٍ من جنود الاسكندر فيحملونه بسلاحه ويقذفونه في البحر، وهم أشد خلق الله، فقاتلهم ذو القرنين حتى هزمهم الله ثم سار من عند آخرهم حتى ركب البحر الأعظم فأرسل الله ريحاً طيبةً ليسير بهم فخرجوا إلى قوم زرق العيون طوال الشوارب يقال لهم افريقية لا يستقبلهم أحد إلا قتلوه، فلما رآهم الإسكندر خر لله ساجداً، وسأل الله النصرة عليهم، فأظفره الله عليهم ثم سار من عندهم، فإذا هو بقوم يشبه كلامهم كلام الطير وهم أهل الأندلس فأفهمه الله كلامهم فقالوا: إن الله اعطاك الظفر علينا فأحسن إلينا. وكان يفهم كلام كل صنف منهم[1] ويعرف الطرق كما قال تعالى: ﴿ **ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً إنا مكنا له فى الأرض وءاتينه من كل شى سبباً** ﴾ علماً بالطرق واللغات ﴿ **فأتبع سبباً** ﴾ أخذ طريقاً ﴿ **حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب** ﴾ تغيب ﴿ **فى عين حمئة** ﴾ ذات طينة سوداء، ﴿ **ووجد** ﴾ ذو القرنين ﴿ **عندها** ﴾ عند العين ﴿ **قوماً** ﴾ مؤمنين فلما رأوه ألهمهم الله إلهاماً: قالوا: ﴿ **قلنا يـذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا** ﴾ القصة إلى أن قال: ﴿ **وسنقول له من أمرنا يسراً** ﴾ أي وسنلطفه وسنكرمه من أمرنا يسراً ثم نيسر الأمر عليه ﴿ **ثم أتبع سبباً** ﴾ أي أخذ طريقاً وهم قوم يقال لهم افرنجه وهم بشرٌ كثيرٌ قد أحاطوا بالترك في أطراف الأرض وحولهم الصقالية والترك.

قال: فسار بهم الاسكندر من عندهم / وسألهم: هل خلفكم أحدٌ من البشر؟ ٣٢١/ب قالوا: ما خلفنا أحدٌ يحتاج إليه إلا الترك قد أحاطوا بالدنيا طعامهم لحوم دوابهم وشرابهم وماؤهم[2] وبيننا وبينهم هذا الجبل العظيم وهم يأجوج ومأجوج فسار من عندهم حتى دخل الظلمة من خلف الجبل الذي تغرب الشمس خلفه في عصابة من أصحابه وخلف عسكره دون الجبل فركبوا الرماك[3]، وخلفوا المهُر بالعسكر فساروا

---

(١) هذه من الأسرائيليات التي لا يوجد دليل على صدقها.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: [دماؤها].

(٣) الرماك: جمع الرمكة، وهي الأنثى من البراذين. انظر: مختار الصحاح (ص:٢٥٧).

في الظلمـة يوما وليـلة فإذا هو لا يدرى أين يتـوجه مـن أرض الله وهم يسيـرون على رضراض من الحـجارة لا يدرون مـا هى، فقـال الاسكندر لأصحابـه: خذوا من هذه الحجارة ما استطعتم فإنه من أقل منها ندم، ومن أكثر منها نَدِمَ فأخذوا مخالي دوابهم وملاؤها من تلك الحجـارة ثم انصـرفوا راجـعين نحو الـضوء فـأسرعت الرمـاك إلى مهرها حـتى خرجوا من الظلمة فلمـا خرجوا إلى ما أخـذوا من ذلك الرضراض فإذا هو زمردٌ أخضر فندم الذين استقلوا منه وقالوا: يـا ليتنا استكثرنا وقال الذين أكثروا يا ليتنا أخذنا أكثر مما أخذنا فأدركـتهم الندامة وقال: وسار الاسكندر من مكانه وتياسر عن الطريق الذى كـان فيـه نحو المشـرق فسـار فوقع في أرض فـيهـا أناس لهم أرجل طُوالٌ تَضعُفُ أرجلهم على النصف الأعلى مرتين، وآخر أرجـلهم كأنها خشبٌ سود مـحترقة لا يفـقه كـلامهم أحـد منا ليس لهم مـأوى ولا مسكن يسيرون في البـرية كالسباع فـهربوا من جنود ذي القـرنين ودخلوا الفيـاض، فامـتنعوا فـيهـا ثم سار ذو القـرنين منها إلى أرض فـرأى قومـاً بها كـأن رؤسـهم رؤس الكلاب فلما نظروا إليـه هربوا منه فلم يقاتلهم وجاوز حتى بلغ إلى أرض فرأى فـيها قوماً ليس لهم رؤس وإذا أعينهم وأفـواههم في صدورهم كلامـهم يشبه كـلام الطير وطعامـهم الكمأة، ووزن كل كمأة عشرون رطلاً عقولهم كعقول الصبيان، حفاة عراة لا علم لهم كالبهائم ، ثم سار من عنـدهم حتى بلغ إلى أرضٍ وحشـيةٍ من أوحش مـا يكون ليس فيـها أنيس ووقع إلى البحر الأعظم الذى هو محيط بالعالم فـتحول من البحر وسار حتى بلغ إلى قومٍ فصار الضلع لهم آذانٌ مثل الترس، فإذا أراد أحدهم أن ينام جعل احدى أذنيه تحته فرشاً والأخـرى لحافاً، واذا مشى جـعل احدى أذنيه قدامه، والأخـرى خلفه ليس لهم عقول، ثم سار من عند آخرهم حتى بلغ إلى أرض ليس بها آدمي فإذا بها أشجارٌ ليس عليها ورقٌ ولا ثمرٌ إلا وعليها طيـرٌ أعظم من الفيل كأنها الشمس نوراً وحسناً تدعى العنقـاء، ثم سـار منها مـسيرة ليلةٍ فـانتـهى إلى أرضٍ تسـمى ندباً فرأى فـيـها طيـرين عظيمين أحدهمـا يتكلم بالرومية، فقال: يا ذا القـرنين لقد وطئتَ بلاداً لم يطأها أحدٌ من الآدمـيين قبلك وإن هـذه لأقصى الأرض من نحـو / المشـرق وليس خلفنا إلا هذا ٣٢٢/أ

الجبل الذي تطلع الشمس خلفه قال: فسار حتى رأى دون مطلع الشمس ناساً كأنهم سُلخت وجوههم ليس على رؤسهم وأجسادهم شعر وليس حواجب فإذا بزغت عليهم الشمس يعني طلعت دخلوا في كهوف لهم وفي غيرانهم من الجبل وفروا من حر الشمس ، فلا يزالون كذلك حتى ترتفع الشمس عنهم فى جو السماء، وهم الذين ذكرهم الله فى خبر ذي القرنين ﴿ **ثم أتبع سبباً** ﴾ أي أخذ ذو القرنين طريقاً نحو المشرق ﴿ **حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً** ﴾ لا شجراً ولا ثوباً ولا جبلاً حفاة عراة لا يهتدون .

قال : ثم ساروا منصرفين عن جانب الطريق فانتهى إلى أرض فيها النساء وعليهم ملكةٌ يقال لها (سرباس) فصالحها ذو القرنين وفرض عليها الخراج، ثم ساروا راجعين إلى البحرَ الأعظم، فسأل ذو القرنين أهل تلك الأرض هل خلفكم أحد من الخلق؟

قالوا ما خلفنا شيءٌ إلا هذا الجبل، فقال لهم الاسكندر: وما خلف هذا الجبل ؟ قالوا: يأجوج ومأجوج وهم يفسدون فى الأرض أشد الفساد ويحملون معاشنا ، فهل نجعل لك خراجاً ﴿ **على أن تجعل بيننا وبينهم سداً** ﴾ وقد ذكر الله ذلك فى كتابه فقال: ﴿ **وقد أحطنا بما لديه خبراً** ﴾ أى علمنا بما لديه خبراً، يقول الله : أنا أعلم بحاله وذهابه من المشرق إلى المغرب وبأموره كلها ﴿ **ثم أتبع سبباً** ﴾ أخذ طريقاً ﴿ **حتى إذا بلغ بين السدين** ﴾ وهما طرفا الجبلين ﴿ **وجد من دونهما** ﴾ بقرب السدين ﴿ **قوماً لا يكادون يفقهون قولاً** ﴾ كلاماً غير كلامهم، ﴿ **قالوا يذا القرنين إن يأجوج ومأجوج** ﴾ ابناء يافث بن نوح ﴿ **مفسدون فى الأرض** ﴾ يقتلون الناس ويخربون البلاد، ولقد لقينا منهم أذىً شديداً ﴿ **فهل نجعل** ﴾ نعطى ﴿ **لك خرجاً** ﴾ جعلاً ﴿ **على أن تجعل بيننا وبينهم سداً** ﴾ حاجزاً فلا يصلون إلينا وإلى أرضنا، ﴿ **قال** ﴾ الاسكندر : ﴿ **ما مكنى فيه ربى خير** ﴾ مما تعرضون عليَّ من أمور الدنيا ﴿ **فأعينونى بقوة** ﴾ وهى ألة العمل ﴿ **أجعل بينكم وبينهم ردماً** ﴾ سداً حاجزاً

يعني سداً بين الجبلين. قالوا: وما ألة ذلك؟ ﴿ **قال ءاتونى زبر الحديد**﴾ أي قطع الحديد فأتوه بها فبناه ﴿ **حتىٰ إذا ساوىٰ** ﴾ حاذى ﴿ **بين الصدفين**﴾ طرفي الجبلين ﴿**قال انفخوا حتىٰ إذا جعله ناراً**﴾ حتى صار كهيئة النار . ﴿ **قال ءاتونى أفرغ عليه قطراً**﴾ نحاساً ذائباً على الحديد ﴿ **فما اسطـٰعوا**﴾ أي وما قدروا وما أطاقوا يعني يأجوج ومأجوج ﴿**أن يظهروه**﴾ يعنيأن يعلوا فوق السد ﴿ **وما استطـٰعوا** ﴾ وما قدروا ﴿ **له نقباً**﴾ ففعلوا ذلك وذاب النحاس والصغر ودخل البناء بعضه في بعض واشتد كما قال الله ﴿**فما اسطـٰعوا أن يظهروه**﴾ يعني يعلو... فوق السد ﴿ **وما استطعوا** ﴾ وما قدروا ﴿**نقباً**﴾ أن ينقبوه من أسفله ويخرقوه ﴿**قال**﴾ لهم ذو القرنين : هذا السد والبناء بينكم وبينهم ﴿ **هذا رحمة من ربى فاذا جآء وعد ربى**﴾ وقت خروجهم ﴿**جعله دكآ**﴾ أى كسراً ﴿ **وكان وعد ربى حقاً**﴾ بخروجهم كائناً.

وقد روى/ الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: « إن يأجوج ومأجوج من ابناء يافث بن نوح بن كمك لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف ذكر[1] فاذا انكسر السد وذلك عند اقتراب الساعة يخرجون فيمرون ببحر الطبرية[2] وهي مملوءة ماءً والطبرية : اسم بلدٍ يشربه[3] أولهم ثم يمر آخرهم فيقولون: لقد كان ها هنا مرة ماءً. قال: والسد نحو بنات نعشٍ، ويكثرون حتى تمتلئ الأرض منهم فيمرون بالبحر فيبس لهم فيأكلون ما في جوفه من السمك والسرطان والسلحفاة والدواب ، ثم يأكلون ورق الأشجار ويأكلون ما في الأرض من شيءٍ ويهرب الناس منهم، فيقتلون من قدروا عليه إلا أنهم لا يستطيعون أن يأتون المساجد الأربعة مسجد مكة ومسجد ٣٢٢/ب

(١) البغوي (٣/١٨٠)، وتفسير السمرقندي (٢/٣١٣)، والقرطبي (١١/٥٦) عن أبي سعيد الخدري يرفعه.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: [طبرية] بدون [أل] التعريف.

(٣) كذا في الأصل، ويظهر ان فيه سقط يفهم من السياق، وتقديره وبها بحر أو ماء.

رسول الله ﷺ ومسجد بيت المقدس ومسجد طور سيناء[1] ثم لا يرون على الأرض غيرهم فيقولون: لقد قتلنا أهل الأرض وبقي أهل السماء فيرمون بسهامهم نحو السماء فتصيب الطير في جو السماء فترجع سهامهم منها مخضبةً بدماء طير السماء، فيقولون: قد قتلنا أهل السماء وأهل الأرض فلم يبق غيرنا، فيبعث الله النَّغَفَ واحدها نغفة[2] وهو دودٌ قد دخل في آذانهم فيقتلهم [فينتن الأرض][3] من جيفهم ثم يرسل الله المطر عليهم أربعين يوماً حتى يحمل السيل جيفهم فيردهم إلى البحر ويعود البحر كما كان، قال فلما فرغ الإسكندر من بناء السد دخل الظلمة ثانياً ورأى عجائب الدنيا وجبل قاف[4] ورجع إلى الأرض المقدسة فمات بها[5]. فلما مات ذو القرنين وضع على سريره فدخل عليه عشرةٌ من حكماء بنى إسرائيل فقالوا: تعالوا حتى نبكي على ملك الدنيا قال أحدهم: يا ملك كنت تعظ الناس إلى هذه الساعة ففي هذه الساعة تركت موعظة الناس.

وقال الثاني: يا ملك كنت تتكلم إلى هذا الحين والناس يصمتون، وفي هذا الحين يتكلم الناس وأنت صامتٌ.

---

(١) انظر: تفسير السمرقندي، بحر العلوم (٢/٣١٣).

(٢) النَّغَفُ: بفتحتين وغين معجمة الدودُ الذي يكون في انوف الإبل والغنم .
مختار الصحاح مادة (نغف) ص٦٧٠ .

(٣) كذا في الأصل بالباء والصواب أن يقول: [فتنتن الأرض].

(٤) قال في مختار الصحاح (قوف): قاف جبل محيط بالأرض ص٥٥٦ . وقال في اللسان مادة (قوف) (٣/١٨٨): وجاء في بعض التفاسير أن قافاً جبل محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء. وهذا الكلام يحتاج إلى دليل صحيح ولا دليل عليه. والله أعلم.

(٥) هذه القصة من الاسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب وقد نقلها ابن جرير الطبري في تفسيره من رواية وهب بن منبه اليماني (١٦/١٤) وما بعدها.

وقال الثالث: يا ملك الناس يحتاجون إليك إلى هذا الحين ، وأنت في هذا الحين تحتاج إلى غيرك.

وقال الرابع: يا ملك ملكت من المشرق إلى المغرب ويكفيك أربعة أذرع من الموضع.

وقال الخامس: الخياط الذى كان يخيط ثيابك إلى هذا الوقت لا يخيط لك ثوباً بعد هذا.

وقال السادس: إلى هذا الوقت يزورك الأشراف والملوك، ومن هذا الوقت يزورك الديدان والهوام.

وقال السابع: قهرت ملوك الدنيا إلى هذا الوقت، والآن قهرك الموت.

وقال الثامن: إلى هذا الوقت كنت تجمع المال وتضعه فما لك لا تفتدي نفسك بمالك.

وقال التاسع: فزت بالجنة إن كان خرج روحك وربك عنك راضٍ .

وقال العاشر: إن كان أحد يمكنه أن يهرب من الموت بالعدة والآلة والمال فأنت ذلك الرجل ، ولكن لا بد لأحدٍ من الموت، ثم تفرقوا عنه[1].

وروي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: أتينا النبي ﷺ ذات يوم في قبة من /أُدم ٢٢٣/أ فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « إن مثلكم في سائر الأمم كمثل شعرة

(١) هذه من الأسرائيليات التي لا تسلم في الغالب من التحريف والتبديل والتصحيف والا ختلاق، ولا حاجة لنا مع خبر الله ورسوله ﷺ إلى شيء منها بالكلية وادخالها إلى كتب التفسير جاء بالشر والفساد الكثير.

بيضاء في جنب ثور أسود، أو شعرة سوداء في جنب ثور أبيض، إن بعدكم يأجوج ومأجوج الرجل منهم ليترك من بعده من الذرية ألفاً فما زاد، وهم ثلث أمم منسك وتأويل وتارس لا يعلم عددهم إلا الله»[1].

روى ثوبان أن النبي ﷺ ذكر حديث الفتن وذكر يأجوج ومأجوج فقال ثوبان: يا رسول الله: وما يأجوج ومأجوج؟ قال: « يأجوج أمةٌ ومأجوج أمةٌ كل أمةٍ أربعة الآلف أمةٍ». قلت: يا رسول الله صفهم لنا!! قال: « هم ثلاثة أصناف : صنف منهم كأمثال الأثل الطويل والآرز» قلت: وما الآرز؟ قال: « شجرة بالشام طوله عشرون ومائة ذراع، والصنف الثاني : طوله وعرضه سواءٌ عشرون ومائة ذراع في عشرين ومائة ذراع هم الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديدٌ، وصنف منهم يفترش أذنه ويلتحف الأخرى يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يمر آخرهم بالفرات ودجله فيقول لقد كان في هذا النهر مرةً ماء، يشربون بحيرة بأرمينية يقال لها بحيرة طبرية[2] ، وطبرية[3]: اسم البلد، تضج الأرض منهم يأكلون السباع والفيلة لا يسقط لهم ولد من امرأة إلا أكلوه، فيوحي الله إلي عيسى بن مريم أحرز عبادي المؤمنن بجبل طور سيناء، ثم إن عيسى يقوم رافعاً يديه إلى السماء فيدعوا الله عليهم، فيبعث الله عليهم دابةً فتدخل في مناخرهم ، فيصبحون موتى عن آخرهم على وجه الأرض فيؤذى الناس نتنهم وزهمتهم ، فيبعث الله مطراً كأمثال أفواه القرب فيسوقهم إلى

(١) هذا الحديث له أصل في صحيح البخاري كتاب الرقائق من حديث أبي هريرة .
انظر: الفتح (١١/٣٧٨، ٣٨٨) وقد ذكر ابن حجر الروايات وأشار إلى رواية بن مسعود رضي الله عنه.
ورواه مسلم في صحيحه (١٠/٢٠١) كتاب الإيمان برقم (٣٧٨) بلفظ: (ما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ولم يذكر يأجوج ومأجوج في الحديث.
(٢)، (٣) في الأصل : الطبرية بالتعريف ، والصواب ما أثبته.

البحر، فيمكث المسلمون أربع عشرة سنة يوقدون بأسلحتهم وجعابهم وأقواسهم ونشابهم ويرجع عيسى إلى بيت المقدس»[١].

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال في السد: « يحفرونه كل يوم حتى كادوا أن يخرقوه، قال الذى عليهم: ارجعوا فستخرقون غداً فيعيده الله كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، قال: فيحفرونه حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله، وفي غيره من الأيام يقول: ارجعوا فستخرقونه غداً ولا يستثنى، فيجدونه كهيئته حين تركوه، قال: فيخرقونه ويحملون على الناس فيُنَشِّفُون المياه فيفر الناس إلى حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا أهل الأرض وملوك أهل السماء، فيبعث الله نغفاً في آذانهم فيهلكهم الله - والذي نفس محمد بيده - إن دواب الأرض لتسمن أو تشكر شكراً من لحومهم» .[٢]

وروي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ ، وقال يا رسول الله: إني رأيت السد، قال : « كيف هو؟» قال: كالبرد المحبر. قال: « قد رأيته»[٣].

---

(١) هذه الرواية أخرجها الواحدي في الوسيط من طريق حذيفه يرفعه وذكر الحديث (٣/١٦٦)، وهو موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٠٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/٥١٠، ٥١١) ، والترمذي وحسنه (٨/٥٩٨، ٥٩٩) برقم (٥١٦٠) التحفة، وابن ماجه وصححه الألباني انظر: صحيح ابن ماجة (٢/٣٨٨) قال الإمام الحافظ بن كثير رحمه الله في تفسيره بعد أن ذكر من رواه وإسناده جيد قوي، ولكن متنه في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية: يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه، ولا من نقبه، لاحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار إلى أن قال رحمه الله ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب ، فإنه كثيراً ما كان يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع ، فرفعه والله أعلم (٥/١٩٤).

(٣) لم أقف عليه.

وقال قتادة: إنه كان طريقة /حمراء من نحاس وطريقة سوداء من حديد[1]. ٣٢٣/ب

وروي أن رجلاً آخر جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت ردم يأجوج ومأجوج ، قال: «صفه لي» قال: طريقةً بيضاء وطريقةً سوداء .فقال النبي ﷺ : «أجل قد رأيته»[2].

وقال وهب بن منبه: إن ذا القرنين كان رجلاً من أهل الاسكندرية ابن عجوز من عجائزهم، ولم يكن من أفضلهم حسباً، ولكنه نشأ في أدب حسن، وحلم ومروءة وعفةٍ من لدن كان غلاماً إلى أن بلغ ولم يزل يتخلق بمكارم الأخلاق، وكان قد حلم حُلماً فرأى فيه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها، فلما قص رؤياه على قومه سموه ذا القرنين، فلما رأى هذه الرؤيا عظمت همته وعلت منزلته وعز في قومه وألقى الله عليه الهيبة بسبب ما أراد به فأسلم وحسن اسلامه ودعا قومه إلى الاسلام ثم أمرهم ليبنوا له مسجداً فبنوا له مسجداً طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع، وعرض الحائط اثنان وعشرون ذراعاً، ويقال أربعٌ وعشرون ذراعاً، وطوله في السماء مائة ذراع، وأمرهم أن لا ينصبوا فيه سوارى قالوا: يا ذا القرنين فكيف لك بخشب يبلغ ما بين الحائطين قال: إذا فرغتم من بنيان الحائط فاكبسوه بالتراب حتى يستوى الكبس مع حيطان المسجد، وأمر بالذهب والفضة حتى قطعوا مثل قلامة الظفر وخلطوا بذلك التراب الذى كبس به المسجد. ثم أمر بالنحاس ليذيبوه ويصبوا على ذلك الكبس ثم دعا المساكين ليفتشوا ذلك التراب فتسارع إليه المساكين لأجل ما فيه من الذهب والفضة ، فمن حمل شيئاً فهو له، فأخرج المساكين ذلك التراب وقد استوى السقف واستغنى المساكين فجندهم

(١) أخرجه البغوي (١٨٢/٣).

(٢) لم أقف عليه.

أربعين ألفاً وهم أول جنود اتبعه وجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم سيرهم في البلاد ، فاجتمع إليه قومه وأهل مدينته، فقالوا: يا ذا القرنين إنا ننشدك أن لا تؤثر علينا بنفسك غيرنا، وهذه أموالنا وأنفسنا وأنت الحكم فينا ، وهذه أمك عجوز كبيرةٌ وهي أعظم من خلق الله حقاً عليك، وليس ينبغي لك أن تقصيها فقال: ذو القرنين والله إن القول لقولكم، ولكني بمنزلة المأخوذ قلبه وسمعه وبصره يقاد ، ثم سار في البلاد، فلما سار أوحى الله إليه (إنك رسولي يا ذا القرنين إلى جميع الخلائق من بين الخافقين من مطلع الشمس إلى مغربها وأنت حجتي عليهم ، وهذا تأويل رؤياك التى رأيت وقد بعثت إلى جميع أهل الأرض وهم تسع أمم، الجن والإنس وتارس ويأجوج ومأجوج، وناسك ومنسك، وهاويل وثاويل وأطلق لسانه بالعلم/ ٣٢٤/١ والحكمة، فانطلق ذو القرنين في البلاد حتى انتهى إلى الجبل الذى هو محيط بالأرض كلها، فإذا ملك من الملائكة قائم على الجبل وهو يقول: «سبحان ربي من الآن إلى منتهى الدهر وسبحان ربي من أول الدنيا إلى آخرها وسبحان ربي من موضع كفي إلى عرش ربي، وسبحان ربي من منتهى الظلمة إلى النور». وهو يقول هذا بصوت رفيع فلما رأى ذو القرنين ذلك خر ساجداً لله فلم يرفع رأسه حتى قواه الله وأعانه على النظر إلى ذلك الملك، فلما نظر إليه، قال له الملك: كيف قويت يا بن آدم على أن تبلغ هذا الموضع؟ ولم يبلغه أحدٌ من ولد آدم قبلك؟

قال ذو القرنين : قواني عليه الذي قواك على الجبل، فأخبرنى عن قبضتك على هذا الجبل قال: إني موكل به وهو قاف المحيط بالأرض كلها ولولا هذا الجبل لهلكت الجبال ولهلكت الأرض ومن عليها وليس على وجه الأرض جبل أعظم منه.

فلما أراد ذو القرنين الرجوع قال للملك : أوصني، قال: الملك لا يهمنك رزق

غدٍ ولا تؤخر عمل اليوم لغدٍ، ولا تحزن على ما فاتك ، وعليك بالرفق ولا تكن جباراً ولا متكبراً، ثم إن ذا القرنين رجع إلى أصحابه وخرج بهم نحو المشرق حتى طاف ما بين المشرق والمغرب ثم خرج نحو الردم الذي ذكره الله في كتابه ﴿ **حتى اذا بلغ بين السدين**﴾ إلى قوله: ﴿ **ردماً**﴾ فرأى جماعة ﴿ **لا يكادون يفقهون قولاً**﴾ كلاماً غير كلامهم وإذا ما بينه وبين الردم أمةٌ يقال لها يأجوج ومأجوج أشباه البهائم يأكلون ويشربون ويتوالدون وهم ذكور وإناث وفيهم مشابه من الناس في الوجوه والأجساد والخلقة ولكنهم قد نقصوا في الأجسام نقصاً شديداً وهم فى طول الغلمان الأطفال لا يجاوز طولهم خمسة أشبار وهم على مقدار واحد في الطول والخلق والصورة والعرض، حفاة عراة لا يغزلون ولا ينسجون ولا يلبسون ولكل واحدٍ منهم أذنان أحدهما ذات شعر والأخرى ذات وبر ظاهرهما وباطنهما ولهم مخالب في موضع الأظفار وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها وأحناك كأحناك الأبل ، وأفواههم تسمع لها حركة اذا أكلوا كحركة الجرة من الأبل وكقضم البغل المسن أو الفرس القوى. يفرش احدى أذنيه ويلتحف بالأخرى فيسعه لحافاً وهم يرزقون تنين[1] البحر كل عام مرة يقذفه عليهم السحاب فيعيشون به فإذا ألقى السحاب إليهم ذلك التنين سمنوا وتوالدوا وكثروا وأكلوا منه حولاً كاملاً إلى مثله من العام المقبل، فأوسعهم حتى لا يأكلوا شيئاً غيره وإذا أخطأهم التنين وأجدبوا وجاعوا وانقطع النسل والولد ولهم حسٌ ووجسٌ إذا هم أقبلوا إلى أرض في اون قحطٍ تسمع حسهم من مسيرة خمسمائة فرسخ، وهم يأكلون كل شيء أتوا عليه حتى لا يبقى له أثر ولا يموت واحد منهم حتى يولد له ألف فبذلك عرفوا آجالهم. فإذا ولدوا الأولاد الأولوف برزوا للموت وتركوا المعيشة .

فتلك قصتهم يوم خلقهم الله إلي يوم يبعثهم[2].

---

(١) التنين ضرب من الحياة مادة (ت ن ن) المختار الصحاح ص٧٩.

(٢) هذه من الأسرائيليات التي تفتقر إلى الدليل الصحيح ، ولا تخلوا من الغرابة والنكارة في بعض فصولها وحلقاتها.

فلما سمع القوم بهم استغاثوا بذي القرنين، وذو القرنين نازل في ناحية من أرضهم وهم يتكلمون / يومئذٍ بلغة غير لغة ذي القرنين وكان لسان ذى القرنين ٣٢٤/ب يومئذٍ فيهم سريانياً وعبرانياً وورومياً ثم أفهمه الله حين وجهه اللغات كلها واجتمعوا إليه وقالوا: يا ذا القرنين ﴿**إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض**﴾ وهم خلق من خلق الله كثير فيهم مشابه من الإنس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب، ويفترسون الدواب والوحش كما يفترسها السباع، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب وإن كانت لهم مدة على ما ترى، من نمائهم وزيادتهم، فلا شك أنهم يملاؤن الأرض ويجلون أهلها منها ونحن نتوقعهم أن يطلع علينا أوئلهم من بين هذين الجبلين. وقد أتاك الله من القوة والحيلة ما لم يؤت أحداً من العالمين.

﴿**فهل نجعل لك خرجاً**﴾[1] نعطيك جعلاً وهدية ﴿**على أن تجعل بيننا وبينهم سداً**﴾ حاجزاً وستراً من حديد وصفر.

﴿**قال**﴾ ذو القرنين: ﴿**ما مكنى فيه ربى خيرٌ**﴾ أي ما أعطانى ربي أفضل مما تعرضون علي من مال الدنيا، ﴿**فأعينونى بقوةٍ**﴾ بآلة الحديد ويقال برجالكم ﴿**أجعل بينكم وبينهم ردماً**﴾ سداً.

﴿**ءاتونى زبر الحديد**﴾ قطع الحديد: يعني ألواح الحديد. قالوا: ومن أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل الذى تريد أن يُعمل، قال: سأدلكم علي معدن الحديد والنحاس. قالوا: بأي قوة نقطع الحديد والنحاس؟ فاستخرج لهم (السامور[2] النسامور) أشد خلق الله وليس منه شيء يوضع على شيء إلا ذاب تحته، فصنع منه

---

(١) خراجاً بالألف قراءة حمزة والكسائي. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥١٦).

(٢) كذا في الأصل، وفي قصص الأنبياء للثعلبي المسمى عرائس المجالس (٣٢٨) باسم (الساهون) وقال هو نوع من المعدن.

أداة يعملون بها.

قال وهب وبه قطع سليمان بن داود أساطين بينت المقدس وصخرته[1].

فلما جمعوا الحديد والنحاس: قاس ذو القرنين ما بين الصدفين فوجده ثلاثة أميال فحفر له أساساً حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه وجعل حشوه زبر الحديد وجعل خلال الحديد طبقةً من نحاس وأخرى من حديد حتى ساوى الردم بطول الردم.

وبلغنا – والله أعلم ـ أنهم ياتونه في كل سنة مرة وذلك أنهم يسيحون في بلادهم فلا يزالون كذلك حتى تقترب الساعة فإذا جاء أشراطها فتح الله لهم ذلك . وذلك قوله تعالى **﴿حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾**[2] يعني الردم.

فلما فرغ ذو القرنين من عمل السد انطلق على وجهه عامداً إلى جماعة الناس، حتى مر على المعاند والظالم فبينما هو يسير إذ وقع إلى الأمة الصالحة من قوم موسى[3] الذين قال الله: **﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾**[4] فوجد أمةً مقسطة عادلة يقسمون بالسوية ويحكمون بالعدل حالهم وكلمتهم واحدة وقلوبهم مؤلفةً وطريقتهم مستقيمة، وسيرتهم مستوية، وقبور موتاهم في أفنيتهم، وعلى

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) سورة الأنبياء آية ٩٦.

(٣) أخرج مثله ابن جرير الطبري (١٣/١٧٣، ١٧٤) عن ابن جريج وقال ابن كثير: (٣/٤٩١): وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبراً عجيباً، ثم ذكر الإسناد، وقال: عن ابن جريج: بلغني أن بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطاً – تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله عزوجل أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء العين فهم هناك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا . أهـ.

(٤) سورة الاعراف آية ١٥٩.

أبواب بيوتهم ، وليس عليهم أمراء وليس بينهم قضاة وليس فيهم اغنياءٌ ولا ملوك ولا أشراف، ولا يتفاضلون ولا يختلفون ، ولا يتنازعون ، ولا يسبون، ولا يقتلون ولا يقحطون ولا تصيبهم الآفات ، فلما رأى ذو القرنين منهم ذلك عجب منهم.

فقال: أخبروني أيها القوم بخبركم فإني قد طفت الأرض شرقها وغربها وسهلها وجبلها وحزنها وبرها وبحرها ونورها / وظلمتها، فلم ألق مثلكم. ٣٢٥/أ

قالوا: نعم. سلنا عما بدا لك. قال: أخبروني ما بال قبور أمواتكم في أفنيتكم وعلى أبواب بيوتكم؟

قالوا: عمداً. فعلنا ذلك لئلا ننس الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا.

قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبوابٌ ؟

قالوا: ليس فينا بخيل ولا متهم.

قال: فما بالكم ليست عليكم أمراء؟ قالوا: لأننا لا نتظالم. قال: فما بالكم ليس لكم حكام؟ قالوا: نحن لا نختصم. قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر. قال: فما بالكم ليس فيكم أشراف؟ قالوا: لا نتنافس. قال: فما بالكم لا تتفاضلون؟ قالوا: من قبل إنا متواسون متراحمون . قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا. قال: فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: من قبل إنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا نغتاب بعضنا على بعض. قال: فما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: من قبل إنا لا نغفل عن الاستغفار. قال: فأخبروني لما لا يصيبكم الآفات؟ قالوا: من قبل إنا لا نتوكل على غير الله، ولا نستمطر بالأنواء ولا بالنجوم.

وأقام عندهم ذو القرنين حتى قبض وقد أدركه الكبر ، وكان مدة ما ساد في

البلاد من يوم بعثه الله إلى يوم قبضه الله خمسمائة عام.

قال وهب بن منبه: هذا المقدار بلغ إلينا من خبر ذي القرنين والله أعلم[1].

وقال بعضهم: مات ببيت المقدس ، وقيل : بأسفار .

قال : هذا معنى قوله: ﴿ **ويسئلونك عن ذى القرنين ، قل: سأتلوا عليكم منه ذكرا**﴾ .

وروى عقبة بن عامر قال: كنت عند رسول الله ﷺ فلما خرجت إذا أنا بناس من أهل الكتاب معهم كتب ومصاحف فقالوا لي: استأذن لنا، فدخلت فأخبرت النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ «ما لى ولهم يسألوننى عما لا أعلم، إنما أنا بشر» ثم دعا بوضوء فتوضأ ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته عرفت البشر في وجهه . قال : «يا عقبه: أدخلهم ومن كان في الباب من أصحابى» فأدخلتهم فلما دخلوا عليه قال رسول الله ﷺ: «إن شئتم حدثتكم عما جئتم تسألوننى عنه، وإن شئتم فاسلوا عنه». قالوا: بل أخبرنا. قال: « جئتكم تسألونني عن ذي القرنين وما كان من أمره وأنه كان غني من أبناء الروم ، ملك الروم فأتى ساحلاً من سواحل البحر وأتى مدينةً يقال لها الاسكندرية، فأتاه ملك فاحتمله تحت جناحه إلى السماء، فلما صعد به إلى السماء، قال له انظر ماذا ترى؟ قال: أرى مدينتي حولها مدائن ، ثم هوى به فقال: انظر ماذا ترى؟ قال أرى مدينتي قد اختلطت بالمدائن، لا أعرفها ثم هوى به. فقال:

---

(١) هذه أخبار اسرائيلية، بطولة نقلها المؤلف عن وهب بن منبه اليماني، وفيها طول وغرابة ونكارة في وصف ذي القرنين والأمم التى طاف بها في أشكالهم وصفاتهم وأعمالهم وأقوالهم.
والذي ينبغي أن نؤمن به ونقف عنده هو ما أخبر الله به عنه في كتابه ولا نخوض في البحث عن زيادة.

انظر ماذا ترى. قال: أرى مدينتي وحدها لا أرى غيرها . قال: فإن الذى ترى جميع الأرض وإن الله سلطك عليها، فيتعلم العالم من الجاهل فسار حتى أتى مغرب الشمس ، ثم سار حتى أتى مطلع الشمس، ثم أتى ردم يأجوج ومأجوج فاذا هما جبلان لينان اثنان تزلق عنهما كل شيء فردم عليهم ثم قطع يأجوج ومأجوج/ ، فأتى ٣٢٥/ب أمة وجوههم كوجوه الكلاب، يقاتلون يأجوج ومأجوج ، ثم قطع الذين وجوههم كوجوه الكلاب فأتى قوماً قصاراً يقاتلون الذين وجوههم كوجوه الكلاب ، ثم قطع القوم فإذا أمة من الغرانيق يقاتلون القوم الصغار ثم قطع الأمة من الغرانيق فأتى أمة من الحيات تلتقم الحية الصخرة العظيمة ثم أتى البحر المحيط بالدنيا». فقالوا: صدقت هكذا وجدناه في كتابنا[1]. فهذا معنى قول الله ﴿ **ويسئلونك عن ذى القرنين**﴾ وكان إسمه اسكندر.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: « إنما سمي ذو القرنين لأنه طاف قرني الدنيا»[2] يعني جانبيها ، وقال: آخرون: سمي ذو القرنين لأنه عاش عيش قرنين[3].

وقال علي بن أبي طالب: أنه سمي ذو القرنين لأنه صار إلى قوم فحاربهم فضربوه على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله، فضرب على قرنه الأيسر فمات فأحياه

---

(١) هذه الرواية لا تصح عن رسول الله ﷺ ، ولقد كفانا مؤنة الردّ عليها الحافظ ابن كثير رحمه الله فقال: « وقد أورد ابن جرير ههنا، والأموى في مغازية، حديثاً أسنده، وهو ضعيف، عن عقبة بن عامر: أن نفراً من اليهود جاءوا يسألون النبي ﷺ عن ذي القرنين ... وذكر الحديث، ثم قال وفيه طول ونكارة ورفعه لا يصح ، وأكثر ما فيه: أنه من أخبار بني اسرائيل.
انظر: تفسيره (١٨٥/٥).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٣/ب).

(٣) انظر المصدر السابق.

الله، والقرنان جانبا الرأس[١].

ثم قال علي بن أبي طالب: «وفيكم مثله «وفيكم مثله» يعني نفسه إذ كان ضرب يوم الخندق على رأسه، ثم ضربه ابن ملجم على ذلك الموضع، وأخبره بذلك رسول الله ﷺ حين تلا هذه الآية: ﴿إذا انبعث أشقـها﴾ فقال: «ألا أخبرك بأشقى الأولين؟ قال: بلى يا رسول الله.

قال: عاقر الناقة ثم قال: وأشقى الآخرين من يضربك على رأسك فتتخضب لحيتك بدمك»[٢].

قال علي: سألت رسول الله ﷺ عن ذي القرنين: أكان نبياً؟.

قال: لا كان عبداً صالحاً لله تعالى»[٣].

قال مجاهد: كان نبياً[٤]. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «قال ما أدري ذو القرنين أنبياً كان أم لا، وما أدري الحدود كفاراتٌ لأهلها أم لا. وما أدرى أعزيرٌ نبياً كان أم لا، وكان في فترة عيسى»[٥] والنبي ﷺ فذلك قوله تعالى: ﴿ويسئلونك عن

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٣/١٦٣، ١٦٤) من رواية أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه، والبغوي (٣/١٧٨)، والبحر المحيط (٦/١٥٨)، وبحر العلوم (٢/٣١٠)، وانظر: تفسير ابن كثير (٥/١٨٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/٢٦٣)، والحاكم (٣/١٤٠، ١٤١). وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه الزيادة، وإنما اتفقا على حديث أبي حازم عن سهل بن سعد: «قم أبا تراب» ووافقه الذهبي. وهو في مشكل الآثار للطحاوي (١/٣٥٢).

(٣) ذكره بهذا ابن حبيب (ق:١٧٣/ب)، والواحدي في الوسيط موقوفاً (٣/١٦٣)، والسمرقندي (٢/٣١٠)، والبغوي (٣/١٧٨).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٣/ب)، والوسيط (٣/١٦٣)، والسمرقندي في تفسيره (٢/٣١٠).

(٥) لم أقف عليه.

ذى القرنين قل﴾ يا محمد ﴿ **سأتلوا﴾** سأقرأ ﴿**عليكم منه ذكراً** ﴾ بياناً، وإنما سأله أبو جهل عن ذي القرنين.

قال ابن عباس: سأله اليهود عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، ويأتي سؤالهم في ﴿ **والضحى** ﴾ فأنزل الله : ﴿ **ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً إنا مكنا له فى الأرض﴾** يعنى ملكناه فى الأرض وهديناه طرقها ومسالكها ﴿ **وآتينه﴾** وأعطيناه ﴿ **من كل شيءٍ سبباً** ﴾ معرفة الطريق والمنازل ﴿**فأتبع سبباً﴾** فأخذ طريقاً.

قال الضحاك: يعني علماً فاتبع[1] ما علمناه ﴿ **حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾** يعني حيث تغرب الشمس ﴿ **وجدها﴾** يعني وجد الشمس ﴿ **تغرب فى عين حمئة﴾** يعنى فى عين ذات حمئة. وقرأ عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبو العاص والحسن في ﴿ **عين حامية﴾**[2] يعني: في عين حارة نظيره: ﴿ **نار حامية﴾**[3]. وكان ابن عباس ذات يوم عند معاوية وعند عبدالله بن عمرو فجرى حديث ذي القرنين، فقال معاوية ﴿ **وجدها تغرب فى عين حامية﴾** .

فقال: ابن عباس: ﴿ **حمِيَة** ﴾ فقال معاوية لعبدالله بن عمرو: كيف تقرأها؟/ ٣٢٦/أ قال: كما يقرأه أمير المؤمنين، ثم وجه معاوية إلى كعب الأحبار فقال: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في حمأة وطين. فصح قول ابن عباس فقال رجل لابن عباس:

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٣/ب).

(٢) القراءة سبعية قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي وغيرهم . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥١٥).

(٣) سورة القارعة آية ١١.

أتريد أن تصحح ما قلت بشعر . فقال: نعم فأنشده لبعض الشعراء[1]:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً تدعى له الملوك وتسجـد
بلغ المشارق والمغارب يبتغـي أسباب أمرٍ مـن حكيم مرشدِ
فرأى منار الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأطٍ جرمدِ

والخلب: الطين ، والثأط: الحمأة المنتنة، والجرمد: الأسود.

قال: فرجعوا إلى قول ابن عباس[2]، ﴿ ووجد عندها قوماً﴾ كفاراً.

﴿ قلنا﴾ ﴿يذا القرنين﴾ يعني الكفار: ﴿ إما أن تعذب﴾ اما أن تقتل ﴿ وإما أن تتخذ فيهم حسناً﴾ يعنى تعفوا عنهم وتصفح، وإما أن تتخير بين شيئين .

﴿قال﴾ يعنى ذو القرنين: ﴿ أما من ظلم﴾ يعنى كفر بالله ﴿ فسوف نعذبه ﴾ فى الدنيا بالقتل ﴿ ثم يرد إلى ربه ﴾ فى المعاد . ﴿ فيعذبه عذاباً نكراً ﴾ أى منكراً شديداً.

﴿ وأما من ءامن﴾ بالله ﴿ وعمل صلحاً فله جزاءً الحسنى﴾ فيه تقديم وتأخير ومجازة فله الحسنى جزاءً يعني فله الجنة جزاءً. وجزاءً: نصبٌ على المصدر .

---

(١) في البداية والنهاية لابن كثير (٢/١٠٠٤) أن هذه الأبيات لبعض الحميريين، وفي العرائس للثعلبي أن القائل تبع (٣٢٦).
وهناك اختلاف في بعض الفاظ هذه الآبيات ، فعند ابن كثير البيت الأول كما يلي:
قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ملكـاً تدين لـه الملـوك وتحشد
وفي البيت الثالث، كلمة (مغيب) بدل مغار عند المؤلف ويلاحظ أن هذه الأبيات معابة بعيب القوافي وهو اختلاف القوافي بالضم والكسر.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٣/ب).

﴿**وسنقول له**﴾ قاله ذو القرنين . ﴿ **وسنقول له من أمرنا يسراً**﴾ أي سنهون عليه أمرنا.

﴿**ثم أتبع سبباً**﴾ أخذ طريقاً وعلماً ﴿ **حتى إذا بلغ مطلع الشمس** ﴾ يعني إذا بلغ حيث تطلُعُ الشمس.

ومن قرأ بفتح اللام[1]: أراد طلوع الشمس ﴿ **وجدها**﴾ يعني وجد الشمس ﴿**تطلع على قومٍ لم نجعل لهم من دونها ستراً**﴾ أي نجعل بينهم وبين الشمس ستراً ولا جبلاً ولا شجراً ولا غيراناً وهم قوم عراة.

يقال لهم: تاريس ، وتاويل، ومنسك.

قال كعب الأحبار: إنها أرض لا تمسك الأبنية وبها أسرابٌ فاذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب خوفاً من حر الشمس فإذا ارتفعت الشمس خرجوا لمعاشهم.

وقال مجاهد: من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض كذلك اختلفوا في «كاف» التشبيه.

فقال قوم: معناه بلغ ذو القرنين مطلع الشمس كما بلغ مغرب الشمس .

وقال آخرون: التشبيه واقع على لباس الناس ومجازها ﴿ **لم نجعل لهم من دونها ستراً**﴾ كلباسكم وستركم.

قال الله: ﴿ **كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً**﴾ أي وقد علمنا بما عنده من العلم والبيان.

﴿ **ثم أتبع سبباً**﴾ أخذ طريقاً علماً من المشرق نحو الردم ﴿ **حتى إذا بلغ بين**

---

(١) قرأ بها ابن محيصن، والحسن وغيرهم. انظر: اتحاف الفضلاء (٢٩٤)، والبحر المحيط (٦/١٦١).

السدين﴾ قال أبو عمرو بن العلاء: بين الجبلين[1]، وما كان من فعل المخلوقين فهو سد بفتح السين وما كان من فعل الله فهو سد بضم السين وكذلك قال في الصَدفين، والُصدفين قد قرئ بهما جميعاً[2]. **﴿ وجد من دونهما﴾** يعني وجد أمام الجبلين **﴿ قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾** أي لا يفقهون قول من كلمهم.

ومن قرأ[3] **﴿ يُفْقِهُون قولاً﴾ ﴿قالوا ﴾** بالترجمان.

﴿ يـٰذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض﴾ يفسدون أرضنا ويأكلون رطبنا ويابسنا، ويقتلون أولادنا.

وقيل: يفسدون في الأرض أي يأكلون الناس، وقرأ عاصم **﴿ يأجوج ومأجوج﴾** بالهمز فيهما[4]، قال: / وأصله من الأجيج وهو صوت النار. ٣٢٦/ب

وقال ابن منبه ومقاتل بن سليمان: هم من أولاد يافث بن نوح[5].

قال كعب: نام آدم ذات يوم يعني قيلولة فاحتلم، فلما انتبه أسف وحزن على ذلك الماء.

فخلق الله يأجوج ومأجوج من ذلك الماء فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم[6].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/أ).

(٢) القراءتان سبعيتان. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥١٥، ٥١٧).

(٣) قرأ حمزة والكسائي بضم الباء وكسر القاف، وفتحهما الباقون ، انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥١٦).

(٤) انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥١٦).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٦٠١).

(٦) قال ابن كثير رحمه الله (٥/١٩١): وقد حكى النووي رحمه الله في شرح مسلم عن بعض

﴿ **فهل نجعل لك خراجاً**﴾ جعلاً ومن قرأ ﴿ **خرجاً**﴾ . بغير ألف أي فهل نعطي لك أجراً، قال أبو عمرو بن العلاء: الخرج : ما تبرعت به والخراج : ما لزمك أداؤه[1] ﴿ **على أن تجعل بيننا وبينهم سداً**﴾ حاجزاً قال ذو القرنين: ﴿ **ما مكنى فيه ربى خير**﴾ معناه: ما أعطاني فيه ربي خيرٌ مما تعرضون على من خراجكم ﴿**فأعينونى بقوة**﴾. قالوا: وأي القوة تريد منا؟ قال: آلة الحدادين ﴿ **أجعل بينكم وبينهم ردماً**﴾ سداً وحاجزاً .

﴿**ءاتونى**﴾ أعطوني ﴿ **زبرالحديد** ﴾ قطع الحديد ، فأتوه بها فبناه ﴿ **حتى إذا ساوى**﴾ حاذى ﴿ **بين الصدفين** ﴾ يعني طرفي الجبل[2].

﴿ **قال** ﴾ ذو القرنين لهم: ﴿ **انفخوا حتى إذا جعله ناراً**﴾ يعني اذا جعل الحديد كالنار فيذهب بعضه في بعض،﴿ **قال ء اتونى**﴾ أعطوني ﴿ **أفرغ عليه قطراً**﴾ يعني اصب عليه نحاساً ذائباً. والقطر: النحاس الذائب.

﴿ **فما اسطعو أن يظهروه**﴾ أي لم يقدروا أن يعلوه ﴿ **وما استطعوا له نقباً**﴾ يعنى لم يقدروا أن ينقبوه.

وتقول العرب: استطعت اسطيع، واستطعت استطيع.ونظيره: كِتُ وكَّتُ.

الناس: أن يأجوج ومأجوج خلقوا من منيّ خرج من آدم فاختلط بالتراب، فخلقوا من ذلك، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم، وليسوا من حواء، وهذا القول غريب جداً، لا دليل عليه، لا من عقل، ولا نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، والله أعلم أهـ.

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/أ).

(٢) كذا في الأصل، والصواب طرفي الجبلين كما جاء في تفسير ابن حبيب (ق:١٧٤/أ).

قال الشاعر[١]:

ولو أنني أسيطع صبراً وسلوة   تناسيت لبنى غير مضمرٍ حقداً

قال علي بن أبي طالب: لا يموت رجل منهم حتى يولد له ألف من الذكور منهم من طوله شبر، ومنهم من طوله يفرط في الطول[٢].

﴿قال﴾ ذو القرنين: ﴿هذا﴾ السد والبناء ﴿ **رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء**﴾.

قال ابن عباس: وذلك أنهم يأتون السد كل يوم فيقولون نفتحه غداً ونخرج ولا يستثنون حتى إذا جاء وعد خروجهم ألهمهم الله حتى قالوا: غداً نفتح ونخرج إن شاء الله ففتحوا وخرجوا[٣].

قال وهب فيأتون بحيرة الطبرية فيشربون ماءها أولاً ويأكلون دوابها ثم يأكلون الخشب والشجر ويأكلون من ظفروا به من الناس ويقدرون الدخول في جميع المواضع إلا في ثلاثة مواضع: مكة والمدينة وبيت المقدس فلا يقدرون عليها، فإذا قتلوا أهل الأرض ، فرموا بسهامهم نحو السماء فعادت إليهم مخضوبةً قالوا: غلبنا أهل السماء ثم يرسل الله عليهم دوداً يقال لها النغَّفَ فيدخل آذانهم فيهلكهم الله به فذلك

---

(١) البيت ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٧٤/أ). ولم أقف على قائله.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/أ)، وأخرج الترمذي مثله من طريق أبي هريرة مرفوعاً (٣٠٣/٨) برقم (٣١٥١).

قال ابن كثير رحمه الله (١٩٤/٥): اسناده جيد قوى، ولكن في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه ... ثم قال: ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب ، فإنه كثيراً ما كان يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه. والله أعلم.

قوله ﴿فإذا جآء وعد ربى﴾ لخروجهم [...][1] ﴿حقاً﴾ صدقاً كائناً.

﴿وتركنا بعضهم يومئـذٍ﴾ يوم الخروج ﴿يموج﴾ يجول ﴿فى بعض﴾ ﴿ونفخ فى الصور﴾ يعني نفخ الصور عقب خروج يأجوج ومأجوج وهذا يدل على أنهم أقرب الآيات من قيام الساعة ﴿فجمعنٰهم جمعاً﴾ في صعيد واحدٍ يعني جميع الخلائق.

﴿وعرضنا جهنم يومئذٍ﴾ يوم القيامة. ﴿للكٰفرين﴾ قبل دخولهم ﴿عرضاً﴾ فلا محيص لهم عنها.

﴿الذين كانت أعينهم فى غطآءٍ﴾ / في عماءٍ وغشاوةٍ ﴿عن ذكرى﴾ عن توحيدي. نظيره: ﴿لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطآءك﴾[2]. ٣٢٧/أ

﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ الاستماع إلى قراءة القرآن من بغض محمدٍ ولأنهم عزلوا عن الإستماع. نظيره: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾[3]. ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أوليآء﴾. قال ابن عباس: في احدى رواياته: يعني الشيطان جعلوه شريكا لله[4]. وعنه في رواية أخرى: يعني الملائكة جعلوها بنات الله[5] واتخذوها أولياء في الشفاعة.

قال مقاتل: يعني الأصنام سمّاها عباداً[6] كما قال في موضع آخر.

---

(١) سقط من الأصل من قوله تعالى: ﴿جعله دكآء وكان وعد ربى﴾.
(٢) سورة ق آية ٢٢.
(٣) سورة الشعراء آية ٢١٢.
(٤) أخرجه البغوي (١٨٥/٣)، والواحدي في الوسيط (١٦٩/٣)، وانظر: البحر المحيط (١٦٦/٦)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب)، والبغوي (١٨٥/٣)، دون نسبة.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٦٠٤/٢)، والبغوي (١٨٥/٣)، والواحدي في الوسيط (١٦٩/٣).

﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾[١] يعني أرباباً.
قال علي بن أبي طالب: ﴿ أفحسب الذين كفروا﴾ أي كفاهم.

﴿ أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء﴾ يعني أرباباً[٢]. ﴿ إنآ أعتدنا﴾ خلقنا وهيأنا . ﴿ جهنم للكٰفرين نزلاً﴾ .

قال الضحاك: منزلاً[٣]. والنزل: ما ينزل عليه الانسان من موضع ورزقٍ وغيرهما.

وفي الآية رد على من أنكر خلق الجنة والنار، لأن قوله: ﴿إنآ أعتدنا﴾ خبّر والخبر لا ينسخ.

قال الحسين بن الفضل: من أعد لك شيئاً ولم يكن المعد كما أعد صار المعد في ذلك كذاباً[٤].

وأصل قوله: ﴿ إنآ أعتدنا﴾ من العتاد وهو القوت والزاد.
قال الفراء: اعتدنا التاء مبدلة من الدال، وسواء قلت: أعددنا وأعتدنا، وهذا لقرب المخرج[٥].

﴿ قل﴾ يا محمد ﴿ هل ننبئكم﴾ هل نخبركم ﴿ بالأخسرين أعمالاً﴾ قال ابن عباس: يعني اليهود والنصارى[٦]. نظيره: ﴿ عاملة ناصبة تصلى

(١) سورة الأعراف آية ١٩٤.
(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/١٨٥)، والواحدي في الوسيط (٣/١٦٩) دون عزو.
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب)، والبغوي (٣/١٨٥) دون عزو.
(٤) ذكره ابن حبيب (ق/١٧٤/ب).
(٥) انظر المصدر السابق.
(٦) أخرجه البغوي (٣/١٨٥)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب).

ناراً حامية﴾[1].

قال الضحاك ومقاتل ومجاهد وقتادة: هم أصحاب الصوامع[2].

وسأل عبدالله بن الكوّاء علي بن أبي طالب وهو على المنبر عن هذه الآية: فقال: من هم؟ قال: أهل حروراء[3] يعني الخوارج الذين قاتلوا أصحابه وحروراء قرية بالعراق.

قال عطاء بن السائب[4]: هم أصحاب العلايا والديور[5]: يعني مواضع النصارى ومعابدهم ثم وصفهم قال: **﴿ الذين ضل سعيهم﴾** أي بطل عملهم **﴿في الحياة الدنيا﴾ ﴿ وهم يحسبون﴾** يظنون **﴿ أنهم يحسنون صنعا﴾** يعملون عملاً صالحاً.

وروي عن أبي سعيد الخدرى أنه قال: يأتى أناس بأعمال يوم القيامة هي في العظم كجبال تهامة، فاذا وزنوها لم تزن شيئاً[6].

﴿ أولئك الذين كفروا بئايت ربهم ولقائه﴾ بمحمد والقرآن والبعث بعد

---

(١) سورة الغاشية آية ٣، ٤.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب)، وذكره البغوي (١٨٥/٣).

(٣) أخرجه البغوي (١٨٥/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب)، وابن كثير (١٩٧/٥) وقال: «ومعنى هذا عن علي رضي الله عنه: أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لأنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء، بل هي أعم من هذا؛ فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى، وقبل وجود الخوارج بالكلية ؛ وإنما هي عامة في كل من عبدالله على غير طريقة مرضية بحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول ، وهو مخطئ وعمله مردود».

(٤) هو: عطاء بن السائب بن مالك الثقفي أبو السائب الكوفي صدوق اختلط، مات سنة ١٣٦هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٢٠٣/٧)، والتقريب (٢٢/٢).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب).

(٦) أخرجه البغوي (١٨٦/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب).

الموت ﴿ فحبطت أعمــلهم﴾ بطلت حسناتهم.

﴿ فلا نقيم لهم﴾ لأعمالهم ﴿ يوم القيــمة وزناً﴾ ميزاناً.

وقيل: فلا يزن لهم يوم القيامة من أعمالهم وزن ذرةٍ.

﴿ ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا﴾ بمحمدٍ والقرآن.

﴿واتخذوا ءايـتى ﴾ كتابى ﴿ ورسلى﴾ محمداً[١] ﴿ هزواً﴾ سخرية واستهزاءً بهم.

﴿ إن الذين ءامنوا ﴾ بمحمد والقرآن ﴿ وعملوا الصــلحــت﴾ فيما بينهم وبين ربهم، ﴿ كانت لهم جنــت الفردوس نزلاً﴾ منزلاً.

قال الضحاك: الفردوس: بلسان الرومية.

الجنة: الملتفة بالأشجار[٢]، وقال عكرمة: الفردوس: سرة الجنان[٣] وهي أقرب الجنان من العرش ﴿ نزلاً﴾ يعني رزقاً[٤]. ﴿ خــلدين فيها﴾ مقيمين دائمين لا يبرحون عنها. ﴿ لا يبغون عنها حولاً ﴾ يعني لا يطلبون تحولاً منها إلى غيرها.

قوله: ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمــت ربى﴾ /. ٣٢٧/ب

قال ابن عباس: قــال جــدى[٥] بن أخطب للنبي ﷺ : إن فــى كـتابكم ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[٦] وفــيه ﴿ ومــن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً

---

(١) المعنى محمد ﷺ وغيره من الرسل ، لأن من استهزأ برسول واحد فهو مستهزئ بجميع الرسل.

(٢) أخرجه البغوي (١٨٦/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب)، وأخرج البغوي عنه أن الفردوس: الجنة بلسان الحبش (١٨٦/٣).

(٤) قال ابن كثير (١٩٩/٥): (نزلاً) أي: ضيافة، فإن النزل هو الضيافة.

(٥) كذا في الأصل، وعند ابن حبيب: حيي بن أخطب (ق:١٧٤/ب).

(٦) سورة الإسراء آية ٨٥.

كثــيراً﴾(١) فكيف يكون هذا؟

فـأنزل الله: هذه(٢) الآيـة ﴿ **قل** ﴾ يا مـحمـد لليهـود ﴿ **لو كـان البـحر مـداداً لكلمـٰت ربى**﴾ .

قال مقاتل بن حيان ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمـٰت ربى**﴾ والأشجار أقلاماً والخلق كُتَّاباً لنفد البـحر وتكسرت الأقلام [وفنى](٣) الكتاب ولـم تفـنى كلمات ربي نظيره: ﴿ **ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلـٰم والبحر يمده من بعـده سبعة أبحر ما نفدت كلمــت الله إن الله عزيز حكيم** ﴾(٤) .

قال الـضحاك:﴿ **لنفد البحر قبل أن تنفد كلمـٰت ربى**﴾ علم ربي(٥).

قال عكرمـة: لنفد البـحر قـبل أن ينفذ ثواب من تكلم بكلمـات ربي، يعني من قـال: لا إله إلا الله(٦) نظيره ﴿ **وجـعل كلمة الذين كـفروا الـسفلى وكلمـة الله هى العليا**﴾(٧) يعني قـول العبـد لا إله إلا الله، ﴿ **ولو جئنا بمـثله مدداً**﴾ زيادة وعـوناً بمثل البحر وفي مصحف [أبي](٨) ﴿ **ولو جئنا بمثله مداداً**﴾ والهاء كناية عن البحر.

قوله: ﴿ **قل إنمآ أنا بشـر مـثلـكم يوحى إلى**﴾ وذلك أن كـفار مكة جـاءوا إلى النبي ﷺ وقالوا: يا محـمد اجعل لنا الصفا ذهبـاً [وفجر](٩) لنا الأنهار خلالهـا تفجيراً

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩.
(٢) أخرجه البغوي (١٨٦/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب).
(٣) مطموسة في الأصل، تم استدراكها من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٤/ب).
(٤) سورة لقمان آية ٢٧.
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب٩).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٤/ب).
(٧) سورة التوبة آية ٤٠.
(٨) في الأصل مطموسة ، تم استدراكها من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٤/ب).
(٩) في الأصل مطموسة.

وسير لنا جبال مكة لأنا في ضيقٍ من الجبال واجعل لنا البيوت زخرفاً حتى نؤمن بك. فقال النبيﷺ : «لا أطيق ذلك» فأنزل الله ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إنمآ أنا بشر مثلكم**﴾.

قال ابن عباس: علم الله رسوله في هذه الآية لئلا يتكبر على خلقه.

﴿ **يوحىٰ إليّ أنمآ إلـٰهكم إلـٰه واحد** ﴾ لا شريك له ولا ولد له ﴿ **فمن كان يرجوا لقآء ربه**﴾ يتضمن معنيين الخوف والطمع فمن كان يخاف ومن كان يطمع لأن الرجاء فعل يكون بمعنى الخوف ويكون بمعنى الأمل وقد جمعهما قول الشاعر في بيتٍ:

قال الشاعر: [١]

فلا كل ما ترجو من الخير كائن ... ولا كل ما ترجوا من الشر واقعٌ

فالأول[٢]: الطمع، والثاني: الخوف.

ومعنى الآية على الطمع :﴿**فمن كان يرجو**﴾ أي يأمل و (يطمع في)[٣] ﴿ **لقآء ربه**﴾ رؤية ربه

ومعنى الآية على الخوف: ﴿**فمن كان يرجوا**﴾ أي يخاف الالتقاء بربه [والمصير][٤] إليه ﴿ **فليعمل عملاً صلحاً**﴾ يعني خالصاً فيما بينه وبين ربه ﴿ **ولا يشرك** ﴾ يعني ولا يرائي[٥] ﴿ **بعبادة ربه أحداً**﴾ وقيل بطاعة ربه أحداً.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في الأصل مطموسة، تم استدراكها من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٥/أ)

(٣) في الأصل مطموسة ، تم استدراكها من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٥/أ).

(٤) في الأصل مطموسة، وتم استدراكها من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٥/أ).

(٥) مطموسة في الأصل، واستدركتها من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٥/أ).

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في جندب بن زهير [الغامدي][1] وذلك أنه قال للنبي ﷺ : إني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه ويرى سرني ذلك. فقال رسول الله ﷺ : «إن الله لا يقبل ما شورك فيه فأنزل الله»[2] ﴿ **فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صلحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾.

قال السدي: نزلت هذه الآية في رجلٍ قال للنبي ﷺ (أنا أعمل العمل من الطاعة فأحب أن يرى له). فقال النبي ﷺ : «إن الله لا يقبل إلا الطيب»[3]. فأنزل الله هذه الآية.

قال عبدالله بن المبارك: ﴿ **فليعمل / عملاً صلحاً** ﴾ يعني طيباً[4]. ﴿ **ولا يشرك** ﴾ يعني ولا يرآئي، سمى الرياء شركاً. ٣٢٨/أ

قال النبي ﷺ : «اياكم وشرك السرائر»[5] يعني العمل والرياء فسمي الرياء شركاً. لقوله ﷺ : [من صلى رياًء فقد اشرك ومن تصدق][6] رياءً فقد أشرك، ومن حج رياءً فقد أشرك»[7] وقوله لمعاذ بن جبل: ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير

---

(١) وجندب: هو ابن زهير بن الحارث بن كثير الأزدي الغامدي مختلف في صحبته قيل مات في صفين. انظر: أسد الغابة (٣٥٩/١). في الأصل: [العامري] ولعله تصحيف.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (٣٠٨)، وتفسير ابن حبيب (ق:١٧٥/أ)، وابن كثير (٢٠٠/٥، ٢٠١).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٥/أ)، والحديث له أصل في صحيح مسلم من طريق أبي هريرة يرفعه: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» دون ربطه بسبب نزول الآية.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٥/أ).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٩١/٢).

(٦) ما بين المعقوفتين مطموس من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٥/أ).

(٧) الحديث: أخرجه أحمد في مسنده (١٢٦/٤) عن شداد بن أوس رضي الله عنه يرفعه.
ولفظ رواية أحمد: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك» وانظر: تفسير ابن كثير (٢٠٢/٥).

الشـرك وكـبيـره» قـال: بلى قـال: قل «اللهـم إني أعـوذ بك أن أشـرك بك وأنا أعلم واستغفرك بما لا أعلم»[1]. والسورة كلـها مكية إلا آيتـين قوله: ﴿ **واصبـر نفسك مع الذين يدعون ربهم ...**﴾ إلى أخر الآيتين.

وقال النبي ﷺ: « من قرأها كل جمعة عصم من فتنة الدجال»[2].

* * *

(١) الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني من رواية معقل بن يسار قال: انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا بكر، للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل» ثم ذكر الحديث بتمامه، ونقله ابن كثير في تفسيره (٤/٣٤٤) ، ولم أقف على أنه ﷺ قال ذلك أيضاً لمعاذ بن جبل رضي الله عنه . إلا عند ابن حبيب في تفسيره (ق:١٧٥/أ).

(٢) ذكره بهذا اللفظ ابن حبيب (ق:١٧٥/أ)، وفي رواية مسلم (١/٥٥٥) برقم (٨٠٩): « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال».

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سورة مريم عليها السلام «مكية»

قال أخبرنا الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد الزنجري قال أخبرنا الأستاذ الزاهد المفسر أبو عبدالرحمن إسماعيل بن حمد الضرير النيسابوري رحمه الله، وهي ثمان وتسعون آية في العراقي وتسع وتسعون آية في المكي، وكلامها سبعمائة واثنتان وثمانون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وحرفان.

بسم الله الرحمن الرحيم بسم من هو مجيب اللهفى ومنقذ الهلكى ومنجي الغرقى.

قوله عزوجل: ﴿**كهيعص**﴾ قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: هذا ثناء أثنى الله تعالى على نفسه[1] فالكاف كافٍ لخلقه والهاء هادٍ لخلقه والياء من حكيم والعين من عالم بخلقه والصاد صادق في قوله.

قال مقاتل: هذا ثناء أثنى الله على نفسه الكاف أنه كاف لخليقته والهاء هاد لبريته[2]، والياء يد الله فوق أيديهم واليد قوة والعين عالم ببريته والصاد صادق في وعده.

وقال السدي: بلغني أنه من اسم الله الأعظم[3]، وقيل: أنه اسم للقرآن[4]. وقيل:

---

(١) أخرجه البغوي عن الكلبي (١٨٨/٣)، والواحدي في الوسيط (١٧٥/٣)، والسمرقندي في تفسيره (٣١٧/٢، ٣١٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٦٢٠/٢).

(٣) لم أقف على قول السدي، وأخرج الطبري مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره (٣٥/١٦)، والبغوي (١٨٨/٣).

(٤) أخرجه الطبري عن قتادة (٣٥/١٦)، والبغوي (١٨٨/٣).

قسم أقسم الله تعالى [به].[١]

قال سعيد بن جبير: الكاف من الكريم والهاء من الهادى والياء من اليمين والعين من العالي والصاد من الصمد[٢].

﴿ذكر رحمة ربك﴾ وفيه تقديم وتأخير أي هذا ذكر ربك ﴿عبده زكريا﴾ بالرحمة .

قال ابن عباس: هو زكريا بن ماتان من ولد هارون أخي موسى وكان سيد الأحبار[٣].

قال مقاتل: هو زكريا بن يوحيا[٤] وقرأ يحي بن يعمر ﴿أذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ على الأمر[٥].

﴿إذ نادى ربه﴾ خبر دعا ربه ﴿نداء خفياً﴾ دعاء في السر وإنما أخفى نداءه

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠٧/١) عن ابن عباس وعكرمه، وما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من رواية الطبري.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٥/أ) وأخرج البغوي مثله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مع وجود بعض الاختلاف في الألفاظ (١٨٨/٣).

الكلام في الحروف المقطعة في مطلع هذه السورة الكريمة كالكلام في غيرها من الحروف المقطعة في القرآن الكريم وقد اختلف العلماء في ذلك على أقوال كثيرة اسلمها التوقف وعدم الخوض في ذلك ما دام أنه لم يرد فيها شيء عن النبي ﷺ .

وهو المروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر وعمر وغيرهما. إلا أنه مما لا شك فيه أن لهذه الحروف حكمة وهي بيان إعجاز القرآن وقد مال ابن كثير رحمه الله إلى هذا القول في تفسيره (٥٩/١).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٩٥/أ).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٦٢٠/٢).

(٥) انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (٨٣).

من الناس لإلا يلام على طلب الولد بعد ما شاخ وكبر سنه وكان يومئذٍ ابن خمس وتسعين سنة.

قال في دعائه ﴿ رب ﴾ يا رب ﴿ إني وهن العظم مني﴾ أي ضعف بدني ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ هذا من فصيحات القرآن[1].

قال ابن عباس: أخذ الرأس بياضاً[2].

قال مقاتل بن حيان والضحاك وعطاء: ﴿ اشتعل الرأس شيبا﴾ أخذ الرأس شمطاً[3] وهو ما بين البياض والسواد وقرئ في الشواذ[4].

﴿ وهن العظم مني﴾ أي ضعف بدني ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ معناه لم أكن عندك بدعائي يارب خائبا، وقيل: ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ أي لم اشق بسؤالي إياك قيل: وما سألتك قط إلا وقد أجبت فلا تخيبني في دعائي إياك هذا.

﴿ وإني خفت الموالي﴾ يعني وإني خفت الورثة ﴿ من وراءى ﴾ أي يكون وارثي يرث حبوري ومكاني، وقرأ عبدالله بن عمر وأشهب العقيلي ﴿ وأني خفت الموالي﴾ بتشديد الفاء وكسر الفاء وسكون التاء ، أي قلت ورثتي من ورائي ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ وصارت / امرأتي وهي أخت[5] مريم بنت عمران بن ماتان ٢/ب

* (١) القرآن الكريم كله فصيح، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٥/ب).
(٣) نقله ابن حبيب (ق:١٧٥/ب) عن مجاهد وقتادة، ولم أقف عليه عن الضحاك ومقاتل بن حيان وعطاء.
(٤) لم أقف على من قرأ به.
(٥) كذا في الأصل، وعند ابن حبيب في تفسيره: أخت أم مريم، (ق:١٧٥/أ)، وهو الصحيح كما =

وكان يعقوب عم مريم، ويعقوب وعمران كانا أخوين وهما ابنا ماتان وكانت إمرأة زكريا من آل داود وكان زكريا من ولد هارون من أحبار بني إسرائيل ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من ءال يعقوب**﴾ وآل يعقوب أخوال يحيى ﴿ **واجعله رب رضياً**﴾ يعني صالحا فاستجاب الله لزكريا في الولد. فأتاه جبريل عليه السلام وهو يصلي في المحراب فقال: ﴿ **يزكريا إنا نبشرك بغلم اسمه يحى**﴾ بولد اسمه يحيى ﴿ **لم نجعل له من قبل سمياً**﴾ .

قال مجاهد: سمياً أي شبيهاً [1] معصوم ولم يكن معصوم قبله وهكذا في صفة الله تعالى.

﴿ **هل تعلم له سمياً**﴾[2] أي شبيها وعديلا، وقيل : ﴿ **لم نجعل له من قبل سمياً**﴾ أي لم يسم أحد باسمه يحيى قبله[3]، وقيل: إنما سمي بيحيى لأنه حيي به عقر أمه فإنها كانت عاقراً لم تلد.

وقال قتادة: وسمي يحيى لأنه أحيا طاعة الله[4] فلما بشر بالولد ﴿**قال**﴾: ﴿ **رب**

— ذكر الطبري من الخلاف في تفسيره (٦/٣٤٩ - ٣٥٢) وجزم في التاريخ للطبري: أن زكريا وعمران أبا مريم، كانا متزوجين بأختين، إحداهما عند زكريا، وهي أم يحي، والأخرى عند عمران، وهي أم مريم، فمات عمران وأم مريم حامل بمريم.
انظر: تاريخ الطبري (٢/١٣)، وانظر أيضاً تفسير ابن كثير (٢/٢٨).

(١) في تفسير مجاهد (٣٨٤): مثلاً. وفي تفسير ابن كثير (٥/٢٠٨): وقال مجاهد: ﴿**لم نجعل له من قبل سمياً**﴾ ، أي: شبيهاً والمعنى واحد.

(٢) سورة مريم آية ٦٥.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/٣٩) عن قتادة وابن جريج وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم واختارة الطبري رحمه الله.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٥/ب) بلفظ: سمي يحي لأن الله أحياه بالطاعة.

أنىٰ يكون لى غلٰم﴾ ﴾ أي من أين يكون لي غلام ولد بعد الكبر ﴿ **وكانت امرأتى عاقراً﴾** لا تلد وكان اسمها أبلشقع[1].

﴿**وقد بلغت من الكبر عتياً﴾** سناً[2] وفي مصحف أبيّ عسياً[3]، وكلاهما واحد ومعناه الكبر

﴿**قال﴾** له جبريل: ﴿ **كذٰلك﴾** أي هكذا كما قلت لك . ﴿ **قال ربك هو على هين﴾** أي سيكون لك غلام ﴿ **وقد خلقتك من قبل﴾** من قبل هذا الوقت ﴿ **ولم تك شيئاً﴾** كذلك عليّ يسير أن أجعل من الشيخ الكبير والعجوزة العاقرة ولداً لقوله: قال ﴿ **وقد بلغت من الكبر عتيا﴾** ﴿ **وامرأتى عاقراً﴾** تعجباً .

﴿ **قال﴾** زكريا يا ﴿**رب اجعل لى ءاية﴾** علامة إذا حبلت إمرأتى ﴿**قال﴾** جبريل ﴿**ءايتك﴾** علامتك ﴿ **ألا تكلم الناس ثلٰث ليال سوياً﴾** فسأل زكريا جبريل بعد مشافهة جبريل اجعل لي آية علامة للحبل، قال جبريل[4]: آيتك إذا جامعت امرأتك على ظهر فحملت انك تصبح لا تستطيع الكلام من غير خرس ولا مرض ﴿**ثلٰث ليالٍ سوياً﴾** وتكون عاجزاً عن مكالمة الناس ﴿ **سوياً﴾**. أي وأنت سوي صحيح الخلق والبدن ولا تخرس عن شكري وذكري فأخذ لسانه حين سأل الآية بعد مشافهة جبريل ولم يحبس لسانه عن ذكر الله.

وفي الآية مسائل تسأل عنها وهي ما الفائدة في خرس زكريا ثلاثة أيام عن

---

(١) كذا في الأصل، وجاء في بعض التفاسير أن اسمها : إيشاع، انظر: تفسير القرطبي (١١/٧٩).

(٢) في تفسير ابن حبيب (ق:١٧٥/ب): [عتياً]: يبوساً، وعند البغوي (٣/١٨٩): [عتياً] أي يبساً.

(٣) قال في البحر المحيط (٦/١٧٥): بضم العين والسين ، وفي معاني القرآن للفراء (٢/١٦٢)، ومختصر بن خالويه (٨٣) بكسر السين.

(٤) هكذا السياق كما جاء في الأصل والكلام فيه ركاكة واضطراب.

مكالمة الناس؟

والجواب عنها: إن ذلك تأديب [له][1] لتعجبه من كينونة الولد في كبره، وعقر امرأته وتنبيه له من الله تعالى ان من قدر على عقد لسانٍ بعد حلها فكذلك يقدر على إحياء [رحم][2] بعد موتها ويبوستها.

ومما يشبه هذا تعجب سارة من الولد حين بشرت به بقولها: ﴿ **ءألد وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً**﴾[3] قال كعب الأحبار: فقال جبريل لإبراهيم وسارة: انظرا إلى سقف البيت فنظرا فإذا جذوع يابسة قديمة قد أورقت وأثمرت فأراهما الله عزوجل أن من قدر على هذا أقدر على إعطاء الولد بعد الشيخوخة وكبر السن والعقم .

﴿**فخرج**﴾ زكريا ﴿**على قومه**﴾ بني إسرائيل ﴿**من المحراب**﴾ يعني من المسجد/ ﴿**فأوحى إليهم**﴾ فأشار إليهم ﴿ **أن سبحوا بكرةً وعشيا**﴾ أن صلوا بالغداة والعشي. ١/٣

قال ابن عباس: ﴿ **فأوحى إليهم**﴾ أي كتب لهم بيده على الأرض أن سبحوا بكرةً وعشياً[4] .

﴿ **يـٰيحيى**﴾ قال الله ليحي ﴿ **يـٰيحيى** ﴾ بعد ما بلغ وأدرك ﴿ **خذ الكتـٰب**﴾ يعني التوراة ﴿ **بقوة** ﴾ بجد ومواظبة عليه ﴿ **وءاتينـٰه الحكم صبياً**﴾ . قال ابن عباس: وأعطيناه الفقه والعلم[5] وهو ابن عشر سنين، قال قتادة: قيل ليحيى وهو ابن

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٥/ب).

(٢) في الأصل: [احيائكم] وهو خطأ تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٥/ب).

(٣) سورة هود آية ٧٢.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٥/ب)، وأخرجه عن مجاهد ابن جرير الطبري (١٦/٤٣)، والبغوي (٣/١٩٠)، وانظر: تفسير ابن كثير (٥/٢١٠).

(٥) عند ابن حبيب (ق:١٧٥/ب) يعني العلم بالتوراة . وأخرج البغوي (٣/١٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيرها بالنبوة.

أربع سنين تعال حتى نلعب، قـال لهم ما للعب خلقنا[1] فهذا معنى قوله: ﴿ **وءاتينـه الحكم صبيـاً، وحناناً من لدنا** ﴾ ورحمـة من عندنا ﴿ **وزكـوٰة** ﴾ أي نمـاءً وزيـادة، وقيل: جعلناه طاهراً من الذنوب[2]. ﴿ **وكان تقياً**﴾ أي مسلماً مخلصاً .

﴿ **وبرا بوٰلديه**﴾ مطيعـاً لهما ﴿ **ولم يكن جباراً**﴾ أي متكـبرا عن عبـادة الله، ﴿**عصيًا**﴾ عاصيا لوالديه ولا لربه.﴿ **وسلـٰم عليه**﴾ أي على يحـيى ﴿ **يوم ولـد** ﴾ يعني حين ولد ﴿ **ويوم يموت**﴾ حين يمـوت ﴿ **ويوم يبعث حياً**﴾ بعـد الموت في الآخرة.

قال عكرمـة: إن يحيى وعـيسى التقـيا يوماً وهمـا ابنا خالة وكـان اسم أم يحيى برة، وكان اسم أم عيسى مريم فقال عيسى ليحيى أنت أفضل مني، فقال يحيى لعيسى أنت أفضل مني، فقال عيسى بل أنت أفضل مني، قال يحيى لم؟ قال عيسى: لأن الله سلم عليك يعني اختارك فقال ﴿ **وسلـٰم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً**﴾ وأنا سلمـت على نفـسي ﴿ **والسلـٰم علـى يوم ولـدت ويوم أمـوت ويوم أبعث حياً**[3]﴾[4].

قوله عزوجل: ﴿ **واذكر**﴾ يا محمد ﴿ **فى الكتـٰب**﴾ في القرآن خبر ﴿ **مريم**﴾

---

(١) لم أقف على قول قتادة، وأخرج مثله ابن جرير الطبري (١٦/٤٢، ٤٣) عن عبدالله بن المبارك عن معمر وقال لم يذكره عن أحد في هذه الآية.
وانظر: تفسير ابن كثير (٥/٢١٠).

(٢) أخرج ابن جرير الطبري هذا المعني عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره (١٦/٤٤).

(٣) سورة مريم آية ٣٣.

(٤) أخـرجه الطبـري من طريق قتـادة عن الحسن (١٦/٤٥)، والسـمـرقندي في تفسـيره أيضـاً من هذا الطريق (٢/٣٢٠)، ولم أقف عليه عن عكرمة.

بنت عمران بن ماثان وقصتها ﴿إذ انتبذت﴾ قال ابن عباس: حين تنحت[1] قال [قتادة][2] : انفردت[3] ﴿من أهلها مكاناً شرقياً﴾ قال ابن عباس: يعني مكانا في الدار مما يلي الشرق[4] جلست فيه لأنه كان في الشتاء.

قال الشحاك: يعني مشرّقة في الدار[5]. قال الحسن: إنما اتخذت النصارى المشرق قبة لأن مريم انتبذت من أهلها مكانا شرقيا[6].

﴿فاتخذت من دونهم حجابا﴾. قال ابن عباس: ستراً[7] لكي تغتسل من الحيض.

قال عكرمة: إن مريم كانت تكون في المسجد ما دامت طاهراً[8] فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تتطهر من الحيض عرض لها جبريل في صورة غلام أمرد وضي الوجه جعد الشعر سوى الخلق فذلك قوله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾[9] ورسولنا جبريل ﴿فتمثل لها﴾ فتشبه لها ﴿بشراً سوياً﴾ يعني في صورة شاب فلما رأته مريم ﴿قالت إني أعوذ بالرحمـن منك إن كنت تقياً﴾ مطيعاً للرحمن.

وقيل: التقى اسم رجلٍ سوء فظنت أنه هو ذلك الرجل فمن ذلك تعوذت منه.

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/٤٥)، وقال بمثله البغوي (٣/١٩٠).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل استدرك من تفسير ابن حبيب .

(٣) أخرجه الطبري (١٦/٤٥)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/أ).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/أ).

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) انظر المصدر السابق.

(٧) أخرجه البغوي (١٩١/٣).

(٨) كذا في الأصل والطواب : طاهرة.

(٩) أخرجه البغوي (١٩١/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/أ).

قال علي بن أبي طالب ﴿ إن كنت تقياً﴾ أي ذو نهية وهو العقل[1] ﴿ قال ﴾ جبريل ﴿ إنما أنا رسول ربك لأهب لك﴾ . قال ابن عباس: رفع جبريل درعها فنفخ في جيبها فحملت حين يئست[2]..

وقال آخرون: نفخ جبريل من بعيد نفخا فوصلت الريح إلي جسدها فحملت[3] / فكلا الوجهين لا يبعدان عن الصواب لأنه جل ذكره قال في موضع ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾[4] وقال في موضع ﴿ فنفخنا فيها﴾[5] فحيث قال ﴿ فيه ﴾ يرجع إلى الجيب، وحيث قال: ﴿ فيها ﴾ يرجع إلى الجسد فذلك قوله: ﴿ قال ﴾ جبريل ﴿ إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلماً زكياً﴾ ولداً طاهراً، ﴿قالت﴾ مريم: ﴿ أني يكون لي غلم ﴾ من أين يكون لي ولد ﴿ ولم يمسسني بشرٌ ﴾ ولم يصبني آدمي حلالاً ﴿ولم أك بغياً ﴾ زانيا من الحرام. ٣/ب

وكان حقه أن يقول بغيةً وإنما حذفت الهاء لأنه مصروف عن جهتة وكل ما كان مصروفا فإن العرب تبخس حقه من الإعراب[6].

ومعنِى الصرف: أن قوله بغيا صرف من باغية والبغاء بكسر الباء هو الزنا بيانه ﴿ ولا تكرهوا فتيتكم على البغاء﴾[7] على الزنا، تقول العرب: بغيت الشيء أبغيه

---

(١) لم أقف عليه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفي تفسير ابن حبيب (ق:١٧٦/أ): قال أبو وائل بدل علي. وكذا عند ابن كثير (٥/٢١٤)، وهو الموافق لما في صحيح البخاري (٥/٢٣٦)، وعند ابن جرير الطبري (١٦/٤٧) قال ابن زيد بدل أبي وائل.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/أ).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٦/أ)، والبغوي (٣/١٩٢).

(٤) سورة التحريم آية ١٢.

(٥) سورة الأنبياء آية ٩١.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/أ) بلفظ: فإن العرب تبخس حظه من الاعراب والمعنى واحد.

(٧) سورة النور آية ٣٣.

بغاءً إذا طالبته[١] وكذلك بغية، وبغيت على الرجل بغياً إذا ظلمته وبغت المرأة تبغي بغيا إذا زنت.

﴿قال﴾ لها جبريل ﴿ كذلك﴾ كما قلت ﴿ قال ربك هو على هين﴾ إنشاء الولد من غير أب كإنشائه من الأب والأم ﴿ ولنجعله ﴾ يعني عيسى ﴿ ءاية للناس ﴾ علامة للناس يذكر إلى يوم القيامة ﴿ ورحمة منا﴾ لمن آمن به.

﴿وكان أمراً مقضياً﴾ مقدراً مسطوراً في اللوح المحفوظ.

قال ابن عباس: وكان لمريم قرابة يقال لها يوسف النجار وكان من اتقياء بني اسرائيل فخبرٌ بولادة مريم فحملها خوفاً من الملك عليها، ثم سألها في الطريق عن الولد فقالت مريم رزق رزقنيه الله فكان لا يصدقها، وقال لها هل رأيت زرعا يكون من غير بذر؟ وهل رأيت شجرا من غير غرس؟ قالت: نعم أول زرع خلق الله تعالى من غير بذر وأول شجر خلق الله تعالى من غير غرس، فكذلك قادر على أن يعطني ولد من غير أب، فلم يقبلها وأراد قتلها فأتاه جبريل فقال إياك وإياها فإن ولدها هذا روح القدس فرق لها ورحمها وأسكنها موضعاً بعيداً[٢].

فكذلك قوله تعالى: ﴿ فحملته﴾ يعني فحملت مريم بعيسى ﴿ فانتبذت به﴾ أي تباعدت به ﴿ مكاناً قصياً ﴾ بعيداً من الناس تقول العرب جلس مني نُبْذةً ونِبذةً أي تباعد مني.

---

(١) كذا في الأصل، وعند ابن حبيب (ق:١٧٦/أ): إذا طلبته ، وهو الأصوب.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/ب)، وروى ابن جرير الطبري (١٦/٤٩)، مثله عن منبه وهي من الإسرائيليات التي ادخلت إلى كتب التفسير وإذا كانت تتعلق بأخبار الامم السابقة فإنها يتوقف في الجزم في صحتها فلا تصدق ولا تكذب وهذا هو منهج أهل الحق فيها. وقد نقل هذا الخبر ابن كثير في تفسيره (٥/٢١٧).

والقصي :البعيد وكذلك القاصي قال عطاء وأبوالعالية والضحاك: كان بين حملهاووضعها تسعة أشهر. كغالب عادة النساء في زماننا[١]، وقال آخرون: لستة أشهر[٢] وأنكر أهل الحقائق هذا القول، وقالوا: إن الولد لستة أشهر لا ينمو ولا ينشأ.

قال عكرمة: سألت مولاي عبدالله بن عباس عن قوله: ﴿ **فحملته فانتبذت**﴾ قال: كما حملته انتبذت وكان بين الحبل والانتباذ ساعة[٣] لأن الله لم يذكر بينهما فصلا ولا مدة وهذا مذهب ابن كيسان والحسين بن الفضل وهو أقرب إلى الصواب[٤].

قال ابن عباس: ﴿ **فأجاءها المخاض**﴾ يعني جاءها الطلق[٥] وهو وجع الولادة/ ٤/أ ﴿**إلى جذع النخلة**﴾ إلى أصل النخلة وكانت نخلة على الصحراء يابسة ﴿ **قالت يـليتني مت قبل هـذا**﴾ هذه الولادة وقيل: ﴿ **مت قبل هذا**﴾ اليوم، وأنما تمنت الموت حياءاً من الناس ﴿ **وكنت نسياً منسياً** ﴾ قال ابن عباس: يعني تنسيئا متروكا.[٦]

قال مقاتل: يعني كالشيء الهالك[٧] قال الربيع بن أنس: يعني سقطاً[٨]، قال

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/أ).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/أ) وقال بمثله البغوي (٣/١٩٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/٥٠)، والبغوي (٣/١٩٢) . وذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/أ).

(٤) قال ابن كثير رحمه الله (٥/٢١٦): فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر ... ثم قال - فالمشهور الظاهر – والله على كل شيء قدير – أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن.

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/ب). وقال ابن كثير بمثله دون أن ينسبه لأحد (٥/٢١٧).

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/ب)، والواحدي في الوسيط (٣/١٨٠)، وأخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: لم أخلق ولم أك شيئاً (١٦/٥١)، وانظر: تفسير ابن كثير (٥/٢١٨).

(٧) انظر: تفسيره (٢/٦٢٤).

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/ب)، والسمرقندي (٢/٣٢١)، وابن كثير (٥/٢١٨).

الضحاك: حيضة ملقاة[١]، قال مجاهد: يعني شيئا لا يذكر ولا يعرف[٢].

وقال عطاء[٣] بن أبي مسلم: يعني لم أخلق[٤] وقرىء نسياً بفتح النون[٥] وكلاهما واحد وهو مثلالحِص والحَص وقال بعض أهل المعاني في قول مريم ﴿**يـليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً**﴾ قالت هذا علما منها بأن ولدها يسمى رباً لا إنكاراً لصنيع الله تعالى.

﴿**فنادىها من تحتهآ**﴾ من قرأ من تحتها بفتح الميم فالمنادي يكون عيسى ومن قرأ ﴿**من تحتهآ**﴾ بكسر الميم[٦] فالمنادي يكون جبريل في قول ابن عباس[٧]. وقال مجاهد: هو ملك[٨]. ﴿**ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً**﴾ سئل النبي ﷺ عن السري فقال هو الجدول[٩]. يعني النهر الصغير وكذلك

(١) أخرجه البغوي (١٩٢/٣)، بلفظ: جيفة ملقاة، والواحدي في الوسيط (١٨٠/٣) بلفظ: حيضة ملقاة.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/ب).

(٣) هو: عطاء بن أبي مسلم، أبو عثمان الخراساني، اسم ابيه ميسرة، وقيل: عبدالله، صدوق، يهم كثيراً، ويرسل ويدلس، مات سنة ١٣٥هـ. انظر: التقريب (٢٣/٢).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/ب).

(٥) قرأ بفتح النون حمزة وحفص، وقرأ بكسرها الباقون.
انظر: التذكرة لابن غلبون (٥٢٤/٢).

(٦) قرأ بفتح الميم ابن كثير وابن عامر وعاصم، وكسرها الباقون.
انظر: التذكرة لابن غلبون (٥٢٤/٢)، وتفسير البغوي (١٩٢/٧).
ونسب البغوي القول، بأن المنادي هو عيسى، إلى مجاهد والحسن.

(٧) أخرجه البغوي (١٩٢/٣)، وقال وهو قول، السدي، وقتادة، والضحاك، وجماعه.

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/ب).

(٩) لم أقف عليه عن مجاهد، وقال ابن كثير (٢١٩/٥): وقد ورد في ذلك حديث مرفوع، فقال الطبراني: حدثنا أبو شعيب الحزاني، حدثنا يحي بن عبدالله البابلي، حدثنا أيوب بن نهيك سمعت عكرمه مولى ابن عباس يقول: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن السري =

قال ابن عباس[1] والضحاك[2] ومقاتل[3].

وروي عن الحسن فيه قولا بديعاً حسنا. قال عوف: سئل الحسن عن قوله ﴿ قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ قال كان والله عبداً سرياً، يعني عيسى، والسري الرفيع[4]، والسرو الرفعه، وعامة المفسرين اتفقوا على أن السري النهر، وهو مشهور في كلام العرب.

قال ابن عباس: فضرب جبريل برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب وجرى[5]. وحييت النخلة بعد يبسها واخضرت وأورقت وأرطبت وأثمرت معجزه على مريم وقيل لمريم: ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة﴾ والباء صلة والمعنى حركي إليك جذع النخلة ، أصل النخلة.

﴿تساقط عليك رطباً جنياً﴾ يعني غضاً رطباً، قال الأسود[6] عن عائشة إن من السنة أن يمضغ التمر ويدلك به في فم المولود والأصل فيه قوله تعالى: ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة﴾ الآية.

= الذي قال الله لمريم ﴿قد جعل ربك تحتك سرياً ﴾ : نهر أخرجه الله لتشرب منه: وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه، وأيوب بن نهيك هذا هو الحبليّ قال فيه أبو حاتم الرازي: ضعيف ، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو الفتح الأزدي: متروك الحديث»أهـ.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٢١٨).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/٦٢٥).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/ب)، وابن كثير (٥/٢١٩)، وأخرجه أيضاً: البغوي (٣/١٩٣).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٦/ب)، والبغوي (٣/١٩٣).

(٦) هو: الأسود بن يزيد بن قيس النخعي. أبو عمرو ويقال أبو عبدالرحمن روى عن كبار الصحابه ثقة مات بالكوفة قبل سنة ٧٥، وقيل ٧٤هـ.
انظر : التهذيب لابن حجر (١/٣٤٣).

قالت أم رزين وكانت تخدم نساء رسول الله ﷺ [و][1] يمضغ [التمر][2] ويحنك به أولاد الأنصار[3] ﴿فكلي﴾ من التمر ﴿واشربي﴾ من الماء ﴿وقري عيناً﴾ طيبي نفساً ﴿فإما ترين من البشر أحداً﴾ إن سئلت عن الولد ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً﴾ يعني صمتاً وكذلك في مصحف عبدالله بن مسعود صمتاً[4] ﴿فلن أكلم اليوم إنسيا﴾، يعني أحداً من الناس، قال وهب ﴿فأتت﴾ اليهود ﴿به﴾ مريم حين أتت بعيسى ﴿قومها تحمله قالوا﴾ يعني اليهود ﴿يـمريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ يعني فظيعاً عظيماً[5] . وقيل: منكر.

﴿يأخت هـرون﴾ قال الكلبي ليس هذا هارون أخا موسى[6] فإن بين موسى وعيسى زيادة [على][7] الف سنة. وإنما هارون هذا رجل من أتقياء بني إسرائيل، وكان رجلا عفيفا فإن الأخت بمعنى الشبه لا بمعنى النسبة والعرب تسمي الشبيه أختا.

(١) كذا في الأصل، والصواب بدون [واو] كما في تفسير ابن حبيب (ق:١٧٦/ب).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٦/ب).

(٣) ذكر قول عائشة هذا ابن حبيب (ق:١٧٦/ب)، والأصل فيه ما رواه الامام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده (٣٤٧/٦) قال: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا أبو اسامه عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبدالله بن الزبير بمكة قالت فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ قالت ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود في الاسلام» أهـ.

(٤) انظر: البحر المحيط (١٨٥/٦)، وتفسير البغوي (١٩٣/٣).

(٥) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٦/ب).

(٦) عند البغوي (١٩٤/٣): قال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها، وكان أمثل رجل في بني اسرائيل. وانظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٦/ب).

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وهو في تفسير ابن حبيب (ق:١٧٦/ب).

٤/ب قال الله تعالى / : ﴿ وما نريهم من ءاية إلا هى أكبر من أختها ﴾[1] يعني تشبهها فشبهوها به. وقالوا: ﴿ يأخت هـرون ﴾ يا شبه هارون ﴿ ما كان أبـوك إمرأ سوء ﴾ رجل زان. ﴿ وما كانت أمك بغيا ﴾ يعني زانية فاجرة من حقـها أن يقول، بغية وقد ذكرنا قبل هذا فقال لهـا جبريل لا تنطقي وأشيري إلى ولدك ﴿ فأشارت إليه ﴾ يعني إلى عيسى.

﴿قالوا﴾ يعني اليهود ﴿ كيف نكلم من كان فى المهـد صبياً ﴾ حين قالت لهم اسألوه.

قال ابـن عباس: المهـد ههنا الحـجر[2]، وقـيل: المهد بعـينه[3]، قـال وهـب: فـأتاها زكريا[4] عند مناظرتها اليهود. فقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها[5].

﴿ قال ﴾ عيـسى ﴿ إنى عبدالله ﴾ أول ما تـكلم بالعبـودية لعلمه أنه يسـمى ربا وقال أهل المعاني : في قول مريم ﴿ يـليتنى مت قبل هذا ﴾ الآية إنما قالت هـذا علما منها بأن ولدها يسمى ربا، لاإنكاراً لصنيع الله تعالى .

وروي في الخبر أن النبي ﷺ قال: « خمسة تكلموا قبل آبان الكلام[6] - والإبان:

---

(١) سورة الزخرف آية ٤٨.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٧/أ).

(٣) ذكره البغوي (١٩٤/٣) دون أن ينسبه لأحد.

(٤) في الأصل جبريل زكريا ، والـذي في تفسيـر ابن حبيب (ق:١٧٧/أ) زكريا فـقط ، وهو الراجح ليستقيم المعنى.

(٥) أخرجه البغوي (١٩٣/٣).

(٦) ذكره ابن حبيب بهذا اللفظ (ق:١٧٧/أ)، وفي مـسند أحمد (٣١٠/١) من رواية ابن عباس رضي الله عنهـما برفـعه بلفظ: تكلم أربعـة صغـار . الحديث والحـاكم في مسـتدركـه (٤٩٦/٢) ، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص.

الوقت - عيسى بن مريم وشاهد يوسف. وقال مجاهد [كان في المهد][1] وولد ماشطة [بنت فرعون][2] وولد المرأة التي أحرقت في الأخدود، وصاحب جريج.

﴿ ءاتـٰنى الكتـٰب﴾ يعنى الإنجيل ﴿ وجعلنى نبياً وجعلنى مباركاً ﴾ يعني معلما مؤدياً للخير ﴿ أين ما كنت ﴾ حيثما كنت من الأرض ﴿ وأوصـٰنى ﴾ أي أمرني ربي ﴿بالصلوٰة والزكوٰة﴾ بإتمام الصلاة والزكاة والصدقة ﴿ ما دمت حياً﴾ ما حييت،

﴿وبرا بوٰلدتى﴾ لطيفاً لوالدتي ﴿ ولم يجعلنى جباراً﴾ متكبرا في دينى ﴿شقياً﴾ عاصياً لربي ﴿ والسلـٰم علىّ ﴾ والسلامة عليّ ﴿ يوم ولدت ﴾ حين ولدت من لمزة الشيطان يقال لمزه وغمزه إذا مسه.

﴿ ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ وحين أبعث من القبر حياً، إلى هنا كلام عيسى، ثم بعد هذه الآيات [الثلاث][3] كان بمنزلة غيره من الصبيان.

قال الله تعالى: ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ عيسى ابن مريم قول الحق الذى﴾ قول الصدق الذي ﴿ فيه يمترون﴾ يشكون في كونه من غير أبٍ، يعني النصارى قال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: هو ابن الله، وقال بعضهم: هو شريكه ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾.

قال ابن حبيب : هو موضع القسم في قول من جعل ﴿ كهيعص﴾ قسماً

= وفي رواية الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ...» الحديث، البخاري (٤/١٤٠) كتاب الانبياء، ومسلم (٤/١٩٧٦) رقم الحديث (٢٥٥٠).

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٧/أ). وما بين القوسين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٧٧/أ).

(٣) في الأصل الثلاثة، وهو خطأ تم تصويبه.

فيكون قوله: ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ جواباً للقسم[١] ، أي ما ينبغي لله أن يتخذ من ولدٍ[٢].

قال أهل المعاني: هذه اللام المنقولة ومجازه: ما كان الله ليتخذ من ولد كقوله[٣]: ﴿وما كان لنبي أن يغل ﴾[٤] معناه وما كان لنبي ليغل ثم نزه نفسه سبحانه تنزيها له ﴿إذا قضى أمراً﴾ إذا أراد أن يخلق ولداً بغير أبٍ ﴿ فإنما يقول له كن فيكون﴾ أي فكان لا يحتاج إلى مدةٍ ووقتٍ ﴿ وإن الله ربى وربكم﴾ هذا قول عيسى لقومه فى الكبر ﴿ فاعبدوه﴾ فوحدوه ﴿ هـذا صرطٌ مستقيمٌ ﴾ يعني بالصراط قول ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ إلى قوله: ﴿ كن فيكون﴾[٥].

٥/أ ﴿ فاختلف الأحزاب/ من بينهم ﴾ يعني فيما بينهم فرق النصارى النسطورية[٦]، والملكانية[٧] واليعقوبية[٨]. قال بعضهم: هو الله وقال بعضهم هو ابن الله ، وقال

---

(١) هذه الآية جوابٌ لمن قال: إن عيسى ابن الله أو أنه شريكه أو أنه ثالث ثلاثة، وليس جواباً للقسم المفهوم من قوله ﴿ كهيعص﴾ كما زعم ابن حبيب.

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٧/أ).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) سورة آل عمران آية ١٦١.

(٥) قال ابن كثير رحمه الله (٥/٢٢٥) في معنى الآية: «أي هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم، أي قويم، من اتبعه رشد وهدى ، ومن خالفه ضل وغوى».

(٦) النسطورية: هي إحدى فرق النصارى ، قال الشهرستاني في الملل (١/٢٢٤): النسطورية هم اتباع نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه.

(٧) الملكانية: ذكرها الشهرستاني في الملل (١/٢٢٢) : أول فرق النصارى وقال هم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية. ثم ذكر اعتقادهم.

(٨) اليعقوبية: من فرق النصارى وهم اصحاب يعقوب قالوا بالأقانيم الثلاثة، ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم وسموها الأب والابن والروح القدس. انظر: الملل (١/٢٢٥).

بعضهم: هو شريكه ﴿ فويل﴾ فالويل وادٍ في جهنم من قيح ودم[1].

﴿ فويلٌ ﴾ فشدة العذاب ﴿ للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ من عذاب يوم القيامة ﴿ أسمع بهم وأبصر﴾ قال الكلبي: لا أجد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى[2] ﴿ ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلـٰهين﴾[3] وقال أهل المعاني ﴿ أسمع بهم وأبصر﴾ على طريق التعجب أي ما أسمعهم وأبصرهم[4] ﴿ يوم يأتوننا﴾ وهو يوم القيامة أن عيسى لم يكن الله ولا ولدٌ له ولا شريكٌ له.

قال الله تعالى: ﴿ لـكن الظـٰلمون﴾ المشركون ﴿ اليوم ﴾ في الدنيا ﴿ فى ضلـٰل مبين﴾ خطأ بيّن وكفر بيّنٍ لقولهم إن عيسى هو الله وابن الله وشريكه.

قوله عز وجل: ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ وخوفهم يا محمد أهل مكة ﴿ يوم الحسرة ﴾ من يوم الحسرة والندامة ﴿ إذ قضى الأمر﴾ أي فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، سئل النبي ﷺ [من][5] هذه الآية.

﴿إذ قضي الأمر﴾ يقول حين يذبح الكبش والفريقان ينظر[7].

---

(١) قوله: ويل واد في جهنم، ورد في حديث ضعيف، والصواب أن الويل كلمة وعيد.
انظر: تفسير ابن كثير (٢٢٦/٥)، والوسيط (١٨٤/٣).
(٢) انظر قول الكلبي هذا في: تفسير البغوي (١٩٦/٣).
(٣) سورة المائدة آية ١١٦.
(٤) انظر : تفسير ابن حبيب (ق:١٧٧/أ).
(٥) هكذا في الأصل، والصواب: [عن] كما هو في تفسير ابن حبيب (ق:١٧٧/أ).
(٦) كذا في الأصل، ولعل الصواب (عن).
(٧) أخرج البخاري في صحيحه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ــ

قال ابن عباس: يقول خوفهم يوم الندامة ﴿ إذ قضى الأمر﴾[1] يقول نوع من العذاب.

قال مقاتل: إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جئ بالموت في صورة كبشٍ أملح والأملح الذى ينظر في سوادٍ ويمشي في سوادٍ ويرعى في سوادٍ وهو الذي يكون عيناه ورأسه ورجلاه ويداه سوداً وهو السنة في الأضاحي[2] فيوقف بين الجنة والنار فيذبحه جبريل عليه السلام ثم ينادي مناد يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت ويا أهل النار خلودٌ فلا موتٌ، ففرح بذلك أهل الجنة لأنهم خافوا قبل ذلك من الموت، وحزن أهل النار بذلك لأنهم رجوا الموت قبل ذلك فيستريحوا.

قال مقاتل: لولا ما قضى الله من تخليد أهل النار وتعميرهم فيها لماتوا حسرةً حين رأوا ذلك[3].

ذلك قوله تعالى: ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلةٍ وهم لا يؤمنون﴾ بمحمد والقرآن والبعث بعد الموت.

قال الله تعالى: ﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ أي نملك الأرض حين نقبض أرواح أهلها ﴿ ومن عليها ﴾ [و][4] نهلك من عليها من الخلق فنميتهم

فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة﴾ .

صحيح البخاري (٥/٢٣٦، ٢٣٧).

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٧/أ).

(٢) يشير إلى الحديث الثابت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.
انظر: صحيح مسلم (٣/١٥٥٧) رقم (١٩٦٧).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٦٢٨، ٦٢٩).

(٤) في الأصل: [من] ولا معنى لها والصواب ما اثبته ، لأن المعنى لا يستقيم إلا به.

ونحييهم ﴿ وإلينا يرجعون﴾ في الميعاد فنجزيهم بأعمالهم.

قوله عزوجل: ﴿ واذكر﴾ يا محمد ﴿ فى الكتـٰب ﴾ في القرآن ﴿ إبرٰهيم﴾ خبر إبرٰهيم ﴿ إنه كان صدّيقاً نبياً﴾ يعني كثير الصدق، نبياً، والصديق: أكثر ما يقوله[١] فهو صادق ﴿ إذ قال لأبيه﴾ تارخ بن ناحور ﴿ يـٰأبت﴾ وكان آزر اسم لقب ﴿ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ يعني الأصنام ﴿ ولا يغنى عنك ﴾ يعني لا ينفعك ﴿ شيئاً﴾ .

﴿ يـٰأبت إنى قد جآءنى من العلم ﴾ من البيان ﴿ ما لم يأتك ﴾ ما لم يجيء إليك أن من عبد غير الله يعذبه بالنار ﴿ فاتبعنى﴾ في دين الله ﴿ أهدك صرٰطاً سوياً﴾ يعني دين الاسلام.

﴿ يـٰأبت لا تعبد الشيطـٰن إن الشيطـٰن كان للرحمٰن عصياً﴾ عاصيا ./ ٥/ب

﴿ يـٰأبت إنى أخاف أن يمسك﴾ أن يصيبك ﴿ عذابٌ من الرحمٰن فتكون للشيطـٰن ولياً﴾ قريناً فى النار .

وقيل: فتكون للشيطان عوناً[٢].

فأجابه أبوه وقال له: ﴿ أراغبٌ أنت عن ءالهتى ﴾ يعني أزاهدٌ أنت في عبادة

---

(١) هكذا في الأصل، والعبارة قلقة، ولعل فيه شيء سقط من كلام المؤلف، والكلام يمكن أن يستقيم بقوله: والصديق الذي أكثر ما يقوله صدق.
ومن ناحية المعنى: فالصواب أن الصديق: هو الذي لا يقع منه الكذب عمداً.
قال الراغب: الصديق: من كثر منه الصدق. وقيل: بل يقال لمن لا يكذب قط، وقيل: بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق، وقيل: بل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله. انظر مادة: (صدق).

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٧/ب).

آلهتي يعني أتاركٌ، تقول العرب: رغبت في الشيء ورغبت عن الشيء فمعنى رغبت فيه حرصت عليه ومعنى رغبت عنه زهدت فيه وكذلك زهدت عنه وزهدت فيه ﴿يإبراهيم لئن لم تنته﴾ عن مقالتك ﴿ لأرجمنك﴾ . قال ابن عباس: يعني لأضربنك[1]. وقال الضحاك: لأشتمنك[2]. ﴿واهجرنى مليا﴾ .

قال ابن عباس: اجتنبنى دهراً[3]، وقال الضحاك ﴿ واهجرنى ملياً﴾ تباعد عني ولا تكلمني[4]، قال مجاهد: ﴿مليا﴾ حيناً[5]، وروى معمر عن الحسن قال: زماناً طويلاً[6]. قال قتادة وعطاء ﴿ ملياً﴾ سالماً[7] لا يصيبك مني معرةٌ.

قال له إبراهيم: ﴿ سلـٰمٌ عليك﴾ أي سلمت مني لا أصيبك بمكروه ﴿سأستغفر لك ربى﴾ قال الحسين بن الفضل: بمعنى على شريطة الإسلام[8] ﴿إنه﴾ إن الله ﴿كان بى حفياً﴾.

قال ابن عباس: يعني[9] باراً. قال الأخفش: يعني لطيفا[10] ﴿ وأعتزلكم﴾

---

(١) أخرجه البغوي (٣/١٩٧)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٧/ب).
(٢) أخرجه البغوي (٣/١٩٧) وذكره ابن حبيب (ق:١٧٧/ب)
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب)، وأخرج البغوي مثله عن سعيد بن جبير (٣/١٩٧).
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب)، وأخرجه البغوي (٣/١٩٧).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب)، وابن كثير (٥/٢٣٠).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب)، وأخرجه البغوي (٣/١٩٧).
(٨) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٩/ب).
(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٧/ب) وقال به البغوي دون عزوه لأحد (٣/١٩٨).
(١٠) لم أقف عليه عند الأخفش في معاني القرآن، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٧/ب).

وأترككم ﴿ **وما تدعون**﴾ تعبدون ﴿ **من دون الله**﴾ يعني الأصنام ﴿ **وأدعوا ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقياً**﴾ يعني عسى أن يجيبني إلى ما أسأله له ﴿ **فلما أعتزلهم**﴾ تركهم ﴿ **وما يعبدون من دون الله** ﴾ من الأوثان ﴿ **وهبنا له إسحق ويعقوب**﴾ يعني وهبنا لإسحاق يعقوب ﴿ **وكلاً**﴾ وكلاهما ﴿ **جعلنا نبياً**﴾ ﴿ **ووهبنا لهم**﴾ لإبراهيم ﴿ **من رحمتنا**﴾ من نعمتنا[١]، ولداً صالحا، ومالا حلالاً ﴿ **وجعلنا لهم لسان صدقٍ علياً**﴾ يعني ثناءًا حسناً إلى يوم القيامه.

قوله عزوجل: ﴿**واذكر**﴾ يا محمد ﴿ **فى الكتب** ﴾ في القرآن ﴿ **موسى**﴾ ابن عمران ﴿ **إنه كان مخلصاً** ﴾ قال أبو بكر بن عبدش ﴿**إنه كان مخلصاً**﴾موحداً[٢] من قرأ بكسر اللام ومن قرأ بفتح اللام[٣] ﴿**مخلصاً**﴾ فمعناه مختاراً معصوماً، ومن قرأ بالكسر ﴿ **إنه كان مخلصاً**﴾ بالعبادة والتوحيد غير مرائي ومن قرأ ﴿**مخلصاً**﴾ أي أخلصناه لنا يعني إخترناه لنا. نظيره: ﴿**واصطنعتك لنفسى**﴾[٤] أي واصطفيتك لي ﴿**وكان رسولاً نبياً وندينه**﴾ حين كلمناه ليلة الجمعة ﴿**من جانب الطور الأيمن**﴾ يعني من يمين موسى والطور جبلٌ بين مصر ومدين ﴿ **وقربنه نجياً**﴾ قال ابن عباس: رفعناه من سماءٍ إلى سماءٍ ومن حجابٍ إلى حجابٍ وحتى سمع صرير القلم[٥] ولم يكن بينه وبين الله إلا حجابٌ واحدٌ فذلك قوله تعالى: ﴿ **وقربنه نجياً**﴾ أي قربناه.

---

(١) تفسير الرحمة بالنعمة تأويل للنص عن ظاهره وهو مذهب الأشاعرة. والرحمة صفة للخالق تليق به ولايجوز تأويل الصفات عن ظاهرها وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) قرأ الكوفيون عدا المفضل بفتح اللام، وكسرها الباقون.
انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٢٦).

(٤) سورة طه آية ٤١.

(٥) الصواب : أن المناجاة لموسى عليه السلام تمت وموسى في الأرض فهو قريب من الله تعالى نجياً له، والله علي عرشه فوق سبع سموات، ولا يجوز مخالفة ذلك بالأراء والاقوال الباطلة التي فيها —

﴿ ووهبنا له﴾ لموسى ﴿ من رحمتنا أخاه هــرون﴾ لأبيه وأمه ﴿ نبياً﴾.

قوله عزوجل: ﴿ واذكر﴾ يا محمد ﴿ فى الكتــب﴾ فى القرآن ﴿ إسمــعيل إنه كان صادق الوعد﴾ حين قال لأبيه ﴿ ستجدنى إن شاء الله من الصــبرين ﴾ فى وقت الذبيحة وفيه دليلٌ على أن الذبيح إسماعيل، لأن الله تعالى وصفه بصدق الوعد فنظرنا في قوله لأبيه ﴿ ستجدنى إن شاء الله من الصــبرين﴾ وعداً وعد من نفسه، ولم نجد لإسحاق وعداً ، فعلمنا أن الوعد الذى أشار إليه الله هو ﴿ ستجدنى إن شاء الله من الصــبرين﴾. /فدل على أن الذبيح إسماعيل دون إسحاق . ٦/أ

وقال بعضـهم: وذلك أن إسماعيل صحب رجـلاً خياطا حتى مروا بقـريةٍ فقال الخيـاط اجلس على باب هذه القرية حتى أدخل هذه القرية وأرجع إليك، فـقال نعم، وجلس على باب القرية فلما دخل الرجل القرية اشتغل بصنعتـه مكث في القرية سنةً فلما خرج من القرية بعد مضي سنةً فرآه جالساً في موضعه يتخذ من الحشيش فقال له من أنت ؟ قال أنا إسماعيل الذى وعدتك بالجلوس حتى تخرج.

وفي بعض الروايات قـيل: إن الله تعالى بعث جبريل إليـه قم فاذهب فـإن ذلك الرجل مكث ولم يخـرج[1] فحـينئذ قـام وخرج فوفى بعـهده فـحينئذ أثنى الـله عليه بصدق الوعـد وقال: ﴿ إنه كـان صادق الوعد وكـان رسـولاً﴾ مرسلاً إلـى قومه ﴿نبياً﴾ يعني إسماعيل

— تحريف لكلام الله عـزوجل، وهذا المعنى الصحـيح يفهم من كلام ابن عـباس رضي الله عنهـما عند كثير من المفسرين .
انظر: تفسير الطبري (٧١/١٦)، والبغوي (١٩٨/٣، ١٩٩)، والواحدي في الوسيط (١٨٦/٣)، والسمرقندي (٣٢٦/٢)، وابن كثير (٢٣٢/٥).

(١) هذه القصة من الإسـرائيليات التي يحكم عليها بالبطلان لما تتضـمنه من النكارة والغرابة، ولا يجوز أن تكون تفسيراً لكلام الله عزوجل.

﴿وكـان يأمـر أهله﴾ قـومـه ﴿ بالصلـوة﴾ بإتمام الـصـلاة ﴿ والزكـوة ﴾ وإعطاء الزكاة والصدقة ﴿ وكان عند ربه مرضياً﴾ صالحا.

قوله عزوجل: ﴿ واذكر ﴾ يا محمد ﴿ فى الكتـب﴾ في القرآن ﴿ إدريس﴾ خبـر إدريس وهـو جـد أبي نوح[1] وسـمي إدريس لكثـرة مـا درس الكتب واسـمـه إخنوخ[2].

﴿ إنه كان صدّيقاً نبياً﴾ مصدقا بإيمانه ﴿ نبياً﴾ يخبر عن الله ﴿ ورفعنـه مكاناً علياً﴾ .

قال وهب: كـان يرفع لإدريس كل يوم مـا يفي بعمل أهل الأرض فـاشتـاق إليه ملك الموت فإستأذن ربه في زيارته ، فـأذن له، فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس صائما، يصوم الدهر كله، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى ملك الموت أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليالٍ فأنكره إدريس فقال في الليلة الثالثة: إنى أريد أن أعلم من أنت؟ قال أنا ملك الموت إستأذنت ربي أن أصـحبك فأذن لي، فقال إدريس : فلي إليك حاجةٌ ، قـال ملك الموت وما هي؟ قال: تقبض روحي فـأوحى الله إليه أن اقبض روحه وردها إليه بعد ساعةٍ، فـقال له ملك الموت وما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال : لأذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد إستعداداً، ثم قال إدريس له: لي إليك حاجـةٌ أخرى، قال ومـا هي : قال: ترفعني إلى السـماء لأنظر إليـها وإلى الجنة والنار، فأذن الله فـى رفعه إلى السـموات فلمـا قرب من النار قـال لي إليك حاجـةٌ، قال ملك

---

(١) هذا ما رجحه ابن جرير الطبري رحمه الله (٧٣/١٦). ووافقه عليه ابن كثير رحمه الله (٢٣٧/٥) بقوله: قلت: هذا هو الأظهر أن ادريس في عمود نسب نوح عليهما السلام أهـ.

(٢) هذا الاسم لا دليل عليـه لا من كتاب ولا من سنة ، وهو خـلاف ما دل عليه الـكتاب ، فالله سـماه إدريس، وهـم يسمونه أخنوخ!!.

الموت: وما تريد؟ قـال: تسأل مـالكاً حتى يفتـح لي أبوابها فأردها فـفعل ثم قـال فلما أريتني النار فأرني الجنة فـذهب به إلى الجنة فاستفـتح ففتحت أبوابهـا فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكاً حكماً بيـنهما ينظر في قـولهما فـقال له الملك / : مالك لا تخـرج، قال لأن الله تعـالـى قـال ﴿ **كل نفس ذائقــة الموت**﴾[1] وقـد ذقـتــه، وقـال: ﴿ **وإن مـنكـم إلا واردها**﴾[2] وقد وردتهـا وقال: ﴿ **وما هم منهـا بمخرجين**﴾[3] فـدخلت الجنة فلست أخرج منهـا فأوحى الله إلى ملك الموت بإذني دخل الجنـة وبأمري لا يخرج فـجاء به ملك الموت إلى السماء السادسة، وقال آخرون إلى السماء الرابعة فهو حي هناك وقال بعضـهم هو اليوم في الجنة فإذا قـامت القيامة ومـات الخلائق أوقع الله إليه غـفلةٍ حتى يخرج منها ومات مع الخلائق ويرده إلى الجنة.. ٦/ب

فـذلك قوله تعـالى: ﴿ **ورفعنـه**[4] **مكاناً عليـاً**﴾ في الجنة، فـذلك قوله عـزوجل ﴿**اولئـك الذين**﴾ ذكرتهم إبراهيم وإسـماعيل وإسـحاق ويعقـوب وموسى وهارون وعيسى وإدريس وسـائر الأنبياء ﴿ **أنعم الله عليـهم من النبـيين**﴾ أكرمـهم الله تعالى بالنبوة والإسلام ﴿ **من ذرية ءادم وممن حـمـلنا مع نوح**﴾ في السفـينة ﴿ **ومن ذرية**

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٥.

(٢) سورة مريم آية ٧١.

(٣) سورة الحجر آية ٤٨.

(٤) أخـرج رواية وهب هـذه البـغـوي (٣/٢٠٠). وذكـرها ابن حـبـيـب (ق:١٧٨/أ). وهي من الاسـرائيليات التي لا تـستند إلي دليل صـحـيح لا من كـتـاب ولا من سنة. وكل مـا ثبت عندنا من أخبار أدريس عليه السـلام أن رسول اللهﷺ مرّ به في ليلة الإسراء والمعراج وهو في السماء الرابعة. انظر: صحـيح مسلم كـتاب الإيمان باب الإسـراء لرسول الله ﷺ (١/٩٩ – ١٠١)، وتفـسيـر ابن كثير (٥/٢٣٦).

إبراهيــم﴾ [و](١)إسماعيل وإسحاق ﴿ وإسراءيل﴾ ومن ذرية يعقوب ويوسف وإخوته ﴿وممن هدينا﴾ يعنـي هديناه إلـى الإسـلام ﴿ واجتبينا﴾ يعني اصطفـيناه بالإسـلام ومتابعة النبي ﷺ يعني عبدالله بن سلام وأصحابه.

﴿ إذا تتلىٰ عليـهم﴾ يعني إذا تقـرأ عليـهم يعني عـبـدالله بن سـلام وأصـحـابه ﴿ءايـٰت الرحمـٰن﴾ بالأمـر والنهي ﴿ خروا سجـداً وبكياً﴾ أي سـقطوا سجـداً ويبكون من مخافة الله والبكى جمع الباكي وتقديره من الفعل فعول كقولك: ساجد وسـجـود وراكع وركـوع جمع عـلى لفظ المصـدر، نزلت في مؤمني أهل الكتـاب عبدالله بن سلام وأصحابه(٢).

قـوله عـزوجل: ﴿ فـخلف من بـعـدهم خلف﴾ من بعـد الأنبيـاء والصـالحين ﴿خلف﴾ والخلف بفتح اللام الصالح فالخلف بسكون اللام الطالح.

قال ابن عباس: ﴿ فخلف من بعدهم خلف﴾ يعني اليهود ومن لحقهم من ذرية اليهود إلى يوم القيامة(٣) ﴿ أضاعوا الصلوٰة﴾ أي تركوا الصلوات المفروضة ﴿ واتبعوا الشهوات﴾ واتبـعوا اللـذات من الزنا وشرب الخـمـر واسـتحلوا نكاح الأخـوات من الأب ﴿ فسوف يلقون غياً﴾ يعني خسرانا، قاله الضحاك(٤).

وقال مجاهد وقتـادة: نزلت هذه الآية في هذه الأمة من المتأخرين(٥) الذين كانوا

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب بدون حرف العطف على إبراهيم عليه السلام، فإسماعيل وإسحاق تفسير لذرية إبراهيم.

(٢) الآية الكريمة في سياق ذكر الأنبياء والمصطفين، وتخصيص عبدالله بن سلام وأصحابه لا وجه له، فكل من هداه الله واجتباه داخل في ذلك، ثم إن السورة مكية نزلت قبل إسلام عبدالله بن سلام.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/أ).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/أ).

(٥) أخرجه البغوي (٣/٢٠١).

في آخر الزمان عند اقتراب الساعة، قال كعب: يظهر في آخر الزمان قومٌ بأيديهم سياطٌ كأذباب البقر يضربون الناس[١]. ثم قرأ ﴿ **فخلف من بعدهم خلف**﴾ قال علي ابن أبي طالب: هذا إذا بنى المشيد وركب المنظر ولبس المشهور[٢].

وقال وهب بن منبه: ﴿ **فخلف من بعدهم خلف**﴾ شرابون للقهوات لعابون بالكعبات ركابون للشهوات متبعون للذات تاركون للجمعات مضيعون للصلوات. فذلك قوله[٣] تعالى: ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوٰة**﴾ إذا قلنا نزلت في المتأخرين أي لم يصلوها لوقتها وأخروها عن مواقيتها / ولو تركوها لكفروا ﴿**واتبعوا الشهوٰت**﴾ واللذات ﴿ **فسوف يلقون غيا**﴾ قال أبو بكر بن عبدش سوف إذا كان في قصة المؤمنين فمعناه الوعد وإذا كان في قصة الكافرين فمعناه الوعيد، وأراد هاهنا الوعيد لأن الآية في اليهود. ٧/أ

وقال الضحاك ﴿ **يلقون غياً**﴾ يعني خسراناً[٤]. وقيل: الغى وادٍ فى جهنم[٥].

قال وهب: الغيُّ نهرٌ في النار. بعيد قعره خبيث طعمه[٦].

قال عطاء الغيُّ وادٍ في جهنم يسيل قيحاً ودماً[٧] ﴿ **إلا من تاب**﴾ وإذا فسرنا الآية على اليهود فمعناه ﴿ **إلا من تاب**﴾ من اليهود، وإذا فسرنا على المتأخرين،

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/أ).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/أ) وفيه: بني الشديد، وركب المنظور والكلمة الثالثة مطموسه لم أتبينها.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) أخرجه البغوي (٣/٢٠١). وذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/أ).

(٥) أخرجه البغوي (٣/٢٠١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه البغوي (٣/٢٠١).

(٧) أخرجه البغوي (٣/٢٠١).

فمعناه﴿ **إلا من تاب** ﴾ عن إضاعة الصلاة وعن إتباع الشهوات ﴿ **وءامن وعمل صٰلحاً**﴾ وأخلص الطاعة فيما بينه وبين ربه ﴿ **فأولئك** ﴾ أهل هذه الصفة.

﴿ **يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً**﴾ ولا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئا وحكى أن بعض المذكِّرين قال: من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر ، فأخذه ملك ذلك الوقت وقال إن صححت هذا الذي قلت من كتاب الله تعالى وإلا أمرت بقتلك فقال أصحح هذا من كتاب الله قال الله تعالى: ﴿ **أضاعوا الصلوٰة** ﴾ أي تركوا الصلاة المفروضة ثم قال في آخرها ﴿ **إلا من تاب وءامن** ﴾ شرط بالتوبة والإيمان فدل على أن من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر لأنه شرط في توبته الإيمان فقبل ذلك الملك منه وتركه وأحسن إليه[1].

ثم فسر الجنة التي قد ذكرها من قبل فقال: ﴿ **جنٰت عدن التي وعد الرحمٰن عباده بالغيب**﴾ يعني العباد الذين عبدوه في الدنيا ولم يروه.

وقيل: ﴿ **بالغيب**﴾ بالغائب عنهم ﴿ **إنه كان وعده مأتياً**﴾ كائناً مفعول بمعنى فاعلاً كقوله: ﴿ **حجـٰبا مستوراً** ﴾ أي ساتراً.

قال الأعشى

وساعيت معصياً إليها وشانها[2]

يعني عاصيا ﴿ **لا يسمعون فيها**﴾ في الجنة ﴿ **لغواً**﴾ أي فضولاً من الكلام وقيل: باطلاً وقيل: خلفاً كاذباً ﴿ **إلا سلٰماً**﴾ إلا تسليم بعضهم على بعض، وقال

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هكذا في الأصل وهو عجز بيت للاعمش الكبير. وتصويب البيت كما جاء في ديوانه (ص:١٩٣).

ومِثْلِكِ خَوْدٍ بادنٍ قد طلبتُها وساعَيتُ مَعْصياً لَدَيْنَا وُشاتَها

(٣) البغوي (٢٠١/٣).

مقاتل بن حيان: ﴿ **إلا سلـٰماً**﴾ يعني بتسليم الملائكة عليهم[(١)]، وهذا إستثناء من غير جنسه لأن السلام ليس من جنس اللغو ومعناه لا يسمعون فيها لغوا لكن يسلم بعضهم على بعض كقوله تعالى: ﴿ **فإنهم عدو لى إلا رب العـٰلمين**﴾[(٢)] أي لكن أعبد رب العالمين.

وقيل: هذا إستثناء منقطعٌ عن الكلام الأول لأن السلام منقطعٌ عن اللغو ﴿ **ولهم رزقهم فيها**﴾ في الجنة ﴿ **بكرةً وعشياً**﴾

قال تعالى: ﴿**تلك الجنة التى نورث**﴾ ننزل ﴿ **من عبادنا من كان تقياً**﴾ عن الكفر والشرك والكبائر ، وقيل: ﴿ **من كان تقياً**﴾ أي مطيعا لربه.

قوله عزوجل: ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك**﴾ قال ابن عباس: هذا حين استبطأ النبيﷺ الوحي فلما أتاه جبريل بعد خمسة عشر يوما ، وقيل: بعد أربعين يوما فسأله عن احتباسه وإمساكه عنه فقال جبريل ليس هذا إلينا وقرأ هذه الآية[(٣)] ﴿ **وما نتنزل**﴾ من السماء ﴿ **إلا بأمر ربك**﴾/ إلا بإذن ربك يا محمد ﴿ **له ما بين أيدينا**﴾ من أمر الآخرة ﴿ **وما خلفنا**﴾ من أمر الدنيا ﴿ **وما بين ذلك** ﴾ مِلكًا ومُلكا، وما هو ما بين النفختين وجميع الخلائق يموتون وهو أربعون سنة[(٤)].

٧/ب

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/أ) وقال به البغوي دون عزوه لأحد (٣/٢٠٢).

(٢) سورة الشعراء آية ٧٧.

(٣) أخرجه البغوي (٣/٢٠٢). وذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/أ) والذي في صحيح البخاري من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزلت: ﴿ **وما نتنزل إلاّ بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا** ﴾ . انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير، تفسير سورة مريم (٥/٢٣٧).

(٤) كذا في الأصل ، والسياق فيه اضطراب، ولا يستقيم إلاّ كما جاء في تفسير البغوي (٣/٢٠٢): قال: (وما بين ذلك) أي: ما بين النفختين ، وبينهما أربعون سنة. أهـ.

﴿ وما كان ربك نسياً﴾ أي لم ينسك ربك ﴿ وما ودعك ربك وما قلى﴾[١] جواب قول من قال لرسول الله ﷺ ودّعه ربه وقلاه وأبغضه، إلى هنا من قول جبريل للنبي ﷺ بأمر الله عز وجل لأن جبريل عليه السلام لم يقل شيئاً للنبي إلا بأمر الله، وفيه مسألةٌ وذلك أن الله تعالى ذكر شيئين هو قوله ﴿ ما بين أيدينا وما خلفنا﴾ ثم قال ﴿ وما بين ذلك﴾ ولم يقل ومابين ذينك، ولها أربع نظائر في القرآن:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾[٢].

والثاني: قوله تعالى: ﴿ لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾[٣] .

والثالث: قوله تعالى: ﴿ لا فارضٌ ولا بكرٌ عوان بين ذلك﴾[٤].

والرابع: قوله تعالى: ﴿ ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾[٥] وإنما قال ذلك إلى الواحد لأن من عادة العرب تذكر التثنية وتعبر عن التثنية بلفظ الواحدان.

والله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب

قال الله تعالى : ﴿ رب السموٰت والأرض وما بينهما﴾ من الخلق والعجائب هو الله ﴿ فاعبده ﴾ فأطعه ﴿واصطبر لعبٰدته﴾ أي تكلف في الصبر على عبادته

(١) سورة الضحى آية ٢.
(٢) سورة الإسراء آية ١١٠.
(٣) سورة الفرقان آية ٦٧.
(٤) سورة البقرة آية ٦٨.
(٥) سورة هود آية ١١٨.

والإصطبار التكلف في الصبر والفرق بين الصبر والإصطبار، وهو أن الصبر يصبر على شيء والإصطبار هو أن يتكلف في الصبر ﴿ **هل تعلم له سميا**﴾ . قال ابن عباس: والمعنى هل تعلم أحداً من الأصنام[1] يسمي الله، وقال بعضهم: ﴿ **هل تعلم له سمياً**﴾ يعني الرحمن أى هل تعلم أحد من الأصنام يسمي بسم الله أو بسم الرحمن.

وقال مجاهد: يعني ﴿ **هل تعلم له سميا**﴾ يعني شبها ومثلا[2].

وقال أبو العالية: يعني عدلا[3]. قال ابن فورك: كنت عند محمود السلطان في ذلك الوقت وناظرته فقال ما الدليل على أن الله تعالى ليس في مكان؟

فقلت: أحمل لك آياً من القرآن دليلا على أن الله تعالى ليس في مكان فقلت: أولا: قال الله ﴿ **ولم يكن له كفواً أحد**﴾[4] أي لم يكن شبها ولا مثلا وقال في موضع: ﴿ **ليس كمثله شيء**﴾[5] ، وقال في موضع: ﴿ **هل تعلم له سميا**﴾ أي شبها ومثلا لو أن الله تعالى في مكانٍ لكان له شبه ومثلٌ والله تعالى نفى التشبيه والمثل عن نفسه بقوله: ﴿ **ولم يكن له كفوا أحد**﴾ وبقوله ﴿ **ليس كمثله شيء**﴾ وبقوله: ﴿**هل تعلم له سمياً**﴾ فدل في هذه الآيات أن الله تعالى ليس في مكان ولا يحتاج إلى مكان قال فقبل واستحسنه[6].

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/ب). وأخرج البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر سمياً: مثلاً (٣/٢٠٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٦/٨٠) وذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/ب)، وهذا هو الصواب.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/ب).

(٤) سورة الأخلاص آية ٥.

(٥) سورة الشورى آية (١١).

(٦) هذا استدلال أعمى كصاحبه، فالله تعالى أخبرنا في اكثر من موضع من كتابه أنه في السماء، ـــ

قوله عزوجل: ﴿ **ويقول الإنسـٰن أءذا مامت لسوف أخرج حياً**﴾ نزلت في أبي بن خلف الجمحى[1] وكان شديد الإنكار في البعث وذلك أنه جاء ذات يوم بعظم قديم بالي من المقبرة وكانت مقبرتهم في الحصن وجاء إلى النبيﷺ ودلكه بيده حتى صار تراباً ثم قال للنبيﷺ يا محمد أترى أن الله يبعث هذا ويعيده بعد ما رم وصار تراباً فأنزل آية فيه ﴿ **وضرب لنا مثلا ونسى خلقه**﴾[2] إلى آخر الآيات وقوله ﴿ **خلق الإنسـٰن من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ مبينٌ**﴾[3] وقوله: ﴿**ويقول الإنسـٰن** ﴾ يعني إبي بن خلف الجمحى ﴿ **أءذا ما مت لسوف أخرج حياً**﴾ وهذا استفهامٌ مقلوبٌ من أول الكلام إلى الآخر ومعناه ﴿**أءذا ما مت لسوف أخرج حياً**﴾ أي لسوف أخرج من القبر حياً إستهزاء لأنه لم ينكر الموت وإنما أنكر البعث فلهذا قلنا إنه مقلوبٌ ونظيره قوله عزوجل: ﴿ **أفإين مت فهم الخـٰلدون**﴾[4] ومعناه أفإن مت يا محمد أفهم الخالدون وهذه اللام في قوله لسوف لام التعجب لأنه تعجب من البعث.

قال الله تعالى: ﴿**أولا يذكر الإنسـٰن**﴾ دلالةٌ على البعث يعني أولا يتذكر أبي ابن خلف الجمحى ﴿ **أنّا خلقنـٰه من قبل** ﴾ من قبل هذا من نطفة منتنةٍ ﴿ **ولم يك شيئاً**﴾ فكذلك إني قادر على أن أحييه.

ـــ وأخبرنا في سبعة مواضع من كتابه العزيز أنه مستو على عرشه، ورتب ذلك على خلق السموات والأرض بلفظة [ثم] ، كما أخبرنا جل وعلا في آيات لا حصر لها إلا لكلفة، أنه نزل الكتاب منه، وغير ذلك مما هو واضح وجلي وليس معنى قوله تعالى: ﴿**ولم يكن له كفواً أحد**﴾ ، وقوله: ﴿**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**﴾ في مكانه وصفاته ، ثم قوله في هذه القصة أن محمود السلطان قبله واستحسنه يحتاج إلى اثبات، لأن المعروف أن محمود سبكتكين من أهل السنة الذين ينكرون على ابن فورك وأمثاله مثل هذا القول.

(١) انظر : أسباب النزول للواحدي (٣١٠)، والبغوي (٣/٢٠٣)، والقرطبي (١١/١٣١).

(٢) سورة يس آية ٧٨.

(٣) سورة النحل آية ٤ .

(٤) سورة الأنبياء آية ٣٤.

﴿ **فوربك** ﴾ أقسم الله تعالى بنفسه ﴿ **فوربك لنحشرنهم**﴾ لنجمعن الخلق كلهم في الميعاد.

﴿**والشيـٰطين**﴾ ولنجمعن الشيطان معهم ﴿ **ثم لنحضرنهم**﴾ لنجمعهنم ﴿**حول جهنم جثياً**﴾ . قال ابن عباس: جماعات[1]، قال الحسن والضحاك : أجثيا، يعني جاثين على الركب[2] ﴿**ثم لننزعن**﴾ لنخرجن ﴿ **من كل شيعةٍ أيهم**﴾ من أهل كل دينٍ ﴿ **أيهم أشد على الرحمٰن عتياً**﴾. قال ابن عباس: أيهم أشد على الرحمن جرأة[3]، قال مجاهد: عتيًا يعني فجوراً وكذباً[4]، قال مقاتل: عتيا عتو[5] .

﴿ **ثم لنحن أعلم بالذين هم أولىٰ بها صلياً**﴾ يعني بالذين هم أحق بدخول النار والفعل منه صلى يصلي صلاء إذا دخل النار وتصلى يتصلى إذا استدفئ بالنار وصليت فلاناً أى أدخلته النار وقرأ الكسائي[6]: ﴿ **ويُصلَّى سعيراً**﴾[7] ويدخل في النار والصُلى المصدر وهو كقولك مضى يمضي مضياً ولقى يلقى لقياً فكذلك صلى يصلي صليا بالرفع والكسر فيه لغتان.

قوله عزوجل: ﴿ **وإن منكم إلا واردها**﴾ قال ابن عباس: يعني وما منكم من

---

(١) أخرجه البغوي (٣/٢٠٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/ب).
(٢) أخرجه البغوي (٣/٢٠٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/ب).
(٣) أخرجه البغوي (٣/٢٠٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/ب).
(٤) أخرجه البغوي (٣/٢٠٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/ب).
(٥) انظر: تفسيره (٢/٦٣٤).
(٦) انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٧٦٠).
(٧) الانشقاق ١٢.

أحدٍ إلا وهو داخل في النار[١].

وقال قوم فيه إضمارٌ ومجازه والله إن منكم إلا واردها فيكون إن جوابٌ للقسم واختلفوا في الورود فقال أكثر مخالفينا أراد بالورود هاهنا المرور[٢] والحضور لجهلهم باللغة وقد خالفهم الكتاب والأثر واللغة والشعر.

ونحن نقول أراد بالورود الدخول والدليل على ما قلنا قول الله تعالى: ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها وٰردون**﴾[٣]. وقال حكايةً عن فرعون ﴿ **يقدم قومه يوم القيٰمة فأوردهم النار وبئس الورد المورود**﴾[٤].

وإذا قلت الورود يعني المرور على سياق قولهم إن الأصنام وعبدتها وفرعون وقومه يدخلون الجنة لأن من مر على النار فلا بد له من دخول الجنة؛ لأنه ليس بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار

﴿ **أنتم لها وٰردون**﴾ ومعناه أنتم لها داخلون وقوله: ﴿ **فأوردهم النار**﴾ فأدخلهم النار وأما الدليل على هذا من الأثر فإن جابر بن عبدالله قال سألت رسول الله ﷺ عن الورود فقال الدخول وقال ﷺ « إذا أدخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم أليس/ وعدنا ربنا أن نرد النار، فيقال لهم وقد وردتموها وهي خامدةٌ[٥] وفي بعض ٨/ب

(١) أخرجه البغوي (٢٠٤/٣)، وقال البغوي: وهو قول الأكثرين. وأخرج ذلك الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره (٨١/١٦ - ٨٣).

(٢) روي ذلك عن نافع بن الأزرق وغيره. انظر: تفسير الطبري (٨١/١٦ - ٨٢)، والبغوي (٢٠٤/٣)، وتفسير ابن حبيب (ق:١٧٨/ب).

(٣) سورة الأنبياء آية ٩٨.

(٤) سورة هود آية ٩٨.

(٥) الحديث رواه أحمد في المسند (٣٢٩/٣): بسنده إلى أبي سمية قال: اختلفنا ههنا في الورود، فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر ــ

الروايات وهي جامدةٌ وروى خالد بن الدريك[1] عن يعلى بن منبه[2] أن النبي ﷺ قال تقول النار في المؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي[3].

قال ابن عباس: إنهم يردونها وهى كأنها دواية لبن والدواية ما ركب اللبن كأنه جلدةٌ[4] وفى بعض الروايات وهي كأنها متن إهالةٍ وهي الودك الجامد[5]، وقال ﷺ : «لا يموت لأحدٍ من المسلمين ولد فيحتسبه فيدخل النار إلا تحلة القسم[6] يعني تصديق قسم الله تعالى حين أراد بالورود وقال: ﴿ **وإن منكم إلا واردها**﴾ ففي هذه الأخبار دليلٌ على أنه أراد بالورود الدخول في هذه الآية، وأما اللغة فإن العرب تقول ورد كتاب فلان ووردت بلدة كذا لا يريدون جزت عليها أي مررت بها وإنما يريدون دخلتها.

= بن عبدالله فقلت له إنا اختلفنا في ذلك الورود ... قال فاهوي بأصبعيه إلى أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ . يقول الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم. الحديث.
وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٣٦/١) برقم (٣٧٠).

(١) هو: خالد بن دريك الشامي روى عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم ولم يدركهم وروى عن يعلى بن منبه مرسلاً قال ابن حجر ثقة يرسل .
انظر: تهذيب التهذيب (٨٦/٣).

(٢) يعلى بن منبه بن أبي عبيدة بن همام التميمي حليف قريش ويقال ابن أميه صحابي مشهور مات سنة ٦٨هـ.
انظر: تقريب التهذيب (٣٧٧/٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٢٩/٩).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/ب).

(٥) أخرجه الطبري (٨٢/١٦)، وذكره ابن كثير (٢٤٩/٥).

(٦) أصل الحديث متفق عليه، البخاري (٢٢٤/٧)، ومسلم كتاب البر والصلة (٢٠٢٨/٤) برقم (١٥٠) ولفظه: لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم.

وروى يحيى بن اليمان ومنصور عن مجاهد : في قوله: ﴿ وإن منكم إلا واردها﴾ قال من حم في الدنيا فقد وردها[١].

قال ابن حبيب: أخذه مجاهد من قول النبي ﷺ : «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء[٢]»، وقوله ﷺ حكاية عن الله تعالى: « الحمى ناري أسلطها على عبدي ليكون حظه من نار جهنم »[٣][٤].

قال الحسين بن الفضل: والدليل على أن الورود الدخول إمتنان الله عز وجل على المتقين الذين نجاهم منها[٥].

قوله عزوجل: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظـٰلمين فيها جثيا﴾ ظاهر هذا اللفظ يدل على أنه نجاهم منها واحتج مخالفونا يعني المعتزلة على قولهم أن الورود المرور والحضور بقول الله في قصة موسى ﴿ ولما ورد ماء مدين﴾[٦] قال الأستاذ

---

(١) أخرجه الطبري (٨٣/١٦)، وفي تفسير مجاهد رواية عنها فسر الورود المذكور في الآية بالدخول فيها (٣٨٩).
قلت: وقد ذكر الخلاف في معنى الورود ، الوارد في الآية الكريمة ابن جرير الطبري وأدلة كل قول، ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار وورود هموهما هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها. (٨٤/١٦، ٨٥).

(٢) الحديث في صحيح البخاري من رواية عائشة رضي الله عنها (٢٠/٧) كتاب الطب باب الحمى من فيح جهنم.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٤٤٠/٢) والحاكم في المستدرك (٣٤٥/١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع الصغير (٣٢/١)، وسلسلة الأحاديث الصحيحه (٥٥٧/٢)، وانظر: جامع الأحاديث القدسية (١٠٢/٥).

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٨/ب).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٨/ب).

(٦) سورة القصص آية ٢٣.

إسماعيل: قال ابن حبيب: ولا متعلق لهم بهذه الآية لأنه لم يقل أحدٌ من أهل التفسير أن موسى مر على تلك البئر أو على ذلك الماء وإنما قالوا سقى لابنتي شعيب، وأروى الأغنام وشرب من ذلك الماء وهو المعنى عندنا في الورود[1].

وقال بعضهم: قال الله تعالى: ﴿ **وإن منكم إلا واردها**﴾ ففي ظاهر الآية دليلٌ على أن الأنبياء والمؤمنين يدخلون النار فكيف يكون هذا؟ قلنا: وذلك أن الصراط يكون على متن جهنم بعضها في الإنخفاض وبعضها في الإرتفاع كالأرجوحة في جهنم والناس يمرون عليه على أنواع بعضهم يمرون كالبرق الخاطف وهم الأنبياء والمؤمنون وبعضهم كالرجل الذى يعدوا وبعضهم كالرجل الذى يسير ويمشي ويزحف زحفاً وبعضهم مكردس في النار أي مطروحٌ في النار وهم الكفار فإذا كان كذلك فالأنبياء والمؤمنون والكافرون داخلون فيها وصدق قول الله ﴿ **وإن منكم إلا واردها**﴾ ولكن لا يصيب الأنبياء والمؤمنين ألم من النار ويمرون عليها كالبرق الخاطف والكفار يسقطون فيها. فذلك قوله تعالى: ﴿ **وأن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضيا**﴾ قضاء كائنا واجبا وقيل: ﴿ **حتماً مقضيا**﴾ يعني قدراً مقدوراً / لما نزلت هذه الآية ﴿ **وإن منكم إلا واردها**﴾ كان أصحاب رسول الله ﷺ يبكون ويتضرعون أياماً قال بعضهم سنة وقال بعضهم سنين وقال بعضهم زماناً[2] فأنزل الله تعالى: ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا**﴾ الكفر والشرك والفواحش ﴿ **ونذر الظلمين**﴾ ونترك المشركين ﴿ **فيها** ﴾ في جهنم ﴿ **جثياً**﴾ جميعاً وفي مصحف عبدالله بن مسعود ﴿ **ثم ننجي**[3] **الذين اتقوا ونذر الظلمين فيها جثياً**﴾ بفتح الثاء

٩/أ

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٨/ب).

(٢) لم أقف على من قال ذلك، ولم يقل بهذا أحد من أئمة التفسير المعتبرين ، كالطبري ، وابن كثير والواحدي والبغوي وغيرهم.

(٣) قراءة شاذه، انظر: البحر المحيط (٦/٢١٠): [ثَمَّ].

يعني هناك ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً .

قوله عزوجل: ﴿ وإذا تتلىٰ عليهم ءايـٰتنا بينـٰت﴾ قال مقاتل: نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث وذويه يعني أصحابه وذلك أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون ثيابهم مفتخرين بزينتهم وهيئتهم على فقراء أصحاب رسول الله ﷺ[1] .

قالوا أءنتم خيرٌ أم نحن؟ قالوا: الله تعالى يحكي عنهم ذلك وقال: ﴿ وإذا تتلى﴾ تقرأ ﴿ عليهم ﴾ على النضر بن الحارث وأصحابه ﴿ ءايـٰتنا بينـٰت﴾ بالأمر والنهي ﴿ قال الذين كفروا﴾ بمحمدٍ والقرآن والبعث يعني النضر بن الحارث وأصحابه[2] ﴿للذين ءامنوا﴾ للفقراء أصحاب محمد ﷺ ﴿ أى الفريقين ﴾ نحن أم أنتم ﴿ خيرٌ مقاماً ﴾ خيرٌ منزلا ﴿ وأحسن نديا ﴾ مجلسنا والندى والنادى كلاهما المجلس والندى العطاء فأجابهم الله تعالى بجوابين أحدهما منفصلٌ والآخر متصل:

فأما المنفصل: في سورة الفرقان وهو قوله: ﴿ أصحـٰب الجنة يومئذ خيرٌ مستقراً وأحسن مقيلاً﴾[3].

وأما المتصل قوله: ﴿ وكم أهلكنا قبلهم﴾ قبل كفار مكه ﴿ من قرن﴾ من أمم خالية ﴿ هم أحسن أثـٰثاً ﴾ قال ابن عباس: هم أحسن هيئة[4]، قال مقاتل: ثياباً[5].

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٦٣٦).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/٢٠٧).

(٣) سورة الفرقان آية ٢٤.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/أ).

(٥) انظر: تفسيره (٢/٦٣٦).

قال الأستاذ: ورأيت في بعض التفاسير ﴿ هم أحسن أثٰثا﴾ أى هم أحسن متاعاً وعيشاً ﴿ ورءياً ﴾ ومنظراً[١] أى كانوا هم أحسن منظراً من أهل مكة وفي مصحف أبيّ ﴿زئياً ﴾ بالزاي المعجمة[٢] والزئي الآييز بالفارسية.

﴿قل﴾ يا محمد ﴿ من كان فى الضلٰلة ﴾ يعني الكفر ﴿ فليمدد له الرحمٰن مداً ﴾ يعني يطيل عمره في الكفر ﴿ حتىٰ إذا رأوا ما يوعدون ﴾ فيه إضمار فمعناه أنظرهم يا محمد ﴿ حتىٰ إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب ﴾ يوم بدر بالقتل والسيف ﴿ وإما الساعة ﴾ وإما عذاب القيامة والنار ﴿ فسيعلمون ﴾ وهذا وعيد لهم ﴿ من هو شَرٌ مكاناً﴾ منزلا في الآخرة ﴿ وأضعف جنداً ﴾ هم أصحاب النبي ﷺ ؟ ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً ﴾ ويزيد الله الإيمان ﴿ الذين اهتدوا ﴾ يعني هذه الآمة.﴿والبٰقيٰت الصٰلحٰت﴾ والصلوات الخمس .

وقد مر ذكرها في سورة الكهف[٣] ﴿ خيرٌ عند ربك ثواباً﴾ يعني خيرٌ ثواباً عند ربك ﴿ وخيرٌ مرداً﴾ أفضل بما فيه ومرجعها في الآخره.

قوله عزوجل: ﴿ أفرءيت الذى كفر بئايٰتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾ . قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في العاص بن وائل السهمي وكان كافرا وذلك أن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ صاغ له شيئا من الحلي فاقتضاه أجرة فقال ألستم تقولون إنكم مبعثون/ وأن في الجنة ذهباً وفضةً وحريراً فأنا أقضيك مالك هناك فأني ﴿ أوتى مالاً وولداً﴾ إن كان البعث حقا كما تقولون فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤] . ٩/ب

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٩/أ).

(٢) قراءة شاذة مرويه عن ابن عباس وابن جبير . انظر: البحر المحيط (٦/٢١١).

(٣) انظر: تفسير سورة الكهف من هذا البحث ص: ٦٨٢.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/أ)، والأثر أخرجه البخاري من طريق مسروق عن خباب بن الأرت . انظر: كتاب التفسير (٥/٢٣٧)، وانظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٥٤)، والبغوي (٣/٢٠٧، ٢٠٨).

وقال السدي: قال خباب بن الأرت: كنت قنينا والقنين الحداد فعملت لعاص بن وائل عملاً فوجبت لي عليه أجرة فتقاضيت فقال لا أعطيك شيئا حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال العاص: وإنا لمبعوثون؟ قلت: نعم. قال : فأفيك مالك هناك فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] ﴿ أفرءيت الذى كفر بئايتنا﴾ بمحمد والقرآن وهو العاص بن وائل السهمي ﴿ وقال لأوتين﴾ لأعطين ﴿مالاً وولداً﴾ . لئن كان ما تقول بمحمد في الآخرة حقا فرد الله عليه وقال: ﴿أطلع الغيب﴾ .

وقال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ[2] ؟ أن له مايقول . وقال مجاهد: أعلم علم الغيب[3]؟ وهذه الألف ألف الإستفهام، ودخل على ألف الوصل، ولها ستة نظائر في القرآن:

أحدها ها هنا. والثاني: ﴿ أصطفى البنات على البنين﴾[4]. والثالث: ﴿ أفترى على الله كذبا﴾[5]. والرابع: ﴿ أتخذنـٰهم سخرياً﴾[6]. والخامس: ﴿بيدى أستكبرت﴾[7]. والسادس: ﴿سوآء عليهم أستغفرت لهم﴾.[8]

ثم اختلفوا في واحد منها وهو قوله: ﴿ أتخذنـٰهم سخرياً﴾ من قرأ

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/أ).

(٢) أخرجه البغوي (٣/٢٠٨)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/أ).

(٣) أخرجه البغوي (٣/٢٠٨)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/أ).

(٤) سورة الصافات آية ١٥٣.

(٥) سورة سبأ آية ٧، ٨.

(٦) سورة ص آية ٦٣.

(٧) سورة ص آية ٧٥.

(٨) سورة المنافقون آية ٦.

﴿إتخذنـٰهم﴾ بكسر الألف فقال ليس بإستفهام ومن قرأ بفتح الألف[١] فقال استفهام كسائرها فذلك قـوله تعالى: ﴿ **أطلع الغيب**﴾ أعلم علم الـغيب؟ ﴿ **أم اتخـذ عند الرحمٰن عهداً** ﴾ يعني ام قدم عملاً صالحاً عند الله ﴿ **كلا** ﴾ رد عليه أي لم ينظر في اللوح المحفوظ ولم يتخذ عند الرحمن عهداً ﴿ **سنكتب ما يقول** ﴾ أي سنحفظ عليه ما يقـول من الكذب ﴿ **ونمد له من العـذاب مداً**﴾ أى نزيد عـذابا فـوق العـذاب ﴿**ونرثه ما يقول** ﴾ يعني قـوله ﴿ **لأوتين مـالاً وولداً** ﴾ ونعطيـه غيـره من المؤمنين ﴿**ويأتينا فرداً** ﴾ يعني العـاص بن وائل ليس معـه شيء ﴿ **واتخذوا** ﴾ يعني صـناديد قريش ﴿ **من دون الله ءالهـةً** ﴾ يعني الأصنـام ليكون أي ﴿**ليكونوا لهم عزاً**﴾ يعني ليتعززوا بها.

﴿ **كلا** ﴾ رداً عليـهم أي لا يكون لهم عـزاً بذلك ﴿ **سيكفرون بعبادتهم** ﴾ يعني يتبرؤون من عبادة الأصنام يوم القيامه ﴿ **ويكونون عليهم ضداً** ﴾ يعني فتكون الأصنام على الكافرين أعداء .

قال الحسن: أعوان[٢] بالعذاب ، ، قال بعضهم ﴿ **ضداً**﴾ أي خصماً[٣].

قوله عزوجل: ﴿ **ألم تر أنآ أرسلنا الشيـٰطين على الكـٰفـرين** ﴾ وذلك أن الـله تعـالى قـال لإبليس ﴿ **وأستـفـزز من اسـتطعت منهم بصـوتك وأجلب عليـهم بخيلك**﴾[٤] ثم قال للنبيﷺ ﴿ **ألم تر** ﴾ ألم تخبر يا محمد ﴿ **أنآ أرسلنا الشيـٰطين**﴾

---

(١) قرأ بكسر الهمزة عند الابتداء البصريان وحمزة والكسائي، وفتحها الباقون .
انظر: التذكرة لابن غلبون (٦٤٤/٢، ٦٤٥).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/أ).

(٣) قال مجاهد أوثانهم تخاصمهم وتكذبهم يوم القيامة في النار. انظر: تفسيره (٣٩١).

(٤) سورة الإسراء آية ٦٤.

سلّطناً ﴿ الشيــطين على الكـفرين تؤزهم أزّاً﴾ قال ابن عباس: تزعجهم إزعاجاً[١].

قال الضحاك: يأمرهم بالمعاصي أمراً[٢].

قال سعيد بن جبير: تغريهم إغراءاً[٣].

قال مجاهد: تشليهم إشلاءً[٤]، يقال أشليت الكلب في الصيـد قال المؤرج وأبو عبيدة: تحركهم تحريكا[٥] وأصل الأز الحركة والغليان / ومنـه الخبر أنه كان يصلى وله ١٠/أ أزيزٌ كأزيز المرجل[٦] يعني الغليان ﴿ فلا تعجل عليهم﴾ بالعذاب وهـذا مـنسوخ بآية القـتال[٧] ﴿ إنما نعد لهم عداً﴾ معناه فإنمـا نعد أيامهم وألحاظهم وأنفـاسهم عدا وهو ﴿يوم ﴾ يوم القيامـة ﴿ نحشر المتقين﴾ الكفـر والشرك والفـواحش ﴿ إلى الرحمن وفداً﴾.

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/أ). وأخرج الطبري مثله عن قتادة (١٦/٩٥) وقال بمثله البغوي دون عزو لأحد (٣/٢٠٨).

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٩/أ).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/أ)، والقرطبي (١١/١٥٠).

(٥) انظر المصدر السابق. وعند أبي عبيدة في مجاز القرآن تهيجهم وتغويهم (٢/١١).

(٦) الحديث رواه أحمد في المسند (٤/٢٥)، والنسائي (٣/١٣) رقم (١٢١٤).
والأزيز: الصوت، والمرجل: قدر من النحاس.
انظر: مختار الصحاح (٢٣٥).

(٧) قال ابـن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٩٨): زعم بعض المفسـرين أنها منسـوخة بآية السـيف وهذا ليس بصـحيح لأن المعنى لا تعـجل بطلب عـذابهم الذي يكون في الآخرة فـإن المعنى أن أعمـارهم سريعة الفناء فلا وجه للنسخ، وإن كان المعنى ولا تعـجل بطلب قتالهم فإن هذه السورة نزلت بمكة ولم يؤمر حينئذ بالقتال فنهيه عن الاستعجـال بطلب القتال واقع في مـوضعه ثم أمره بقتـالهم بعد الهجرة لا ينافي النهي عن طلب القتال بمكه .

فإن قيل فسبيله أن يقول: ﴿**يوم نحشر المتقين إلى**﴾ دار ﴿**الرحمن وفداً**﴾، والدار الجنة والرحمن هو الله ﴿ **وفداً** ﴾ أي جماعات وقيل: ﴿ **وفداً**﴾ أي ركباناً قال الأخفش: الوفد جمع وافد كقوله راكبٌ وركب[1]. قال علي بن أبي طالب: ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوقٍ رحالها ذهبٌ وعلى نجائب سرجها يواقيتٌ إن همّوا بها سارت وإن همّوا بها طارت[2]. والحشر حشران حشر السوق وحشر الجمع وأراد ههنا حشر السوق ﴿ **ونسوق المجرمين** ﴾ أي ونسوق الكافرين ﴿**إلى جهنم ورداً** ﴾ عطاشاً وقال قتادة: ظمآء[3] ﴿ **لا يملكون الشفـٰعة**﴾ يعني لا تشفع الملائكة لأحد ﴿ **إلا من اتخذ عند الرحمـٰن عهداً** ﴾ إلا لمن قال لا إله إلا الله نظيره: ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ**﴾[4]. [وقال][5] إلا لمن أعتقد التوحيد .

وقال قتادة: إلا لمن عمل بطاعة الله تعالى [6] . وروى أبو وائل عن عبدالله بن مسعود أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباحٍ ومساءٍ عند الله عهداً قال وكيف ذلك قال يقول كل صباحٍ ومساءٍ اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا بأني أشهد أنك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك لا تكلني إلى نفسي إنك ان تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني عن الخير وأني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً يعني تعطينه

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب).
(٢) أخرجه البغوي (٣/٢٠٩)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب).
(٤) سورة الانبياء آية ٢٨.
(٥) كذا في الأصل ، والصواب : [ويقال].
(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٧٩/ب).

يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. فإذا قال ذلك طبع عليه طابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى منادي أين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة[1].

﴿وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً﴾ يعني اليهود وقالوا عزيرٌ بن الله والنصارى قالوا المسيح بن الله والمشركون قالوا الملائكة بنات الله.

﴿لقد جئتم شيئاً إداً﴾ قال ابن عباس: لقد قلتم قولاً منكراً عظيماً[2].
قال الضحاك: أراد فظيعاً[3]. قال مقاتل: عظيماً[4]. وأصل الإد: الداهية.

﴿تكاد السمٰوٰت يتفطرن منه﴾ أي ليشققن منه أي من قولهم هذا ﴿وتنشق الأرض﴾ وتكاد تتصدع الأرض وإنما خص السموات والأرض لعظهن ﴿وتخر الجبال﴾ أي وتكاد تسقط الجبال ﴿هداً﴾ قول ابن عباس: كسيراً[5]. قال عطاء هدماً ﴿أن دعوا للرحمٰن ولداً﴾ بأن دعوا للرحمن ولداً ﴿وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولداً﴾ ابناً ﴿إن كل من في السمٰوٰت والأرض﴾ يعني فكل من في السموات والأرض ﴿إلآ ءاتى الرحمٰن عبداً﴾ الا وهم عبيد الله تعالى ومن كان عبداً فلا يصلح للولد ﴿لقد أحصٰهم﴾ حفظهم ﴿وعدهم عداً﴾ / أيامهم وأنفاسهم وألحاظهم ﴿عداً﴾.

١٠/ب

﴿وكلهم ءاتيه﴾ يعني جائيه ﴿يوم القيٰمة فرداً﴾ وحيداً بلا مال ولا ولد

(١) بهذا اللفظ نقله ابن حبيب في التفسير (ق:١٧٩/ب) والزمخشري في كشافه (٤٢٤/٢). وذكره مختصراً الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٤/١٠).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب)، وأخرجه البغوي (٢٠٩/٣).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب).
(٤) انظر: تفسيره (٦٣٨/٢).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب)، وأخرجه الطبري (٩٩/١٦)، والبغوي (٢٠٩/٣).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب).

نظيره: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقنـكم أول مرة﴾[١] .

ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إن الذين ءامنوا وعملوا الصـلحـت سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ قال ابن عباس : يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين[٢].

قال قتادة: يعني محبتة في قلوب المؤمنين[٣] ﴿فإنّما يسرنـه بلسانك﴾ أى هونّا عليك قراءة القرآن كناية عن غير مذكور. يعني القرآن. نظيره: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾[٤] أي حتى توارت الشمس بالحجاب ﴿لتبشّر به﴾ أي تبشر بالقرآن ﴿المتقين﴾ الكفر والشرك والفواحش ﴿وتنذر﴾ وتخوف ﴿به قوماً لُدّاً﴾ قال ابن عباس: شداداً بالخصومة[٥]، وهم الكفار، قال الضحاك: جدلاً بالباطل[٦]، قال مقاتل: خصما[٧]، والعرب تقول: رجل ألد إذا كان من عادته مخاصمة الناس، كما قال الله تعالى: ﴿وهو ألد الخصام﴾[٨] ورجالٌ لدٌّ.

قال الله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ يعني قبل أهل مكة ﴿من قرنٍ﴾ من القرون الماضية ﴿هل تحس منهم من أحدٍ﴾ هل ترى وقيل هل تجد منهم من الأمم الماضية من أحد ﴿أو تسمع لهم ركزاً﴾ صوتا خفيّا والركز الصوت الخفي[٩]. قال

---

(١) سورة الانعام آية ٩٤.
(٢) أخرجه الطبري (١٦/١٠٠)، وذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٧٩/ب).
(٤) سورة ص آية (٣٢) .
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٨١/ب). وقال بمثله البغوي (٣/٢١٠).
(٦) انظر المصدر السابق.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٦٤٠)، وذكره ابن حبيب عن مقاتل بن حيان (ق:١٨١/ب).
(٨) سورة البقرة آية ٢٠٤.
(٩) انظر: تفسير البغوي (٣/٢١٠).

ذو الرمّة شعراً:

وقد توجسن ركزاً من سنابكها … أو كان صاحب أرض أو به الموم[1]

توجس: تسمع، والأرض: الرعدة، والموم: البرسام.

* * *

(١) انظر ديوانه .

تفسير سورة طه

سورة طه، وهي كلهـا مكيةٌ وهي الرابعة والأربعون من السـور المكيات، نزلت على إثر سـورة مـريم ، ونزلت على إثرها سـورة الواقـعـة، وعدد آياتهـا مـائة واثنتـان وثلاثون آية في عـدد البصـرى، ومائة وأربعٌ وثلاثون آية عند المكيين والمدنيـين، ومائة وخمس وثلاثون آية في الكوفي، ومائة وأربعون آية في الشاميين، وعدد كلماتها ألف ومائتان وست وثلاثون كلمة وعدد حروفها خمسة آلاف وأربع ومائتان.

بسم الله الرحمن الرحيم

بســـم من هو سند من لا سند له ـوعـماد من لا عماد له وذخـر من لا ذخر لـــه ﴿ طـــه مآ أنزلنا عليك القرءان لتشقىٓ ﴾ .

قال مقاتل: وذلك أن أبا جهلٍ بن هشـامٍ والنضر بن الحارث قالا للنبي ﷺ إنك شقيٌ لذلك خالفت دين آبائك وذلك لما رأوا من طول عبادته وشدة إجتهاده، قالوا له إئتنا [ببراءةٍ][1] تخبرنا إنك مبعوث إلينا فقال رسول الله ﷺ بل أنا رسول الله ادعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادة الرحمن قالوا بل أنت شقى[2] فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم ﴿طه مآ أنزلنا عليك القرءان لتشقىٓ ﴾.

إختلف المفسرون في تفسير قوله ﴿طه﴾ فـروى الكلبي عن أبي صـالح عن ابن

---

(١) كـذا في الأصل، وفي تفسـير ابن حـبيب، وتفـسـير مـقـاتل بن سليـمان، [ببـراءة]، وفي تفـسـير السمرقندي (٢/٣٣٦)، فأتنا بآية.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٢٠).

عباس قال معناه يا رجل[١] قال الكلبي: وهو بلغة عكة يا رجل[٢]، وهو متصل بقوله ﴿هل تسمع لهم ركزاً﴾ يا رجل، قال عكرمة: ﴿طه﴾ بلغة الحبشه يا رجل[٣] وقال سعيد بن جبير ﴿طه﴾ بلغة النبطية يا رجل[٤] وقال محمد بن كعب القرظى./ ﴿طه﴾ أقسم الله تعالى بطوله والهاء أقسم الله تعالى بهدايته[٥] وجواب القسم ﴿مآ أنزلنا عليك القرءان لتشقىٰ﴾ قال ابن حبيب رأيت في بعض التفاسير أن الطا شجرة طوبى والهاء النار الهاوية والعرب تعبر ببعض الشيء عن كله، فكأن الله تعالى أقسم بالجنة والنار[٦] قال سعيد بن جبير: الطا إفتتاح اسمه طاهر وطيب، والهاء إفتتاح اسمه هادي،[٧] معناه أنا الطاهر وأنا الهادي. وقال الشعبي: هو سر القرآن[٨]. وقال بعضهم ﴿طه﴾ من فواتح السور[٩].

١١/أ

وقيل: معناه: قل يا طاهر يا هادي[١٠] ويقال: هذا خطاب للنبي ﷺ معناه: يا طاهراً من كل عيب ويا هادياً إلى كل خير[١١]، ويقال: معناه ويا طامعاً في شفاعة

---

(١) أخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق عكرمة مثله (١٦/١٠٢).

(٢) انظر قول الكلبي هذا عند البغوي (٣/٢١١). بلفظ: [علك] بدل [عكة].

(٣) اخرجه الثعلبي في المجلد الثالث من تفسيره (ق:١٤/ب)، وانظر: زاد المسير (٥/٢٩٦).

(٤) انظر: صحيح البخاري (٥/٢٣٨)، تفسير سورة طه ، وأخرجه الطبري.

(٥) أخرجه البغوي (٣/٢١١)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/أ).

(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٠/أ).

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/أ)، وأخرجه البغوي (٣/٢١١).

(٨) أخرجه البغوي (١/٤٤).

(٩) روي هذا القول عن الشعبي . انظر: تفسير البغوي (١/٤٤).

(١٠) ذكره القرطبي (١١/١٦٦).

(١١) انظر المصدر السابق.

أمتك ويا هادياً الخلق إلى الله[١].

ويقال أقسم الـله تعالى بطرب أهل الجنة وهو ان أهل النار[٢] فيها ، وسئل جعفر الصادق عن تفسير ﴿ طه ﴾ فقال أقسم الله تعالى بـطهارة أهل بيت محمد ﷺ [٣] ثم قرأ ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾[٤].

وقيل معناه: كأنه قال للنبي ﷺ يا طالب الخير ويا هادي الخلق إلى الخير[٥].

وقال بعض المتأخـرين: إن الطاء تسعةٌ في حسـاب الجمل والهاء خمـسةٌ فيكون أربعة عشر ومـعناه يا أيها البدر ﴿ مآ أنزلنا عليك القـرءان لتشقىٰ ﴾[٦]. وهو ركيكٌ جداً، وقيل: طا، طبل الغزاة، والهاء، هيبة الغزاة في قلوب الكافرين[٧] فكأن الله أقسم بصوت طبل الغزاة وهيبتهم على الكافرين[٨].

وفيـه ثلاث لغات، أحـدها: بفـتح الحـرفين[٩] جمـيعا، والأخـرى: إمالتهـما[١٠]،

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: زاد المسير (٥/٢٧٠).

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره المجلد الثالث (ق:١٥/أ)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/أ).

(٤) سورة الأحزاب آية ٣٣.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) حكاه الثعلبي في تفسيره ج٣ (ق:١٥/أ). وذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/أ). وفيه غرابه.

(٧) حكاه الثعلبي في تفسيره (ق:١٥/أ).

(٨) قال أبو جعـفر بن جرير الطبري (١٦/١٠٣): «والذي أولى بالصواب عندي من الأقـوال فيه، قول من قال معناه: يا رجل لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني، وأن معناها فيهم يا رجل» .أهـ.

(٩) قراءة الجمهور . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٣١).

(١٠) قرأ بهـا حمزة والكسائي وعـاصم وخلف. انظر: اتحاف فضلاء البـشر (٣٠٢)، والتيسـير للداني (١٥٠).

والثالث: فتح إحديهما[1] وإمالة[2] [الآخر][3] وقرأ ﴿ طه ﴾ [...][4] عكرمة: بفتح الطاء غير مشبع وتسكين الهاء[5] ولعله ذهب إلى أنه ههنا الوقف ﴿ **ما أنزلنا عليك القرءان لتشقى**﴾ لتتعب ﴿**إلا تذكرةً** ﴾ إلا عظةً ﴿ **لمن يخشى** ﴾ قال ابن عباس: لمن يسلم[6]، وقال غيره ﴿ **لمن يخشى**﴾ لمن يعلم أن هذا القرآن من عند الله ، وقال الحسين بن الفضل: فى الآية تقديمٌ وتأخيرٌ معناه: ما أنزلنا عليك القرءان إلا تذكرةً لمن يخشى[7]، ولأن لا تشقى، يعني لأن لا تتعب، وأصل الشقى في اللغة التعب وروى المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقيل له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: « أفلا أكون عبداً شكوراً»[8] فقال له جبريل: أبق على نفسك فإن لها عليك حقا ﴿ **تنزيلاً**﴾ نصب بدل من قوله: ﴿ **تذكرةً** ﴾ وقرأ أبو حيوة الشامى ﴿**تنزيل** ﴾ بالرفع[9]، ومعناه هذا التنزيل ﴿ **ممن خلق الأرض والسموت العلى** ﴾ يعني الرفيعة، يعني هذا القرآن تنزيلٌ من الله و ﴿ **العلى** ﴾ جمع العليا كقولك كبرى وكبر وصغرى وصغر.

---

(١) كذا في الأصل أحدهما.

(٢) قرأ بها أبو عمرو وورش، اتحاف فضلاء البشر (٣٠٢)، والتيسير للداني (١٥٠).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، والسياق يقتضي اثباته فأثبته.

(٤) في الأصل كلمة (قال) وهي زائدة لا معنى لها ولا يستقيم السياق بوجودها.

(٥) اتحاف الفضلاء (٣٠٢)، والبحر المحيط (٢٢٤/٦).

(٦) لم أقف على هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما في غير تنوير المقباس (١٩٤)، ومعلوم أن ذلك لا تصح نسبته لابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/أ)، والثعلبي (ق:١٥/أ)، والقرطبي (١٦٩/١١).

(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤/٣) كتاب التهجد بالليل، ومسلم (٢١٧١/٤) رقم الحديث (٢٨١٩) ولم ترد الزيادة التي ذكرها المؤلف من كلام جبريل في الحديث فيهما.

(٩) البحر المحيط (٢٢٥/٦).

قوله عزوجل: ﴿ الرحمـن على العرش استوى﴾ إعلم أن العلماء مختلفون فى تفسير هذه الآية على ثلاث طبقات بعضهم سكتوا عن تفسيرها وبعضهم فسروا فأخطأوا وبعضهم فسروا فأصابوا وسيدنا مالك بن أنس فسر هذه الآية فقال: الإستواء معلومٌ والكيفية مجهولةٌ والإيمان به واجبٌ والسؤال عنه بدعةٌ ولو عدت لهذا السؤال لأمرت بضرب عنقك][1].

وسئل الأوزاعي / عن تفسير هذه الآية الكريمة فقال: ﴿ الرحمن على العرش﴾ كما قال وإنى لأراك ضالا][2] وسئل إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن الإستواء أقائم هو أم قاعد؟ فقال لا يمل القيام حتى يقعد ولا القعود حتى يقوم وأنت إلى غير هذا السؤال أحوج[3] وقيل: هذه الآية من المتشابهات والتي عني[4] بقوله ﴿ وأخر متشبهت﴾[5]. ١١/ب

قال ابن عباس: في رواية الكلبي ومقاتل ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ يعني استقر[6].

قال أهل الحقائق: القرار إنما يكون في الدار وهاتان الصفتان لا تجوزان على الله

---

(١) ذكره بهذا اللفظ ابن حبيب (ق:١٨٠/أ)، ونقله البغوي (٢/١٦٥) بلفظ: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً ثم أمر به فأخرج.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/أ).

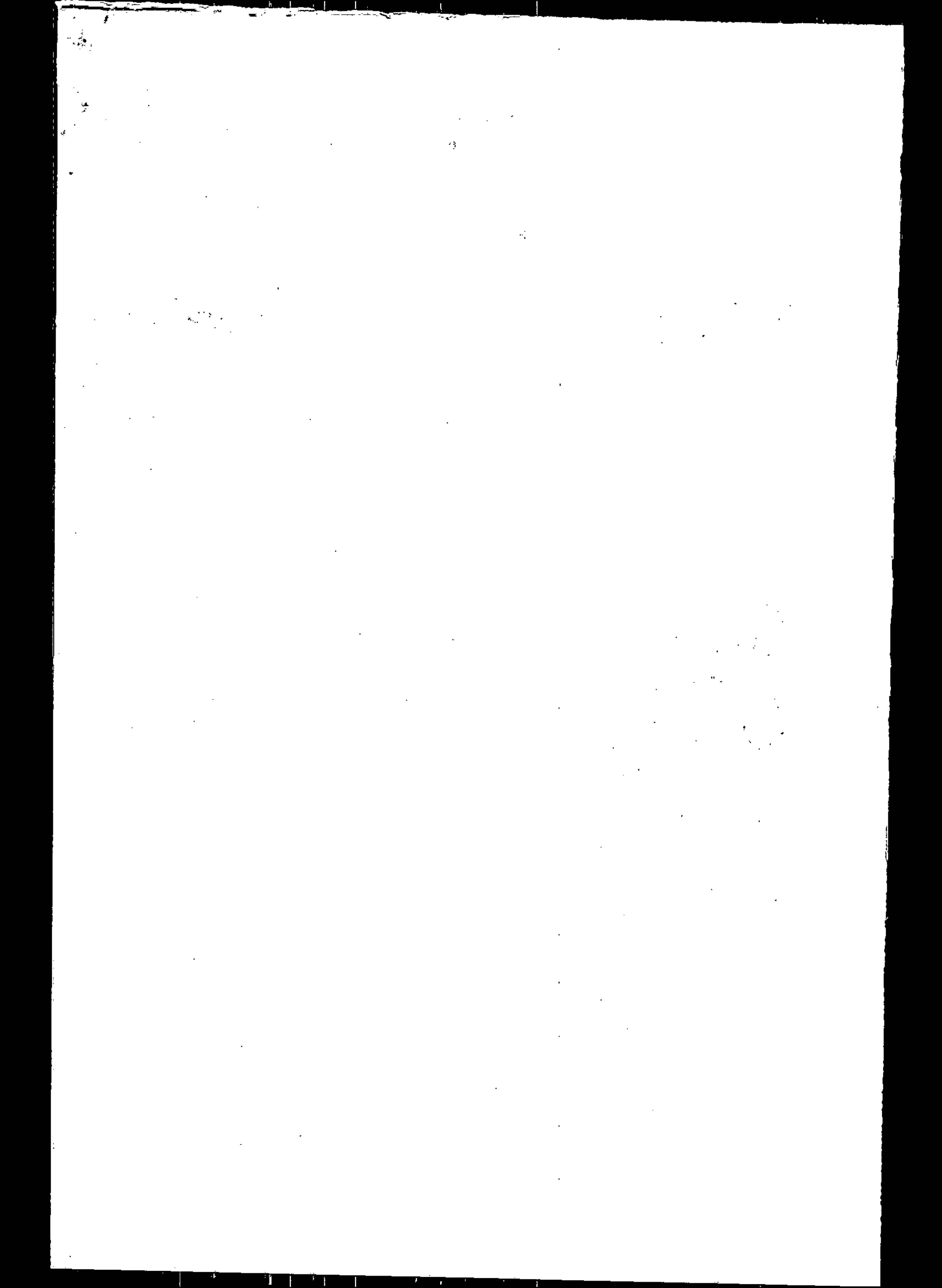
(٣) هو: اسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد بن راهويه المروزي ثقة حافظ مات سنة ٢٣٨هـ.

انظر: التقريب (١/٥٤).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/ب).

(٥) سورة آل عمران آية ٧.

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٣/٢١)، وانظر: تفسير البغوى (٢/١٦٥).



تعالـى(٥).

قالت المعتزلة: ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾ يعني استولى وقهر وغلب وملك وهذا أقبح من الأول لان الله تعالى مستول على الكونين جميعاً. وعلى الجنة والنار وأهلهما وأي فائدة في تخصيص العرش من بينهما باستيلائه عليه.

قال أبو عبيدة استوى يعني صعد[1] قال أهل الحقائق يوجب هذا هبوطا منه حتى صعد وهو منفي عن الله تعالى.

وقال بعضهم: الرحمن علا والعرش له استوى.

قال إسماعيل الضرير: وقائل هذا القول مخطئ من وجهين أحدهما: أنه جعل الصفة فعلا وهو عال وذلك أن مصاحف أهل الشام والعراق والحجاز ناطقةٌ بأن ﴿**على**﴾ ههنا حرف صفة وحرف خافض للأسماء ولو كان على ما قال لكان على بلام ألف فعلاً لا صفة كقوله تعالى: ﴿ **ولعلا بعضهم على بعض**﴾[2] و ﴿ **وإن فرعون علا فى الأرض**﴾[3] والآخر: أنه رفع العرش ولم يرفعه أحدٌ من القراء[4].

وقال بعضهم: ﴿ **الرحمن على العرش**﴾ تم الكلام ثم قال ﴿ **استوى له ما فى السموت وما فى الأرض**﴾ ومن قال بهذا أزال الآية عن سننها وهذا ركيك لأنه ما

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٢/أ)، والذي قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ أي علا (١٥/٢).

(٢) سورة المؤمنون آية ٩١.

(٣) سورة القصص آية ٤.

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٠/ب).

من أحدٍ من القراء يقف على قوله ﴿ الرحمن على العرش﴾.

وقال بعضهم: ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ إستعلى وفيه إيهامٌ أنه في جهةٍ دون جهةٍ وهذا لا يجوز على الله لأن الله خارجٌ عن الجهات(*) ، والعرش في اللغة السرير وليس العرش مكان الله تعالى وإنما أشار في الاستواء عليه ليدعي إليه والصواب ما قال الفراء والأشعرى(١) وجماعة من أهل المعانى أن معنى ﴿ **استوى**﴾ أى أقبل على خلق العرش(*) وعمد إلى خلق العرش فسماه إستواء كقوله عز وجل: ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهى دخان** ﴾(٢) أي قصد وعمد إلى خلق السماء فسمى بذلك إستواء.

كذلك هنا وهذا القول مرضي عند العلماء إذ ليس فيه تعطيل ولا تشبيه(*).

(١) أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن اسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى الأشعري، وإليه ينسب المذهب الأشعري كان معتزلياً ثم رجع عن إعتزاله وصار على مذهب أهل السنة والجماعة. مات سنة ٣٢٤هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨٥/١٥).

(٢) سورة فصلت آية ١١.

(*) ما قاله المؤلف رحمه الله حول معنى ﴿ استوى على العرش﴾ كلام مذموم لا يجوز القول به لأنه تأويل لظاهر النص، وهو خلاف الحق والصواب.

فقوله: إن العلماء مختلفون في تفسير هذه الآية، قلت: علماء السلف لم يختلفوا فيها، وإنما الخلاف فيها عند أهل البدع كالجهمية، والمعتزلة، ومن سلك طريقهم، أما أهل السنة فمتفقون على أن الاستواء على ظاهره كما قال الله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ سورة طه آية ٥ وقوله تعالى: ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ... ﴾ الآية ٥٤ الأعراف. والقول بأن هذه الآية من المتشابهات غير صحيح، بل هي من الواضحات عند أهل السنة، وإنما قال من المتشابهات بعض الأشاعرة المؤولة.

ومن قال بأن القرار إنما يكون في الدار ، وهاتان الصفتان لا تجوزان على الله تعالى، فكلامه هذا كلام باطل، وهو مشاقة لله جل وعلا، فهؤلاء يريدون أن ينفوا ما أثبته الله لنفسه في كتابه الكريم.

وقول المؤلف بأن الله خارج عن الجهات. قول باطل وتعطيل لما هو ثابت لظواهر النصوص =

قال الأشعري : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ أن على في هذه الآيـه بمعنى (في) كما قـال الله تعالى: ﴿ على ملك سليـمـن﴾[1] يعني في ملك سليـمان ومـعناه أحدث الله تعالى في العرش فـعلاً، فسماه إستواء كـما فعل فعلا فسماه فـضلاً ونعمةً قوله في سورة الحجرات ﴿ ولكن الله حبَّب إليكم الإيمــن وزينه فى قلوبكم وكره

الشرعية، لأن ظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الفوقية لله عزوجل.

قال تعالى: ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية﴾ الحاقة ١٧ ، وقـال تعالى: ﴿ يدبر الأمر من السـماء إلى الأرض ثـم يعرج إليـه فى يوم كـان مقـداره الف سنة مما تعـدون﴾ السـجدة ٥، فالنصوص في ذلك من الكتاب والسنة كثيرة فإثبات الفوقية لله جل وعلا واجب في الشرع، وجاء به الشرع وانبنى عليه، وإبطال هذه القاعدة إبطال للشرع.

وقوله: والصواب ما قـال الفراء والأشعري وجماعـة من أهل المعاني، أن معنى ﴿ استوى﴾ أي أقبل علي خلق العـرش، فـلا شك أن هذا خلاف الصـواب، لأن الصـواب: هو ما كـان عليـه أهل السنة والجماعة. وهو أن معنى: استوى على العرش أي ارتفع وعلا واستقر.

قال ابن القيـم في رده على الجهمية والفـلاسفة والمعتـزلة في تأويلهم معنى ﴿استوى﴾ بمعنى أقبل: «فـإن هذا لا يعرف في لغـة العرب قبل ولا غـيرها من الأمم أن من أقبل على الشيء يقـال استـوى عليه». وأبطله من وجوه كثيرة انظر: الصواعق المرسله (١/١٩١، ٢٩١).

وأبو الحسن الأشعري، إذا ثبت عنه هذا التأويل فإنه قد رجع عنه كما ثبت ذلك عنه.

انظر: مقالات الاسلاميين (٢٩٠ – ٢٩٧)، والإبانة (١١٩ وما بعدها).

وقول المؤلف: هذا الـقول مرضي عند العلمـاء إذ ليس فيـه تعطيل ولا تشبيـه، نقول بل هو الـتعطيل والتشبيه بعينه ولـم يرتضه أحد من سلف هذه الأمة.

وقد بين الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي معاني كلمة ﴿استوى﴾ التي وردت في القرآن فقال: ﴿استوى﴾ : ترد في القـرآن على ثلاثة مـعـان: فـتـارة لا تعـدى بالحرف. فـيكون مـعناها، الكـمـال والتـمـام، كـمـا في قـوله تعالى عن مـوسى ﴿ ولما بلغ أشـده واسـتـوى﴾ . وتارة بمعـنى «عــلا» و «ارتفع»، وذلك إذا عديت بـ«على» كقوله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ ، ﴿ لتسـتـووا على ظهوره﴾ ، وتارة تكون بمعنى «قصد» كما إذا عديت بــ«إلى» وضرب له مثلاً بقوله تعالى: ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسوىهن سبع سمـوت وهو بكل شىء عليم﴾ سورة البقرة ٢٩.

(١) سورة البقرة آية ١٠٢.

إليكم الكفر﴾ ثم قال ﴿ **فضلاً من الله ونعمةً** ﴾[1] فسمى التحبيب والتكريه فضلاً ونعمةً وقال ﴿ **إنا كنا مرسلين رحمةً من ربك** ﴾[2] على عباده فسمى إرسال الرسل رحمةً / [وقال][3] قولا فسماه رحمةً وفعل فعلا فسماه عدلا وفعل فعلا فسماه إتيانا. ١٢/أ

قوله تعالى: ﴿ **فأتى الله بنيـنهم من القواعد**﴾[4] فخرب الله بنيانهم. وقال: ﴿ **فأتـهم الله من حيث لم يحتسبوا**﴾[5] أي فعذبهم الله، فكما أن التخريب والتعذيب سماها إتيانا فكذلك أحدث فعلا بالعرش سماه إستواء وهذا قول صحيحٌ مرضيٌ عند العلماء[6] والمتكلمين بحيث لا يدخل فيه التشبيه والتعطيل وللعرش خصوصيةٌ لم يكن لغيره من مخلوقاته وذلك أنه أول خلق خلقه الله وأعظم خلق من خلق الله، وذلك أن الله تعالى لما خلق العرش خلق له سبعين ألف مشرفةٍ في كل مشرفةٍ عالمٌ مثل الدنيا بأسرها، وأن الملائكة من الحافين لما نظروا فيه رأوا ما فعل ابن آدم في الأرض، وأن العرش عالٍ على الخلق كله. وأنه موضع عبادة لا يعصى فيه

---

(١) سورة الحجرات آية ٧، ٨.

(٢) سورة الدخان آية ٥، ٦.

(٣) في الأصل: [وقول قولاً] وهو خطأ تم تصويبه.

(٤) سورة النحل آية ٢٦، وسياق الآية والقرائن الحافة بها تعين المعنى وتبينه، وقد علم أن الله مستو على عرشه، وهو لا يأتي من سيسان الحيطان تعالى الله وتقدس، وإنما أتاهم عذابه وهذا هو ظاهر الآية. وكذلك قوله: ﴿ **فأتـهم الله من حيث لم يحتسبوا**﴾، فإن هذه الآية في بني النضير الذين سلط الله عليهم رسوله ﷺ وجنده فقذف في قلوبهم الرعب، فصاروا يخربون بيوتهم بأيديهم فسياق الآية واضح بأن الله لم يأتي بنفسه.

(٥) سورة الحشر آية ٢.

(٦) بل هذا قول فاسد عند العلماء.

طرفة عين، وأنه ملجأ المطيعين من الملائكة المقربين وأنه موضع مناجاة النبي ﷺ مع الله وأنه درجة الوسيلة المتصلة به وأن ظل العرش محيط بالجنة وأن الله قد أعطى العرش من النور ما لم يعط أحداً من المخلوقين حتى أن نور العرش تجلى للجبل مقدار ما يخرج من الخاتم فصار الجبل دكاً وخر موسى صعقا(١).

قوله تعالى: ﴿ له ما في السموٰت وما في الأرض﴾ من طريق الخلق والملك والإستدلال ﴿ وما بينهما ﴾ يعني ما بين السماء والأرض من العجائب ﴿ وما تحت الثرى﴾ قال ابن عباس: هو التراب الندي(٢) فلم يظهر الله لأحدٍ ما في تحت الثرى.

قالَ الأستاذ إسماعيل الضرير: تقول العرب: شهرٌ ثريٌ وشهرٌ نديٌ وشهرٌ مرعيٌ إذا كان فيه المطر والثري منتهى علم خلق الله وهو التراب الندي وهو أسفل كل شيءٍ خلقه الله مما انتهى إليه علم الآدميين وفوقه النار وفوقها التراب الندي وفوقها الماء وفوقها الحوت وفوقه الثور وفوقه الصخرة وفوقها الياقوتة وفوقها الملك الذى تعلق بجانبي الأرض وفوقه الأرض السابعه يقال له عجيبا وفيها أبليس وفيها الأرض السادسة. يقال لها السجين وفيها دواوين الكفار وفوقها الأرض الخامسة يقال لها ملث وفيها حجارة الكبريت التي يعذب به الكفار يوم القيامة وفوقها الأرض الرابعة يقال لها خرساء وفيها جبال أهل النار وفوقها الأرض الثالثة يقال لها عرفه وفيها لظى أهل النار وفوقها الأرض الثانية يقال لها خلدة وفيها عقارب أهل النار وفيها الريح العقيم وفوقها الأرض السابعة(٣) يقال لها الرملكا وفيها العالم وفوقها هواء

(١) هذا القول لا أصل له، إذ هذا بحاجة في اثباته إلى دليل، وأنى له ذلك، فإن الأدلة تدل على بطلانه.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق: ١٨٠/ب)، وقال بمثله البغوي دون عزو (٢١٢/٣).

(٣) كذا في الأصل والصواب [الأولى] لأنه سبق أن ذكر الأرض السابعة والسياق يقتضي إثبات ما ذكرته.

وفوق الهواء بحر مكفوف الأمواج وفوقه سماء الدنيا وهي من زمردة خضراء واسمها رقيعا وفيها ملائكةٌ على صور الثيران ورئيسهم ملكٌ يقال له إسماعيل، طعامهم التسبيح وشرابهم التهليل يذكرون الله إلى يوم القيامة وفوقها السماء الثانية وهي من فضةٍ بيضاءٍ اسمها أرقلون وفيها ملائكةٌ على صور العقبان ورئيسهم ملكٌ يقال له قيايل / وفعلهم القيام مذ خلقهم الله إلى يوم القيامة وفوقها السماء الثالثة وهي ١٢/ب من ياقوتهٍ حمراءٍ واسمها زيلوم وفيها ملائكة على صور النسور ورئيسهم ملكٌ يقال له كولب يأليل وفعلهم الركوع منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة وفوقها السماء الرابعة- وهي من درةٍ بيضاءٍ واسمها ناعوت وفيها ملائكةٌ ... على صور الخيل المسومة ورئيسهم ملكٌ يقال له مؤمن يأليل وفعلهم السجود منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة وفوقها السماء الخامسة وهي من ذهب أحمر واسمها وتبا وفيها ملائكة على صور حور عين ورئيسهم ملكٌ يقال له سقطيا ليل يبكون من مخافة الله يقال لهم ...[1] وفوقها السماء السادسة وهي من ياقوتةٍ صفراءٍ واسمها رقيا وفيها ملائكةٌ على صور الغلمان ترتعد مفاصلهم من مخافة الله ورئيسهم ملك يقال له روعي ليل وفوقها السماء السابعة وهيَ نور يتلألأ واسمها غريبا وفيها ملائكة على صور بني آدم ورئيسهم ملك يقال له نؤياليل يستغفرون للمؤمنين كما قال الله ﴿**ويستغفرون لمن في الأرض**﴾ وفوقها بحر الحيوان وفوقه بحر الغمام وفوقه بحر الأنعام وفوقه بحر الحجب وفوقه بحر الهوام وفوقه بحر الظلمة وفوقه بحر الغوث وفوقه الشمس وفوقه القمر وفوقه التسنيم وفوقه الحمد وفوقه الخضوع وفوقه الرياض وفوقه الجبل وفوقه الرق المنشور وفوقه البحر المسجور وفوقه سبعون ألف حجاب من شمس وفوقه سبعون ألف حجاب من القمر وفوقه سبعون ألف حجاب من نور وفوقه سبعون ألف

(١) كلمة غير واضحه في الأصل.

تل وفوقه سبعون ألف جبل وفوقه سبعون ألف لواء من نور تحت كل لواء سبعون ألف صف من الملائكة كل صف خمسمائه ألف ملك وفوقه سبعون الف حجاب من حديد وفوقه سبعون ألف حجاب من ثلج وفوقه سبعون ألف حجاب من ريح وفوقه سبعون ألف حجاب من الزمرد وفوقه سبعون ألف حجاب من يواقيت وفوقه سبعون ألف حجاب من ذهب وفوقه سبعون ألف حجاب من فضه وفوقه سدرة المنتهى وفوقها لواء الحمد وفوقه حجاب من لؤلؤ وفوقه حجاب من الحمد وفوقه حجاب من الرضوان وفوقه حجاب من الجبروت وفوقه حجاب من مسك وفوقه حجاب من عنبر وفوقه حجاب من بحر وفوقه الكرسي وفوقه العرش والعرش عالى جميع ما خلق الله تعالى فهذا معنى قوله تعالى ﴿**له ما فى السموٰت وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**﴾[1] .

قوله عزوجل: ﴿**وإن تجهر بالقول**﴾ يعني ترفع صوتك والجهر ضد الإخفاء ﴿**فإنه يعلم السر وأخفى**﴾ هذه الفاء جواب الشرط.

قال أبو بكر بن عبدوش: ﴿ **وإن تجهر بالقول**﴾ معناه ولم تجهر بالقول فإنه يسمعه لأنه يعلم السر وأخفى[2] واختلفوا في تفسير قوله ﴿ **السر وأخفى**﴾ .

قال ابن عباس: السر ما أسررت بينك وبين العباد، والأخفى ما تحدث به نفسك[3].

---

(١) يلاحظ أن المؤلف رحمه الله في تفسيره جعل هذه الخرافات تفسيراً لكلام الله عزوجل، وهذا من الخطأ إذ لا يجوز إثبات شيء من أمور الغيب إلا بدليل، وأكثر ما ذكر تحيله العقول فهي أخبار وأقاصيص متكلفة لا دليل عليها.

(٢) لم أقف على توثيقه لعدم توفر المصدر اللازم لذلك.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/ب).

قال ابن كيسان: السر ما تحدثت به نفسك وتفكرت فيه / وأخفى من السر ما لم يخطر ببالك وعلم الله أن نفسك تحدث به[1]. ١٣/أ

وقال الضحاك: السر ما أسررت به بينك وبين العباد والأخفى ما لم تعلمه [و] أنت عالمه في المستقبل[2].

وقيل: السر ما أضمرت بقولك والأخفى ما لم تضمر به تفسير الآية قوله **﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾**[3] ومجاز الآيه استوى علم الله بالسر والعلانية كما استوى علمه بالليل والنهار نظيره قوله: **﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور﴾**[4] **﴿الله لا إله إلا هو﴾** يعني لا خالق ولا رازق ولا مالك إلا هو[5] **﴿ له الأسماء الحسنى﴾** فادعوه بها يعني بأسمائه، ياالله يا رحمن يارحيم إلى آخر أسماء الله جل وعلا.

وخرج الحسنى مخرج التوحيد لإنه صفة جماعة مؤنثة وهو الأسماء والجماعة المؤنثة توصف بصفة الواحد المؤنث كما قال تعالى **﴿ حدائق ذات بهجة﴾**[6] وقال:

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: قول الضحاك عند ابن كثير (٢٦٩/٥) بلفظ: «السر: ما تحدث به نفسك وأخفى: ما لم تحدث به نفسك بعد»

(٣) سورة الرعد آية ١٠.

(٤) سورة الملك آية ١٣.

(٥) هذا التفسير لا يصح لغةً ومعنىً، وذلك أن الإله هو المألوه، الذي يؤله ويعبد، وأما الخلق والرزق فمن لازم ذلك لأنه لا يجوز أن يعبد من لا يخلق ولا يرزق.

(٦) سورة النمل آية ٦٠.

﴿ ولي فيها مئارب أخرىٰ﴾[١] وقال ﴿ لنريك من ءايـٰتنا الكبرى﴾[٢].

قصة موسى عليه السلام. قوله عزوجل: ﴿ وهل أتـٰك حديث موسىٰ﴾ وإنما ذكر قصة موسى عقيب قصة النبي ﷺ لأن موسى عليه السلام لقي من قومه أذى كما لقي النبي ﷺ من قومه أذىً وقال اصبر على أذى قومك يا محمد كما صبر موسى على أذى قومه ﴿ وهل أتـٰك حديث موسىٰ﴾ هذا استفهام إثبات وانجاز ومجازه، أليس قد أتاك ، وقال أهل التفسير : ﴿وهل أتـٰك﴾ أي وقد أتاك[٣] على الإستفهام.

وفي مصحف أُبي وقد أتاك على التفسير[٤]. وقال الدينوري[٥]: معناه ما آتاك ثم أتاك[٦] وكل ما في القرآن ﴿هل﴾ فعلى هذا هل أتاك يا محمد حديث موسى ﴿إذ رءا ناراً﴾ وهو ليلة الجمعة ، وقال وهب بن منبه: وذلك أن موسى صلى الله عليه وسلم إستأذن شعيبا عليهما السلام في الرجوع إلى والدته، وكانت والدته بمصر، وكان من مدين إلى مصر ثمان مراحل، وقال بعضهم عشر مراحل فأذن له شعيب في الرجوع فخرج بأهله فولد له ابن في الطريق وهو في مفازة في ليلة مظلمة شتائية مثلجة وهي ليلة الجمعة فقدح موسى النار فلم تور المقدحة شيئا فبينما هو كذلك إذ أبصر ناراً من بعيد ﴿ فقال ﴾ موسى ﴿ لأهله امكثوا إني ءانست ناراً﴾ أي أبصرت ورأيت ﴿ ناراً

---

(١) سورة طه آية ١٨.

(٢) سورة طه آية ٢٣.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٢/ب).

(٤) ذكره صاحب البحر المحيط (٦/٢٢٩) دون عزو.

(٥) هو: أبو محمد عبدالله بن محمد بن وهب بن بشر بن صالح الدينوري. وقيل: اسمه عبدالله بن المبارك الدينوري عالم حافظ محدث ومفسر له كتاب الواضح في التفسير مات سنة (٣١٠هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٤٠٠).

(٦) انظر: تفسيره الواضح مخطوط (ق:٨/أ).

لعلي ءاتيكم منها﴾ من النار **﴿ بقبس ﴾** والقبس عود فيه مشعلة من نار **﴿ أو أجد على النار هدى﴾**[١] معناه: أو أجد على النار أحدا يرشدني على الطريق لأن موسى ضل الطريق في ذلك الوقت و**﴿على﴾** يكون بمعنى عند في هذا القول، وقال قتادة: معناه : أو أجد من يرشدني على النار[٢] .

﴿ فلمآ أتىٰها﴾ قال ابن عباس: رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلها كأنها نار تتوقد فحسبها ناراً فقصدها مقتبساً فلم يمكنه ، وظن أنها تقع فيه فقام متحيراً فبينما هو في ذلك سمع نداءاً **﴿ نودى يموسى ﴾** فقال موسى من ينادي قال الله **﴿إنى أنا ربك فاخلع نعليك﴾**[٣] .

وقال بعضهم : إني أنا ربك كرر إني وأنا للتأكيد[٤].

وقال أهل الحقائق: إني وأنا وأنني معناها واحد والفائدة في التكرار أن قوله إني دليل على وحدانية وربوبيته / وإثبات الإلهية لنفسه[٥]. وقوله **﴿أنا﴾** ينفي الإلهية عن فرعون وغيره ونفي من سواه من المعبودين ونظيره **﴿ إننى أنا الله لا إلـٰه إلا أنا﴾**[٦] كذلك في قصة النبي ﷺ حين قال له **﴿ وقل إنى أنا النذير المبين﴾**[٧] ففي قوله إني إثبات النبوة للنبي ﷺ وفي قوله أنا نفي النبوة عن مسيلمة الكذاب وغيره.

١٣/ب

---

(١) ذكر رواية وهب هذه كل من ابن حبيب (ق:١٨٠/ب)، والثعلبي (ق:١٥/ب، ١٦/أ)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/٢٧٢). كما نقلها في تفسيره البغوي دون عزو (٣/٢١٢، ٢١٣).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/ب)، والثعلبي (ق:١٦/أ).

(٤) ذكره الثعلبي (ق:١٦/أ).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٠/ب).

(٦) سورة طه آية ١٤.

(٧) سورة الحجر آية ٩٠.

﴿ **فاخلع نعليك**﴾ والخلع نزع ملبوس يقال خلع نعليه وخلع ثوبه وخلع خفيه ولا يقال خلع المسمار لأنه غير ملبوس وإنما أمر الله موسى بخلع نعليه لتصل بركة تلك التربة إلى قدميه لأنها قدست مرتين والحفوة من أمارات التواضع وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت .

قال ابن عباس : إنما أمره بخلع نعليه لأنه كان من جلد حمار غير ذكي(١)، قال الضحاك ومقاتل: لأنه من جلد حمار ميت(٢)، قال السدي وقتادة: من جلد غير مدبوغ(٣)، وقال بعض المتأخرين فرّغ قلبك من شغل الأهل والولد حتى تسمع كلامي حق السماع. قالوا وهو في التعبير كذلك أن من رأي أن عليه نعلين وهو عزب فإنه يتزوج وإن كان متأهلاً يتزوج بزوجة أخرى(٤).

وقال بعضهم: معنا: أترك همتيك همة الدنيا وهمة العقبى حتى تسمع كلامي حق السماع وأراد بالنعلين في هذه الهمتين(٥).

وقال بعضهم : الحكمة في أن الله تعالى أمره بخلع النعلين وإلقاء العصا لأنه لم

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق: ١٨١/أ). ولم أقف عليه عند ابن عباس رضي الله عنهما عند غير ابن حبيب.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق: ١٨١/أ). وانظر: تفسير مقاتل (٢٢/٣).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق: ١٨١/أ). وقد رجح ابن جرير الطبري (١٠٩/١٦): القول بأن موسى عليه السلام أمره الله بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي إذ كان وادياً مقدساً، وقال: لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة. وأن في قوله تعالى إنك بالوادي المقدس بعقبه دليلاً واضحاً على أنه إنما أمره بخلعهما كما ذكرنا.

(٤) ذكره ابن حبيب هكذا قال بعض المتأخرين دون أن يسميهم (ق: ١٨١/أ). وعلى كلٍ فهو من اشارات الصوفية الممقوته في التفسير.

(٥) هذا القول والذى يليه من خزعبلات الصوفيه التى ما فتيا المؤلف رحمه الله بحشو بها تفسيره هذا والله المستعان.

يكن معه شيء من أسباب الدنيا إلا هذين فأراد الله أن يتركهما ليكون قلبه ونفسه مفروغاً من أسباب الدنيا إلى المناجات.

وروي عن الفضيل بن عياض أنه قال كن لما لا ترجو أرجا منك لما ترجو فإن موسى ذهب يقتبس النار فكلمه الملك الجبار[١] ﴿إنك بالواد المقدس طوى﴾ .

قال ابن عباس: ﴿المقدس﴾ المطهر من الشرك[٢].

قال الحسن: سمي الوادي المقدس لأنه قدس وبورك مرتين[٣]. وقيل المقدس المبارك .

قال ابن عباس: ﴿طوى﴾ اسم الوادي[٤]. وإنما سمي بالوادي طوى لأنها قد طواها الأنبياء أي مسيرهم فيها وقرأ عكرمه: طوى بكسر الطاء[٥] ﴿وأنا اخترتك﴾ يعني لنبوتي ورسالتي تفسيره قوله تعالى: ﴿يـموسى إنى اصطفيتك على الناس برسلتى وبكلمى﴾[٦] .

﴿فاستمع لما يوحى﴾ وقيل: فاعمل بما تؤمر ﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا﴾ لا خالق ولا رازق ولا معبود إلا أنا ﴿فاعبدنى﴾ قال ابن عباس : فوحدني[٧]. وقيل:

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨١/أ).

(٢) لم أقف عليه بهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما والذي وقفت عليه عند ابن جرير الطبري هو تفسير المقدس بالمبارك (١٦/١١٠). وفسره البغوي بالمطهر دون عزو (٣/٢١٣). وكذا الراغب في مفرداته (٥٩٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/١١٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٦/١١١).

(٥) انظر قراءة عكرمه في: تفسير القرطبي (١١/١٧٥) وهي قراءة شاذة.

(٦) سورة الاعراف آية ١٤٤.

(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٨١/أ).

فأطعني ﴿ وأقم الصلوٰة لذكرى﴾ قال مجاهد: معناه أقم الصلاه لتذكرني فيها[1]. وقال مجاهد: معناه إذا تركت الصلاة ثم ذكرتها فأقمها[2]. وقيل: فأقم الصلاة لتذكر فيها التسبيح والتعظيم.

وقيل: وأقم الصلاة لتذكر فيها الثناء والمدح ﴿ إن الساعة ءاتية﴾ يعني أن قيام الساعه كائن ﴿ أكاد أخفيها ﴾ وأكاد صله ومعناه أن الساعة آتيه ﴿أخفيها ﴾ أي لا أظهرها ومعنى كاد أن يقرب من الفعل / ولم يفعل ومعناه أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها والفائدة في الإخفاء التهويل والفظاعة وروي عن سعيد بن جبير أخفيها بفتح الألف[3] اي أظهرها والفعل منه خفى يخفي خفيا فهو خاف إذا أظهر ﴿لتجزىٰ كل نفس﴾ برة أو فاجرة ﴿ بما تسعى﴾ بما عملت من خير أو شر . ١٤/أ

قال الأخفش: وها هنا مسألة سئل عنها وذلك أن السائل قال أي فائدة في أخفيها[4] ؟ قلنا ليس مجاز الآية ومعناها ما ذهبت وإنما المعنى أكاد أخفيها عمن يجيء إلى يوم القيامة لأن الله أخفاها على الأمم السالفة وأخفاها على المخاطبين بالآية في عصر رسول الله ﷺ ووعد بأن يخفيها على من يأتي كما أخفاها على الماضين .

﴿ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها﴾ معناه ﴿ فلا يصدنك ﴾ يردنك عن

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨١/أ) ، وابن كثير بلفظ: [وقيل] (٥/٢٧١).

(٢) لم أقف عليه عن مجاهد والذى أخرجه الطبري عنه بلفظ: إذا صلى ذكر ربه (١٦/١١٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٦/١١٤)، وقال الطبري: والذي هو أولى بتأويل الآية من القول قول من قال معناه أكاد أخفيها من نفسي لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء، والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلاً مستفيضاً.
وانظر: البحر المحيط (٦/٢٣٢)، ومعاني القرآن للفراء (٢/١٧٦).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٨١/أ).

الإقرار بالساعة ﴿ من لا يؤمن بها﴾ يعني من لا يؤمن بالساعة وهذا الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره[1] وهو نهي على الغائب ﴿ واتبع هوٰه ﴾ يعني هوى نفسه ﴿فتردىٰ﴾ فتهلك تقول العرب: ردى يردى ردى فهو راد إذا هلك وأردي إرداءً إذا أهلكه .

﴿ وما تلك بيمنك يٰموسىٰ﴾ هذا استفهام تحقيق وتقرير لأن موسى لم يكن يعلم ما في العصا من العبر والعجائب والاستفهام على ضربين استفهام تقرير واستفهام تفهيم وهاهنا استفهام تقرير لأن الله تعالى سأل موسى ليقرر عنده أمر العصا حتى تصير ثعبانا علم تلك معجزة له على نبوته ولم يسئل حتى يعلم لأن الله تعالى عالم بموسى والعصا وما في العصا من العبر والعجائب .

وقال بعضهم : إنما قيل باليمين ولم يقل وما تلك بيدك يا موسى لأن في اليد اليسرى خاتم وفي اليمنى عصا فلو قال وما تلك بيدك يا موسى لاشتبه عليه الخاتم يريد أم عصا[2] ؟ فقيل باليمنى ولم يقل بيدك حتى علم أنه عصا.

﴿قال هى عصاى﴾ قال مقاتل: كان اسم عصا نبعة وكانت من آس الجنة من شجرة يقال لها العليق[3].

قال الضحاك: ناول جبريل موس العصا[4] .

قال ابن عباس: كانت عصا على رأسها شعبتان وفي أسفلها سنان[5].

(١) قال ابن كثير رحمه الله (٥/٢٧٣): المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين، أي لا تتبعوا من كذب بالساعة وأقبل على ملاذة في دنياه ... الخ.

(٢) كذا في الأصل بدون الف ولام. والأولى أن تكون معرفة [العصا] كالخاتم.

(٣) حكاه ابن حبيب في تفسيره (ق:١٨١/أ)، وأخرجه البغوي (٣/٢١٤).

(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨١/أ).

(٥) انظر: المصدر السابق. وقال بمثله البغوي (٣/٢١٤).

وقال بعضهم: طولها سبعة أذرع وطول موسى عشرة أذرع.

قال الضحاك: عشرة أذرع على قدر موسى.

وقال بعضهم: كانت عصا آدم أخذه من شعيب النبيﷺ وذلك أنه لما خرج من مدين فبعثه شعيب إلى البيت ليأخذ عصا وكان فيه عصي كثيرة فأخذ عصا آدم فقال له شعيب رد إلى مكانه وخذ آخر فرد إلى مكانه فإختلط بعضها ببعض وأخذ واحده فكانت تلك العصا بعينها حتى فعله ثلاث مرات فقال له شعيب إحفظه لعل الله أن يجعل لك فيها خيراً[١] فذلك قوله تعالى ﴿**قال هي عصاي أتوكـؤا عليها**﴾ قال ابن عباس: إنما فتحت الياء لأنها جاءت بعد ألف ساكنه/ وكذلك ﴿ **محياي**[٢]﴾ ﴿**وهدى**﴾.[٣] ١٤/ب

---

(١) هذا تكلف ليس عليه دليل، والظاهر أن عصا موسى عليه السلام كسائر العصي، وأنها معه قبل ذلك، وشعيب الذي استأجر موسى ليس بشعيب النبي عليه السلام.

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسيره: (١٩/٦): وهذا الرجل أبو المرأتين ، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا ، قول لم يدل عليه دليل. وغاية ما يكون ، أن شعيباً عليه السلام، قد كانت بلده مدين ، وهذه القضية، جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟ وأيضاً، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟!.

وذكر رحمه الله عدداً من القرائن الدالة بعد احتمال أن يكون صاحب موسى هو النبي شعيب عليه السلام.

(٢) سورة الانعام آية ١٦٢ وتمام الآية : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العلمين**﴾. وقراءة الجمهور بفتح الياء. انظر: التذكرة لابن غلبون (٤١٥/٢).

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدىً فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ سورة البقرة آية ٣٨. وأيضاً جزء من آية ١٢٣ سورة طه.

﴿أتوكؤا عليها﴾ قال ابن عباس: اعتمد عليها[١] قال عطاء: أستند عليها[٢]. قال الضحاك: أحمل الزاد عليها[٣] ﴿وأهش بها على غنمي﴾ قال ابن عباس ومقاتل وقتادة: يعني أخبط بها الورق من رؤوس الأشجار لأغنامي[٤] لأنها كانت صغاراً لا تتناول الورق وقرأ عكرمه ﴿وأهس﴾ بالسين غير المعجمه[٥]. وقال أهل المعاني: هو زجر الغنم وذلك أن العرب تقول هس هس[٦]..

قال النضر بن شميل[٧]: سألت الخليل بن أحمد عن قول عكرمه وأهس بالسين فقال: العرب تعاقب بين الشين والسين في كثير من الكلام فمنها قولهم سمت العاطس وشمته وسن عليه الدرع وشن إذا صبها على نفسه ومنها الوسم والوشم وهو الختم الذي تختم به الأكداس والأبواب من الطين[٨].

قال الأعشى: يصف دن خمر:

وقابلها أريح في دنها ... وصلى على دنها وارتسم[٩]

---

(١) ذكره ابن حبيب عن ابن عباس رضي الله عنهما (ق:١٨١/أ). وقال بمثله البغوي دون عزو (٢١٤/٣).

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨١/أ).

(٣) لم أقف على قول الضحاك هذا عند أحد من المفسرين وعند البغوي مثله منسوب لابن عباس (٢١٥/٣).

(٤) أخرج قول قتادة ابن جرير الطبري (١١٧/١٦). وانظر قول مقاتل في تفسيره (٢٤/٣) وذكر الأقوال الثلاثة ابن حبيب (ق:١٨١/ب).

(٥) هذه قراءة شاذة منسوبة إلى عكرمة والحسن. انظر: تفسير البغوي (٢١٤/٣)، والبحر المحيط (٢٣٤/٦)، والماوردي (٣٩٩/٣).

(٦) انظر: تفسير الثعلبي (ق:١٦/ب).

(٧) النضر بن شميل بن خرشه بن زيد المازني التميمي أبو الحسن أحد الاعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث، وفقه اللغة ولد بمرو وانتقل إلى البصرة له عدة مؤلفات منها المعاني وغريب الحديث. مات سنة (٢٠٣هـ). انظر: الأعلام (٣٣/٨).

(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٨١/ب).

(٩) انظر : ديوان الأعشى (٨٥)، والبيت من قصيدة طويلة يمدح فيها قيس بن معد يكرب.

أى ختم والمراد ختمها ودعا لها بالبركه.

﴿ ولى فيهـا مئارب أخرى﴾ أي حوائج شـتى وكان حـقها أن يقـول أُخر لأن المآرب جمع وأخرى واحدة ولكنه اجراها على رؤس الآي .

قال أبو الجـوزاء نصر بن عمران الضـبعي[1]: سألت ابن عـباس عن قـول موسى ﴿ولى فيها مئارب أخرى﴾ قال كان موسى يعلق عليهـا زاده فجعلت تماشيه وتحادثه وكان يظهر على شعبتيها كالشمعتين بالليل تضئ له فلا يحتاج إلى شمع وسراج وإذا ظهر عدو حـاربته وناضلت عنه يعني رمت عنه السـهم وإذا أراد الإستسقاء مـن البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي وإذا إشتهى ثمره من الثمار ركزها فـي الأرض فتغصنت غصن تلك الشجـرة وأورقت ورقها وأثمرت ثمرها[2].

---

(١) هكذا كناه ابن حبيب في تفسيره (ق:١٨١/ب) بأبي الجوزاء وتابعه المؤلف على ذلك وفي تهذيب التهـذيب (٤٣١/١٠): يكنى بأبي جـمرة بالجيم . واسـمه: نصـر بن عمـران بن عصام وقـيل: ابن عاصم بن واسع الضبـعي البصري روى عن أبيه وابن عبـاس وابن عمر وغيرهم قـيل ثقة ثبت وقال ابن عبدالبر أجمعوا على أنه ثقة.

(٢) هذا الأثر عن ابن عبـاس رضي الله عنهما ذكـره ابن حبيب (ق:١٨١/ب)، والبـغوي (٢١٥/٣)، والثعلبي (ق:١٧/أ).

قال الحـافظ ابن كثيـر رحمه الله (٢٧٣/٥): وقـد تكلف بعضهم لذكـر شيء من تلك المآرب التي أبهمت فقـيل: كانت تضيء بالليل وتحرس له الغنم إذا نام ويغرسهـا فتصير شجـرة تظله وغير ذلك من الأمـور الخـارقـة للعـادة والظاهر أنهـا لم تكـن كذلـك، ولو كـانت كـذلك لما استـنكر مـوسى صيـرورتها ثعبـاناً فـما كان يفـر منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخـبار الأسـرائيلية، وكـذا قول بعضهم: إنها كانت لآدم عليه السلام.

وقول الآخر: إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامه.

وقيل أن موسى كان يضرب بعصاه الأرض فيخرج منها ما يأكل يومه وكانت تقيه الهوام والسباع بإذن الله.

قال أبو بكر بن فورك: إذا ضاق قلبه في المفاوز صارت مرآه فينظر فيها فيرى جميع أهل البلدان وما يعملون فيها وقيل: صارت مرآه إذا نظر فيها رأى من المشرق إلى المغرب وقيل :كان إذا أعيا موسى في الطريق صارت دابة يركبها فجعلت تسير به كسير الدواب وإذا نزل عنها صارت عصا كما كانت وإذا أظلم عليه الليل أضاءت له بضوء الشمس وإذا أقام موسى صارت تحرسه وإذا وقعت الشمس على موسى صارت له مظله تقيه حر الشمس[1] وقيل: كان له فيها مائة حاجة.

ولمحمد بن على الترمذي[2] تصنيف في شرح قوله تعالى ﴿ **ولى فيها مئارب أخرى** ﴾ وقيل: أن موسى إذا ضاق صدره في وحدته كلمته العصا ليستأنس بها وقيل: كان إذا أذته الذباب صارت العصا مذبة تذب عنه/ وقيل: أن موسى كان إذا إشتاق إلى أهله وغيرهم من الأصدقاء في المفازة صارت العصا مرآة له حتى يبصر فيها ماغاب عنه. ١٥/أ

وقيل: كان موسى إذا جنه الليل ونام صارت العصا خفيرة حول غنمه حتى يصبح وإذا قصده عدوه قاتلت دونه، وفي القصة أن موسى كان عند فرعون في بعض الليالي ثم رجع إلى منزله فبعث فرعون خلفه ستة نفر ليقتلوه فأبطؤا على

---

(١) كل هذا ضرب من الهذيان الذي لا يستند إلى أثارة من علم، والواجب تنزيه التفسير من مثل ذلك صيانة لعقول الناس وأفكارهم.

(٢) هو: محمد بن على بن الحسن بن بشير الحكيم الترمذي أبو عبدالله، محدث صوفي سمع بخراسان والعراق وقدم نيسابور وحدث بها قيل: من تصانيفه: الأكياس والمغترين، ورياضة النفس والكسب وكلها في التصوف كان حياً (٣١٨هـ).
انظر: معجم المؤلفين (١٠/٣١٥)، والرسالة القشيرية (٤٠).

فرعون فبعث إليهم من يتعرف عليهم فإذا هو بالنفر صرعى مقتولين وكان موسى نائما لم يشعر به وقد قتلتهم العصا دون موسى عليه السلام وإنما اقتصر موسى على ثلاثة أجوبة لأن من الأدب أن لا يتكلم بين يدي الملوك أكثر من ثلاثة[1] .

﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿ **ألقها يـٰموسىٰ فألقـٰها فإذا هي حية تسعى**﴾ قال ابن عباس: صارت حيه صفراء لها عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى تصير ثعبانا وهي شبه البختيه وأكبر ما يكون من الحيات[2] وهي تعدو فاغرة فاها تبتلع كل ما تمر من الشجر والحجر فخاف موسى فولى هاربا .

﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿ **خذها ولا تخف**﴾ فرجع موسى ليأخذها فأدخل يده في فيها وقبض عليها فإذا هي شعبة عصاه وصارت عصا كما كانت فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ **سنعيدها سيرتها الأولىٰ**﴾ يعني إلى حالتها وهيأتها الأولى فصارت كما كانت قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: سنعيدها إلى سيرتها الأولى[3]، وقال غيره سنعيدها كسيرتها الأولى[4]، وقال أبو هاشم[5] كسيرتها الأولى على التفسير[6] فإن سأله سائل عن قوله ﴿ **كأنها جآن**﴾[7] وهو أصغر ما يكون من الحيات وقوله: ﴿ **فإذا**

---

(١) ويا ليت المؤلف رحمه الله التزم بالأدب الذي التزم به موسى عليه السلام في أجوبته واقتدى به في ذلك وصان كتابه من سرد مثل هذه الأقوال الباطلة ، لأنه يقف بين يدي ملك الملوك ومالك الملك ويتعامل مع كلامه سبحانه وتعالى.

(٢) ذكره ابن حبيب (ق: ١٨١/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق: ١٨١/ب).

(٤) المصدر السابق.

(٥) لم أهتد إليه.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق: ١٨١/ب).

(٧) سورة النمل آية ١٠.

هى ثعبان مـبين﴾[١] وقال ههنا ﴿ فإذا هى حية تسعىٰ﴾ فكيف الجمع بينهما فالجواب عن هذا أن الله تعالى نبه عن أول حالها وآخره فكانت في أول حالها جاناً ثم تورمت وكبرت حتى صارت ثعبانا فأما الحيـة فإنها تجمع الصغير والكـبير والذكر والأنثى.[٢]

وقال ابن فورك: قال الله لموسى ﴿ وما تلك بيمينك يـٰموسىٰ قال هى عصاى﴾ إلى قوله ﴿ مآرب أخرى﴾ ﴿قال القها يـٰموسىٰ فألقـٰها فإذا هى حية تسعى﴾ فقال وما في رجليك قال نعـلاي يدفع عني العقارب قال فـاخلعهما فخلعـهما فصـارتا عقربين وصارت العصا حيه وقصـداه فقال الآن أين تفعل فقـد صارت عصاك التي لك فـيها المآرب عدوك وصارا نعلاك التي تدفع عنك المضره عدوا .

﴿ وأضـمم يدك إلى جناحك﴾ وادخل يـدك إلى جـناحك يـعنـي في إبـطك ﴿تخرج بيضآء من غير سوء﴾ فأخرج يده من جيبه من مدرعته مضمومه بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر .

قال ابن عباس: من غير سوء من غير برص[٣] ﴿ ءاية أخرىٰ﴾ علامة أخرى بعد العصا ﴿ لنريك من ءايـٰتنا الكبـرى﴾ قال قـوم كان حـقه أن يقـول الكبر كـقوله ﴿إنها لإحـدى الكبر﴾[٤] وإنما قـال الكبرى وفـاقـاً لرؤوس الآي وقال آخـرون فـيهـا إضـمـار معناه ﴿ لنريك من ءايـٰتنا الكبـرى﴾ بنحـوه / قـال ابن عبـاس: كـانت يد موسى أكبر آياته[٥] ﴿اذهب إلىٰ فرعون إنه طغىٰ﴾ ١٥/ب

(١) سورة الاعراف آية ١٠٧، وسورة الشعراء آية ٣٢.
(٢) قال ابن كثير رحمه الله (٢٧٣/٥): أي صارت في الحال حية عظيمة ثعباناً طويلاً، يتحرك بحركة سريعة، ﴿ فإذا هى تهتز كأنها جآن﴾ وهو أسرع الحيات حركـة، ولكنه صغير، فهـذه في غاية الكبر، وفي غاية سرعة الحركة.
(٣) أخرجه الطبري (١١٩/١٦).
(٤) سورة المدثر آية ٣٥.
(٥) أخرجه البغوي (٢١٥/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٣/ب)، والثعلبي (ق:١٧/أ).

قال ابن عباس: كفر[1]، قال الضحاك: جاوز الحد[2]، قال آخرون: علا وتكبر[3].

﴿قال﴾ موسى ﴿ رب اشرح لى صدرى﴾ أي وسع لي قلبي لكيلا أخافه ﴿ويسر لى أمرى﴾ وهون لي تبليغ الرسالة إلى فرعون ﴿ واحلل عقدة من لسانى﴾. قال ابن عباس: كان في لسانه رتة ، وذلك أنه كان في حجر فرعون ذات يوم، فلطمه لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته آسية: إن هذا عدوي، فقالت آسية: اعمل على رشدك وعلى عقلك، إنه صبي لا يفرق بين الأشياء، ولا يميز، ثم جاءت بطستين فجعلت في إحديهما النار وفي الأخرى الجواهر[4]. وقال بعضهم العناب فوضعتهما بين يدي موسى فأخذ جبريل بيدي موسى فوضعهما على النار حتي رفع جمرة منها ووضعها على لسانه فذلك هي الرتب .

قال أهل الحقائق: ﴿ واحلل عقدة من لسانى﴾ أي اجعل لكلامي موقعا في آذان المستمعين[5].

ولو كان كما قال المفسرون : لقال: واحلل عقدة[6] من لساني، ﴿يفقهوا

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٣/ب).
(٢) انظر المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٣/ب)، والثعلبي (ق:١٧/ب) كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونقلها البغوي في تفسيره دون عزو (٢١٦/٣). وأخرج الطبري مثله عن مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما (١٢٠/١٦، ١٢١).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٣/ب) ويعني بأهل الحقائق الصوفية لأن هذا القول من تأويلهم الباطل.
(٦) كذا في الأصل، والصواب تقدير «واحلل العقدة من لساني» تم التصويب من تفسير ابن حبيب (ق/١٨٣/ب) .

قولى﴾ وفيه إضمار يعني ليفقهوا قولي وكلامي **﴿ واجعل لى وزيراً﴾** عوناً **﴿ من أهلى هـرون أخى﴾** يؤازرنى **﴿ اشدد به أزرى﴾** أي قو به ظهري، ومن قرأ أشدد بفتح الألف[1] أقو به ظهري **﴿ وأشركه فى أمرى﴾** يعني النبوة، وقال بعضهم: **﴿وأشركه فى أمرى﴾** في تبليغ الرسالة[2] إلى فرعون **﴿ كى نسبحك كثيراً﴾** كي نصلي لك كثيراً[3]. ونعبدك **﴿ ونذكرك كثيراً﴾** أي ونذكرك بالقلب واللسان كثيراً **﴿ إنك كنت بنا بصيراً﴾** عالماً بأحوالنا.

﴿قال﴾ الله تعالى له **﴿قد أوتيت سؤلك يـموسى﴾**.

قال ابن عباس: أعطيت جميع ما سألت ياموسى[4]، والسؤل المصدر قال الضحاك: أوتيت مرادك[5]، قال مقاتل بن حيان: أوتيت همتك ومبتغاك[6] فشرح الله صدره، ويسر أمره وبسط لسانه، وجعل هارون معينا له.

﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ يعني أنعمنا عليك غير هذا مرة أخرى.

قال ابن عباس: وذلك حين أمر فرعون ليقتل من يولد، إذ ولد موسى في تلك السنة فأوحى الله إلى أم موسى وحي إلهام نظيره قوله: **﴿ وأوحى ربك إلى النحل﴾**[7] أي ألهمها فأوحى إليها إن خفت على ولدك القتل، فاقذفيه في التابوت،

(١) قرأ بفتح الهمزة ابن عامر، وقرأ الباقرن بضمها وهما قراءتان سبعيتان. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٣٢، ٥٣٣).
(٢) البغوي (٣/ ٢١٦).
(٣) قال ابن جرير الطبري: (١٢١/١٦): كي نعظمك بالتسبيح لك.
(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ).
(٥) المصدر السابق.
(٦) انظر المصدر السابق.
(٧) سورة النحل آية ٦٨.

ثم ألقيه[١] في اليم.

قال ابن حبيب: رأيت في بعض التفاسير والمعاني، أن الله أوحى إلى اليم وهو نهر مصر، أن يلقيه إلى الساحل كما أوحى إلى أم موسى[٢]. فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجاً ووضعت فيه موسى وقيرت رأسه وخصاصه يعني شقوقه ثم ألقته في اليم وكان يشرع من اليم نهر كبير في دار فرعون فبينما هو جالس على رأس بركته مع امرأته آسية بنت مزاحم فإذا بالتابوت يجيء به الماء فلما رأى ذلك أمر الغلمان والجواري بإخراجه/ فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجها ١٦/أ فأراد فرعون أن يقتله فقالت امرأته آسية ﴿ **قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسىٰ أن ينفعنآ أو نتخذه ولداً**﴾[٣] فليس لنا ولد فأبى فرعون أن يقتله وطلب المراضع لموسى فأتوا بنساء المراضع قتلت[٤] أولادهن فلم يقبل موسى ثدي واحدة منهن، ﴿**وقالت**﴾ والدته ﴿**لأخته**﴾ مريم﴿ **قصيه**﴾ أي اتبعيى أثره ﴿ **فبصرت به عن جنب**﴾ أى رأته من بعيد ﴿ **وهم لا يشعرون**﴾ أنها أخته ﴿ **فقالت**﴾ لهم ﴿ **هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له نـٰصحون**﴾[٥] قالوا[٦] بلى فأتت بها وأرضعته فقبل موسى ثديها ورضع فرده الله تعالى إلى أمه [وستأتى][٧] قصتها في سورة القصص بتمامها إن شاء الله تعالى.

فذلك قوله تعالى: ﴿ **ولقد مننا عليك**﴾ أنعمنا عليك ﴿ **مرة أخرىٰ**﴾ غير هذا ثم فسر النعمة الأخرى فقال: ﴿ **إذ أوحينا** ﴾ إذ ألهمنا ﴿ **إلى أمك ما يوحى** ﴾ الذي ألهمها ثم فسر الإلهام فقال: ﴿ **أن اقذفيه فى التابوت** ﴾ أي اطرحيه في التابوت

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ).
(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٤/أ).
(٣) سورة القصص آية ٩.
(٤) كذا في الأصل والصواب أن يقال: ﴿ **فأتوا بنسآء مراضع قتل أولادهن**﴾ .
(٥) سورة القصص آية ١١، ١٢.
(٦) كذا في الأصل والصواب أن يجاب بنعم.
(٧) في الأصل بالمثناه التحتية والصواب ما أثبته لأن القصة مؤنثة فناسب تأنيث الفعل.

فاقذفيه فى اليم﴾ فاطرحي التابوت في اليم ﴿ **فليلقه اليم﴾** اللام فيها لام الأمر ومعناه الخبر ومجازه ﴿ **فاقذفيه فى اليم﴾** حتى ﴿ **يلقه اليم بالساحل﴾** إلى الساحل والساحل شاطئ البحر والنهر ﴿ **يأخذه عدو لى﴾** يعني فرعون ﴿ **وعدو له** ﴾ لموسى ﴿ **وألقيت عليك محبة منى﴾** . قال ابن عباس: أحبه وحببه إلى خلقه[1] فلما رآه فرعون أحبه بحيث لا يتمالك.

قال عطية العوفي: جعل عليه نصيباً من الجمال لا يكاد يصبر عنه من رآه[2].

وروى [خُلَيْدة][3] بن دعلج عن قتادة: ﴿ **وألقيت عليك محبة منى﴾** قال ملاحة كانت في عيني موسى ما رآه أحد إلا عشقه[4] ﴿ **ولتصنع علىٰ عينى﴾** أي لتربى وتغذى بمرأى مني ومنظر مني.

﴿**إذ تمشى أختك﴾** مريم فدخلت قصر فرعون ﴿ **فتقول هل أدلكم على من يكفله﴾** على من يرضعه ﴿ **فرجعنك﴾** فرددناك ﴿ **إلى أمك﴾** يوخايد[5] ﴿ **كى تقر عينها﴾** بلقائك وكذلك في مصحف[6] أبي ﴿ **كى تقر عينها** ﴾ بلقائك ﴿ **ولا تحزن﴾**

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ)، وأخرجه البغوى (٣/٢١٧).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ).

(٣) كذا في الأصل وصحة إسمه كما جاء في الترجمه: هو خليد بن دعلج السدوسي أبو حلبس البصري ضعيف وقيل: يروي عن قتادة أحاديث منكرة مات سنة ١٦٦هـ.
انظر: تهذيب التهذيب (٣/١٥٨). والتقريب (١/٢٢٧).

(٤) أخرجه البغوي (٣/٢١٧). وذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ).

(٥) اسم أم موسي، وهو مختلف فيه فقيل: آياوخا، وقيل: أياذخت، وقيل: لوخا، وقيل: يوجانذ، وقيل: نجيب ، وقيل: ناجية وقيل: يوخاييل. قال الثعلبي وهو المشهور.
انظر: البداية لابن كثير (١/٢٣٩)، وعرائس المجالس للثعلبي (١٤٧).

(٦) في مصحف أُبي رضي الله عنه [فرددناك]. انظر: تفسير القرطبي (١١/١٩٧).

فقبل ثدي أمـه ورضع أي شرب اللبن ﴿ وقتلت نفساً ﴾. قال ابن عباس: قـتل قبطيا كافرا[1] ﴿ فنجينـك من الغم﴾ من غم القتل وكـربه . قال كعب الأحبـار: وكان ابن اثنى عـشرة سنة حين قـتل[2] قـبطيـا ﴿ وفتنـك فتونا﴾ . قال ابـن عباس: اختبـرناك اختباراً[3]. قال الضحـاك وقتادة ومقـاتل: إبتليناك إبتلاءاً[4] . وقـيل: ابتليناك ببلاء مـرة بعد مرة. قال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً[5].

﴿ فلبثت سنين فى أهل مدين﴾ يعني مكثت سنين في أهل مدين، كـانت مدين بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر، وقيل: على عشرة مراحل[6].

قال ابن عباس: مكث موسى في أهل مدين عشر سنين. وقيل: ثمان سنين. قال وهب: لبث عند شعيب ثمان وعـشرين سنه، عشر سنين منها مهراً لامـرأته / صفيراء بنت شعيب وهو قـول شعيب: ﴿ فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾[7] وثمان وعشرين سنة[8] أقام عنده حـتى ولد له[9] وحين أتى إلى مـدين وهو ابن إثني عـشرة سنة فـيكون

١٦/ب

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ)، وأخرجه البغوي (٢١٧/٣).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ)، والبغوي (٢١٧/٣).
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ)، وأخرخه البغوي (٢١٨/٣).
(٤) ابن حبيب عـن الثلاثة (ق:١٨٤/أ)، والبغوي عن الضـحاك ومقاتل (٢١٨/٣). وانظر قـول مقاتل في: تفسيره (٢٧/٣).
(٥) أخـرجـه البـغوي (٢١٨/٣)، وذكـره ابن حـبيب (ق:١٨٤/أ)، وابن الجوزي في زاد المسـير (٢٨٥/٥).
(٦) قال الحمـوي في معجم البلدان: مدين على بحـر القلزم محاذية لتبوك علـى نحو ست مراحل وهي اكبر من تبوك وبها البئر التى استقى منها موسي عـليه السلام لسائمة شعيب وهي مدينة قوم شعيب (٧٧/٥).
(٧) سورة القصص آية ٢٧.
(٨) كذا في الأصل وهو خـطأ، والصواب وثمان عـشرة سنة الخ ، تم التـصويب من تفسـير ابن حبيب (ق/١٨٤/أ).
(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ)، والبغوي (٢١٨/٣)، وهذا القول لا دليل عليه.

أربعين سنة ويوافق ذلك قول الله عزوجل ﴿ **ثم جئت على قدر يموسى**﴾ أي على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء وهو قول عبدالرحمن ابن كيسان ووهب[1] ولم يوح إلى نبي قبل الأربعين سنة إلا عيسى ويوسف فإن الله تعالى أوحى إليهما وهما إبني ثلاث وثلاثين سنة. فلهذا قال الله تعالى لموسى ﴿ **جئت على قدر يموسى**﴾ يعني على موعد وقال محمد بن كعب: جئت على القدر الذى قدرت لك أنك تجيء[2] ﴿ **واصطنعتك لنفسى**﴾ أي اخترتك واختصصتك لرسالتي[3] ﴿**اذهب أنت وأخوك** ﴾ هارون ﴿ **بئايتى**﴾ يعني اليد والعصا.

قل وهب: وكان هارون بمصر فلما سمع بقدوم موسى عليه السلام استقبله إلى مرحلة[4].

﴿ **ولاتنيا فى ذكرى**﴾ قال ابن عباس: لا تضعفا في تبليغ رسالتي[5].

قال السدي: لا تفترا[6].

قال محمد: بن كعب: لا تقصرا[7]، قال ابن حبيب: أصله من الونا وهو الضعف

---

(١) البغوي (٢١٨/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤:أ)، والبغوي (٢١٨/٣).

(٣) هذا تأويل مخالف لمذهب السلف الذين يثبتون لله تعالى جميع الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها نبيه محمد ﷺ والمعنى كما قال ابن كثير (٢٨٧/٥) أي اصطفيتك واجتبيتك رسولاً لنفسي.

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٢٩/١٦) وذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/أ)، وقال بمثله البغوي دون عزو (٢١٨/٣).

(٦) ابن حبيب (ق:١٨٤/أ)، والبغوي (٢١٨/٣).

(٧) ابن حبيب (ق:١٨٤/أ)، والبغوي (٢١٨/٣).

والفعل منه ونيت أنى ونيا فأنا وانى[1].

وقرأ عبدالله بن مسعود: ولا تهنا[2] في ذكري ﴿ اذهباَ إلىٰ فرعون إنه طغىٰ﴾ أي كفر وتكبر وعلا.

﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: لا تعنفا في قولكما ولا تغلظا[3].

قال السدي: كنياه[4]. يعني قولا يا أبا العباس.

قال ابن حبيب: وليس يعجبني هذا القول[5].

وقال بعضهم: ﴿ فقولا له قولا لينا﴾ لطيفا[6] وهو لا إله إلاالله .

قال أهل المعاني: معناه ألطفا به في قولكما[7] فإنه رباك يا موسى وأحسن تربيتك وله عليك حق الأبوة فلا تجبه بمكروه في أول قدومك عليه ﴿ لعله يتذكر أو يخشىٰ﴾ الألف صله معناه يتعظ ويخشى فيسلم.

قال ابن حبيب: إن سأل سائل فقال لعل وعسى وسوف من المخلوقين حرف شك ومن الله الوجوب وعلم الله تعالى في سابق علمه أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى فما الفائدة في قوله: ﴿ يتذكر أو يخشىٰ﴾ من الله وفرعون لم يتذكر ولم

(١) انظر: تفسيره (ق:١٨٤/أ).
(٢) انظر: البحر المحيط (٢٤٥/٦) قراءة شاذة.
(٣) أخرجه البغوي (٢١٩/٣) وفي تفسير ابن حبيب (ق:١٨٤/ب).
(٤) انظر نفس المصدر السابق.
(٥) انظر: تفسيره (ق:١٨٤/ب).
(٦) انظر: هذا القول في تفسير مقاتل بن سليمان (٢٨/٣).
(٧) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/ب).

يخش فالجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أن الحسين بن الفضل قال معناهما مصروف إلى غير فرعون ومجازه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاشي إذا رأى بري وإلطافي بمن أوجدته عن عدم ثم رزقته بعد أن خلقته وصححت جسمه وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية لنفسه دوني يتذكر إذا رأى ذلك ويتعظ ويعتبر.[1]

والجواب الثاني: قال أبو بكر محمد بن عمر الوراق لعل ههنا من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حيث لم ينفعه التذكر والخشية وذلك قوله حين ألجمه الغرق في البحر ﴿ **ءامنت أنه لا إلٰه إلا الذى ءامنت به بنوا إسـرٰءيل وأنا من المسلمين**﴾[2] فهذه تذكرته وخشيته / فى وقت اليأس والمعاينة [والإيمان قبل المعاينة ينفع وبعدها][3] وعندها لا ينفع، بيانه قوله: ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا ءامنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمٰنهم لما رأوا بأسنا**﴾[4].[5]. قال إسماعيل: سمعت ابن حبيب يقول سمعت أبي يقول سمعت علي بن محمد بن الوراق يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول وقرأ هذه الآيه: ﴿ **فقولا له قولا لينا**﴾ هذا رفقك بمن يقول أنا الإله فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله .

١٧/أ

قال ابن حبيب: فبنيت عليه ألفاظا اقتديت به فيها فقلت هذا رفقك بمن ينافيك ، فكيف رفقك بمن يصافيك، هذا رفقك بمن يعاديك، فكيف رفقك بمن يواليك، هذا

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/ب).

(٢) سورة يونس آية ٩٠.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب .

(٤) سورة غافر آية (٨٤، ٨٥)،

(٥) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٤/ب).

رفقك بمن يسبك، فكيف رفقك بمن يحبك، هذا رفقك بمن يقول نداً، فكيف رفقك بمن يقول فرداً، هذا رفقك بمن ضل فكيف رفقك بمن ذل، هذا رفقك بمن اقترف، فكيف رفقك بمن إعترف، هذا رفقك بمن أصر، فكيف رفقك بمن أقر، هذا رفقك بمن أستكبر ، فكيف رفقك بمن استغفر[1]، ﴿ **قالا ربنا**﴾ يعني موسى وهارون ﴿ **إننا نخاف**﴾ ولم يكن هارون حاضراً في ذلك الموضع ولكن أجاب موسى عن نفسه وعنه ﴿ **إننا نخاف أن يفرط علينا**﴾ . قال ابن عباس: أن يَعْجل علينا فرعون في القول[2].قال الضحاك: أن يجاوز الحد علينا[3]. قال أهل المعاني: أن يغلبنا في القول ﴿ **أو أن يطغى**﴾ يتكبر علينا[4].

وقيل: ﴿ **أن يفرط علينا**﴾ أي لا يقبل قولنا . قال الله تعالى: ﴿ **لا تخافا إنني معكما**﴾ بالنفع والدفع، وقيل: ﴿ **إنني معكما**﴾ بالعون والنصرة ﴿ **أسمع**﴾ قوله وقولكما ﴿ **وأرى**﴾ فعله وفعلكما ﴿ **فأتياه**﴾ يعني فأتيا فرعون ﴿ **فقولا إنا رسولا ربك**﴾ .

قال الأستاذ ابن حبيب: سقطت النون للإضافة[5] ﴿ **فأرسل معنا بنى إسرءِيل**﴾ لنردهم إلى مقرهم ﴿ **ولا تعذبهم** ﴾ ولا تتعبهم ﴿ **قد جئنك بـاية من ربك**﴾ يعني اليد والعصا.

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٤/ب).

(٢) أخرجه البغوي عنه بلفظ: [يعجل علينا بالقتل والعقوبة] وذكره ابن حبيب بنحو قول المؤلف (ق:١٨٤/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/ب).

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٤/ب).

﴿ والسلم على من اتبع الهدى﴾ يعني الكتاب والأثر ، إذا دخل واحدٌ في مجلس فيكون فيه المسلمون واليهود والنصارى فيسلم ويقول السلام على من اتبع الهدى[1] .

﴿إنا قد أوحى إلينا﴾ وكان الوحي إلى موسى دون هارون ﴿أن العذاب على من كذب﴾ بتوحيد الله وقصَّر في الإيمان ﴿ وتولى﴾ أي أعرض عنه .

قال ابن حبيب: ورأيت في بعض التفاسير أن هذه الآية أرجى آيةٍ فى كتاب الله للمؤمنين والموحدين[2] فى القرآن[3] لأن الله تعالى خصَّ العذاب لمن كذب بتوحيد الله وأعرض عن الإيمان.

من قوله: ﴿ نودى يموسى إنى أنا ربك ﴾ إلى هاهنا من كلام الله تعالى مع موسى عليه [السلام][4] في ليلةٍ واحدةٍ في ذلك الوادي وهي ليلة الجمعة فجاء موسى إلى فرعون وأدى إليه الرسالة فقال فرعون: ﴿ قال فمن ربكما يموسى﴾ يعني يا موسى وهارون. فذكر موسى دون هارون لرؤوس الآي، وقيل: اختصاراً بذكر أحدهما عن الآخر.

﴿ قال ﴾ موسى مجيباً له ﴿ ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه﴾ .

قال ابن عباس: الناقة للبعير والرمكة للفرس والأتان للحمار / والمرأة للرجل ١٧/ب

(١) قال البغوي في تفسير هذه الآية: ليس المراد منه التحية، إنما معناه يسلم من عذاب الله من أسلم.

(٢) كذا في الأصل، عطف الموحدين على المؤمنين والصواب أن لا عطف لأن العطف يقتضي المغايرة، ولا مغائرةهنا لأن المؤمنين هم الموحدون .

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٤/ب).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

خلقهم ثم هداهم[1] أي الهمهم للأكل والشرب والجماع.

قال مقاتل والحسن: ﴿ أعطىٰ كل شيءٍ خلقه﴾ أي خلق كل شيءٍ ثم هداه لما يصلحه[2].

قال عطية العوفي والسدي: ﴿ الذى أعطىٰ كل شيءٍ خلقه﴾ يعنى صورته[3] للإنسان صورة الإنسان والبهائم صورة البهائم وأشباه ذلك ثم هداهم إلى ما يصلحهم.

قال الضحاك: ﴿ الذى أعطىٰ كل شيءٍ خلقه﴾ يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للبصر والأذن للسمع والأنف للشم[4].

قال محمد بن كعب القرظي: المطعم والمشرب والمنكح والملبس[5].

﴿ ثم هدىٰ﴾ الذكر لإتيان الأنثى.

﴿قال﴾ فرعون: ﴿ فما بال القرون الأولىٰ﴾ وإنما قال فرعون هذا لموسى حين قال ﴿ إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوحٍ وعادٍ وثمود﴾[6]

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٤/ب، ١٨٥/أ)، وأخرج البغوي مثله عن سعيد بن جبير (٣/ ٢٢٠).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٩)، وأخرجه البغوي عن الحسن وقتادة (٣/ ٢٢٠)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/أ)، وأخرج مثله الطبري (١٦/ ١٣١) عن مجاهد. وكذا البغوي (٣/ ٢٢٠).

(٤) أخرجه البغوي (٣/ ٢٢٠)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).

(٦) سورة غافر آية ٣٠، ٣١.

الذي قال هذا القول هو مؤمن آل فرعون، وليس موسى عليه السلام. كما يفهم من كلام المؤلف.

قال له فرعون حينئذٍ ﴿ ما بال القرون الأولىٰ﴾ يعني ما خبر الذين ذكرت .

﴿قال﴾ موسى ﴿ علمها عند ربى﴾ يعني علم هلاكها عند ربى فرد موسى علم ذلك إلى الله لأنه لم يعلم ذلك وإنما نزلت التوراة عليه بعد هلاك فرعون وقومه ﴿ فى كتٰب﴾ يعني في اللوح المحفوظ ففيه علم كل شيءٍ ﴿ لا يضل ربى ولا ينسى﴾ . قال ابن عباس: لا يخطيء ولا ينسى فيتذكر(١). وقال بعضهم: لا يضل لا يخطئ ولا يذهب عليه أمرهم ﴿ ولا ينسى ﴾ ولا يترك عقوبتهم . قال الفراء: تقول العرب ضللت الشيء إذا أخطأته ومكانه ثابتٌ وأضللته إذا ضيعته(٢).

﴿ الذى جعل لكم الأرض مهداً﴾ فراشاً ﴿ وسلك لكم فيها سبلاً ﴾ أي بيّن لكم فيها طرقاً، قال أهل المعاني: وطرّق لكم فيها طرقاً(٣). قال ابن حبيب: وأصل سلك أدخل فمجاز الآية على هذا القول أدخل الطرق بعضها في بعضٍ وفيه لغتان سلك وأسلك(٤).

﴿ وأنزل من السمآء مآءً﴾ يعني المطر ﴿ فأخرجنا به ﴾ فأنبتنا به بالمطر ﴿أزوٰجاً﴾ يعني أصنافاً ﴿ من نباتٍ شتى﴾ مختلفةً الألوان بعضها أبيض وأسود وأخضر وأحمر وأصفر وأكهب(٥) ﴿ كلوا﴾ يعني كلوا ما تأكلون ﴿ وارعوا

---

(١) أخرجه الطبري (١٦/١٣٢)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٨١). وذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).

(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) قال صاحب اللسان: الكهبة: غبرة مشربة سواداً في الوان الإبل.

قال الجوهري: الكهبة: لون مثل القهبة ، وقيل: الكهبة لون ليس بخالص في الحمرة، وقيل: الدهمة. انظر اللسان مادة: (كهب).

أنعـٰمكم﴾ ماترعون من عشبها .

قال الفراء: يعني: ارتعوها تقول العرب رعيت الغنم فرعت لازمٌ بمعنى متعدٍ فأما أرعيت بالألف فإن العرب تقول أرعى الله الماشية أي أنبت لها ما ترعاه[1].

﴿ إن في ذٰلك لأيـٰت﴾ قال ابن عباس: إن فيما ذكرنا لعلامات . ﴿ لأولي النهىٰ﴾ لذوي العقول[2].

قال الضحاك: ﴿ لأولي النهىٰ﴾ يعني للذين ينتهون عما حرم عليهم[3].

قال المؤرج: النهى العقول. واحدها: نهيةٌ وإنما سمي العقل لأنه ينهي صاحبه عن ارتكاب المحظورات[4].

قوله عزوجل: ﴿ منها خلقنـٰكم ﴾ يعني من الأرض خلقناكم إبتداءً ويقال خلقنا أباكم آدم ﴿ وفيها نعيدكم﴾ إذا متم ﴿ ومنها نخرجكم تارةً أخرىٰ﴾ يعني مرةً أخرى إذا بعثتم، وهذا أوضح دلالة على البعث للكافرين.

قال الله تعالى: ﴿ ولقد أرينـٰه﴾ يعني فرعون ﴿ءايـٰتنا كلها﴾ يعني اليد والعصا والآيات التسع وقد مضى ذكرها ﴿ فكذب ﴾ بالآيات وقال ليس هذه الآيات من الله ﴿ وأبىٰ ﴾ يعني وجحد [با][5] لإيمان.

---

(١) لم أقف عليه في معاني القرآن للفراء، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).
(٣) أخرجه البغوي (٣/٢٢١). وذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).
(٤) ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).
(٥) كذا في الأصل، والأولى حذف [الباء].

﴿قال﴾ فرعـون لموسى ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾ يعني أرض مـصرهم/ ١٨/أ
﴿بسحرك يـٰموسىٰ فلنأتينك بسحرٍ مثله﴾ مثل ما جئتنا به قال الحسين بن الفضل: كـفى حزنا وذلاً لفـرعون حين قـال: ﴿ فلنأتينك بسـحرٍ[1] مثله﴾ والسحر الخـديعة والشعوذة وأن يرى الأسـود أبيض والصغير كـبيرً وما يكون مـثل هذا الفـعل فهــلا. قال فلنهلكنك أو لنستأصلنك أو لأريقن [الأرض][2] دمك حـتى يكون فعـلاً يذكر بعـده به.

﴿ فأجعل بيننـا وبينك موعداً﴾ وعداً نجتمع فيه ﴿ لا نخلفـه نحن ولاۤ أنت ﴾ تخلفه ﴿ مكاناً سوىً﴾ قرىء بكسر السين وضـمها[3] نظيرها: عُـدى وعِدى وطُوى وطِوى.

قـال ابن عبـاس: ﴿ مكاناً سوىً﴾ يعني نَصَـفاً[4]. قال قـتادة: عَـدْلاً[5]. وقـال بعضهم: مكانا سوى هذا المكان[6].

﴿قال موعدكم﴾ يعني وعـدكم ﴿ يوم الزيـنة﴾يعني يوم عـيد كـان لهم عيـدً يجتمعون فيه في كل سنةٍ[7].

---

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٥/أ).
(٢) كذا في الأصل، والأولى حذف الأرض ليستقيم المعنى.
(٣) قرأ بكسر السين نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي وضمها الباقون. انظر: التذكرة لابن غلبون (٥٣٤/٢).
(٤) أخرجه البغوي (٢٢١/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/ب).
(٥) أخرجه البغوي (٢٢١/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/ب).
(٦) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٥/ب).
(٧) ابن حبيب (ق:١٨٥/أ) وقال إنه رآه في بعض التفاسير وأخرجه البغوي عن مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي (٢٢١/٣).

قال سعيد بن جبير ﴿ يوم الزينة ﴾ يوم عاشوراء[١] . وقال بعضهم: ﴿يوم الزينة﴾ يوم النيروز[٢] ﴿ وأن يحشر الناس ضحى﴾ جميع الناس من المدائن ﴿ضحى﴾ يعني في وقت الضحوة نهاراً جهارا ﴿ فتولىٰ ﴾ عنهم فرجع ﴿فرعون﴾ إلى أهله ﴿ فجمع كيده ﴾ يعني السحرة ﴿ ثم أتىٰ ﴾ الموعد.

قال ابن عباس: كانوا اثنين وسبعين ساحراً مع كل واحدٍ منهم حبلٌ وعصا[٣]. وقد قيل كانوا أربعمائه[٤]. نظيره: ﴿ فحشر فنادىٰ﴾[٥] . وقوله: ﴿ فجمع السحرة لميقٰت يوم معلوم﴾[٦].

﴿قال لهم موسىٰ﴾ للسحرة ﴿ ويلكم ﴾ ضيق الله عليكم الدنيا[٧] ﴿ لا تفتروا﴾ لا تختلقوا ﴿ على الله كذباً فيسحتكم بعذاب ﴾ .

قال ابن عباس: فيهلككم بعذابٍ[٨].

قال عطاء ومحمد بن كعب والربيع بن أنس: يستأصلكم بعذاب[٩] وقرىء

(١) ابن حبيب بهذا (ق:١٨٥/ب)، وأخرجه البغوي (٢٢١/٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن جبير.

(٢) ابن حبيب (ق:١٨٥/ب) ونسبه إلى بعض التفاسير دون أن يسميها، والبغوي (٢٢١/٣) بلفظ: قيل.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/ب)، وقال بمثله البغوي (٢٢١/٣) دون عزو.

(٤) ابن حبيب (ق:١٨٥/ب)، والبغوي (٢٢١/٣).

(٥) سورة النازعات آية ٢٣.

(٦) سورة الشعراء آية ٣٨.

(٧) لم أقف على هذا التفسير للآية عند غير المؤلف.

(٨) أخرجه الطبري (١٣٥/١٦)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/ب) ، وأخرج مثله الطبري عن ابن زيد والسدي (١٣٥/١٦).

(٩) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/ب) ، وأخرج مثله كل من الطبري (١٣٥/١٦)، والبغوي (٢٢٢/٣) عن قتادة.

فيسحتكم بنصب الياء وضمها(١) وهما لغتان سحت الله ماله وأسحته إذا إستأصله ﴿**وقد خاب**﴾ خسر ﴿ **من افترى** ﴾ على الله من اختلق على الله الكذب ﴿**وقد خاب**﴾ أي قنط من كذب على الله ﴿ **فتنزعوا أمرهم بينهم** ﴾ يعني فتشاوروا فيما بينهم يعني السحرة إن غلبنا موسى آمنا ﴿ **وأسروا**﴾ هذا ﴿ **النجوى** ﴾ من فرعون ثم ﴿**قالوا** ﴾ بالعلانية ﴿ **إن هذن لسحرن** ﴾ يعني موسى وهارون ﴿ **يريدان أن يخرجاكم من أرضكم**﴾ مصر ﴿ **بسحرهما**﴾ .

وفي مصحف عبدالله ﴿ **وأسروا النجوى إن هذن سحرن**﴾(٢) بنصب الألف وبغير لام وقرأ عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ﴿ **إنَّ هذين لسحرن**﴾(٣) على الأصل والإعراب .

قال أبو عمرو : إني لأستحي من الله أن أقرأ ﴿ **إنّ هذن** ﴾ .

وروى أبان بن تغلب(٤) إن هذه الآية ﴿ **إن هذن لسحرن**﴾ قرئت عند عثمان ابن عفان فقال لحن وخطأ، فقيل له ألا تغيره فقال دعوه فإنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا(٥)، وكان عاصم الجحدري يكتب إن هذين ويقرأ إن هذان .

---

(١) قرأ بضم الياء وكسر الحاء حفص وحمزة والكسائي وورش عن يعقوب وفتحها الباقون . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٣٤).

(٢) هذه القراءة منسوبة إلى عبدالله مسعود رضي الله عنه وهي شاذة . انظر: البحر المحيط (٦/٢٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (١١/٢١٦)، ومعاني القرآن للفراء (٢/١٨٤).

(٣) هذه قراءة سبعية قرأ بها أبو عمرو من السبعة. انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٣٤)، والنشر (٢/٣٢١).

(٤) هو: أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري بالولاء أبو سعيد قارئ لغوي من غلاة الشيعة من أهل الكوفة من كتبه غريب القرآن والقراءات ومعاني القرآن مات سنة (١٤١هـ). انظر: الاعلام (١/٢٦).

(٥) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوي (٢/٢٥٢ - ٢٥٣). وقد زعم قوم أن قراءة من ـــ

وفي مصحف أبي: ﴿إن هٰذان لسٰحران﴾ بالتخفيف معناه: ما هذان إلا ساحران. نظيره: ﴿وإن نظنك لمن الكٰذبين﴾[1] وفي بعض المصاحف ﴿إن هٰذان إلا سٰحران﴾[2] فأما خط المصحف فإن بتشديد النون هذان بالألف واختلفوا فيه فقال قوم إن هاهنا بمعنى نعم / وروي أن أعرابيا سأل ابن الزبير شيئا فحرمه، فقال لعن الله ناقةً حملتني إليك، فقال ابن الزبير إن وربها ، يعني وصاحبها[3]، وقيل: جاء أعرابي إلى عمر بن الخطاب وسأله شيئا فأنشأ يقول: ١٨/ب

يا عمر الخير جزيت الجنة   اكس بناتي وأمهنَّه

أقسم بالله لتفعلنه   وأجعل إن إن إنه

يعني نعم نعم نعم فقال عمر إذا أنت رجعت ماذا يكون فأنشأ يقول:

يكون على حال لتسألنه   يوم يكون المعطيات جنه

والواقف المسؤل ينتهينه   إما إلى نار وإما جنه

وكان على عمر ثوبان فخلع أحدهما ودفع إليه واعتذر[4]، وحكى الزجاج عن بعضهم أنه قال : أنّ بمعنى نعم هى بلغة كنانة[5]، وقال أكثر أهل المعاني: هذا بلغة أبي الحارث بن كعب وذلك أنهم يقولون كسرت يداه وركبت علاه، يعني، يديه وعليه.

= قرأ ﴿إنّ هذان لساحران﴾ لحن وأن عثمان رضي الله عنه قال إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسنتها وهذا خبر باطل لا يصح.

قال ابن كثير رحمه الله (٥/٢٩٤): ﴿إن هذان لساحران﴾ هذه لغة لبعض العرب، جاءت هذه القراءة على إعرابها.

وقد ذكر الطبري رحمه الله (١٦/١٣٧) أنها لغة بلحرث بن كعب وخثعم وزبيد ومن وليهم من قبائل اليمن.

وقال البغوى مثله (٣/٢٢٢).

(١) سورة الشعراء آية ١٨٦.

(٢) انظر: البحر المحيط (٦/٢٥٥) عزاها لابن مسعود وأُبَيّ رَضي الله عنهما.

(٣) الرواية في تفسير ابن حبيب (ق:١٨٥/ب) في تفسير البغوي (٣/٢٢٣) بلفظ: إنّ وصاحبها.

(٤) لم أقف على هذه القصة عند غير المؤلف.

(٥) انظر: تفسير البغوي (٣/٢٢٢).

وقال الشاعر:[1]

إنّ آباها وأبا أباهـا قد بلغا في المجد غا يتاها

يعني وأبا أبيهـا وغايتهـا والشواهد من الشعر أكثر من أنْ تحصى وروي عن عائشة أنها قالت في هذا وأضرابه أنها غلط من الكاتب[2] تقرأ على حالتها اتباعاً للمصحف.

﴿ يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ مصر ﴿ بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ قال ابن عباس: ويذهبا بسراة قومكم وأشرافهم[3].

قال الكسائي: ﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ يعني ويذهبا بسنتكم وهديكم وسمتكم المستقيم[4].

وقال مقاتل: ﴿ ويذهبا بطريقتكم﴾، بدينكم ورجالكم[5]. ﴿ المثلى﴾ الأمثل فالأمثل والطريقة واحدة والمثلى جمع. ولكن ورد على وفاق رؤوس الآيات.

وقال بعضهم[6]: المثلى ههنا الطريقة[7]. يقال: امرأة كبرى، وتقول العرب فلان

---

(١) نسب هذه البيت لأبي النجم العجلي، وقيل: لرؤبة بن العجاج، انظر: شرح ابن عقيل (٥١/١).

(٢) هذا القول المنسوب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم يصح ومداره على رواية أبي معاوية الضرير محمد بن خازم التميمي قال فيه ابن سعد: «يدلس وكان مرجئاً» (٣٩٢/٦). وقال الحافظ ابن حبان (٣٤١/٧): كان مرجئاً.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/ب)، وأخرجه البغوي (٢٢٣/٣).

(٤) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٥/ب).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣١/٣) وفيه: يقول يغلبانكم على الرجال والأمثال جمع أمثل وهو الممتاز من الرجال من أهل العقول والشرف.

(٦) حكاه الماوردي في تفسيره عن ابن زيد (٤١٢/٣).

(٧) عند ابن حبيب في تفسيره، والمثلى ههنا نعت للطريقة كقولك امرأة كبرى (ق:١٨٥/ب).

على الطريقه المثلى يعني على الهدى المستقيم ﴿ **فأجمعوا كيدكم**﴾ يعني سحرتكم ، قال أهل المعاني: معناه فأعزموا على سحرتكم تقول العرب أجمعت على الأمر. وأزمعت عليه إذا عزمت عليه[1]، وهذا من قول فرعون للسحرة ﴿ **ثم ائتوا صفاً**﴾ أقدموا أي صفوفا ﴿ **وقد أفلح اليوم من استعلى**﴾ يعني فاز ونجا من غلب.

﴿ **قالوا يموسى**﴾ يعني السحرة لموسى ﴿ **إما أن تلقى** ﴾ أولا عصاك ﴿ **وإما أن نكون أول من ألقى**﴾ حبله وعصاه ﴿ **قال** ﴾ لهم موسى ﴿ **بل ألقوا** ﴾ أنتم أولا فألقوا اثنين وسبعين عصا واثنين وسبعين حبلا ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها**﴾ يُشَبَّه إلى موسى من سحرهم حتى يظن موسى ﴿ **أنها تسعى**﴾ أي تمشي . قال وذلك أنهم كانوا يلطخون حبالهم وعصيهم بالزئبق وطلوها به فلما أصابها حر الشمس إرتهشت واهتزت فظن موسى أنها تقصده ﴿ **فأوجس في نفسه خيفة موسى**﴾ قال المفسرون[2]: اضمر، قال الفراء: ﴿**أوجس**﴾ أي: وجد[3] . قال مقاتل: إنما خاف موسى لأن سحرهم كان من جنس عصاه فخشى أن يغلبوه، ولم يؤمنوا به[4].

﴿ **قلنا لا تخف**﴾ معناه قلنا يا موسى لا تخف ﴿ **إنك أنت الأعلى** ﴾ / وهم دونك ، وأنت الغالب عليهم، وهم دونك ، وهم المغلوبون. ١٩/أ

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٦/أ)، ويطلق أهل المعاني في الاصطلاح على أهل التأويل من الماتريدية والأشاعرة.

(٢) ممن قال بذلك ابن قتيبة في غريب القرآن (٢٨٠)، والقرطبي (٢٢٢/١١)، وحكاه الماوردي (٤١٣/٣).

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء (١٨٦/٢).

(٤) انظر: تفسيره (٣٢/٣).

قال الله تعالى لموسى: ﴿ وألق ما في يمينك﴾ وأرم على الأرض ﴿ما في يمينك﴾ يا موسى يعني عصاه ﴿ تلقف﴾ يعني تأخذ ﴿ ما صنعوا ﴾.

قال الكسائي: ماطرحوا من العصا[1] والحبال ، قال سعيد بن جبير: ﴿تلقف﴾ يعني تلتقم أي تبتلع[2] ﴿ ما صنعوا﴾. قال الكلبي أي تلقف تبلع[3].

وقرئ تلقف بسكون اللام[4] ومعناه واحد و ﴿إنما صنعوا﴾ أن الذى طرحوا ﴿كيد سٰحر﴾ عمل سحر يعني السحرة ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ حيث ما كان وقال بعضهم: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ أي حيث احتال[5].

قال ابن عباس: فلما ألقى موسى عصاه صارت حية وجعلت تتورم وتكبر حتى صارت في عظم الجبل وفرعون في قبته ينظر إليها والقبط وبنو إسرائيل حضور فابتلعت العصي والحبال عن آخرها والسحرة ينظرون إليها فعلموا أن ذلك أمر سماوي وأمر من الله لأن موسى لما أخذ بذنب الحية صارت عصا وتلاشت الحبال والعصي بحيث لم ير لها أثر فعلموا أن قدرة المخلوقين تعجز عن مثل ذلك وكانوا حلفوا قبل ذلك ﴿ بعزة فرعون إنا لنحن الغلبون[6]﴾[7].

قال أبو بكر محمد بن عمر الوراق: ما ضر سحرة فرعون قولهم [بعزة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب أن يقال: [من العصي].
(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٦/أ).
(٣) انظر المصدر السابق.
(٤) قرأ بها حفص، انظر: التذكرة لابن غلبون ، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد القاف (٢/٥٣٥).
(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٦/أ)، والقرطبي (١١/٢٢٤).
(٦) سورة الشعراء آية ٤٤.
(٧) ذكره ابن حبيب في تفسيره (ق:١٨٦/أ).

فرعـون][1] ﴿إنا لنحن الغـٰلبـون﴾ والله يقـول [لرضـوان خـازن الجنان][2] يا رضـوان زخرف لهم الجنان فلما علموا أنه سماوي وليس من قدرة المخلوقين ﴿ فألقى السحرة سجداً﴾ قال الأخفش: من سـرعة ما سجـدوا كأنهـم ألقوا[3] ﴿ قـالوا ءامنا﴾ صدقنا ﴿برب هـٰرون وموسىٰ﴾[4] وأن الله قدّم في جميع القرآن موسى على هارون ﴿فقال رب موسىٰ وهـٰرون﴾ لأن موسى كـان رسولا وهارون كان نبيـا ولم يكن رسولا[5] وإنما قدم هارون على موسى ههنا وفاقا لرؤوس الآيات .

﴿قال﴾ فرعون للسحرة ﴿ءامنتم له﴾ يعني لموسى كما قال في سورة الأعراف ﴿ءامنتم به﴾[6] ونظيره ﴿فئامن له لوط﴾[7] ﴿ويؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾[8] ﴿قبل أن ءاذن لكم﴾ قبل أن آمركم بالإيمان به ﴿ إنه لكبيركم الذى علمكم السحر﴾.

قال ابن عباس: إن موسى لرئيسكم[9]، قال الأخفش إنه لمعلمكم[10] الذي علمكم السحر ﴿ فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلـٰف﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى واليد اليسرى والرجل اليمنى ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾ يعني على جذوع النخل ﴿فى﴾ بمعنى على ﴿ ولتعلمن أينآ أشد عذابا وأبقىٰ﴾ قال ابن عباس: وأدوم[11] ﴿ إنا

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٨٦/أ).
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب أيضاً.
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٦/أ).
(٤) سورة الأعراف آية ١٢٢.
(٥) الصواب أن هارون نبي رسول كما دل عليه القرآن في قوله ﴿اذهبآ إلى فرعون أنه طغىٰ﴾.
(٦) سورة الاعراف آية ١٢٣.
(٧) سورة العنكبوت آية ٢٦.
(٨) سورة التوبة آية ٦١.
(٩) ابن حبيب (ق:١٨٦/أ).
(١٠) ابن حبيب (ق:١٨٦/أ).
(١١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٦/ب) وقال بمثله البغوي (٣/٢٢٤) دون عزو.

أمنا برب موسى وهـرون﴾ .

قال وهب : فلما ابتلعت العصا حبالهم وعصيهم وقصدت نحو قبة فرعون فارتاع فرعون لذلك، واستأمن فأخذ[1] موسى بذنبها فصارت عصا كما كانت ﴿**قالوا**﴾ يعني السحرة: ﴿ **لن نؤثرك**﴾ لن نختارك يا فرعون ﴿ **على ما جاءنا من البينـت**﴾ التي عايناها.

﴿ **والذى فطرنا**﴾ معناه ولن نوثوك على الذي فطرنا أى خلقنا وهو الله تبارك وتعالى .

قال الحسين بن الفضل: ﴿ **والذى فطرنا** ﴾ قسم / وجوابه في قوله: ﴿**لن نؤثرك**﴾ فيه تقديم وتأخير ومجازه ﴿ **والذى فطرنا**﴾ أي والله الذى خلقنا لن نؤثرك يا فرعون على ما جاء من البينات التى عايناها[2]. ١٩/ب

﴿**فأقض ما أنت قاض**﴾ قال ابن عباس: فاصنع ما أنت صانع[3]، قال مقاتل: احكم ما أنت حاكم من القطع والصلب[4]، ﴿ **إنما تقضى هـذه الحيوة الدنيا**﴾ يعني أنَّ ملكك وسلطانك في هذه الحياة الدنيا وأنهًا فانية وليس لك علينا سلطان في الآخرة ﴿ **إنا ءامنا**﴾ إنا صدقنا ﴿ **بربنا ليغفر لناخطينا**﴾ شركنا ﴿ **وما أكرهتنا عليه**

(١) كذا في الأصل، وفي تفسير ابن حبيب: «استأمن موسى فأخذ بذنبها» وهو الأسلم للسياق لأمن اللبس.

(٢) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٦/ب).

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٦/ب) وقال بمثله دون عزو كل من ابن جرير الطبري (١٤٢/١٦)، والبغوي (٢٢٥/٣).

(٤) انظر: تفسيره (٣٣/٣).

من السحر ﴾ قال عبدالعزيز بن أبان[1]: إن السحرة قالوا لفرعون أرنا موسى إذا نام قال فأراهم موسى نائم وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر لأن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم وأمرهم بتعلم السحر وإستعماله[2]، فذلك قوله: ﴿**ليغفر لنا خطيٰنا**﴾ شركنا ﴿ **ومآ أكرهتنا**﴾ أجبرتنا ﴿ **عليه من السحر** ﴾ من تعلم السحر ﴿**والله خيرٌ وأبقىٰ**﴾ أي أدوم منك لأنك فانٍ، أي هالك، والله باق وهذا جواب لقول فرعون ﴿ **ولتعلمّن أينا أشد عذابا وأبقىٰ**﴾ قالوا ﴿ **والله خيرٌ وأبقىٰ**﴾ ﴿ **إنه من يأت ربه مجرماً**﴾ هذا كلام مستأنف من إبتداء كلام الله تعالى: ﴿ **إنه من يأت ربه مجرماً**﴾ كافراً يوم القيامة ﴿ **فإنّ له جهنم**﴾ يعني في القيامة ﴿ **لا يموت فيها**﴾ في النار موتا مريحا ﴿ **ولا يحيىٰ**﴾ حياةً نافعةً.

﴿ **ومن يأته** ﴾ يعني ومن يأته ﴿ **مؤمنا**﴾ به وبكتبه وبرسله وأنبيائه ﴿ **قد عمل الصٰلحٰت** ﴾ يعني قد أخلص الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ﴿ **فأولٰئك لهم الدرجٰت العلىٰ** ﴾ يعني الرفيعة في الجنة ثم بينّ الدرجات فقال: ﴿ **جنٰت عدن تجرى من تحتها الأنهٰر**﴾ من تحت شجرها الأنهار ﴿ **خٰلدين فيها**﴾ والمعنى مقيمين فيها ﴿ **وذٰلك جزآء من تزكىٰ**﴾ من تطهر من المعاصي والكفر ، قال الكلبي: ﴿**وذٰلك جزآء من تزكىٰ**﴾ يعني أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله[3]. وكذلك في قوله: ﴿ **قد أفلح من تزكىٰ**﴾[4].

---

(١) هو: عبدالعزيز بن أبان بن محمد بن عبدالله بن سعيد بن العاص الأموي أبو خالد فقيه من رجال الحديث متهم بوضعه متروك وكذبه ابن معين وغيره مات سنة (٢٠٧هـ).
انظر: تقريب التهذيب (١/٥٠٧)، والأعلام (٤/١٢).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/٢٢٥).

(٣) تفسير ابن حبيب (ق:١٨٦/ب)، والبغوي (٣/٢٢٦).

(٤) سورة الأعلى آية ١٤.

قوله عزوجل: ﴿ولقد أوحينآ إلىٰ موسىٰ أن أسر بعبادى﴾ قال وهب : استعار بنو إسرائيل حليا من القبط ومات للقبط يومئذ أبكارٌ فإنشغلوا بدفنهم ، فأوحى الله تعالى إلى موسى أسر بهم﴿ ليلا﴾ فخرج موسى في أول الليل وهربوا منهم وكانوا سبعين ألف فلما بلغوا بعض الطريق فاخبر فرعون بتلك فركب في ستمائه ألف من القبط فقص أثر موسى[1] فلما طلعت الشمس من الغد فرأوا القبط ﴿ قال أصحٰب موسىٰ﴾ لموسى ﴿ إنا لمدركون﴾ أي ملحقون قال موسى ﴿ كلاّ ﴾ رد عليهم أى لا يدركونكم ولا يكون ذلك ﴿ إن معى ربى سيهدين﴾ إلى مأمني وينقذني من معرة فرعون وقومه فأوحى الله إلى موسى ﴿ أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾[2]. يعني إنشق فصار إثنى عشر طريقا يابسه لكل سبط طريق وصار بين كل طريقين كالطود العظيم من الماء وهو الجبل العظيم، / وكانوا يمرون فيه وكلهم بنو أعمام فلا يرى هذا السبط ذاك ولا ذاك هذا واستوحشوا فأوحى الله إلى أطواد[3] أن شبكي فصارت شبكات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض فلما أتى فرعون الساحل وجد موسى وبنى إسرائيل قد عبروا فقال للقبط قد سحر البحر ومرّ فقالوا إن كنت رباً فادخل البحر كما دخل فجاء جبريل على رَمكة بلقاء وديق[4] وكان فرعون على فرس حصان وهو الذكر من الأفراس فأدخل جبريل الرمكة البحر فلم يتمالك حصان فرعون فأقتحم البحر على أثرها ودخل القبط عن آخرهم فبعث الله إسرافيل وميكائيل حتى يسوقا القبط إلى البحر فلما تلجحوا ودخلوا عن آخرهم البحر أوحى الله إلى البحر أن غرّقهم فعلاهم الماء. وغرّقهم فعند ذلك قال فرعون[5] ﴿ءامنت أنه لآ إلٰه

٢٠/أ

(١) القصة ذكرها ابن حبيب عن وهب (ق:١٨٦/ب).

(٢) سورة الشعراء آية ٦١، ٦٢، ٦٣.

(٣) كذا في الأصل، والأولى أن يقال: إلى أطواد الماء أو البحر أن تشبكي.

(٤) الوديق: التي تشتهي الفحل وترغب فيه. انظر: اللسان لابن منظور مادة: (ودق).

(٥) هذا الكلام ليس عليه دليل، وظاهر القرآن أنهم دخلوا البحر تبع بني إسرائيل ولم تسقهم الملائكة.

إلا الذى ءامنت به بنوا إسـرءيل وأنا من المسلمين﴾[1] فلم ينفعه إيمانه وقد مضى بعض القصة في سورة يونس فذلك قوله تعالى: ﴿**وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى﴾**.

قال ابن عباس: أدلج[2] يعني سر بهم من أول الليل ﴿ **فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا﴾** يعني يابسا ومعناه: ﴿ **واضرب بعصاك البحر﴾** يصير لهم طريقا يابسا ﴿ **لا تخف دركاً﴾** يعني لحاقا ﴿ **ولا تخشى﴾** من معرة فرعون ومن غَرَّق البحر ﴿**فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم﴾** فلحقهم فرعون بجموعه ﴿ **فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾** معناه فألجمهم من البحر ما ألجمهم، وقيل: فغرّقهم من البحر ما غرّقهم، وقيل: أصابهم من اليم ما أصابهم.

﴿**وأضل فرعون﴾** وأهلك فرعون ﴿**قومه﴾** في البحر ﴿ **وما هدى﴾** وما نجاّهم من الغرق . وقيل: وأضلهم عن دين الله ﴿ **وما هدى** ﴾ وما دلهم وما هداهم إلى الصواب وهذا جواب قول فرعون ﴿ **ما أريكم الإ ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾**[3] فكذبه الله فقال بل أضلهم وما هداهم إلى رشدهم إلى ههنا تمام قصتهم ومن هنا كلام أخر.

قوله عزوجل: ﴿ **يـبنى إسرءيل قد أنجينكم من عدوكم﴾** ثم ذكر منته على بنى إسرائيل فقال ﴿ **يبنى اسرءيل** ﴾ أولاد يعقوب ﴿ **قد أنجينكم** ﴾ يعني أسلافكم وآباءكم ﴿ **من عدوكم﴾** يعني فرعون ﴿ **ووعدنكم جانب الطور الأيمن﴾** يمين موسى بإعطاء الكتاب وقد مضى ذكره[4] ﴿ **ونزّلنا عليكم المنّ والسلوى﴾** وهو

---

(١) سورة يونس آية ٩٠.

(٢) ابن حبيب (ق:١٨٦/ب).

(٣) سورة غافر آية ٢٩.

(٤) في سورة مريم ، عند قوله تعالى: ﴿ **ونديـنه من جانب الطور الأيمن وقربنـه نجيا﴾** آية٥٢.

الطرنجبين[1] وكان ينزل بالليل على شجرهم وهو أبيض كالثلج حلواً[2] من العسل عند طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كل يوم فيغدون عليه يأخذون يوم الجمعة ليوم الجمعة والسبت لأن السبت كان عيدهم لا يعملون فيه عملا لهم وهم في التيه فسأل موسى ربه ذلك فقال الله لأطعمنهم أقل الطير لحماً وأعزها فبعث الله إليهم سحابة فمطرت سماني وهو طير خضر تكون في طريق مصر فمطروا على قدر ميل في عرض الأرض وقدر طول رمح في السماء وقد مضت القصة[3] فهذا معنى قوله **﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾** وهو طير يشبه السماني **﴿ كلوا ﴾** أي قيل لهم كلوا **﴿ من طيبات ﴾** من حلالات **﴿ ما رزقنكم﴾** من المن والسلوى **﴿ولا تطغوا فيه﴾** أي لا تكفروا به ولا تنفقوا في معصيتي ، وقيل: معناه: ولا ترفعوا لغدٍ / **﴿فيحل عليكم غضبي ﴾** من قرأ بكسر الحاء[4] فمعناه فيجب عليكم، ومن قرأ بضم الحاء[5] أراد فينزل عليكم **﴿غضبي﴾** سخطي **﴿ ومن يحلل ﴾** أي يجب **﴿عليه غضبي﴾** **﴿ فقد هوى ﴾** أي سقط في النار، وقيل: **﴿ هوى ﴾** أي هلك. ٢٠/ب

قال ابن عباس: **﴿ فقد هوى ﴾** فقد تردى في النار[6]، وبقي في التردية أربعين

---

(١) كذا في الأصل بالطاء وفي تفسير الطبري (٢/٩٣)، والبغوي (١/٥٧: [الترنجبين]، وفي بعض كتب التفسير : [الزنجبيل]، انظر: تفسير الطبري (٢/٩٢).

(٢) كذا في الأصل، ولعله يريد أنه أحلى من العسل.

(٣) في سورة البقرة عند قوله تعالى: **﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى ...﴾** الآية ٥٧ وقد ذكر المؤلف في آية البقرة أن لون الطير أحمر وهنا قال إن لون الطير أخضر. وقال قتادة السلوى طير إلى الحمرة يحشره عليهم ريح الجنوب .
انظر: تفسير ابن كثير (١/١٣٨).

(٤) قراءة الجمهور، وانظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٣٧).

(٥) قرأ بها الكسائي انظر: التذكرة (٢/٥٣٧).

(٦) لم أقف على قول ابن عباس رضي الله عنهما، وقال بمثله دون عزو كل من الطبري (١٦/١٤٥)، والبغوي (٣/٢٢٧).
والذي ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو قوله: فقد شقي والمعنى واحد . انظر المصادر السابقة.

خريفا هذا كلام آخر مستأنف ثم قال: ﴿ وإني لغفارٌ لمن تاب﴾ من الشرك ﴿وءامن﴾ بالله ﴿ وعمل صلحاً ثم اهتدىٰ﴾ .

قال ابن عباس: ﴿ ثم اهتدىٰ﴾ أي علم أن له ثواباً[1]، قال قتادة ﴿ ثم اهتدىٰ﴾ ثم دام على الإسلام حتى مات[2]، قال الضحاك: ﴿ ثم اهتدىٰ﴾ استقام[3]، قال سهل بن عبدالله التستري: ﴿ ثم اهتدىٰ﴾ أي أقام على السنة والجماعة ومات على ذلك[4] ، فلما ذهب موسى مع السبعين إلى الميقات لأجل التوراة فأجلس قومه في سفح الجبل وتعجل إلى الميقات فقال الله تعالى: ﴿ ومآ أعجلك عن قومك يـٰموسىٰ﴾ يعني ما الذي حملك على عجلتك في الخروج دونهم فـ﴿قال﴾ موسى ﴿[هم][5] أولآء علىٰ أثري﴾ يعني هؤلاء السبعين يجيئون على أثري ﴿ وعجلت إليك﴾ وسبقتهم بالخروج يا ﴿رب لترضىٰ﴾ لتكون راضيا عني .

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿ فإنا قد فتنا﴾ ابتلينا ﴿ قومك ﴾ لعبادتهم العجل ﴿ من بعدك﴾ من بعد انطلاقك إلى الجبل وهو رد على المعتزلة لأنهم يقولون إنه لا يفتن أحداً من عباده[6] فقال ﴿ إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى﴾ يعني حملهم على عبادة العجل ﴿ فرجع موسىٰ﴾ فلما رجع موسى ﴿إلى قومه﴾ مع السبعين سمع صوت الفتنة فصار ﴿ غضبان﴾ على قومه ﴿ أسفا﴾ حزينا لعبادتهم

(١) ابن حبيب (ق:١٦٧/أ) ، والدر المنثور (٥٩١/٥)، عن سعيد بن منصور عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البغوي (٢٢٧/٣)، وابن جرير الطبري (١٤٥/١٦)، وانظر: ابن كثير (٣٠٢/٥)، وابن حبيب (ق:١٨٧/أ).

(٣) أخرجه البغوي (٢٢٧/٣)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٧/أ)، وذكره ابن كثير (٣٠٢/٥).

(٤) ابن حبيب (ق:١٨٧/أ)، والثعلبي (ق:٢٣/أ)، والقرطبي (٢٣١/١١).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه.

(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٧/أ).

غير الله .

﴿ قال﴾ موسى لقومه ﴿ يقوم ﴾ ﴿ ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ صدقاً إذا آمنتم به أن يدخلكم الجنة حتى قال ﴿ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصلحت فأولئك لهم الدرجت العلى جنت عدن﴾[1] إلى آخر الآيات ﴿ أفطال عليكم العهد﴾ يعني أفطال عليكم مدة مفارقتي إياكم يعني تلك الأربعين التي وعدهم فعدوا عشرين يوماً وعشرين ليلةً قد تم الأربعين ولم يرجع موسى وعبدوا العجل ﴿ أم أردتم أن يحل عليكم﴾ ومن قرأ برفع[2] الحاء فمعناه ﴿ أم أردتم ﴾ أن ينزل عليكم ﴿ غضبٌ من ربكم ﴾ يعني سخطاً وعذاباً من ربكم ﴿ فأخلفتم موعدى ﴾ يعني خالفتم وعدي يعني الاربعين حين عبدتم غير الله ووعدتموني الثبات على ما تركتكم عليه.

﴿قالوا﴾ يا موسى ﴿ ما أخلفنا موعدك ﴾ يعني ما خالفنا يعني الأربعين ﴿بملكنا﴾ قرئ برفع الميم ونصبها وخفضها[3] من قرأ برفع الميم فمعناه بقوتنا وسلطاننا ومن قرأ بنصب الميم فمعناه بجهدنا وطاقتنا ومن قرأ بكسر الميم فمعناه بعزنا وولايتنا . وقيل: ﴿ بملكنا ﴾ بعلمنا واختيارنا متعمدين.

﴿ ولكنا حملنا أوزاراً ﴾ أحمالاً ﴿ من زينة القوم ﴾ من حلي آل فرعون فشؤم ذلك حملنا على عبادة العجل ﴿ فقذفنها﴾ فطرحناها في النار ﴿ فكذلك ألقى السامرى﴾ من الحلى مع الذى ألقوا فى النار / ﴿ فأخرج ﴾ السامرى ﴿ لهم ﴾ يعني صاغ السامريّ لهم ﴿ عجلاً ﴾ من ذهب ﴿ جسداً ﴾ مجسداً ﴿ له خوارٌ ﴾ ٢١/أ

(١) سورة طه آيه ٧٥، ٧٦.
(٢) قرأ بضم الحاء الكسائي، وبكسرها الباقون. انظر: التذكرة لابن غلبون (٥٣٧/٢).
(٣) قرأ بفتح الميم، نافع ، وعاصم ، وضمها حمزة والكسائي، وكسرها الباقون ، انظر: التذكرة لابن غلبون (٥٣٧/٢، ٥٣٨).

وكان اسم السامري ميخابين مينا[١] .

وقال الضحاك: اسمه موسى بن ظفر[٢] وكان صائغاً منافقا لما رأى جبريل حين دخل البحر فعرفه لأن تربيته كانت بيد جبريل[*] فأخذ تراباً من حافر فرس جبريل وعلم أنه فرس الحياة في كل موضع مر عليه فاخضر فألقى ذلك التراب الذى رفعه من أثر حافر فرس جبريل في العجل حين اتخذه فَخَارَ العجل خورةً واحدةً ولم يعد وظن القوم أن العجل دام على خواره وهو غلط وإنما خار خورةً لأجل ذلك التراب الذى يأخذه لأنه فرس الحياة[*] فلما رأوا ذلك أقبلوا على عبادته إلا إثنى عشر ألف رجل لم يعبدوه وكانوا ستمائه ألف رجل في قول بعضهم وهو الكلبي، وقال وهب كانوا سبعين الف فذلك قوله ﴿ **فأخرج**﴾ فصاغ السامريّ ﴿**لهم عجلاً جسداً له خوارٌ**﴾ وقرأ عليّ بن أبي طالب: ﴿ **له جؤارٌ**﴾ بالجيم[٣] والهمزة. الجؤار والخوار واحد وهما صوت البقر .

قال الأعشى يصف بقرة فطافت ثلاثاً بين يوم وليلة وكان النكيران يصف[٤] ويجرأ يعني أن تجرأ وتصيح ﴿**فقالوا**﴾ يعني فقال لهم السامرى ﴿ **هذا إلهكم وإله موسى فنسي**﴾ فترك السامريّ طاعة الله وأمْره ، وقيل ﴿ **فنسي**﴾ أي نسي السامريّ عودة موسى إليه، وقيل: ﴿**فنسي** ﴾ أي قال السامريّ: ترك موسى[٤] إلهه ههنا وخرج

(١) انظر: تفسير البغوي (٧٢/١)، ذكر ان اسم السامري ميخا دون ذكر اسم أبيه.

(٢) لم أقف عليه عند الضحاك، وأخرجه البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما (٧٢/١)، وقال بذلك ابن جرير الطبري (٦٧/٢) حيث قال: «وكان اسم السامري : موسى بن ظفر».

(*) هذا القول لا دليل عليه، ولم يعهد أن جبريل عليه السلام يربي أحداً من بني آدم ، وكذلك قوله: إن فرس جبريل هي فرس الحياة يحتاج إلى دليل ولا دليل عليه والظاهر أنها فرس من جنس الخيول المعروفة والله أعلم.

(٣) هذه قراءة شاذة منسوبة لعلي رضي الله عنه. انظر: البحر المحيط (٣٩٢/٤)، والكشاف (٩٤/٢).

(٤) لم أجد هذا البيت في ديوان الأعشى .

بطلبه .

فقال الله لهم: ﴿ **أفلا يرون** ﴾ يعني السامريّ وأصحابه ﴿ **ألاَّ يرجع إليهم قولاً**﴾ معناه أنه لا يعيد إليهم خواره يعني العجل والهاء فيه مضمرٌ فلهذا رفُع، نظيره: ﴿ **ألا يقدرون** ﴾[1] أي أنهم لا يقدرون ﴿ **ولا يملك لهم** ﴾ ولا يقدر لهم ﴿**ضراً**﴾ دفع مضرة ﴿ **ولا نفعاً** ﴾ ولا جر منفعة ﴿ **ولقد قال لهم هرون من قبل**﴾ من قبل مجيء موسى ﴿ **يـقوم إنما فتنتم به** ﴾ إنما ابتليتم بعبادة العجل ، وقيل: أضللتم أنفسكم بعبادة العجل ﴿ **وإن ربكم الرحمن** ﴾ يعني وإن ربكم الله وذلك أنهم يستعملون في ذلك الوقت قول الرحمن[2] كما يستعمل الآن قول الله ﴿**فاتبعونى**﴾ في ديني ﴿ **وأطيعوا أمرى**﴾ قولي ووصيتي في ترك عبادة العجل ﴿**قالوا لن نبرح عليه عـكفين**﴾ يعني لن نزال على عبادته مقيمين ﴿**حتى يرجع إلينا موسى** ﴾ فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وصوت الفتنة وكانوا يرقصون حول العجل قال الذين معه من السبعين ما هذه الفتنه فلما رأى موسى هارون أخذ بلحيته ورأسه .﴿ **قال يـهرون**﴾ ﴿ **ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألاَّ تتبعن** ﴾ يعني أن تتبع وصيتي ولم [تتاخرهم ولا صلة][3] ﴿ **أفعصيت أمرى**﴾ أفتركت وصيتى .

﴿**قال**﴾ هارون لموسى ﴿ **يبنؤم** ﴾ ذكر أمه إسترقاقاً وإسترحاماً لأن الأم على ولدها أكثر رحمة وشفقة من الاب فلهذا قال يا بن أم لكي يرفق به ويترحم عليه ﴿**لا**

---

(١) سورة الحديد آية ٢٩.

(٢) تفسيره الرحمن بأنه الله يقتضي أنه كان يخفى على بني إسرائيل أن الرحمن هو الله، وهذا غير معقول ، فهو من الواضحات التي لا تحتاج إلى تفسير.

(٣) كذا في الأصل ولم يتبين معناها.

تأخذ بلحيتى ولا برأسى﴾ ولا بشعر رأسي/ ﴿ **إنى خشيت** ﴾ يعني إن قاتلتهم حيث ٢١/ب
خفت ﴿ **أن تقول فرقت بين بنى إسرءيل** ﴾ بالقتال ﴿ **ولم ترقب قولى** ﴾ ولم تنتظر قدومي وأمري وقيل: ولم تحفظ قولي فمن ذلك تركت قتالهم ثم رجع موسى إلى السامريّ فـ﴿ **قال فما خطبك يسمرى** ﴾ قال ابن عباس: فما شأنك[1]، قال الضحاك: ما أمرك[2]، قال عطاء: ما الذي حملك على ذلك[3] يا سامريّ، وقال بعضهم: ما حالك يا سامريّ.

﴿**قال**﴾ السامرى: ﴿ **بصرت بما لم يبصروا به**﴾ أي رأيت ما لم تر بنوا إسرائيل.

فقال له موسى وما رأيت دونهم . قال السامرى: رأيت جبريل على فرس بلقاء أنثى وهي دابة الحياة ﴿ **فقبضت قبضة من أثر الرسول**﴾ يعني من تراب حافر فرس جبريل، وقرأ الحسن: فقبصت قبصة[4] بالصاد والفرق بينهما أن القبض بجميع الكف والقبص بالصاد بأطراف الأصابع ﴿**فنبذتها**﴾ أي طرحتها في فم العجل فخار يعني بتلك القبضة ﴿ **وكذلك سولت لى نفسى** ﴾ يعني زينت لي نفسي .

﴿**قال**﴾ له موسى ﴿ **فاذهب** ﴾ يا سامريّ ﴿ **فإنّ لك فى الحيوة** ﴾ ما دمت حياً ﴿ **أن تقول لا مساس** ﴾ يعني أن تقول إذا رأيت الناس لا مساس أي تباعدوا مني لا أمسكم ولا تمسوني ولا أخالطكم ولا تخالطوني.

قال ابن حبيب: رأيت في بعض التفاسير [أنه][5] إن مس واحدٌ من غيرهم أحداً

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٧/أ).
(٢) انظر المصدر السابق.
(٣) انظر نفس المصدر السابق.
(٤) هذه قراءة شاذة نسبت للحسن وجماعة انظر: مختصر في شواذ القرآن (٨٩).
(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٨٧/أ).

منهم حمى كلاهما في الوقت قا ل وسمعت أن القرية التى فيها أولاده ونسله قائمة وهذا دأبهم[١] وعادتهم .

قال إسماعيل : رأيت [من بابى تلك القرية][٢] وهى بقرب بيت المقدس وقال لا يدخل عليهم أحد من الناس وإذا دخل عليهم أحد صاحوا ولم يتركوه . وقال إذا أراد السلطان أن يأخذ منهم الخراج خوفهم بإرسال الأعوان إليهم فخافوا واستعاذوا من إرسالهم وبعثوا إليه الخراج في الوقت من الذهب والفضة خوفا من المساس ﴿ **وإن لك موعداً** ﴾ أجلاً يوم القيامة ﴿ **لن تخلفه**﴾ لن تجاوز ذلك العذاب .

قال سعيد بن جبير: ﴿ **وان لك موعداً لن تخلفه**﴾ يعني البعث والقيامة ومجازها إنك تبعث ثم تسأل عن صنيعك العجل[٣].

﴿**وانظر**﴾: يا سامرّي ﴿ **إلىٰ إلٰهك** ﴾ يعني العجل بزعمك أنه إله ﴿ **الذى ظلت عليه عاكفاً** ﴾ يعني الذي دمت عليه مقيما تقول العرب ظلت أفعل كذا يعني ظللت أفعل كذا. ومست فلانا يعنى مسسته[٤] وأحست فلانا يعني أحسست ومعناه رأيته ووجدته ﴿ **لنحرقنّه ثم لننسفنّه فى اليم نسفاً**﴾ وذلك أن موسى أخذ ذلك العجل وأبرده وذرّاه وطرحه في البحر، وأمر بني إسرائيل بالشرب من ذلك ، فمن شرب منه وعبد العجل إصفر وجه وتغير لونه ، ومن شرب منه ولم يعبد العجل حسن وجه وإحمر لونه، وإنما فعل ذلك ليميز بين من عبد العجل وبين من لم يعبد. فذلك قوله: ﴿ **لنحرقنّه**﴾ يعني لنحرقن العجل بالنار /. ١/٢٢

(١) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٧/أ).

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب رأيت مباني تلك القرية لأن المعنى لا يستقيم إلا بهذا التقدير.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٧/أ).

(٤) ذكره البغوي (٣/٢٣٠).

وقـرأ أشهب العـقيلي وابن مـحيـصن : ﴿لنحرقنه﴾ بفتـح النون وضم[1] الراء للتخفيف ومعناه لنبـردنه بالمبردة ويقال للمبرد المحرق ﴿ ثم لننسفنّه في اليم نسـفاً ﴾ لنذرينه في اليم ذريا، وقيل: لنطرحنه في البحر طرحا، وفى الآية تقديم وتأخير ومعناه ﴿لنحرقنّه ثم لننسفنّه [في اليم][2] نسفاً﴾ نسفاً[3].

﴿ وانظر إلى إلـهك الذى ظلت عليـه عاكـفا﴾ في البحـر أن الله تعالى أوحى إلى مـوسى لا تقتل السـامريّ فـإنه سـخيّ ثم قال لبني إسـرائيل ﴿ إنما إلــهــكم الله الذى لآ إلــه إلا هو ﴾ أي خالقكم ورازقكم الذي خلقكم ورزقكم وأوجدكم الذي لا إله إلا هو ولا خـالـق ولا رزاق ولا مـالك إلا هو ﴿ وسع كل شيءٍ علمـاً﴾ يعني أحاط علمه بكل شيء.

قال مقاتل: يعني علم من عبد العجل ومن لم يعبده[4] ثم قال لنبيه ﷺ ﴿كذلك نقص عليك ﴾ أي هكذا نقـرأ عليك يا مـحمـد ﴿ من أنبـآء ما قد سـبق﴾ يعني من أخبار القرون الماضية والأمم الخالية ﴿ وقدءاتينـك ﴾ أعطيناك ﴿ من لدنا ﴾ من عندنا علماً ﴿ ذكراً ﴾ يعني آيات القرآن فيه خبر الأولين والآخرين.

﴿ من أعـرض عنه ﴾ عن الإيمان بالـقـرآن ﴿ فـإنه يحمل يـوم القيـمـة وزراً﴾ حملاً من المآثم ﴿ خـلدين فيه﴾ مقيـمين في عقوبة الوزر . وقيل مقـيمين في العذاب

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/٢٤٢)، ونسب الطبري هذه القراءة إلى أبي جعفر القارى يزيد بن القعقاع (١٦/١٥٣)، وانظر: التذكرة في القراءات الثلاث المتواترة للدكتور محمد سالم محيسن (٢/٢٧).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

(٣) كذا في الأصل، وهو تكرار لا حاجة إليه.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٤٠).

وقيل مقيمين في الوزر ﴿وساءلهم يوم القيـمة حملاً﴾ أي [ما أسوء][1] ما حملوا من الذنوب.

قال الله تعالى: ﴿ يوم ينفخ فى الصور﴾ يعني النفخة الأخرى وهي نفخة البعث وهكذا قراءة عامة القراء إلا أبا عمرو فإنه قرأ ﴿ يوم ننفح فى الصور﴾[2] بالنون إعتباراً بقوله: ﴿ ونحشر المجرمين﴾ المشركين ﴿ يومئذ ﴾ يوم القيامة ﴿ زرقا﴾ يعني زرق الأعين والعرب تتشآم بزرقة العيون ولا تستحسنها ﴿ يتخفتون بينهم﴾ يعني يتساورون فيما بينهم في هذا القول ﴿ إن لبثتم ﴾ يعني ما مكثتم في الدنيا .

ويقال في القبور: ﴿ إلا عشراً ﴾ أي عشر ليال أو عشرة أيام وقال الله تعالى: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ بما يقول المتساورون فى البعث ﴿ إذ يقول أمثلهم طريقة﴾.

قال ابن عباس ومقاتل: أفضلهم عقلاً[3]، قال عكرمة : أصوبهم[4] رأياً ﴿ إن لبثتم﴾ ما مكثتم في القبور ﴿ إلا يوماً ﴾ وإنما قالوها لأن الله رفع العذاب عن المؤمنين والكافرين فيما بين النفختين .وهو أربعون سنة والدليل عليه قوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿ قالوا يـويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾[5].

قوله تعالى: ﴿ ويسئلونك عن الجبال ﴾ نزلت هذه الآية في رجل من بني ثقيف سأله عن الجبال[6] فأنزل الله تعالى: ﴿ ويسئلونك ﴾ يا محمد ﴿ عن الجبال فقل

(١) في الأصل: [ما أساوا ما حملوا] وهو خطأ تم تصويبه من تفسير ابن حبيب (ق:١٨٧/ب).
(٢) انظر: التذكرة لابن غلبون (٥٣٨/٢).
(٣) ابن حبيب (ق:١٨٧/ب)، وتفسير مقاتل (٤١/٣).
(٤) ابن حبيب (ق:١٨٧/ب).
(٥) سورة يس آية ٥٢.
(٦) أخرجه البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما (٢٣١/٣).

ينسفها ﴾ يعني يقلعها ﴿ **ربى** ﴾ من أماكنها قلعا فيطرحها في البحر حتى تستوي بالأرض قلعاً في الآية مسألة شريفة من المعاني والنحو.

يسأل عنها وذلك أن الفاء ﴿ **فقل**﴾ خلاف لجواب الاسئلة كلها في القرآن نحو قوله: ﴿ **يسئلونك عن المحيض قل هو أذىً**﴾[1] ﴿ **وعن اليتـٰمى قل إصلاح لهم خير**﴾[2] ﴿ **وعن الخمر والميسر قل فيهمآ إثمٌ كبيرٌ**﴾[3] ﴿ **وعن الساعة أيان مرسـٰها قل إنما علمها عند ربى**﴾[4] / ﴿ **وعن ذى القرنين قل سأتلوا**﴾[5] .

٢٢/ب

قال السائل فما العلة الجالبة لهذه الفاء؟

فالجواب: أن تلك الأسئلة كانت تقدمت سألوا عنها رسول الله ﷺ فجاء الجوابُ عقب السؤال وهذا سؤال لم يسألوه عنه وعلم الله في سابق علمه أنهم يسألونه عنه فالجواب قبل السؤال ومجازه وإذا سألوك عن الجبال أو إن سألوك عن الجبال فقل ليكون جوابا للشرط مثل قوله تعالي ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس**﴾[6] وقوله: ﴿ **فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين**﴾[7] وقوله: ﴿ **فإن جآءوك فاحكم بينهم**﴾[8] وأشباه ذلك.

﴿ **فيذرها قاعاً صفصفاً**﴾ يعني يترك الجبال قاعاً صفصفاً، قال ابن عباس:

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢.
(٢) سورة البقرة ٢٢٠.
(٣) سورة البقرة ٢١٩.
(٤) سورة الأعراف آية ١٨٧.
(٥) سورة الكهف آية ٨٣.
(٦) سورة البقرة آية ٢٤.
(٧) سورة يونس آية ٩٤.
(٨) سورة المائدة آية ٤٢.

مكانا خالـيا(١). قال الضحاك: مكاناً لا نبت فيه(٢)، وقيل: مكانا مستويا والصفصف المستويـة.

﴿لاّ ترىٰ﴾ يا محمد ﴿ فيها ﴾ يعني في الأرض راجع إلى المعنى وهو كناية عن غير مذكور لأن ذكر الأرض ليس في الآية ﴿ لا ترى فيها عوجاً ﴾ يعني إعوجاجاً ﴿ولاّ أمتاً﴾ .

قال ابن عباس:في بعض رواياته الأمت مسالك الأودية(٣). قال مجاهد: ﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً﴾ يعني إنخفاضا وإرتفاعاً(٤). قال قتادة: الأمت: الحدب وهو الصعود(٥). وقال عكرمة: الأمت : الرابية وهي الصعود(٦). وقال الكسائي: هو النشز من الأرض(٧).

قال ابن حبيب: رأيت في بعض المعاني الأمت التفاوت تقول العرب ملأت القربة ماءً لا أمت فيه يعني لا استرخاء فيها وسرت اليوم سيراً لا أمت فيه يعني لا فترة فيه(٨) قال يمان بن رياب: الأمت الشقوق في الأرض(٩).

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٧/ب).
(٢) انظر المصدر السابق.
(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٧/ب)، وأخرج ابن جرير الطبري (١٥٦/١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسّر الأمت بالرابية.
(٤) أخرجه الطبري (١٥٦/١٦)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٧/ب).
(٥) أخرجه الطبري (١٥٦/١٦)، وأخرج البغوي عنه مثله (٢٣١/٣) وذكره ابن حبيب (ق:١٨٧/ب، ١٨٨/أ).
(٦) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٨/أ)، وابن كثير (٣١٠/٥).
(٧) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٨/أ).
(٨) انظر المصدر السابق.
(٩) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٨/أ).

﴿يومئذ﴾ يوم القيـامه ﴿ يتبعون ﴾ يعني يتـبع جميـع الخلائق ﴿ الداعى﴾ وهو إسرافيل على صخرة بيت المقدس[١] ينفخ في الصور يـعني في القرن ﴿ لا عوج له ﴾ أي لا عوج لداعيه ولقـوله يعني إسرافيـل وقيل: هو من المقلوب ومعـناه لا عوج لهم عن داعيه أي لا يزيغون بل ينتهون إلى ذلك الموضع الذي دعاهم .

﴿ وخشعت الأصوات﴾ يعني وسكنت الأصوات ﴿ للرحمن ﴾ لهيبة الرحمن يومئذ ﴿ فلا تسمع ﴾ يا محمد ﴿ إلا همساً﴾ قال ابن عباس: يعني صوتا خفيا[٢].

قال عطاء: ﴿همساً﴾ صوتا خفيا لا يسمع[٣]. قال الضحاك: ﴿ إلا همسا﴾ إلا وطأ كوطئ الإبل[٤]، قال الحسين : هو نقل الاقدام[٥].

قال ابن حبيب: وأصل الهـمس الإخفاء تقول العرب للقوم يسار بعـضهم بعضا هم يتهامسون[٦].

﴿يومئذ لا تنفع الشفـعة﴾ يعني شفاعة الملائكة ﴿ إلا من أذن له الرحمـــن﴾ إلا لمن أذن الله له بالشـفاعـة ﴿ ورضى له قـولاً﴾ قـيـل منه لا إله إلا الله والـكنايات راجعةٌ إلى المشفوع وتفسير ﴿ من أذن﴾ وهو الشخص الذي يأذن الـله تعالى في أن يشفع له وهم المؤمنون ونظيره: ﴿ ولا يشفعون إلا لمن إرتضى﴾[٧] ولا تشفع الملائكة

---

(١) هذه من الاسرائيليات التي لا دليل عليها، وقد نقلها المؤلف عن شيخه ابن حبيب.
(٢) أخرجه الطبري (١٦/١٥٧)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٨/أ)، وابن كثير (٥/٣١٠).
(٣) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٨/أ).
(٤) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٨/أ).
(٥) أخرجه الطبري (١٦/١٥٧).
(٦) انظر: تفسيره (ق:١٨٨/أ).
(٧) سورة الانبياء آية ٢٨.

إلا لمن رضي الله له بالشفاعة/ ﴿ يعلم ﴾ أي يعلم الله ﴿ ما بين أيديهم ﴾ يعني ما كان قبل خلق الملائكة ﴿ وما خلفهم ﴾ وما يكون قبلهم[1] ﴿ ولا يحيطون به علماً﴾ الكناية راجعةٌ إلى الله. معناه: لا يعلمون مما بين أيديهم وما خلفهم إلا ما علمهم الله يعني الملائكة وقيل: ﴿ ولا يحيطون به علما﴾ يعني لا يدركون الله وإن رأوه بأبصارهم لأن الله تعالى خارج من جنس المرئيات. ٢٣/أ

قوله عزوجل: ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم﴾ أي وخضعت الوجوه يومئذٍ ﴿للحيّ القيوم﴾ لله تبارك وتعالى.

قال ابن عباس: ذلت الوجوه للحي القيوم[2] لا يموت أبداً.

قال الأخفش: ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم﴾ أي خشعت الوجوه لله الواحد القهار[3].

قال مقاتل: استسلمت الوجوه[4]، قال النضر بن شميل: انقادت الوجوه[5]، والوجوه عبارةٌ عن جميع الأبدان والعرب تعبر ببعض الشيء عن [كلها][6] وتقول العرب للأسيرعاني ومنه قول النبي ﷺ عند موته «اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم

---

(١) الصواب أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ يعود إلى جميع الخلائق الذين يتبعون الداعي، كما قال ابن جرير الطبري (١٥٧/١٦)، وهو دليل على إحاطة علم الله جل وعلا بجميع الكائنات، ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، كما قال ابن كثير رحمه الله (٤٥٧/١).

(٢) أخرجه الطبري (١٥٨/١٦)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٨/أ)، وابن كثير رحمه الله (٣١١/٥).

(٣) ابن حبيب (ق:١٨٨/أ) ولم أقف عليه في معاني القرآن له.

(٤) انظر: تفسيره (٤٢/٣).

(٥) ابن حبيب (ق:١٨٨/أ).

(٦) كذا في الأصل والصواب أن يقال ببعض الشيء عن كله.

عوان»[١] كالأسارى في أيديكم.

قال الشاعر:[٢]

تمتع من الدنيــا فــإنك فــانٍ وإنك في أيـدي المنيــة عــانِ

يعني في أيدي الموت كالأسير وقال أمية بن الصلت[٣]

مليكٌ على عـرش السمـاء مهيـمنٌ لعـزته تعنو الـوجوه وتسـجـد[٤]

أي تخضع لله الوجوه وتسجد.

﴿ وقد خاب ﴾ وقد خسر وقنط من رحمة الله وبركاته **﴿ من حمل ظلماً﴾** يعني من حمل الشرك **﴿ ومن يعمل من الصــلحــت ﴾** من الخيرات **﴿ وهو مؤمنٌ فلا يخاف ظلماً﴾** قال ابن عباس: يعني إنتقاصاً[٥] في ثواب عمله **﴿ ولا هضماً﴾** ولا كسراً لحقه.

قال أبو العاليه: يعني لا يؤرك ذنب غيره عليه[٦] أي لا يحمــل. وروى أبووق

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٥/٧٢، ٧٣) بهذا اللفظ من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه مرفوعاً. ورواه ابن ماجه من حديث عمرو بن الأحوص الجشمي عن أبيه مرفوعاً، «بلفظ استوصوا بالنساء خيراً فانهن عندكم عوان ... الحديث» انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني (١/٣١١)، والطبري (٨/١١٩) برقم (٨٩٠٦).

ومعناه ثابت صحيح بصحة حديث جابر الطويل في صحيح مسلم (٥/٨٨٩)رقم الحديث (١٢١٨).

(٢) لم أقف على اسم الشاعر والبيت في تفسير ابن حبيب (ق:١٨٨/أ).

(٣) هو: أمية بن عبدالله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف أدرك الاسلام ولم يسلم وشعره يدل على أنه يؤمن بالبعث، قيل مات سنة (٢هـ) وقيل (٥هـ). انظر ترجمته في: الاعلام (٢/٢٣) ، وتهذيب الأسماء (١/١٢٦).

(٤) البيت ذكره ابن حبيب (ق:١٨٨/أ)، وفي الدر المصون (٤/٢٨٧).

(٥) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٨/أ)، وأخرجه البغوي (٣/٢٣٢)، وحكاه الماوردي (٣/٤٢٨).

(٦) ابن حبيب (ق:١٨٨/أ).

عن الضحاك يعني لا يؤخذ بذنب لم يعمله. ولا تبطل حسنةٌ عملها[1] ولا تضيع، نظيره: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾[2] ﴿إنا لا نضيع أجر المحسنين﴾[3] وقد قرئ﴿فلا يخف﴾ على النهي للغائب[4] ﴿وكذلك﴾ وهكذا ﴿أنزلنه قرءاناً عربيا﴾ عل لغة العرب ﴿وصرفنا فيه﴾ وبينا في القرآن ﴿من الوعيد﴾ ومعناه من الوعد والوعيد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ﴿لعلهم يتقون﴾ لكي يتقوا الكفر والشرك والفواحش ﴿أو يحدث﴾ معناه ويحدث القرآن ﴿لهم ذكراً﴾ عظةً والألف صلةٌ وقيل: ويحدث لهم ثواباً إن امنوا وشرفاً إن وحدوا وعذابا إن لم يؤمنوا.

﴿فتعلى الله الملك الحق﴾ أى تعالى فوق السموات وتبرأ عن الولد والشريك. وقيل: يعنى ارتفع عن أن تدركه الحواس وأن يقاس بالناس[5] ﴿[ولا][6] تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ وذلك أن النبي ﷺ كان يبادر الوحي ويقرأ مع جبريل حين يلقى عليه الوحي خوفا من النسيان[7] فعلمه الله تعالى فقال: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه﴾[8] أي وقراءته عليك/ ﴿فإذا قرأنه﴾ ٢٣/ب يعني إذا فرغ جبريل من قراءته ﴿فاتبع قرءانه﴾ فاقرأ على إثره وأنزل الله تعالى:

---

(١) ابن حبيب (ق:١٨٨/أ)، وأخرجه البغوي (٢٣٢/٣).

(٢) سورة الكهف آية ٣٠.

(٣) كذا في الأصل، ولعله أراد آية سورة الأعراف ونصها: ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ ١٧٠، لأنه لا توجد آية بهذا النص الذي ذكره المؤلف.

(٤) قرأ بها ابن كثير. انظر: التذكرة لابن غلبون (٥٣٨/٢).

(٥) مما لا شك فيه أن لله العلو المطلق من جميع الوجوه فيشمل علو الذات وعلو القدر وعلو القهر والآية تحمل على هذه الوجوه الثلاثة فلا تخصيص.

(٦) في الأصل: [فلا تعجل] وهو خطأ تم تصويبه.

(٧) صحيح البخاري تفسير سورة القيامة (٧٦/٦).

(٨) سورة القيامة آية ١٦، ١٧.

﴿ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضىٰ إليك وحيه﴾ يعني من قبل أن يفرغ جبريل من قراءة القرآن وإذا خفت النسيان ﴿وقل ربى زدنى علماً﴾ .

قال قوم: يعني فهماً، وقيل يعني حفظ القرآن .

قوله عز وجل: ﴿ ولقد عهدنآ إلىٰ ءادم من قبل﴾ أمرنا آدم أن لا يأكل من هذه الشجرة من قبل يعني من قبل أكله من الشجرة.

وقيل ﴿ من قبل﴾ من قبل محمدٍ بستة [ألف][1] سنة وتفسير العهد قوله: ﴿فقلنا يـٰـٔادم إن هذا عدوٌ لك ولزوجك﴾[2] .

قال ابن عباس: يقول أوحينا إلى آدم أن لا يطيع إبليس ولا يأكل من تلك الشجرة[3].

وقال الكلبي: وكانت شجرة العلم فيها من أنواع الثمار ﴿فنسى﴾ فترك أمر الله وأطاع أمر ابليس ليس من النسيان الذى هو ضد الحفظ ولكنه الترك، نظيره قوله تعالى: ﴿ نسوا الله فنسيهم﴾[4].

ولا يجوز النسيان على الله ومعناه تركوا أمر الله فتركهم الله في النار فكذلك هنا يعني ترك أمر الله وأطاع إبليس .

قال الله تعالى: ﴿ ولم نجد له عزماً﴾ قال ابن عباس: عزماً يعني جداً على ترك

(١) كذا في الأصل، والصواب : [الاف سنة].

(٢) ابن حبيب (ق:١٨٨/ب).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) سورة التوبة آية ٦٧.

أمر الله[1].

قال الضحاك: ﴿عزماً﴾ صريمة أمر الله[2] يعني: قطع أمر الله.

قال قتادة ومقاتل: ولم يجد له صبراً[3]. وقال ابن كيسان: معناه ولم نجد له إصراراً[4] عليه وإضماراً على العود إلى الدنيا.

ثانياً: قال عطية العوفي: عزماً[5] : أي رأياً.

قوله عزوجل: ﴿ وإذ قلنا﴾ واذكر يا محمد ﴿ إذ قلنا للملـٰئكة اسجدوا لأدم﴾ سجدة تحيةٍ لا سجدة عبادةٍ وقد مضت القصة ﴿ فسجدوا إلا إبليس أبىٰ﴾ يعني امتنع وتعظم وتكبر من السجود ﴿ فقلنا يـٰئادم﴾ هذا تفسير قوله: ﴿ ولقد عهدنا إلى ءادم من قبل﴾ وعهده ﴿ فقلنا يـٰئادم إنّ هذا ﴾ يعني إبليس ﴿ عدوٌّ لك ولزوجك﴾ حواء ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة ﴾ إذ دخلتما ﴿ فتشقىٰ﴾ فتتعب وأصل الشقاء في اللغة التعب وكان حقه أن يقول فتشقيا ولكن إذا اجتمع المذكر والمؤنث فالغلبة للمذكر على المؤنث.

ويقال إنما قال فتشقى لوفاق رؤوس الآي ﴿ إن لك ألاّ تجوع فيها ﴾ من الطعام في الجنة ﴿ ولا تعرىٰ ﴾ من الثياب ﴿ وأنك لا تظمؤا فيها﴾ يعني لا تعطش في الجنة ﴿ ولا تضحىٰ﴾ يعني ولا يصيبك حر الشمس ما لم تأكل تلك الشجرة إلى ههنا

---

(١) لم أقف على هذا اللفظ عن ابن عباس رضي الله عنهما وأخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «لم نجد له حفظاً» (١٦/١٦١) وعن ابن حبيب (ق:١٨٨/ب) عنه بلفظ [حزماً].

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٨/ب) وفيه قال الضحاك: صريمة أمر.

(٣) أخرجه الطبري (١٦/١٦١)، وانظر: تفسير مقاتل (٣/٤٣).

(٤) ابن حبيب (ق:١٨٨/ب).

(٥) انظر المصدر السابق.

تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنآ إلىٰ ءادم من قبل ﴾ تقول العرب ضحوت فلانا إذا أتيته في الضحوة وأضحيت إذا سرت في حر الضحى وضحيت أضحى ضحيا بالتخفيف أي برزت للشمس يعني جلست في حر الشمس وضحَّيتُ مشقلةٌ من الأضحية .

قال الله تعالى: ﴿ فوسوس إليه الشيطـٰن﴾ يعني إبليس ﴿ قال يـٰٔادم هل أدلك علىٰ شجرة الخلد﴾ يعني على شجرةٍ إذا أكلتها بقيت في الجنة خالداً مخلداً/ ٢٤/أ ﴿وملكٍ لا يبلىٰ﴾ يعني وملكٍ لا يبيد ولا يفنى .

﴿فأكلا منها﴾ من الشجرة فتهافتت[١] عنهما لباسهما وكانت مثل الظفر[٢] ﴿فبدت لهما سوءٰتهما﴾ فظهرت لهما عورتهما ﴿ وطفقا﴾ قال ابن عباس: عمدا[٣]. قال الفراء: أقبلا[٤].

وأصل طفق أخذ في ابتداء الشيء ﴿ يخصفان عليهما﴾ يعني يلزقان ويلصقان على عوراتهما ﴿من ورق الجنة﴾ يعني من ورق التين كلما ألزق بعضهما ببعض تهافتت ﴿ وعصىٰ ءادم ربه﴾ بأكله من الشجرة ﴿ فغوىٰ﴾ أي فأخطأ وضل، وقال ابن حبيب: قال من لا علم له باللغة من بعض الملحدة ليس هذا من الغي والضلال في شيء وإنما معناه ﴿ فغوىٰ﴾ أي يبشم من أكل الشجرة[٥] والبشم كالتخمة قلنا له ما أجهلك باللغة وما مثلك إلا كما قيل:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب :[تهافت عنهما].

(٢) هكذا في تفسير ابن حبيب (ق:١٨٨/ب)، ولم يظهر لي معناها.

(٣) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٨/ب).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٩٤)، وتفسير ابن حبيب (ق:١٨٨/ب).

(٥) انظر: تفسيره (ق:١٨٨/ب).

لو [كان][1] كـمـا تسـفل [تعـلو كنت][2] للشمـس نجياً
أو كـمـا تجـهل تدرى كنت للـه نبـيـاً.

لا يقـال من البـشم غوى وإنما يقـال من البـشم غـوى بكسـر الواو يغوى غـوى مقصورةً وأما من الغواية والضلالة فالفعل منه غوى بفتح الواو يغوى غياً وغوايةً فهو غاوي. قال الشاعر:[3]

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يقدم على الغي لائماً

﴿ ثم اجتبـه ربه﴾ قـال إبن عباس: اختـاره[4] ربه بالنبـوة، قـال السـدي: اصطـفاه[5]. قال قتادة استخلصه[6] ﴿ فتاب عليه﴾ فتجاوز عنه ﴿ وهدى﴾ يعني هداه إلى التوبة .

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو﴾ من الجنة جميعا . قال قومٌ: الخطاب متوجهٌ إلى آدم وإبليس[7] . وقال آخرون: الخطاب متوجهٌ إلى آدم وحواء وهذا أصح[8].

﴿ فإما يأتينكم ﴾ الخطاب لذريته يعني مهما يأتينكم وحين يأتينكم يا ذرية آدم ﴿ مني هدىً﴾ يعني الكتاب والرسول ﴿ فمن اتبع هداى﴾ كتابي ورسولي ﴿ فلا

---

(١) ساقط من الأصل تم استدراكه من تفسير ابن حبيب (ق:١٨٨/ب).
(٢) في الأصل: [تغلبوا كمية] وهو كلام غير مفهوم، وما أثبته من تفسير ابن حبيب (ق:١٨٨/ب٩).
(٣) لم أهتد إلى قائل البيت، وهو في تفسير ابن حبيب (ق:١٨٨/ب).
(٤) ابن حبيب (ق:١٨٨/ب٩) .
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) هذا اختيار ابن كثير رحمه الله (٥/٣١٥)، والطبري (١٦/١٦٣).
(٨) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٨/ب)، والراجح خلافه كما اسلفنا وعليه جمهور المفسرين ، مثل الطبري ، والبغوي، وابن كثير، والقرطبي، والسمرقندي وغيرهم.

يضل﴾ في الدنيا **﴿ولا يشقى﴾** في الآخرة ولا يتعب.

قوله عزوجل: **﴿ومن أعرض عن ذكرى فإنّ له﴾** نزلت في الأسود بن عبدالأسد قتله حمزة بن عبدالمطلب في الحوض ببدر وكان كافراً[1] فأنزل الله تعالى: **﴿ومن أعرض عن ذكرى﴾** يعني التوحيد وقيل: عن القرآن ومحمد ﷺ **﴿فإن له معيشة ضنكا﴾**.

قال ابن عباس: فإن له معيشةً شديدةً في أكل الزقوم والضريع والفلين[2]. قال مقاتل: يعني في معيشة سوءٍ[3]. لأنها في معاصي الله تعالى، قال مجاهد: يعني في معيشةٍ ضيقة[4]، قال ابن مسعود والحسن: يعني عذاب القبر[5]، قال قتادة: فإن له معيشةً ضنكاً يعني في جهنم[6]. قال أبو سعيد الخدري: يعني يُضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه[7]. قال سعيد بن جبير: يسلبه الله القناعة حتى لا يشبع[8] يعني في الدنيا. قال الضحاك: وهو الكسب الخبيث[9].

---

(١) تخصيص الآية لسبب نزول معين لا دليل عليه وهذا هو منهج المؤلف رحمه الله الإفراط في تخصيص كثير من الآيات باسباب نزول خاصه والآية عامة وجمهور المفسرين على خلاف قول المؤلف هذا.
انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٦/١٦٣)، والبغوي (٣/٢٣٥)، وابن كثير (٥/٣١٦).

(٢) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٩/أ)، وأخرجه البغوي عنه (٣/٢٣٥) بلفظ: [الشقاء].

(٣) انظر: تفسيره (٣/٤٥).

(٤) انظر: تفسير مجاهد (٤٠٥).

(٥) أخرجه الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره (١٦/١٦٥). واختارة. فقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هو عذاب القبر. وأخرجه ايضاً البغوي (٣/٢٣٥).

(٦) أخرجه الطبري (١٦/١٦٤).

(٧) أخرجه الطبري (١٦/١٦٤)، وأخرجه ايضاً البغوي (٣/٢٣٥)، وذكره ابن حبيب (ق:١٨٩/أ).

(٨) ابن حبيب (ق:١٨٩/أ)، وأخرجه البغوي (٣/٢٣٥).

(٩) أخرجه الطبري (١٦/١٦٤)، والبغوي (٣/٢٣٥).

﴿ ونحشره يوم القيـٰمة أعمىٰ﴾ قال ابن عباس: يعني أعمى البصر[1]. قال مجاهد: يعني أعمى عن الحجة[2].

﴿قال رب لم حشرتنى أعمىٰ﴾ عن حجتي ﴿ وقد كنت بصيراً﴾/ بها في الدنيا ﴿ قال كذٰلك أتتك ءايـٰتنا﴾ يعني محمداً والقرآن ﴿ فنسيتها﴾ فتركت الإيمان بمحمد ﷺ والعمل بالقرآن وهذا خطابٌ عامٌ . ٢٤/ب

قال الله تعالى: ﴿ وكذٰلك اليوم تنسىٰ﴾ يعني تترك في النار ولا يذكرك أحدٌ بخير ﴿ وكذٰلك﴾ هكذا ﴿ نجزى من أسرف﴾ يعني من أشرك .

﴿ ولم يؤمن بئايـٰت ربه﴾ يعني محمداً والقرآن ﴿ ولعذاب الأخرة أشد﴾ من عذاب الدنيا ﴿ وأبقىٰ ﴾ يعني وأدوم.

﴿ أفلم يهد لهم﴾ أفلم يبين لهم يعني لأهل مكة ﴿ كم أهلكنا قبلهم﴾ قبل أهل مكة ﴿ من القرون﴾ الماضية مثل عادٍ وثمودٍ وغيرهما ﴿ يمشون فى مسـٰكنهم﴾ في منازلهم يعني أهل مكة إذا مروا إلى التجارة نظيره: ﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾[3].

﴿ إن فى ذلك ﴾ فيما فعلنا بهم ﴿ لأيـٰت﴾ لعلاماتٍ ﴿ لأولى النهىٰ ﴾ لذوي العقول من الناس.

---

(١) ذكره ابن حبيب (ق:١٨٩/أ)، وأخرجه البغوي (٢٣٥/٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٦٥/١٦)، والبغوي (٢٣٥/٣).
واختاره ابن جرير الطبري فقال: قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ما قاله الله تعالى ذكره وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء كما أخبر جل ثناؤه فعمّ ولم يخصص.

(٣) سورة الصافات آية ١٣٧.

﴿ ولولا كلمةٌ سبقت من ربك ﴾ في تأخيـر العذاب عنهم ﴿ وأجلٌ مسمى﴾ ووقتٌ معلومٌ ﴿ لكان لزاماً﴾ أي لكان العـذاب إلـزامـا لهم[1]. وفيـه تقديمٌ وتأخـير ﴿فاصبر﴾ يا مـحمـد ﴿ علىٰ ما يقولون﴾ من الطعن والشـتم نسختـها آية القـتال[2] ﴿وسبح بحمد ربك ﴾ قال ابن عبـاس: صل بأمر ربك[3]، ﴿ قبل طلـوع الشمس﴾ يعني صلاة الفـجر ﴿وقبل غروبها﴾ يعني صـلاة الظهـر والعـصـر ﴿ ومن ءاناءى الليل﴾ يعنى صلاة المغرب والعشاء والأناء الساعات واحدها إنيٌ وآنى.

﴿ فسبح ﴾ فصلى ﴿ وأطراف النهار ﴾ يعني طرفي النهـار وهو صلاة الفـجر والظهر والعصر والطرفان يكون أول الليل وآخره.

قال الله تـعالى: ﴿ وأطراف النهار﴾ قـال أبو بكر بن فـورك: وهي أول النهـار وآخره وإذا انتـصف النهار يكون طرف آخـر نصف النهار وطرف أول نصـف النهار فذلك أطراف[4] كمـا قال ﴿ فـسبح وأطراف النهـار لعلك ترضىٰ﴾ . لكـي تعـطى الشفاعة حتى ترضى نظيره: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ﴾[5] يعني الشفاعة في مـذنبي أمتك، وقـرأ الكسـائي: ترضى[6] على مـالم يسم فـاعـله مـعناه لعـلك ترضى

(١) قدّم المؤلف وأخر في نص الآية على تقـدير التقديم والتأخير في المعنى كـما بين ذلك، والصواب أن يذكر نص الآية كما هو ولا يقدم ويؤخر في الآية.

(٢) قـال بنسخـهـا ابن حبـيب (ق:١٨٩/أ)، والـثعلبي (ق:٢٦/ب)، والبـغوي (٣/٢٣٦)، وقـال ابن الجوزي في نواسخه: «قـال جماعة من المفسرين، معناها قاصـر على ما تسمع من أذاهم ثم نسخت بآية السيف نسب قول النسخ إلى جماعة دون تعليق».
ومنهم من قال آية القتال بل بقى المعظم منهم.
انظر: تفسير القرطبي (١١/٢٦٠).

(٣) ابن حبيب (ق:١٨٩/أ)، وأخرجه البغوي (٣/٢٣٦).

(٤) لم أقف على قول ابن فورك لعدم توفر المصدر اللازم لذلك.

(٥) سورة الضحى آية ٥.

(٦) انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٣٩).

بالثواب .

قوله عزوجل: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزوجاً منهم﴾ قال أنس بن مالك: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل من اليهود أستقرضه فقال لا أدفع شيئا إلا بالرهن فاغتم لذلك رسول الله ﷺ وكان اليهودي صاحب مال فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزوجاً﴾ يعني أعطيناهم أصنافا من النعيم ﴿منهم﴾ للكفار بمكة ﴿ به أزوجاً﴾ الهاء راجعة إلى (ما) وتفسيرها هو المال.

وما يجري مجراه ﴿ زهرة الحيوة الدنيا﴾ يعني زينة الدنيا ﴿ لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم فيما أعطيناهم من الزينة والهاء التي في (فيه) كالهاء التي في (به) ﴿ ورزق ربك خير﴾ يعني الجنة ﴿ وأبقى﴾ وأدوم مما لهم في الدنيا ./ ٢٥/أ

﴿ وأمر أهلك بالصلوة ﴾ في الأهل قولان:

قال بعضهم: أراد بالأهل أمته[2].

وقال بعضهم: أراد أهل النبي ﷺ خاصة[3].

---

(١) لم أقف عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأخرج الطبري (١٦/١٦٩) مثله عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ، والبغوي (٣/٢٣٦)، والواحدي في اسباب النزول (٣١٤)، وفي سنده راو منكر الحديث، وهو موسى بن عبيدة الربذي وفي تفسير القرطبي (١١/٢٦٢): قال ابن عطية: وهذا معترض أن يكون سبباً لأن السورة مكية ، والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي ﷺ لأنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي بهذه القصة التي ذكرت ، وقد أيد القرطبي رأى ابن عطية بدليل آخر وهو أن النبي ﷺ تلا هذه الآية لما مر على إبل بني المصطلق (١١/٢٦٣).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/٢٣٧).

(٣) وهو الراجح لأن ظاهر الآية يدل عليه، وقد فسرها بذلك ابن جرير الطبري (١٦/١٧٠)، وابن كثير (٥/٣٢١).

﴿ **وأمر أهلك بالصلوٰة واصطبر عليها**﴾ وتكلف في الصبر على الصلاة ﴿ **لا نسئلك رزقاً**﴾ أن ترزق نفسك إنما نسألك العبادة ﴿ **نحن نرزقك**﴾ قال مالك بن دينار[1]: كان بكر [بن عبدالله][2] المزني[3] إذا أصاب أهله حاجةٌ أو خاصةٌ يقول: قوموا فصلوا فيقال له في ذلك فيقول بهذا أمر الله رسوله. ثم تلا هذه الآية: ﴿ **وأمر أهلك بالصلوٰة واصطبر عليها**﴾ إلى قوله: ﴿ **والعـٰقبة**﴾ يعني الجنة ﴿ **للتقوى**﴾ للمتقين من الشرك والفواحش نظيره: ﴿ **إنما صنعوا كيد سحر**[4]﴾ أي كيد ساحر قال الكسائي: فيه إضمارٌ معناه: العاقبة لأهل التقوى[5].

﴿ **وقالوا**﴾ يعني أهل مكة ﴿ **لولاَ يأتينا بئاية** ﴾ هلا يأتينا بآية ﴿ **من ربه** ﴾ يعني محمد ﷺ ﴿ **أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولىٰ**﴾ من صفة محمدٍ ﷺ ونعته وأراد بالصحف التوراة والإنجيل وجميع الكتب .

قال الله: ﴿ **ولو أنا أهلكنـٰهم**﴾ يعني أهل مكة ﴿ **بعذابٍ من قبله**﴾ يعني من قبل مجيئ محمدٍ ﷺ وقال مقاتل: الهاء راجعٌ إلى القرآن ومعناه بعذابٍ في الدنيا من قبل هذا القرآن[6] وقيل: ﴿ **من قبله**﴾ من قبل يوم بدرٍ.

---

(١) هو: مالك بن دينار البصري الزاهد أبو يحي من رواة الحديث كان ورعاً يأكل من كسبه ويكتب المصاحف بالأجرة صدوق عابد مات سنة ثلاثين ومائة أو نحوها .
انظر: التقريب (٢/٢٢٤) ، والاعلام (٥/٢٦٠).

(٢) في الأصل: [ابن عبدش]، وهو خطأ تم تصويبه من تفسير ابن حبيب (ق:١٨٩/أ).

(٣) هو: الإمام القدوة الواعظ بكر بن عبدالله بن عمرو المزني أبو عبدالله البصري ثقة ثبت جليل روى له الجماعة وتوفي سنة ست ومائة على الأرجح.
انظر: السير (٤/٥٣٢)، وتهذيب التهذيب (١/٤٨٤).

(٤) طه ٦٩. على قراءة حمزة والكسائي . انظر: التذكرة لابن غلبون (٢/٥٣٦).

(٥) انظر: تفسير ابن حبيب (ق:١٨٩/أ).

(٦) انظر: تفسيره (٣/٤٧).

﴿لقالوا﴾ في الآخـرة ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا رسـولاً﴾ هلا أرسلت إليـنا رسولاً معـه كتابٌ ﴿ فنتبع ءايـتك﴾ فنطيع رسـولك ونؤمن بكتـابك فقـد أرسلت الرسول فلم يتـبعوا آياتي ﴿ من قـبل أن نذل﴾ أي من قـبل أن نصيـر أذلاء بقـتل يوم بدر[1] ﴿ ونخزى﴾ بعذاب يوم القيامة ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ كلٌ متربصٌ﴾ منتظر نحن وأنتم ﴿ فتربصوا﴾ فانتظروا بنا ريب المنون قالوا نتربص به ريب المنون ونحن نتربص بكم الدوائر العـذاب ﴿ فستعلمون ﴾ عند نزول العـذاب في الدنيـا يعني القتل ببـدر ﴿من أصحـب الصـرط السـوى﴾ يعني من أصـحـاب الطريق المسـتـقـيم ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلالة إلى الإيمان نحن أم أنتم والسورة كلها مكيةٌ.

* * *

(١) معلوم أن سورة طه كلهـا مكية، والمؤلف نفسه أشار إلى ذلك في آخـر الكلام عنها ، وقتل يوم بدر وقع بعد الهجرة .
والمعنى: كما قـال ابن كثير رحـمه الله في تفسيره (٥/٣٢٣) أن المشـركين المكذبين المعاندين لو أن الله تعـالى أهلكهم بعـذاب قـبل: أن يرسل إليـهم رسـولاً وينزل عليـهم كتـاباً لقـالوا: ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ قبل أن تهلكنا، حتى نؤمن به ونتبعه ...أهـ بتصرف.


الخاتمة

خاتمـــة

الحمد لله الذي منّ عليّ بإنجاز هذا البحث الذي أسهمت به في إخراج جزء من كتاب «الكفاية في التفسير».

وقد تبيّن لي من خلال هذا البحث ما يلي:

١- كثرة نقول المصنف رحمه الله عمن سبقه من المفسرين، الذين صنفوا في التفسير وعلوم القرآن، وبعض هذه الكتب مفقودة أو يصعب الوصول إليها مما أكسب كتابه أهمية في حفظ ما نقله من هذه الكتب.

٢- احتوى الكتاب على آثارٍ كثيرة عن عدد كبير من السلف .

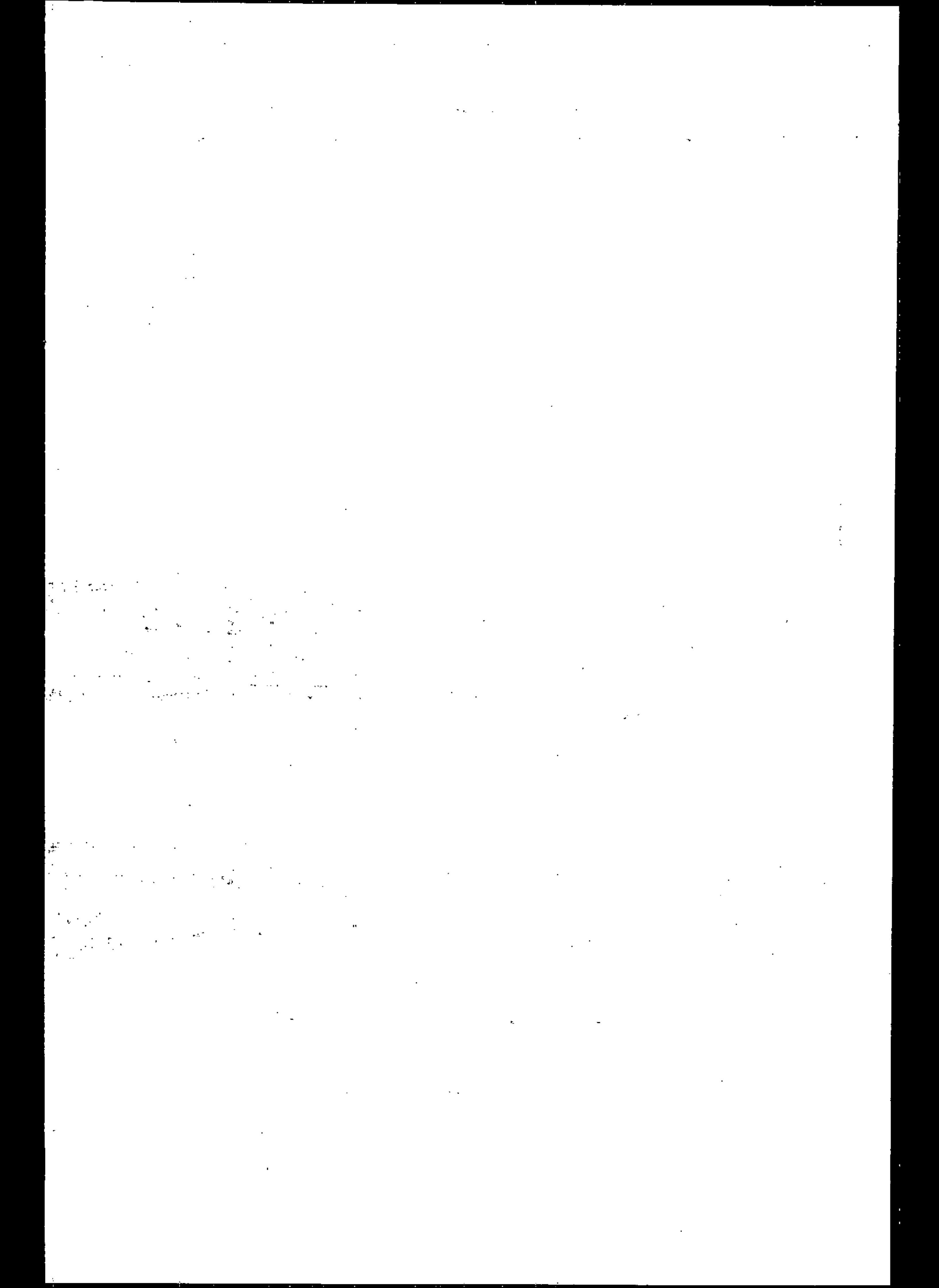
٣- جمع الكتاب بين المأثور والرأي.

٤- أهتم المؤلف رحمه الله بالقراءات، وأسباب النزول، وشرح المفردات.

٥- ظهرت لي بعض المآخذ على كتاب الكفاية، وتم التعليق عليها في مواضعها من الكتاب.

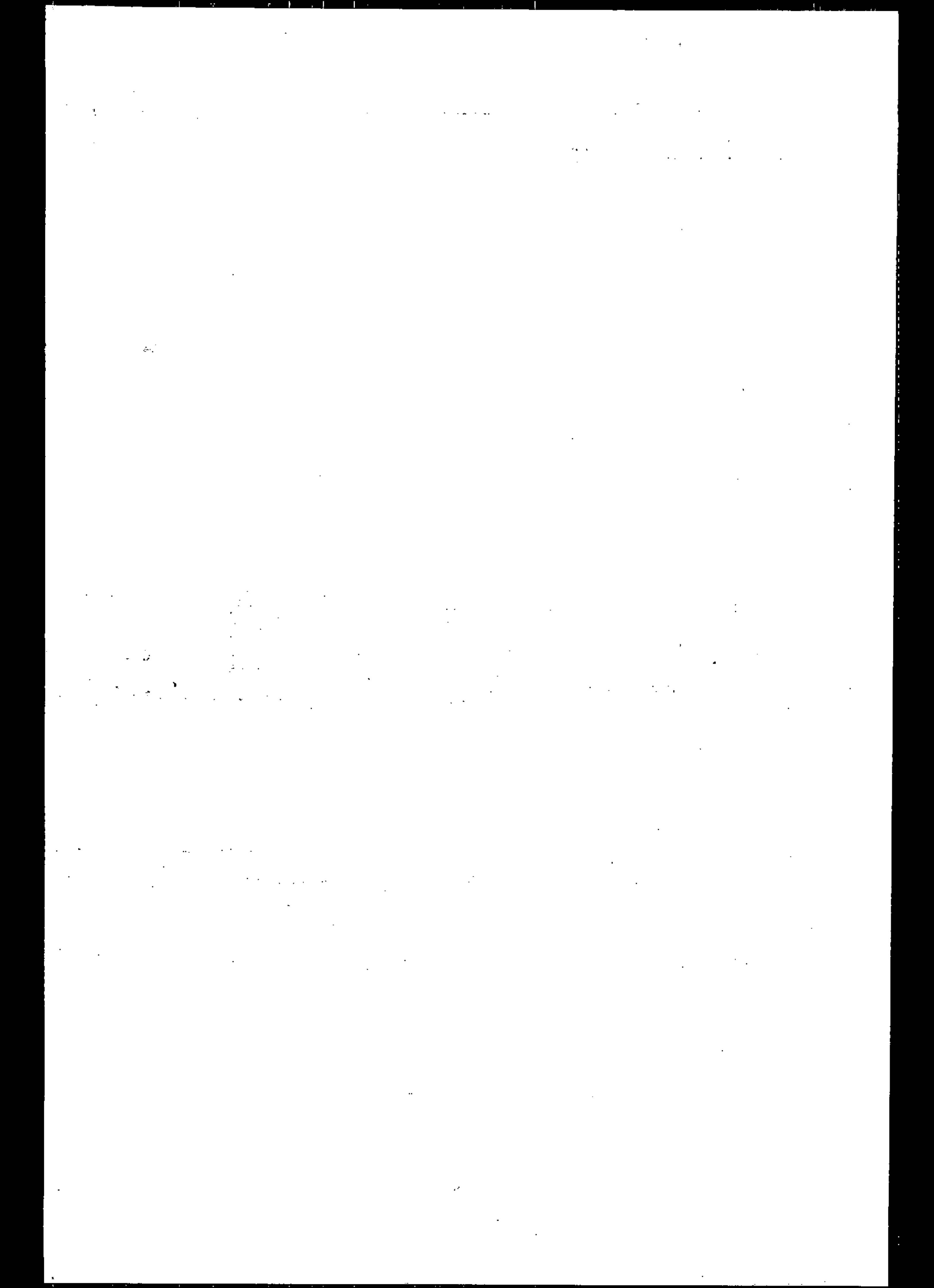
٦- تبيّن من خلال المقارنة بين تفسير الكفاية، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير اشتمال الكتابيين على جوانب التفسير المختلفة، وأن لكل واحد منهما عنايته الخاصة في كل جانب من هذه الجوانب.

وختاماً أرجو أن أكون قد سلكت المسلك الصحيح في كتابة هذا البحث، فما كان صواباً فبتوفيق الله عزوجل ، وما كان من خطأ فإنه من تقصيري وأستغفر الله.



الفهـارس

* فهـرس الآيـــــات
* فهـرس الأحـــاديث
* فهـرس الآثـــــار
* فهـرس الأشـــعار
* فهـرس الأعلام المترجـم لهم
* فهـرس المصـادر والمراجــع
* فهـرس الموضـــوعـــات



فهرس الآيـــــات

السورة	الآيـــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿ فأما الذين اسودت وجوههم ﴾	١٠٦	١٨٦
	﴿ إلا بشرىٰ لكم ﴾	١٢٦	٢٨
	﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾	١٣٥	٦٩٠
	﴿ وما محمد إلا رسول ﴾	١٤٤	٨٨
	﴿ وما كان لنبى أن يغل ﴾	١٦١	١٢١، ٧٥٣
	﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله ﴾	١٦٦	٦٣، ٦٤
	﴿ إنما ذلكم الشيطٰن ﴾	١٧٥	٤٧٩، ٦٤٨
	﴿ إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ﴾	١٧٨	٥٤٥
	﴿ كل نفس ذآئقة الموت ﴾	١٨٥	٧٦١
النساء	﴿ فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾	٤	٥٥٢
	﴿ وإذا حضر القسمة ﴾	٨	٤١٠
	﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد ﴾	٤١	٥٦٢
	﴿ كلما نضجت جلودهم ﴾	٥٦	٦٣٦
	﴿ وإن منكم لمن ليبطئنَّ ﴾	٧٢	٣٥٤
	﴿ على القٰعدين أجراً عظيماً ﴾	٩٥، ٩٦	١٨
	﴿ ولا تكن للخآئنين خصيماً ﴾	١٠٥	٥٢٤
	﴿ يستخفون من الناس ﴾	١٠٨	٥٩
	﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾	١١٣	٣٦٤
	﴿ إن الذين ءامنوا ثم كفروا ﴾	١٣٨	٣٠٠
	﴿ ويقولون نؤمن ببعض ﴾	١٥٠	٥١٦

السورة	الآيـــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
	﴿إنا نحن نرث الأرض﴾	٤٠	٤٩٦
	﴿سلٰم عليك سأستغفر لك ربى . . .﴾	٤٧	٢٥٠
	﴿ورفعنٰه مكاناً علياً . .﴾	٥٧	٥٠٢
	﴿إنه كان وعده مأتياً . . .﴾	٦١	٦٠٨، ٦٤٠
	﴿هل تعلم له سمياً﴾	٦٥	٢٩٢، ٧٤٠
	﴿وإن منكم إلا واردها . . .﴾	٧١	٧٦١
	﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً . .﴾	٧٦	١٠٢
	﴿أفرءيت الذى كفر بئايٰتنا وقال . . .﴾	٧٧	٥٤٢، ٦٧٩
	﴿إن كل من فى السمٰوٰت والأرض . . .﴾	٩٣	٢٩١
طه	﴿طه مآ أنزلنا عليك القرءان لتشقىٰ . . .﴾	١-٦	١٣٣
	﴿إنى ءانست ناراً . . .﴾	١٠	٤٩٩
	﴿إننى أنا الله لآ إلٰه إلآ أنا . . .﴾	١٤	٧٩٧
	﴿ولى فيها مئارب أُخرىٰ . . .﴾	١٨	٧٩٦
	﴿لنريك من ءايٰتنا الكبرى . . .﴾	٢٣	٧٩٦
	﴿واصطنعتك لنفسى﴾	٤١	٧٥٨
	﴿إنما صنعوا كيد سٰحر﴾	٦٩	٨٥٦
	﴿ولأصلبنكم فى جزوع النخل﴾	٧١	٦٨٠
	﴿فأولٰئك لهم الدرجٰت العلىٰ﴾	٧٥	٣٠٠
	﴿ومن يأته مؤمناً . . .﴾	٧٥-٧٦	٨٣٥
	﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً﴾	٨٨	٥٤٢

السورة	الآيـــــــة	رقم الآية	الصفحة
الغاشية	﴿عاملة ناصبة تصلىٰ ناراً حامية﴾	٣، ٤	٧٣١
الفجر	﴿والشفع والوتر﴾	٣	٢٩١
	﴿والملك صفاً صفاً﴾	٢٢	٦٨٣
الليل	﴿فأنذرتكم ناراً تلظىٰ﴾	١٤	٥٠٤
الضحى	﴿ما ودعك ربك وما قلىٰ﴾	٣	٧٦٦
	﴿ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ﴾	٥	٨٥٤
	﴿ووجدك ضآلاً فهدىٰ﴾	٧	٤٢١
الشرح	﴿فإن مع العسر يسرا﴾	٥، ٦	٣٩٢
العلق	﴿لنسفعا بالناصية﴾	١٥	٣٨٩
الزلزلة	﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾	٢	٦٨٣
الإخلاص	﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾	١، ٢	٢٩٢
	﴿لم يلد ولم يولد﴾	٣، ٤	٢٩٢
	﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾	٥	٢٩٢، ٧٦٧

فهرس الأحاديث

فهرس الآثــار

الرقم	الأثـــــــــر	الصفحة
٤٣	(جاء زجل إلى علي بن أبي طالب فشكا إليه سوء حفظه فقال) ....علي بن أبي طالب	٥٥١
٤٤	(جاهد الكفار والمنافقين) ....ابن مسعود	٢٢٢
٤٥	(الخصيم من الحق) ...... أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني	٥٢٤
٤٦	(خطب أبوبكر فقال أيكم يقرأ سورة التوبة) ...الحارث بن يعقوب	١٩٩
٤٧	(رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا) ...علي بن أبي طالب	١٩٦
٤٨	(دعا رجل من الصحابة بسم الله) ....مقاتل	٦٤٣
٤٩	(رفع جبريل درعها) .... ابن عباس	٧٤٥
٥٠	(رفعناه من سماء إلى سماء) .... ابن عباس	٧٥٨
٥١	(سالت عطاء عن دلوك الشمس) ....ابن جريج	٦٢٥
٥٢	(سالت مالك بن أنس عن الإيمان) ....ابراهيم	١٠
٥٣	(سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم) .... سعيد بن جبير	٣١٤
٥٤	(الشقي من إعتمد تدبيره) ....ابراهيم النخعي	٣٥٣
٥٥	(الصلاح في ثلاثة أشياء) .... شقيق	٣٥٩
٥٦	(الظالم من طلب نفعه ممن لا يملك نفع نفسه) .... سفيان الثوري	٣٠٦
٥٧	(الغى نهر في النار) ....وهب	٧٦٣
٥٨	(الغى واد في جهنم).............عطاء	٧٦٣
٥٩	(قال أهل مكة ربنا الله وحده لا شريك له) ... عطاء بن أبي رباح	٤٢٧
٦٠	(قال جبريل ليوسف ان الله يقول) ....كعب	٣٩٥
٦١	(قال جدي بن أخطب للنبي صلى الله عليه وسلم إن في كتابكم) .... ابن عباس	٧٣٢

فهرس الأشعار

الرقم	البيـــــت	القافية	القائل	الصفحة
٢٠	وساعيت اليها وشأنها*		الأعشى	٧٦٤
٢١	وقابلها الريح في دنها *	به الموم		٨٠٣
٢٢	وقد توجس ركزاً من سنابكها *	به الموم	ذو الرمة	٨٧٢
٢٣	ولو أنني استطيع صبراً وسلوة *		غير منسوب	٧٢٨
٢٤	يا آل ذيع أمر نجيح *	فصيح	«منسوب للعجل»	١٣١

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصـــــادر

١ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر

تأليف : الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي الشافعي ، المتوفي سنة ١١١٧ هـ ، مطبعة المشهد الحسيني – القاهرة .

٢ - الإتقان - جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ

طبعة دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط / الرابعة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٣ - أحكام القرآن للجصاص

للإمام حجة الإسلام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، المتوفي سنة ٣٧٠ هـ ، الطبعة الأولى سنه ١٣٣٥ هـ ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان .

٤ - أحكام القرآن

لابن العربي المتوفي سنة ٤٣ هـ ، تحقيق على محمد البجاوي – ط . دار المعرفة – بيروت .

٥ - أدب الكاتب

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه ، المتوفي ٢٧٦ هـ ، حققه محمد دالي ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٦ - أسباب النزول - للواحدي

لأبي الحسن علي بن الواحدي المتوفي سنة ٤٦٨ هـ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة .

٧ - أسد الغابة - ابن الأثير

لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، المتوفي ٦٣٠ هـ ، طبعة الشعب .

٨ - الإصابة - لأبي حجر

لشعاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ، المتوفي سنة ٨٥٢ هـ ، دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى - ١٣٢٨ هـ .

٩ -الأعلام

خير الذين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة ١٩٨٤ م .

١٠ - الإكمال

علي بن هبة الله بن ماكولا ، المتوفي ٤٧٥ هـ ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١ - الأم - للشافعي

لمحمد بن إدريس الشافعي ، المتوفي٢٠٤ هـ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .

١٢ - الأنساب - للسمعاني

للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ، المتوفي سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦ م ، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيه ، نجيد أباد الدكن ، الهند .

١٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل

لعبدالله الشيرازي البيضاوي ، طبعة دار الفكر ١٤٠٢ هـ .

١٤ - الأيام والليالي والشهور

لأبي زكريا يحى بن زياد الفراء ٢٠٧ هـ، تحقيق إبراهيم الابياري ، الناشرون : دار الكتب الإسلامية ؛ ودار الكتب المصرية القاهرة ، ودار الكتب اللبنانية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

١٥ - الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه

لمكي بن أبي طالب القيس ، المتوفي سنة ٤٣٧ هـ ، تحقيق د / أحمد حسن فرحات ، نشر دار المنار جده الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

١٦ - البحر المحيط - لأبي حيَّان

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، المتوفي ٧٥٤ هـ ،دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.

١٧- بداية المجتهد ونهاية المقتصد

لأبي الوليد ، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المتوفي سنة ٥٩٥هـ. دار الفكر

١٨ - البداية والنهاية

لأبن كثير الدمشقي، المتوفي ٧٧٤ هـ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ ، مكتبة المعارف، بيروت.

١٩- البدور الزهرة في القراءات العشر المتواترة

لعبد الفتاح القاضي ، ط. دار الكتاب العربي - بيروت . ط. الأولى ١٤٠١ هـ

٢٠- البرهان في معرفة عقائد أهل الاديان

لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحلبي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، مكتبة المنار، الأردن

٢١ - بغية الوعاة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١ هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.

٢٢ - بلوغ الأماني شرح الفتح الرباني

للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، دار الشهاب ، القاهرة .

٢٣ - تاريخ بغداد

لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي ،دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٤ - التجريد

تجريد أسماء الصحابه - لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ هـ، دار المعرفة ، بيروت.

٢٥ - التذكرة - لأبن غلبون

لأبي الحسن ظاهر بن عبد المنعم بن غلبون المقريء، المتوفي سنة ٣٩٩ هـ،تحقيق د / عبد الفتاح بحيري إبراهيم، ط : الثانية ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة .

٢٦ - التذكرة في القراءات الثلاثة المتواتره

وتوجيهها من طريق الدرة، للدكتور محمد سالم محيسن، مكتبة القاهرة ، بمصر.

٢٧ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل

لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٨ - سورة يوسف

تفسير لبن أبي حاتم المتوفي سنة ٣٢٧ هـ، تحقيق محمد عبد الكريم البنجابي، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ، لعام ١٤٠٤ هـ / ١٤٠٥ هـ

٢٩ - تفسير ابن حبيب - مخطوط

٣٠ - تفسير الألوسي المسمى روح المعاني

لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، المتوفي سنة ١٢٧٠ هـ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

٣١ - تفسير البغوي

لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، المتوفي سنة ٥١٦ هـ، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، ط : دار المعرفة ١٤٠٦ هـ الأولى.

٣٢ - تفسير الثعلبي - مخطوط

٣٣ - تفسير الدينوري (الواضح) - مخطوط .

٣٤ - تفسير سفيان بن عيينه

لسفيان بن عيينة ، تحقيق أحمد صالح محايري ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٣٥ - تفسير السمرقندي

المسمى (كسر العلوم) لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٥ هـ، تحقيق علي محمد معوض وزملائه ، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٦ - تفسير ابن سعدي

لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦ هـ، تحقيق محمد زهري النجار ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ.

٣٧ - تفسير القرآن العظيم

للحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن الخطيب ابن كثير ، المتوفي ٧٧٤ هـ، تحقيق عبد العزيز غنيم ومن معه ، طبعة الشعب ، القاهرة .

٣٨ - تفسير الطبري المعروف بجامع البيان عن تأويل القرآن

لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ت. : ٣١٠ هـ، تحقيق محمود شاكر وأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط : الثانية ١٣٧٤ هـ وطبعة دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط الرابعة ١٤٠٠ هـ.

٣٩ - تفسير القرآن

لعبد الرزاق الصنعاني المتوفي ٢١١ هـ، تحقيق د /. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد ، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٤٠ - التفسير الكبير - للفخر الرازي

أبو عبد الله محمد بن الفخر الرازي ، المتوفي سنة ٦٠٦ هـ، دار احياء التراث ، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ.

٤١ - تفسير الماوردي

لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، المتوفي ٤٥٠ هـ ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، دار الكتب العلمية ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

٤٢ - تفسير مجاهد

لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي، المتوفي ١٠٤ هـ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٦ هـ، مجمع البحوث الإسلامية ، إسلام آباد .

٤٣ - تفسير مقاتل بن سليمان

لمقاتل بن سليمان المتوفي سنة ١٥٠ هـ، تحقيق : د / عبد الله محمود شحاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ هـ .

٤٤ - تفسير النسائي

لأبي عبد الرحمن أحمد أحمد بدر شعيب بن علي النسائي ، المتوفي ٣٠٣ هـ ، تحقيق صبري بن عبد الخالق الشافعي سيد الجليحي ، مكتبة السنة ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م ، القاهرة .

٤٥ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس

للفيروز ابادي المتوفي ٨١٧ هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، الطبعة الثانية لعام ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م.

٤٦ - تقريب التهذيب

للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفي ٨٥٢ هـ . تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، الطبعة الثانية ،١٣٩٥ هـ، دار المعرفة ، بيروت .

٤٧ - تهذيب التهذيب - لابن حجر

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفي سنة ٨٥٢ هـ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد ، الدكن ، الطبعة الأولى لعام ١٣٢٥ هـ .

٤٨ - الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي

لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، المتوفي ، ط : دار احياء التراث العربي بيروت ، الثانية ١٣٧٣ هـ .

٤٩ - الدر المنثور - للسيوطي

عبد الرحمن بن كمال جلال الدين السيوطي ، المتوفي سنة ٩١١ هـ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٥٠ - دلائل النبوة

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفي ٤٥٨ هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .

٥١ - ديوان الأعشى

لميمون بن قيس، دار النهضة العربية، بيروت ،١٩٧٤ م .

٥٢ - ديوان المثقب العبدي .

٥٣ - ذيول العبر في خبر من غبر

للحافظ الذهبي المتوفي ٧٤٨ هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٤ - الرسالة القشيريه

لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري ، تحقيق معروف زريق وآخرون - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، دار الخير ، بيروت .

٥٥ - زاد المسير - لابن الجوزي

لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي البغدادي، المتوفي سنة ٥٩٧ هـ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى لعام ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

٥٦ - سلسلة الأحاديث الصحيحة - للألباني

لمحمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ ،المكتب الإسلامي ، بيروت .

٥٧ - سلسلة الأحاديث الضعيفة - للألباني

لمحمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ المكتب الإسلامي - بيروت .

٥٨- سنن الترمذي

لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، المتوفي سنة ٢٧٩ هـ ، المكتبة الإسلامية، استنابول ، تركيا .

٥٩- السنن الكبرى - للبيهقي

لأبي بكر احمد بن الحسين البيهقي، المتوفي ٤٥٨ هـ ،دار المعرفة ، بيروت .

٦٠ - سير أعلام النبلاء

لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي ٧٤٨ هـ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٦١ - السيرة النبوية

لابن هشام ، تحقيق مصطفي السقا ومن معه تراث الإسلام .

٦٢ - شذرات الذهب في أخبار

لعبد الحي بن العماد الحنبلي، دار المسير ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

٦٣ - شعب الإيمان - للبيهقي

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، المتوفي سنة ٤٥٨ هـ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ١٤١٠هـ/ ١٩٠٠ م الأولى .

٦٤ - الصحاح

لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٦٥ - صحيح الأدب المفرد - للبخاري

لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المتوفي سنة ٢٥٦ هـ ، تحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ،دار الصديق ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م ، الجبيل، المملكة العربية السعودية .

٦٦ - صحيح ابن ماجه - للألباني

لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٠٧ هـ .

٦٧ - صحيح البخاري

لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجُعفي ، المتوفي ٢٥٦ هـ ، المكتبة الإسلامية ، تركيا،١٩٧٩ م .

٦٨ - صحيح الترمذي

لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

٦٩ - صحيح الجامع الصغير - للألباني

الفتح الكبير ، لمحمد ناصر الدين الألباني ،طبعة ثانيه ، ١٣٩٩ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت .

٧٠ - صحيح مسلم

للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، المتوفى ٢٦١ هـ، رئاسة ادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ١٤٠٠ هـ .

٧١ - الصواعق المرسلة

تصنيف الشيخ الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي بكر بن أيوب بن سعد الشهير بابن قيم الجوزية ، تحقيق د / علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، ط : الأولى ١٤٠٨ هـ .

٧٢ - ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري

لمحمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الجبيل ، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى لعام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

٧٣ - ضعيف الجامع الصغير - للألباني

محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، بيروت .

٧٤ - طبقات الشافعية - لابن الصلاح .

٧٥ - طبقات الشافعية

لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن القاضي شهبه الدمشقي ، المتوفي ٨٥١ هـ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ١٤٠٧ هـ .

٧٦ - طبقات الشافعية

لتاج الدين ابي النصر عبد الوهاب بن علي السبكي ، تحقيق محمود محمد الطناحي وزميله مطبعة عيسى البابي ١٣٨٣ هـ .

٧٧ - طبقات الشافعية

لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي، المتوفي سنة ٧٧٢ هـ، تحقيق عبد الله الحيوري، دار العلم ، الرياض ١٤٠١ هـ .

٧٨ - طبقات فحول الشعراء

لمحمد بن سلام الجمحي ، المتوفي سنة ٢٣١ هـ، شرح محمود شاكر ، مطبعة المدني - القاهرة .

٧٩- طبقات المفسرين

لجلال الدين السيوطي ، المتوفي ٩١١ هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .

٨٠ - طبقات المفسرين

الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي ، المتوفي سنه ٩٤٥ هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨١ - الطبقات الكبرى

لابن سعد، دار صادر بيروت .

٨٢ - العبر للذهبي

تحقيق محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٨٣ - عرائس المجالس

تأليف أبي اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي ٤٢٧ هـ - لسردار المعرفة بيروت .

٨٤ - الفتاوي - لشيخ الإسلام ابن تيميه

لشيخ الإسلام أحمد بن تيميه، مكتبة المعارف ، الرباط .

٨٥ - فتح الباري شرح صحيح البخاري

لاحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المتوفي ٨٥٢ هـ، دار المعرفة، بيروت .

٨٦- الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي

لعبد الرؤف المناوي المتوفي سنة ١٠٣٩ هـ. تحقيق أحمد السلفي ط. دار العاصمة - الرياض . ط . الأولى ١٤٠٩ هـ

٨٧- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني

لأحمد عبدالرحمن الباشا ط . دار الشهاب – القاهرة

٨٨ – الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة

لمحمد بن علي الشوكاني ، المتوفي ١٢٥٠ هـ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلى اليماني دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨٩ –عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير

لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بابن سيد الناس ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ .

٩٠- غريب الحديث

لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفي سنة ٢٢٤ هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م

٩١ – الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف

لابن حجر العسقلاني ، المتوفي سنة ٨٥٢ هـ، بحاشية الكشاف دار المعرفة ، بيروت .

٩٢ – كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس

لإسماعيل بن محمد العجلوني المتوفي سنة ١١٦٢ هـ صححه أحمد القلاش ط . مؤسسة الرسالة . ط .الرابعة ١٤٠٥ هـ.

٩٣- الكشاف عن حقائق التنزيل

لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري المتوفي ٥٣٨هـ ط . دار المعرفة بيروت .

٩٤ – كشف الظنون

لحاجي خليفه، المتوفي سنة ١٠١٧ هـ، دار الفكر ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٩٥ – لسان العرب – لابن منظور

للعلامة ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت .

٩٦ - لسان الميزان - لإبن حجر

للإمام الحافظ شهاب الدين ابي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفي ٨٥٢هـ ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي .

٩٧- اللألىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة

لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المتوفي ٩١١ هـ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .

٩٨ - لباب التأويل في معالم التنزيل

لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن ، دار المعرفة ، بيروت .

٩٩ -مجاز القرآن - لابي عبيدة معمر

ابن المثنى التيمي المتوفي سنة ٢١٠ هـ، لفؤاد سزكين .

١٠٠ - مجمع الزوائد .. للهيثمي

للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي ، المتوفي سنة ٨٠٧ هـ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت .

١٠١ - مختصر في شواذ القرآن

لابن خالوية المتوفي ٣٧٠ هـ، دار الهجرة ، مصر ١٩٣٤ م .

١٠٢ - مرويات غزوة حنين وحصار الطائف

لإبراهيم بن ابراهيم قريبي ، المجلس العلمي ، الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة .

١٠٣ - مساوىء الأخلاق - الخرائطي

لأبي بكر محمد بن جعفر السامري المعروف بالخرائطي ، المتوفي سنة ٣٢٧ هـ، تحقيق أبو النصر الشلبي ، نشر مكتبه السواوي بجدة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .

١٠٤ - مستدرك الحاكم

للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، المتوفي سنة ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٠٥- المسند

الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المتوفي ٢٤١ هـ،دار صادر ، بيروت .

١٠٦- مسند الشافعي

ترتيب محمد عابد السندي ، تصحيح يوسف علي الزواوي والسيد عزت عطار، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠٧ - معاني القرآن - للأخفش

لسعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق د/عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

١٠٨ - معاني القرآن واعرابه

للزجاج ابي اسحاق ابراهيم بن السري ، المتوفي ٣١١ هـ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، عالم الكتب ، بيروت .

١٠٩ - معاني القرآن - للفراء

لابي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء المتوفي سنة ٢٠٧ هـ ، ط ٣ : عالم الكتب، بيروت، لعام ١٤٠١ هـ / ١٩٨٣ م .

١١٠ - معجم الأدباء

لياقوت الحموي، الطبعة الثالثة - ١٤٠٠ هـ ، دار الفكر .

١١١ - معجم البلدان

لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٤٠٤ هـ .

١٢٢ - معجم القراءات القرآنية

تأليف د / عبد العال سالم مكرم ، ود / أحمد مختار عمر، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

١١٣ - معجم المؤلفين

عمر رضا كحّالة ، نشر مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي، بيروت ،١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م .

١١٤ - المغني

لابن قدامة ، تحقيق د / عبد الله التركي ، والحلو، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

١١٥ -المفردات في غريب القرآن

تأليف الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار فهرمان للطباعة والنشر - استانبول ١٩٨٦ م .

١١٦ - المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور

لأبي الحسن بن عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر الفارسي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١٧ - المنتظم في تاريخ الملوك والامم

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، المتوفي ٥٩٧ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١٨- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف .

إعداد أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط . دار الفكر - بيروت ودار الكتب العلمية - بيروت ، ط الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩م

١١٩ -الموضوعات - لابن الجوزي

لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المتوفي سنة ٥٩٧ هـ ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الثانية - ١٤٠٧ هـ .

١٢٠ - الموطأ -

للإمام مالك بن أنس ، كتاب الشعب ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

١٢١-النسخ في القرآن - لمصطفى زيد

للدكتور / مصطفى زيد، الطبعة الأولى، ١٣٨٣ هـ،دار الفكر العربي .

١٢٢ -الناسخ والمنسوخ

لأبي جعفر أحمد بن اسماعيل النحاس ، تحقيق د / شعبان محمد اسماعيل، مكتبة عالم الفكر ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ .

١٢٣ -الناسخ والمنسوخ - لعبد القاهر بن طاهر البغدادي

لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، تحقيق حلمي كامل اسعد عبد الهادي، طبعة أولى ١٤٠٧ هـ، دار العدوي ،عَمان .

١٢٤- نكت الهيمان في نكت العميان

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، نشر الطبعة الجمالية ، محمد خانجي سنة ١٣٢٩هـ.

١٢٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر

للأمام مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير ، المتوفي سنة ٧٠٦هـ، تحقيق طاهر أحمد الزواي وصديقه ، دار الفكر ، بيروت .

١٢٦- نواسخ القرآن

لابن الجوزي ٥٩٧ هـ، تحقيق : محمد أشرف علي الملباري، توزيع المجلس العلمي بالجامعة الاسلامية ، الطبعة الأولى لعام ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

١٢٧ - هدية العارفين

إسماعيل باشا البغدادي ، مجموعة كشف الظنون ، دار الفكر ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

١٢٨ - الوافي بالوفيات

صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي ،اعتناء رمزي بعلبكي ،دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن ،١٤٠٤ هـ -١٩٨٣ م .

١٢٩ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد .

لأبي الحسن علي الواحدي المتوفي سنة ٤٦٨ هـ، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، الطبعة الأولى لعام ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

١٣٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفي سنة ٦٨١ هـ . تحقيق د/ إحسان عباس ، طبعة دار صادر - بيروت .

١٣١ - تاريخ - ابن عساكر .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة